

الطالب صبح المطوب

الكتاب

عبد الرحمن

مركز الدراسات

حرم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٩٥٩

مكتبة

عصره وجهوده في الدعوة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة «الدكتوراة» في العقيدة

إعداد الطالب

عيسى مصطفى يوجار



إشراف

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد قطب

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠/٨٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم . ويعد : فإن الله تعالى يسخر في كل عصر دعاةً ينادون بالإسلام ويدعون الناس إليه يجاهدون لإعلاء كلمة الله تحت راية التوحيد . ولا يخلو عصر من هؤلاء الدعاة ، سواء كانوا علماء أم مفكرين أم أدباء أم شعراء . وقد كان منهم في هذا العصر شاعر الإسلام محمد اقبال في القارة الهندية الذي يعتبر مؤسس فكرة دولة باكستان المسلمة .

ومن هؤلاء المفكرين أيضاً شاعر الإسلام محمد عاكف في الجمهورية تركيا الذي اخترته موضوعاً لرسالتى في الدكتوراه . لأنه شخصية أدبية إسلامية لها ما يميزها . وكان له دور بارز في أحداث عصره ، وقد جعلت عنوان الرسالة : محمد عاكف ، عصره وجهوده في الدعوة الإسلامية .

أهمية الموضوع : وقع في يدي كتاب بعنوان " شاعر الإسلام محمد عاكف " لمؤلفه الأستاذ د . عبد السلام عبدالعزيز فهمي . فوجدته يحتاج إلى تصحيحات وتعديلات شتى بسبب اشتغاله على أخطاء في نقل المعلومات والترجمة من اللفظة التركية إلى العربية بالإضافة إلى أخطاء فكرية . ورأيت د . سعد الشامان يقول في نقده لهذا الكتاب : " فالشاعر محمد عاكف لم يحظ مع الأسف بدراسة علمية جادة باللغة العربية عن حياته وشعره وتقريبه للقارىء العربي وتظهر له ما في شعره وجهاده من جوانب مضيئة . " (١)

لذلك حاولت التعريف به وفكره وعصره وأرجو أن يسهم بحثى هذا فى خدمة الدعوة الإسلامية . وأن تسد هذه الرسالة ثغرة من الثغرات القائمة فى معلومات القارىء العربى عن الفترة الأخيرة من حياة الدولة العثمانية وما صاحبها من أحداث جسام . يقول د . محمد عبداللطيف البحراوى : فقد كتب عن الدولة العثمانية الكثير فى تاريخها وحضارتها ونظمها وجهادها والاصلاحات فيها . وفى الحياة الفكرية والاعتقادية والمذاهب المعاصرة فى ذلك الوقت . وجاء أكثر ما كتب بعيداً عن الصواب بقصد أو بدون قصد ، بروح العداة للإسلام من قبل المستشرقين والمبشرين والصهيونيين أو علائقهم ، أو بسبب الجهل بتاريخها ، وكان الجهل باللغة التركية وما يزال سبباً مهماً فى عدم وضوح الرؤية لدى الكثيرين

(١) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف ، ص : ٩٣ ترجم نصاً من محمد عاكف مع

إضافة من عنده ، ص : ٩٩ ، ترجمة غير صحيحة ، ص : ١٢٠ ، نسب أموراً إلى عاكف

وفى اصل نص عاكف لم توجد منها شيئاً . ص : ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) مجلة اليمامة العدد ٩١٢ ، ١٤٠٦/١١/٩٢ هـ

ولذا يحتاج تاريخ الدولة العثمانية والحياة الفكرية والدعوة الإسلامية فيها إلى مجهود خاص . لا تصلح معه القراءة العفوية أو الدراسة التقليدية والنقـل التقليدي ، والتسليم بكل ما في الكتب والمراجع من احكام وآراء . وأول ما يجب أن نطرحه جانبا هو تلك الطريقة التقليدية المدرسية ، التي تقوم على الترتيب الزمى للسلطين ، والاستفراق في التواريخ والسنين وإنما ينبغي أن يسير تاريخ الدولة كموضوع يتطور ، وفكرة تنمو وتتغير ومن الأفضل أن يحدث التركيز من البداية على النقاط التي ستكون أساس مشكلات العصر الثاني أو الأخير للدولة^(١) وهذا العصر الذي يشير إليه الدكتور البحراوى هو عصر محمد عاكف . لذلك أردت أن اقدم إلى القارئ العربى دراسة جامعية عنه باعتباره داعية إسلاميا ، دافع عن العقيدة الإسلامية ضد الانحرافات والضلالات ، وبذل جهده لخدمة الإسلام والمسلمين بارشاداته وخطبه ومؤلفاته ومقالاته في فترة مهمة من فترات تاريخ هذه الأمة . ورأيت من المفيد بإذن الله أن أكتب في هذا الموضوع بشكل مفصل وشامل باللغة العربية حيث ان الكتب التي كتبت فيه كانت تتناول بعض القضايا الجزئية في حياة عاكف دون أن تدخل في كثير من التفاصيل الفكرية أو تتناول من زاوية أدبية بحثه دون التعرض للجوانب الأخرى في حياته وشخصيته .

وقد عشت مع محمد عاكف خلال دواوينه وكتاباته المنشورة في الكتب والمجلات في اثناء دراستي من الابتدائية إلى الجامعة ، ورأيت كما بينت في الرسالة أنه دافع عن أمته الإسلامية بالشعرتارة وكتابة المقالات والنصح في المساجد تارات أخرى . ووهب حياته لخدمة الإسلام ووحدة المسلمين . وقضى عمره إلى جانب أمته في محنتها وآلامها . ويعد محمد عاكف من أبرز الشخصيات في نهاية العصر الماضي وبداية العصر الحاضر . ولم يكن من نصيب أحد في تركيا أن يشتهر ويذكر على ألسنة الناس كما وقع له ولم يستطع أحد كتابة النشيد الوطنى للجمهورية التركية مثلما كتبه هو ، وقد استمر في دعوته إلى الإسلام حتى حين أصبحت الدولة علمانية معادية للإسلام ودعائه . ويتوقع الإسلاميون الأتراك أن يكون ديوانه "الصفحات" من أسباب عودة الناس إلى الإسلام من جديد في تركيا . لأن صاحبه سعى لا حياء الإسلام في قلوب الناس بالحكمة والعاطفة

(١) مجلة الدارة العدد : ٤ ، السنة : ١٣ ، رجب ١٤٠٨ ، فبراير : ١٩٨٨

ولا نجد شبيها له في تركيا في صدقه وإخلاصه وغيرته . وقد وجد الشباب في آثاره روح الإسلام نقية صافية واستطاع أن يحيب النشء الجديد في تركيا في الإسلام ووجههم إلى التمسك بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح . وأنا لنلمس اهتمام الشعب التركي بمحمد عاكف وتأثره بمؤلفاته في بعض المظاهر ذات الدلالة . فقد سمي المسئولون مكتبة كلياته الإلهيات التي تقابل كلية الشريعة بمدينة قونية بمكتبة محمد عاكف ، وفي استانبول سميت باسم محمد عاكف حدائق وأحياء وشوارع ومدارس عدة . وأسسوا وقفا خاصا لنشر فكره بمدينة انقره كما أسسوا مركزا بعنوان " مركز محمد عاكف للبحوث " بكلية الإلهيات باستانبول وحينما سجلت هذا الموضوع عام ١٤٠٧ الموافق ١٩٨٧ كانت هناك احتفالات واهتمام رسمي في تركيا بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته .

إنه شاعر إسلامي ومفكر مسلم مجاهد ، اثبت وجوده في مجال الحركة الإسلامية وسعى لايقاظ روح الجهاد في المسلمين وهو من اكبر الشخصيات في الحياة الفكرية في تركيا . وكتب عنه الكثير باللغمة التركية . وقد مضى على وفاته الآن أكثر من نصف قرن ولكنه ما يزال يحتفظ بمكانته في قلوب المسلمين . كما طبعت كتبه مرات عديدة ، ويشعر الناس يوما بعد يوم بأهميته في الحياة الفكرية لوقوفه ضد الضلالات ونقده لواقع المسلمين وانحرافهم عن حقيقة الإسلام ، وإن واقع المسلمين اليوم ليحتاج إلى امثاله لتوجيههم إلى الطريق السوي حيث أن شخصيته جديرة بالدراسة والعناية ، ولا يفوتنا أن ننتفع بآثاره لأن كتبه الثمينة ومنظوماته النفيسة ومواعظه القيمة هي مراجع للدارسين . ولقد أثرت روح عاكف على نفر منهم ، فاصبحوا يتبعون طريقته ويتجهون وجهته ومنهم من كاد يحفظ منظوماته كلها لأنه كان أدبيا ملتزما يكتب بروحه وعاطفته مع ما يتمتع به من فكر قوى وادراك جيد ، لذلك كان تأثيره القوى ذا نفاذ في قلوب دارسيه وعقولهم ، ونجد نفرا من الدعاة قد اولعوا بدراسات عاكف فكانت زاد الهم في معالجة مايتصدون له من أدواء العصر وترهات المفرضين . وحسبه أن يكون مصدر إشعاع لمن يدعو إلى الله على بصيرة ، ويهدف مركز البحوث المسمى باسم محمد عاكف في كلياته

الالهيات باستانبول إلى إنشاء البحوث عن العلماء الأجلاء الذين خدموا الإسلام والمسلمين وتعريف الناس بهم ليستفيدوا من علمهم وأخلاقهم . وقد بدأ المركز دراسته بمحمد عاكف وفي كل سنة تقام مراسم رسمية في جميع أنحاء تركيا في المدارس والجامعات إحياءً لذكرى وفاة محمد عاكف ، وقد أعلن رئيس الجمهورية أوزال مؤخرًا أن عاكفًا نظم أشعاره لا للفن فحسب وإنما لمعالجة مشاكل الوطن والمواطنين أيضًا .

سبب اختياري هذا الموضوع : حينما اخترت : " موقف الإمام احمد بن حنبل من الزنادقة والجهمية " موضوعا لرسالتى فى الماجستير قصدت أن يستفيد إخوانى الأتراك بتعريفهم بهذا الإمام الجليل ومحنته ودفاعه عن العقيدة الصحيحة ضد الضلالات لأنهم لا يعرفون عنه إلا الشئ القليل والنزر اليسير .

وفى المرحلة الثانية وهى الدكتوراه اخترت تحت اشراف استاذى القاضل الشيخ محمد قطب حفظه الله موضوع " محمد عاكف عصره وجهوده فى الدعوة الإسلامية " . وقصدت إفادة إخواننا الذين يتكلمون اللغة العربية بتعريفهم باوضاع تركيا فى الفترة الأخيرة وشخصية إسلامية من شخصياتها . فقد عاش عاكف أيام السلطان عبدالحميد الثانى رحمه الله والأيام الأخيرة من الخلافة العثمانية الإسلامية التى ظلمها أبناؤها من جميع العناصر كما ظلمت من قبل أعدائها . كذلك عاصر هذا المفكر الكبير بداية الجمهورية التركية وأيام أول رئيس لها . وهذه الفترة من تاريخنا الإسلامى مهمة جدا . لأنه فيها ذهبت ريح هذه الأمة وضاعت خلافتها وتآمر اليهود والصليبيون والغافلون من المسلمين والمنافقون والملحدون وأهل الحقد والحسد والخيانة كلهم جمعوا قواتهم وطاقاتهم . وكانت غفلة المسلمين أكثر ، لأنهم اتفقوا مع أعدائهم لأغراض شخصية وهدموا إسلامهم وخلافتهم واسست لليهود دولة فى أرض الإسلام . وقد قيل للعرب ان العثمانيين مستعمرون وقيل للأتراك ان أعداءكم العرب ضربوكم من ورائكم . وخدع المسلمون بهذه الكلمات الماكرة التى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ارجو أن توضح هذه

الرسالة شيئا من واقع الاستعمار الصليبي . وواجب المسلمين فى التآزر والتآخى ضد هم كما صوره محمد عاكف .

وأحب أن أقول هنا أننى استفدت فى كتابة هذه الرسالة من المصادر التركية التى لا يستطيع القارىء العربى أن يطلع على ما فيها من المعلومات إلا بصعوبة وفى إمكانه الآن أن يحصل عليها فى هذا البحث المتواضع ، وحينما نطلع على الصحف والمجلات نرى ان الشيوعيين نشروا من فترة طويلة دراسات عن الشيوعيين الأتراك والقوميين والعلمانيون سلكوا الطريق نفسه وقد تأخر المسلمون فى هذا المجال فلم يبدءوا الكتابة عن الشخصيات الإسلامية التركية إلا فى السنوات الأخيرة ويبدو لى أن اخوانكم الأتراك يعرفون عن الشخصيات الإسلامية العربية أكثر مما تعرفون عن الأتراك ، لذا حاولت أن أقدم للقارىء العربى شخصية إسلامية من الشخصيات التركية . وفيما أعلم لم يتناول أحد هذا الموضوع فى رسالة جامعية وإن تضمنت رسالة ماجستير تحت عنوان " الشاعر التركى محمد عاكف وآثاره لفتحى عبدالمعطى النكلاوى فى قسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة عين شمس بمصر " شيئا عن حياته وآثاره . ولكن لم تتضمن معلومات عن عصره وجهوده فى الدعوة الإسلامية أما الكتب المؤلفة فى تركيا باللغة التركية فهى كلها فى شعر عاكف وشاعريته وأدبه . ولم يتناول الكتاب الأتراك هذا الموضوع من الناحية الإسلامية . بل اهتموا فى كليات الآداب بالناحية اللغوية والاجتماعية ، ولكنى تناولته كمفكر إسلامى وداعية مسلم وأعطيت فكره مكان الصدارة فإن كثيرين يعرفونه شاعرا وأديبا لكنهم لا يعرفونه مفكرا ومجاهدا وداعية . وقد طار ذكره فى الآفاق بوصفه " شاعر الإسلام " فأصبحت الكتابة عن حياته وفكره ضرورة لتكون هذه الشخصية واضحة أمام القارىء . ومما رغبتى فى كتابة هذا البحث عنه أن فكره ونمط حياته وقصة كفاحه جديدة بأن يقرأها شبابنا لتكون زادا لهم فى معركتهم الدامية ضد قوى الاستعمار ! وموضوع الرسالة فكرى عقدى يشمل عصر عاكف وموقفه من التيارات الفكرية المعادية للإسلام فى عصره وجهوده هذا الداعية فى الدعوة الإسلامية ليعلم قارئو اليوم كيف حمل الراية الإسلامية عن عقيدة راسخة

واخلاص عميق . وفى رأى عاكف ان الشعر يوءدى رسالة أبعد من كونه فنا فقط ، فهو رسالة روحية بين الشاعر وبين الآخرين من الناس ، ولم يكتب قصائده لتسلية الجمهور بل كتبها عن شعور عميق بأحاسيس الأمة الإسلامية وآلامها ، لذا يبدأ مفعول قصائده من حيث تنتهى وإن ما كتب عنه فى العربية وما ترجم من شعره لا يتناسب مع عظمة شخصيته وسلاسة شعره وكثرته وقد لمست عن كُتب خلال دراستى مدى حاجة المكتبة العربية لعدد من المؤلفات عن جهود علماء الأتراك فى مجال الدعوة الإسلامية ، ومن أبرزها جهود محمد عاكف فى هذا المجال . ذلك أنه على الرغم من اهمية الموضوع فإن عدد الكتب العربية التى تناولته بالبحث والدراسة مازال قليلا ، وقد كان من سوء حظ تاريخ الدولة العثمانية ان اغلب الأوروبيين الذين كتبوا فيه قد ملأوا كتبهم بكل ما يقلل من شأن تلك الدولة عدوة أوروبا الأولى ، وترجم المترجمون هذه الكتب إلى اللغة العربية كما ألفها هؤلاء بلا تعليق أو تمحيص أو رد على اقوالهم فى كثير من المواضع .

ولا ادعى اننى أول من حاول هذه الدراسة عن محمد عاكف فقد عنى به كتاب الأدب عند عرضهم لآثاره كما عنى به المؤرخون حيث ترجموا لأهم أحداث حياته . اما عن الجانب الاعتقادى^(١) فى فكر عاكف وجهوده فى الدعوة الإسلامية فلم أجد من الكتاب من افردته بالدراسة الشاملة القائمة على التمهيص والتحليل العلميين . ولا يعطى انتاجهم صورة صحيحة عن عاكف إلى جانب أنه لا يعفينا من مسئولية تعريف الأمة على الوجه الصحيح بهذا المفكر ، حياى هذا كله رأيت أن اقوم بهذه الدراسة راجيا أن اكمل بها ما سيقنى به الكتاب من دراسات مستقلة للجوانب الأخرى فى شخصيته مع تصحيح بعض ما وقع فى دراسة من سبقنى من أخطاء وهفوات لا يصح أن تبقى دون تنبيه وتقويم . منهجى فى الرسالة :

حاولت جمع المعلومات من المصادر الاصلية القديمة ، لأن المراجع الحديثة فى كثير من الأحيان تسوق المعلومات دون تمحيص . كما حاولت الرد على الأخطاء المشهورة فى هذا الموضوع فى الكتب والمجلات وهذا أدى إلى تضخم الرسالة ولكنى بذلت جهدى لظهار الحق ، وابرار شخصية

(١) انظر فكره الاعتقادى ص : ٤٣٩ - ٤٤١ من هذه الرسالة .

عاكف كما هي في واقعها ، والتعريف بأفكاره وعقيدته دون تأويلات مخالفة للحقيقة . وقد نقلت فكره وآراءه كما هي بلا تحريف . وحينما كنت اجمع المعلومات قرأت بعض كتب المستشرقين فوجدت فيها معلومات عن الموضوع ولكن استاذى فضيلة الشيخ محمد قطب نبهني إلى خطورة النقل عنهم دون تمحيص، ولقد كنت أظن أنهم على شيء من العلم ولكن حينما بدأت الكتابة انتبهت إلى اخطائهم الواضحة ومقاصدهم السيئة التي تكشف عنها دراستهم لذا حاولت حينما انقل عنهم أن أرد على افكارهم التي تظهر فيها الروح الصليبية . وبينت ان عاكفا قد ابرز قضايا المسلمين في عصره وعبر عن طريق الخلاص من الأمراض وركزت على نشاطاته في الدعوة والحركة والعمل وتمسكه بمبادئ الإسلام ودعوتيه إليها . وحاولت ابراز جوانب مجهولة عند أهل اللغة العربية من خفايا الأمور الموجودة في المراجع التركية . ولم أسهب في الموضوعات التي سبقني غيرها في الكتابة فيها مثل الجوانب الأدبية والاساليب الفنية ، إنما آثرت التوسع في الموضوعات الأخرى التي تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة مثل جهوده في مجال الدعوة الإسلامية ، كما أنني حاولت ألا اهمل أي موضوع جانبي يكون في لمسه والتعرض له فائدة لإلقاء الضوء على صلب الموضوع مثل كتابتي عن عصره . واعتمدت في كتابتي على عدد لا بأس به من الكتب التركية وعلى المتيسر من الكتب والمراجع العربية، وهي في جملتها قليلة العدد وقد حاولت جهد طاقتي أن اكتب بطريقة موضوعية .

أما الصعوبات التي واجهتني في البحث: فهي تعقد الأمور الاجتماعية وتشابكها وعدم وجود المراجع العربية في هذا الموضوع والترجمة خصوصا الشعر من اللغة التركية إلى اللغة العربية. وقد ركزت على الجانب الإسلامي والاعتقادي والروحي والجهادي والاجتماعي . والأمر الاجتماعي تكون عادة ذات جوانب متعددة وعوامل واسباب كثيرة وينبغي على الباحث أن يدرس الاحداث من عدة جوانب في الوقت الواحد ، مما يستلزم الرجوع إلى مراجع كثيرة وحينما وجدت نفسي أمام اقوال كثيرة من اقوال المستشرقين واصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة رجعت إلى توجيهات الاسلاميين وآراء الثقات من المفكرين وإلى اقوال محمد عاكف بالذات . لذا

ترجمت الشيء ، الكثير من اللغة التركية حيث إن المراجع العربية لم تسعفني في تغطية هذا الموضوع بالقدر المطلوب . ولعل اصعب الصعوبات كان هو الحصول على المراجع والمصادر الاصلية التي تعينني على معرفة الحقيقة باللغة العربية . كما أن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى أمر غاية في الصعوبة ، يتعذر معه الحفاظ على فصاحة الأصل وبلاغته .

محتويات الرسالة :

هذا وقد جاء الموضوع في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .
أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية الموضوع والممت فيها بالأسباب التي دفعتني للكتابة فيه .

وأما الباب الأول : فعنوانه : **عصر محمد هالك** وقد جعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : " الأحوال السياسية " ويشتمل على ثلاثة مباحث .
المبحث الأول : " في الغزو العسكري للعالم الإسلامي " ، تحدثت فيه عن اسباب ضعف الدولة العثمانية وتحالف القوى الصليبية والصهيونية العالمية وتحركهما ضد العالم الإسلامي ، كما تحدثت عن وقائع شهيرة من الاستعمار الصليبي والصهيوني ، مثل الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والالمانى والروسى والصينى والبلجيكى والبرتغالى والهولندى والاسبانى لأجزاء مختلفة من الوطن الإسلامى .

والمبحث الثانى فى " الآثار السياسية للغزو العسكرى " تحدثت فيه عن تمزيق الدولة العثمانية وتقسيمها ، ودور اليهود فى إزالة الدولة العثمانية وتحقيق أهداف الغزو العسكرى .

والمبحث الثالث فى " فكرة الجامعة الإسلامية " تحدثت فيه عن أول من دعا إليها وبعض أعمال السلطان عبد الحميد الثانى فى هذا المجال وعن اسباب عدم نجاح هذه الفكرة .

والمبحث الثانى فى : " الأحوال الاجتماعية " ويشتمل على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول فى " المجتمع الإسلامى وتقاليدته " . تحدثت فيه عن

عناصر المجتمع الإسلامى فى الدولة العثمانية وبعض مميزات وروابط ومؤسسائهم المجتمع المسلم أيام محمد عاكف ، وعن موقف غير المسلمين من المسلمين ومن دولتهم . والمبحث الثانى فى " البدع والخرافات والانحرافات " . تحدثت فيه عن البدع والخرافات المنتشرة أيام محمد عاكف وعن بعض الانحرافات فى الدولة العثمانية وفى الجمهورية التركية . والمبحث الثالث فى " التعليم وأنواعه ومدى انتشاره " ، تحدثت فيه عن التعليم فى الدولة العثمانية إلى نهاية أيام السلطان عبد الحميد الثانى وقارنت بين أيامه وأيام من بعده كما تحدثت عن محاولات اصلاح المدارس وعن نهاية المدارس الإسلامية وإفساد التعليم بعد انهيار الدولة العثمانية وعن دور المدارس الأجنبية والمربيات الأجنبية فى إفساد التعليم .

والفصل الثالث فى : " الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام " ويشتمل على أربعة مباحث ، المبحث الأول فى " الفكرة الوطنية والقومية " خصصته لبيان نشأة الوطنية والقومية ، مفهومها ومعناها والقومية التركية والطورانية ودعاتها ودور اليهود فى انتشارها والقومية العربية . والمبحث الثانى فى " فكرة الإنسانية والعالمية " تحدثت فيه عن الماسونية ومحاولاتها تحطيم الأديان غير اليهودية ، وفكرة العالمية ونقدها وعلاقة حزب الاتحاد والترقى بدعوة الإنسانية والعالمية ، والمبحث الثالث فى " الإلحاد " بينت فيه تاريخ الإلحاد فى الدولة العثمانية والجمهورية التركية والاحزاب والمنظمات الإلحادية والاساليب الشيوعية فى تركيا وبعض الشيوعيين واعمالهم فيها . والمبحث الرابع فى " التغريب وانتشار الفساد الخلقى " ذكرت فيه تاريخ التغريب وبدايته فى مجال التشريع وفى المجال العسكرى وفى مجال التعليم ووسائل الإعلام والدفاع عن المرأة وحقوقها . وأثر التغريب فى الأدب والفنون والأفكار فى الحياة الاجتماعية والحياة السياسية .

أما الباب الثانى : فعنوانه : " شخصية محمد عاكف وموقفه من التيارات الفكرية فى عصره " وجعلته فى ستة فصول .

الفصل الأول فى : " حياته الشخصية والعلمية " وقسمته إلى

مبحثين :

المبحث الأول فى " حياته الشخصية " ذكرت فيه معلومات عن مولده واسمه وابيه وجده وأمه ونشأته الأولى وتعليمه فى المرحلة الابتدائية و المتوسطة والثانوية والجامعية وعن الكوارث التى ألمت به أيام دراسته وعن زواجه وأولاده ووظائفه وأعماله ورحلاته ومرضه ووفاته . والمبحث الثانى فى " حياته العلمية " تحدث فيه عن شيوخه الذين تأثر بهم وعن أصحابه وتلاميذه الذين تأثروا به وعن ثقافته فى العلوم الإسلامية واللغة والأدب وعن مؤلفاته المنظومة والمنثورة وعن خصائص كتاباته ومميزاتها . كما تحدثت عن مكانته العلمية وثناء العلماء عليه وبعض مآخذهم عليه وعن شخصيته وأخلاقه .

والفصل الثانى فى : " موقف محمد عاكف من الغزو العسكرى " تحدثت فيه عن أيام حرب البلقان والحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال فى تركيا .

والفصل الثالث فى " موقفه من الغزو الفكرى " وخصصته لذكر موقفه من الفكرة القومية والإلحاد والتغريب وانتشار الفساد الخلقى .

والفصل الرابع فى " موقفه من الحضارة الغربية " .

والفصل الخامس فى " موقفه من حركات الإصلاح فى عصره " بينت فيه موقفه من السلطان عبد الحميد الثانى وموقفه من أعمال حزب الاتحاد والترقى ، ومن حركة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده .

والفصل السادس فى " موقفه من الحركات الانفصالية فى عصره " .

أما الباب الثالث : فعنوانه " جهود محمد عاكف فى الدعوة الإسلامية " ويشتمل على ستة فصول وخاتمة .

الفصل الأول فى " مواعظه وإرشاداته ، والفصل الثانى فى تحريريه مجلة " الصراط المستقيم " ثم " سبيل الرشاد " تحدثت فيه عن اسباب واهداف اصدار مجلة " الصراط المستقيم " و مشاركة عاكف فى تحريرها والاثر الذى ترتب على مشاركته واهم موضوعاتها وكتابها ومسدى

انتشارها وموقف الدوله منها .

والفصل الثالث فى " دفاعه عن الإسلام باعماله وآثاره " ، شرحت فيه دفاعه عن العقيدة الصحيحة ومعارضته البدع والخرافات والانحرافات ودفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية كما بينت دفاعه عن الإسلام فى المؤسسات والمنظمات الإسلامية ، وتأليفه نشيد الاستقلال التركى واشادته فيه بالإسلام واساليبه فى الدعوة إلى الإسلام .

والفصل الرابع فى " دفاعه عن الحضارة الإسلامية " .

والفصل الخامس فى " جهوده فى تصحيح المفاهيم الإسلامية " تحدثت فيه عن مفهوم الإيمان والعبادة ، ومفهوم القضاء والقدر والتوكل ومفهوم الدنيا والآخرة . وحاولت إبراز جهوده فى تصحيح المفاهيم الإسلامية بردها إلى صورتها الأولى المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ، وإزالة ماعلق بها من انحراف خلال التاريخ .

والفصل السادس والأخير فى " آراء محمد عاكف فى مستقبل الأمة الإسلامية " تحدثت فيه عن جهوده فى إيقاظ المسلمين وعن محاولاته فى إزالة اليأس وردة على اليائسين ، وعن دعوته إلى أخذ العبرة من الماضى لسلامة المستقبل ، وعن دعوته إلى طريق الخلاص بالعودة إلى الإسلام من جديد ، وينشر الأخوة الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية بمعنى اتحاد مسلمى العالم والدعوة إلى التأسى بالسلف الصالح فى الإخلاص وتصميم القلب وروح الجهاد

الخاتمة : وقد تعرضت فيها لأهم النتائج التى توصلت إليها من

خلال البحث .

شكر وتقدير

الحمد لله الذى هدانى ووفقنى لاتمام هذا البحث وارجوه تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وينفع به المسلمين جميعا، وأتوجه بالشكر والتقدير لأستاذى الفاضل الشيخ محمد قطب - حفظه الله - على اشرافه على هذه الرسالة ومتابعته الدقيقة بالارشاد والتوجيه و الجهد المتواصل الذى بذله خلال فترة الاشراف - إذ اعطانى من وقته الثمين الشئىء الكثير فكان يكلف نفسه عناء القراءة فى البيت زيادة على الوقت المقرر للاشراف مما كان له اكبر الاثر فى الانتهاء من البحث خلال المدة الزمنية المقررة فجزاه الله خيرا وإنى أدعو الله تعالى أن يحفظه ، ويمد فى عمره وينفع بجهوده الداعين إلى سبيل الله . ،

ثم أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة على اتاحتها لى الفرصة لطلب العلم ومتابعة الدراسة و اخص بالشكر معالى مديـــــر الجامعة والقائمين على كلية الشريعة وكلية الدعوة وأصول الدين على ما يقدمونه من جهد كبير ويبدلونه من عناية واهتمام بشئون قسم الدراسات العليا فجزاهما لله خير الجزاء . واشكر كذلك لكل من كان له حق على أو قدم لى مساعدة من اساتذتى وغيرهم من الأخوة والزملاء الأفاضل .

هذا وإنى لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت فى هذه الرسالة فإن كنت قد أصبت فمن الله وحسن توفيقه ، وإن جانبى الصواب فمن عند نفسى واستغفر الله العظيم واستلهمه الرشدا والسداد والرجوع إلى الحق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الأول

عصر محمد عاكف

الفصل الأول: الأحوال السياسية

- ١- الغزو العسكري للعالم الإسلامي
- ٢- الآثار السياسية للغزو العسكري
- ٣- فكرة الجامعة الإسلامية

الفصل الثاني: الأحوال الاجتماعية

- ١- المجتمع الإسلامي ووقائده
- ٢- البدع والمخزافات والانحرافات
- ٣- التعليم

الفصل الثالث: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام

- ١- فكرة الوطنية والقومية
- ٢- فكرة الإنسانية والعالمية
- ٣- الإلحاد
- ٤- التخريب وانتشار الفساد الخلقى

تمهيد :

تتكون الشخصية الإنسانية متأثرة بالبيئة التي تنشأ فيها ، ولا يلزم من هذا التأثير أن يتجاوب الإنسان مع روح العصر الذي يعيش فيه تجاوبا تاما ، بحيث لا يختلف عنه ، بل إن التأثر قد يختلف بالنسبة للأشخاص الموجودين في عصر واحد تبعا للتربية التي يتلقاها الإنسان في المنزل وفي المدرسة ونوع الصحف والمجلات والكتب التي يقرأها ، ونوع الثقافة التي يتلقاها من مصادر أخرى ، وكل أولئك عناصر هامة في تكوين شخصية الإنسان وتعيين اتجاهه الفكري .

فمن الضروري - في رأي كثير من الباحثين - عند دراسة شخصية من الشخصيات أو عالم من العلماء ممن كان لهم أثر بارز في ناحية من نواحي الحياة أن ندرس الظروف والملاسات المحيطة بها والبيئة التي عاش فيها ذلك العالم حتى نقف على العوامل التي أدت إلى تكوين شخصيته . ومحمد عاكف أحد الشخصيات التي كان لها شأن عظيم في تركيا ، فهو من أعلام الفكر والأدب ، ومن أجل ذلك تعرض للنكبات ، وكانت مجابهته لانحرافات عصره واضحة في كل مسلك سلكه .

ولذا ينبغي لنا أن نتكلم عن الأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في الدولة العثمانية وفي تركيا بصفة خاصة ، لأن ما حصل في هذه الفترة من أحوال كان له انعكاس على حياة محمد عاكف وتأثير على خط سيره .

سنعرض في الفصل الأول إن شاء الله من هذا الباب الحالة السياسية في عصر محمد عاكف ، وكان لابد لنا من أن نشير إلى المجتمع العثماني في عصره ، لهذا سنتحدث في الفصل الثاني عن الأحوال الاجتماعية ، لأن أثر الأحوال الاجتماعية لا يقل من أثر الأحوال السياسية في تكوين الشخصيات ، ومن أجل ذلك فقد اهتم عاكف بمسائل مجتمعه ، وكتب مقالاته وألف كتبه ونظم قصائد ، وألقى خطبه ومواعظه حول مشاكل ذلك المجتمع ، ودعا إلى وحدة الكلمة وحاول العمل لتوحيد صفوف المسلمين ، وبين أهمية العقيدة الصحيحة ، ووقف ضد البدع والخرافات والانحرافات والتيارات المعادية للإسلام بكل أشكالها وأنواعها ، لذا تحدثنا في الفصل الثالث والأخير من هذا الباب عن " الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام " .

وكان لابد لنا قبل أن نأخذ في الحديث عن حياة عاكف وفكره وموقفه من التيارات المعادية للإسلام وجهوده في الدعوة الإسلامية ، أن نلم بطرف مما كانت عليه الأحوال الفكرية في البلاد الإسلامية عموما والدولة العثمانية خصوصا في عصره الذي كانت الدولة تحمل اسم الخلافة الإسلامية حتى يكون القارئ على علم بهذه العصر من جهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام .

الفصل الأول : الأحوال السياسية

- ١ - الغزو العسكري للعالم الإسلامي
- أ - أسباب ضعف الدولة العثمانية
- ب - تحالف القوى الصليبية والصهيونية وتحركها ضد العالم الإسلامي
- ج - وقائع من الاستعمار الصليبي والصهيوني

تمهيد :

عاش محمد عاكف ما بين الجزء الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، والجزء الأول من القرن العشرين ، أي بين سنتي (١٨٧٣ م - ١٩٣٦ م) وتعتبر هذه الفترة من حياة هذه الأمة من أخطر وأهم فترات حياتها ، ولهذا العصر أحواله السياسية ، والاجتماعية والثقافية الخاصة ، وسوف نبين فيما يلي على قدر الامكان هذه الأحوال ، مع بيان ما لها من التأثير في حياة محمد عاكف .

الفصل الأول

الأحوال السياسية

عاصر محمد عاكف في نهاية الخلافة العثمانية ستة من خلفائها وهم :
 السلطان عبد العزيز ،^(١) والسلطان مراد الخامس ،^(٢) والسلطان عبد الحميد الثاني ،^(٣) والسلطان محمد رشاد ،^(٤) والسلطان محمد وخيد الدين ،^(٥) والخليفة المنتخب من قبل المجلس الوطني التركي عبد المجيد الثاني ،^(٦) ثم ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ م كما ألغيت السلطنة قبل ذلك .

-
- (١) ولد سنة ١٨٣٠ م وتوفي سنة ١٨٧٦ م ، وحكم بين سنتي (١٨٦١ - ١٨٧٦ م) أنظر تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد : ٥٣٠ - ٥٥٧ .
- (٢) عاش بين سنتي (١٨٤٠ - ١٩٠٤ م) وحكم ثلاثة وتسعين يوماً من سنة ١٨٧٦ م (انظر المرجع السابق : ٥٧٩ - ٥٨٦) وقد اخذ ع بالماسونية وسجل لديها دون اجراء العراسم الماسونية (أيها التركي أعرف عدوك : ٨٨) .
- (٣) تقع حياته بين سنتي (١٨٤٢ - ١٩١٨ م) وحكم من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٩٠٩ م (انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٥٨٧ - ٧٠٨) .
- (٤) عاش بين سنتي (١٨٤٤ - ١٩١٨ م) وحكم من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٨ (المرجع السابق : ٧٠٩ - ٧١٦) .
- (٥) عاش بين سنتي (١٨٦١ - ١٩٣٦ م) واستمرت مدة خلافته من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٢ (المرجع السابق : ٧١٧) .
- (٦) وقد استمرت خلافته من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٢٤ (انظر التاريخ الإسلامي - العهد العثماني ، لمحمد شاكر : ٢٣٣) .

وطرد الخليفة عبد المجيد الثاني من بلاده ، فذهب ليميش في منفاه في مدينة نيس الفرنسية ، وبإلغاء الخلافة قضى مؤسسو الجمهورية التركية على الدولة العثمانية . (١)

وقضى محمد عاكف عدة سنوات من حياته في تركيا بعد تأسيس الجمهورية التركية حتى نهاية سنة ١٩٢٥ م ، وبعد ذلك عاش في مصر مهاجرا حتى سنة ١٩٣٦ ، ومن أهم حوادث هذه الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية ، الغزو العسكري للعالم الإسلامي عامة ، ولعركز الخلافة الإسلامية استانبول خاصة .

١ - الغزو العسكري للعالم الإسلامي

لم تستطع أوروبا الوصول إلى الشرف ، خاصة إلى بيت المقدس بعد الحروب الصليبية وعرفوا ان أمامهم دولة قوية عسكريا واقتصاديا وسياسيا . . . الخ . وتركوا المحاولة عن هذا الطريق لأنهم كانوا لا يقدرون على الوصول إلى أهدافهم بهذه الصورة وجربوا طريقا آخر وهو الالتفاف حول العالم الإسلامي من طريق رأس الرجاء الصالح ، وبدأوا بعد سقوط الأندلس حركاتهم عن هذا الطريق ، والتفوا حول العالم الإسلامي ، وكان هدفهم الوصول إلى بيت المقدس عن هذا الطريق الجديد ، وأخذوا في احتلال البلاد الإسلامية ، واقتطاعها عن الدولة العثمانية وانتج ذلك أضمحلها النهائي ، ولتحقيق أهدافهم اتحد أعداء الإسلام والمسلمين ، فتحالفوا وتآمروا ، واستفادوا من ضعف الدولة العثمانية .

(١) انظر لمزيد من المعلومات في حياة السلاطين المذكورة ثم تاريخ بداية الجمهورية التركية ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ليوسف آصاف ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابى : ١٥٢ - ١٧٤ ، أضواء على تاريخ توران - تركستان - لسيد عبد المؤمن السيد اكرم : ٢٠٠ - ٢٠٥ ، وتاريخ الدولة العثمانية لعلى حسون : ١٦٣ - ٢١٩ ، ألبوم العثمانيين ، لعبد القادر داناغلو : ٨٠ - ٨٦ ، سلاطين العثمانيين لرشاد أكرم قوجا -

أ (أسباب ضعف الدولة العثمانية)

لقد كان شر ما أصيبت به الدولة العثمانية - في فترتها الأخيرة - الضعف في تنظيم الجيوش والصناعات الحربية وذلك رغم احاطة الدول الصليبية بها احاطة كاملة .

يقول أبو الحسن الندوي : " الترك وقفوا وتقدم الزمان ، وتخلفوا وسبقت الأمم الأوروبية ، ولما ضعفت الدولة العلية وسميت بالرجل المريض طمعت فيها الدول الصليبية الاستعمارية واحتلت كل منها جزءاً أو أجزاء من العالم الإسلامي ، وانتهت الخلافة العثمانية وقسمت التركة بين الصليبيين " (١) .

ويشير السلطان عبد الحميد إلى ذلك بقوله : " عندما اعتليت كرسى الحكم كان وضع الدولة سيئاً ، وزادت الحرب الروسية سنة (١٨٧٧ - ١٨٧٨) من تدهور الوضع ، فقد اختلط الحابل بالنابل وتوترت الأعصاب ، ولم يعد أحد يجد مبتغاه ، ففي هذه الأيام وجدت نفسى وحيداً انفض الناس من حولي وانتهت الحرب فزاد الأمر سوءاً ، لقد أصبح من المستحيل انقاذ الأمة من القنوط الذي وقعت فيه ، بذلت ما في وسعى لرفع معنويات رجال الدولة وانعاش الأمة " (٢) ، ويقول في بعض أسباب الضعف : " أن ضعف الدولة العثمانية نابع من اتساع رقعتها ، فاجتماع كثير من الشعوب تحت راية واحدة جعل إدارة هذه الشعوب أمراً صعباً ، يخطئ من يظن أن الاجراءات الشديدة ستوصلنا إلى وضع أحسن ، إن هذا النوع من الاجراءات لن يؤدي بدولتنا إلا إلى الغناء ، وفي اليوم الذي نقوى فيه من الداخل ستجد الدول الأوروبية ان " الرجل المريض " الذي يسخرون منه تعاقبوا وأصبح " الرجل القوي " (٣) ، ولكن لم تتحقق هذه الأمنية لأن أوروبا كانت تسعى إلى اضعاف العالم الإسلامي بكل الوسائل وإلى القضاء على الدولة العثمانية لأنها كانت آخر حاجز في وجه الصليبيين ، بمنع الغزو الأوربي للعالم الإسلامي ، وقد حالت دون احتلال الأرض الإسلامية عدة قرون ، وهي التي طرقت أبواب فينا وقهرت شرق أوروبا حتى أصبح اسم تركي (أي مسلم عند العامة) مصدر رعب يخيفون به أطفالهم ،

(١) ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين : ١٦٣ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكراتى السياسية : ٦٢ - ٦٣ .

(٣) المرجع السابق : ٧٨ - ٧٩ .

وقد أصبحت الدولة العثمانية هدفاً للحملات الصليبية التي تهدف إلى تعزيز
الدولة وكانت منذ أواخر القرن الثامن عشر تمثل الغريسة المطروحة أمام الذئاب
الاستعمارية للتقسيم والنهش والابتلاع ، ^(١) وذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية .

وبعد اخراج المسلمين من الاندلس اتجه الغزو الصليبي - كما أشرنا آنفاً -
إلى شمال أفريقيا ووصل في النهاية إلى بيت المقدس ، فتحقق ما أراد الأعداء
وتم لهم ما خططوا له ، وسقطت الدولة العثمانية المفككة في قبضتهم ، قطعة
تلو أخرى ، ولاية بعد ولاية ، وتوزعوا فيما بينهم بناءً على اتفاقيات ومعاهدات
سرية أبرمت بينهم - في محافلهم ومؤتمراتهم - وقد انطلقت قوى الشر لتحقيق الغرض
القديم ، فاستغلت التدهور الفكري ، والاضطراب السياسي ، والضعف والتمزق
والإنقسام فسيطرت على البلاد الإسلامية ، واخضعتها بالقوة والتآمر العاكر لنسيير
استعمارها ، وإذا كانت هذه القوى الاستعمارية قد احتلت الأرض ، وسلبت الأموال
واستغلت الخيرات وعاشت في البلاد الفساد ، فقد كانت اخطر النتائج التي أعقبت
هذا الغزو الصليبي الجديد تلك التبعية الثقافية - ^(٢) التي سنكتب عنها في الفصل
الثالث من هذا الباب - وتعتبر الحلقة الأخيرة من الغزو الصليبي في القرون
الأخيرة اقسى وأضر حلقاتها بالأمة الإسلامية ، إذ انها تزامنت مع ضعف الدولة
العثمانية ، وتفككها وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها ضد هم . وكان الاستعمار
في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية السابقة ، وكانت دولة الخلافة في تلك الفترة
أيام محمد عاكف ، تمر بمرحلة ضعف أغرت الحاقدين من الصليبيين واليهود باحياء
حلمهم القديم بالقضاء على الإسلام خصوصاً في تركيا ، واتجهوا إلى دراسة بلاد
المسلمين في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطني
القوة فيها فيضعفوها ، وإلى مواطني الضعف فيفتنوها . ^(٣)

وفي مرحلة متأخرة من عهد الدولة العثمانية بدأت مظاهر الضعف تزداد
شيئاً فشيئاً وتطغى على سير الدولة خصوصاً بعد أن اعتلى العرش سلاطين همهم
التفريب ، ومن سوء حظ العالم الإسلامي أجمع ان بداية ضعف المسلمين قد تزامن

(١) انظر القومية والغزو الفكري ، لمحمد جلال كاشك : ١١٥ - ١١٦ .

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية ، لعمر عودة الخطيب : ١٦١ .

(٣) انظر المرجع السابق : ١٩٥ .

مع انفتاح أوروبا على العلم والتقنية ، وهناك مجالات عديدة ظهر فيها الضعف فسى الدولة العثمانية ، وفيما يلي بعض أسباب ضعفها ، ونهذة يسيرة عن أهم مظاهر الضعف والانحطاط التي عاشها العالم الإسلامي في عهد محمد عاكف .

سيطرة القوة العسكرية - الانكشارية :

(١)
الانكشارية هم عماد الجيش العثماني ونتيجة التربية الإسلامية والعسكرية التي ربوا عليها ، كانوا قوة ضخمة ، ولديهم روح معنوية عالية ، لذا فقد احرزوا انتصارات عظيمة ، وأسدوا للدولة خدمات جليلة ، وبعد هذه الانتصارات أعطيت لهم امتيازات ، وقد تمت لقاتتهم الاقطاعات العديدة ، ومالوا عن القتال فبدأت علائم الضعف تظهر على الجيش بعد أن كان مهيبا ، وكان السلطان يخرج على رأس الجيش للقتال ، فلما قوى أمر الانكشارية أصبحوا لا يخرجون للقتال إلا إذا خرج السلطان معهم . ولما كان للانكشارية دور كبير في الحياة العسكرية فقد كانوا يتدخلون في تقديم بعض أولاد السلطان على بعض . وكان على السلطان الجديد أن يرضى قادة الانكشارية على الأقل يوم تنصيبه ، فيعطيهم مبالغ من المال أو يقدم لهم امتيازات جديدة ، فيرضى هذا وقد لا يرضى غيره ، وتقع الخلافات وتضعف الدولة ، والغيت الانكشارية من قبل السلطان محمود الثاني فسقط (٢) ١٨٢٦/٦/١٥ ، وخطب فيهم الصدر الأعظم سليم محمد باشا مظهرا ما وصلت إليه حالة الانكشارية من الضعف والانحطاط وعدم الانقياد لرؤسائها حتى صارت من اكبر دواعي تأخر الدولة بازااء تقدم الدول الأوروبية المستمر ، بعد أن كانت هذه الفئة من أكبر عوامل تقدم الدولة وامتداد فتوحاتها... (٣) وقد انتهى أمر فيالق الانكشارية في واقعة القضاء عليها .

الامتيازات الأجنبية :

أراد السلطان سليمان القانوني أن يحطم اتفاق الدول الصليبية عليه ، ويفكك وحدتهم ، فأعطى من اتفق معه امتيازات خاصة ، وقد م لهم صلاحيات لم تكن موجودة من قبل ولم يحلموا بها ابدا ، وعقد اتفاقية مع دولة البندقية وفرنسا ،

(١) الانكشارية : من فرق الجيش العثماني وكانت تشكل في بدايتها من الاسرى حيث كانوا يأخذون صفارا وينشونهم على الولاء للسلطان العثماني (انظر : تاريخ سلاطين آل عثمان وليوسف اصف ص : ٤٨)

(٢) انظر : التاريخ الاسلامي العهد العثماني : ١١٢

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٤٢٩

وظن أن هذه الاتفاقات مؤقتة وما دامت القوة بيده فإنه يستطيع أن يلغيها ففى الوقت الذى يريد بل يحطم هذه الدول صاحبة الاتفاقات متى شاء، ويجبرها على أن تسلك كما يرغب. ولم يعلم أن هذه الاتفاقيات قد تصبح ملزمة لمن بعده ، وإذا كان هو قادرا على تغييرها والغاءها فإن غيره قد لا يكون قادرا على ذلك ، وهذا ما حدث بالفعل فاصبحت طوقا فى اعناق الخلفاء فيما بعد يقودهم إلى الهاوية . (١)

الخلافات الداخلية وخلع السلاطين :

ظهرت الخلافات بين منسوى أسرة بنى عثمان وضعفت الروابط بين أفرادها أى بين الأب والأبناء ، والأخ وإخوته ، وحاول بعضهم الوصول إلى السلطة بطرق غير مشروعة ، اما ظاهرة خلع السلاطين ، فقد استمرت حتى القرن العشرين حيث سقطت الدولة ، فمن بين السلاطين الستة الأواخر الذين جلسوا على عرش الدولة تم عزل خمسة منهم ، (٢) وكان عزلهم يتم نتيجة معارضة داخلية أو ضغوط خارجية تشلت فى هيئات وجمعيات من اخلاط شتى مارست نشاطها فى أقاليم بعيدة عن عاصمة الدولة أو فى بعض الدول الأوروبية .

تسلط الحریم :

ومن أسباب ضعف الدولة العثمانية تسلط الحریم على السلاطين . وقد كان النفوذ الأكبر فى فترة من الفترات لنساء من الحریم السلطاني وغيرهن مثل بنات السلاطين وسبب ذلك اتصالهن الوثيق والدائم بالسلطان من ناحية ، وتسلطهن على كبار رجال الدولة وخاصة الذين يتولون منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وقد كن مصدر معظم المساءى التى تعرضت لها الدولة اثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر ، (٣) ثم توارى نفوذهن رويدا رويدا وعمل السلاطين على أن تأخذ هؤلاء النساء حجمهن الطبيعي وأن يجردهن من النفوذ وينعهوهن من التدخل فى شئون الدولة ، (٤) أما الزواج من الأجنبيةات ، فكان بعض السلاطين يتزوجون

(١) انظر التاريخ الإسلامى العهد العثمانى : ١١٤ - ١١٥ .

(٢) انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها ١ / ٦٨٩ .

انظرا اسما ٤ الذين عزلوا ص : ٢ من هذه الرسالة .

(٣) المرجع السابق ١٤ / ٦٨٥ .

(٤) المرجع السابق : ١ / ٦٨٩ .

بالمفتيات من النصارى أو اليهود ، غير أن هؤلاء النسوة قد يبقين على عقيدتهن السابقة ، لذلك يعملن لصالح أبناء دينهن ، وكذلك تعرض كل واحدة على تولية ابنها السلطة ليكون لها نفوذ كبير فتفوزها غالباً ما يكون لمصلحة أبناء دينها ، وخلاف ابنها مع اخوته غير الأشقاء يكون لمصلحة أعداء العثمانيين .^(١)

الاسراف والترف :

وقد انصرف بعض الخلفاء وكبار رجال الدولة إلى اللهو وإنفاق الاموال على بناء القصور ،^(٢) وبنى بعض الخلفاء في القصر احياناً وسمح للضباط بقيادة الجيوش وأصبح الخليفة بعيداً عن مهمات الجهاد ، وأصبح الحاكم الفعلى هو الصدر الأعظم ووجد عند الفراغ فانصرف إلى اللهو ومع قلة قيام الخليفة بمسئوليته ضعفت الدولة وبدأ كبار رجالها يقلدون السلاطين في اسرافهم وترفهم وازدادت ديون الدولة .

سعة رقعة الدولة :

اتسعت الدولة العثمانية كثيراً نتيجة الفتوحات وهذا الاتساع يحتاج إلى خليفة قوى الشخصية ، ولا يمكن أن يتعاقب بالوراثة خلفاء أقياء ، وهذا ما يشجع أصحاب النفوذ الطامعين في السلطة والمصالح في أن يثيروا الفوضى أو يعمشوا بالأمن ،^(٣) وهذا يؤدي بدوره إلى الضعف .

التمرد والحركات والثورات :

بدأت الدول الأوروبية تتدخل في شؤون الدولة عن طريق رعاياها من غير المسلمين ، وكانوا يحرضونهم على التمرد ، وقام هؤلاء الرعايا بتأسيس جمعيات سرية تدعو إلى الخروج على سلطان الدولة كانوا يريدون تحقيق منافع لهم أو تأسيس إمارات ودول على انقاض الدولة الضعيفة أو اقتطاع اجزاء منها ، وقد ساعدتهم اتساع رقعة الدولة وصعوبة السيطرة على اجزائها لبعدها الشقة ، ولأسباب أخرى مع حماية الدول الأوروبية لهم وعند ما زاد ضعف الدولة تجرأ غير المسلمين ، وبدأوا يعطون على تأسيس المنظمات الثورية وانتشرت بينهم فكرة القومية والوطنية .

(١) التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى ، محمود شاكر : ١١٨ .

(٢) المرجع السابق : ١١٦ - ١١٧ ، سلاطين العثمانيين : ٣٩٦ .

(٣) انظر التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى : ١١٩ .

النزعة الصليبية :

كانت أوروبا وعلى رأسها البابا تذكى الحماس الصليبي ضد العثمانيين ، كى تقف الدول كافة في وجه العثمانيين ، ومع ان الدول الأوروبية لها مصالح تتضارب بعضها مع بعض وتنشأ بينها خلافات وحروب إلا أنها تلتقى معاً ضد العثمانيين والواقع ان السلطان سليمان قدم الكثير مما كان سببا رئيسا في ضعف الدولة العثمانية ، وأسرع بها نحو حتفها إلا أنه لم يستفد كثيرا من هذه الامتيازات التي قدمها لتلك الدول ، لأن النزعة الصليبية كانت هي المحركة لهم ، وإذ كاد الروح الصليبية لا يثير الدول الأوروبية فقط ، وإنما يثير النصارى الذين يعيشون في رعاية الدولة العثمانية أيضا ، فكانوا يقومون بالحركات ضدها بدعم من الغرب ، ^(١) وهذا ما أدى إلى التمرد واشعال الثورات وبالتالي إلى إضعاف الدولة .

اهمال التقدم العلمى :

لقد انصرف العثمانيون إلى ميادين القتال ، وبقيت الاساليب العلمية على طريقته الأولى ، لم ينلها شئ من التطور وكانت أوروبا في البداية أقل منهم حظا في هذه الناحية ، غير أن انطلاقة أوروبا نحو الخارج ، جعلت دول أوروبا تحصل على شئ من الثراء فبدأت تتطور في حياتها المادية ، وحاولت تلمس طريق العلم ، ففي الوقت الذي بدأت فيه أوروبا تتطور وتتقدم في المجال العلمى ، بقيت الدولة العثمانية محافظة على ما كانت عليه قديما ، ولم تواكب التطور العلمى فنجم عن ذلك التخلف في جميع جوانب الحياة ومع مرور الأيام برز التطور الأوروبى واصبح واضحا ، كما عدا التخلف العثمانى جليا فظهرت الهزيمة النفسية والفكرية لدى العثمانيين ، وبرزت فكرة تقليد أوروبا والسير على خطاها ، إن كان ينظر إلى أوروبا على أنها هي الأعلى ^(٢) .

اطلاق اسم "رجل أوروبا المريض" أو " المريض المشرف على الموت " على الدولة العثمانية :

من حملات التشهير بالدولة اطلاق عدة أسماء أو صفات على السلطان العثمانى ، فهو " المريض الذى لا يرجى شفاؤه " و " المريض المشرف على الموت "

(١) المرجع السابق : ١٢٠ - ١٢٢ بتصرف .

(٢) انظر التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى : ١٢١ .

و "رجل أوربا المريض" ، وقد أطلقت هذه الأسماء أول ما أطلقت ، في المجال السياسي المفلق وعلى أعلى المستويات ، ولكن لم تمض سنوات ذوات عدد حستى أذيعت في الخمسينات في القرن التاسع عشر هذه الأسماء وما أحاط بها من ملاحظات .

وقد كان الهدف هو النيل من الدولة والإعداد الفكرى السبق لىدى الشعوب الأوربية بأن سقوط الدولة العثمانية أمر وشيك ، وأن نهايتها السريعة آتية لا ريب فيها . كانت عبارة "رجل أوربا المريض" وامثالها قد صدرت أولا عن نيقولا الأول قيصر روسيا (١٨٢٥ - ١٨٥٥) سنة ١٨٤٤ ، ثم أعاد القيصر عبارته المذكورة وعبارات أخرى على شاكلتها عام ١٨٥٣ : إن سلطان الدولة العثمانية رجل مريض للغاية ، وقد يلفظ انفاسه الأخيرة فجأة ، وأن من الخير للسلام العالمى أن تفكر الدول مليا في توزيع ممتلكاته قبل وفاته ، وأعرب عن رأيه في امكان تسوية الأمور بين بريطانيا وروسيا دون حاجة إلى قيام أى حرب ، كانت الصليبية تنظر إلى الدولة العثمانية نظرتها إلى مريض على فراش الموت يجب البحث في تقسيم تركته .

كثرة المؤامرات :

هذه الفترة من التاريخ مليئة بالمؤامرات ضد الخلفاء ، ومن أسباب ضعف الدولة هذه المؤامرات من الداخل والخارج ضدها ، يقول بروكلمان ^(٢) فى تفصيل ذلك : "إن مدحت باشا ^(٣) بعث في الأشهر الأولى من سنة ١٨٢٦ مذكرة مغلقة إلى الدول الأجنبية أعلن فيها أن خلع السلطان عبد العزيز بات أمرا يحتمه الشرع الإسلامى ، وفى مساء ١٨٢٦/٥/٣٠ انطلق المتآمرون إلى قصر "طولمه باغجه" حيث فاجئوا السلطان وتلوا عليه فتوى بخلعه صادرة عن شيخ الإسلام ، وان جميع القناصل كان عندهم علم بما حصل قبل وقوعه وأنه ربما كان ذلك باتفاقهم ،

(١) الدولة العثمانية ، دولة إسلامية ، مفترى عليها ١٨٣٠/٢ - ١٨٣١ .

(٢) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية : ٥٨٣ - ٥٨٤ .

(٣) عاش بين سنتى (١٨٢٢ - ١٨٨٥) عين واليا عام ١٨٦٠ على مدينة نيش

ثم على الطونة عام ١٨٦٤ ، وعاد إلى استانبول ليشغل منصب رئيس مجلس شورى الدولة لمدة عام واحد ، نقل بعدها إلى بغداد واليا عظام

١٨٦٩ وعين صدرا أعظم عام ١٨٢٢ ، كان من كبار الماسونيين ، انظر ==



أما كيفية وفاة هذا السلطان ، فأغلب الظن ، ان الذين تأمروا على خلعهم ارتكبوا هذا الأمر الفظيع فقتلوه خيفة أن يسعى في الرجوع إلى منصة الحكم ،^(١) وتم أمر العبايعة للسلطان مراد الخامس في ١٨٢٦/٥/٣١ ، وبعد ثلاثة وتسعين يوماً من العبايعة أفتى شيخ الإسلام بوجوب عزله ،^(٢) وحاول السلطان عبد الحميد الذي تولى بعده بايقاع الدول الأوروبية بعضها في بعض ، ولكن انتهى الأمر بأعدائه الداخلين إلى خلعهم بموجب فتوى من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين اقتدى ، فاسقط السلطان عبد الحميد من الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية فـسـى ١٩٠٩/٤/١٤ ، ونصب ولي العهد محمد رشاد خليفة وسلطاناً باسم السلطان محمد خان الخامس ،^(٣) ومات قبل استسلام دولته إلى الحلفاء بشهر ، وكان السلطان يتوقع حدوث هذه المأساة ، لأن البلاد كانت مشرقة على الانهيار من كل جانب ، وكانت ولاية العهد بعده للأمير يوسف عز الدين ولكنه مات سنة ١٩١٦ م ، وقيل آنذاك إنه مات مسموماً ، قتله الاتحاديون ، لأنه لم يكن يرى رأيهم ولا يوافقهم على سياستهم ، وبعد وفاته صارت ولاية العهد إلى الأمير وحيد الدين فخلف اخاه محمد رشاد على العرش باسم محمد السادس ، ولم تمض على خلافته بضعة شهور حتى استسلمت الدولة العثمانية واستولت جيوش الأعداء على كل البلاد ، ولم يسلم من ايديهم وتعدياتهم إلا وسط الأناضول وشرق تركيا ، لأن روسيا كانت قد انسحبت من الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن فرضت عليها الشيوعية. ولذا فإنها لم تستطع أن تحرك ساكناً لتستولي على شرق الأناضول. ولولا ذلك لما بقي بلد من بلاد الدولة لم يدخل في حوزة أعدائها ، وأراد السلطان وحيد الدين أن ينقذ البلاد فاستعان بمصطفى كمال وعهد إليه بانقاذ البلاد ، ولكنه وضع ثقته في غير موضعها ، ورأى أن الأمور تسير على غير ما كان يرجوه فتنازل عن العرش سنة ١٩٢٢ واعتزل الحياة السياسية ، فأعقل عرش الخلافة عبد المجيد بن عبد العزيز سنة ١٩٢٢ وجرى من السلطنة ، أي عين فقط بصفته خليفة ، ولم يعين بصفته سلطاناً ،

== يا ابن التركي تعرف على عدوك : ١١٢ ، حركة الجامعة الإسلامية : ٣٥
السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره ، لأرخان محمد علي :
١٠٩ .

- (١) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٥٧٦ .
- (٢) سلاطين آل عثمان لرشاد اكرم : ٤١٨ - ٤١٩ .
- (٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٧٠٩ - ٧١٠ .

ومع ذلك فقد تم عزله وترحيله مع أفراد أسرته في ظروف قاسية سنة ١٩٢٤ بعد الغاء الخلافة ، وأصبح مصطفى كمال^(١) سيد الموقف حتى سنة ١٩٣٨ - كما سنرى تفصيل ذلك في الفصول القادمة .

ونشير هنا إلى سياسة السلطان عبد الحميد ضد المؤامرات : كان عليه أن يكافح في جبهتين الداخلية والخارجية ، كانت الجبهة الخارجية تتألف من جميع دول أوروبا المسيحية ، وكانت الداخلية تتألف من العناصر القومية التي عمل الغرب على تحريضها على الثورات ، ولم يكن أحد يشعر بالحرَج في عهده أو يشتكى الظلم إلا الذين يشتغلون بالتآمر على الدولة . يقول بروكلمان : وقد تلقى المتآمرون الذين دعوا أنفسهم " جمعية الاتحاد والترقي " مساعدة مالية من " الدونمة " وهم يهود سلانيك الداخلون في الإسلام ،^(٢) والذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية في تلك المدينة .^(٣) بل في كثير من مدن الدولة العثمانية وأوروبا . ويتفق معه (فشر) : بقوله عن الاتحاديين : كان كثير من أعضائهم محامين واطباء وبعضهم يهود ،^(٤) ولا مجال هنا لتفصيل جميع المؤامرات الداخلية والخارجية التي كانت تسعى لضعاف الدولة العثمانية .

الخيانات :

ومن أسباب ضعف الدولة العثمانية خيانة الوزراء والمسؤولين فإن كثيرا من الأجانب المسيحيين كانوا يتظاهرون بالإسلام ويدخلون في خدمة السلطان ويرتقون حتى يصلوا إلى أعلى المراتب ، ثم تظهر خيانتهم ولو بعد فترة ، وربما يخون الصدر الأعظم الدولة إن وصل إلى هذا المنصب عدد منهم غرباء عن البلاد وأهلها أو لم يكونوا مسلمين ، فآظموا الإسلام ، وبذلوا الطاعة ، وقد موا الخدمات فوصلوا إلى ما وصلوا إليه ، وعند ما حكموا نفذوا ما خططوا له ، وخانوا الدولة ،^(٥) ومن أكبر الخيانات خيانة الماسونيين .

(١) انظر لتفصيل أعماله : النطق ، أي خطاباته وهي مكونة من ثلاث مجلدات

انظر أيضا : تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٧١٧ - ٧١٨ .

(٢) تظاهرا وليس حقيقة .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية : ٥٩٨ - ٥٩٩ .

(٤) تاريخ أوروبا في العصر الحديث : ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٥) التاريخ الإسلامي : العهد العثماني ١٢٣ .

الضعف السياسى والإدارى :

وقد ارتكب الاتحاديون كثيرا من الأخطاء الإدارية حيث زالت الدولة إيمان حكمهم ، وكانوا ثوريين لا خبرة لهم ولا حكمة ، وقرر الغرب إزالة الدولة العثمانية واقتسامها ، وفى نفس الوقت سار الاتحاديون على منهج العاطفة القومية ومحاسنة الشبان وراء الطورانية وعمدوا إلى القوة والبطش فضاعوا واضاعوا البلاد .^(١)

يقول جواد رفعت اتلخان : نظمت اليهودية العالمية " جمعية الاتحاد والترقى " لتعزيق الدولة العثمانية وتأسيس دولة إسرائيل على الأرض المقدسة وهى " فلسطين " فإن خيانات ومؤامرات الاتحاد والترقى معروفة لتحقيق هذا الهدف ، فلم تكن ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨ نتيجة أسباب محلية تدعو إليها بل قامت بأمر من اليهودية العالمية .^(٢) ودفع أحد أصحاب رؤس الاموال اليهود ملايين الدنانير الذهبية لتحقيقها .^(٣) ويقول السلطان عبد الحميد الثانى : منذ أربعين عاما وأنا انتظر أن تشترك الدول الكبرى مع بعضها البعض ، كنت أرى أن سعادة الدولة العثمانية مرتبطة بهذا الاشتباك ، وجاء ذلك اليوم الذى كنت انتظره ، ولكن هيهات فقد ابعدونى عن العرش ، وابتعد الذين حكموا البلاد بعدى عن العقل والتبصر ، الفرصة العظيمة ولت وافلتت من يد الدولة إلى الأبد ،^(٤) وقد قبض الاتحاديون على زمام الدولة ، وحاولوا مصالحة الشعوب المسيحية الخاضعة لهم ، وزادت الاضطرابات ويصور هربت فشر سياستهم قائلا : فى أقل من عامين حققنا حكومة هؤلاء الوطنيين الأتراك الصارمين معجزة لم يكن فى مقدور الساسة أن يتكهنوا بإمكان حدوثها ، وهى أن يبرأ البلقان فجأة من عداواته ويوحد أهله المسيحيين سنة ١٩١٢ فى عصبة حربية واحدة ضد الأتراك .^(٥) وكان بعض الإداريين مخدوعين مع الاتحاديين وأصبح ذلك من الأسباب التى أدت إلى ضعف الدولة العثمانية ثم انهيارها .

(١) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٧٢٨ .

(٢) اسرار حادثة ملان : ١٥ .

(٣) المرجع السابق : ٢٣ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب : ٢٢ .

(٥) تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ٤٥٠ .

الضعف العالى :

كان من أسباب ضعف الدولة العثمانية عموماً الضعف العالى ، وقد نشأ الضعف العالى من أن الصليبيين اتجهوا إلى الشرق ليستولوا على أرضه وخيراته وينقلوها إلى بلادهم فيحرموا منها البلاد الإسلامية .

وتم لهم بالفعل ما أرادوا وتأثرت اقتصاديات العالم الإسلامى تأثراً بالغاً بما حدث ، وفرضت الدول الغازية رقابتها على مالية البلاد الإسلامية ففرضت بريطانيا رقابتها على المالية المصرية وعلى القيادة العليا للجيش المصرى ، وفرضت (١) مثل ذلك فى البلاد الأخرى . وكان الجزائريون تحت الاحتلال الفرنسى يقومون بالأعمال المجهددة ويتقاضون عنها أجوراً أدنى من أجور الأوربيين مما جعلهم يعيشون فى مستوى أدنى من نظرائهم الفرنسيين ، وكانت العناصر المسيحية واليهود صناعاً ورجال أعمال ، وكانوا أكثر تقدماً من الوجهة الاقتصادية من المسلمين .

أما مركز الخلافة فقد وجد السلطان عبد العزيز نفسه منذ تولية العرش فى ضيق مالى ، فقد خلف أسلافه وراهم ديناً كبيراً ، ومن أجل ذلك اتجه الباب العالى إلى طلب قرض من بريطانيا ، وارتضى السلطان تعيين الممثلين الماليين الأوربيين ، فانشئ فى استانبول ديوان للمحاسبة ، وبنك للدولة ، ولكن الديون استمرت فى أيامه بسبب شراء السفن الحربية ومدافع "كروب" وبنادق مارتن لأنه كان ينوى الحرب ضد روسيا ، قال له الصدر الأعظم فؤاد باشا : ياسيدى أنت وارث السلطنة ولكنك وارث لدولة غارقة فى الديون ، أما أيام السلطان عبد الحميد : فقد كانت ديون الدولة قد بلغت من قبله مبلغ كبير جداً ، ولكنه لم يأخذ ديناً ولو قرشاً واحداً ، بل سدد ديون الدولة من جيبه الخاص ، وكان من أسباب الضعف العالى فى الدولة الامتيازات التى كانت تمنح للأجانب ، وعملت الدولة أيام الاتحاديين على تسوية مشاكلها ، ومن تلك التسويات ، تسوية النزاع على خطوط المواصلات الحديدية فى أراضيها بالتفاهم على توزيع امتيازها بين الدول الأوروبية

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية : ٥٩٢ .

(٢) تاريخ العرب الحديث : ٥٠٩ .

(٣) السلطان العظيم عبد الحميد خان : ٦٤٣ .

(وهي إنجلترا ، وألمانيا ، فرنسا) بنوع من التراضى معها ^(١) . وكان السلطان عبد الحميد يتجنب جميع أنواع الاسراف ، ولكن الضعف المالي كان موجودا قبيلا وصوله إلى السلطة ، وأستمر الضعف في أيامه في بعض المجالات المالية مثل تأخير دفع رواتب الموظفين وأسس السلطان إدارة الديون العمومية لغرض التخلص من الديون ^(٢) . ومن ناحية أخرى كان المسلمون الذين في شغور المملكة يهاجرون في اثناء الحرب إلى استانبول بعيالهم وهم ألوف مؤلفة ، ولا يسعهم غير العساجد ، كما حصل أيام حرب البلقان وكانت الحكومة آنئذ باحتياج لمؤنة جيوشها عاجزة عن اعاشة هؤلاء المهاجرين القادمين بغتة وليس بأيديهم شيء يسد أرقامهم ^(٣) .

الضعف العسكري وعدم التوازن بين الدولة العثمانية وأوروبا في القوة العسكرية :

كانت الدولة العثمانية في وقت من الاوقات هي الدولة الأولى في العالم واستمرت كذلك مدة أربعة قرون أي حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي إلى أن ظهر الانقلاب الصناعي في أوروبا بشكل بارز ومؤثر في قوى الدول ، ووقف المسلمون أمامه حيارى ، فتغير ميزان القوى في العالم فبدأت الدولة العثمانية تنزل عن مرتبة الدولة الأولى في العالم رويدا رويدا ، إلى أن أصبحت مطمع الطامعين ، فأخذت تجلو عن البلاد التي فتحتها ، والبلاد التي كانت خاضعة لسلطانها ^(٤) .

صور السلطان عبد الحميد أحوال عصره بقوله : " اننا نقف بمفردنا في العالم لنا أعداء ، وليس لنا صديق ، يمكن للصليب أن يتحد في كل وقت ، لكن الهلال دائما بمفرد ، كل ينتظر النفع من الدولة العثمانية ، ويظهر لنا الصداقة ، ولكن في الوقت الذي لا يجد فيه ما يأمل ، سرعان ما يعاديبها ، ووضعت بالتالي سياستي على هذا الأساس : التوجه للعدو وسلاح العدو ^(٥) ، ومن أجل ذلك صرف السلطان همته إلى تدريب جيشه تدريبا جديدا على ايدي خبراء من الألمان ^(٦) .

- (١) تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر : ٤٤٤ - ٤٤٥ .
- (٢) سلاطين العثمانيين ، لرشاد اكرم : ٤٢٧ .
- (٣) انظر حاضر العالم الاسلامي : ٢٣٦ / ١ - ٢٣٧ .
- (٤) كيف هدمت الخلافة : ٨ - ٩ .
- (٥) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب : ٦٤ .
- (٦) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية : ٥٨٩ .

ونتيجة للضعف العسكرى ، تـعـرـد شعب اليوسنة والهرسك على الدولة وهزموا الجيش العثماني وحاصروه فى الجبل الأسود ، وخرجت عن طاعة الدولة كثير من الولايات منها بلاد الصرب تحت قيادة قره جورج راعى الخنازير ونادت باستقلالها ، وكذلك اعلنت ألبانيا استقلالها وتـكـن محمد على الألبانى من السيطرة على مصر ،^(١) وبدأ عصر الانحطاط والتراجع بعد الضعف الكبير الذى آلت إليه الدولة ، وبعد النهضة التى تمت فى الدول الأوربية ، وبعد اتفاق الدول النصرانية كلها رغم اختلافها بعضها مع بعض على الدولة العثمانية والتفاهم على حربها وتقسيمها ، تحركها فى ذلك الروح الصليبية ، وقد عرف هذا الاتفاق ضد الدولة العثمانية باسم " المسألة الشرقية " ،^(٢) يقول السلطان عبد الحميد فى الحرب الروسية : " وقد اظهرت هذه الحرب جهل قادتنا وخيانة كثير من كبار موظفينا وأدت هزيمتنا فى الحرب وضياع قسم من أراضينا إلى انحطاط روحى ، ولكن رغم كل شئ ليس للعثمانيين أن يصل بهم الاستسلام إلى هذا الحد " ،^(٣) أما طريق الخلاص فى رأى كبار رجال الدولة فقد كان نقل العاصمة من استانبول إلى المناطق الوسطى ، لذا اقترح الصدر الأعظم سعيد باشا نقل مقر الخلافة وعاصمة الدولة إلى مدينة بورصة حين وصلت جيوش الروس إلى مشارف استانبول ورفض ذلك السلطان عبد الحميد .^(٤)

وامتازت هذه الفترة ببعض السمات الرئيسية لعل من أهمها : التحالف النصراني وظهور الحقد الصليبي ، إلى جانب المنافسة بين الدول الصليبية على تقسيم الدولة العثمانية ، وازاد التأثير اليهودى سواء أكان من يهود الدولة ومنهم المتسلمين أم اليهود الأصليين .

ب - تحالف القوى الصليبية والصهيونية وتحركها ضد العالم الإسلامى

لاشك فى أن دافع الغزو العسكرى للعالم الإسلامى دافع صليبي وصهيونى ولاشك فى تحالف الاستعمار مع الصهيونية والتشهير والاستشراق وكل مذهب وفلسفة ،

(١) تاريخ أوروبا فى العهد الحديث : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) التاريخ الإسلامى العهد العثمانى : ١٤٩ .

(٣) السلطان عبد الحميد الثانى ، مذكراتى السياسية : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ٣٩ .

وكل جهاز ومؤسسة من أجل أن يصل إلى هدفه الاسمي وهو الاستيلاء على العالم الإسلامي استيلاءً سياسياً وحضارياً إن لم يتيسر الاستيلاء العسكري .^(١)

وقد بدأت محاولات الفزوة الصليبي الحديث في الحقيقة منذ بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بعد طرد المسلمين من الأندلس، فحين سقطت آخر دولة إسلامية في الأندلس - وهي دولة غرناطة - عام ١٤٩٢ م ، بعد معارك وحشية طويلة ، بارك البابا الانتصار الصليبي ، وشجع الصليبيين على متابعة المسلمين لطردهم من بقية بلاد الإسلام .^(٢) ولم تستطع الصليبية الوصول إلى بيت المقدس من طريق الشرق ، لأن الدولة العثمانية لم تكن واقفة لهم بالمرصاد فحسب ، بل كانت بكل حيويتها العارمة تتوغل في شرق أوروبا بقوة كاسحة وعجزت الصليبية عن اختراق الحاجز العثماني في الشرق ، بل لم تفكر مجرد تفكير في اقتحامه ، فاتجهت إلى الالتفاف حول العالم الإسلامي من جهة الغرب وخاصة بعد اكتشافها لطريق رأس الرجاء الصالح . ومجموعة من العوامل المتفاعلة في داخل أوروبا دفعتها أخيراً إلى ارتياد البحار المجهولة ، وكان من أقوى هذه العوامل الدافع الصليبي الذي عملت البابوية على تشجيعه ، متحلاً في متابعة المسلمين بعد طردهم من الأندلس ، للاستيلاء على بلادهم واخضاعها لحكمهم إن لم يكن طردهم منها كما طردهم من الأندلس . ومتحلاً كذلك في محاولة انتزاع السيطرة التجارية العالمية منهم وحيازتها في أيديهم لضعاف المسلمين من جهة ، والتقوى على حريتهم من جهة أخرى . وحين أتم فاسكو داجاما رحلته قال قولته الشهيرة المفصحة عن الهدف الحقيقي للرحلة : الآن طوقنا رقبة الإسلام ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق ويموت ، رحلة صليبية واضحة الأهداف .^(٣) وقد كان مثلها كل الرحلات التي قام بها الصليبيون في العالم الإسلامي تحت اسم الرحلات العلمية أو الاستكشافية .

وقد تضافرت القوى اليهودية والصليبية للقضاء على الخلافة العثمانية ، وأخيراً احتلوا كل الأرض الإسلامية تقريباً ما عدا أجزاء قليلة منها ، وأخضعوا المسلمين

(١) الفزوة الفكرية والتيارات المعادية للإسلام : ١٤٢ .

(٢) انظر واقعنا المعاصر : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) انظر المرجع السابق : ١٨٨ ، ١٨٩ .

في مناطق احتلالهم للحكم الغربي جهرة - في أماكن - أو بوساطة حكام مسلمين المسلمين المستغربين يقومون بالحكم ظاهرا - في أماكن كثيرة - ومن ورائهم يحكم الغربيون وهكذا تحققت آمالهم في هذا المجال ، وقد ظلت الصليبية والصهيونية تكيِّدان للإسلام وبلاد المسلمين فترة طويلة ، وخصوصا في آخر الخلافة العثمانية أيام محمد عاكف ، حين تفرق المسلمون ، وضعفوا عن التقدم العلمي ، وانتهز هؤلاء الأعداء الفرصة السانحة وانقضوا عليها لتزيقها ، أما قول القائل : إنما هو استثمار اقتصادي هدفه البحث عن الموارد والخامات ولعلاقة له بالدين ، فتلك في مجملها ، أكذوبة لا نصيب لها من الواقع ،^(١) لأن الواقع خلاف قولهم ، ولأن الاستثمار نتيجة للحقد اليهودي والصليبي ومع وجود اطماع اقتصادية للغزوة في الشرق عموما وفي البلاد الإسلامية خصوصا ، كان الهدف صليبيا واضحا ، ولقد كان الدافع الصليبي موجودا دائما مع الغزو العسكري الأوربي لبلاد المسلمين ، ولكنه ازداد في القرن الأخير ، وتكاثرت القوى الصليبية الاستعمارية في النهاية على العالم الإسلامي ، فوَقَّعت قوى الصليبية والصهيونية بكل إمكاناتها ، تحسب الاستثمار في البلاد الإسلامية ، وتقتل المسلمين الذين يدافعون عن بلادهم ، وكان ثقل الاستثمار على مركز الخلافة - استانبول - ومركز الثقافة والعلم - القاهرة - أكثر .^(٢) وقد سئل ملك المجر : لو استوليت على بلاد الإسلام فماذا تفعل فيها ؟ فقال : سأحولها إلى الكاثوليكية وسيجد السلطان العثماني كنيسة مع كل مسجد في بلادهم ،^(٣) وفيما يلي نذكر بعض الوقائع من الاستثمار الصليبي والصهيوني للعالم الإسلامي عموما وأراضي الخلافة العثمانية خصوصا .

(١) انظر واقعنا المعاصر : ١٩١ .

(٢) دراسات إسلامية : ١٧١ .

(٣) تاريخ فكرة حاكمية العالم عند الأتراك : ٥١١/٢ .

ج (وقائع من الاستعمار الصليبي والصهيوني :

اصبحت أراضي العالم الإسلامي في القرون الأخيرة موزعة بين الدول الصليبية ومزقتها الأعداء إلى مستعمرات بعد أن كانت دولة واحدة متماسكة تحت حكم الدولة العثمانية منذ قيامها إلى أن دب الضعف في تلك الدولة وسقطت بعد أن حفظت البلاد الإسلامية بضعة قرون من هجمات الأعداء. أما وقائع الاستعمار فهي كما يلي :

الاستعمار البريطاني : الاحتلال البريطاني لبلاد الهند سنة ١٧٥٦ ، والبنغال سنة ١٧٥٧ ، ولجزيرة قبرص سنة ١٨٧٨ ومصر سنة ١٨٨٢ والسودان سنة ١٨٩٩. أما إعلان الحماية البريطانية على المناطق الواقعة على طول شواطئ نهر النيجر فكان سنة ١٨٨٩ (١). وفي الجزيرة العربية : عُمان ١٨٨٨ ، الكويت ١٩١٤ ، البحرين ١٨٨٠ ، الامارات العربية المتحدة ١٨٩٢ ، قطر ١٩١٣ ، اليمن - عدن (٢) : ١٨٢٦ ، العراق ١٩١٧ ، المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٢٠ ، إيران ١٩٠٧ . الاستعمار الفرنسي : في عام ١٧٩٨ احتل نابليون مصر ثم بلاد الشام واستولت فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ والصومال ١٨٨٢ والكونغو ١٨٧٦ ، والصحراء وموريتانيا ١٩٠٠ ، وجزيرة مدغشقر ١٨٩٥ (٣) ، والمغرب ١٩١٢ ، وسوريا ولبنان ١٩٢٠ ، وكمبوديا ١٨٦٢ ، وكوشن صيني ١٨٦٧ وأثام (فيتنام) ١٨٨٢ . الاستعمار الإيطالي : استولت في عام ١٨٨٢ على عصب الواقعة على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ، واريتريا ١٨٩٠ والحبشة ١٩٣٦ وطرابلس وبرقة - الليبية - ١٩١١ . الاستعمار الألماني : أعلنت ألمانيا في عام ١٨٨٤ الحماية على كل جنوبي غرب افريقية ، واحتلت خليج وميناء كياو - شو عام ١٨٩٧ ، واستولت على عدد من الجزر في المحيط . الاستعمار الروسي : احتل الروس قازان عام ١٥٥٢ ، وشبه جزيرة القرم ١٧٨٣ ثم كركيزيا والتركستان ١٧٥٠ ، وآسيا الوسطى والقوقاز وبلاد أفغان ١٩٠٧ ، ووسط الأناضول ١٩١٦ (٤) . الاستعمار الصيني : الاحتلال الصيني لبلاد التركستان الشرقية ١٨٧٦ وتم لهم الاحتلال في سنة ١٨٨١ . الاستعمار البلجيكي : الكونغو

(١) انظر التبشير والاستعمار في نيجريا لخضر مصطفى : ٣٧ ، الدولة العثمانية

دولة إسلامية مفترى عليها : ١٠٣٦/٢ - ١٠٣٩ .

(٢) ألف د . محمد عبد اللطيف البحراوى كتابا في هذا الموضوع عنوانه : فتح العثمانيين عدن .

(٣) تاريخ العرب الحديث : ٤١٥ .

(٤) تاريخ الإسلام بخطوطه لعريضة : ٣٣٤ ، افغانستان والغزوالشيوعي ١٨-١٩

١٨٢٨ . الاستعمار البرتغالي : غينيا ١٨٨٥ ، الاستعمار الهولندي : اندونيسيا
١٨٢٤ ، الاستعمار الأسباني : أنشأت اسبانيا فى عام ١٨٨٥ مستعمرة ريودورو
على الساحل الافريقى المطل على المحيط الاطلنطى وكان لها غينيا الأسبانية
واقسمت فرنسا مراكش مع أسبانيا (١) .

وهكذا فقد تمكن الاستعمار الغربى الصليبي والاستعمار الشيوعى من
السيطرة على المسلمين فى آسيا وافريقية كما تمكن من مد نفوذه إلى مركز الخلافة
استانبول ، وبذلك الاستعمار طوق العالم الإسلامى من الشرق والغرب والجنوب
والشمال . ومزق الأعداء المسلمين وبلادهم وعرف المسلمون أن الاستعمار بلاء واقع
يجب كفاحه ، وحاربوه، وعرفوا أيضا أن كل البلاد الإسلامية مستغلة لحساب الاستعمار
وحاولوا تحطيم قواعد الاستعمار ونظروا إليه نظرهم إلى المنكر الذى يتحتم إزالته
ويتحتم كفاحه تحقيقا لعزة الإسلام وصيانة الكرامة المسلمين وابتغاء لمرضاة الله (٢) .
ولكن الخيانة كانت عاملا رئيسيا من عوامل الهزيمة فى معارك المقاومة وهزم المجاهدون
فى جبهات القتال بالخيانة . ولولا الخيانة لما استطاع الاستعمار أن يوطد نفوذه
وأن يثبت اقدمه فى بلاد المسلمين . وكان للغزو العسكرى آثاره السياسية والاجتماعية
والفكرية

(١) انظر تفصيل وقائع الاستعمار . التاريخ الإسلامى لابراهيم الشريفى : ٢٤٢
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ٢ / ٨٥٥ - ١٠٥ ، الإسلام
والثقافة العربية لأنور الجفدى : ٢٠ ، الإسلام وحركات التحرير العربية :
١٢٠ ، الأعلام للزركلى : ٧ / ٥ ، الغارة على العالم الإسلامى : ٤٠ ،
المسلمون فى الاتحاد السوفياتى لمحمد صفوت السقا : ٥٦ ، حقائق عن
التركيستان المسلمة لمحمد امين الإسلامى : ١٣ ، المسلمون فى الاتحاد
السوفيتى تعريب : احسان حقى : ١ / ٣٦٨ ، مجلة صوت تركستان الشرقية
العدد : ٣ سبتمبر ١٩٨٤ ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار
السفرى : ٢٩ .

(٢) انظر دراسات إسلامية : ١٧١

٢ - الآثار السياسية للغزو العسكري :

أ - تمزيق الدولة العثمانية وتقسيمها

ب - دور اليهود في إزالة الدولة العثمانية

ج - تحقيق أهداف الغزو العسكري

تمهيد :

من نتائج الغزو العسكري ان القوى الصليبية واليهودية حققت أهدافها في الاستيلاء على بيت المقدس ، وقسمت الدولة العثمانية . وأسست دويلات ضعيفة بكل معاني الضعف ، في السياسة والاقتصاد ، والنواحى العسكرية والإدارية ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة . ووقعت جميع الأقطار العربية فى قبضة الأعداء ولم يعد للدولة العثمانية أى نفوذ فيها . وانهارت هيئتها فى أواخر الحرب العالمية الأولى التى انتهت بانتصار الحلفاء .

وكان للاستعمار الأثر الأكبر فى الدمار والتخريب والفساد والانحطاط الذى أصاب العالم الإسلامى . وقد ازداد الجهل والفقر والتأخر أيام الاستعمار . وكانت هذه المرحلة من الغزو الصليبي ايشع غزو تعرض له العالم الإسلامى عبر التاريخ ويصعب على الإنسان وصف الصدمة التى نتجت عن زوال دولة الخلافة والاحاطة بالآثار والخسائر التى لحقتها بالمسلمين . ولم تكن أوربا هذه المرة مجرد قوة عسكرية فقط وإنما جاءت ومعها حضارتها وهكذا مهدت طريقها بغزو فكرى واجتماعى كما سنبينه فى الفصل القادم من هذا الباب . وسوف نوضح أنهم سلبوا موارد البلاد ولحق المفكرون أسوأ المصائر ، كالتفنى والتشريد من بلادهم إلى أماكن بعيدة .

وكانت السياسة الصليبية فى مستعمراتها واحدة ، وهى تمزيق البلاد إلى إمارات وأقاليم وتعميق الخلافات والقاء بذور الفتنة بين المسلمين وإثارة الخصومات وعوامل التفرقة العنصرية وتشجيع الأقليات اليهودية والمسيحية . مثل الروم والأرمن فى تركيا . ودعمها ومساندتها ومنحها الامتيازات الأجنبية والمراكز المهمة فى كثير من المجالات . وحرصت الدول الصليبية فى مستعمراتها أن تجعل فى كل بلد من تلك البلاد مشاكل . -كمشاكل الحدود بين تركيا وجيرانها القائمة حتى الآن - وعملت على ايجاد الأنظمة المختلفة فى البلاد المتجاورة وتمزقت وحدة المسلمين سياسياً وفكرياً " وإن عملية استعمار العالم الإسلامى من جهات متعددة كافية لإيجاد عوازل مابين اقطاره لأن كل قطر صبغته الدولة المستعمرة على طريقته الخاصة

وأوجدت فيه ماتريده (١) . . . ونشرت المذاهب المعادية للإسلام ، والفلسفات المادية التي تقوم أساسا على أسس غير دينية ، وصار الولاة لهذه الأفكار لا للدين . وبالرغم من قوة الضغط العسكري الصليبي فإن حركات المقاومة والدعوة إلى الاستقلال كانت شديدة في كثير من البلاد الإسلامية وقدمت من الاموال والارواح الشبيبة الكثير فسي سبيل طرد الكفار ، فقد حرصت البلاد الإسلامية تقريبا على نيل استقلالها وطرد الغزاة المحتلين من أراضيها . " وقد تحقق ذلك في معظم ديار المسلمين غير أنهم اعتبروا ذلك غاية الغايات في التحرير والاستقلال " (٢) ولم يتحقق الاستقلال بالفعل كما ينبغي بل " إنه يعد بحق مرحلة جديدة من مراحل الاحتلال والسيطرة والتوجيه ولكن من الخارج البعيد وليس من الداخل " (٣) فهذا هو الواقع المشهود . لأنهم استردوا حريتهم المزيفة . في الظاهر ونفى الشكليات فقط ، وفي حقيقة الأمر أخذ الاستعمار شكلا آخر واستعمل اساليبه الجديدة .

والسبب في وقوع ذلك كله ضعف دولة الخلافة ، في كل مجال من مجالات الحياة ، مع وجود اسباب أخرى مثل قوة أعدائها وخيانة بعض رعييتها وانتشار القوميات والحركات الانفصالية عن الدولة . وتذكر الآن السبب المباشر وهو ما قام به الأعداء لتعزيق الدولة العثمانية وتقسيمها :

أ - تعزيق الدولة العثمانية وتقسيمها :

كانت المشاعر الصليبية الحاكمة على الدولة العثمانية موجودة منذ وصول العثمانيين إلى البلقان ، ولكن الصليبيين لم يستطيعوا أن يتحركوا ضد هــا إلا حين أحسوا منها بوادع الضعف . يقول في ذلك السلطان عبد الحميد : كـل الدول الأوروبية الكبرى وجدت مصلحتها في تقسيم الدولة العثمانية وتفتيتها ، والمشاهد أن هذه الدول الكبرى تنهش في بعضها البعض ، لكنها سرعان ما تتفق وتتآلف إذا ما تعلق الأمر بمقاتلة العثمانيين . . . (٤) وكان الأمل يحدوه فيقول : آمل أن يتحد جميع العثمانيين ولو في آخر لحظة للعمل على بقاء دولتهم والسير على هدى دستورهم المقدس (القرآن الكريم) مؤمنين به منتظمين لأوامره وإلا فالمصير الأسود ينتظرنا حيث تتأهب الدول النصرانية لتعزيق اشلائنا وتقاسم الممالك

(١) انظر تفصيل الموضوع ، عند الله ثقافة واخلاقا : سعيد حوى : ١٤٠ .

(٢ ، ٣) انظر الوثنية الحديثة ، ليوسف الأحمـد : ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب : ٥٧ - ٥٨ .

العثمانية فيما بينها .^(١) وقد حاول الغرب اضعاف الدولة العثمانية بالتدخل فسي شئونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها ، وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم .^(٢) وزالت دولة الخلافة الإسلامية من الوجود واصبح المسلمون مستعمرين لهؤلاء الأعداء الذين ظنوهم اصدقاء ، والعالم المسيحي يقيم الأفراح في كل مكان احتفاءً بهذا النصر ، والعالم الإسلامي في مأتم صامت .

وقد تربص الأعداء للدولة من كل جانب ، وانسلخت البلاد عنها . وكانت البرامج موضوعة لسلب اجزائها . يقول السلطان عبد الحميد في بيان ذلك : في عهدي كانت حدودنا ممتدة من اشقودرة إلى خليج البصرة ومن البحر الأسود إلى صحارى افريقيا إنى لم اخلف حريقاً ، وإنما تركت منطقة هائلة تضم أكثر من ثلاثين مليون نسمة وجيشاً قويا وقد مضى على هذا عشر سنوات ، فهل استطاعوا عمل ثلث ما علمته ؟ . دعك من الثلث ، فلنقل : العشر ، فهل استطاعوه . ؟ .^(٣) وأوضح مشاهدته بقوله : رأيت أثناء مؤتمر الدول الكبرى الذى عقد في استانبول نوايا هذه الدول ، وهى ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين ، بل تأمين استقلالهم الذاتى . ثم العمل على استقلالهم التام . وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية . كانوا يعملون فى سبيل هذا الهدف على صورتين . الأولى : إثارة الأهالى المسيحيين وتعكير صفو الجو ، وبهذا تتصدى لحمايتهم . والثانية : القول بالمشروطية لاجداث الفرقة بيننا انفسنا . واستطاعوا أن يجدوا من بيننا انصارا يستخدمونهم فى كلا الغايتين .^(٤) ويعترف شاتلية بهذه الحقائق بقوله : قد يظهر لإخواننا المسلمين أننا نتصرف فى مستقبلهم بحرية وبلا تكليف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الإسلامى اصبح هدفاً لفلطات فتیان جمعية الاتحاد والترقى الذين ورثوا عبد الحميد واستعانوا بوسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لانقاذ السلطنة العثمانية والخلافة الإسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات إسلامية متحدة وكل وسيلة غير هذه كانت تؤدى إلى تضيعة لا بد منها وهى تقسيم المملكة .^(٥)

(١) السلطان عبد الحميد الثانى مذكراتى السياسية : ١٠٧ .

(٢) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : ٢٢ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد : ٦٥ - ٦٦ .

(٥) الغارة على العالم الإسلامى : ١٠ .

وقد اتفق الأعداء على تمزيق الدولة العثمانية وركز عليها الاستعمار الصليبي باعتبارها القوة المسيطرة في العالم الإسلامي وبسبب كونها مركز الخلافة الإسلامية ومركز فكرة الجامعة الإسلامية . وركز رجال الاستعمار واليهود هجماتهم على الدولة العثمانية ليفصلوا بينها وبين العرب . وسددت اليهودية ضربتها على هذه الدولة . وأول ما استهدفت شخصية السلطان عبد الحميد ، الذي وقف في وجه المؤامرة الصهيونية .^(١) وقد سقط السلطان وتساقت الولايات الأوربية والعربية واحدة إثر أخرى . وسقطت دولة الخلافة في نهاية الأمر . وكان للاتفاقيات والمعاهدات المعقودة بين الدول اثر في تحقيق فكرة تقسيم الدولة العثمانية . خاصة اتفاقية سايكس بيكو السرية التي نصت على توزيع مناطق النفوذ بين إنكلترا وفرنسا . وفي شهر مايو / ١٩١٦ نشرت خريطة الشرق الإسلامي على مائدة كبيرة وقام مستر سايكس^(٢) ومسيو بيكو^(٣) وفي أيديهما أقلام ملونة . واخذوا يحددون بها الحدود التي سوف تمثل مدى نفوذ كل طرف من الطرفين اللذين يمثلانها . وفي ٩ / ٥ / ١٩١٦ كان سفير فرنسا في لندن يحمل خطاب حكومته إلى لندن سعيدا بما تم من تقسيم وقال : أمرت أن ابلفكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو ، ورضيت بالعباءة التي دارت عليها المفاوضات بينهما . وكشف النقاب عن هذه المعاهدة حيث نشرت الوثائق التي عشروا عليها في خزائن القيصرا بان الحرب العالمية الأولى . وهذه بعض المواد الواردة فيها :

المادة الأولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دولة عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين . أ- داخلية سوريا ، ب : داخلية العراق . والمبنتين في الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا في المنطقة (أ) وإنكلترا في منطقة (ب) حق الولاية في المشروعات والقروض المحلية وتنفر فرنسا في منطقة (أ) وإنكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية .،

(١) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام . لمحمد محمود رضوان :

١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى واحمد

رجال الاستخبارات البريطانية . وكان ممثلا لبريطانيا .

(٣) قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي . انظر تاريخ العرب

الحدِيث : ١٣٢ - ١٣٣ .

المادة الثالثة : تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمرات (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلى شريف مكة .

المادة الرابعة : تنال إنجلترا ما يأتي : ١ - ميناء حيفا وعكا . ٢ - يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات مع دول أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

المادة التاسعة : من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجرى مفاوضة في أى وقت كان للتنازل عن حقوقها . ولا تعطى مالها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتحديد حدود الدولة أو حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدأ ما ذكر أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح للدول العربية .

وان بريطانيا وفرنسا - وغيرهما من الدول الصليبية الاستعمارية - حافظوا على روح الاتفاقية . وأصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية التي جزئت ليتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية بريطانيا . كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن . وعند ما اندلعت الحرب العالمية الأولى دخلتها تركيا في صف ألمانيا . وفي نفس الوقت آزر العرب بريطانيا وفرنسا . وكانت هزيمة ألمانيا هزيمة لتركيا ونهاية للدولة العثمانية وتقسيمها لمناطق نفوذها . فلم يلبث العالم العربي كله أن سقط تحت النفوذ البريطاني والفرنسي ماعدا ليبيا التي احتلتها إيطاليا وجزءا من المغرب الأقصى احتلته أسبانيا وبقيت الحجاز ونجد غير محتلة . وهكذا اوقت مرحلة الغزو الغربي للعالم الإسلامي على أعلى درجة من درجات السيطرة . ولم يكن صدور " وعد بلفور " يجعل فلسطين وطننا لليهود إلا خاتمة هذه الخطبة الخطيرة .

وقد كان الغزو الاستعماري الغربي مستمدا منذ أكثر من قرن حتى اخذ صورته الكاملة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ باجراء التقسيم للعالم الإسلامي عن طريق الاحتلال والانتداب والمعاهدات العسكرية وتوزيع النفوذ في

مناطقه المختلفة . وقد واجه العالم الإسلام المعركة بكفاح ونضال بالغ الاصرار والعزيمة .^(١) ثم ظهر سراق الثورة وحولوها إلى ثورة معادية للإسلام والمسلمين . أما تركيا فقد فقدت الحرب واملت عليها معاهدات للصلح قاسية ، وكان ما اصاب الدولة العثمانية اقسى وأنكى مما اصاب أية دولة أخرى . فلم يكتف الحلفاء بسلب الولايات التركية عنها ، بل قضوا بتمزيق بلاد الأناضول . وهى الوطن التركى الصميم فقسّموه بمقتضى اتفاق " سفير " إلى أقسام خمسة : جزء فى شمال سوريا خاضع للنفوذ الفرنسى وآخر حول ازمير روى فيه أن يصبح ميدانا لنفوذ اليونان ، ومنطقة ضيقة حول مضائق البسفور والدردينيل تكون ذات نظام دولى ، والقسم الرابع ويشتمل على الجزء الاعظم من الأناضول الغربية والجنوبية، وقد جعل ميدانا للنفوذ الإيطالى . ويبقى بعد ذلك الربع الشمالى المتاخم للبحر الأسود ، اريد به أن يترك للدولة التركية الجديدة . وكان لإيطاليا فى هذا التقسيم نصيب الأسد ، لأنها نالت فوق هذا بعض الجزر وأخيرا مهد لسقوط الدولة العثمانية بهدنة موندروس الموقعة فى ٣٠ / ١٢ / ١٩١٨ عندئذ غادر زعماء تركيا الفتاة البلاد . كذلك كانت نهاية الدولة العثمانية وتمزيقها وتقسيمها ولقبوا بالمؤمنين بلا شىء^(٢)

(١) انظر الإسلام والثقافة العربية : ٢١ - ٢٢ .

(٢) انظر تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ٣٦٨ .

(ب) دور اليهود فى إزالة الدولة العثمانية :

حينما دخلت الأراضى المقدسة فى حكم الأتراك العثمانيين ظلت دول أوروبا بعيدة عن منطقة الشرق الأدنى خشية القوة العثمانية . ولكن بعد أن بدأت عوامل الضعف تدب فى كيان العثمانيين اخذت أوروبا تتطلع مرة أخرى إلى املاك الدولة العثمانية وبصفة خاصة المشرق العربى (١) .

ويتساءل السلطان عبد الحميد قائلاً : هل تستحق الدولة العثمانية هذه الحملات . وقد آوت النصارى الهاربين من جحيم الصراع المذهبى فى الغرب خلال القرون الوسطى . ألم تكن الدولة العثمانية هى الملجأ الوحيد لليهود الناجين من بطش محاكم التفتيش فى أسبانيا . ألم تبذل جمعية الهلال الأحمر العثمانى كل جهد ممكن لإيجاد المأوى والملبس لمن طرد من وطنه فى سبيل معتقده (٢) ومما هو جدير بالذكر أنه لما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ عاود اليهود اطماعهم فى سيناء (٣) ، وكان تيودر هرتزل ، الزعيم الصهيونى - قد اطلق على سيناء اسماء معبرا هو فلسطين المصرية ليتخذ منها فى قابل الأيام نقطة وثوب إلى فلسطين الآسيوية . ورأى أن يبدأ انصاره الصهيونيون استيطان منطقة العريش شمالى سيناء . ودخل فى مفاوضات سنة ١٨٩٨ مع بعض اعضاء الوزارة البريطانية من أجل توطين اليهود فى سيناء على اساس اقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتى فى نطاق الامبراطورية البريطانية . واعترض السلطان عبد الحميد على هذا المشروع . وارسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة عام ١٩٠٣ إلى هرتزل قررت فيها انه يتعذر عليها أن تضى فى بحث مشروع توطين اليهود فى سيناء ثم اردفت هذه المذكرة بمذكرة أخرى قالت فيها انها قررت بصفة نهائية ترك مشروع سيناء ووضعها على الرف (٤) .

أما هجرة اليهود إلى فلسطين : فقد طلبت بعض الشخصيات اليهودية واعضاء حركة محبى صهيون من القنصل العثمانى العام فى أودسيا (روسيا) منح هؤلاء اليهود تصريحات لدخول فلسطين والاستقرار فيها وتلقى القنصل

- (١) الحملة الصليبية الخامسة ، لمحمود سعيد عمران : ٤٣٧-٤٣٨ .
- (٢) السلطان عبد الحميد الثانى مذكراتى السياسية : ١١٦-١١٧ .
- (٣) ان اليهود كانوا يبيغون الهجرة إلى هذا الاقليم واستيطانه على اساس انه يضم الوادى المقدس طوى الذى كلم الله فيه موسى تكليما ومن ثم اصدر السلطان سليم الأول فرمان الذى سد الطريق فى وجوه اليهود (انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ٢ / ٩٦٦) .
- (٤) انظر المرجع السابق : ٢ / ٩٧٠-٩٧٣ مع تصرف .

العثماني رداً من حكومته عام ١٨٨٢ علق نسخة منه خارج دار القنصلية جاء فيه: ان الحكومة العثمانية تبليغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين انه من غير المسموح لهم الاستقرار فيها (١) . وعلى الرغم من الموقف الواضح والمعلن ابهر بعض اليهود المتحمسين والمتجمعين في استانبول إلى يافا فـ في ١٨٨٢/٦/٢٩ وإزاء هذا التصرف ابرق الباب العالي في ذات اليوم إلى حاكم القدس يأمره بالألا يسمح لأى يهودى قادم من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن يهبط أرض فلسطين كما اتخذ اجراءات لمنع ذاتها في حيفا وبسـبيروت واللاذقية وغيرها ، وارسل مذكرة رسمية في ١٨٨٣/١/٢١ إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية في استانبول بنص قرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان اليهود في فلسطين . وأمام ضغط الدول الأوروبية اصدر الباب العالي سنة ١٨٨٤ تعليمات جديدة بالاذن لليهود في دخول فلسطين من أجل زيارة الأماكن المقدسة بشرط ألا تطول اقامتهم عن ثلاثين يوماً . وظلت العواصم الأوروبية المتعاطفة مع اليهود تضغط على الباب العالي ضغطا لا هوادة فيه للتخفيف من ذلك الشرط الزمنى لاقامة اليهود في فلسطين وراى الباب العالي سنة ١٨٨٧ اطالة المدة المسموح بها لزوار اليهود إلى ثلاثة شهور بدلا من شهر واحد (٢) . وقرر السلطان عبد الحميد ادخال تغيير جذرى على الوضع الإدارى لبيت المقدس فجعلها سنة ١٨٨٧ " متصرفية" خاصة تتبع الباب العالي رأساً (٣) ، ثم اصدر في ١٨٩٢/١٢/٣٠ ، قانونا يحرم بيع أراضى الحكومة إلى اليهود بكافة جنسياتهم حتى ولو كانوا رعايا عثمانيين (٤)

أما المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ ، فعاصرت الدولة العثمانية مولده ثم نشأة الحركة الصهيونية . وقد فكرت الدول الاستعمارية فى الاستفادة من ضعف الدولة العثمانية فاجتمعت فى ريفالد على ساحل بحر البلطيق ، وقد استهدف هذا الاجتماع - الذى تسربت انبأؤه فيما بعد - تمزيق الدولة العثمانية كان اجتماعا سياسيا ضم ملك بريطانيا ادوارد السابع وابن خالته ملك روسيا نيقولا الثانى ، وامبراطور ألمانيا كايزر ويلهلم وامبراطور النمسا والمجر فرانسوا جوزين وملك إيطاليا فيكتور عمانوئيل . ولم يمض وقت طويل حتى عقد مؤتمر الصهيونية العالمية فى ١٨٩٧/٨/٢٩ فى مدينة بال بسويسرا (٥) ، واتخذ

-
- (١) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ١٩٧٤-٩٧٥ .
(٢) المرجع السابق : ١٩٧٦-٩٧٧ (٣) المرجع السابق : ١٩٧٨-٩٧٩ .
(٤) المرجع السابق : ١٩٨٠/٢ .
(٥) اسرار الانقلاب العثماني : ١٤-١٥ .

المؤتمرة قرارات هامة يطلق عليها برنامج بال ، ويتضمن إنشاء دولة يهودية في فلسطين تجمع شتات اليهود من انحاء العالم وتقرر في البداية أن يكون هذا الوطن في الأرجنتين أو اوغندا ، إلا ان هرتزل اصر على أن يكون هذا الوطن في فلسطين . وعرض فكرته على التصويت فكانت الأكثرية لصالحه ، ثم اتخذ القرار الثاني : ضرورة انجاح هذه القضية ولو اقتضت صرف الملايين واعطيت الصلاحيحة المطلقة لهرتزل ، ومن الناحية المالية ، ربح بارون هيرس أحد أغنياء اليهود ثروة طائلة من الخطوط الحديدية العثمانية عام ١٩٠٥ ثم توفي بعد أن اوصى بمئتين وخمسين مليوناً من الفرنكات لصرفها في سبيل تأمين وطن لليهود العالم . وفي هذه الفترة كان يهود روسيا يتعرضون للظلم فيها جرون إلى تركيا حتى تمكن بعضهم من الوصول إلى فلسطين (١) . وفي عام ١٩٠٣ حاولت بريطانيا التراجع عن مشروع الدولة اليهودية ، فعرضت أن تكون مستعمرة يوغندا (كينيا الآن) مركزاً لليهود لكن المؤتمرون رفضوا أن تكون يوغندا بديلاً لفلسطين (٢) . وتطورت اطماع اليهود فيبعد أن كانوا يتطلعون إلى الإقامة في فلسطين والاستقرار تحت الحكم العثماني فغزت اطماعهم إلى الاستيلاء على فلسطين واقامة دولة عنصرية فيها ، ووجد هرتزل نفسه يترجم قولا وعملا حركة سياسية عنصرية هي الحركة الصهيونية واستت جمعيات صهيونية جديدة (٣) . ورأى السلطان أن يقابله في قصره وعرض ، هرتزل على السلطان مشروعاً صهيونياً خطيراً ، وكان السلطان ادهى من أن يستجيب له ، وتبين لهرتزل في نهاية الأمر انه في جهوده مع السلطان يسير في طريق مسدود . وبعد أن استقبله السلطان ثلاث مرات رفض أن يقابله بعد ذلك (٤) . وكان على السلطان أن يواجه منذ مؤتمربال الأول حتى عزله ، المؤامرات والمنظمات الصهيونية ، وقد اتخذ هرتزل من المال وسيلة لاغراء السلطان للإذن بانشاء الدولة اليهودية المرتجاة في فلسطين . وكان هرتزل قد عهد إلى أحد عملائه واسمه نفلنسكي بأن يعرض على السلطان رشوة بمبلغ مليوني جنيه مقابل الحصول على فلسطين . فاراد السلطان أن يحسم الموقف بصفة قطعية فادلى إلى هذا الوسيط بتصريح قال فيه : " انصحوا هرتزل بالآيتخذ خطوات جدية فسي هذا الموضوع اني لا استطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي لقدناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه

(١) اسرار الانقلاب العثماني : ١٦ (٢) تاريخ العرب الحديث : ١٨٨ .

(٣) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ١٩٨٦ / ٢

(٤) المرجع السابق : ٩٨٩ / ٢ - ٩٩٠

فليحتفظ اليهود بملايينهم . وإذا مزقت دولتى يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا من . اما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدنى لأهون على من أن ارى فلسطين قد بترت من دولتى . وهذا أمر لا يكون . إنسى لا يستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة . وفى ٣ / ٣ / ١٩٠٢ تقدم هرتزل إلى السلطان بمذكرة طلب فيها أن يأذن له فى إنشاء جامعة عبرية فى بيت المقدس ، ورفض السلطان المشروع الصهيونى جملة وتفصيلا (١)

ولكن اليهود لم يقطعوا الأمل ، فعادوا يلتمسون السماح لوفدهم بمقابلة السلطان فلما تمت المقابلة عرض هرتزل على السلطان رشوة مالية ضخمة تحت ستار تقديم العون للدولة العثمانية مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين . تقدم هرتزل إلى السلطان بالرشوة قائلا : مولانا صاحب الشوكية جلالة السلطان ، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم اسمى آيات التهجيل والرجاء عبيدكم المخلصون اليهود يقبلون التراب الذى تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة . ولقاءً اوامرهم العالية الجلييلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية" ، وبعد أن استمع إلى هذا العرض بكل هدوء ، قيل : إنه أمر مرافقه أن يطردهم من القصر واصر على الفور أمرا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين (٢) . ويقال : إنه ماكاد هرتزل ينهى كلامه ، حتى كان السلطان يقذف فى وجه هرتزل ورفيقه - ايمانويل قره صو (زعيم الاقلييات اليهودية التركية) والحاخام ليفى موشيه (حاخام اليهود فيها) - كلمات غاضبة : " لو كنت اعلم انك جئت اليوم تطلب منى مارفضت اجابتك إليه من قبل لما سمحت لك بالدخول على ، واعلم يا هرتزل ان فلسطين جزء من أرض الإسلام وأرض الإسلام لا تباع بالذهب والدراهم . ولقد حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء اجدادنا . ولن نفرط بشبر منها قبل أن نبذل كل دمائنا دفاعا عنها . وخرج هرتزل ورفيقاه يجران اذيال الخبيبة وافرج هرتزل كل مافى قلبه من حقد ضد السلطان وضد الدولة العثمانية فى تقرير سرى رفعه إلى لجنة الاعمال الصهيونية عن نتيجة مقابلته للسلطان . واقتطف هذه العبارات من تقرير هرتزل : " . . اقرر على ضوء حديثى مع السلطان عبد الحميد الثانى أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية ، إما عن طريق الزج بها فى حروب تهزم فيها ، أو عن طريق الزج بها فى مشكلات دولية أو بالطريقين معا فى آن واحد (٣) ، ويقول السلطان : لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن

(١) الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها : ٢ / ٩٩٤ ، ٩٩٥ .

(٢) اسرار الانقلاب العثمانى : ١٦ - ١٧ .

(٣) انظر جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الاتراك لزياد أبوغنيمة : ٤٤ - ٤٥ .

يقنعنى بأفكاره...، إنه يسعى لتأمين أرض لاخوانه اليهود لكنه ينسى أن الذكاء ليس كافيا لحل جميع المشاكل، فإنى أعادى أمانهم واطماعهم فى فلسطين (١) .

واقطف هذه العبارات من رسالة السلطان عبد الحميد إلى شيخه فى الصوفية (الطريقة الشاذلية) : "أعرض لرشادتك وإلى أمثالك اصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة التاريخ : أننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أننى - بسبب المضايقة من رؤوسا" جمعوية الاتحاد المعروفة باسم " جون تورك " وتهديدهم - أضطرت وأجبرت على ترك الخلافة، إن هؤلاء الاتحاديين قد اصروا واصرروا علىّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة " فلسطين " ورغم إصرارهم فلن أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبيا . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا. وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى : إنكم لو دفعتم لى الدنيا ذهبيا - فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبيا - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية مايزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى واجدادى من السلاطين والخلافاء العثمانيين . لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعى أيضا" . وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وابلغونى أنهم سيعدوننى إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى واحمده أننى لم أقبل بأن أطح الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة : فلسطين .، وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فاننى أكرر الحمد والشا" على الله المتعال . واعتقد أن ماعرضته كاف فى هذا الموضوع الهام . وبه اختتم رسالتى هذه" (٢) . ومع ذلك، حاول اليهود بماكان لهم من نفوذ فى جمعية الاتحاد والترقى، والتأثر على رجال " تركيا الفتاة" الذين كانوا على استعداد للنظر فى المقترحات اليهودية . وتوفى هرتزل فى ٣ / ٧ / ١٩٠٤ قبل أن يتحقق حلمه . وبوفاته دخلت الحركة الصهيونية مرحلة جديدة مع انجلترا وعند نشوب الحرب العالمية الأولى اتصل اليهود بتركيا وألمانيا وظهر التأيد البريطانى عندما ترأس لويد جورج الوزارة وتولى آرثر جيمس بلفور وزارة الخارجية^(٣).

(١) السلطان عبد الحميد الثانى مذكراتى السياسية : ٣٤-٣٥ .

(٢) المرجع السابق : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) تاريخ العرب الحديث : ١٩١-١٩٢ .

وبدأ التخطيط لهذا المشروع ، وكان بلفور قد ادلى بصفته وزيرا للخارجية بتصريح خطير في مجلس العموم البريطاني بجماعة ١٩١٧/١١/١٩ جاء فيه: " ترجو حكومة حضرة صاحب الجلالة أن يكون إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين من بين نتائج الحرب الحالية (أى الحرب العالمية الأولى) واعلنت بريطانيا عزمها على إنشاء وطن قومي لليهود فيها في خطاب ارسله بلفور في ١٩١٧/١١/٢ إلى اللورد روتشيلد - كبير يهود بريطانيا ، ورئيس الجمعية اليهودية في لندن - وبريطانيا في معركة حاسمة على ابواب غزة ، وفيما يلي نص التصريح : " إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . وستبذل جهدا لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا انه لن يوتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى " (١) ، ويسجل هذا التصريح بدء المأساة الفلسطينية بشكلها العملي واليهود كانوا ينتظرون أن تعلن " الدولة اليهودية " وعندما بشر مارك سايكس وايزمن بقوله له : " جاء المولود صبيا " بعد خروجه من جلسة مجلس الوزراء الذي اصدر قراره بتصريح بلفور بالاجماع ، رد وايزمن على الفور : " لم يكن ما توقعته " يقصد أنه كان يتوقع التصريح بانشاء دولة يهودية في فلسطين . وان هذا التصريح بعث آمال الصهاينة وشد في عزمهم في أن يجعلوا - على حد قول وايزمن - " فلسطين ، يهودية " مثلما أن انجلترا انجليزية " (٢) وبذلك ضمت بريطانيا إلى جانبها الجماعات اليهودية القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على اسواق المال وحملتها على مناصرة قضية الحلفاء (٣) ، ولقد كان تأييد أمريكا لليهود نقطة حاسمة في تاريخ الصهيونية ذلك لأن اليهود ادركوا حقيقة مراكز القوى بعد الحرب ، وعند انسحاب بريطانيا في ١٩٤٨/٥/١٥ اعلن اليهود استقلالهم واعترف الرئيس ترومان بذلك الاستقلال خلال دقيقة واحدة من اعلانه (٤) .

وكان أكبر عمل من اعمال الأعداء تفتيت الدولة العثمانية وتقسيمها فيما بينهم وتكاتفت قوى الشر : الصهيونية من اليهود يتآمرون على قلبها " فلسطين " والروس يسرعون إلى اختطاف ما يليهم من مدن وامصار ، والانجليز والفرنسيين ، فإنهم كانوا بعد نظرا ، اجمعوا أمرهم واليهود يمزقون الدولة

(١) تاريخ العرب الحديث : ١٥٦ . (٢) المرجع السابق : ١٩٦-١٩٧

(٢) تاريخ اوربا في العصر الحديث : ٥٣٢ .

(٣) تاريخ العرب الحديث : ٢٢٤ ، التاريخ الإسلامى : ٢٤٦ .

العثمانية ويفرقون شملها . وانتشرت الجمعيات الماسونية والصهيونية وانقلب المسلمون آلة في أيدي أعدائهم يحركونهم كيفما يشاءون . وهكذا سلط الأعداء الأعييبهم ودسائصهم على العالم الإسلامي . وانحل عقده وسقطت بعض البلاد اثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي والشرقي وما جاءت الحرب الكبرى حتى اصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ الاستعمار . وهكذا استطاعت الصهيونية تحقيق حلمها السياسى والقومى مع تركيزها على الجانب الروحى اليهودى .

ج) تحقيق أهداف الغزو العسكرى :

وقد كانت المرحلة الاستعمارية - أيام محمد عاكف - امتداد للحروب الصليبية وكانت ذات طابع دينى ويدل على ذلك الشواهد والأقوال التالية التى لم يستطع الصليبيون كتمانها .:

من ذلك ما جاء على لسان القائد البريطانى المشهور ادموند هنرى اللبنى فى اثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ ، وقد قاد الحملة البريطانية من مصر لغزو فلسطين حيث استولى على بيت المقدس وقال كلمته المشهورة : " الآن انتهت الحروب الصليبية " وكوفى من دولته بمنحة رتبة " فيلد مارشال " ولقب " فيكونت " (١) . وبإليتها انتهت بل هى مازالت مستمرة . إن الاستعمار امتداد للحروب الصليبية . وإن أهداف الحروب الصليبية اودعت فى ثقة وأمانة فى أيدي المستعمرين ليحققوها . ووقف الجنرال كورو القائد الفرنسى على ضريح صلاح الدين الأيوبي فى دمشق وقال " هاقد عدنا يا صلاح الدين " فإن هذين التصريحين يدلان على ماتكنه صدور القوم من الحقد والحسد والغطرسة والخداع لاسيما وأنهما دخلا بلاد المسلمين حليفين ولم يدخلاها فاتحين (٢) . وهنا ندع مستر جلاستون رئيس الوزارة البريطانية فى عهد الملكة فكتوريا يتحدث فى صراحة ووضوح عن هذه السياسة فيمسك بيده المصحف ويقول لاعضاء مجلس العموم : " إنه مادام هذا الكتاب بين أيدي المصريين فلن يقر لنا قرار فى تلك البلاد " (٣) . يقول هذه الكلمات فى صراحة كاملة ، والعبرة التى يستخرجها الإنسان من الامثلة المذكورة وغيرها : هى أن روح الصليبية عند الغربيين مستمرة إلى يومنا هذا . وأن الدولة العثمانية هزمت لأنها سمحت لنفسها أن تتورط فى حبال الدول الغربية ذات الروح الصليبية حاولت روسيا حماية الرعايا المسيحيين الارثوذكس الموجودين فى املاك الدولة

(١) انظر التبشير والاستعمار فى البلاد العربية : ١٥٥ .

(٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية (ملحقه لاحسان حقى : ٧٢٦) .

(٣) شبهات حول الإسلام : ١٢-١٣ .

العثمانية وحاولت فرنسا حماية الكاثوليك (١) ، وظلت روسيا ودول استعمارية أخرى تتطلع إلى اقتسام الدولة العثمانية (٢) ، فاصبحت المسألة الشرقية مصدر التنافس بين الدول الاستعمارية .

ولقد كانت الدول الأوروبية تسعى إلى إيقاع الشقاق داخل الدولة العثمانية والدس بين شعوبها محاولة تحقيق اطماعها في العالم الإسلامي ساعية إلى استعمار ممتلكاتها. أما القضاء على الدولة العثمانية . فقد انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ بتقسيم الدولة العثمانية بموجب وصايا ولسن الأربع عشرة. ان الدولتين الفرنسية والبريطانية لم تقبلا مبادئ (ولسن) إلا بعد أن حصلتا على الثمن وهو أن تدفع الدول المهزومة تعويضات عسكرية باهظة .:

المادة : ١٢ - استكمال الاستقلال الذاتي للقوميات غير التركية فى

الدولة العثمانية واعتبار مضيق الدردنيل خرا أمام جميع السفن .

المادة : ١٤ - تكون عصبة أمم لتوطيد السلام واحترام أراضي الدول

العظمى والصغرى على السواء (٣). ويعبر هربرت فشر عن روحه الصليبي قائلا فى الدولة العثمانية : فقد هلكت هلاكاً ابدياً المطامع الامبراطورية القديمة التى تمثلت فى أنور وعصائه. فإن الترك أبعدوا من ضفة قناة السويس وطردوا من العراق وفلسطين وسوريا ، والقى الاسطول البريطانى مراسية فى مضيق الدردنيل وغدا السلطان دمية فى أيدي السياسة البريطانية ، ولم يبق لمواطنيه الآن سوى آسيا الصغرى وحتى فى هذه استقر الغربيون فى ركن من اركانها (٤) . وهكذا تحقق الأمنية الصليبية وسقطت خيمة الإسلام بانكسار عمود الوسط فيها ، وانحلت العرى التى كانت تشد الدول الإسلامية وتربط بينها .

وهكذا تحققت المواقف الصليبية - الصهيونية المشتركة لتمزيق وتقسيم

الدولة العثمانية وهى دولة الخلافة الإسلامية. وحققت مخططات الصهيونية غايتها وهى تأسيس دولة اسرائيل لليهود فى وسط العالم الإسلامى ، وكانت الحركة الصهيونية . قد اخذت تعمل منذ أواخر القرن التاسع عشر على تحقيق اطماعها المتمثلة بقيام دولة يهودية فى فلسطين .

ووصلوا إلى اهدافهم فى نشر الأفكار المعادية للإسلام ، وقد انتشرت

بين الأتراك القومية التركية وهى الطورانية وانتشرت بين العرب القومية العربية

(١) انظر تاريخ أوروبا الحديث : لمحمد كمال الدسوقي : ١٠٠ .

(٢) انظر للتفصيل : تاريخ العرب الحديث : ٢٩٤ .

(٣) تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر : ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٤) انظر المرجع السابق : ٥٨١ .

وبعد هذا الغزو العسكرى تحقق اخضاع العالم الإسلامى واذلال المسلمين أمام اعدائهم . ولو كانت الدولة الإسلامية قوية - بكل معانى القوة فى المال والاقتصاد فى السياسة والإدارة ، فى اعداد القوة ضد العدو ، فى الإيمان والعقيدة قبل كل شىء - مثلما كانت قوية فى تاريخها الماضى ، ما كانت تستطيع القوسى الاستعمارية أن تعمل شيئاً من اعمالها المذكورة ولفشلت كما فشلت فى الحروب الصليبية الأولى . وكان اهم سبب من اسباب نشاط الصليبيين بهذا الشكل المذكور ضعف الدولة العثمانية ولا ننسى أن نذكر هنا دور خيانة بعض الرعايا الذين كانوا يعيشون فى ظل الدولة العثمانية ، ولغفلة بعض الاداريين عن المؤامرات وعدم انتباههم من غفلتهم حتى فى آخر أيام دولتهم دور كبير فى ضياعها . ومن بين اسباب تحقيق أهداف الأعداء* ، انتشار جواسيسهم فى انحاء العالم الإسلامى ووصول بعضهم إلى درجات عليا فى الدولة . وعملت المراكز الماسونية ليل نهار لتحقيق أهداف الأعداء ، واستفادت القوى المشتركة المعادية للإسلام من كل ذلك وغيره من الأسباب فحققوا أهدافهم ووصلوا إلى غاياتهم . وكان السلطان عبد الحميد يرى هذه النتائج قبل أوانها ومن أجل ذلك أعلن كخليفة المسلمين فكرة وحدة المسلمين ، ورأى فائدة عظيمة فى نشر فكرة الجامعة الإسلامية فى أيامه بصفته الرسمية لأن الظروف اقتضت اعلانها .

٣) فكرة الجامعة الإسلامية :

- أ) أول من دعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية .
 ب) بعض أعمال السلطان عبد الحميد في مجال الجامعة الإسلامية .
 ج) اسباب عدم نجاح فكرة الجامعة الإسلامية .

تمهيد :

ظلت الدولة العثمانية خلال القرون ، الحارس الأمين للعالم الإسلامي ، وإعادة الوحدة إليه ، وجمعت بلاد الإسلام تحت لواء الخلافة من جديد (١) ووجدت الشعوب الإسلامية قوة تحميها وترد عنها أذى الغزوات التي ظلت تروعها قرونا طويلة . وظل الصراع بين أوروبا والعثمانيين قرونا ووقفت خلالها الدولة العثمانية ضد الأعداء وعلى الرغم من الضعف الذي بدا عليها في أواخر عهدها ، فإنها انقذت العالم الإسلامي من أخطار محققة كالأطماع الصليبية (٢) والاستعمار الغربي والشرقي ، وسلكت أوروبا شتى السبل لضعاف الدولة العثمانية فكانت ضدها مادعوه " بالحلف المقدس " (٣) وهو مؤلف من عدة دول صليبية ، وايدوا روسيا التي دخلت معهم في حروب متعددة باسم الدين وحاكوا المؤامرات ضدها فظلت صامدة أمامهم وظل المسلمون مجتمعين حولها وظلت تتلقى الضربات من الدول الكبرى حتى جاءها السلطان عبد الحميد الثاني . وكان يرى ضرورة العمل على توحيد القوى الإسلامية لمجابهة الروح الصليبية الطامعة بالخلافة وثروتها فسعى إلى طرح شعار الجامعة الإسلامية وعمل على تدعيم أواصر الأخوة مع مسلمي الصين والهند وأواسط أفريقيا ولم يتردد في السعي للتفاهم مع إيران لتفويت الفرصة على الانجليز والروس .

أما مفهوم فكرة الجامعة الإسلامية : فيقول شكيب ارسلان : الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ، ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي (٤)

- (١) لم يبق خارجا عن دولتهم سوى دولة المغول في الهند والصفوية في إيران والاشراف السعدية في المغرب (انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٤٦)
 (٢) انظر التفصيل ، صحوة الرجل المريض : ٤٦٥ .
 (٣) انظر شعر الوحدة الاسلامية في العصر الحديث : ١ / ١٥
 (٤) حاضر العالم الإسلامي : ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

يقول احمد رفعت : بل هي رابطة تربط جميع العناصر الإسلامية ببعضها ببعض فيصبح مجموعهم قويا لا يطمع فيه الطامعون (١) ، وهي اتفاق كلمة الإسلام على تحرير بلاده وشعبه من الاستعمار والاستعباد (٢) ، وهي قوة فعالة تتوفر فيها جميع اسباب الوحدة وهناك خلاف في أول من دعا إلى هذه الفكرة .

أ (أول من دعا إلى الجامعة الإسلامية :

تغلب على كثير من الناس حبهم للأفغانى وقالوا انه أول من دعا إلى هذه الفكرة . وسنذكر هنا اقوال بعضهم في هذا المجال ، يقول الشيخ أبو زهرة : لقد نادى الإمام جمال الدين الأفغانى وصحبه إلى الجامعة الإسلامية (٣) ويقول مصطفى عبدالرازق : ... أن جمال الدين قد عرف بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي ترمى إلى اتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الإسلام ، لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الأجنبي وكان يقول بهذا الصدد : (يجب على العالم الإسلامي أن يتحد في حلف دفاعي كبير ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفناء) بيد ان جمال الدين لم يكن يعنى بذلك احلال قومية الدين محل قومية القطر ، وانما كان يرغب في ان تتحد جميع الاقطار الإسلامية مع استقلال كل منها عن الآخر إلى هدف واحد ، هو التحرر السياسي (٤) .

ولا نريد أن نطيل القول بذكر اقوال الذين دافعوا عن الأفغانى في أنه " يعتبر الأب الروحى والعقلى لهذه الفكرة " (٥) . ويذهب البعض إلى أن تفكير الأفغانى مرمز مراحل ، أولاها عندما كان يرفض اعطاء أى وزن للفكر القومى والخصائص القومية مكتفيا بوحدة العقيدة ، وفي هذه المرحلة نجد الكثير من عبارات التي ظهرت على وجه الخصوص في مقالات " العروة الوثقى " مثل عبارات " غناء الإسلام عن القومية " وقوله " لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم " (٦) ولا مانع من أن يكون الأفغانى قد دعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية ، ولكن فكرة الأفغانى مختلفة تمام الاختلاف عن فكرة السلطان عبد الحميد ، ولو دعا الأفغانى إلى القومية في ذلك الوقت لم يكن رأيه ليقبل في المجتمع الإسلامى ، ومن أجل ذلك دعا في بدايته الأمر إلى الجامعة الإسلامية واراد السلطان أن يستفيد منه في توحيد السنة

(١) رسائل انقرة المقدسة (ملحقها) ٢٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢٦٩ ، انظر ايضا : ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٣) الوحدة الإسلامية : ٢٥٦-٢٥٧ (٤) العروة الوثقى (مقدمتها) : ٢٩ .

(٥) انظر : حركة اليقظة العربية : ٦٥ ، جمال الدين الافغانى ، لمحمود ابو رية

٦٥-٦٦ .

(٦) العروة الوثقى ٦٩ ، ط ١ ، ١٩٥٧ .

والشيعة (١) لأن الأفغانى كان شيعيا (٢) . ثم دعا الأفغانى بعد ذلك إلى القومية ومعنى ذلك انه لم يكن مخلصا فى دعوته إلى الجامعة الإسلامية لو كان مخلصا لاستمر فى دعوته إلى نهاية حياته ، يقول د. تشارلز آرمس فى تأثير الأفغانى فى اثاره النزعة القومية : " لما كان الأفغانى مقيما فى الاستانة مهد تهيجها المتواصل لحركة تركيا الفتاة الموفقة التى قامت سنة ١٩٠٨ (٣) ، اما دعوته إلى الوطنية فيقول عنها د . عثمان امين : " ما من قطر من اقطار الشرق اشرقيه جمال الدين مثل تأثيره فى مصر : فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطنى فى هذه البلاد وقد نسب إليه بحق الدور التاريخى لابی القومية استطاع الرجل بخطبه الملتهبة أن ينفث فى النفوس نزوعا إلى الحرية (٤) .

اما علاقته بالسلطان عبد الحميد فنذكر شيئا منها لتوضيح فكر الأفغانى : " . . فى إحدى اجتماعاتها الخاصة التى جرت بينهما وحدهما ، خاطب السلطان السيد بقوله : إن ملتسى من حضرتك أن تبذل غاية الجهد ، حتى نستطيع - بتوحيد آرائنا ومساعدة حضرتكم - أن ننشىء ونؤسس اتحادا واتفاقا قويا ثابت الأركان ، لا يقبل الخلل بين الشعوب الإسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة أن تمد أسم الجامعة الإسلامية يد المودة والإخاء ، بعضها إلى بعض وتنهض بالصناعة والعلوم فى ظل الاستقلال القومى ، والاتحاد الإسلامى ، ولكى يحصل لها التوفيق يعون الله تعالى لاسترجاع تلك القوة العظيمة السابقة ولا تتأخر عن ركب السعادة والرقى (٥) ، يقول الأفغانى : قلت للسلطان عبد الحميد أتأذن فى تقديم لائحة فى تصوراتى لتحسين حال المملكة والتحوط بصونها من مطامع الأعداء ؟ قال السلطان : قل لى ماتشاء أن تكتبه بكل حرية ، وصراحة فان لك من السامعين . قلت : ايعتقد جلاله السلطان أن مصر لو بقيت ولاية ترسل إليها الولاة من الآستانة ، لجمع الأموال من غير وجهها وتوزيعها على رجال الدولة هنا فى " الآستانة " فقط على ما هو مشهور ، وغير خاف على جلالتك هل هو خير لمصر وأهلها ، وللسلطنة ، أم جعلها خدوية كما هى قبل الإنكليز ، خاضعة للدولة ، ومن الاجزاء المتممة للسلطنة يأتى خديويها بأمرهم ، والعساكر المصرية العثمانية تسرع لتلبية الأمر باللاحاق مع جيوش السلطان ، وبكل المعنى

(١) انظر السلطان عبد الحميد الثانى مذكراتى السياسية : ١٧٦

(٢) انظر حقيقة جمال الدين الافغانى : ١٢ .

(٣) جمال الدين الأفغانى لمحمود ابورية : ١٦

(٤) العروة الوثقى : ٢٨ (نقل عن رائد الفكر الحديث) : ٢٢ .

(٥) حقيقة جمال الدين الأفغانى : ٧٩٠ .

رعية خاضعة طائعة، قال السلطان : لو قلنا ان وجودها خدوية احسن من بقاءها ولاية ، ثم ماذا ؟ قلت يا مولاي ! إن السلطنة العثمانية تتألف اليوم من ثلاثين ولاية ومساحة املاكها فى آسيا فقط ستمائة وواحد وستون الف ميل مربع ، فتبدأ بالبعيد منها والمطموع فيها مثل طرابلس الغرب ، فتجعلها خديوية ثم إلى ولايات بغداد فالبصرة ، فالموصل ، فتجعلها خديوية : وإلى بيروت وسورية وحلب مع القدس فتجعلها خديوية ، ثم إلى جزائر بحر سفيد وكريد مسع ادرنة وسلانيك فتجعلها خديوية ، ويشترط عليها تعزيز العمارة البحرية قبل كل شىء ، ثم الحجاز فتجعل خديويها الاقدر من الاشراف الهاشميين اليوم والاحسن سيرة . ثم اليمن وخديويها يكون الإمام الزيدى ، أما الأناضول وولاياته ، فتقسم إلى ثلاث خديويات يكون لكل خديوية منفذ بحرى : الواحد على البحر الأسود والثانى فى برصة ، والثالث فى ازمير ، وبلاد الألبان ، فتجعلها خديوية ايضا هذه يا مولاي عشر خديويات بل عشرة ممالك ، كل واحد منها ، اعظم موقعا من اليونان ، واكبر مساحة واخصب أرضا وانشط قوما وارجح عقولا وما يقعد هم عن اللحاق بمن انفصل عن السلطنة العثمانية أو التفوق عليهم إلا شكل الحكم وقيود واعتلال المركزية القائلة لهم ، الموهنة للعزائم . وهذه الخديويات يا مولاي أول من تفوضها إليهم أهل بيتك من امراء آل عثمان ، ويكون مع كل امير وزير فاضل أمين . ثم لا ارى مانعا يمنع من العهد ببعض الخديويات إلى من عرف من الوزراء ومن غير الوزراء ايضا ، وجلالتك ترى أن اجزاء السلطنة اخذت تتفكك الجزء بعد الأخرى فصار من الواجب نظم الممالك واجزائها يسلك من النظام اوثق واشد واحكم ، وما وجدت ذلك السلك إلا بذلك الشكل الذى قدمته ، ولما انتهيت هز السلطان رأسه وقال : ماذا تركت يا حضرة السيد للسلطان وما ابقيت لتخست آل عثمان قلت : يبقى جلاله مولاي السلطان ، ملك اولئك الملوك ، وينضم إلى العرش العثمانى عشرة عروش غير عرش مصر ، قال السلطان مثلا تركيا معناه : ان الجواد اجتاز أسكدار ، وهو مثل يضربه الأتراك لما فات من الأمر ولا حيلة فيه ، يقول الأفغانى : كيف لا تذهب النفس حسرات واكبر سلطان فى المسلمين هذا موقفه من الجمود عن قبول النصح واصلاح الملك والمحافظة أو المطالبة بصريح حقه فى اجزاء سلطته (١) ، ومفهوم ذلك ، ان السلطان كان فى واد والأفغانى فى واد آخر افكارهما مختلفة فى هذا المجال . ولذلك يقول ميرزا لطف الله خان : أسدل الستار نهائيا على موضوع الاتحاد الإسلامى بسبب الخلافات التى نشأت

(١) خاطرات جمال الدين الأفغانى ، للمخزومى : ١٥٤-١٥٧ مع تصرف .

فى الرأى بين السيد والسلطان عبد الحميد (١) .

ولو صدقنا ان الأفغانى سبق السلطان فى الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، فالشىء المعروف انه رجع عن هذه الفكرة ويظهر من النصوص المذكورة دعوة الأفغانى إلى القومية ومن هذا المنطلق دعاه السلطان إلى استانبول وجعله تحت سلطته. اما السلطان نفسه فقد دعا إلى الجامعة الإسلامية ودافع عنها وجاهد فى سبيلها واخلص لله فى دعوته وعُرف انه شهيد هذه الدعوة. دافع عنها خلال خلافته ثلاثا وثلاثين سنة بلا تراجع لأن هذه الفكرة كانت سياسته التى يسير عليها ، اما اعماله لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية فهى كما يلى :

(ب) اعمال السلطان عبد الحميد الثانى فى مجال الجامعة الإسلامية :

كان للسلطان عبد الحميد اعمال كثيرة لنجاح هذه الفكرة ، ونحن نشير إلى أشهرها فى هذا البحث :

- سكة حديد الحجاز وفكرة ربط العالم الإسلامى بطرق المواصلات : فى

آخر سنة ١٨٨٨ تم الخط الحديدى الذى يربط ما بين بلغراد واستانبول ، وفى ١٨٩٢ انبثق المشروع الرامى إلى مد الخط عبر الأناضول والعراق حتى الخليج وبذلك يتيسر ربط اهم بلدان الدولة الإسلامية بالعاصمة. ولكن هذا المشروع كان يهدد بالخطر فى الوقت نفسه مركز بريطانيا فى الشرق ومطامع روسيا فى فارس. يقول على حسن الخربوطلى : ادرك الشريف الحسين ابن على الاهداف السياسية والعسكرية الحقيقية فبدأ يناهض المشروع حتى إذا قامت الحرب العظمى الأولى اتفق الحسين والانجليز على تخريب الخط الحديدى (٢) .

- استفادته من لقب الخليفة وسلاح الخلافة : اطلق على السلطان

العثمانى لقب خليفة : واعترف بسلطته الدينية على المسلمين خارج حدود الدولة العثمانية وفى عام ١٧٧٤ وقعت المعاهدة المسماة " كجوك كينارجا " بين السلطان عبد الحميد الأول وامبراطورة روسيا كاترين الثانية . فقد انتهز المفاوضون العثمانيون فرصة مطالبة امبراطورة روسيا بحماية مسيحي الكنيسة الارثوذكسية القاطنين فى الأراضى العثمانية ليطلبوا بحماية السلطان العثمانى للمسلمين فى شبه جزيرة القرم وحق السلطان فى منح تفويض لوالى القرم بالحكم وتعيين القضاة والمفتيين

(١) حقيقة جمال الدين الأفغانى : ٨١

(٢) غروب الخلافة الإسلامية : ١٨٩ - ١٩٠ ، انظر ايضا : العالم العربى فى

ويوصف السلطان بأنه إمام المؤمنين وخليفة من يؤمنون بوحداية الله تعالى (١)، وكان يقصد بهذا الوصف السيطرة على كافة المسلمين . وظهر هذا اللقب بصفة رسمية في الدستور الصادر في ٢٤/١٢/١٨٧٦ . واستمر السلطان طيلة مدة حكمه على سياسة تجميع المسلمين باسم الخلافة (٢). واستعمل صلاحياته كخليفة للمسلمين ورأى ان النصر في توحيد المسلمين ضد الاعداء والتمزيق

ارسال العلماء والدعاة والمندوبين إلى البلاد : وقد التف حول السلطان عبد الحميد عدد كبير من العلماء والفقهاء...، وأنشأ معهداً دينياً لتخريج الوعاظ الذين بعث بهم إلى جميع أرجاء العالم الإسلامي، ينادون بعبء الحميد خليفة للمسلمين . وارسل دعواته إلى البلاد الإسلامية التي هددها الاطماع الاجنبية (٣) . وذلك لبث الدعوة للجامعة الإسلامية في اوسع نطاق ونشر رسالة الأمل المحقق في النجاه على يد الخلافة العثمانية من الاستعمار (٤) . وارسل إلى تركستان الشرقية هيئة دينية علمية وأسست في الهند " لجنة الخلافة" وقبل السلطان رئاستها المعنوية (٥) وحاول أن يوحد هذه الرابطة: " وبعث بالباخرة " أرطغرل" العثمانية إلى اليابان ، تحمل وفدا يحمل هدايا قيمة إلى الميكادو - امبراطور اليابان في ذلك الوقت - ولكن تلك الباخرة غرقت وهي على مقربة من البلاد اليابانية وذلك اوائل سنة ١٩٠٠ ، واراد أن يعود إلى تنفيذ هذه الفكرة مرة أخرى إلا ان المشاغل العديدة التي كانت الدول المستعمرة تخلقها للدولة العثمانية حالت دون تحقيقها (٦) .

النداء بالسلطان عبد الحميد خليفة للمسلمين في الحج وخطبتي الجمعة والعيدين : وقد نجح السلطان في أن يفوز بتأييد شريف مكة فنأدى به خليفة وسط الحجاج (٧) ، وارسل إلى جميع انحاء العالم المندوبين وطلب منهم ذكر اسمه في اثناء خطبتي الجمعة والعيدين (٨) . وكانت الوحدة الإسلامية تقوم على ركنين هاميين الحج والخلافة الإسلامية . أما الحج فهو بمثابة موتمر إسلامي

-
- (١) غروب الخلافة الإسلامية : ١٨١-١٨٢ . (٢) بديع الزمان سعيد نورسي : ٩٢
 (٣) انظر غروب الخلافة الإسلامية : ١٨٩ . (٤) صحوة الرجل المريض : ١١١ .
 (٥) بديع الزمان سعيد نورسي لجمال كوطاي : ٩٢ .
 (٦) رسائل انقرة المقدسة (ملحقها) : ٢٦٧ .
 (٧) غروب الخلافة الإسلامية : ١٨٩ .
 (٨) التاريخ خلال صفحات احسان سرىا : ٢٩ .

سنوى يضم المسلمين من جميع الانحاء . وقد استفاد السلطان من هذه الوسيلة لمواجهة الاعداء .

- فتحة جامعة الحميدية في مدينة بكين بالصين : وقد فتح السلطان عبد الحميد جامعة في الصين بمدينة بكين يرفرف على ابوابها العلم العثماني وهي جامعة اسلامية لتخريج الدعاة ، يقول . أ . احسان سريا : هناك واثق تبرز ان جامعة افتتحت باسم السلطان عبد الحميد في بكين . توجد وثيقة في ارشيف وزارة لخارجية الفرنسية - ملف الصين - تبرز ذلك ، ونشر ذلك الخبر بنفس الأسلوب في جريدة تركية تحمل اسم ترجمان الاحوال في ١٩٠٨ / ٣ / ٥ ، وهذه ترجمة الوثيقة المذكورة : جامعة الحميدية في بكين . رسالة بكين " لا يمكن التعبير عن حيوية وحب واحترام و صداقة مسلمي الشرق الاقصى ، ولا يمكن الكتابة عن ذلك بحقه ونخص مسلمي الصين الذين يصل عددهم إلى الملايين يقومون تجاه خليفتنا وملتنا وإلى سلطاننا - الذي هو لطف من الطاف الله تعالى إلينا على وجه الأرض - كل احتراماتهم . لأنه خليفة حى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن المسلمين في الصين يتكلمون عن سلطاننا بالتبجيل ويمدحونه ، وحين يذكر اسمه في المساجد تتنور وجوه المسلمين بنور السعادة والسرور ، وكل من يلتفت إليهم يرى هذا المنظر ، ويوجد ثمان و ثلاثون مسجدا في بكين فقط يذهب آلاف من المسلمين في اليوم خمس مرات لأداء العبادة وللدعاء لخليفتهم إلى هذه المساجد . وترجم من قبل مفتى بكين أو العلماء الآخريين الخطبة التي تلقى يوم الجمعة . وفتح المسلمون المثقفون بالتعاون مع القرويين المدارس لتعليم اولادهم في اماكن مختلفة من الصين وقد اطلعنا في بعض الآثار على خبر يشير إلى وجود ثلاث مساجد واثني عشر الف مسلم في بكين هذا صحيح للظروف التي مضت قبل قرنين . فاليوم كما ذكرنا آنفا يؤدى آلاف من المسلمين عباداتهم في ثمانية وثلاثين مسجدا ولكل مسجد مدرسة عظيمة وتدل هذه المؤسسات على انتشار الإسلام بالتعليم والتربية .

واضيفت قبل فترة قليلة مؤسسة عظيمة إلى هذه المؤسسات الموجودة وسموها باسم سلطاننا وقالوا " الجامعة الحميدية ببكين " وقد دعا إلى اللسه سلامة السلطان آلاف من المسلمين الصينيين يوم وضع الحجر الاساسي ومما يستحق الثناء تسمية مسلمي الصين هذه المؤسسة الجديدة باسم سلطاننا المشرف ، وافتتحت الجامعة المذكورة بعد اكمالها بمراسم رسمية خلال أيام قليلة ماضية . واشترك في الحفل مفتى بكين وآلاف من المسلمين في ذلك اليوم وحضر

أيضاً اشخاص كثيرون من كبار الرجال فى وزارة المعارف الصينية (١) .
الدفاع عن المسلمين فى العالم وبذل المحاولات لرفع الأذى عنهم :

رأى السلطان عبد الحميد أن من الخير للمسلمين خارج نطاق الدولة العثمانية أن تلتف حول راية الخلافة العثمانية وترتبط ببعضها ضمن حركة الجامعة الإسلامية كقوة معنوية يمكن الاستناد إليها فى مواجهة تعاضم النفوذ الأجنبى على ديارها (٢) ، وكان يرى ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمى العالم فى الصين والهند وأواسط أفريقيا وغيرها وحتى مع إيران . ففى عام ١٨٧٦ وقعت فى البلقان عدة مذابح قتل فيها الكثير من المسلمين لتجردهم من السلاح وعدم قدرتهم على رد القوة بمثلها . وقد هب السلطان لنجدتهم ، وكان العريفى جاؤة يتحملون نسبة عالية من الضرائب فأراد السلطان رفع هذا الظلم عنهم (٣) . وكانت سياسته الإسلامية مواجهة الأعداء فى الخارج والدفاع عن المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

تقديم المعونات للمسلمين : عمل السلطان على مّد يد العون للمسلمين فى كل مكان وأعلن أنه يساند مطالبهم العادلة ، فعمل قناصله وسفراءه وه على تنفيذ خطته . وجذب كثيراً من الأطباء وائمة الإسلام إلى استانبول واجزل الهبات والهدايا والعطايا والالقاب والأوسمة ورتب المرتبات للمعاهد الدينية وللجوامع والمساجد ، وللعلماء ومشايخ الطرق فأرسل إلى أنحاء العالم أولئك الذين التفوا حوله وجعلهم رسلا للجامعة الإسلامية التى كانت محط احلامه . وأراد تنوير المسلمين وضم بعضهم إلى بعض .

معاملته للوفود : كان السلطان يرحب بالوفود الإسلامية التى تزور دار الخلافة ويرى فيها تقوية للرابطة الدينية . يقول فى ذلك : " علمت ان وفدا من العرب المسلمين من اعيان " باتافيا" يريد مقابلتى لتقديم احترامه وولائه بصفتى خليفة المسلمين فعلى الرحب والسعة ، ان هذه الزيارة بادرة طيبة ستثبت للكفار مدى قوة الأواصر بين المسلمين .

وعبر شكيب ارسلان عن اعمال السلطان فى هذا المجال قائلاً : جمع

(١) التاريخ خلال صفحات : ٤٩-٥٢ ، ايضاً : ٥٥-٥٦ نقلا عن أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ملف الصين رقم ٨١ ، ١٧٢ ، ١٧٢ .
 (٢) انظر ، مذكرات السلطان عبد الحميد : ٧ ، حركة الجامعة الإسلامية : ٢٧١
 (٣) السلطان عبد الحميد مذكراتى السياسية : ١٧٣

السلطان إليه كثيرين من مقدمى العرب وزعمائهم ، وآخرين من الزعماء لا لزوم لتسميتهم ، اقرهم فى استانبول واجرى عليهم الارزاق كما هو معروف.، وممن استانبول صارت توفد الوفود وتنغد الرسل جماعات دراكا إلى جميع الأقطار الإسلامية حاملة رسالة الخليفة إلا وهى رسالة الأمل المحقق فى النجاة من خطر حكم الفرنجة الكافرين" (١) وقد تأثر المسلمون بدعوة السلطان واستجابوا لندائه ، وحضرت الوفود من مسلمى العالم كله إلى استانبول ، خصوصا بعد أن ادركوا اطماع الدول الصليبية فيهم ، وبعد تعرضهم لمذابح كثيرة فى انحاء العالم .

توزيع المصاحف والكتب الإسلامية : وقد تضمن برنامج السلطان فى

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية توزيع الكتب. وقام بطبع اعداد وفيرة من المصحف الشريف وامر بتوزيعها فى انحاء البلاد (٢). وهكذا اهدى ملايين المصاحف للعالم الإسلامى ودفع مبلغ الطبع من جيبه الخاص (٣) ، ومن ناحية أخرى نشرت منشورات على العالم الإسلامى. ووزعت نسخ عديدة من الكتب والجرائد والمجلات بين المسلمين المنتشرين فى انحاء العالم. لتكون روح التضامن اقوى .

نشر الصحف والمجلات : وقد سخر السلطان الصحافة لتأييد

دعوته (٤) واحتضن عدة صحف ومجلات تنشر له الدعاية وتوجه الرأى العام نحو سياسته الإسلامية . وساعد على انتشارها نهضة الصحافة فى البلاد الإسلامية. وساهم فى هذا المجال محمد عاكف بمقالاته فى مجلتى الصراط المستقيم وسبيل الرشاد - كما سنذكره فى الباب الثالث من هذه الرسالة - وقد كانت الصحافة من اهم الوسائل لنشر هذه الفكرة وتقدمت الفكرة تقداً سريعاً لأن الجرائد الإسلامية فى العالم - فى أيامه - دعت إلى هذا الغرض وهى منتشرة فى كل مكان .

مجال التعليم : عنى السلطان بالتعليم بمختلف أنواعه ومراحل

وأنشأ المدارس ودور المعلمين ، والمكتبات والجامعات فى مختلف الولايات . ونذكر مثالا واحداً للإشارة إلى العلاقات التى تربطها الدولة العثمانية مع دول الشرق الاقصى فى مجال التعليم . وهو : تعليم مسلمى جاوه (اندونيسيا)

(١) انظر حاضر العالم الإسلامى : ١ / ٣٠٩ .

(٢) عبد الحميد ظل الله على الأرض : ١٧٤ ، وشعر الوحدة : ١٨ .

(٣) بديع الزمان سعيد النرسى : لجمال كوطاى : ٩٢ .

(٤) غروب الخلافة الإسلامية : ١٨٩ .

في مدارس استانبول لعدم امكان تعليمهم في جاوة بالاضافة إلى المساعدات التي قدمت الى جريدة الاتحاد التي كانت تصدر جديدا في جاوة (١) . وكان هنالك مشروع تأسيس جامعة في الهند وأخرى في سوريا ، ولكن لم يتم شيء من ذلك . وقدم إلى استانبول كثير من طلبة العلم . ولهذا جمع فيها عدد كبير من الطلبة قدموا لمتابعة دراستهم بمدارسها .

حل الخلافات بين أهل السنة والشيعية : وقد عمل السلطان على حل الخلاف القديم بين أهل السنة والشيعية والتوفيق بينهما . وقال : ان الروايات الشريفة المتعلقة بعائشة أم المؤمنين سوف تخرس إلى الأبد ، وإن السم القديم يجب ألا يترك حتى يسرى في جسد آسيا القوي . وعلى السنين والشيعية أن يتحدوا لمقاومة أوروبا في محاولتها قهر العالم .، إذا تحققت هذه الأمنية تحقق بها انجاز عظيم للإسلام (٢) .

وهناك مجالات كثيرة غير ما ذكرناها مثل : العلاقات العثمانية الهندية في نطاق حركة الجامعة الإسلامية . ودور هذه الحركة في مقاومة الاستعمار ، وقد حدث السلطان المسلمين الذين كانوا تحت حكم الاستعمار إلى الجهاد لتحقيق استقلالهم ورغم كل المحاولات واعمال السلطان لم تتحقق هذه الفكرة بل فشلت لأن هناك اسبابا وموانع أدت إلى عدم تحقيقها .

ج) أسباب عدم نجاح فكرة الجامعة الإسلامية :

لقد ادركت القوى العالمية مقام السلطان وافكاره واحاسيسه فابغضوه ولما تحدى السلطان القوى العالمية ولم يتساهل في تحقيق اطماعها ، عملت القوى العالمية على عزله . وكان انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ بداية مرحلة جديدة في العلاقات العربية التركية . وهي مرحلة التمسك بالقوميات بدلا عن الإسلام وأخوته . كما كان له اثر كبير على سياسة الجامعة الإسلامية فيبعد أن كانت هذه الجامعة تشكل محور السياسة الداخلية والخارجية للدولة في عهد السلطان عبد الحميد نراها قد اختلطت مع غيرها من التيارات الفكرية والسياسية التي برزت على ايدي الاتحاديين . (٣) .

(١) الاجتماع الوزاري الأول للنقل والمواصلات للدول الاعضاء في منظمة

الموتمر الإسلامي : بيان ، ص : ٢٠٩ .

(٢) انظر السلطان عبد الحميد مذكراتي السياسية : ١٧٦ ، حركة الجامعة

الإسلامية : ٢٧٣ - ٢٨٠ .

(٣) انظر حركة الجامعة الإسلامية : ٢٣٩ - ٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ - ٣٠٥ .

وقد نجح القائمون على سياسة الجامعة الإسلامية في مركز الخلافة فسي
انعاش منصب الخلافة في عهد السلطان ، وفشل الاتحاديون في جنى ثمار
سياسة الجامعة الإسلامية . وقد كتب انور باشا وقت سفره إلى خارج البلاد نهائيا
بعد الحرب العالمية الأولى رسالة إلى زميله جمال باشا وقال فيها : يا باشا
انا مستعد لتحمل كل مسئوليات افعالي . ولكن مسئوليتنا الاصلية هي عدم فهمنا
السلطان عبد الحميد وكوننا آلة للصهيونية ، هذا مر ولكن هي الحقيقة بذاتها .^(١)

واليك بعض أسباب فشل الحركة بعد السلطان عبد الحميد :

اعمال الاعداء من المستعمرين والمنصرين والمتشركين : عمل أعداء
الإسلام على تمزيق الوحدة الإسلامية ، ولا سيما بعد أن رأوا تعاطف المسلمين مع
السلطان عبد الحميد واستجابتهم لندائه . وجندوا المبشرين لتمزيق وحدة المسلمين .
ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة وذلك لأن التبشير يعمل
على اظهار الاوروبيين في نور جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من
عنصرى القوة والتمركز اللذين هما فيها ^(٢) ، وكان مما يهدف إليه الاستعمار
بمستشرقيه ومبشريه وكتابه تفكيك عرى الوحدة بين المسلمين و ان جميع التدابير
والقرارات قد اتخذت من قبل الجمعيات التبشيرية لمقاومة الجامعة الإسلامية وان
التدابير التي اجمعوا عليها في جمعياتهم قد حازت تمام القبول عند المأمورين
الملكيين في روسيا . ويبدو من ذلك أن من اسباب عدم نجاح هذه الفكرة المخططات
الصهيونية والصليبية المعادية لهذه الفكرة والمؤامرات التي بثها الأوروبيون بين
افراد المنظمات التركية والعربية . يقول أحد الكتاب : لا اعرف أحدا يسعى إلى
اتحاد حكوماتهم ، على ان أوربية لم تدع لهم حكومات وإنما بقى لهم هذه الدولة
المنكوبة التي يخربها اصحاب النفوذ فيها من الداخل وأوربية من الخارج ، كما
قال فؤاد باشا الشهير ^(٣) . ويصور احمد رفعت غضب الغرب قائلا : الجامعة
الإسلامية أو الاتحاد الإسلامى هي غول أوروبا المستعمرة فما تكاد تسمع هذه
اللفظة حتى تقوم وتقع من الفرق والهلع والغيظ والغضب زاعمة ان الإسلام
سينقض على المسيحية فيمزقها إربا إربا ^(٤) إذ أنه في نظرهم : محاولة جمع كلمة
الإسلام هي محاولة إعادة قوة الاعتداء الأولى إلى الغرب فالجامعة الإسلامية إذن
خطر كبير ^(٥) .

(١) لعبات الصهيونية : ١١١ . (٢) انظر التبشير والاستعمار : ٣٧ .

(٣) مجلة المنار ج ٩ م : ١٥ ، ص ٦٣٨ (٤) رسائل انقره : ٢٥٩ .

(٥) المرجع السابق : ٢٦٢ .

ويقول القسيس سيمون عن حركة الجامعة الإسلامية في ماليزيا: "إن العامل الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذى يضره سكان البلاد للفاتحين الأوروبيين ولكن المحبة التى تبثها ارساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى (١) .

- ظهور القوميات : ومن اسباب عدم نجاح فكرة الجامعة الإسلامية انتشار فكرة القومية والوطنية . وقد عمل الاستعمار على بث الشعارات التى فرقت بين المسلمين ومزقت صفوفهم كنعرة القومية . وبهذه النعرة وتفريق شمل المسلمين يسهل على المستعمر القضاء عليها (٢) .

بثوا بين افراد جمعية تركيا الفتاة أولا ، ثم بين أعضاء حزب الاتحاد والترقى فكرة الطورانية . وبثوا بين العرب ابتداءً من المسيحيين فى لبنان وسوريا ثم فى جميع البلاد العربية فكرة القومية العربية ، واقاموا الجامعة القومية مقام الجامعة الإسلامية وحثوا الاقليات للثورة ووعدوهم بالاستقلال . وما قامت التيارات القومية إلا لتقضى على الجامعة الإسلامية (٣) وعملت القوى العالمية على تنشيط الحركة القومية فى البلاد العربية واعتمدوا على النصارى فى الدعوة إليها وان الرواد الاوائل كانوا منهم (٤) ، وكانوا على صلة بالماسونية (٥) .

وكان بعض الولاة يعاونونهم فى ذلك الأمر فحين عين مدحت باشا واليا على بوسنة وهرسك أضاف الصليب إلى العلم العثمانى ، واسف المسلمون على هذا العمل ووصل فى عمله إلى درجة اجراء المراسم فى شوارع استانبول بالجنود الحاملين هذا العلم (٦) ، ومن أجل ذلك منع السلطان عبد الحميد نشاطات الواقفين ضد فكرة الجامعة الإسلامية ومنع الكتب المتعلقة بالقوميات مثل تاريخ الترك لنجيب عاصم وولد جلبى (٧) ، ممن الطبع والنشر .

ومن أجل ذلك يقول القسيس نلسن : "ان حركة الجامعة الإسلامية قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ، ولكن لاتزال فى الأهالى روح تضامن ملازمة للإسلام . ويتفق معه على حسن الخبروطلى قائلا : ماتت فكرة الجامعة الإسلامية بانتهاء عهد عبد الحميد (٨) .

-
- (١) انظر التاريخ خلال صفحات .
 - (٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : ١٠١ .
 - (٣) غروب الخلافة الإسلامية : ١٩٤
 - (٤) انظر السلطان عبد الحميد الثانى واثره فى نشر الدعوة الإسلامية : ١٨٧ ، السلطان عبد الحميد خان الثانى واليهود : ٤٠٠ - ٢٠٠ .
 - (٥) انظر شعر الوحدة : ١ / ٢٣ . (٦) تاريخ تركيا الكبيرة ليلماز ازطنا : ١٤٠ / ٧
 - (٧) انظر بديع الزمان سعيد النوسى لجمال كوطاى : ٩٨ .
 - (٨) غروب الخلافة الإسلامية : ١٩٤ .

الفصل الثانى

الأحوال الاجتماعية

- (١) المجتمع الإسلامى وتقاليدده .
- (٢) البدع والخرافات والانحرافات .
- (٣) التعليم (انواعه مدى انتشاره) .

(١) المجتمع الإسلامى وتقاليدده

- أ (عناصر المجتمع الإسلامى فى الدولة العثمانية .
- ب) موقف غير المسلمين من المسلمين و من دولتهم .

تمهيد :

يظهر الفساد فى الأرض فى عصور الضعف والانحلال والتمزق ولهذا ظهرت البدع وكثرت عند تمزق الدولة العثمانية ، وانحطاطها وذهاب ريحها ، وتشتت شملها وظهرت الأحزاب والأفكار فيها وقد أدرك عاكف عهد السلطان عبد الحميد الثانى حيث اكتسبتا لدولة شيئا من القوة من الناحية السياسية بجهود السلطان ولكن فى أيامه الأخيرة سيطر على الدولة حزب الاتحاد والترقى وأمسك بزمام الحكم والإدارة وكانت أيام عاكف حافلة بالأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية والفكرية وذلك أثر بدوره فى حياته وفكره أشرا بالغا . ونتحدث هنا عن المجتمع الإسلامى بالقدر الذى يكشف لنا جوانب من تأثيره فى حياة عاكف .

تعتبر الفترة الأخيرة فى حياة عاكف عصر الضياع والتخلف ، ولم يشهد المسلمون خلال عصور طويلة مثل ذلك العصر فى الضياع والحيرة . فقد كانت الأحوال كالجيال . . . وكان الناس يعيشون فى قلق وبأس ورج ، تسقط المدن والمناطق واحدة تلو الأخرى فى أنحاء الدولة العثمانية حتى وصل الأعداء إلى استانبول ، فكنت لا تسمع إلا العويل ولا ترى إلا الخراب والقتل والنهب ، ومن عاش فى عصره عاش محطم النفس ، قلق الفؤاد يادى الحسرة . لأنه فى كل يوم يسمع عن هتك الأعراض وإباحة الحرمات وقتل الذرية وتحويل المساجد إلى كنائس - خصوصا فى البلقان كما عمل البلغار واليونان (١) . . الخ . وبلغت القلوب الحناجر ، ولم يرض المسلمون عن ذلك ولم يستسلموا للهوان كما بين عاكف فى آثاره .

تختلف الحياة الاجتماعية عند المسلمين عن غيرهم وذلك لشمول الإسلام وتنظيمه لعلاقة كل فرد فى المجتمع مع غيره من الناس بمقتضى أوامر الله سبحانه وتعالى . ولكن ظهرت فى أيام عاكف الآراء المختلفة والأحزاب المعادية لبعضها البعض ، وظهرت الفتن ، ونبدأ بالحديث عن العناصر المتباينة التى كان يتكون منها المجتمع .

(١) انظر مظالم اليونان ، ومظالم موسكو ، لقد ير مصر اغلو .

أ (عناصر المجتمع الاسلامى فى الدولة العثمانية

لقد تكوّن المجتمع العثماني من طوائف متعددة جنسيا ما بين ترك وعرب وغيرهما فى مناطق عديدة كما ذكر السلطان سليمان القانونى فى رسالته التى أرسلها جوابا على ملك فرنسا (فرنسو الأول) الذى أرسل إلى السلطان سليمان يطلب منه التحالف معه ضد امبراطور اسبانيا والغرب وقد أجاب السلطان بالرسالة التالية :

الله العلى المعطى المعين ، بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته ، وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء ، وقدوة فرقة الأصفياء ، محمد مصطفى صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات وبموازية قدس أرواح حماية الأربعة ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله ، أنا سلطان السلاطين ، وبرهان الخواقين ، متوج الملوك ، ظل الله فى الأرضين ، سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناضول والرومىلى وقرمان الروم وولاية ذمى القدرية وديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا التى فتحها آبائى الكرام وأجدادى العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم ، وبلاد أخرى كثيرة افتتحها يد جلالتي بسيف الظفر ، أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا . وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذى أرسلتموه مع تابعكم (فرانقيان) النشيط ، مع بعض الأخبار التى أوصيتموه بها شفاهايا وأعلمتنا أن عدوكم استولى على بلادكم . وانكم الآن محبوبون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم . وكل ماقلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملكية ، وأحاط به علمى الشريف على وجه التفصيل فصار معلوما فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم ، وكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فإن آبائى الكرام وأجدادى العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو ، ونحن أيضا سالكون على طريقهم وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا ليلا ونهارا

مسروجة وسيوفنا مسلولة ، فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته
ومشيئته ، وأما باقى الأحوال والأخبار فستفهمونها من تابعكم المذكور
فليكن معلومكم هذا ، تحريراً فى أوائل شهر آخر الربيعين ، سنة اثنين
وثلاثين وتسعمائة (١٥٢٥ م) بمقام دار السلطنة العلية القسطنطينية
المحروسة المحمية (١) .

كان المجتمع العثمانى يمجوع بعناصر مختلفة جمعتها الدولة وكان
" العثمانيون " (٢) ذلك المزيج الذى يتكون منه المجتمع ، اما تسامح الدولة
تجاه العناصر فى المجتمع : فقد ضمت الدولة فى توسعها شعوباً
تنتمى إلى أديان تختلف عن دين الدولة الرسمى . . ، وإنقضت الدولة
فى الواقع إلى أن تصبح ملجأ للحرية الدينية وخصوصاً بالنسبة لليهود .
وهذا التسامح هو الذى مكن القوميات البلقانية فيما بعد من النمو
والتطور إلى حد امتشاق السلاح والانفصال بمعونة الكنيسة الروسية وجيوش
وأموال القيصر (٣) . وقد كانت فى شبه جزيرة البلقان غير تركيا ، اليونان
والصرب وبلغاريا ورومانيا والجبل الأسود ، ولكل من هذه الأمم مطامع
وعروق وانساب ونزعات طائفية ، واختلافات مذهبية وميول سياسية ، وكانت
البلقان مهد الفتن والقلاقل . ومصدر البلبلة فى الدولة وسبباً فى اضعاف
قوتها إذ لم تسكن فيها القلاقل ، وكل دولة من هذه الدويلات الصغيرة كانت
تطمع فى تكبير حوزتها (٤) . وفى أيام ضعف الدولة العثمانية حاولت
شعوب البلقان التخلص من حكم العثمانيين ، وعملوا ثورات قام بها البلغاريون
والصربيون واليونانيون والرومانيون وأهالى الجبل الأسود ، وأعلنوا
استقلالهم فى فترات مختلفة . وسبب ذلك عند بعض الكتاب : " عدم اعطاء
العثمانيين مجتمعهم شكلاً واسلوباً معيناً ، وعدم حصولهم على الوحدة ،
ونتيجة ذلك كله أصبح العثمانيون كجيش أجنبى فى أرض أجنبية ومحاط

(١) خير الدين بربروس ، لبسام العسلى : ١٩٧-١٩٨ .

(٢) كان يطلق على جميع رعايا الدولة لقب "عثماني" بصرف النظر عن
جنسه أو لغته أو دينه .

(٣) انظر العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية فى تركيا : ٥٣ .

(٤) انظر خاطرات جمال الدين الأفغانى : ١٤٦ .

بالأعداء (١) ، وفى واقع الامر أراد السلطان سليم الأول توحيد عناصر السلطنة واجبار المسيحيين على إحدى خطتين : الإسلام أو الرحيل ، فقام فى وجهه (زنبلى على افندى) شيخ الإسلام وقال له : لا يحق لك هذا والمسيحيون واليهود متى خضعوا ودفعوا الجزية فقد عصموا منك دماء هم وأموالهم (٢) . وينقل لنا الأمير شكيب أرسلان خلاصة من آراء المؤرخ الرومانى (جافارا) فى كتاب له بعنوان " مائة مشروع لتقسيم تركيا " حيث يذكر أن من أعظم أسباب انحلال الدولة العثمانية مشربها فى إعطاء الحرية المذهبية والمدرسية لتأمين الأمم المسيحية التى كانت خاضعة لها لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين كانت تبث دعايتها القومية وتتماسك وتنهض وتتملأ وتسير سيرا قاصدا فى طريق الانفصال عن الدولة العثمانية (٤) .

أما الأخوة الإسلامية فى المجتمع العثمانى : فنذكر مثلا منها على لسان المؤرخ المشهور نشانجى مصطفى جلال زاده (١٤٩٢-١٥٦٧) فى موقف السلطان سليم الأول من بلاد العرب وأهلها : " لم يكن لهذا السلطان مثيل فى الإحسان والشفقة والرحمة ، وكان يقول : حينما جعلنى الله سلطانا لبلاد أجدادى دعوت الله الذى لا شريك له بهـذه الدعوات : ياخالق السموات والأرض ورازق الإنس والجن والوحوش عرفنى بالقيام على تنظيف الحرم الشريف وهو مكة المكرمة وتنظيف المدينة المنورة التى فيها قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فله الحمد أكرمنى الله بهذه السعادة ونلت ماتمنيته فى الدنيا ومحبتى تجاه البلاد العربية ليست كغيرها من البلاد ، فطائفة العرب هم جار الله ورسوله صلى الله عليه وسلم " وكان السلطان يوصى برعاية العرب حق الرعاية ، وعين لبلاد العرب ببرى باشا كقاضى عسكر وقال بعض علماء الأناضول ببرى باشا ينبغى تعيين القاضى لمكة والمدينة من علماء الأناضول ، وأبلغ ببرى باشا ذلك إلى السلطان فقال السلطان ردا على ذلك : " لقد انتشر دين الله فى الأرض

(١) تاريخ الادب التركى المصور والمنقوش : ٥٩ / ٢ .

(٢) وقد قصد السلطان منع الإقامة للكفار من المناطق الحساسة واجبارهم

الى الإقامة فى مناطق اخرى غير عسكرية من البلاد .

(٣) حاضر العالم الاسلامى ٣ / ٢٢٨

(٤) انظر المرجع السابق ٣ / ٢٠٨ - ٣٤٢

قبل اكثر من تسعمائة عام فإن مكة المكرمة حرم إلهي والمدينة المنورة عاصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل عين لأحدهما قاض من خارجهما؟ فإن سلطان مكة والمدينة في يد أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام . وأنا لم أدخلهما بقوة الجيش فإنهم من كمال انقيادهم وحسن آدابهم وإحسانهم أطاعوني وأكرموني وانقادوا إلي واحترموني ، ولا يسد من مكافأتهم على ذلك ، أنا أشكر الله وأدعوه ليل نهار وقد أكرمني الله بذكر اسمي في خطب الجمعة والعديد وأحسن إلي بذلك وأنا لا أبادل هذه السعادة بسلطنة العالم كله " وأمر السلطان قائلاً : لا تقصر في حق أهالي الحرمين على قدر إمكانك ولكن الحذر كل الحذر أن تتدخل بأمور مكة والمدينة " (١).

وفي أيام السلطان عبدالحميد الثاني ، كان للدولة العثمانية ثلاثة جيوش في البلاد العربية قيادتها في دمشق الشام وبغداد وصنعاء اليمن ، وهناك في صحارى فلسطين واليمن والعراق مشيخات وأمارات شبه مستقلة وبعض القبائل تتحين الفرص للسلب والنهب ، عرف السلطان كيف يعامل هؤلاء ، فأرسل ممثلاً شخصياً له هو رشيد باشا حيث يوصل إليهم كل سنة هدايا السلطان من الذهب وافتتح مدرسة سماها مدرسة العشائر في استانبول يدرس فيها أولاد الاعيان العرب من سورية والعراق واليمن وغيرها من البلاد العربية ، واستطاع بعض العرب أن يرقى إلى اعلى المناصب في الدولة ، وطوال حكم عبدالحميد لم تنقطع رواتب الأشراف من آل البيت إذ كانت تصل إليهم بانتظام بالاضافة إلى ذلك كانت تصل إليهم هدايا ونياشين دورية من السلطان . وكان هناك يوم خاص يحتفل فيه باستانبول بمناسبة ارسال سترة الكعبة إلى الحج ومع السترة ترسل أعلام وهدايا ثمينة (٢). ولم تفضي الدولة على ذلك طويلاً حتى دخل الاعداء بين الشعوب المسلمة ، وكانوا يثيرون في البلاد الإسلامية فكرة الاستقلال ويدعون أنه حق من حقوق الشعوب ويجب أن تكون تركيا للأتراك . . . الخ.

(١) انظر مجلة الخزامى : ٢٣٠ .

(٢) اسرار الانقلاب العثماني : ٤١-٤٢ .

ويجب خلق دولة حديثة على أسس ودعائم عصريّة . كانت هذه الأفكار تبث بين الناس من فترة طويلة خاصة في استانبول بين الشباب وضباط الجيش ونذكر مثالا لعمل الأعداء : افتتح مؤتمر لوزان وحضره وفد تركيا . ووضع رئيس الوفد الانجليزي (كرزون) أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي : الغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من بنى عثمان خارج الحدود وإعلان علمانية الدولة ، ومصادرة أملاك وأموال بنى عثمان (١) . وعلق نجاح المؤتمر على تحقيق هذه الشروط ونفذت الشروط الأربعة السابقة الذكر واعترفت إنجلترا باستقلال تركيا . وكان الانجليزيون فكراً الخروج ضد الدولة العثمانية بين الأكراد (٢) ، وكان في الولايات الشرقية والجنوبية الشرقية من تركيا عدد كبير منهم . وكان السلطان عبد الحميد قد استطاع أن يسوسهم بالطرق السياسية فعلم أبناءهم في مدرسة العشائر في استانبول ، وعين بعضهم في مناصب الدولة (٣) ، واستمر على ذلك حتى دخل الأعداء بين الدولة وبينهم . واستمرت المشاكل إلى يومنا هذا .

ب) موقف غير المسلمين من المسلمين ومن دولتهم

بدأ الغربيون العمل السياسى ضد الدولة العثمانية في بيروت باديء ذي بدء . ففي سنة ١٨٤٢ تشكلت لجنة لتأسيس جمعية علمية تحت رعاية الإرساليات الأمريكية وفق برنامجها . وسارت في طريقها حتى تمكنت في سنة ١٨٤٧ من تأسيس "جمعية الفنون والعلوم" وتولى رعايتها والسير فيها النصارى العرب ، إلى جانب الأوربيين والأمريكيين . وكانت الجمعية تظهر بمظهر نشر العلوم بين الكبار كما تنشر العلوم في المدارس بين الصغار ، مع العمل على تثقيف الصغار والكبار بالثقافة الغربية وتلقينهم الأفكار الغربية .

(١) انظر : التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى لمحمود شاكر ٢٣٣ ،

تاريخ الدولة العثمانية لعلى حسون : ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) ذكريات رضا نور : ٥٨٥/٣ .

(٣) اسرار الانقلاب العثمانى : ٤٣ .

وتأسست جمعية أخرى سنة ١٨٥٠ باسم " الجمعية الشرقية " أسسها اليسوعيون ، وكان اعضاءها كلهم من النصارى ، وفى سنة ١٨٥٧ تشكلت جمعية أخرى جيبج مؤسسوها من النصارى وبعض المسلمين العرب . وتأسست سنة ١٨٧٥ فى بيروت الجمعية السرية ، وقام بتأسيسها النصارى . وتعتبر هذه الجمعية أول حزب سياسى قام فى البلاد الإسلامية على أساس فكرة القومية العربية (١) . أما دور التبشير والمبشرين فى إفساد المجتمع الإسلامى : فقد سار الصليبيون فى بيروت بالغزو التبشيرى والغزو الثقافى باسم العلم . فأقاموا الجمعيات التبشيرية ، وكان معظمها جمعيات إنجليزية وفرنسية وأمريكية ، وجعلوا الغزو الثقافى يأتى عن طريق التبشير والمبشرين . وفى سنة ١٧٧٣ أغلقت بعض مؤسساتهم ، وفى سنة ١٨٢٠ تجدد نشاطهم .

وأسس أول مركز للتبشير فى بيروت . وفتحت كلية ونقلت الإرسالية الأمريكية مطبعتها من مالطة إلى بيروت لتقوم بطبع الكتب ونشرها (٢) . وفتحوا مدرسة للبنات واتسع المجال أمامهم فى سنة ١٨٣٤ وكان قيام ابراهيم باشا بتطبيق برنامج للتعليم فى سورية بما فيها لبنان - مستوحى من برامج التعليم الموجودة فى مصر ، المأخوذة عن برنامج التعليم فى فرنسا - فرصة لهؤلاء المبشرين ، فاغتنموها وساهموا فى الحركة التعليمية بما يوافق الأهداف التبشيرية . وفتحوا المدارس والكليات بعد سنة ١٨٦٠ ، ففتح اليسوعيون الكلية اليسوعية المعروفة بجامعة القديس يوسف اليسوعية وفتح الأمريكان الكلية البروتستانتية سنة ١٨٦٦ (٣) المعروفة اليوم بالجامعة الأمريكية فى بيروت .

ولم يقتصر أمر الاهتمام بالغزو التبشيرى على ما ذكرنا بل شمل أكثر الدول المسيحية ومنها روسيا القيصرية ، فقد أرسلت بعثات تبشيرية ، كما أرسلت بروسيا بعثة بروسية (ألمانية) مؤلفة من راهبات كارودت -

(١) كيف هدمت الخلافة : ١٩-٢٠

(٢) انظر المرجع السابق : ٣١-٣٢ .

(٣) انظر المرجع السابق : ٣٤ .

ساهمت مع البعثات التبشيرية الأخرى فى القيام بدورها فى محاربة الإسلام ، ونتيجة هذه الأعمال وغيرها تصدى النصارى لحمل القومية العربية وحمل الناس على اعتناقها وتظاهروا بالاهتمام باللغة العربية وخدمتها ليخدعوا بذلك المسلمين العرب . وأخذت تصدر إلى جانب ذلك الكتب والمؤلفات عن الأفكار الغربية واكتسحت البلاد موجة قوية نحو العروبة ، واعراض متزايد عن الإسلام وعن أفكار الإسلام . وهكذا قام مركز بيروت بضرب العقائد الإسلامية وأفكار الإسلام وبتحويل الناس إلى الغرب وإلى أفكار الغرب.(١)

ومن ناحية أخرى سعت روسيا القيصرية إلى فصل السلافيين عن الدولة العثمانية وسادت العالم الأوربى فكرة تقول بأن حل أى مشكلة كامن فى اقتطاع جزء جديد من جسم الدولة العثمانية . ولإنشاء دولة أرمنية نذر الأرمن أنفسهم أذلاء لروسيا القيصرية فقامت عصابات الطاشناق والهتشاق بنشر الرعب فى الأناضول والقيام بحركات الإبادة والتمرد ، ليكونوا السبب فى تدخل الدول الأجنبية . ثم إنهم أصبحوا مطية لليهود فى محاولتهم اغتيال عبد الحميد عند خروجه من صلاة الجمعة فى استانبول . وحاولوا نهب البنك العثمانى وتعاونوا مع الصهيونية السى أبعدها الحدود لتحقيق هدفهم المشترك وهو القضاء على الدولة العثمانية ، وعندما أراد الأرمن ضرب الجيش العثمانى من الخلف اثناء الحرب العالمية الأولى ، قرر الإداريون تهجيرهم (٢) . وقامت انجلترا تطالب السلطان بحقوق الأرمن ، وببقى الأرمن ينادون بأنهم مظلومون وآلفوا جمعية لتحريرهم ، ثم انتشرت فروع لهذه الجمعيات فى أوروبا (٣) للوصول إلى أهدافهم .

أما اليهود فى الدولة العثمانية وتاريخهم فيها وموقفهم منها : فمن المفيد أن نستعرض بعض وقائع هذا التاريخ ، فى القرن الخامس

(١) كيف هدمت الخلافة : ٣٤-٣٥ ، وانظر لتفصيل اعمال النصارى

الاتجاهات الكفرية عند العرب : ٢٥-٢٨ .

(٢) اسرار الانقلاب العثمانى : ٤٦ .

(٣) تاريخ سلاطين آل عثمان : ١٦٥-١٦٦ .

عشر أهدى تثار بلاد القرم السلطان سليمان القانوني فتاة يهودية روسية اسمها (روكزيلان) كانوا قد سبواها في إحدى غزواتهم ، فاتخذها القانوني زوجة له وسماها (خرم سلطان) . وكان لها نفوذ وموافرات في القصر وموافراتها كانت في عهد تعرض فيه اليهود في روسيا للظلم وفي اسبانيا للقتل والحرق والتشريد وعندما حصلت (خرم سلطان) على إذن من سليمان القانوني بالسماح لليهود باللجوء إلى البلاد بدأ اليهود بالهجرة أفواجا . واستمرت هذه الهجرة حتى إعلان الدستور . وهوؤلاء القوم الذين استغلوا كل شيء حتى أسماء انبيائهم وجربوا كل الخدع والموافرات السياسية لاسترجاع فلسطين التي فقدوها على مدى التاريخ . . لقد انتشروا في كافة الأقطار العثمانية وتجنسوا بالجنسيات الأجنبية للاستفادة من الامتيازات المعطاة لهم وتحينوا الفرص لمساعدة الجمعيات السرية في البلاد ، وأعفوا من الخدمة العسكرية وأسسوا مدارس وروابط خاصة بهم . وحصلوا على جميع الامتيازات ، كل هذا وأكبر عدو لهم هم الأتراك لأن فلسطين يحكمها الأتراك . هؤلاء اليهود لم تحسن نواياهم قط ، ومافتنوا يعملون في الخفاء ضد السلطان عبد الحميد مع أنهم عاشوا أرغد عيش في عهده ، كانوا هم السماسرة والاغنياء ، عاشوا حياة مترفة ومريحة في الممالك العثمانية (١) . ومن أجل ذلك أحس السلطان أن اليهود هم اخطر الفئات على عرشه فقال : لا أخشى من ثورة الروم والأرمن ولا الأرناؤط ، فأنا قادر على إخمادها إلا اليهود فإنهم اغنياء وأذكيا ومن الصعب مكافحتهم ، وعمل اليهود مع الاتحاديين في سبيل الوصول إلى أهدافهم ووجدوا في مدينة سلانيك مجالا سهلا للاتصال بعناصرهم . والتقت في هذه المدينة مصالح اليهود (من الدونمة والماسونيين) ومصالح الاتحاديين فاليهود راغبون في إبعاد عبد الحميد وهو ذات الأمر الذي يعمل له الاتحاديون . وقد وجدوا في المحافل الماسونية التي يديرها اليهود أماكن مناسبة لتحريك نشاطهم وفي عقد الاجتماعات والتنظيم والاتصال ونشر الأفكار (٢) وفي ١٠ / ٤ / ١٩٠٩

(١) اسرار الانقلاب العثماني : ١٢-١٣ .

(٢) حركة الجامعة الإسلامية : ٣٠٨-٣٠٩ ، ويهود الدنمة لمصطفى طوران

زحفوا إلى استانبول ، ثم اجتمع اركان جيش الحركة بأعضاء المجلس الملكى وقرروا خلع السلطان عبدالحميد . وأبلغ السلطان قرار الخلع عن طريق وفد ضم كلا من : آرام أفندى ، وهو ارمنى عضو فى مجلس الأعيان العثمانى وايمانويل قراصو : وهو يهودى إسبانى عينه الاتحاديون نائبا عن سلانيك فى مجلس المبعوثان ، وأسعد طويطانى ، وهو البانى ونائب فى مجلس المبعوثان ، وعارف حكمت : وهو فريق بحرى وعضو فى مجلس الأعيان (١) أما العناصر الوافدة : فقد ازدحت استانبول بالسكان من اجناس مختلفة سواء من طلاب العلم - خصوصا من البلاد العربية للدراسة فى الكليات العسكرية - أو طلاب كسب الرزق عن طريق التجارة مثل البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين والألمان ، وجاء بعضهم للعمل فى القصور أو فى الأمور العسكرية ومعظمهم جواسيس لبلادهم . وحينما عادوا إلى بلادهم بعد عملهم خصوصا كخبراء عسكريين كانوا يعرفون البلاد الإسلامية كمعرفة منازلهم . وقوى واشتد اختلاط المسلمين بالنصارى لما ضعف شأن الولاة وصاروا يستعينون ببعض النصارى مثل ما عمله مدحت باشا وغيره من الولاة . وكان الأجانب يشتغلون فى وزارة الخارجية العثمانية . وكان عدد الأروام أكثر من غيرهم وكثر عدد الأجانب فى المجال الاقتصادى والعسكرى وفى نهاية الأمر دخلت الأفكار الانفصالية إلى المجلس الوطنى العثمانى . وقبل سنة ١٩٠٠ انفتحت أبواب الدولة العثمانية على العالم الخارجى وكانت لها سفارات فى دول العالم وغالبيتهم من النصارى . وكان للدولة العثمانية فى سنة ١٨٦٦ سفراء فى اثنتى عشرة دولة ، سبعة منهم كانوا من النصارى فهم سفراء الدولة العثمانية فى إنجلترا وهولندا وبرلين وأمريكا وبلجيكا وإيطاليا) والكتاب العاملون فى السفارات كلهم كانوا من النصارى ، وغالبية القناصل العاملين فى دول العالم أيضا كانوا من النصارى (٢) .

اما الخبراء ، فقد كثر عدد الخبراء الأجانب فى اوائل سنة ١٩٠٠ وكان لهم دور كبير فى ميادين مختلفة وفى سنة ١٩٠٥ وصل

(١) حركة الجامعة الإسلامية : ٣٠٨ .

(٢) انظر قائمة اسمائهم بالتفصيل" التشكيلات المخصصة بالوثائق

لارجون هيج يلماز : ٣٦-٣٥ .

عدد الخبراء الروس إلى أحد عشر والنمساويين أحد عشر والفرنسيين عشرة وإيطاليين عشرة وإنجليز ستة والألمان واحداً. وكانوا كلهم يعملون في الدولة العثمانية وكان يعمل قبل ذلك التاريخ من بلجيكا أربعة وممن سويسرا اثنان من الخبراء ويصل عددهم إلى ستين ، وكان مدير مدرسة الضباط في سلا نيك إيطاليا ، ومفتشها ألمانيا ، وكانت مدرسة الأفراد الجدد للجيش في سلا نيك تحت إدارة الإنجليز (١) ، وكان أكثر قواد البحرية العثمانية والرتب العالية من الإنجليز ، وبعضهم كانوا أساتذة في كلية البحرية البحرية العثمانية ، وأدخلوا النظام الإنجليزي للدراسة فيها وغيروا الجداول والدفاتر (٢) ، واستمر التأثير بإنجليز حتى سنة ١٩١٤ .

وحيثما بدأت الصداقة الألمانية ، جمع الإنجليز حقائقهم وأدواتهم وتركوا البلاد ، ودخل الألمان ومنحوا الرتب والنياشين العسكرية . وأصبح الأساتذة من الألمان ، وغير القواد الألمان لغة التعليم من الإنجليزية إلى الألمانية ، وجاء عدد من قواد الألمان برتب مختلفة (٣) . ونذكر مثالا في بيان أهدافهم الصليبية : فحينما وصل هو "الضباط وزعوا مبالغ كبيرة من الأموال وكانوا يقولون أثناء دفعهم المبلغ " نحن نعطيكم هذا المبلغ نيابة عن الامبراطور الألماني " (٤) ، وحينما منع الأتراك هذه الأعمال قال القائد الألماني للقائد التركي - في منطقة سوريا والعراق - أنا ألماني لا بد لي أن أخدم مصالح ألمانيا . وقد اعترف موزع المبالغ بأنه استلمها من رئيس أركان القوات الحربية الألمانية ووزعها سرا بين المسلمين .

ولا تقل أعمال روسيا سوءا عن أعمال الغربيين . فيقول جاسوسهم پيزاني في ذلك : إذا حصلت على المال اللازم للتوزيع ، تحصل على الإنسان الذي تريد الاستفادة منه في أي عمل من أعمال الجاسوسية

(١) المرجع السابق : ١٨٣-١٨٤ . (٢) المرجع السابق ١٧٧-١٧٨

(٣) التشكيلات المخصصة : ١٧٧-١٧٨ .

(٤) المرجع السابق : ١٦٦ ، انظر أيضا : ١٧٦ .

فى استانبول وإذا دفعت مالا أكثر فلن يبقى شىء خفى أوسراً مامك،
وتنتقل الجاسوسية فى حى بيوغلو باستانبول من الوالد إلى الولد ومسـن
الأم إلى البنت بين الأسر المسيحية فيها ، وقد انتشرت الجاسوسية بين
التجار والمترجمين الأجانب والخدم والخادما ت (!) ، أما الأتراك فكانوا
يستغربون الواقع قائلين " كيف يحصل الأعداء على هذه المعلومات
المهمة والسرية ؟ " ومع ذلك كان المسؤلون يعينون الأجانب لإدارة -
المقامات العالية والمهمة مثل مقام قيادة الجيش وإصدار القرارات (٢) فذلك
إما خطأ وإما غفلة وإما خيانة ، وأياً كان الأمر فالذى يهنا هو النتيجة
وهى دور غير المسلمين فى إفساد المجتمع المسلم وتمزيق دولة المسلمين .

أما حكم الاستعانة بالكفار ، فنذكر فيه مثالا واحداً روى الإمام
أحمد بإسناد صحيح عن أبى موسى الأشعري قال : قلت لعمر رضى الله
عنه : إن لى كاتباً نصرانياً ، قال : مالك ؟ قاتلك الله ، أما سمعت الله
يقول (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعض) (٣) ألا اتخذت حنيفياً ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين لى
كتابته وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله . ولا أعزهم إذ أذلهم
الله ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله ، ولما دل عليه معنى الكتاب وجاءت
به سنة رسول الله وسنة خلفائه الراشدين التى اجمع الفقهاء عليها
بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم (٤) .

(١) المرجع السابق : ٣٣ . (٢) المرجع السابق : ٢١٨ .

(٣) سورة المائدة : ٥١ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية : ٥٠ .

(٢) البدع والخرافات والانحرافات

- أ (البدع والخرافات المنتشرة أيام محمد عاكف
ب) الانحرافات في الدولة العثمانية وفي تركيا

تمهيد :

وجدت البدع والخرافات والانحرافات في كل زمان ومكان من تاريخ الإنسانية. وكانت دعوات الأنبياء ترد الناس إلى الصراط المستقيم ، لفترة من الزمن ثم يعودون بعدها إلى الانحراف ، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل أنواع الضلال وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ولكن على الرغم من وجود جماعة على الحق في هذه الأمة ، دخلت بعض البدع والخرافات في حياة هذه الأمة ، وأصابها ما أصابها من تلك المخالفات . . . الخ ،

ولن نطيل الكلام في هذا المجال ، فقد ألفت في ذلك مؤلفات مستقلة ، ولكننا هنا نتحدث عن أحوال عصر محمد عاكف من الناحية الاجتماعية ، وقد انتشرت في ذلك الوقت في المجتمع التركي بعض البدع والخرافات التي بدأت قبل عصره واستمرت في أيامه وبعد أيامه إلى يومنا هذا .

كان المجتمع الذي عاش فيه محمد عاكف على صورة كريهة من الانحلال الخلقي ، وشيوع المنكرات حين تقارنه بالعصور السابقة فقد كثرت المخالفات للشريعة والخروج عليها والشروء بعيدا عنها وذلك لغياب الفكر الصحيح والرجال الكبار الذين يقفون عند حدود ربهم . وبدأ هذا الانحلال من الإداريين من رجال التنظيمات ثم الاتحاديين ومن أتى بعدهم ثم انتشرت المخالفات بين أنصارهم ومن تبعهم واتصل بهم عن طريق المحافل الماسونية ، والجمعيات والأحزاب ، ثم سرت تلك العدوى إلى الذين دافعوا عنهم وإلى بقية الشعب في نهاية الأمر .

وقد جاهد محمد عاكف ضد البدع والخرافات والانحرافات

وله موقف واضح من أنواعها جميعا كما سنذكر في الباب الثاني. وفيما يلي أبرز البدع والخرافات التي انتشرت في المجتمع أيامه .

أ (البدع والخرافات المنتشرة أيام محمد عاكف

انتشرت البدع أيام محمد عاكف لأسباب كثيرة وبواعث متعددة ليس هنا مجال البحث فيها، إنما نتحدث عن أهمها، فمن أبرزها القول في الدين بغير علم، وقبول ذلك من قائله، وممارسة الجاهل لأمر الفتوى والتعليم وقبول ذلك منه .

فإذا مارس الجاهل العلم، وأفتى في الدين وقع في البدعة قاصدا أو غير قاصد، وكان مبتدعا بادعائه العلم، وبما استحدثه مما يخالف الشرع بعد ذلك، وانتشار ذلك سبب في قبض العلم وكسوف الحق وانتشار الجهل. وألوان الجهل كثيرة وكلها مسارب للإبتداع ومسالك إليه ومن أهم هذه الصور: الجهل بأساليب اللغة العربية، والجهل بالسنة واتباع المتشابه، واتباع الهوى. وانتشر ذلك بعد استشهاد العلماء في الحروب الداخلية، والخارجية وبسبب وقوفهم ضد الانحرافات والتغريب. وقد قسم العلماء البدعة إلى أقسام، إلى عادية وتعبدية وإلى حقيقية، وإضافية وإلى فعلية وتركيبية (١). الخ، وإن من أسباب انتشار البدع بكل أقسامها عدم العمل على الوقاية منها، ومن أهم وسائل الوقاية: نشر السنة والتعريف بها على أوسع نطاق، وهذا هو ما نلمحه من الأوامر الصريحة بتبليغ السنة بمعناها الشامل للكتاب وما يبينه من الحديث. ومن وسائل الوقاية تطبيق السنة، وسلوك الفرد والمجتمع طريق السنة، والاسترشاد بما ترشد إليه في كل مجالات الحياة، وتقنين القوانين على أساس هذه المبادئ، وتخطيط التعليم والتربية تبعاً لتلك التعاليم (٢).

كانت البدع أنواعا كثيرة فمنها: البدع في العبادات، مثل:

(١) انظر تفصيل أقسام البدع (البدعة، تحديدها وموقف الإسلام منها):

(٣٥٥-٣٢٠).

(٢) انظر المرجع السابق: ٤٩٦-٤٩٧.

الاحتفال بموالد الرسول صلى الله عليه وسلم ، رغم أن الاحتفال بيوم المولد عمل محدث (١) وكان يجب تجريد ذكرى المولد من كل البدع كالاختلاط وتلاوة بعض القصائد فى المساجد بنية العبادة ، وتلاوة المولد مقابل مبلغ معين من المال مقرر بين الطرفين - القارىء* والمسؤول عن الحلقة (٢) - وأصبح من تقاليد الأتراك وعاداتهم قراءة قصائد المولد فى كثير من المناسبات مثل موالد الأطفال والوفيات ، وحفلات الزواج او بمناسبة مرور وقت معين على وفاة شخصية من الشخصيات . وقد منع الذكر وقراءة القصائد والصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت عال فى المساجد سنة ١٩٥٥ بقرار رقم : ٧٣٧ من قبل رئاسة الشؤون الدينية هيئة الاستشارة وتدقيق الآثار ، وأمر الأئمة والوعاظ والمؤذنون والمفتى بمنع تلك الأعمال فى المساجد (٢) .

ومن المخالفات فى العبادات ، إطالة الخطبة يوم الجمعة والعيدين أكثر من اللازم والاكتفاء بشيء يسير من التلاوة فى الصلاة والكلام وقت خطبة الجمعة أو الاشتغال باللغو ، وتحريف اسم عيد الفطر بعيده السكر (أى الحلوى) . وهناك بدع متعلقة بالزمان والمكان منها : السفر إلى مدينة كربلاء فى أوائل شهر محرم لأداء عبادة الزيارة . واعتبر الشيعة تلك الزيارة كالحج عندهم واتخذ بعضهم تلك الأيام أيام ماتم وحزن يوم ذون أنفسهم فيها وهى من العادات المنتشرة بين معظم فئوس الشيعة وفروعهم ، وانتشرت انواع من البدع عندهم وعند غيرهم فى تجهيز الميت وانتشر الاحتفال بأيام الولادة أو مرور عام على وفاة أحد الأقارب أو الأصحاب ، أما اتباع الجنائز بالموسيقا وذهاب النساء إلى المقابر فكان تقليدا لغير المسلمين فى أعمالهم وتقاليدهم . وانحصر مفهوم العبادة فى الشعائر التعبدية فضلا عما أصاب الشعائر التعبدية ذاتها من الرياء وعدم الإخلاص ووقوع الأخطاء فى أدائها وعدم نهيها عن الفحشاء والمنكر . ومن البدع كذلك طلب شفاء الأمراض وتلبية الحاجات

(١) انظر البدعة تحديدها : ٤٨١ .

(٢) انظر البدع والخرافات المدسوسة فى الاسلام : ٣ / ٧٦ .

من أهل القبور، فكانت تقصد القبور كل امرأة لاتلد. وتذكر حاجتها عند القبر إلى غير ذلك.

ومن البدع ظهور الاحزاب المنحرفة وانتشار الفرق المختلفة مثل الشيعة الذين يطعنون الشيخين ويرفعون عليا إلى مرتبة النبوة بل منهم من قال إن الله حل فيه وأولئك اتباع عبد الله بن سبأ ولهم اتباع إلى الآن في أنحاء العالم يسمون بالعلويين . وقد تمسك جمهور الأتراك بمذهب أهل السنة والجماعة ، ورغم ذلك انتشر في المناطق الشرقية مذهب الشيعة وانتقلت منهم بدع إلى غيرهم وذلك عن طريق الجرائد والمجلات والكتب والمنشورات الأخرى . ومن بدعهم ، رسم صورة مزعومة لعلي رضى الله عنه وطبع نسخ منها وتعليقها على جدران المنازل ، وتصوير قوته فوق قوة البشر، وعملوا في ذلك روايات وقصصا أدبية ، وقصائد فاسدة في مناقب أهل البيت ، وبعض هذه البدع دخل عن طريق إيران ، وقال بعض الشيعة في تركيا بعدم ضرورة الغسل لمن جامع واكتفوا بغسل عضو الجماع فقط . وقد اشتهرت هذه الضلالة والكفر عنهم ، وإن الطريقة البكتاشية (١) طريقة شيعية خالصة في المعتقد والاذكار والمشاعر .

(١) البكتاشية اسست في منتصف القرن السابع الهجرى ومازال لها أتباع إلى اليوم. وكانت هي البداية التي دخل عن طريقها الفكر الشيعي والمذهب الشيعي إلى العالم الإسلامى العثمانى السنى. تنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراسانى النيسابورى المولود فى نيسابور سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ، سافر إلى الدولة العثمانية فى أيام السلطان أورخان (١٢٨١ - ١٣٦٠م) وعمد هذا السلطان إلى الشيخ ليعلم اولاد الأسرى من أهل الذمة والأيتام وينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية. وكانت هذه الفرصة الذهبية لانتشار الطريقه وذلك أن هذا الجيش الذى عرف بعد ذلك بالجيش الاكشارى - أى الجيش الجديد - هو الذى كان عماد الحروب التركية بعد ذلك ثم كان هو الجيش المتسلط على كافة مرافق الحياة فى الدولة ، وهكذا استطاعت الطريقة

البدع فى السلوك : هناك بدع انتقلت إلى الأتراك من أيام جاهليتهم ، منها : الاختلاط بين البنين والبنات فى الحفلات خصوصا بين قومين هما الأباظة والشركس وجلوسهم مع بعضهم بعضا فى حفلاتهم التى تسمى "المحية" . وانتشرت ظاهرة تأخير الزواج من سن البلوغ إلى الخامسة والثلاثين أو الأربعين من العمر بلا عذر اتباعا لتقاليد آبائهم الاقدمين قبل الإسلام .

يقول محمد خير حفندوقة فى التقاليد والعادات الشركسية :
 " للمرأة منزلة كبيرة عندهم ، فهم يحترمونها ويستشيرونها ويقدمونها على انفسهم فى المجتمعات والمجالس ، ومن النادر أن يتجرأ شاب على خطبة فتاة قبل أن يتعرف على أمها ، وهناك" مثل يقول " أعرف الأم قبل أن تخطب الفتاة" . وللشركس حرية تامة للاختلاط مع الفتيات داخل بيوتهن وفى المجتمعات والأندية وحفلات الرقص الشعبى وتبادل الآراء ، ويستطيع الشاب الشركسى أن يتزوج من أية فتاة يحبها وتحبه ، وليس للأب والام أية سلطة على إرادة الفتاة إذا ارادت الزواج من شاب أحبته" (١) ، هكذا يصور المؤلف المنحرف الانحرافات فى هؤلاء القوم بإعجاب ، وهناك قوم آخرون يقال لهم اللاز ، انتشر بينهم الاختلاط فى الحفلات والمناسبات مثل حفلات الزواج . ومن البدع فى الحياة العائلية ما يستعمله الناس من الألفاظ البدعية لغرض الطلاق أو اللغوبه ، واستخدام عبارات تشتمل على

البكتاشية أن تنتشر ، وقد مر عليها أيام مدّ وجزر فى الدولة العثمانية فبينما ناصرها بعض السلاطين عارضها البعض الآخر مفضلين طريقة أخرى غيرها . فقد أمر السلطان محمود الثانى بالغاء الإنكشارية بعد أن عاثت فى الأرض فسادا واغلق كذلك زوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد (١٨٢٣-١٨٦١ م) عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى . وفى سنة ١٩٢٥ صدر مرسوم الحكومة التركية بالغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية وسافر آخر مشايخها إلى ألبانيا (انظر الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة : ٤١١) .

(١) الشركس (اصلهم تاريخهم عاداتهم) : ٧٥-٧٦ .

شروط معينة في الطلاق هو من الأقوال البدعية .

ومن البدع والضلالات : اتخاذ اليهود والنصارى نمودجا فى أعمالهم ، خصوصا فى سفور النساء وزعمهم أن عفة المرأة كافية لها ، ولا حاجة للحجاب والتستر ، وتقليد الكفار فى ارتياد الخمرات وأماكن الرقص ، والحضور فى حفلاتهم التى فيها اللهو واللعب والمسكرات فهذه كلها من الضلالات والمحرمات ، ومن العادات تزيين المساجد تقليدا لعمل النصارى فى كنائسهم . وكثير من البدع دخل بين المسلمين من الناحية التاريخية من طريق اليهود (١) ، وتدلل بعض القرائن والأدلة على أن أصل بعض البدع والانحرافات والخرافات من السحر والتشاؤم وغيره . . . خدعة يهودية أو بدعة هندية أو فارسية أو يونانية كادوا بها للمسلمين وفرقوهم شيئا وأحزابا .

ومن البدع بناء القبور وجعل بعضها مثل القصور ، واستخدام الإسمنت والرخام فى بنائها ، ووضع صورة الميت على حجر القبر ، ووضع مجموعة من الورود والزهور بجوار الجثة قبل الدفن وعلى القبر بعد دفنها وتأخير دفن الجثة لأجل الحفلات أو المراسم .

ومن الأمور المبتدعة أيضا : هدم مقابر المسلمين وجعلها أماكن للعب ، وحدائق ومقاهى يلعب فيها الميسر ، وأماكن للاستراحة وحدائق للأطفال ، إلى غير ذلك مع تركهم مقابر اليهود والنصارى والشيعية على حالها بل مراعاتها والحفاظ عليها بكل اهتمام .

ومن البدع : نقل الجثة بعد وفاة شخص من مكان وفاته إلى مكان آخر بتكاليف كبيرة لغرض إجراء حفلات بدعية . ومنها : النذور بأشياء غير مباحة مثل نذر ذبح الديك أو الدجاجة ، بجوار قبر من القبور . ونذر شمعة للقبور ، وقد دخلت تلك البدع من الصليبيين وانتشرت بين المسلمين ، ومنها زيارة بعض القبور قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها

(١) الجاهلية المحالية : ٩٦ .

مثل قبر مولانا جلال الدين فى مدينة قونية. ومنها : تقديم بعض القرابين لقدم بعض الناس المشهورين من السياسيين وغيرهم إلى بلد معين. ومنها ربط الحبال أو قطعة من القماش لغرض تحقيق بعض النوايا وطلب الحاجة بهذه الطريقة من الأشجار أو الأحجار والقبور. ومن ناحية أخرى وقع الغلو فى قبور أهل البيت وغيرهم من الشخصيات وبنيت عليها المساجد وبنيت لهم المشاهد ، فاتسع الأمر بالغلو فى الاموات وتعظيمهم. ومنها : صراخ بعض الناس خصوصا النساء وراء الميت ، ويتبرك بعضهم بالقبور. ويعتقدون فيها البركة ، واتخذ بعضهم للذبح مكانا مخصوصا لطلب الشفاء من أهل القبور لمرضاهم. ومن البدع أقوال المداحين فى المدح والثناء على بعض الاموات لغرض كسب المال أو المنصب، ومنها " غلـو العامة فى بعض رجال الصوفية وفى ارباب الزهد والتقوى واتخاذهم وسائل بين الله وبين عباده ، حتى إذا توفى الله اولئك الرجال شيئا على قبورهم الأضرحة والقباب وأسدلوا على القبور الستائر، ونسبوا إليهم من الكرامات المزعومة وكتبوا لهم السير والتراجم وسموها المناقب، تتلى فى مواسم حولية فى الجموع الحاشدة (١) .

ومن المخالفات التى وقعت فى المجتمع التركى بتأثير الكماليين ما يتعلق بالطهارة مثل : التوجه إلى القبلة فى الحمام، وبناء المنازل الموجهة دورات مياهها إلى جهة القبلة ومنها : لبس سروال قصير لا يستر العورة فى اثناء الغسل أو السباحة فى البحر وغيره من الأماكن والإختلاط بين النساء والرجال فى تلك الأماكن - فهذه من الضلالات -، وعدم الاهتمام بستر العورة فى الصلاة وفى خارجها ، والسفور، وتأخير الصلاة عن وقتها احتجاجا بأنه يجوز قضاء الصلوات المكتوبة ولكن لا يمكن قضاء جلسة الصحبة أو المحاضرة أو ماشابها ، واستمرار هذه الأعمال حتى فوات وقت الصلاة، ومنها تعليق صور إنسان أو حيوان على الجدران، وتربية الكلاب فى البيوت ، وقد انتشر التصوير والنحت أى الصور المجسمة ولم يستطع أحد منعها. وكان الواجب على العلماء أن يرفعوا اصواتهم مطالبين بمنع

صناعة التماثيل لذي الروح تحت أى دعوى وفى أى مكان . وإزالة ما هو موجود بالفعل منها كما تقتضيه أوامر الدين ، ومنذ زمن بعيد اشتغل عدد ممن ينتسبون إلى الإسلام بالسحر والالزام ، واتخذ بعض الناس القرآن تماثلاً ولم ينزل القرآن ليتخذ أحجية وتماثلاً ، ولا ليتلاعب به المتأكلون به الذين يشترون به ثمناً قليلاً . ومن البدع ما يعلقه بعض الناس على السيارات من صورة حيوان ونحوه ، وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت من حذوة حمسار أو حصان وتعليق سنابل من الحنطة أو غيرها . وقتل بعض الناس أولادهم خشية الفقر ، احتجاجاً بالأحوال الاقتصادية وعمله بعضهم قبل الولادة بالعملية الجراحية . وترك كثير من الأتراك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأخذ من الشارب واعفاء اللحي : " خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحي " (١) .

وقد ذكرنا كثيراً من البدع ولكنها فى الواقع أكثر من ذلك واحكامها فى الفقه الإسلامى مختلفة . بعضها شرك صريح وبعضها شرك خفى ، بعضها مخالفة بعضها حرام ولكنها نتيجة من نتائج جهل المسلمين بدينهم وعدم فهمهم لدين الله من نصوص الكتاب والسنة فهما صحيحاً . وقد كثر الجهال فى العهود الأخيرة حتى أصبحوا هم الحكام فهم الحجة على السنة الناس ، وكان أهل العلم - ومنهم محمد عاكف - يمنعون التشبه بأهل البدع والفسق لأن من تشبه بقوم فهو منهم .

أما الخرافات : فقد منع الإسلام التعلق بالأوهام والخيالات الكاذبة التى ليس لها فى واقع الإسلام سند . وعاب الإسلام على المقلدين تقليد الآباء وتمسكهم بما تناقلت الاجيال من الخرافات .

وقد انتشرت الخرافات من الاعتقادات المناهية للدين الصحيح ويدل ذلك على فساد التصورات فى الأمور الدينية . وينشأ أكثر الخرافات عن جهل حقائق الأمور أو عن اقتداء قوم - من أهل الخرافات - بقوم آخرين ، أو عن التربية على أوهام وتصورات باطلة ، وقد بذل بعض العلماء

جهدهم فى استئصال الخرافات من عقول الناس ولا سيما عقول النساء - ومنهم محمد عاكف كما سنبين فى الباب الثانى - وقد صادفوا فشلا فى أكثر الأحوال . وبقيت الخرافات منتشرة إلى يومنا هذا بين الناس وذلك رغم وجود براهين قاطعة على فسادها ومضادتها لمبادئ الدين الصحيح . ولا بد من تربية الأولاد منذ الصغر على مبادئ صحيحة تنزع الأوهام من عقولهم وتدفع ما يطرأ عليها من ذلك وتقويهم على رفض ما يطرأ عليهم من الأوهام والتصورات الباطلة ، وقد ترجم بعض المترجمين ميثلوجيا (خرافات) اليونان وبعضهم ترجموا خرافات الأتراك القدامى - من لغاتهم السابقة - إلى اللغة التركية الحديثة وهذه بعض الأوهام الباطلة فى المجتمع التركى :

" من يربط يده يقطع نصيبه " ، و " لا يجوز العمل وقت غروب الشمس خصوصا الخياطة " و " إن النظر المستمر إلى نقطة معينة يدل على قدوم الضيوف " و " اختلاج العين أو طنين الأذن يدلان على الخبر السيئ " و " من يبني منزلا مصغرا فى اليوم السادس من شهر مايو وهو يوم " الخضر والياس " يكون حظه بناء منزل حقيقى فى الأيام القادمة " ، و " لا يجوز عقد النكاح بين العيدين الفطر والأضحى " و " إذا اجتمع مولودان وأماهما مع بعضهم البعض فى خلال أربعين يوما بعد الولادة فسوف يتقوى أحدهما ويكون الثانى ضعيفا " و " لا يجوز الجلوس على عتبة الباب " و " من يضع رجله على رجل زوجه فى النكاح يكون هو المطاع والثانى المطيع " و " رقم " ١٣ " رقم مشئوم " و " ولا ينبغي السفر فى يوم الثلاثاء " و " إذا حملت امرأة رضيعا لم يمرض على ولادته أربعون يوما وهى حائض يمرض المولود " و " لا ينبغي الكلام وقت خياطة جزء من اللباس الذى يلبسه الإنسان " و " حين يرش الماء خلف المسافر وقت سفره يكون سفره سهلا " (١) إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة .

هذه بعض الخرافات التى نسجها الشيطان فى عقول الجهلة

فظنوها حقائق وتوارثها الأبناء عن الآباء .

(١) انظر الجاهلية الحالية : ١٠٩ .

ب) الانحرافات فى الدولة العثمانية

نذكر فيما يلى أبرز الانحرافات فى الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة العثمانية ونركز فى ذلك على أيام محمد عاكف بشىء من التفصيل ، فنبدأ بلغة الدولة : كانت لغة الدولة العثمانية اللغة التركية ، ولم تستعرب (١) . ومن أجل ذلك بقى فهم معانى الآيات والأحاديث والآثار الإسلامية محصورا بين أهل العلم فقط ، أما عامة المسلمين فقد اخذوا تعاليم دينهم عن علمائهم ، إما عن طريق النصح والإرشاد ، وإما عن طريق قراءة الكتب والمجلات والجرائد باللغة التركية .

يقول محمود شاكر : " لعل من أهم سلبيات الخلافة العثمانية ، والتي كان لها أثر فى إضعاف الحكم ، إهمال اللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وهما المصدر الرئيسى للتشريع وعدم معرفتها المعرفة الجيدة بسبب عدم الفهم الصحيح لأحكام الإسلام ، وكان يجب الاهتمام بها ، الاهتمام البالغ . وكان الاتجاه نحو اللغة التركية أكثر منه إلى اللغة العربية بصفة أن الخلفاء والحكام يجيدون التركية وهم من أبنائها وهذا غاية الجهل لأن العربية لغة الإسلام . صحيح أن بعض السلاطين أو الخلفاء سعوا وعملوا على إقامة المدارس باللغة العربية وأهتموا بالعلم الشرعى إلا أن ذلك كان دون المستوى المطلوب وأقل مما يجب أن يكون بكثير ، وكان على الخلفاء أن يتعلموا هم العربية ويشجعوا عليها (٢) . " ، ويشير عبد العزيز محمد الشناوى إلى التنوع البشرى فى الدولة العثمانية فى اللغات واللهجات فيقول : كانت نتيجة الفتوحات التى امتدت امتدادا عريضا واسعا فى ثلاث قارات هى : آسيا ، وأوروبا ، وإفريقيا ، إن أصبحت الدولة تحكم شعوبا اختلفت جنسياتها ودياناتها ولغاتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها . وتميزت بتنوع بشرى تناول الجوانب العنصرية واللغوية والدينية فمن الناحية العنصرية ضمت الدولة بجانب الأتراك العثمانيين رعايا من أقوام مختلفة . . ومن الناحية اللغوية كان رعايا الدولة يتكلمون بمجموعة

(١) انظر واقعنا المعاصر : ١٥٢ .

(٢) التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى : ٣٤ - ٣٥ .

من اللغات ، فضلا عن اللهجات المختلفة . أما الناحية الدينية فقد كان رعاياها : المسلمون السنيون ويشكلون نسبة عديدة عالية وطوائف من الشيعة ومن الطوائف المسيحية : الروم الأرثوذكس ، والكاثوليك ، والسريان اليعاقة والأرمن والأقباط والأحباش والموارنة واللاتين ، والبروتستانت واليهود (١) ، وقد جمعت الدولة العثمانية هؤلاء كلهم من فرق متعددة وأنظمة اجتماعية مختلفة بين سكان المدن والفلاحين وأهل القرى . ويبدو أن الدولة لم تتدخل في لغة هؤلاء بل تركتهم على حالهم وكتب كل واحد بلغته وتكلم بها ولم تحتم الدولة تعليم أية لغة من اللغات على جميع رعاياها ، ومع ذلك فقد انتشرت اللغة الفارسية بين الأدباء والشعراء واللغة العربية في مجال العلوم بين العلماء ، واللغة التركية بين الشعب التركي والعربية هي : لغة الثقافة والعلوم عند العثمانيين ، واشتقوا منها اصطلاحات علمية كثيرة .

يقول جمال الدين الأفغانى : من الخطأ عدم قبولهم اللسان العربى وأزداد تأثرا أن أراهم يرتكبون خطأ أفدح ، وهو جريهم وراء تترك العرب واستبدال اللسان العربى لسان الدين الطاهر ، والأدب الباهر ، وديوان الفضائل والمفاخر باللسان التركى (٢)

وفى الواقع كان السلطان عبدالحميد يهدف من سياسته الجامعة الإسلامية إلى تجميع مسلمى العالم تحت راية واحدة ، وكان من أعماله " المشروع الذى رفضه علماء الدين وهو تعريب الدولة العثمانية " (٣) ، يقول السلطان بالذات : اللغة العربية جميلة جدا ، لو وافقنا عليها كلغة رسمية لكان ذلك أفضل ، فانى اقترحت قبولها كلغة رسمية للدولة أيام صدارة خير الدين باشا ، ولكن رئيس الكتاب سعيد باشا رفض قائلاً :

(١) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ١ / ٩١ - ٩٣ مع تصرف .

(٢) خاطرات جمال الدين الأفغانى : ١٥٧ .

(٣) المعالم الرئيسية للأسس التاريخية والفكرية لحزب السلامة فى

تركيا لمحمد حرب : ٥ - ١٧ .

" لن يبقى شيء بعد ها للترك أبدا " ، ولكن قوله باطل لماذا نخاف بهذه الدرجة ؟ لو قبلناها تكون العلاقات بيننا وبين العرب أقوى وحين نريد فهم لغتنا الرسمية الحالية نراجع القواميس ونفهمها هذا هو الحل" (١) أما التتريك فكان من أعمال الاتحاديين بين سنتي (١٩٠٩-١٩١٨) وهم قوميون عملاء الماسونية والصهيونية ، وليس من أعمال السلطان .

والانحراف الثاني في الدولة العثمانية في رأى محمود شاكر هو: عدم الوعي الإسلامى الصحيح إذ كان كثير من المسئولين لا يعرفون من الإسلام سوى العبادات ، لذا كانوا يحرصون عليها وعلى تأديتها ، و يقيمون الاحتفالات ببعض المناسبات ، وهذه الاحتفالات ليست واردة ولا بذات اصل ويحرصون على الاذكار ، والانصراف احيانا إلى ذلك انصرافا تاما ، وهذا ما أدى إلى انتشار الطرق الصوفية ومع هذا الانتشار حدث التواكل وعدم السعى فى الأرض واضعاف فكرة الجهاد وعدم الانتاج وعدم مناهضة الكفار ومن هذه الأمور بدأ الضعف ينخر فى الدولة (٢) .

ان التصوف فى أيام العثمانيين كان امتدادا للتصوف الذى عرف فى أواخر العصر السلجوقى وعصر الممالك ، وإن اختلفت تياراته فى العهدين قوة وضعفا ، ومثال ذلك : كانت مدينة قونية مركز الدولة السلجوقية ومركز طريقة المولوية وعاشت أقوى أيامها آنذاك وان التصوف المملوكى لا يختلف عن العصر العثمانى فى نوعه وإن ظهر فارق قليل (٣) . وقد استفاد العثمانيون فى بداية تأسيس دولتهم من مشايخ الطرق الصوفية الموجودة فى منطقتهم مثل الشيخ " أدب على" (٤) ووصل الأمر إلى زواج أمراء العثمانيين ببنات المشايخ (٥) وكان السلطان عبد الحميد الثانى من الصوفيين (٦) ، ووصل الأمر إلى تأسيس هيئة مستقلة بعنوان " الجمعية

-
- (١) التاريخ العثمانى ، لأنور ضياء قرال : ٤٠٣ / ٨ .
 (٢) انظر التاريخ الاسلامى العهد العثمانى : ٣٥-٣٧ .
 (٣) التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى : ٥٤ .
 (٤) تاريخ معارف الترك : ٢٣٣ / ١ . (٥) اليوم العثمانيين : ٨ / ٢ .
 (٦) التاريخ العثمانى لأنور ضياقرال : ٢٤٩ / ٨ - ٢٥٠ .

الصوفية الاتحادية " سنة ١٩٠٨ ، و " مجلس المشايخ " وأسس منسوباً —
 الصوفية جمعيات و منظمات واستمرت نشاطاتهم إلى يوم الغاء الطرق الصوفية
 وظهر في تعداد عام ١٨٨٢ عدد مراكز الصوفية (٢٦٠ زاوية) لطرق
 مختلفة مثل النقشبندية والقادرية والرفاعية والخلوتية و السنبلية والسعدية
 والشعبانية والبدوية والجراحية والمولوية والجلشنية والبيرامية والعشاقية
 والسنانية والخالدية والشاذلية^(١) . أما " مجلس المشايخ " فيكون من
 مجموعة مختارة من مشايخ الطرق الصوفية كونوا لجنة بأمر القانون^(٢) وأسسوا
 مرة أخرى عام ١٩١٨ " الجمعية الصوفية " لجمع الطرق الصوفية في جمعية
 واحدة^(٣) . ورغم وجود هذه الجمعيات المعترف فيها من قبل الحكومة
 نرى في التاريخ العثماني معارضة بعض القضاة ضد الصوفية منها ما عملته
 جماعة قاضي زادة (أى أبناء القضاة) . ووقف هؤلاء الفقهاء ضد الصوفية
 ووصل الأمر والنقاش بين الطرفين إلى درجة المناقرة والهجوم على مراكز
 الصوفية ، والقتل والتهديد ، وانقسم الشعب في استانبول إلى قسمين :
 منهم من أيد القضاة ، ومنهم من أيد الصوفية^(٤) . وأفتى قاضي زاده محمد
 دوغاني بتحريم أعمال الصوفيين مثل سماعهم الموسيقى وذكرهم مجتمعين
 ومنع مؤيديه الناس من الذهاب إلى مراكز الصوفية ، ثم أفتى علماء مجموعة
 القضاة بكفر من واطب على الذهاب إلى مراكز الصوفية^(٥) . واستمرت القضاة
 في موقفهم فمنعوا المؤذنين من قراءة القصائد بالتغنى يوم الجمعة في
 مسجد الفاتح باستانبول^(٦) واستمروا على فتواهم بتحريم دخول الناس
 إلى زوايا الصوفية . ثم قالوا : من يذهب إليها فهو آثم^(٧) واستمر الخلاف
 بين الطرفين فترة طويلة ، ثم ازداد نفوذ الصوفية مرة أخرى .

ووضع متصوفة العصر العثماني آداباً ألزموا بها كل من سلك على

-
- (١) تاريخ معارف الترك : ١ / ٢٤٠ . (٢) المرجع السابق : ١ / ٢٨٠ - ٢٨١
 (٣) انظر المرجع السابق : ١ / ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ .
 (٤) انظر التاريخ العثماني لاسماعيل حقي : ٣ / ٣٥٤ - ٣٥٦ .
 (٥) المرجع السابق : ٣ / ٣٥٩ . (٦) المرجع السابق : ٣ / ٣٦٤ .
 (٧) المرجع السابق : ٣ / ٣٦٦ .

دربهم ، وكان بعضها يقضى بمحبة الجهل وعدم التعلم على يد مدرس أو كتاب وتجنب التفكير فيما يعرض للإنسان من ظواهر أو يساور رأسه من خواطر وآراء ، ففضوا بذلك على الحياة العلمية عند أهل الطريق وقتلوا حيوية التفكير في اذهانهم..، وكان مما يلفت النظر في شأن الصوفية ، تحولها من ظاهرة وجدانية فردية إلى ظاهرة اجتماعية تتمثل في حياة أتباع المشايخ في رحاب الزوايا تحت إرشاد شيوخهم ممن مكنتهم شخصيتهم من اجتذاب المريدين ويسرت لهم ثقة المحسنين من الأمراء والأثرياء الذين تكفلوا بكل ما تتطلبه حياة هؤلاء المجاورين المنقطعين لعبادة الله في زواياهم ، إذ كانوا يعيشون من فيض الاوقاف (١) . وانتشرت الزوايا في العصر العثماني في جميع أنحاء الدولة خصوصا في استانبول ، وقد كان لما اشيع عن كرامات الأولياء... وغيرهم مما يكشف الضر ويزيل الكرب أثر كبير في تعلق الناس بالزوايا خصوصا أيام المرض والحاجات ، أما العبادة عند رجال الزوايا : فقد كان أكبر ما يشغلهم من أمر العبادة ، الانقطاع للتهجد وذكر الله وإقامة الصلاة ، وقراءة الاوراد ، وتلاوة القرآن ، ويلى هذا الاطلاع على كتب الصوفية والعلوم الدينية اجمالا (٢) .

وكان الذكر أثر العبادات عند أهل التصوف جميعا إبان هذا العصر فقد قام النزاع بين أهل التصوف بسبب المفاضلة بين ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز فقال قائلهم إن الذكر أثر للمريد ، أما تلاوة القرآن فأفضل للكامل الذى عرف عظمة ربه ، واتفقوا جميعا على أن ذكر الله والاشتغال برياضة النفس أفضل من الاشتغال بالعلم (٣) ، وكان يملأ الكثير من مجالس الذكر الطبول والنايات والأعلام والرايات عند بعض الطرق مثل المولوية .

أما الخلوة : فكان المراد بها اعتزال المريدين للناس للتفرغ لذكر الله والانقطاع لعبادته ولهذا كثرت الخلوات بين جدران الزوايا وخارج جدرانها ، وانتشار الزوايا في الدولة العثمانية يساعد على تصور كثرة

(١) التصوف في مصر آبان العصر العثماني : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) المرجع السابق : ٦٠ . (٣) المرجع السابق : ٦٢ - ٦٣ .

الخلوات التي عرفها أهل التصوف أيام العثمانيين ، بل لم تكن الزوايا وحدها مقر الخلوات فقد وجد بين المتصوفة من تفرغ لعبادة الله دون أن تكون له زاوية يقيم فيها مع مرديه . وللخلوة التزامات لا تستقيم بدونها عند الصوفية ، وهى : ندرة الكلام وقلة الأكل والنوم (١) . وقد ظهرت طرق الصوفية وانتشرت فى الدولة العثمانية على نطاق واسع ، وقد وجد التصوف مع الدولة العثمانية إلى نهايتها ليس بين الشعب فقط بل بين السلاطين قيل : أن السلطان سليم الأول كان من الصوفية يدخل حلقتهم (٢) ، ويقول هو فى بيان ذلك : نحن لانسافر إلى جهة من الجهات إلا إذا أمرنا به وكان لأجدادنا نصيب من الولاية وكان لهم كرامات ولكننا لم نمائلهم فى ذلك (٣) .

ومعنى ذلك أن السلطان يخرج للجهاد بعد استشارة شيخه فى الصوفية لذا أسسوا "طابور المجاهدين المولوية" أى وحدة عسكرية تابعة لطريقة المولوية وكذلك الطرق الصوفية الأخرى (٤). وفى كثير من الأوقات كان دور الصوفيين فى وقت الجهاد عبارة عن النصح ، والحث على الجهاد والاستشهاد والصبر والمصابرة .

أما البكتاشية من الطرق الصوفية الشهيرة فى الأناضول وروملسى فنذكر بعض الأمثلة عن انحرافاتهما وضلالهما . كانت لا تلتزم بأوامر الإسلام ونواهيها ، فتهمل الصلاة أو تتركها تماما ، وترتكب الفاحشة . الخ . وإذا قيل له لماذا تشرب الدخان ؟ يجيب قائلا : أنا ما أشربه بل أحرقه ، هذا هو أسلوب البكتاشية فى الرد على الأسئلة والدفاع عن انحرافاتهم ، وقد استمرت نشاطات الزوايا البكتاشية فى إضلال عقول الناس وإفساد عقائدهم إلى يومنا هذا ، واستمرت أفكارهم الضالة المضلة بين غلاة الشيعة فى تركيا (٥) .

- (١) المرجع السابع : ٦٨-٦٩ .
 (٢) تاريخ التواريخ لخواجه افندى : ٦٠٢/٢ ، ٦١٩ ، مجلة الخزامى : ٣٠ .
 (٣) مجلة الخزامى : ٣٠ .
 (٤) بديع الزمان سعيد النورسى لجمال كوطاى : ١٤٠ .
 (٥) الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبيد الخالق : ٤١١ ، انظر تفاصيل أعمالهم ، المنظمات العسكرية من أفراد الجدد فى الدولة العثمانية ، لاسماعيل حقى : ٥ / ٢ - ١٤١ ، ١٤٤ ، ٢٠٥ .

وهناك شخص اشتهر بضلالاته وهو: الشيخ بدر الدين (١٣٧٠-١٤٢٠) صاحب كتاب واردات ، نشر أفكاره الإباحية ، وجمع حوله مجموعة من الناس من المسلمين و اليهود والنصارى ، ووعدهم بجمع الثروات بالسهولة ، وانتشرت حركته فى الأناضول والبلقان ، ومن بين أفكاره الصريحة إنكار الحشر الجسمانى ، وإنكار أشراف الساعة ، توفى عام ١٤٢٠م واشتهر إلى يومنا هذا باسمه : بدر الدين سماوى ، أو الشيخ بدر الدين (١) .

وقد استمرت الصوفية فى الدولة العثمانية من أول يوم أسست فيه إلى آخر يومها بكل مؤسساتها ، أما فى الجمهورية التركية . فقد حرمت رسميا جميع الطرق الصوفية فى حزيران ١٩٢٥ ، وفى أيلول أغلقت جميع زوايا الدراويش (٢) وحظر كل نوع من نشاطاتها وحظرت الألقاب الصوفية مثل الدراويش والمريد والأستاذ والسيد والشلى والنقيب ، وكل من يفتح المنصوص على اغلاقه من الزوايا والتكايا أو يفتتح جديدا منها ، أو يوءجر مكانا لأناس يقومون بما كان يقام فيها من أعمال ولو مؤقتا ، أو يستعمل العناوين والألقاب المحظورة أو يكتسى أزياءها يجازى بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة (٣) - على حسب ذلك الوقت ولم يكن معظم الناس يستطيع الحصول عليها - وقد صدر القانون فى ظروف كانت رهبة التنكيل وأحكام المحاكم العسكرية قائمة سائدة .

وفى رأى ارول كركور: اقترب الحكام من الطرق الصوفية حتى القرن الخامس عشر ، ووسعوا سلطاتهم ، ودخلوا أحيانا بينهم ، وفى أقل تقدير اكرموا كبار الصوفيين ماديًا ، وتوقفت حركات الطرق الصوفية بعد القرن الخامس عشر وسبب ذلك عدم الاستقرار السياسى وبعد ذلك استمرت فعالية الطرق الصوفية (٤) ، بل استمرت فعاليتهم بعد منع وجودهم

(١) انظر التنظيم فى المؤسسات العثمانية ومدخل تاريخ الحضارة

لطبيب كوك بلجين : ٦٦-٧١ .

(٢) العلمانية لعبدالكريم المشهدانى : ٣٠٢ .

(٣) المراجع السابق : ٣٠٤ .

(٤) مسائل الصوفية الاسلامية : ١٩٧-١٩٨ .

رسميا ولكن ليس فى داخل الزوايا ، لأنها أصبحت محظورة ، لذا انتشروا داخل المجتمع التركى ، ولا يزال بعضها يمارس نشاطاته فى أيامنا هذه .

وقد حاول شيخ الإسلام أبو السعود (١) منع الانحرافات فى الأقوال والأفعال وغيرها، والأعمال البدعية ، ومن بينها الطرق الصوفية المنحرفة وحينما سأله عن قول بعض الناس : إن شيخنا امرنا بهذا قال : إذا تركوا السنة وتمسكوا بقول شيخهم ، ورجحوا قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب قتلهم جميعهم مع شيخهم (٢) . ويصور مدحت جمال الانحرافات المنتشرة بقوله : كان فى نهاية القرن التاسع عشر فى الدولة العثمانية نوعان من الناس أكثر قيمة وشهرة هما : شاتم القصر (أى الخليفة عبد الحميد الثانى) و شاتم الدين (٣) ، وأشار ماهر إز إلى انحراف الجيل بقوله إنه اثناء مشيه جوار مقبرة والناس يمشون حوله : أشار إلى قبر من القبور وقال : لوبعث هذا الشخص من قبره الآن ، ولو رأى حفيده المنحرف فى سلوكه والماشى جواره ، لمات من ضغط القلب بعد مشاهدته انحراف حفيده (٤) .

وقد وجد الانحراف أيام العثمانيين كما وجد فى كل فترة من فترات التاريخ ، ووجد فى المجتمع العثمانى من يشرب الخمر سرا ، ومن يترك أداء بعض العبادات ، ومن لم يتمسك بأوامر الله فى التجارة وفى المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية . أما الانحراف بعد العثمانيين فمختلف تمام الاختلاف عن أيام العثمانيين ، والمنحرف العثمانى كان يؤمن إن نظام الإسلام حق ، والمنحرف الحالى يؤمن أن نظام الغرب حق ، ذلك كان يطيع ويعصى وينحرف أحيانا ، أما هذا فلا يطيع ولا يؤمن ان عليه طاعة ربه . ومعنى ذلك : " شغل المسلمون عن الإسلام الصحيح ببذع وخرافات ومعاص وتواكل وتقاعس ووقوع عن الأخذ بالاسباب فى فترات من

(١) هو أبو السعود محمد بن محمد العمادى ولد فى ٣٠ / ١٢ / ١٤٩٠ وعمل

استاذاً فى المدارس العثمانية وجامعاتها وأصبح شيخ الإسلام فى

١٥٤٥ وتوفى فى ٢٣ / ٨ / ١٥٧٤ (انظر حياته ، فتاوى شيخ الإسلام

أبو السعود : ٢٢-٢٣ .

(٢) المرجع السابق : ٨٦ رقم : ٣٥٣ . (٣) محمد عاكف مدحت جمال : ١١ :

(٤) من الامس الى الغد : ٤١

تاريخهم ولكن الإسلام ذاته لم يكن في نفوسهم موضع نقاش لا بوصفه عقيدة ولا بوصفه نظام الحكم ونظام الحياة ، وحتى حين هزموا أمام الصليبيين وأمام التتار فلم يكن صدى الهزيمة في نفوسهم هو الشك في الإسلام ذاته عقيدة أو نظام حياة ، ولم يكن هو التطلع إلى ما عند أعدائهم من عقائد أو أفكار أو مشاعر أو نظم أو أنماط سلوك ، أو الظن - للحظة واحدة - أن أعداءهم يملكون شيئا من " الحق " تقوم حياتهم عليه ، أو أن هناك شيئا - غير الإسلام - يمكن أن يكون هو الحق في العقيدة وفي نظام الحياة سواء .

ولم تكن قضية الحكم بما انزل الله موضع شك منهم ولا موضع نقاش لأنها كانت جزءا لا يتجزأ من إسلامهم ، بل كانت في حسهم - كما هي في الحقيقة - هي المقتضى المباشر لكونهم مسلمين لذلك لم يهينوا - حتى وهم مهزومون أمام أعدائهم فترة غير قصيرة - ولم يشعروا أنهم أدنى من أعدائهم ، كانوا يشعرون - حتى وهم مهزومون - بازدياد شديد لأعدائهم ، لأن عقيدتهم وتصوراتهم لا تتفق مع العقيدة الصحيحة والتصوير الحق ، ولأن أخلاقهم وأنماط سلوكهم لا تتفق مع أخلاقيات الإسلام وأنماط سلوكه . كان التتار - في حسهم - همجا لادين لهم ولا حضارة ، وكان الصليبيون هم عباد الصليب ، وكانوا فوق ذلك منحلّي الأخلاق ، لا غيرة لهم على عرض ولا حفاظ . أما في الحروب الصليبية الأخيرة ، فقد كان الموقف قد تغير كثيرا عن ذي قبل كان المسلمون قد انحرفوا انحرفا شديدا عن حقيقة الإسلام لا في السلوك وحده ، ولكن في التصور كذلك (١) .

في كثير من جوانب الحياة

ورغم وجود الانحرافات في العثمانيين* كانت شريعة الله مطبقة في المحاكم وشعائر الإسلام مرعية وذلك خلافا لما حصل بعدهم ، فقد ضعف الإيمان في كثير من أفراد المجتمع ، وضاع إيمان كثير من المثقفين وأحدوا وحاولوا نشر الحادهم في جرائدهم ومجلاتهم ، ومن ناحية أخرى انتشرت الطورانية وأظهر كتابهم في كتاباتهم دين الأتراك في جاهليتهم ونشروا أسماؤها الهتهم وأنواع عباداتهم وتقاليدهم (٢) ، وخذع بها بعض الشباب وزعموا

(١) واقعنا المعاصر : ٧-٨ .

(٢) ترك الأتراك " الشامانية " دينهم في جاهليتهم ولكن استمر بعضهم على تقاليدهم الجاهلية مثل مراسم المأتم (انظر تاريخ فكرة حاكمية العالم عند الأتراك لعثمان طوران : ١٠٣/١ ، ١٠٩ .

أن الأتراك كانوا في جاهليتهم على شيء يذكر . وأيقنوا بضرورة التمسك بالطورانية ، وافتن بعض الشباب بالغرب عموما ، وبالثورة الفرنسية خصوصا وظنوا أن " ترك الدين كاملا " من متطلبات التطور . أما عامة الناس فكانوا يتمسكون بالإسلام كما أخذوه عن آبائهم وطبقوه كما وجدوه ، وقد ظهرت الانحرافات في المثقفين أكثر من السواد الأعظم من الأتراك ، واتصل كثير من المنحرفين بالغرب ودرسوا كتبهم وأخذوا شبهاتهم حول الإسلام .

وفي مجال الأخلاق ، فقد اشتهر الشعب التركي بتمسكه بالأخلاق الإسلامية وكان يحترم العلماء ويستجيب لتوجيهاتهم وحينما عرف المنحرفون واليهود والصليبيون ذلك ، حاولوا إفساد أخلاق أفراد المجتمع التركي بطرق متعددة ، عن طريق الصحف والمجلات والأفلام والإذاعة ومجال التعليم إلى غير ذلك من الطرق والمجالات . ومن جهة أخرى شوهوا سمعة علماء الإسلام في المجتمع ، ونسبوا إليهم كثيرا من السيئات وجعلوهم في وضع حرج لا يسمع لهم ولا يطاع لهم أمر ، وذكروا في كل مناسبة من المناسبات حكايات مزورة ضد الدين وأهله عموما وعلماء الدين خصوصا ولاشك في كون هذه الظاهرة من صنع أعداء الدين من اليهود والنصارى والماسونيين وعملائهم .

(٣) التعليم

- أ (التعليم فى الدولة العثمانية إلى نهاية أيام السلطان عبد الحميد الثانى .
 ب) دور المدارس الأجنبية والمربيات الأجنبية فى إفساد التعليم .
 ج) التعليم بعد السلطان عبد الحميد الثانى ومحاولات اصلاح المدارس .
 د) نهاية المدارس الإسلامية وفساد التعليم بعد الدولة العثمانية .

تمهيد :

كان الكثير من خلفاء بنى عثمان من أهل العلم والأدب ، كان محمدا لفتح عالما وأديبا وشاعرا ، والسلطان عبد الحميد الثانى محبا للعلوم . . الخ ، وهناك أدلة كثيرة على اهتمام الخلفاء بالعلم وأهله ، وحشهم على طلب العلم .

وقد رفع السلطان عبد الحميد مكانة العلم فى أيامه وكثرت عطاياه للعلماء ووسع لهم المجال وشجعهم على دراسة العلوم المفيدة وشجع الطلبة على دراسة سائر العلوم غير العلوم الدينية كالرياضيات والفلك والطب والمعادن والزراعة والتجارة . . . الخ ، وتكونت فى قصر يلدز مكتبة كبرى كانت هى الدليل الواضح على الدرجة العليا التى بلغتها الثقافة الإسلامية فى عصره . وكان من حظ الدولة أن دامت خلافته (٣٣) سنة وقد تفرغ العلماء لتنشيط الحركة العلمية وأقبل المفكرون على وضع المؤلفات وكان من ذلك كتب محمد عاكف . وأن رسائل الشيخ مصطفى صبرى^(١) تعطى صورة وافية عن العلماء الذين كانوا فى استانبول ، وأنهم ليسوا بأقل من العلماء الموجودين فى البلاد الإسلامية الأخرى مرتبة ، فالحاصل أن العلم لم يضعف فى أيامه ، وكانت مدينة استانبول فى أيامه مركز التقدم العلمى ومركز العلماء ، وملتقى الأدباء والمثقفين كما كانت فى ذلك الوقت أكثر بلاد العثمانيين كتباً ، وأحفلها بالخزائن والمكتبات ، وقد جمع السلطان وطبع من الكتب فى جميع أنواعها المفيدة ما لم يجمعه احد قبله من السلاطين والملوك .

وضعف التعليم بعد السلطان بضعف السياسة عند الثوريين وفيما يلى

بيان عن وضع التعليم فى الدولة العثمانية فى عصورها الأخيرة .

(١) انظر ص : ١٨٥-١٨٦ من هذه الرسالة .

أ) التعليم في الدولة العثمانية إلى نهاية أيام السلطان عبد الحميد الثاني

انتشرت المدارس في الدولة العثمانية اعتباراً من تأسيسها، فأُسست أول مدرسة في مدينة ازنيق مركز الدولة أيام السلطان عثمان بورصة في عام ١٣٢٦ (١٢٥٨-١٣٢٦) وحينما أخذ السلطان أورخان (١٢٨١-١٣٦١) مدينة بورصة في عام ١٣٢٦ نقل مركز الدولة إليها وأنشأ فيها مدرسة سماها " مناصطر " ثم أنشأ الوزراء والأمرء المدارس والمؤسسات العلمية والاجتماعية الأخرى .

و حينما فتحت مدينة أدِرنة عام ١٣٦٣ ، انتقل مركز الدولة إليها وبنيت فيها المدارس ، وكان مركز الدولة مركزاً للعلم والمعرفة في نفس الوقت. وهكذا انتشرت المدارس في تلك المراكز، وحينما فتح السلطان محمد الفاتح (١٤٣٢-١٤٨١) مدينة استانبول عام ١٤٥٣ ، فتح المدارس المسماة " صحن الثمان " - مدارس ثمان - وفي أيام السلطان سليمان القانوني فتحت مدارس السليمانية ، ثم تطورت هذه المدارس وبنيت مدرسة الطب - دار الشفاء - ومدارس دار القراء في مستويات مختلفة . مسن الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعة والتخصصات المختلفة ، من الطب والرياضيات والطبيعيات . . . الخ . وأسست الأوقاف ، خصوصاً للمدارس. واستمرت أنواع التعليم على حسب رغبة أصحاب الأوقاف في شروط وقفياتهم (١) واستمرت أنواع التعليم في المدارس التابعة للأوقاف عدة عصور حتى الغيت المدارس ووزارة الأوقاف . يقول جمال كوطاي : " فتحت المدارس السليمانية باستانبول ، وفتح ملك فرنسا فرانسوا الأول المدرسة المسماة " دو فرانسيس كولج " باستانبول وفتح مظهرها بفرنسا وتحولت هذه إلى جامعة السربون ولكن المدرسة التي فتحها باستانبول بقيت على حالها في السابق " (٢) وأخيراً

(١) انظر للتفصيل : التعليم الديني العالي في الدولة العثمانية لحسين

أطاي : ٧٦ ، المؤسسات العلمية في الدولة العثمانية لاسماعيل

حقي : ٢-٣ ، من الشريعة إلى العلمانية : ٣٥٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي : ٦٣ ، ويقصد بقيت على حالها إلى وقته

ولكنها تحولت فيما بعد إلى جامعة . انظر ص : ٨٥ ، من هذه

الرسالة (ب) دور المدارس الأجنبية والمربيات الاجنبيات في التعليم .

فقد تحولت المدرسة التي فتحها فرنسو الأول في استانبول إلى جامعة ولكن لم يبق وجود لمدارس السلطان محمد الفاتح ولا مدارس السليمانية ، كما سنكتب ذلك في المبحث القادم .

أما مراحل التعليم : فقد جعل العثمانيون التعليم الابتدائي إجباريا في أوائل القرن التاسع عشر لأول مرة في العالم ، أما الكتاتيب فقد وجدت في القرى وفي أحياء المدن ، وكانت كثيرة الانتشار ، وكانت توجد في كل قرية تقريبا مدرسة على حسب ظروف القرية ، يذهب إليها الطلاب والطالبات ويبدأ بتعليم الأبجدية وقصار السور ، وبعد فترة يأتي دور المدرسة الابتدائية ، وقد امر شيخ الإسلام فيض الله أفندي القضاة بتعميم له سنة ١٨٢٤ ، بأن يجعلوا تعليم القرآن والمعلومات المبدئية للإسلام إجباريا وفي ذلك التاريخ لم يكن تعميم التعليم على الجميع قد بدأ كأمر جدى فى أوروبا . وكان من بين مواد القانون الاساسى المنشور فى ٢٣ / ١٢ / ١٨٧٦ ، " أن يكون التعليم الابتدائي إلزاميا بالنسبة لجميع العثمانيين " (١) وأنشاء السلطان عبد الحميد المدارس التي تعد للدولة الإنسان المثقف مثل المدارس الملكية (أى كلية العلوم الإدارية) وأنشأ للفتيات دار المعلمات (كلية البنات) لتخريج المعلمات للمدارس ، لا يختلطن فيها بالرجال ، وجعل المدرسة السلطانية باستانبول فى مستوى الجامعات الأوروبية ، ولم تقتصر جهوده فى إعداد أشخاص متعلمين على فتح المدارس فقط ، وإنما شجع هؤلاء الذين يعدون انفسهم بانفسهم فساندهم وايدهم ماديا ومعنويا . ومنهم جودت باشا واحمد مدحت افندى من المؤرخين ، وأمر أيضا بحماية الأدياء ورعايتهم وكانت " دار الشفقة " قد أهملت فأمر السلطان بتأسيس هذه المدرسة لرعاية يتامى الدولة ، والغريب أن مخالفه درسوا كلهم تقريبا فى المدارس التي افتتحها هو ، فهؤلاء اطلقوا عليه لقب " عدو العقل والعلم " وفى واقع الأمر ، بذل السلطان كل ما فى وسعه لكي يرى فى كل قرية مسجدا وبجانبه مدرسة ، وقد طبعت كثير من الكتب القيمة فى عهده وراجت بيعا وقراءة . وأرسل البعثات إلى أوروبا للدراسة ، وأدى أكثرهم خدمات خيرة للدولة ودرس الناس وتعلموا فى أيامه وانتج عهده العلماء (٢)

(١) من الشريعة الى العلمانية : ١٤-١٧ .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب : ٧٦-٧٧ .

وإن كانت سياسة الابتعاث إلى أوروبا قد أتت بنتائج سيئة فيما بعد بسبب تأثير المبعوثين بالأفكار الغربية وكل إنسان أظهر من المعرفة ولو قد را يسيرا وجد اهتماما كبيرا . ومن أعماله أنه ادخل " التلغراف " فى أرجاء الدولة وأمكن اعداد موظفين فنيين يديرون شبكة البرق " التلغراف " التى تربط أهم الولايات بالعاصمة ، وقامت تجارب على الغواصات فى استانبول ولكن ترك هذا العمل بعد السلطان ، والأعمال التى قام بها السلطان عبد الحميد تملأ كتباً ذات مجلدات وبخاصة فى مجال التعليم لأنه هو الذى رفع مستوى الثقافة بين افراد الأمة . وهذا بعض ما فتحه من المؤسسات التعليمية : مدارس الصبيان (الروضة) والابتدائية والمتوسطة والثانوية فى كافة الولايات وأكثر المناطق ، وكذلك افتتح المدارس الابتدائية فى جميع القرى ، وأنشأ دورا للمعلمين فى عدد كبير من الولايات وكلية البنات وكلية الفنون للبنات ، وكليات العلوم الإدارية والسياسية والفنون الجميلة والهندسة العالية ، والمالية والتجارة والزراعة العليا والتجارة البحرية وإخراج المعادن ، واللغات الأجنبية وتعليم المعوقين ، والطب . وكانت هناك كلية واحدة فقط للحقوق فى استانبول إلى أيام السلطان عبد الحميد . ففتح هو كليات أخرى للحقوق فى سلانيك وحلب وقونية ، ووصل عدد الكليات الحربية إلى ثلاث وقسمت كليات الطب إلى عسكرية وملكية ، وأتوا بالاساتذة من الغرب ، وكان يريد أن يجعل المدارس منبع العلوم التجريبية وفى مستوى المؤسسات العلمية المعاصرة ودبر التدابير اللازمة فى هذا المجال (١) ولكن لم يتحقق ذلك ، وفكر فى نشر الفكر الإسلامى بأجهزة عصره . وعن طريق علماء الإسلام وسعى لنشر المدارس والجامعات وتوسيع نطاقها لأنها نقطة البداية للخلاص . فتح مدرسة للأمرء وأولاد آل عثمان فى يلدز ، وسجل فيها أيضا أولاد رجال الكبار للدولة وأراد الحفاظ على الأمرء وغيرهم من الأفكار الضارة الموجودة فى المجتمع (٢) ، وفتح عام ١٨٩٢ " مدارس العشيرة " فى استانبول لأولاد شيوخ القبائل العرب ثم الأكراد والألبانيين تحت رعايته المباشرة وقصد بها تلقين فكرة الجامعة

(x) عسكرية وغير عسكرية .

(١) انظر بديع الزمان سعيد النورس لجمال كوطاى : ٧٧ .

(٢) انظر التاريخ العثمانى لانور ضياء قرال : ١ / ٨ - ٤٠ .

الإسلامية والحفاظ على أولاد كبار رجال القبائل من المؤثرات الخارجية (١).
 وفتح كليات أخرى كثيرة للصناعة والعلوم والفنون والعلوم الإدارية والشرطة
 . الخ . والكليات العسكرية مثل الأركان الحربية وتعليم الضباط
 النموذجية والمهمات، والدوائر الحربية، والبحرية . . وغيرها من الكليات
 في تخصصات مختلفة (٢) .

وهاهى بعض المؤسسات الثقافية التي افتتحها : متحف الآثار
 القديمة ، المتحف العسكري، ومكتبة بايزيد ومكتبة يلدز (٣) ، وارسل بعثات
 عسكرية للتدريب فى الجيش الألماني، وجهاز الجيش بالأسلحة الحديثة،
 وجعل التعليم بالمجان، وترجمت الكتب من عدة لغات، ولم تكن النهضة
 الفكرية قاصرة على الناحية الأدبية والدينية، بل شملت العلوم التطبيقية
 حيث ارسل الطلاب إلى مدارس الغرب لاعداد طائفة من المتخصصين، ولكن
 طلاب البعثات التعليمية لم يشتغلوا بالعلوم والفنون، بل وقفوا ضد الدولة
 والسلطان، وأنشأوا فروعاً للجمعيات العنصرية واصبحوا من الثوريين
 والماسونيين. ونشروا جرائدهم ومجلاتهم وإن كان بعضهم قد نشأ نشأة طيبة
 واستشهد عدد منهم فى جبهات القتال أيام الحرب العالمية .

يقول السلطان : بعض الذين علمتهم فى مدارسى وارسلتهم إلى
 أوروبا وأمنت لهم تعليمهم فى بلاد العالم ظهروا بألا قابلية لهم
 ولا استعداد، كانوا يعودون إلى البلاد بأفكار تضرها، وذلك لأنهم لم
 يستطيعوا القطع بما هو ضرورى مما شاهدوه.. لا استطيع مجازاتهم لأنهم
 أعدوا انفسهم اعدادا خاطئا، ولكن أيضا لم يكن من حقى أن أسمح لهم
 بأعداد الآخرين اعدادا خاطئا (٤) .

وفتح العثمانيون المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ثم

(١) تاريخ المعارف العثمانية لعثمان ارجين : ١٠٤٧/١ ، ١٢٦٤ ،

١٥٧٨ ، ١٤٨٣/٢

(٢) انظر المرجع السابق : ٤٢٦/١ - ٥٠٨ .

(٣) اسرار الانقلاب العثماني : ٣٧ - ٣٨ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب : ٨٨ - ٨٩ .

الكليات للبنات (١) ، ولكن رغم وجود المدارس للبنات امتنع الشعب من تسجيل بناتهم فيها. وقد اعترف وزير المعارف منيف باشا قائلاً : سجل خلال سنة في مدرسة ابتدائية جديدة ثلاث بنات فقط. ولم تستطع الحكومة اجبار الناس على تسجيل بناتهم فيها (٢). وذلك في فترة من الفترات، ثم حصل ما حصل من الفساد في هذا المجال ، وكان شيخ الإسلام في الدولة العثمانية مسئولاً عن الأوقاف والتعليم والإفتاء ، وجعل السلطان عبد الحميد الثاني اعتباراً من سنة ١٨٩٢ طلبة المدارس الدينية خارج وظيفته التجنيد الإجباري ، وبعد فترة ظهرت بعض السلبات لهذا القرار ، ونقدوا السلطان بسبب ذلك ، وفي الواقع اتجه كثير من الناس إلى المدارس وسجل نفسه ليصبح معافى من التجنيد الإجباري ، وازداد عدد الطلبة فيها وقلت الامكانيات (٣) . وقد كان مذهب الإمام أبي حنيفة (النعمان ابن ثابت) هو المذهب المسيطر وهو اساس الفكر التشريعي ، وبالطبع فإن الدراسة الدينية في الفقه قد اتجهت إلى كتب الحنفية الشهيرة. وكان لهذه الدراسة اليد الطولى في التمكين لمذهب " ابي حنيفة " في الأناضول والبلقان وأوروبا .

ورغم سوء حال الدولة في بعض النواحي ، فقد كانت أيام السلطان عبد الحميد أيام نهضة علمية في مختلف أنحاء الدولة العثمانية ، وكانت مدينة استانبول على راس المدن الإسلامية نهضة علمية. وكانت القاهرة مركز الثقافة والعلم أيضاً . وبقية المدن كانت مزدهرة بالعلم والعلماء ، وفي أيام السلطان كثرت الصناعات ونشط العمران وتعددت مصادر الكسب وكثر العلم مما كان له أثر مباشر في حياة محمد عاكف ، ونشط التعليم الإسلامي في طول الدولة العثمانية وعرضها أيام السلطان ، فظهرت عشرات من المدارس ، وما زالت المدارس القديمة التي أسسها العثمانيون - عموماً والسلطان عبد الحميد - خصوصاً - للتعليم وكسب المعرفة في شرق تركيا تمد الأمة بأئمة المساجد ورجال الإفتاء . ولا مجال هنا للخوض في الناحية العلمية بكاملها . إلا أنه يهمننا أن النشاط العلمي الذي ساد آنفذاً كان له أثره الفعال في

(١) انظر التاريخ العثماني ، لـ انور ضياء قرال : ١٧٢ / ٦ .

(٢) المرجع السابق : ٣٩١ / ٨ .

(٣) انظر التعليم العالي في الدولة العثمانية لحسين اطاي : ٢١٥ .

النشأة العلمية لمحمد عاكف مما أتاح له عديدا من المشايخ الذين أخذ عنهم وعديدا من الطلاب الذين رووا عنه مقاله من الابيات والقصاصد والوعظ والإرشاد ، وليس هذا فحسب بل أن الجو العلمي هو الذي دفعه لطلب العلم . ولا شك أنه كان ابن عصره ، وكان مشاركا للعلماء آخذا عنهم مستفيدا من خبراتهم ، وسوف يتضح لنا ذلك عند دراستنا لطلبه للعلم وتعريفنا بشيوخه وتلاميذه ومعرفتنا بمؤهلاته وذكرنا لشهادات العلماء له بالعلم والفضل .

ب) دور المدارس الأجنبية والمربيات الأجنيات في التعليم

استفادت العناصر غير المسلمة من الامتيازات الأجنبية ، وفتحووا المدارس ، لينشوء جيلا موافقا لأغراضهم . ولم تكن هذه المساعي خاصة لغير المسلمين فقط ، بل دخل أولاد المسلمين مدارس الفرنسيين في سوريا ولبنان ومدارس إنجلترا في العراق ، وفتح الأمريكيون المدارس والمعاهد^(١) والكليات في الأناضول في المناطق التي كثر فيها الأروام والأرمن ، يقول المبشر بنروز: ^(٢) " ولقد برهن التعليم على أنه أثن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان^(٣) . ولم تنجح محاولاتهم لتنصير تركيا ، بل نجحوا في إبعاد الشباب عن الدين إبعادا كاملا وتركوهم بلا دين كما خططوا ذلك من قبل . ففي مؤتمـر القدس الذي عقده المبشرون أيام الاحتلال البريطاني خطب القسيس " زويمر " رئيس المبشرين في إخوانه المؤتمرين فيبين لهم أهداف التبشير الحقيقية وقال في بعض خطبته : إن مهمة التبشير التي نديتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم

(١) انظر تفصيل هذه المعاهد ، بديع الزمان سعيد النورسي لجمال

قوطاي : ٩٣-٩٤ .

(٢) هو رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت .

(٣) انظر التبشير والاستعمار : ٤٦ .

من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وبذلك تكونون أنتم بأعمالكم هذه طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية..، لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير^(١)، أمّا معاملات المسلمين تجاههم فنذكر مثلا واحدا كما نقل شكيب ارسلان عن مؤرخيهم: "إن محمداً فاتح القسطنطينية كان كأكثر سلاطين الترك والمغول المسلمين بعيدا عن كل اضطهاد ديني، فكانت الحكومة العثمانية لاتعارض أحدا في دينه وكان الأتراك لا يمسون امتيازات الكنيسة الأرثوذكسية^(٢) .

ونتيجة لهذه الحرية ، بدأت الدول الغربية تعمل على إنشاء مدارس خاصة ومعاهد تابعة لها في البلاد الإسلامية. لها نظمها الخاصة بها منفصلة عن سياسة التعليم المطبقة في هذه الدول. وقد اعترف السلطان عبد الحميد بخطورة هذه المدارس قائلا : إن المدارس الخاصة تشكل خطرا كبيرا على بلادنا^(٣). وقد كان خطوءنا جسيما إذ سمحنا لكل دولة في كل زمان ومكان بإنشاء المدارس التي يرغبونها ، والآن نجنى ضرر ما زرعناه، سمحنا لهم بفتح هذه المدارس فقاموا يعلمون الطلاب أفكارا معادية لبلادنا ، فسأحاسب وزير المعارف على إهماله ، وقد يكون السبب في هذا الإهمال افتقاره إلى جرأة التصدي ، اينتظر هذا الوزير أن أقوم شخصا بهذا العمل ، الحقيقة ان التصدي لهذه المدارس ليس بالأمر الهين ، إذ يظهر أماننا قنصل دولة أو سفيرها فيحميها من أن تطالها أيدينا^(٤). وفي

(١) انظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد : ٢ السنة :

١١ ص : ٦٠ ، ٦١ ، رجب ١٣٨٨ ، تشرين الاول ١٩٦٨ ، وانظر

تفصيل قول القس المذكور: في التاريخ . . فكرة ومنهاج : ٦٦-٦٧.

(٢) انظر حاضر العالم الاسلامي : ٣ / ٣٢٥ .

(٣) انظر من الأمس إلى الغد : ٥٤ لتفصيل مدارس اليهود في مدينة

سلانيك ومدارس الروم في البلغار ، ومدارس الدونقة تحت اسماء

براقة في اماكن مختلفة وعلى رأسها استانبول .

(٤) السلطان عبد الحميد ، مذكراتي السياسية : ١٨٧-١٨٨

مصر ضمت الرسائل الأمريكية شبكة واسعة من المدارس الابتدائية والثانوية، ونفذ المبشرون مشروعاً كبيراً في عام ١٩٢٠ حين افتتحو الجامعة الأمريكية بالقاهرة (١) ، وكانت درة أعمالهم تأسيس الكلية السورية البروتستانتية والتي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية في بيروت. وبالإضافة إلى هذا فقد انشئت كلية روبرت باستانبول في عام ١٨٧١ ، كما أنشئت كلية أستانبول للنساء.

واستخدمت هذه المدارس أفضل استخدام لتنشئة عدد من الشخصيات (٢) من أبناء البلاد يقومون بكل ما يستطيع الغربي أن يقوم به من هدم لمبادئ الدين وإفساد للمجتمع .

وقد نالت تلك المدارس والمعاهد التبشيرية إعجاب الطبقات الثرية والعائلات الكبيرة والعريقة ، وذلك لما فيها من التنظيم والدقة ، وما تعلمه من لغات أجنبية وما يلاقيه الخريجون من وظائف يتقاضون منها مرتبات عالية بخلاف أحوال المدارس العادية . ومن هنا فقد دأب الأثرياء ، على إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه المدارس التي كانت تعدّ تلاميذها لأسمى المناصب ، وأقبل عليها أبناء الطبقة المتوسطة تقليداً لهؤلاء الأثرياء في بعض الأحيان وأعجاباً بنظامها المحكم الدقيق وببراعة تلاميذها في اللغات الأجنبية (٣) .

وقبل ذلك كله ، لا يمكن إنكار دور المربيات في تربية وتعليم الأولاد في البيوت قبل الدراسة. وقد نشأ كثير من أولاد المسلمين خصوصاً في استانبول تحت رعاية وتربية المربيات والخاديات من غير المسلمين (من اليهود والنصارى) ثم درسوا في مدارس التبشير ، ولم يبق فيهم شيء من تعاليم

(١) الذكري والتاريخ ، اشراف د . شاکر مصطفى : ٣٧١ .

(٢) ولتنشئة الشخصيات البارزة فتح السلطان محمود الثاني مدرسة

في باريس سماها "المدرسة العثمانية" والمفروض ان يفتحها في بلاده في حقل التعليم (انظر بديع الزمان سعيد النورسي لجمال

قوطاي : ٧٦ ، ٧١ .

(٣) انظر للتفصيل : الاتجاهات الوطنية : ٢٥٩ / ١ ، الوثنية الحديثة ٣٥٨

الإسلام ، إلا من رحم الله ، لأنهم نشئوا من صغرهم مشبعين بتلقين - المربيات ، ومن أجل ذلك لا يظهر فيهم حماسة أو حس إسلامي (٢) . وانتشرت هذه الظاهرة بين الأمراء ورجال الطبقات العليا من المستورزين و الحكام . والمستغربون كانوا يعيشون في بيوتهم حياة تحاول أن تقلد في مظهرها الحياة الغربية ، واكلوا إلى بعض المربيات الأجنبية تنشئة أبنائهم و القيام على تربيتهم وبذلك توثقت الصلات الثقافية والفنية والروحية بينهم وبين الغرب (٢) . كما سنبين في الفصل القادم - ونعود الآن إلى التعليم في أواخر الدولة العثمانية .

ج) التعليم بعد السلطان عبدالحميد

الثانى واصلاح المدارس

احس المسئولون بالحاجة لاصلاح المدارس أيام العثمانيين في فترات مختلفة ، وذلك لظهور بعض المخالفاتلقوانين المدارس ، وحاول السلاطين اصلاحها من جهات عديدة ، وفتحوا مدارس جديدة إضافة إلى المدارس القديمة لغرض الإصلاح .

فتحوا مدرسة (كلية) الهندسة البحرية في سنة ١٧٧٠ ، وكلية الهندسة البرية سنة ١٧٧٣ ، وكلية الطب سنة ١٨٢٣ ، وكلية الحقوق سنة ١٨٣٨ وكلية العلوم الدينية (١٨٣٩) ودار المعلمين (١٨٤٧) . . . الخ . وكان تنظيم المدارس يتسلسل اعتبارا من مدارس الصبيان و الابتدائية والمتوسطة والثانوية إلى الجامعة ولو كانت أسماؤها تختلف في عصر عن عصر سابق وفي سنة ١٨٥٤ فتحوا " مدرسة النواب " كمدرسة دينية جديدة مختلفة عن سابقتها من المدارس العثمانية . وفي سنة ١٨٥٩ فتحوا المدرسة الملكية لتخريج الإداريين ، وكانت برامجها تحتوي على المواد الجديدة المعاصرة من كل أنواع العلوم غير العلوم الدينية وأضافوا مادة أصول الفقه والعلوم الدينية سنة ١٨٩١ ، وفي سنة ١٩٠٠ فتحوا دار - الفنون (أى الجامعة) تحتوي شعبا وكليات عديدة في تخصصات مختلفة (٣) .

(١) من الشريعة إلى العلمانية : ١٩ .

(٢) الاتجاهات الوطنية : ١ / ٢٥٩ .

(٣) انظر التعليم العالى الدينى عند العثمانيين ١٩٦ وما بعد هابتصرف .

وفتحت مدرسة القضاة تابعة للمشيخة الإسلامية اعتباراً من ١٩١٤ ، ليصبح خريجوها قضاة في المحاكم الشرعية ، أما مدرسة الوعاظ فنشـر نظامها في ١٩ / ٤ / ١٩١٤ ، لتنشئة الدعاة ورجال الإرشاد وفتحت مدارس الأئمة والخطباء في عام ١٩١٣ لتخريج الأئمة والخطباء . وقد استمرت الدراسة في مدرسة الإرشاد فترة ثم جمعوا بين مدارس الأئمة والخطباء ومدارس الإرشاد ، تحت اسم " مدرسة الإرشاد " تابعة لإدارة دار الحكمة الإسلامية (١) . ولم يلتفت إليها الشباب ومعنى ذلك أنه لم تبق للدولة مؤسسة يثق الشعب بها بل فقد ثقته في أيام الاضمحلال سنة ١٩١٩ ، ١٩٢٠ . وقد كانت المؤسسات الدينية في يد الدولة وباضمحلال الدولة أصيبت المؤسسات باضرار جسيمة وأصبحت المدارس تواجه الإلغاء ، ولكن بسبب كونها مرتبطة بالشعب وأوقاف أصحاب الخيرات استمرت حياتها كما طلب أصحاب الأوقاف استمرار مدارسها ، وسار العثمانيون في منهج تدريسهم على طريقة المدارس القديمة حيث يبدأ الطالب بتلقي العلم فـى كتاب معين فإذا انتهى منه ينتقل إلى غيره حتى يختم الكتب المقررة في المنهج . وبعد ذلك انقسم التعليم اعتباراً من الابتدائية إلى قسمين : الأولى : المدارس التابعة لوزارة المعارف ، والثانية : المدارس التابعة لوزارة الأوقاف . واختلفت الدراسة فيهما تمام الاختلاف ، وأصبحتا في نهاية الأمر صنفين متنافرين (٢) .

وظهرت الخلافات بين العلماء ورجال الدولة ، وبعد انقسام مؤسسات التعليم إلى قسمين استمرت الدراسة في هاتين المدرستين المتنافرتين وأخرجتا في النتيجة صنفين عدوين بعضهما لبعض ، وأصبح خريجو المدارس الجديدة أصحاب السلطة ووقف بعضهم ضد الدين ومهدوا لضياح الدولة . وكانت إدارة السلطان عبد الحميد كمسكن للأمراض الدولة ، حتى حدث انقلاب الاتحاديين وبعد تلك الفتنة لم يبق شئ يذكر من العلم والتعليم . أما المؤسسات التعليمية ، فكانت بقية من أيام السلطان

(١) انظر المرجع السابق : ٣٠٩

(٢) من الشريعة الى العلمانية : ١٤-١٧ بتصرف .

عبد الحميد ، وبعد أيامه أهملت المدارس الدينية ، ولم يحتفظ بالأنظمة التي وضعها السلاطين السابقون لإصلاح المدارس . وخصصت المدارس الدينية لتعليم الدين فقط . وأسست مؤسسات جديدة لتعليم العلوم الأخرى وهذه هي بداية فكرة لفصل الدين عن الدولة . وأخذت كليات الحقوق الجديدة مكان مدرسة القضاة ، وأخذت وزارة المعارف مكان المشيخة الإسلامية (١) .

وأنت أولى الضربات القاصمة لظهر التعليم الإسلامي على يد الاتحاديين . وقد استمر نظام المدارس القديمة حتى سنة ١٩١٤ وبعد ذلك عملوا تغييرات لتفتح وزارة المعارف مدارس تابعة لها وتطورت هذه المدارس ، بينما بقيت المدارس القديمة الدينية تابعة لشيخ الإسلام ، ولم تتطور بسبب الضعف المالي ، وقال بعض العلماء : إن لم تصلح المدارس فسوف تهدم في المستقبل " وكثرت المقالات والمنشورات في ضرورة إصلاح المدارس ، وكانت الدراسة في المدارس الدينية بالكتب المقررة باللغة العربية ، ولكن شرح الاستاذ والكلام في المدارس باللغة التركية . واستمروا على هذا المنوال ، وبعد سنة ١٩١٤ أسسوا مدارس دار الخلافة العلية كمدارس جديدة ، وفتحوا لها أقساما مثل قسم الدراسات العليا (٢) . وجرت محاولات عديدة لإصلاح المدارس مثل إضافة أقسام لمدارس دار الخلافة . وعملوا تديلات شكلية في أسماء وتنظيم المدارس وليست إصلاحات جوهرية (٣) . وذلك في عام ١٩١٧ . وقد استمرت المدارس الإسلامية حتى تاريخ الغائها سنة ١٩٢٤ . ولكن في واقع الأمر لم تبق في الدولة العثمانية خصوصا بعد عام ١٩١٨ طاقة للاشتغال بالمدارس ، بل أهملت بسبب الحرب العالمية الأولى ، والإهمال أدى إلى الضعف ، وأخيرا الغيت المدارس الإسلامية وبيان ذلك فيما يلي :

(١) التعليم العالي الديني عند العثمانيين : ١٤٧-١٤٨ .

(٢) المرجع السابق : ١٢٤ .

(٣) انظر المرجع السابق : ٢٨٧-٢٨٨ .

د) نهاية المدارس الدينية وإفساد التعليم

بعـد الدولة العثمانية

اصدرت الإدارة الجديدة مرسوما جمهوريا لتحقيق الوحدة القومية فى التعليم يقضى بإلغاء جميع المدارس الدينية غير المدارس العامة الحكومية التى لا تحتوى برامجها على مواد إسلامية ، وذلك فى ٣ / ٣ / ١٩٢٤ وفى نفس اليوم الغيت الشريعة من التطبيق والخلافة من الوجود (١). وهدمت بعض المدارس وحولت بعضها إلى مراكز مختلفة مثل مركز الصحة (٢) .

وبعد ذلك نفى أشهر معلمى هذه المدارس والعلماء الذين تلقوا علومهم على نظام المدارس السابقة إلى أماكن مختلفة، ومنهم من لقى ربه على جبل المشنقة ، وحولت بعض المدارس إلى اصطبلات للخيل وسكن الجنود . ومنها ما ازيل تماما ، وجاءت معظم الخطوات التنظيمية استرضاء للدول الأوروبية ، لتظهر امام الرأى العام الأوروبى بمظهر البلد المتحضر . وفى بداية الأمر وفد عدد من الخبراء الاجانب على الدولة العثمانية ، خاصة فى المجالات العسكرية والطبية واللغات الأوروبية . وساعد هؤلاء الواقدون الاوروبيون إلى الدولة العثمانية كمعلمين وباحثين ومستشارين ومبشرين وسياسيين وأصحاب أعمال فى نشر الفكر الغربى ، وكان أشدهم تأثيرا المدرسون العسكريون ، وكان اكثرهم من الفرنسيين . وقد ساهمت السفارة الفرنسية فى استانبول فى نشر الافكار الثورية .

وقد كان للغزو الفكرى فى المجال التعليمى آثار خطيرة ونتائج سيئة على الدولة العثمانية فى أيامها الأخيرة خصوصا ، وعلى الجمهورية التركية فيما بعد . منها : أن أصبح التعليم فى تركيا قائما على الاختلاط بين الطلاب والطالبات فى أكثر المراحل التعليمية ابتداءً من رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية إلى الجامعات ، على أن الاختلاط لم يقتصر على المدرسة والجامعة ولكنه تعداه إلى شتى المجالات بعد أن

(١) نهاية الخلافة : ١٧ .

(٢) انظر جامعة استانبول فى عامها الخمسين ص : ٣٧ .

دخلت المرأة إلى ميدان العمل والوظائف العامة والخاصة ، ولم يكن هذا النمط من التعليم مقبولا في تركيا إلا في العهود الأخيرة من العشرينات لأن المسئولين قصدوا فصل الدين عن الدولة ، وإهمال المدارس الدينية "لأنها في نظرهم متحجرة" (١)

وقد كان التعليم في تركيا من أبرز المنافذ التي استخدمها الصليبيون لمسح الإسلام وتشويه حقائقه وإبعاد أهله عنه وزعزعة ثقتهم به وبالتالي تحويل مجرى الحياة في تركيا بعيدا عن الإسلام ، ولهذا فقد كانت سياسة الدول الأوروبية واحدة تركز على السيطرة على مجال التعليم وكل ما يتصل به ، لتضمن إعداد وتخريج الأجيال التي تقربها عيون الغنزة وترتاح لها قلوبهم (٢). ويتمنى ه.أ.ر. جيب أن يحدث في مصر ما حدث في تركيا من قطع كل صلة بالماضي الإسلامي واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية (٣) .

ويتابع جيب الكلام مشيرا إلى أهمية التعليم والصحافة في هذا الصدد فيقول : " والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب هو أن نتبين إلى أي حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربي" . . " والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجرى التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربي" . . " هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره " (٤). ويتابع جيب قوله فيقرر : " أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي " ، ونتيجة محاولاتهم ترجمت كل المفاهيم الغربية ونقلت إلى بلاد المسلمين تحت شعار العلم وهكذا تحققت أهداف الأعداء . .

واستمر التعليم اعتبارا من السنوات الأولى للجمهورية التركية على الفكرة الديمقراطية والعلمانية (٥). أما المستوى العلمي فيقول الاستاذ ماهر إراز

-
- (١) انظر جامعة استانبول في عامها الخمسين ص : ٣٧ .
 (٢) انظر الوثنية الحديثة : ٣٥٥ .
 (٣) ذكره في كتابه " إلى أين يتجه الإسلام " انظر الاتجاهات الوطنية ٢ / ٢١٤
 (٤) المرجع السابق : ٢ / ٢١٧ . (٥) الوحشة المدنية : ١٠٩

حين تخرجت من الثانوية عملت فى القسم الأول من نفس المدرسة كأستاذ -
لأن الأساتذة كانوا أيام الحرب فى التجنيد الأاجبارى" (١) .

وبعد الغاء المدارس الدينية برزت فكرة إقامة مدرسة للعلوم الإسلامية من جديد ، واتجه العلماء صوب التعليم وتأسيس المدارس الدينية حفاظا على العقيدة الإسلامية وصيانة لاولادهم الذين اخذوا يتجهون إلى تلقى العلوم من المدارس الجديدة على النظم العلمانية ، وطلب كثير من الأشخاص والهيئات من أعضاء المجلس الوطنى التركى بانقرة الاهتمام بالمدارس ولكن لم يستفيدوا من تلك المحاولات (٢) إلا بعد الخمسينات . أما العثمانيون فلم يهدفوا إلى صيانة العلوم الدينية فحسب بل هدفوا إلى توسيع الافق وتلقى كل مفيد حتى تعليم الحرف المهنية فترى الطالب آنذاك يتعلم الخط وتجليد الكتب - اما الكتب والمكتبات فى الدولة العثمانية فقد اهتم العثمانيون بالكتب والمكتبات عموما وبالكتب الدينية خصوصا وعلى رأسها كتاب الله القرآن الكريم وكتب الحديث ، واسس السلاطين مكتبات ضخمة مع المدارس وكان فى كثير من المساجد مكتبات تحتوى كتباً كثيرة ، منها ما كان فى مدينة أدرنة وبورصة . وبعد فتح مدينة استانبول جعل السلطان هذه المدينة مركز الثقافة والحضارة والعلوم كما جعلها مركز الدولة ، وأسس مؤسسات ثقافية منها مدارس مسجد الفاتح ومكتباتها وفى القرن التاسع عشر ضعفت أوقاف المكتبات من الناحية المالية بسبب الحروب المستمرة والاضاع المالية السيئة للدولة . وبعد الغاء المدارس الدينية والحروف العربية لم يبق طالب علم فضلا عن عالم . وانتهى الأمر بالغاء الخلافة ووزارة الأوقاف والشريعة والمدارس الإسلامية .

وكان العلماء الاجلاء يلتقون أيام رمضان مع السلطان فى حلقة دروس التفسير فى مجلس علمى يحضر السلطان ويستمع إلى مناقشة العلماء فى فهم الآيات وشرحها وتفسيرها وكانوا يسمون هذه الدروس بـ " دروس الحضور " وكان الدرس الأخير من هذا النوع أيام الخليفة عبدالمجيد عند

(١) اثر السنين . ماهرز : ٥٦ .

(٢) انظر نهاية الخلافة : ١٧ .

تفسير قوله تعالى : (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد (١)) (٢) .

أما مدارس الأقليات غير المسلمة ومدارس الأجناب الغربية فاستمرت نشاطاتها مثل مدارس الأروام والجامعة النصرانية لتخريج القساوسة ، ومدارس الأرمن التابعة للأشخاص أو الجمعيات. وكثرت نشاطاتها بعد إعلان التنظيمات. أما المدارس اليهودية فقد تعاونت مع المؤسسات والمنظمات اليهودية العالمية في نشاطاتها ، وهناك " المدارس الأجنبية " التابعة للدول الصليبية مثل الجامعة الأمريكية للبنين والبنات ، وهذه استمرت بكل نشاطاتها ومؤسساتها (٣) ، يقول أحد الشيوعيين الماسون : ينبغي علينا أن نكون أصحاب القول المسموع في مجلس المعارف لنحكم على الشباب التركي ونوجه التعليم إلى المادية بإزالة التقاليد والدين والأخلاق ، وقد أصبح اليوم التعليم في مرحلة المتوسطة والثانوية والتعليم العالي في أيدي اخواننا الماسون " (٤) .

(١) سورة النحل : ٢٦ .

(٢) انظر تفصيل تلك الدروس واسماء العلماء وعطاء السلاطين . . الخ

دروس الحضور : ١ / ٨٣ - ٧٠٦ / ٢ ، ١٩ - ٧٨٩ .

(٣) انظر تاريخ معارف التركي لعثمان ارجين : ١ / ٧٢٥ - ٨٠٣ .

(٤) اسرار حادثة ملامين : ٤٦ - ٤٧ .

الفصل الثالث

الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام

- (١) فكرة الوطنية والقومية .
- (٢) فكرة الإنسانية والعالمية .
- (٣) الإلحاد .
- (٤) التغريب وانتشار الفساد الخلقى .

تمهيد :

لا بد لنا قبل أن نأخذ فى الحديث عن حياة محمد عاكف وفكره وموقفه من التيارات المعادية للإسلام وجهوده فى الدعوة الإسلامية ، أن نلم بطرف مما كانت عليه الأحوال الفكرية فى البلاد الإسلامية عموماً ، والدولة العثمانية خصوصاً فى عصره الذى كانت الدولة فيه تحمل اسم الخلافة الإسلامية حتى يكون القارىء على علم بهذا العصر من جهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام .

لقد تعلمت أوروبا درساً استعمارياً بعد الحروب الصليبية ، بأن الوجود العسكرى يمكن إنهاؤه ، أما الاستعمار الثقافى فهو ضامن لاستمرار السيطرة ، لذا كانت المحاولة باستبدال القيم الحضارية بما فيها اللغة والحروف بأخرى أوروبية المنشأ والغزو الفكرى بطبيعته بطىء التأثير والآثار إذا ما قورن بآثار الغزو العسكرى . ومثال ذلك الاحتلال الفرنسى لمصر بقيادة نابليون حيث خرجت الحملة العسكرية مهزومة ولكن الآثار الثقافية لهذه الحملة بقيت أو بقى بعضها حتى يومنا هذا عن طريق الغزو الفكرى وتحولت المعركة به من ميدان القتال إلى ميدان الفكر ، وهو أكثر ملاءمة لتزييف عقيدة المسلمين ، وافساد أخلاقهم وتحقيق أهداف الصليبيين والصهيونيين دون اضطرار إلى حروب صليبية مرة أخرى ، لأن هذا النوع من الغزو قليل التكاليف فى حين أن نتائجه ، وآثاره أبعد مدى من نتائج الغزو العسكرى . وان الغزو الفكرى يفقد المطموع فيهم حالة الانتباه إليه ، والاستعداد له بخلاف الحال فى الغزو العسكرى . وقد ظفر الأعداء بمرادهم بهذا الغزو والعالم الإسلامى فى غفلة عن ذلك . يقول السلطان عبد الحميد : كما يحمى البستانى أزهاره من الحشرات الضارة حميت أنا أيضاً بلادى من الأفكار التافهة ولم أسمح لها بقرص دولتى" (١) ، ولكن من يحمى شباب

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى ، ترجمة محمد حرب : ٩٠ .

المسلمين بعد خلعه؟ وقد ألف النصارى العديد من الكتب لمحاربة الإسلام وهدمه وألقوا الشك بين المسلمين في العديد من تعاليم الإسلام . وأفلحوا في خلق جيل يتبنى نظريات الأعداء ، ويدافع عنها مع انتسابه الى الاسلام . وبرزت الأفكار المضادة للإسلام بين العثمانيين اعتبارا من اعلان التنظيمات سنة ١٨٣٩ ونشروا أفكارهم بالمشروطية الأولى سنة ١٨٧٦ وظهروا تحت اسم الحرية في عام ١٩٠٨ ووصلوا إلى السلطة عام ١٩٠٩ . هذا هو ديدن أعداء الإسلام الكفرة المستعمرين في كل البلاد التي ابتليت بهم . فقد وزع نابليون منشورا كان قد أعده قبل الوصول إلى مصر ، كانت الغاية من هذا المنشور ، توطيد أقدامه في مصر . ومما جاء في هذا المنشور بعد البسمة والحمدلة . . الخ . يا أيها المصريون قد قيل لكم ، إننى مانزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح ، وقولوا للمفترين : إننى ماقدست إليكم إلا لأخلص حاكم من أيدي الظالمين . . " (١) وهكذا وجه نابليون سهامه إلى عقول المسلمين وقلوبهم ليقتلهم ، ويمسخ هويتهم الإسلامية ويغـيـر شخصيتهم الدينية ، ويشحن عقولهم بالأفكار المضادة للإسلام . وعمل الإنجليز فى الهند على اضعاف سلطة المسلمين الذين قاوموهم مقاومة ضخمة حتى قال لورد النبرو : " إن العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا وإن سياستنا الحقنة يجب أن تتجه إلى تقريب الهندوك" (٢) . ونلاحظ أن الايطاليين وزعوا منشورات تفيد اهتمامهم بمصلحة أهالى البلاد وتسعى للتقرب منهم معلنة أن إيطاليا تود من احتلال البلاد طرد الأتراك حفاظا على مصالحهم . . ، أما نشيدهم الوطنى فيكشف عن الحقد الدفين فى صدورهم فهذه كلماته : " يا امه اتمى صلاتك ولا تبكى بل اضحكى وتأملى ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى ؟ ها أنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي فى سبيل سحق الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلامية التى تقدم البنات الأبيكار جوارى للسلطان ، سأقاتل بكل قوتى لمحسو القرآن . ليس بأهل للمجد من لميمت إيطاليا . يا أمه . أنا مسافر . . ، وإن لم أرجع فلا تبكى ، وإن سألك أحد عن عدم حداك على فأجيبه : أنه مات فى محاربة الإسلام . أنا ذاهب يا أمه . الطبل يقرع يا أمه ألا تسمعين هرج الحرب؟ دعيني أعانقك وأذهب" (٣) ، وكانت القوانين واللوائح الليبية الإيطالية من صنع المستعمر وتحقق هدف الغزو الصليبي بشكل عام والغزو الفكرى على وجه الخصوص . وهو عزل المسلمين عن دينهم وانتشرت أفكار معادية للإسلام ومنها فكرة القومية ، و الوطنية .

(١) تاريخ العرب الحديث : ٣٢٩ .

(٢) الإسلام والثقافة العربية : ٢٠ .

(٣) يوم الإسلام : ١١١

١) فكرة الوطنية والقومية

- أ) نشأة الوطنية والقومية - مفهومها ومعناها .
 ب) القومية التركية - الطورانية - دعائها ، ودور اليهود في انتشارها .
 ج) القومية العربية .

تمهيد :

إذا كان اليهود هم الذين اخترعوا فكرة القومية في العالم الإسلامي للوصول إلى مخططهم الرهيب في القضاء على الخلافة ، وإقامة دولة إسرائيل ، فإن أولئك الذين يدعون إلى فكرة القومية منسلخة عن العقيدة الإسلامية في بلاد الإسلام ما هم في الحقيقة إلا منغذون من حيث يعلمون ، أولاً يعلمون لمخططات اليهودية والماسونية والصليبية والاستعمار لتحل فكرة القومية محل الإسلام وليجعلوا منها ديناً مكان دين ، وعقيدة محل عقيدة . والهدف من وراء ذلك : زعزعة العقيدة الإسلامية في النفوس ، وابعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة ، وفصل الدين عن الدولة وإثارة النعرة العرقية والعصبية في المجتمعات الإسلامية ، وإقامة دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل ، وتكوين جيل علماني متحلل ينساق وراء الشك والإلحاد ، ويجرى وراء الشهوات والإباحية وتعميق مبدأ " فرق تسد " في الأمة الإسلامية (١) .

وقد استطاعت اليهودية ، والماسونية ، والاستعمار ، أن تصل - بواسطة عملاتها - إلى بعض ما تهدف إليه من مخططات حاقدة ومؤامرات لثيمة فوق أرض الإسلام .

أ) نشأة الوطنية والقومية - مفهومها ومعناها :

الوطنية : " أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له . أيًا كانت أصولهم التي ينتمون إليها وأجناسهم التي انحدروا منها ، أي أن الولاء فيها للارض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس ."

والقومية : معناها : " أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً . وإن تعددت أراضهم وتفرقت أوطانهم " ، وإن كان معناها أيضاً : " السعى في النهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة

فى وطن شامل . فىكون الولاة للقومية مصحوبا بالولاة للارض . ولكن الولاة للقومية يظل هو الأصل ولو لم تتحقق وحدة الأرض (١) .

منشأ القومية فى أوروبا ثم فى العالم الإسلامى : لما قام لوشر (١٤٨٣) بحركته الدينية الاصلاحية ضد الكنيسة اللاتينية رأى أن من مصلحة مهمته أن يستعين بالألمان بنى جنسه ، ونجح فى عمله نجاحا لا يستهان بقدره . وانهزمت الكنيسة اللاتينية فى عاقبة الأمر فانقرط عقدها ، واستقلت الأمم وأصبحت لا تربطها رابطة ، ولم تزل كل يوم تزداد استقلالاً فى شئونها وتشتتا ، حتى إذا اضمحلت النصرانية نفسها فى أوروبا قويت العصبية القومية والوطنية ، وكان الدين والقومية ككفتى ميزان . كلما رجحت واحدة طاشت الأخرى ، ومعلوم أن كفة الدين لم تزل تخف كل يوم ، ولم تزل كفة منافستها راجحة (٢) ولما برزت القوميات فى أوروبا تلبست بالروح الصليبية تجاه المسلمين فى جميع انحاء العالم ، حيث إن محاولات الحملات التبشيرية صاحبت الاستعمار الصليبي لتحقيق أهدافها ومنها تنصير المسلمين . وجاءت فكرة القومية والوطنية مثل العدوى إلى العالم الإسلامى من الغرب حين ضعف المسلمون وتخلوا عن مقومات حياتهم الأصلية وانبهروا بما عند الغرب وتابعوه فى انحرافاته ظنا منهم أن هذا هو الطريق الذى يخلصهم من ضعفهم وتخلفهم وكانت دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامى من بين وسائل الغزو الفكرى الذى استخدمه الاعداء فى غزو العالم الإسلامى .

(ب) القومية التركية - الطورانية - دعاتها ودور اليهود فى انتشارها :

سلك اليهود سبيل بث القومية التركية لتحقيق آمالهم فى الوصول إلى بيت المقدس مستعينين بالمكر الإنكليزى ، أما المؤامرة التى دبرت لذلك فهى ما قامت به " جماعة الماسونية " من إشاعة : أن السلطان عبد الحميد قد اتفق مع العرب على مؤامرة يراد منها الكيد للشعب التركى . والقضاء على العنصرية التركية وان دعوى الجامعة الإسلامية - التى يدعو إليها السلطان - ليست إلا غطاء دينيا يراد منه ستر هذه المؤامرة (٣) .

ويعترف الكاتب اليهودى برنارد لويس بتدبير اليهود قائلاً : لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان

(١) انظر مذاهب الفكرية المعاصرة : ٥٥٤ .

(٢) ماذا خسرا العالم بانحطاط المسلمين : ٢١١-٢١٢ .

(٣) انظر القومية فى ميزان الإسلام : ١٢-١٣ .

معارضاً قويا لليهود ، وذلك لأنه رفض بشدة اعطاء أى شبر من أرض فلسطين لليهود (١) .

وبعد خلع السلطان تسلمت حكم المسلمين جمعية (الاتحاد والترقى) ورجال (تركيا الفتاة) وظهرت القومية التركية على حقيقتها ونادت بالاتحاد الطوراني وهو حركة تهدف إلى توثيق الروابط بين جميع الشعوب التي تتكلم التركية يقول د . صالح العبود : يعتقد أن الفكرة مستمدة من كتاب لفرنسى اسمه م . ليون كاهون حيث يرى فيه أن الطورانيين كانوا فيما مضى من الزمن شعباً ذكياً ممتازاً لكنه اخذ بالتقهقر والانحلال عندما تخلى عن الخصائص التي كان يتميز بها في صحارى آسيا الوسطى واعتنق الإسلام ديناً وحضارة (٢) . ويقول زعيم الطورانية ضياء كوك ألب : أثر المؤرخ الفرنسى DEGUEGNES بكتابه فى تاريخ الأتراك ، على الطورانية فى الفترة الأولى . أما فى الفترة الثانية فليون كاهون تأثير كبير بكتابه لسمى " مدخل تاريخ آسيا " وترجم القسم المتعلق بالأتراك إلى اللغة التركية . وتوجه الناس إلى الطورانية تأثراً بهذا الكتاب ، وجعل احمد جودت بك " جريدة الاقدام " فى خدمة نشر الطورانية (٣) ، وترجم نجيب عاصم كتاباً فرنسياً لكاهون عنوانه " مقدمة لتاريخ آسيا " ألف فى عام ١٨٩٦ وتحدث فيه مؤلفه عن الحضارات التركية القديمة فى أواسط آسيا . فكان لهذه الترجمة أثر كبير فى نشأة الوطنية الثقافية (٤) ، أما أعمال اليهود المباشرة فى هذا المجال فقد ذكرنا أن د . تيودر هرتزل حاول تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وطرده السلطان عبد الحميد ورد اقتراحاته .

-
- (١) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام : ١٠٤ .
 (٢) وقد اعتنق د . ناظم - عضو بارز فى جمعية الاتحاد والترقى - الطورانية بعد اطلاعه على هذا الكتاب الذى اعاره اياه القنصل الفرنسى فى سلا نيك (فكرة القومية على ضوء الإسلام : ١٠٥) اما داود ليون كاهون (١٨٤١ - ١٩٠٠) فكان يهودى الأصل وهو كاتب فرنسى مؤرخ بحث فى تاريخ الأتراك والمغول ، وله تأثير كبير على فكرة الطورانية وانتشارها فى تركيا بمؤلفاته مثل : الأتراك والمغول ، حسن الانكشارى ، العلم الأخضر . الخ (انظر الإسلام ومسألة القومية فى تركيا : ٦٤ (هامش)
 (٣) أسس الطورانية : ٦ .
 (٤) انظر تاريخ الأدب المتركى ، لحسين مجيب المصرى : ٥٠٤ .

وجاء إلى استانبول بعد ذلك بفترة رجل اسمه بارووس^(١) . وبدأ ينشر مقالاته في الجرائد والمجلات. كان من كبار رجال الأعمال ، ومن أجل ذلك اتخذه الاتحاديون مستشارا ماليا لهم مقابل مبلغ كبير من المال . وفي نفس الوقت أظهر نفسه كمفكر اشتراكي ، وفي أيام الحرب العالمية الأولى كان يتوقع نصر ألمانيا على روسيا ، ويدافع عن ذلك ، ويتوقع وقوع ثورة في روسيا تنتشر منها إلى بلاد العالم . ونشر رسالتين بمساعدة رجال مجلة الوطن التركي في بداية الحرب للدفاع عن آرائه . ورجب في دخول الأتراك الحرب مع ألمانيا ، وبعد تحقيق ما تمناه في ذلك بأيام غادر استانبول .

وهناك يهودى آخر هو موزيس كوهين Moïse COHEN ، أو موسى كوهين Moses Cohen المعروف بتكين الب^(٢) . له دور كبير في نشر القومية التركية . كان يقول : " حين فقد الأتراك أراضيهم في البلقان وجهوا انظارهم إلى الطوران " . دافع عن الطورانية مع ضيا كوك الب وأثنى عليه قائلا : " ضيا كوك الب النبى حاشا - الحقيقى للقومية التركية " وهو مبشر لها و " أستاذ " و " موجه حقيقى ورا "

(١) Parvus هو Alexandre Israël Helphand ولد سنة ١٨٦٨ في روسيا ، أصله يهودى . كتب مقالاته ونشرها باسم مستعار هو Parvus (بارووس) - ومعناها في اللغة اللاتينية : الصغير - فى الجرائد والمجلات باستانبول بين سنتى ١٩١٠ - ١٩١٥ ، وتوفى فى ألمانيا سنة ١٩٢٤ وكان ينشر مقالاته فى جريدة " الوطن التركى " فى الموضوعات المتعلقة بالحياة الاقتصادية فى الدولة العثمانية ، فهذه عناوين بعضها تركيا تحت سلطة مالية أوروبا ، طريق الخلاص من الأسر المالى ، للأتراك حق المداينة ، الخواطر المالية ، يابلاد الترك راقبى مالىتك ، مستقبل الزراعة فى الدولة العثمانية ، اشتغل صحفيا لصحف ألمانيا وعمل لحسابها أيام الحرب العظمى (انظر : من الأسر إلى الغد : ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠) ولد سنة ١٨٨٣ بمدينة سلانيك ونشر أول مقالاته فيها بمجلة " حديقة الأطفال " سنة ١٩٠٤ . وهى مجلة الطورانيين . وفى عام ١٩٠٦ نشر فى جريدة " العصر الجديد " واستمر بعد المشروطية سنة ١٩٠٨ يعمل فى جريدة " روملى " و " الاتحاد والترقى " وكانت الأخيرة تنشر أفكار جمعية الاتحاد والترقى ، وقدم إلى استانبول سنة ١٩١٢ وتابع اعماله الطورانية فيها . وأصبحت إدارة " مجلة الاقتصادية " فى سلطته . واشتغل بين سنتى ١٩١٦ - ١٩١٨ مترجما للاستاذة الاجانب - أى الضيوف - بكليسة الحقوق ، ونشر مقالاته فى " مجلة الحياة " للاشترائيين . وأصبح مديرا عاما على " شركة الدخان التركى " كمتخصص فى الدخان بين سنتى ١٩١٦ و ١٩٢٢ وعين بعدها مديرا عاما لشركة اجنبية فى تركيا . ثم أصبح كاتبًا عاما لمؤتمر الدخان ، وجمعية الدخان التركى سنة ١٩٣٦ وكان يكتب اسمه

الستار لتركيا الكبيرة . ومبدع الحركة الطورانية " (١) .

ونشر أيام الحرب العالمية الأولى كتابه المسمى " ماذا يكسب الأتراك فى هذه الحرب؟" ونقل على غلاف الكتاب قول خالدة اديب : " احب كثيرا أن أرى فى الدنيا ، الأتراك كلهم فى العالم مستقلين استقلالاً سياسياً" ودعا إلى وحدة الأتراك وإلى الفداء فى هذا السبيل والتمسك بهذه الفكرة (٢) . ودعا لتحقيق أمنية " الحضارة المستقلة للأتراك " وإلى وحدة جميع الأتراك فى العالم . وبين ان الوعى القومى فى الأتراك بدأ فى حرب البلقان وقال : بعد الهزيمة القاطعة فى الحرب العالمية الأولى سوف تتقوى فكرة اتحاد الأتراك . ثم الف كتابه المسمى " الطوران" وكتب عليه اسمه " تكين" فقط . وبين معنى الطورانية بقوله : إنه اسم لوحدة الأتراك التى سوف تتحقق فى المستقبل (٣) ، وعبر عن آماله فى تجمع الأتراك فى المستقبل حول الكرسي الذهبى لجنكيز - الزعيم التركى الوثنى - وغيره . ومحبة هذا اليهودى للقومية التركية ليس لصالح الأتراك بل لاقامة شىء مقصود فى قلوبهم مكان الإسلام والإيمان والأخوة الإسلامية . وفى مقالته المسماة " جاذبية القومية التركية" تكلم عن تمام التغريب فى تركيا قاضلا : "إن التغريب قطع شوطا كبيرا يوما بعد يوم ، ولن تقف أية قوة أمام هذه الحركة لمنعها عن تقدمها " ، وأشار إلى " أن فكرة التغريب شعار موافق للشعار الوطنى" وفى رأيه : فى المستقبل القريب أو البعيد ، فإن أولاد الوطن كله بلا تفريق جنس أو نسب سوف يسارعون إلى اخذ حظهم من الحضارة الغربية " (٤) .

ويقول فى مقاله المسمى : فلتمت حكومة الشريعة : " بعد معاهدة لوزان " ، حينما وجهت حرب الاستقلال إلى العدو الداخلى ، برز هذا العدو الذى يجب تحطيم رأسه - وهو الدين - ومن أجله وفكره المضر - حاشا - عاش الأتراك بعيدا عن الحضارة الغربية وراء الستار . وأجبروا على الحياة تحت تأثير القانون

المستعار على مؤلفاته كمايلي : تكين ، تكين الب ، مؤسس تكين الب ، ومن أجل ذلك يظن أكثر القراء أنه مسلم تركى ، رغم أنه يهودى ، (انظر من الأس إلى الغد : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(١) من الأس إلى الغد : ٢٥٢ - ٢٥٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق : ٢٦١ ، وقد نقل أبو الحسن الندوى فى كتابه " ماذا خسر

العالم بانحطاط المسلمين : ٢١٤ ، عن محاضرات خالدة أديب فى الجامعة المليية بد هلى ، ظنا منه انها اديبة تركية عظيمة وفى الواقع هى يهودية بنت يهودى اسمه اديب .

(٣) انظر من الأس إلى الغد : ٢٦٣ - ٢٦٤ . (٤) المرجع السابق : ١٧١ - ١٧٢

الشرعى الروحى الذى منبعه فلاة العرب . ويقول أيضا : العمامة أخطر ممن الطربوش ، هذا شئى واضح فإنها رمز ، وليس شيئا سحرى ، بل هى عدو وهى الشريعة نفسها" ، ويقول ^(١) : إن أهم أساس من أساس تركيا الحديثة " العلمانية" وهى تطابق نظام الأتراك القدامى فى حياتهم الاجتماعية والسياسية . ولم يعط الأتراك قديما للدين أهمية فى حياتهم العامة فى أى ظرف من الظروف ^(٢) . ونشر هذا اليهودى هذه الأفكار ، وحاول إعادة الأتراك إلى جاهليتهم من جديد ، وجرب جميع الطرق والوسائل من الكذب والغربة . الخ . فمن تأليف كتاب إلى نشر مقالة والقاء محاضرة ، بث أفكاره الشيطانية ، ويجد القارى أفضل عرض للحركة الطورانية فى مؤلفاته .

وهناك فى تاريخ الأتراك عديد من الناس لعبوا دورا فى نشر القومية فى تركيا اكثرما ذكرنا ، وقد غلا كثير من هذه الفئة فى الطورانية حتى قالوا : نحن أتراك فكعبتنا طوران . وهم يتغنون بمدائح جنكيز ، ويعجبون بفتوحات المغول ولا ينكرون شيئا من أعمالهم . وينظمون الأناشيد للأحداث فى وصف الوقائع الجنكيزية ليطبعوهم على الاعجاب بها ويرقوا مستوى نفوسهم بزعمهم ^(٣) .

ويقول حسين مجيب المصرى : " واطلع الترك على ما قام به العلماء المستشرقون من بحوث أرخوا فيها ما كان لأسلافهم من حضارات مشرقا" ^(٤) . والحقيقة أن أولئك المستشرقين من اليهود والنصارى كانوا يقصدون من ابحاثهم التاريخية فى الأصول الوثنية للأتراك تحويل الأتراك عن الاعتزاز بالإسلام إلى الاعتزاز بتلك الأصول الوثنية ، فيبعدونهم بذلك عن الإسلام .

ج (القومية العربية :

إن سلاح القومية التركية لم يكن هو وحده أمل اليهود فى القضاء على حصن الخلافة ، وإنما استعملوه ليكون منطلقا لبث الدعوة إلى قوميات متعارضة متناقضة فوق الأرض الإسلامية ، كي تقوم بعملية الثورة والانفجار الذى يزلزل عرش الخلافة .

سمع العرب باسم القومية التركية ، وقالوا : هل القومية التركية أولى يتمثل الدولة الإسلامية من القومية العربية ؟ يقول عبد الله ناصح علوان : والغريب

(١) من الامس الى الغد : ٢٨١-٢٨٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٣ .

(٣) حاضر العالم الإسلامى : ١٥٨/١-١٥٩ .

(٤) تاريخ الادب التركى : ٥٠٤ .

العجيب - لمن لا يعرف مخطط الكيد - أن كلتا القوميتين المتعارضتين المتناقضتين اتجهتا في الهجوم على هدف واحد ألا وهو الخلافة الإسلامية المتمثلة فى السلطان عبد الحميد !! فقد كان دعاة الطورانية يتهمونه بممالة العسـرب والانحياز لهم وشق سبيل السيطرة والنفوذ أمامهم ، على حين يعتقد دعاة القومية العربية انه كان مستعمرا تركيا . وكان يبسط سلطان القومية التركية على الأمة العربية باسم الخلافة . وباسم الدعوة إلى الجامعة الإسلامية . . وإن كلا من الخلافة والجامعة الإسلامية ليستا سوى مسوغ لفرض الطورانية على العرب ! وفى الحقيقة أن كلا من دعاة القوميتين كانا مستمرين تسخيـرا بارعا محكما من قبل الثلاثى الماكر الخبيث : اليهودية والماسونية وبريطانيا ، وبتعبير أدق كانا مسخريـن من قبل اليهودية التى تقوم إذ ذاك بآخردور على أوسع نطاق للانقضاض على فلسطين ولاقامة دولة اسرائيل !! (١) .

وقد صنع الانجليز " الثورة العربية " لتدميرالدولة العثمانية عدوتهم فى الحرب العالمية الأولى ، وهذه الثورة كما رسمها لورنس وقادها ، كانت ترى لنفسها هدفا واحدا هو تحطيم الدولة العثمانية واجلاء جيوشها عن المنطقة بين شرق السويس وغرب الخليج العربى (٢) ، وإن أول من دعا إلى القومية العربية فى أواخر القرن التاسع عشر هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير فى سوريا ليفصلوا الترك عن العرب ويفرقوا بين المسلمين ولم تنزل الدعوة إليها فى الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عقد لها أول مؤتمر فى باريس سنة ١٩١٣ . وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية وتعددت الاتجاهات (٣) ، أما بداية الفكرة زمنيا ، فتبدأ فكرة القومية العربية ببداية فترة المدارس التبشيرية والجمعيات الأدبية ، والعلمية النصرانية (من سنة ١٨٣٤ إلى ١٨٦٨) على أيدي النصارى ولمصلحتهم (٤) . فانهم أول من نادى بها وانضم إليهم " المسلمون " الذين تربوا فى مدارس التبشير ، ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضا بين الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هى عصب الإسلام وان العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى كل البشرية (٥) . اما الجمعيات العلمية النصرانية ، والحركة المنظمة لها ، فيرجع أول جهد منظم فى حركة العرب القومية إلى جمعيات منها :

-
- (١) القومية فى ميزان الإسلام : ١٤-١٦ .
 - (٢) انظر الغزو الفكرى محمد جلال كشك : ١٣ .
 - (٣) نقد القومية العربية : ١٥ .
 - (٤) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ١٤٤-١٤٥ .
 - (٥) مذاهب فكرية معاصرة : ٥٨١ .

- الجمعية الأدبية ، وجمعية الآداب والعلوم ^(١) ، و الجمعية الشرقية ، والجمعية العلمية السورية ^(٢) ، ثم استت جمعيات تطالب بحقوق العرب وممن أشهرها : جمعية حفظ حقوق الملة العربية التي أسست سنة ١٨٨١ ، و نادي بفكرة " مجتمع قومي علماني " فريق من الكتاب المسيحيين السوريين ^(٣) . والف سنة ١٨٧٥ ، خمسة شباب من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية ببيروت جمعية سرية وكانوا جميعا نصارى ، وبدأت الحملة في باريس سنة ١٩٠٤ حين أسست جمعية " جامعة الوطن العربي " ^(٤) . وهناك جمعيات أخرى دعت إلى القومية العربية ^(٥) منها : جمعية الإخاء العربي العثماني ، والجمعية القحطانية ، وجمعية المنتدى الأدبي ، وجمعية الجامعة العربية ، والكتلة النيابية العربية ، وجمعية اللامركزية ، وحزب اللامركزية العثماني ، وجمعية العهد وجمعية العلم الأخضر ، والجمعية الإصلاحية البيروتية .

وقد جعل القوميون الولاء للقومية فوق كل ولاء ، وان سياسة الاتحاديين القومية في الدولة العثمانية هي التي نبهت الفكرة القومية في العناصر العثمانية ولذلك قام الألبان في استانبول والفوا جمعية لهم واعقبهم الشركس والكرد ، وكان من قبل للروم والأرمن جمعيات منظمة سرية فجعلوها قانونية وقام العرب فالفوا جمعيات في استانبول وغيرها .

وهكذا عاشت هذه الجمعيات فسادا ، ونشرت سمومها ، وأفكارها المنحرفة

في طول البلاد وعرضها .

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام : ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق : ١٦٢-١٦٣ . (٣) المرجع السابق : ١٨٩ .

(٤) المرجع السابق : ١٩٤ .

(٥) انظر اسماء هذه الجمعيات واعمالها : الاتجاهات الفكرية عند العرب

لعلى المحافظة من : ١٣٦ الى ١٤٨ ، فكرة القومية العربية : ٢٠٠ ،

الاتجاهات الوطنية : ٦٩/١-٧٨ ، ٧١ .

٢) فكرة الإنسانية والعالمية

- أ) الماسونية ومحاولاتها فى تحطيم الأديان غيراليهودية .
 ب) علاقة حزب الاتحاد والترقى بدعوة الإنسانية والعالمية .

تمهيد :

إن المسلم مطالب بأن يقدم مبادئه إلى البشرية جمعاء ، تلك المبادئ المستمدة من الاصول الربانية والمبادئ المضيفة . وأن يقدم العلاجات الناجمة الحاسمة ، التى تخص الإنسانية من المصائب والكوارث . وهذا شأن المسلم ، فهو قد ذاق حلاوة الإيمان بدين الله تعالى ومن هنا كان لزاما عليه أن ينشر دينه ويدعوه له . ولقد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا للعالمين . ووصف الله تعالى عملية إنقاذ العالم التى تمت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها رحمة . ولقد صدع الرسول عليه الصلاة و السلام بأمر ربه بتأديئة الأمانة وبتبليغ الرسالة على المستوى المحلى والعالمى . ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو آخر الرسل ، والإسلام هو اكمل الأديان وأتمها ، فإن الإسلام حل مكان ما سبقه من أديان واصبح شريعة الله على الأرض ومنهجه للناس إلى قيام الساعة ، وعلى هذا ينبغى على كل مسلم أن يقوم بتأدية واجبه فى الدعوة لدين الله ونشره فى ربوع العالمين . ومن هذا المنطلق انطلقت الفتوحات الإسلامية إلى انحاء العالم كله . وقام المسلمون فرادى ، وجماعات بنشر الإسلام فدخل فى دين الله أفواج من الناس . ثم ضعفت الأمة وفقدت قوتها فغزاها اعداؤها . ثم جاهدت الأمة مرة أخرى لإخراج الاستعمار ، ولئن كان الاستعمار قد فارقها بجيشه فإنه لم يفارقها بتلاميذه ومستغربيه الذين بثوا ولا يزالون يبثون الغزو الفكرى . وقد اصبحت فكرة الإنسانية والعالمية من الأفكار المنتشرة أيام محمد عاكف ولكن ليس لوجه الله تعالى ، ولا لإصلاح حال البشر بل لإفساد عقول المسلمين نشرها اليهود واعوانهم من الماسونيين وغيرهم تحت أسماء وشعارات براقية مثل : (الأخوة ، والمساواة والحرية ، والعدالة) واستتروا وراء هذه المبادئ الإنسانية لينفذوا اغراضهم الخفية وافسدوا البشرية عموما والمسلمين خصوصا . فباسم الإنسانية يقال للمسلم : الحق ، يا أخى لا تتفخر على الناس إن الإنسانية كلها أسرة واحدة . فتعامل مع الأسرة كفر دمنها ، ولا تميز نفسك عنها . وشارك فى النشاط " الإنسانى " ومظاهر الحضارة " الإنسانية " . وللمسلمين حق فى أن يسألوهم هل تعاملون أنتم المسلمين كأفراد من أسرتم " الإنسانية العالمية " فتعطونهم حقهم بوصفهم أفرادا فى تلك الأسرة فلا تطاردونهم ولا تنبذونهم ، ولا تتعصبون ضد هم ،

ولا تتجمعون على أذاهم؟ (١) .

وتحت شعار الإنسانية والعالمية عمل الماسونيون وتزعم الماسونية أنها مؤسسة فلسفية تحب الخير للإنسانية، وترجو لها التقدم بينما هي حاقدة حقسدا أسود على البشرية كلها فى اعماقها . وقد عرفت اهدافهم السرية الحقيقية فى خدمة الصهيونية العالمية كما ارتبط اسم الماسونية بالارهاب والتخويف الفعلى فى حين أن دعواهم المعلنة هى : الاخاء، والمساواة ، والحرية ، وكيس الاحسان لابن الارملة" (٢) ، والدعوات الهدامة التى كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحسب السلام والوثام كثيرة . لا تخلو منها دعوة من دعوات العالمية ، كالماسونية ، والشيعوية والروحية . ، والمقصود بكل هذه الدعوات وأشباهاها مثل الدعوة إلى التوفيق بين الأديان وبين الإسلام والمسيحية منها خاصة ، بالإضافة إلى ايجاد الألفة والصدقة بين المستعبد والمستعبد ، هو تشتيت الناس وصرفهم عن أمتهم ، إلى تيه مضلل من المبادئ التى لاتحدها حدود واضحة المعالم ، وإن مثل هذه الدعوات ليس وراءها إلا الضياع المطلق (٣) .

٤ (الماسونية ومحاولاتها فى تحطيم الأديان غير اليهودية :

اسس الاتحاديون اكبر جمعية فى سلانيك ثم فى استانبول وجعلوا من أهدافهم الخادعة : " الحرية ، الاخاء ، المساواة " وهى ذات الشعارات التى تنادى بها الماسونية لتخدع بها الأميين وتدفعهم إلى التخلي عن عقائدهم وأخلاقهم . وقد صرح الماسونيون أن هدفهم هو الوصول إلى حكومة عالمية واحدة تتكون من ذوى القدرات الفكرية الكبرى ، وتسعى الماسونية لتقويض كل العقائد والمذاهب الأمية والوطنية من خلال نظرتها العالمية الفردية ، حيث لاتسراى ولادين ولا انتماء لوطن ، فالنور الماسونى هو الأصل ، والجوهر ، وماعداه بنظرهم باطل الأباطيل" (٤) وقد أمنت الماسونية لمحافلها حصانة دولية ، ولعبت دورا خطيرا فى السياسة العالمية . وجهدت فى الخفاء للاستيلاء على مقدرات الشعوب ، وتقنعت بالإنسانية والمثالية ، وسخرت الناس بحكمة الأفعى لخدمة شعب الله المختار ، وهدمت عقائد الأم الدينية .. ، وسيطرت على البرلمانات والعروش والكراسى وقتلت روح التعاون بين الشعوب وحكوماتها وجيوشها ، وسطرت دساتيرها

(١) مذاهب الفكرية المعاصرة ٥٩٤ .

(٢) شهادات ماسونية : ٧-٩ بتصرف .

(٣) الاتجاهات الوطنية : ٣١٥ / ٢ . (٤) شهادات ماسونية : ٤١ .

المكتوبة باحترام الأديان والعروش، وخلفت من دساتيرها المدفونة بالصودور اشخاصا يحاربون دينهم وجعلت من غير اليهود عبدا لليهود اقامت من الملايين جسرا تمر عليه اسرائيل . اخذت اسما متعددة مثل : الروتارى والليونز (جمعية الأسود) الاتحاد والترقى ، وما إلى ذلك مما يلتقى بالدرجات والرموز . . يلتقى بنقطة اشادة الهيكل والمحافظة على الراية التى تعلوه . إلا ان هذه الماسونية هى وسيلة استغلال يهودى والماسونية حكومة عالمية سرية ، حريصة على تسليم زمام العالم لأبنائها ، إذ هم مكلفون بتنفيذ قرارات مراجعها العليا ، ولو لم يعرفوا مصدرها وغايتها ، وهى مصممة على إبادة الإنسانية ، وفى مقدمتها المسلمون . وهى معول لهدم تراث العالم ، ليدوم دين واحد وهو اليهودية ، أو الماسونية إذ هما اسمان لسمى واحد ، وهى تخطيط عجيب ، وخدمة لإسرائيل بعيدة المدى وسعى دائم لرفع رايها لترفع على ما بين النيل والفرات ، وما بين طوروس وبحر الهند ، ثم على مملكة معدومة الجيران (١) .

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة إلى العالمية لوجدنا أنها على اختلاف صورها وشعبها دعوة هدامة ، وهذه كلها دعوات هدامة ، لأنها تهز بعنف عوامل التجمع والتآلف التى تقوم عليها المجتمعات البشرية ، ثم تعجز عن أن تقيم بدلا منها عوامل أخرى للتجمع ، ثم تتركهم فى الفوضى والقلق وبسطة سيطرتها على انقراض ما هدمت من عقائد وما قطعت من وشائج . فالماسونية - على سبيل المثال - تدعو إلى الإنسانية ومحبة البشر كلهم بلا تمييز ، والشيوعية تدعو كذلك إلى الإنسانية والسلام ، ودعاة التوفيق بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة يرضيها كل الناس . وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه ، وتدعوا إلى تعاون البشر (٢) .

ومع ذلك كله فالدارس لهذه الدعوات العالمية على اختلافها يستطيع أن يدرك بوضوح انها شديدة الصلة بالصهيونية العالمية التى تتوسل إلى السيطرة بمحو العصبية على اختلافها ، لأنها هى العقبة الكبرى التى تحول دون تغلغلها فى المجتمعات والمؤسسات ، ولأن المجتمعات البشرية إذا فقدت شخصياتها وعصبياتها ، أصبحت قطعانا من الأغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية ان يسوقوها إلى حيث يريدون (٣) .

(١) انظر الماسونية فى العراق : ١٦١-١٦٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق : ١٨١ .

(٣) انظر الإسلام والحضارة الغربية : ١٨٤

(ب) علاقة حزب الاتحاد والترقى بدعوة الانسانية والعالمية :

كانت الماسونية الأوروبية مهيمنة على حركة تركيا الفتاة ، وكان الماسونيون في استانبول على علاقة وثيقة مع جمعية (الاتحاد والترقى) أما زعماء هذه الجمعية فانهم ليسوا اترাকা كما يزعمون ولا مخلصين للأتراك كما يدعون ، فضلا عن أن يكونوا مسلمين أو مخلصين للإسلام .

إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقى أنها غير إسلامية . فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركى صاف . فأنور باشا (١) مثلا هو ابن رجل بولندى مرتد ، وكان واحدا من ابرز قادة الاتحاد والترقى تولى وزارة الحربية العثمانية خلال الحرب الأولى ، وكان جاويد بك - من الطائفة اليهودية المعروفة بالدنمة (٢) - وأما نُؤيل قره صو : فهو يهودى ماسونى كبير من يهود أسبانيا الذين استوطنوا مدينة سلانيك ، كان أحد اربعة بلغوا عبد الحميد قرار خلعهم ، وقد فاخر بعدها بقوله : ان الاتحاديين نفذوا بأربعمئة ألف ليرة انكليزية ما لم ينفذه عبد الحميد بخمسة ملايين " لأنه قبضها من البنك الإيطالى وسلمها لثرى اسمه (نجيب دراغا) الذى اعطاها لأيوب صبرى (احد اعضاء الاتحاد والترقى) لصرها على احداث مجزرة ٣١ مارس التى اطاحت بحكم السلطان عبد الحميد ، وكان قره صو يمثل مدينة سلانيك فى مجلس المبعوثان العثمانى بالتعاون مع الماسونية الإيطالية ومحفلها فى سلانيك ، وهو من مؤسس حزب الاتحاد والترقى (٣) ، وكان طلعت بك بلغاريا من اصل غجبرى اعتنق الإسلام ظاهرا . هو الصدر الأعظم الاتحادى ، ووزير الداخلية كان استاذا اعظم لمحفل سلانيك والمشرف الأعظم الأول فى الماسونية (٤) وكذلك كان جمال باشا ناظر البحرية ، ومانياس زاده توفيق وزير العمل ، ومدحت شكرى العضو الدائم والامين العام للجنة المركزية الاتحادية ، ود . رضا توفيق الطبيب والنائب والكاتب جميع هؤلاء كانوا من اعضاء الاتحاد والترقى ومن الماسونيين فى وقت واحد (٥) . أما

- (١) (١٨٨١-١٩٢٢) كان طورانى النزعة وقد ندم لافساحه المجال للدونمة الماسونية التى اطاحت بالاتحاديين بعد معاونتهم للاطاحة بعبد الحميد (صحوة الرجل المريض : ٦٧) .
- (٢) النائب ووزير المالية . من الماسونيين : المرجع السابق : ٢٣٠ .
- (٣) المرجع السابق : ٢٢٨ ، ٢٠٣ ، ياابن التركى تعرف على عدوك : ١٠٣ .
- (٤) حركة الجامعة الإسلامية : ٣٠٩ فكرة القومية على ضوء الإسلام : ١٠٩ ، ياابن التركى تعرف على عدوك : ١٢٠-١٢٢ .
- (٥) صحوة الرجل المريض : ٢٣٠ .

أحمد رضا، أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان من اتباع مدرسة كونت الفلسفية (١) وقد تأسست جمعية الاتحاد و الترقى باديء الأمر في باريس، وقام بتأسيسها الشبان الأتراك الذين تشبعوا بالأفكار الفرنسية. وامنوا في دراسة الثورة الفرنسية وتأسست كجمعية سرية ثورية زعيمها أحمد رضا بك، وكانت فكرته نقل الحضارة الغربية إلى بلاده تركيا. وأسست لها فروعاً في برلين وسلانك واستانبول، وكانت جريدتهم المسماة "بالانباء" تهرب إلى استانبول مع البريد الأوروبي. وكان فرع برلين مؤلفاً من المعتدلين، ومن وزراء الدولة السابقين. وكانوا يطلبون الإصلاح وتنظيم شؤون الدولة على نحو الحكم الألماني. وأما فرع سلانك فكانت الأغلبية الساحقة من أعضائه من الضباط المتعلمين أصحاب النفوذ القوي في الجيش، كانوا يعدون العدة للثورة، إلا أنهم مع ذلك كانوا خاضعين للمركز في باريس، ولا يخرجون عن رايه، ومركز باريس يوجههم بالنظريات والآراء الغربية وكانت المحافظ الماسونية وعلى الأخص المحفل الإيطالي الأكبر في سلانك ترحب بأعمالهم. وكانت الجلسات تعقد في غرف المحافظ الماسونية التي يستحيل على الجواسيس أن يصلوا إليها، وكان كثير من أعضاء هذه المحافظ مندمجين في الجمعية، وكان أعضاء الجمعية ينتفعون بالأساليب الماسونية في الاتصال باستانبول، بل في التقرب من القصر ذاته. واخذت الجمعية تعقد الجلسات السرية وتهيء للثورة وظلت كذلك حتى سنة ١٩٠٨ حيث قامت بالانقلاب واستولت على الحكم (٢).

ويبدو أن (قره صو) اقنع رجال تركيا الفتاة ضباطاً ومدنيين بالانتماء إلى الماسونية وهدفه في ذلك فرض النفوذ اليهودي غير المستساغ على الأوضاع الجديدة في تركيا. وان المخططين لحركة تركيا الفتاة في سلانك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود. وكانت شعارات أعضاء تركيا الفتاة الحرية والعدالة والتأخي من ابتكار الماسونيين وكانت ألوان علم الحرية الأحمر والأبيض هي نفس ألوان

(١) كان أحمد رضا مدير معارف مدينة بورصة، هرب إلى باريس، وأصدر مجلة "المشورة" ووضع لائحة - جمعية تركيا الفتاة - الإصلاحية. وأرسل له السلطان عبد الحميد مساعدات مادية لتأمين معيشتهم في منفاه الاختياري بباريس لثلاث تظاهرة الحاجة لطلب المعونة من الفرنسيين. ولعب فيما بعد دوراً خطيراً في تقويض دولة الخلافة رغم الرعاية التي خصه بها السلطان عبد الحميد حتى حين القبض عليه في حادث ٣١ مارس (صحوة الرجل المريض: ٦٥، أيضاً: ١٧٤، ٢٩٧، ٢٩٨، حركة الجامعة الإسلامية: ٣٠٩).

(٢) كيف هدمت الخلافة: ٢١-٢٣ بتصرف، انظر تاريخ الأدب التركي: ٤٠١.

الماسونية الايطالية ، وبعد فترة قصيرة من ثورة ١٩٠٨ أصبح من المعروف أن عددا من قادة الاتحاد والترقى كانوا ماسونيين . ولوحظ أن اليهود المحليين والاجانب على اختلاف انتماءاتهم كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد (١) ، واعلنت الاحكام العرفية وكان معظم الضباط فى المحاكم العرفية العسكرية من الماسونيين . وامر مجلس النواب ان يصدر قانونا صارما للمطبوعات وعين رجلا يهودى وماسونى من سلانيك مديرا للمطبوعات . وكان يتمتع بسلطات واسعة ، حيث كان يستطيع أن يوقف أية صحيفة عن الصدور إذا وجهت إلى العهد الجديد أى نقد . ووضعت وكالة أخبار تلغرافية تحت إدارة يهودى . وكان يرأس الفرع الرئيسى لجمعية الاتحاد والترقى فى استانبول رجل يهودى الأصل وماسونى من سلانيك وكان أمين العاصمة فى استانبول ماسونيا ، ووضع الأمن العام "الدرك" تحت امرة ماسونى من سلانيك (٢) .

وقد تبين فيما تقدم ان اليهود تمكنوا من احتلال جميع النقاط الرئيسية فى الحكومة التركية ، أو من السيطرة عليها سنة ١٩٠٩ (٣) ويقال : إن الدونمة قاموا بتأسيس محفل شرق ماسونى علمانى فى تركيا على غرار محفل الشرق الاكبر الفرنسى وحين بدأت تثار حول هذا المحفل الماسونى شبهات وشكوك ، تم تغيير اسمه فاصبح يعرف باسم (جمعية الاتحاد والترقى) (٤) ودأب أعضاءها على الاحتماء بحصانة اليهود ، فكانوا يجتمعون فى بيوتهم آمنين من الخطر ، وصاروا يتلقون الإعانات المالية من مختلف الجهات (٥) ، واتخذوا فى قبول الاعضاء وادخالهم فى هذه الجمعية طرقا تشبه الطرق الماسونية (٦) ، واعلن السلطان الدستور سنة ١٩٠٨ وكان هذا دليلا على نجاح خصوم عبد الحميد ، لأن هذا الدستور من صنع الماسون ، إنه طعام مطبوخ فى محفل ، كان أول من تجرع سمه السلطان ثم الخلافة . وقد خلعوه لأنه كان يدرك خطرهم على الأمة . وبتخطيط ماسونى كانت الحرب العالمية الأولى ، ودخلت تركيا غمارها تحت قيادة ماسونية ، فحاققت بها الهزيمة النكراء . وكانت الكوارث تنزل بالجيش التركى من يد الجنود والقادة الماسون الذين كانوا تحت لواء ذلك الجيش ، وانتقلت تركيا بعد ذلك إلى العلمانية . ان اصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو طائفة مسلمة

(١) صحوة الرجل المريض : ٢٠٦ (٢) انظر المرجع السابق : ٢٠٩-٢١٠ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٠ . (٤) المرجع السابق : ١٥٨-١٥٩ .

(٥) المرجع السابق : ١٥٩-١٦٠ .

(٦) انظر تاريخ سلاطين آل عثمان : ١٦٦ .

ظاهرا يهودية باطنا ذات اخلاص عميق لليهودية وتنتمي إلى أصل يهودى ، واما العون المالى فكان يجيئهم عن طريق يهود سلانيك الاثرياء وهم شركاء الثورة التركية الحقيقيون (١). وكان من تأثير الماسونية أن تألفت من مجموعة الداعيين والمستجيبين جمعية فهى إذن جمعية يهودية ماسونية تأسست لفتح أول باب لليهود فى الطريق إلى فلسطين (٢) ، وتمكن اليهود لكى يصلوا إلى اهدافهم من تأسيس حزب الاتحاد والترقى فى الدولة العثمانية . وكانت غايته استخدام رجالات الدولة العثمانية انفسهم للحصول منهم على المساعدة اللازمة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود من شتى أنحاء العالم واقامة وطن يهودى قومى فيها بأسم " الاخوة الماسونية " التى لاتعرف وطنا ولا دينا ولا عنصرا فى الظاهر وهى فى الحقيقة مؤسسة يهودية عالمية تربي إلى تسخير رجالات العالم أجمع الداخلين فى هذا الحزب لخدمة مآرب الصهيونية تحت ستار الأخوة الإنسانية ونصرة الإنسانية والتسامى فوق المصالح القومية والعنعنات الدينية أو العرقية (٣) ، ولقد كان هرتزل - مؤسس الصهيونية - اكثر جرأة ووضوحا من المستترين إذ صرح بهما . وهذه بعض مبادئهم : اليهود هم وحدهم العقلاء ، أما سواهم فحيوانات سائمة ، لا يقاتل الماسونى ماسونيا ، وتسليخ الدرجة الثامنة عشرة فى الماسونية صاحبها من معتقداته الدينية وتقطع حبل الصلة بينه وبين مواطنيه وتجتث روابطه العائلية وتشده بحبل التلمود العنصرى (٤) .

وقد اختفت الماسونية تارة تحت اسم " الاتحاد والترقى " و " الطوران " وتحت اسم " شهود يهوه " . الخ . لتنفذ اليهودية مهماتها بيسر وسهولة وقرروا إنشاء جمعيات تابعة للماسونية فعلا ومغايرة لها اسما فقط . وأنشأوا اخويات عديدة ، وسميت بأسماء مختلفة (٥) . وخذع البعض ووظنوا أنها مجرد جمعية خيرية إنسانية . فأنضموا إليها وهم مغمضوا الأعين .

ولكن هذه الجمعية لا نفع فيها ولا فائدة غير تفريق شمل المسلمين ، والعمل على اضمحلال قوتهم ، إنها تزعم أنها مؤسسة فلسفية تحب الخير للإنسانية ، وترجو لها الرقى والتقدم وتهدف إلى البحث عن الحقيقة وترمى إلى تحقيق الأخلاق الدينية وتطبيق أسس التعاون والتآزر وتتخذ من وسائل الرقى المادية والمعنوية أساسا للتعاون الاجتماعى والفكرى للإنسانية ، وبهذه الصورة من النفاق وبما يخرجون به على الناس بين الحين والآخر من بيانات أو تصريحات يوهمون الناس بأنهم دعاة خير ، وأن غاياتهم إنسانية خالصة ، ولكن هذا الظاهر الزائف (٦) كزيف (الاتحاد والترقى) ومن قبله (تركيا الفتاة) .

(١) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام : ١٠٩ . (٢) القومية فى ميزان الإسلام : ١٣ .

(٣) الماسونية أقدم الجمعيات السرية واطرها : ٢٢ .

(٤) الماسونية فى العراق : ٦١ انظر تفصيل مبادئهم ، الخطر اليهودى ، محمد خليفة

التونسى : ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ١١٠ .

(٥) الماسونية ذلك العالم المجهول : ٨٧ - ٨٨ .

٣) الإلحاد

- أ) تاريخ الإلحاد فى الدولة العثمانية و دولة تركيا .
 ب) الأحزاب والمنظمات الإلحادية .
 ج) الأساليب الشيوعية فى تركيا .
 د) بعض الشيوعيين وأعمالهم فى تركيا .

كان القياصرة يحلمون بالوصول إلى البحار الدافئة والخليج العربى والقدس والأماكن المقدسة عند النصارى فى فلسطين . ولكن وجود دولة الخلافة كان من الأسباب التى حالت دون القياصرة وأطماعهم ، ثم جاءت الشيوعية سنة ١٩١٧ وسيطرت على روسيا وعلى الأقطار الإسلامية التى كانت تحت الحكم القيصرى ولم يقف طمع الشيوعية عند الأقطار الإسلامية التى التهمتھا - مثل القوقاز وبلاد ماوراءالنهر ، الخ - بل تطلعت إلى الأقطار الإسلامية الأخرى مثل تركيا . فإن تركيا من أكثر دول العالم الإسلامى قربا من روسيا الشيوعية ، وأكبرها حدودا معها . ومن هذا المنطلق فهناك علاقات مباشرة بين تركيا وروسيا رسمية كانت ، أو سرية بين المنظمات فى الدولتين . وهناك نشاطات لروسيا تهدف لنشر الإلحاد فى تركيا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت هناك نشاطات لدول الغرب عموما وفرنسا خصوصا . فقد كان الأتراك الاتحاديون يقلدون الثورة الفرنسية وأساليبها اللادينية ، وطريقتها فى الإدارة ، ويعود ذلك إلى توجيه الماسونية اليهودية . وكانت فكرة الإلحاد أكثر انتشارا بين المثقفين بالثقافة الملوثة .

ومن أبرز أهداف الماسونية واليهودية والشيوعية نشر الإلحاد - خصوصا بين المسلمين - والانحلال الخلقى ، والتمزق الاجتماعى بين الشعوب ، ولتحقيق هذه الأهداف أسسوا الجمعيات ونشروا الجرائد والمجلات .

أ) تاريخ الإلحاد فى الدولة العثمانية و دولة تركيا :

إن الإلحاد وقضايا الملحدين لم تكن بكر هذا العهد أو وليدة أيام محمد عاكف ، غير أن المنكرين لوجود الله تعالى إنكارا كاملا - قبل طلوع عصر محمد عاكف - كانوا قليلين جدا ، بحيث لم يحدثنا التاريخ انهم فى أية فترة من فتراته كانت لهم صولة أو قامت لهم دولة .

وهذا لا يعنى انه لم يكن هناك - مثلا فى عهد سلطان الكنيسة فى أوروبا - من يدين بالإلحاد ، فالذى لا جدال فيه هو أن هناك أفرادا من الفلاسفة والمفكرين - إن صح التعبير - كانوا يعتقدون الإلحاد مذهباً لهم ، فوضعوا له القواعد والاسس، إلا أنهم كانوا يتكتمون تكتماً شديداً على نزعاتهم الإلحادية فصاروا لا يفصحون عن مذاهبهم الإلحادية إلا شيئاً فشيئاً وتمشياً مع تقلص سلطة الكنيسة الزمنية فى أوروبا ، وظل الحكام والساسة والملوك فى أوروبا بمنأى عن هذيان المذهب الإلحادى ، حتى جاء اليهودى (كارل ماركس) فغير مجرى تاريخ الإلحاد ، حيث تمكن من أن يتجه به وجهة خطيرة جديدة. إذ خرج به من نطاقه الضيق المحدود ، إلى ميدان واسع وهو ميدان السياسة والحكم ، فبعد أن كان الإلحاد مجرد فكرة ورأى فقط عند قلة قليلة من الناس. إذ بهذا اليهودى يبرز فجأة ، فيجعل منه مذهباً سياسياً ، وفلسفة اقتصادية ، وكان الهدف من تحويل الإلحاد إلى مذهب سياسى هو أن يتمكن أتباعه من التسلل إلى كرسى الحكم (١) .

أما فى البلاد الإسلامية فقد ظهر بعض الأفراد ، واشتهروا بالإلحادهم فى تاريخ الإسلام ، وليس لهم دور يذكر ، بل استمروا فى حجمهم الضيق المحدود كأراء فردية. وإنما جاءت عدوى الإلحاد إلى العالم الإسلامى من الغرب (٢) وانتشر فى عصر محمد عاكف .

وعمل اليهود مع الاتحاديين فى سبيل الوصول إلى اهدافهم فى بث روح الإلحاد وبدأ نشاطهم فى هذا المجال اعتباراً من إعلان المشروطية الثانية سنة ١٩٠٨ ، يقول أحد كبار الشيوعيين : لو لم نجد أماناً أصحاب العمائم (أى العلماء) بنشاطاتهم لكانت تركيا من أكبر أعضاء شعار روسيا (٣) .

ب) الاحزاب والمنظمات الالحادية :

تأسست فى الدولة العثمانية بعد السلطان عبد الحميد ، ثم فى الجمهورية التركية احزاب شيوعية واشتراكية منها :

— الحزب الاشتراكى : أسس سنة ١٩٠٨ فى سلانيك برئاسة أبراهام بنيرايا (٤) Abraham Beneraya ، وكان أعضاءه من الأروام واليهود والبلغار .

(١) انظر كيف نحارب الإلحاد ، لمحمد احمد باشميل : ١٠-١١ .

(٢) انظر لتفصيل ذلك ، موقف العقل : ٢٠ / ٤ .

(٣) اسرار حادثة ملا من : ٤٤ .

(٤) هو يهودى ولد فى استانبول لعب دورا كبيرا فى الحزب المذكور بسلانيك اعتباراً من سنة ١٩٠٨ وكان صاحب مطبعة هاجر إلى فلسطين سنة ١٩٢٤ وتوفى

سنة ١٩٢٦ (من الإمس إلى الغد : ٢٤) .

— الحزب الشعبى الفدرالى الاشتراكى : من اشهر اعضاءه : دمستري
فلاهوف (١) Dimitri Vlahov مبعوث مدينة سلانيك فى المجلس
الوطنى العثمانى .

— الحزب الاشتراكى العثمانى (٢) : نشرت جريدة "الاشترار" خبرا فى
١٩١٠/٩/٨ ، العدد ، ١٩٠٠ ، عن تأسيس هذا الحزب ، وكان ذلك أول خبر من
هذا النوع . وأسس رجاله جريدة يومية فى ١٩١٠/٩/١٠ اسمها "الاشتراكى"
وبعد منعها اصدروا جريدة الحضارة ، ثم مجلتى الاشتراك والإسانية .

— الحزب الديمقراطى الاجتماعى : بعد وقوع الانقلاب الشيوعى فى
روسيا بثلاثة أشهر استقال بعض اعضاء حزب الاتحاد والترقى منه واسسوا هذا
الحزب ، واتصلوا بمركز الاشتراكى فى بروكسل واخذوا منه نظام وبرنامج الأحزاب
الاشترارية . وبعد تأسيسه نشروا بيانا لأول مرة واعترفوا بدخولهم المنظمـة
العالمية الاشتراكية بصراحة . وسعوا لتنظيم العمال والفلاحين وأهل الحرف ولكن
لم يلتفت إليهم الشعب (٣)

— الحزب الاشتراكى التركى (٤) : أسس فى استانبول ، بتاريخ ١٩١٩/٢/٢٠

— حزب العمال والفلاحين الاشتراكى الأتراك (٥) : يقول مهري بلسى
— من أشهر الشيوعيين فى تركيا — إن ثورة اكتوبر الشيوعية سنة ١٩١٧ ، ستوقد فى
العالم كله فكرة الثورة . وليست تركيا خارجة عن ذلك ، وأسس فى تركيا أول حزب
ماركسى — لينينى فى ١٩١٩/٩/٢٠ . سجل بعض المثقفين اسماهم فيه ، واصبحوا
فيما بعد من اعضاء المجلس الوطنى التركى من حزب الشعب الجمهورى ومن
وزرائه ، وبعضهم من اساتذة الجامعات وأصدروا مجلة باسم "الخلاص" وأخرى باسم
"ضوء النهار" .

— جمعيات العمال (٦) : أسست سنة ١٩٢١ منظمات على الأسس

الماركسية ، من قبل رجال حزب العمال والفلاحين الاشتراكى الأتراك .

— الجيش الأخضر (٧) : أسست هذه المنظمة سنة ١٩٢٠ ، وكان هدفها

(١) اشتهر بأعماله فى نشر الشيوعية ، سكن فى موسكو سنة ١٩٣٥ وعمل بعد عام
١٩٤٣ مع تيتو (رئيس يوغسلافيا السابق) وتوفى سنة ١٩٥٤ (من الأمس
إلى الغد : ٢١٧ .

(٢) انظر الحركات الشيوعية فى تركيا : ١٤-١٩ ، ١٨-٢٣ ، ١٠٠ ، الاتجاهات
الفكرية المعاصرة : ١٦٣ .

(٣) الحركات الشيوعية فى تركيا : ٢٤-٢٧ . (٤) المرجع السابق : ٢٨-٣٢ .

(٥) انظر بحوث على المثقفين : ٢٩١-٢٩٢ ، الحركات الشيوعية فى تركيا : ٣٧-٣٨ .

(٦) الحركات الشيوعية فى تركيا : ٣٩-٤٣ .

(٧) المرجع السابق : ٤٤-٤٥ ، النطق لمصطفى كمال : ٣١٩/٢-٣٢٢ .

الدعوة إلى الجهاد وبيان ضرورته للناس. وبعد فترة قصيرة من تأسيسها دخل بينهم رجال من الحزب الشيوعي بمدينة باكو - روسيا - التابع للمنظمة الاشتراكية العالمية الثالثة .

— الحزب الشيوعي السرى التركى (١) : كما هو ظاهر من اسمه هو حزب سرى ، والمعلومات عنه قليلة ، وظاهر من بيانهم الموزع فى ١٤ / ٧ / ١٩٢٠ أنه أسس فى تلك الأيام وعلنوا انهم مرتبطون بالمنظمة العالمية الاشتراكية الثالثة .

— الحزب الاشتراكى الشعبى التركى (٢) : طلب بعض النواب من الحكومة رسميا الموافقة على انشاء هذا الحزب الشيوعى فى ٧ / ١٢ / ١٩٢٠ ، وقد اقترح بعض الاعضاء أنه : " لكى نستفيد من تأييد الشعب وبعض النواب فى المجلس الوطنى لا بد لنا أن نضيف فى نظام الحزب شيئا من الإسلام ، ونعلن أن مبادئ الإسلام ليست مخالفة لليسارية والاشتراكية " وبينوا أنهم شعبية من شعب جيش العمال الثورى العالمى ، وفتحوا فى تركيا المراكز التالية : مركز نقابات العمال الأحمر ، شعبة اتحاد الشباب الشيوعيين الأتراك ، شعبة النساء للحزب الشيوعى التركى .

— الحزب الشيوعى المحظور (٣) : أسسه مصطفى صبحى فى ١٠ / ٩ / ١٩٢٠ وكانت روسيا تعتمد على مصطفى صبحى كثيرا وهو ينوى الدخول إلى تركيا بمساعدات مادية من المال ، والسلاح ، والعسكر ، واللوازم العسكرية وتأسيس الجيش الشيوعى التركى ، وبعد ذلك يعمل كما يشاء .

— الحزب الشيوعى التركى الرسمى (٤) : سمحت الحكومة بتأسيس الحزب الشيوعى التركى رسميا ضمن المجلس الوطنى التركى وكان اكثر رجاله من رجال الحكومة . وعملوا ذلك كلعبة سياسية تجاه روسيا . وكانت هذه العملية عبارة عن التظاهر بالشيوعية دون تغيير حقيقى فى النظم القائمة . وكان الغرض من ذلك منع تأسيس الأحزاب الشيوعية المنتشرة كثيرا جدا . أسس هذا الحزب فى ١٨ / ١٠ / ١٩٢٠ ، واصبح وزير الداخلية حقى بهيج : الأمين العام للحزب ، وقائد القوات المسلحة فوزى باشا ، أصبح عضوا فى المركز العام للحزب ، ورغم اشتها ر هذا الشخص بين المسلمين فى تركيا بإسلامه وادائه بعض الواجبات مثل الصلوات المفروضة وتلاوة القرآن ، فإنه لم يتكلم بشىء تجاه الانحرافات ، بل سكت مع كونه من الإسلاميين .

(١) الحركات الشيوعية فى تركيا : ٧٣-٧٥ . (٢) المرجع السابق : ٧٦-٨٢ .

(٢) المرجع السابق ٨٧-٩٠ . (٤) المرجع السابق : ٩١-٩٣ ، ٩٥-٩٦

ج) الأساليب الشيوعية فى تركيا :

نشر الشيوعيون أفكارهم بالجرائد والمجلات من بداية نشاطهم حتى سنة ١٩٢٥ ونشروا كثيرا من الرسائل والكتب باسم " كليات ضوء النهار " وصدرت جريدة " المطرقة والمنجل " (١) سنة ١٩٢٥ .

ولم تكتسب الجمعيات الشيوعية فى تركيا قبل سنة ١٩٢٥ هوية سرية فى أعمالها ، وكان الغرض من إعلان أعمالهم ، كسب تأييد روسيا وجلب المساعدات منها . واستمرت السياسة المعلنة للشيوعيين حتى السنة المذكورة . وفيها منعت المنظمات والجمعيات كلها بقانون صادر تحت اسم " قانون حظر النشاط السياسى " وبه منعت الحكومة نشاطات الشيوعيين فى الظاهر ، ولم يستطيعوا تطوير نشاطاتهم بين سنتى ١٩٢٥ - ١٩٣٠ ، وقبض على كثير من الأشخاص المعروفين بالشيوعية فى هذه الفترة وحكم عليهم بالسجن (٢) ، ومن أجل ذلك اتخذ الشيوعيون فى تركيا بعد سنة ١٩٣٠ أسلوبا جديدا لنشاطاتهم ، وقد كانوا قبل ذلك التاريخ يهدفون إلى تجميع العمال والفقراء من الشعب وتحريضهم وقصدوا نشر أفكارهم الإلحادية بينهم وركزوا بعد السنة المذكورة على المثقفين والشباب ، والكتاب والصحفيين والاعنياء الذين يعيشون فى قصورهم ، ويتحركون فى البلاد بسياراتهم الحديثة وقد أدرك الشيوعيون ضرورة وجود جماعة من المثقفين لتحقيق الثورة الشيوعية وتغيرت أساليبهم تماما بعد سنة ١٩٣٠ بالنسبة لما قبل هذا التاريخ وكانوا قبل ذلك يؤسسون الأحزاب والمنظمات السياسية . الخ . كما ذكرنا ولكن بعد السنة المذكورة اهتموا بالفن والأدب ، والمسائل الاجتماعية ، وتحت هذا الستار اهتموا بجميع أفراد المجتمع وليس بالعمال فقط بل ركزوا على تغيير أفكار الناس ومعتقداتهم ، وحاولوا جلب اكثر عدد إلى صفوفهم ، ونشر أفكارهم الإلحادية بين هؤلاء واصدر الشيوعيون سنة ١٩٣٢ المجلة المسماة " المجموعة الكاملة " وأظهروا المحبة تجاه رئيس الوزراء عصمت إينونو ، واكتسبوا ميله إليهم ، وبينوا أن الثورة فى روسيا نموذج للثورة التركية . وتبنى إينونو أفكارهم خصوصا فى الغاء الملكية الفردية واعترف فى خطاب له ، انه سيسعى لتطويرها ، ولتأسيس نظام جديد ، واعتبره طريقا نافعا منتجا . واعلن أنه يسارى " فى يسار الوسط " (٣) .

وألف الكاتب الشيوعى عزيز نسين ، اثنين وخمسين كتابا بأسلوب ساخر ، ترجم منها خمسة وعشرون إلى سبع لغات أوروبية وشرقية ، وكان الفكر الشيوعى

(١) انظر الحركات الشيوعية فى تركيا : ١٠٠ ، ١٢٥

(٢) المرجع السابق : ١٦٦ ، ١٩٤ (٣) المرجع السابق : ٢٠٣ - ٢٠٧ .

يسيطر على أدب هذا الكاتب، إلا أنه كان لا يوحى بهذا الفكر إلى أقرانه في شكل مباشر، بل هو يخفي هدفه ويبيته بشكل أدبي . أما نشاطاتهم بعد سنة ١٩٣٠ عموما وبين سنتي ١٩٣٠-١٩٤٦ خصوصا ، فمن يبحث في تركيا في تلك الفترة يجد أنهم توسعوا في نشاطاتهم، وركزوا على الفكر والأدب ونشر المقالات والشعر والرواية والحكاية والنكتة وغيرها من مجالات الفكر والأدب وعملوا ترجمات من لغات مختلفة . وهناك أشخاص ومنظمات وأحزاب شيوعية أكثر مما ذكرنا ، ولكن كثيرا من الأشخاص والمنظمات أخفوا أنفسهم ، وقاموا بنشاطهم سرا- في أيام محمد عاكف وبعد أيامه - ولم يعلنوا شيئا عن أفكارهم ومبادئهم ومن أجل ذلك اكتفينا بما ذكرنا . أما موقف محمد عاكف من حركة الإلحاد والملحدين فسوف نكتب عن وقوفه ضد هذه الحركة في الباب الثاني .

(د) بعض الشيوعيين وأعمالهم في تركيا :

يقول الشيخ مصطفى صبري : كان آخر سلاح حاربته به الدول الوارثة لضغائن تلك الحروب الصليبية- نشر الإلحاد القائم على المبادئ المادية بين أبنائها المثقفين ونشر المبادئ القومية بين العناصر المندرجة تحت لوائها وقد وجد أول هذين السلاحين عوننا للاعداء في قلب تركيا ، فكان استعماله كفتح الحصن من داخله ، كما وجد السلاح الثاني رواجاً عظيماً في أطراف تركيا وكفى السلاحان في القضاء على دولة الترك المسلمة المجاهدة (١) .

وقد حاول الشيوعيون هدم الدين في الدولة العثمانية أولاً ثم في دولة تركيا ثانياً ، ونذكر على ذلك مثالا : كتب د . عبد الله جودت صاحب جريدة " الاجتهاد " المعروف بنزعتة اللادينية مقالة عاب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ماعمله بيهود بني قريظة حيث أمر بقتلهم بعد استسلامهم للمسلمين وعده ظلماً (٢) . ويبدو أن هناك علاقة بين دفاع هذا الكاتب الشيوعي عن اليهود وكونه اقطاب الشيوعية واعظم زعمائها من اليهود (٣) ، وقد عمل بعض الناس لتأسيس نظام شيوعي في تركيا ، ونذكر على ذلك مثالا واحداً هو :

ناظم حكمت : تعرف عليه الشيوعيون واستفادوا من قلمه ، رغم أنه ليس شاعراً ، جعلوه شاعراً تركيا عظيماً ، وكانت قصائده عبارة عن دفاع مكشوف عن

(١) موقف العقل : ٢٢ / ١ .

(٢) وقد رد عليه الشيخ مصطفى صبري قائلاً : أنهم نقضوا العهد في أخرج

وقت على المسلمين وانضموا إلى أعدائهم في حرب الأحزاب (موقف العقل

٩٥ / ١ .

(٣) انظر تفصيل اسمائهم وأعمالهم (الحركات الشيوعية في تركيا : ١٢٦-١٦٥ .

الشيوعية ، وليس فيها فن ولا ذوق أدبي ، ولا وزن ، ولكن جعلوه أديبا مشهورا عالميا وكتب تمثيلات بسيطة عادية ، وقد عرضت هذه التمثيلات العادية على خشبة المسرح بكل منها لمدة شهر كامل على التوالي وذلك رغم عدم قيمتها الفنية . الخ . وهكذا اكتسب المؤلف مالا وشهرة ، وعمل ترجمات لمسرح الدولة ونشر قصائده ومقالاته في الجرائد والمجلات الشيوعية تحت أسماء مستعارة . ولا يمكن انكار دوره في إفساد الشباب خصوصا بعد سنة ١٩٣٥ بآثاره وجعل الفن وسيلة في نشر أفكاره الفاسدة (١) .

ولم تتوقف اعمال الشيوعيين بل استمروا في نشاطهم أيام محمد عاكف كما استمروا قبل أيامه وبعده . وقد اكتفينا بالكتابة عن نشاطاتهم في أيامه فقط وهناك طرق كثيرة للإلحاد خططتها اليهودية العالمية ، وأساتذة الماسونية ، تحت أسماء براقية مثل التمدن ، والحضارة والرقى ، كما قال الشيخ مصطفى صبرى : لافرق بين مصر وتركيا الحديثين في غلبة الإلحاد على الديانة إلا من حيث إن الانقلاب اللاديني تأسس في تركيا جبرا من الحكومة مفاجأة (٢) .

(١) انظر الحركات الشيوعية في تركيا : ٢١٦ .

(٢) موقف العقل : ٣٠ / ١ .

٤) التغريب وانتشار الفساد الخلقي

- أ) تاريخ التغريب، بدايته في مجال التشريع والمجال العسكري .
 ب) التغريب في مجال التعليم .
 ج) التغريب عن طريق وسائل الإعلام .
 د) الدفاع عن المرأة وحقوقها
 هـ) تبادل الزى .
 و) التغريب في مجال الأدب والفن والفكر في الحياة الاجتماعية
 ز) التغريب في مجال السياسة .
 ح) وسائل أخرى للتغريب .

لا تقف عملية التغريب التي يقوم بها الغرب والمستغربون عند مجال واحد ولا جزئية واحدة ولكنها تتناول كل مجالات الحياة عند المسلمين في الدين واللغة والأدب والفن والقوانين . . الخ. وكان يجب أن يتنبه المسلمون إلى أن الغرب فيما يعقده من مؤتمرات، أو مؤلفه من مؤلفات، إنما يسعى لحماية المصالح الأوروبية عامة واليهودية خاصة . ولأنشطة الغرب وجوه كثيرة في مجال التغريب والنيل من الإسلام ومحاولة اذابة المجتمعات الإسلامية في المجتمعات الغربية. ولتغريب الشعوب الإسلامية طرق كثيرة ومتشعبة جربها اعداء الإسلام منها :
 تدعيم العصبية الاقليمية والتأكيد على المعاني الوطنية وحثها دون الإسلامية ، ومنها : اهتمامهم بنشر ألوان معينة من الثقافة كاهتمامهم بالآثار القديمة للأتراك القدامى - مثلا - دون غيرهم . وفي المرحلة الأولى كان كل تجديد أو اقتباس مما يسمى بالحضارة الغربية يوزن بميزان الإسلام فما وافقه اخذ به وما خالفه عدل عنه . وكان محمد عاكف من بين من يمثلون هذا الاتجاه . أما المستغربون من رجال التنظيمات ومن الاتحاديين ومن أتى بعدهم أيام الجمهورية، فكانوا لا يسألون كلما اعجبهم شيء من انظمة الغرب أو مظاهره . أهذا مما يقبله الإسلام ويسمح بنقله واستخدامه في المجتمعات الإسلامية أم لا ؟ ومن أجل ذلك أجاب سعيد النورسي حين سأله شيخ الأزهر محمد بخيت المطيعي عن رأيه في أوروبا ورأيه في الدولة العثمانية قائلاً : إن أوروبا حامل بالإسلام فستلده يوماً ما ، وإن الدولة العثمانية حامل بأوروبا وستلدها يوماً ما " (١) . وبعد انتشار التغريب في العالم الإسلامي ، نسي المسلمون أصول دينهم فحدث انهيار هائل في القرن الأخير في

هذه الأمة ، واصبح المسلم المنهزم أمام هذا الوضع ، مسلما لم يكتمل إسلامه ، ولم يتثقف بثقافة الإسلام ، ولم يدرسه ، ولم يطلع على دينه كما جاء صافيا . فالمنهزم أمام المبادئ المستوردة منهزم لأنه فقد السلاح . . . ، وصار يردد ما قيل له دون تحكيم عقل ، بل صار نسخة كربونية عن تفكير من يملئ عليه . (١)

أ (تاريخ التغريب ، بدايته في مجال التشريع والمجال العسكري :

أغلب الظن عند بعض الكتاب أن بداية التغريب كانت في عهد سليمان القانوني . فهو الذي استقدم بعض القوانين الأوروبية لحل بعض الأمور ، ومن هنا فقد اطلق عليه سليمان لقانوني وعلى أي حال لم يذهب أحد إلى أن قوانينه تناظر الشريعة ، فهي لا تعدو أن تكون تنظيمات تتناول شئونا لم يرد فيها نصوص تتعارض مع أحكام الشريعة (٢) .

وقيل إن العصر المسمى بالعصر الخزامي (٣) يعتبر عصر العلمانية السرية ولكنها لم تستمر كثيرا بل انتهت بانتهاء ذلك العصر (٤) . وقد ألغى السلطان محمود الثاني (١٧٨٥-١٨٣٩ ت) (٥) الجيش الانكشاري سنة ١٨٢٦ ، وأقام مكانه جيشا على نظام أوروبي جديد ، وهذا أدى به إلى القيام بتحديث الأسلحة وقام بجانب هذا بتغييرات شكلية قلد فيها الغرب تقليدا اثار سخرية الناس ، ولما مات تولى بعده السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) (٦) وسار على خطة والده السلطان محمود الثاني . وكان وزيره رشيد باشا أكبر شخصية ماسونية (٧) في وقته . واحتضن الماسونيين ووجه أجهزة الدولة نحو البعد عن التراث الإسلامي والتمسك بثقافة أوروبا . وقام باستحداث دستور على النمط الغربي سمي بالتنظيمات والمقصود بها : اعادة تكوين دولة العثمانية الإسلامية على اسس غربية .

- (١) عوامل النصر والهزيمة : ١٢٠ .
- (٢) انظر المجتمع الإسلامي والغرب ، لهاملتون جب ورفيقه : ٣٦ / ١ ، تاريخ العرب لقليب حتى : ٢ / ٨٤ ، الوثنية الحديثة : ٣٨٢ .
- (٣) بدأ اعتبارا من أيام السلطان احمد الثالث (١٧٣٣-١٧٣٦) وسمى بهذا الاسم بعد عام ١٧١٨ بسبب انتشار الترف والاهتمام بالزهور والورود والا ذواق ، انظر اليوم العثمانيين : ٦٩)
- (٤) لايشك حسنى اقطاش في كون هذه الفترة بداية للتغريب . انظر الوحشة المدنية ٧٠-٧١ .
- (٥) انظر اليوم العثمانيين : ٧٧ . (٦) المرجع السابق : ٧٨ .
- (٧) ومن ابرز سمات تلك الفترة : حلول الماسونية لأول مرة في الدولة العثمانية (الجنائيات السياسية في التاريخ القريب : ٩-١٠ .

يوضح احد سفراء فرنسا في تركيا سابقا الغرض من التنظيمات بقوله :
 " كان الغرض العام من التنظيمات تقريب الهيئة الاجتماعية الإسلامية إلى
 الهيئات الاجتماعية المسيحية التي عاشت منذ قرون بعيدة عنها معنىً وسياسةً .
 ولاشبهة في خطورة ماهية المشكلات التي يتضمنها هذا المشروع ، فقد كان العامل
 في وقوف الامبراطورية العثمانية في موقفها بالقرون الوسطى ، الذي غمرها يوما بعد
 يوم في ظلام تلك القرون الكثيف ، والذي سينتج يوما من الايام اندراسها التام
 بقاء الحكومة العثمانية منفردة في خارج الهيئات الدولية الأوروبية وكان السبب
 الحقيقي في هذا لانفراد هو الدين ، وفي الحقيقة أن الإسلام الذي قد كان
 مؤسس الحكومة العثمانية بقي حاكما مطلقا فوق الحكومة ناظما " وبعد ذلك بوجه
 الاداريين قائلا : " إما أن تحول الحكومة من الروحانية إلى الدنيوية بتخليصها من
 تأثير القوانين الدينية كما وقع في العالم المسيحي ، وإما أن تخلص بالتدريج عن
 الحدود والقيود الدينية من طريق تفسير العقائد الأساسية تفسيراً موسعاً .
 وللحتراز من الحالات الموجبة لاشمئزاز شعب جاهل متعصب لا يلبث أن ينفعل
 ويتأثر من كل شيء ، اختارت الحكومة العثمانية الطريق الثاني " فهذه الكلمات
 تعلن ما كان يضر المتفرنجون الأتراك أن يفعلوه بدين الله (١) .

وشكلت اللجان لوضع القوانين الخاصة كقانون الأراضى الذى شرع عام
 (١٨٥٧) وقانون السندات والسجلات (١٨٥٨) وقانون الجزاء (١٨٥٧) وقانون
 التجارة (١٨٧١) وكانوا يحرصون على ألا تخالف الشريعة الإسلامية . وحين أراد
 العثمانيون وضع القانون المدنى عهدوا بذلك إلى لجنة كان منها جودت باشا
 - وزير ديوان الأحكام العدلية - وغيره من العلماء فنظموا كتاب " مجلة الأحكام
 العدلية " ، حيث أخذوه من نصوص الشريعة المبتوثة في كتب الفقه وأصدره السلطان
 عبد العزيز (ت : ١٨٧٦) بأرادته السنوية عام (١٨٧١) كقانون تعتمده
 المحاكم في جميع أنحاء الدولة العثمانية (٢) . وكان مصطفى رشيد باشا يعتقد ضرورة
 تغيير النظام الإدارى من أساسه تماما . وكتب ما اعتقده هو بلسان السلطان
 عبد المجيد ، وفي الواقع فإن التنظيمات هي حركة لترك الحضارة الإسلامية التي
 تبناها الشعب المسلم خلال قرون ، والتوجه إلى ما يسمى بالحضارة الغربية .

أما إلغاء الشريعة الإسلامية وتنحيتها وتطبيق القوانين الوضعية بديلا
 عنها ، فقد حصل ذلك حين قطعت تركيا صلتها بالإسلام نهائيا . واختارت لها

(١) نقله الشيخ مصطفى صبرى ، انظر موقف العقل : ٣٤٨-٣٤٩ .

(٢) انظر العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية في تركيا : ٥٠-٥١ .

دستورا أوروبا بدلا من أحكام الإسلام. وفي عام ١٩٢٦ تم الاعتماد على القوانين الغربية رسميا . الغيت الشريعة بمقتضى القانون رقم ٢٩٤ (١) ، وأصبحت أنظمة الحكم الغربى مطبقة وغيرت أحكام الموارث إذ سوت بين الذكر والأنثى. وجعلت أصحاب الحق الاصلين فى الإرث هم الفروع دون غيرهم (٢) . وقد سئل وزير العدل بين سنتى (١٩٣٤-١٩٣٥) رفیق شوكت إنجا عن القانون ا لمدنى فاجاب قائلا : إن المواد المتعلقة بالزواج والطلاق أثرت على البنية الأساسية وتقاليد الشعب واقتصاده ، وظهرت المشاكل الاجتماعية.، وفقدت الاسرة كرامتها (٣) ، ومع ذلك فقد صرح سيدبك (استاذ الفقه فى الجامعة) بضرورة التغييرات فى مجلة الأحكام العدمية ، وضرورة الاقتباس من القوانين والمؤسسات الحقوقية الغربية بلا تردد (٤).

وكان للتغريب فى الدولة العثمانية وبعد زوالها وتحولها إلى الجمهورية التركية مجالات مختلفة ونذكر على ذلك مثلا يتناول أقدم المجالات .
- التغريب فى المجال العسكرى : رأى البعض فى تركيا أن نهضة البلاد تقوم على جيش منظم مدرب ، ولهذا استقدم بعض السلاطين الخبراء من أوروبا وارسلوا البعثات إلى بعض بلاد الغرب .
وقد كان للتغريب طرق مختلفة من التعليم والعلاقات البشرية والفنون والمجال المادى والثقافى والسياسى ونلخص بعض هذه المجالات فيما يلى :

ب) التغريب فى مجال التعليم :

بدأ التغريب فى مجال التعليم والتربية بأعمال المربيات الأجنبية ، أما تفصيل ذلك : فقد وجدت المربيات فى الدولة العثمانية فى القرون الأخيرة . وكان لهن دور كبير فى انتشار نظام حياة الغرب وثقافته وكثر عدد هن فى بيوت الأغنياء والمثقفين من الأتراك المسلمين لتربية أولادهم وأخذ الأولاد منهم التربية الغربية وعاداتها وأخلاقها ، واصبحن سببا رئيسيا فى بعد المسلمين عن ثقافتهم وقيمهم الأخلاقية . يقول أحد الكتاب : اشتغلت عجوز فرنسية كمرية عشر سنوات فى استانبول ولم تحتج إلى تعلم لغة الأسرة التى تعيش بينها (٥) وكان

-
- (١) انظر نهاية الخلافة : ١٨٦ ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة : ٢ . ١ ، أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى : ٣٥ ، ٤٤ .
(٢) العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية فى تركيا : ٣٠٢ .
(٣) أثر السنين : ٨٥ .
(٤) من الشريعة إلى العلمانية : ٢٤١ نقلا عن جريدة طنين بتاريخ ١٩٢٣/٩/٣ .
(٥) رواية ثروة الفنون من ناحية التغريب : ١٧-٢٢ .

معظم المربيات من فرنسا . لذا انتشرت اللغة والحياة الفرنسية وثقافتها ونظامها . أما المدرسون ، فأصبحت معرفة اللغة الأجنبية بعد التنظيمات من طرق الترقى ، والحصول على الوظائف ومن أجل ذلك فكرت الأسر فى طرق لتعليم أولادهم اللغات الأجنبية وكان منها اتخاذ المربيات والمدرسين الخصوصيين ومن ناحية أخرى أخذ بعض المسؤولين من السلك السياسى أولادهم معهم أثناء سفرهم إلى الغرب للقيام بوظائفهم. وسجلوا أولادهم فى المدارس الأجنبية لتعليم اللغة. وبدأت العلاقات بين الأجانب وبين الطلبة فى تلك المدارس، وانتشر الميل تجاه الغرب. وهناك المدارس الأجنبية فى داخل الدولة العثمانية ، وكان بعض الأسر يختار الدراسة لبناته فيها . وذلك رغم كون هذه المدارس تحت إدارة الراهبات، وأخذت البنات المسلمات ما أخذته البنات الغربيات من التربية والمواد المقررة وأشار بعض الكتاب فى كتاباتهم إلى مدى حاجة البلاد لمدارس البنات والمدرسات ووقف بعضهم ضد الدراسة فى أوروبا . يقول أحد الباشوات : " نحن نرسل كذا شابا للدراسة إلى باريس ولكن لم يعد منهم أحد كما نتوقع ، إذ تفسد أخلاقه وتربيته ولا يبقى فيه شىء يستفاد منه" (١) أما ما تعلموه فهو عبارة عن لباس مزين فقدوا الجدية وروح الدين ، وأصبحوا كالأجانب . انتشر التغريب فى المدارس الأجنبية على شكل منظم ، وكان من بينها المدرسة السلطانية (ثانوية قلاطصاى) التى افتتحها الفرنسيون ويشير بعض الكتاب إلى تحقير الأتراك فى تلك المدرسة وفتح المستشرقون الأمريكيون " الجامعة الأمريكية " وأشرفوا على إدارتها .

وبعد أيام التنظيمات جاء الاتحاديون وازداد الفساد فى المجتمع ، واهملوا المدارس الإسلامية ولم يهتموا بها وجاء الجمهوريون وفتحوا مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية ولا تعلم الدين ، والغيت جميع المدارس الإسلامية. (٢) وانتشر التغريب فى المدارس الرسمية كانتشاره فى المدارس الأجنبية. وقسـال المسلمون فى أيام إلغاء الحروف العربية وبداية كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية. إن هذه المدارس مدارس إلحاد . لأن الدراسة فيها بالحروف اللاتينية وهناك اختلاط وهناك وهناك ، ولكن هذه المدارس الجديدة أصبحت هى الوسيلة للرزق والمكانة الاجتماعية. لقد كان المتخرج من معاهد المعلمين يعين مدرسا فى مدارس القرى والمدن لينشر إلحاده بين الشعب ، وكثير من المتخرجين من المدارس الجديدة كان يعين بعد تخرجه مباشرة فى دواوين الحكومة . أما

(١) رواية ثروة الفنون من ناحية التغريب : ٥٦ .

(٢) انظر محنة السائرين على طريق الشريعة : ١٤-١٥ .

أساتذة المدارس والجامعات الإسلامية فقد أصبحوا لا يجدون عملاً بعد قسراً إلغاء المدارس والجامعات الإسلامية . وإن وجد عملاً ، ففي المساجد كإمام وخطيب لكن حياته حياة ذليلة بالنسبة لخريج المدارس الجديدة الذي يعمل فى المدارس أو يعمل موظفاً حكومياً . لأن الإمام يعيش بما أعطاه الناس من الزكاة والصدقات . . الخ .

وتعلمت النساء على الطريقة الغربية وتخلقت معظمهن بأخلاق الغرب وثقافته ، وما سعى أحد فى تلك الفترة إلى إحياء درس الدين من الموت الذى فرضه عليه منهج " توحيد التدريبات " - أى جمع جميع المدارس فى نظام علمانى واحد بموجب قانون توحيد التدريبات . وأصبحت مناهج التعليم والتربية الغربية هى المطبقة فى مدارس وجامعات تركيا (١) . ويقول كمال الدين كاموا : لارجعية ، لا تخلف ، ولا معجزة ، ولا سحر لتكن الكعبة للعرب ولنا مقر مصطفى كمال (جان قيا) . ويقول يوسف ضيا ارطاج : يخلق مصطفى كمال كل شىء من العدم مثل الإله (٢) . وكان من أهم مبادئ التعليم : الكمالية والتغريب والدفاع فى جميع مراحل التعليم عن الجمهورية ، والقومية التركية ، والشعب ، والدولة ، والثورات (٣) .

- إلغاء الحروف العربية : عقد اجتماع فى جامعة استانبول فى ١٦ / ٢ / ١٩١٢ ودافع بعض المنحرفين عن قبول الحروف اللاتينية . واستمر هو لا على دفاعهم عن آرائهم حتى الموافقة على هذه الحروف رسمياً . واشتد الميل إلى قبول الحروف اللاتينية فى مدن ألبانيا عام ١٩١٥ (٤) ، يقول بياصفا - أحد الكتاب الأتراك : لم يحرم القانون قراءة الحروف العربية بل حرم كتابتها .

وفى الواقع تسبب ذلك فى تجهيل الأتراك بكاملهم . فالجيل الجديد نشأ بعد هذه الاجراءات لم يكن بإمكانه أن يقرأ ما كتبه أباه وأجداده . وانفصل الحاضر عن ماضيه العريق ، وهكذا جهلوا الأمة بلغتها وتراثها ودينها . وقد ألغى المنحرفون الحروف العربية وبدوا يكتبون اللغة التركية بالحروف اللاتينية . وصارت المكتبات التى تضم آلاف الكتب القيمة لا يستفيد منها إلا الجيل القديم " وتم صرف المسلمين فى تركيا عن تراثهم الإسلامى بتغيير الحروف العربية . . ، وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التى تتضمنها لتنشأ أجيال تعجز عجزاً كاملاً عن الاتصال بتراثها الإسلامى ، فتقطع عنه وتنشأ بلادين (٥) . وقد أصبحت المدارس الحديثة مرغوباً فيها من قبل الشيعة ومنسوبة حزب الشعب

(١) فصل الدين عن الدولة : ٢١٩ (٢) خيانة التغريب : ٤٠ .

(٣) انظر تاريخ معارف الترك ١٧٨٨/٣ (٤) من الشريعة إلى العلمانية : ١٠٣-١٠٥ .

(٥) انظر واقعنا المعاصر : ٢٢٢ .

(اليسارى) أما المسلم المخلص فى ذلك الوقت فقد كان يخاف من ضياع أولاده من البنين والبنات فى أيدي الملحدين فى التعليم الحديث الغربى . وسـدـت المعاهد الدينية ، ورفع من برنامج جامعة استانبول القسم الدينى سنة ١٩٣٣ (١) ، وعنى بتنشئة أبناء تركيا المتعلمين نشأة لادينية . ومن مظاهر التغريب اضطهاد علماء الإسلام أبشع اضطهاد . ومن نتائج التغريب فى مناهج التعليم القضاء على التعليم الدينى حتى فى الابتدائية (٢) . وقد وجهوا التلاميذ فى برامجهم التعليمية إلى أوروبا فاصبحوا يرون أن : " أوروبا هى العلم . والحضارة . والقيم والديمقراطية . وهى حقوق الإنسان ، والتقدم الصناعى . وهى الصورة الصحيحة للوجود البشرى فى جميع المجالات (٣) " واصبحنا نطبق ماقاله " الأوروبيون فى مجال المناهج والتربية وطرق التعليم (٤) .

أما لدراسة فى الخارج - فى الغرب ، فكان من نتائجها أن يعود المبتعثون وقد صاروا خلقا آخر . مسوخا كل المسخ لا يعرف دينه ولا ثقافته ولا حضارته ولا قومه كما لا يعرف بعضهم لغته . واصبح المجتمع المسلم الجديد فى ايدى هؤلاء المنحرفين .

وبمخططات الصليبية أحكم المنحرفون قبضتهم على الأجيال فلم تكن المسألة فى الدولة العثمانية التى بعدها . إفساد جيل بعينه يذهب ويذهب معه فساده ، إنما كان الهدف ضمان سريان السم فى الأجيال المتتالية لكيلا يخرج جيل يفكر فى العودة إلى الإسلام (٥) ، وقد حُقِنُوا بالسم الخبيث على جرعات متوالية فى الأسرة وفى الروضة ، وفى اثناء التعليم الابتدائى ثم الثانوى والجامعى .

ج (التغريب عن طريق وسائل الإعلام :

التغريب عن طريق ترجمة الكتب الغربية إلى اللغة التركية ونشرها فى تركيا : انتشرت فكرة اتخاذ الكتب والمكتبات الخاصة خصوصا بين الأدباء والمثقفين ومعظم الكتب المترجمة كانت باللغة الفرنسية ، أو الانجليزية . وعن طريق هذه الكتب الغربية انتشر الميل إلى الغرب وكتبهم ومولفاتهم وثقافتهم . وبدأت حركة الترجمة بالتنظيمات عموما وفى عهد السلطان محمود الثانى خصوصا واستمرت فترة طويلة ، ودخلت الدولة فى هذه الحركة وترجمت مئات الكتب إلى اللغة التركية .

(١) العلمانية للمشهدانى : ٣٠٣ . (٣) أفعى اليهودية : ٩٤-١٩٥

(٢) واقعنا المعاصر : ٢٢٩ . (٤) فصل الدين عن الدولة : ٢٢٠

(٥) انظر واقعنا المعاصر : ٢٣٣ .

وفي أيام الجمهورية التركية هيأت الحكومة لبعض المتخصصين فى اللغات الغربية أن يترجموا عنها كتباً فى فلسفة اليونان وتمجيد التاريخ الأوروبى . . الخ . وخرجوا للناس المسلمين مترجمات عن كتب الفلاسفة ، وابطيل اليونان فى الهتهم المزعومة واساطير الغرب . ونتيجة هذه الترجمات اطلع من لم يكن يجيد اللغات الغربية من الأتراك على ثقافات الغرب وأباطيل فلاسفته . ومال المنحرفون إلى التشبه بالغرب فيما اطلعوا عليه . يقول ضيا باشا فى الدعوة إلى دراسة لغات أوروبا : إذا أردت أن تحيط علماً بالدنيا فلا بد من تعلم لغة أوروبا ، لقد برز القوم فى الفنون ، فلا تحجم عن الدرس والتحصيل ، أنت حقيق أن تلم بعلم تلك البلاد ، فدع عنك جنون التعصب ، لن يكون الشاعر شاعراً إلا بذلك ، ولن يكفر الإنسان باللسان . ابذل فى التحصيل الهمة إن كنت ذا حمية ، وأكثر ممن ترجمتك لتنفع بها اهل وطنك " (١) .

أما المسرحيات ، فقد أسست مسارح . وكان الهدف من نشر المسرحيات وترجماتها إلى اللغة التركية هو التغريب ، وقد بدأ المسرح أعماله فى أول أيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٠ و صدر القانون رقم ٢٠٢١ فى ١٩٢٣ لحماية جوقة الموسيقى وفتحت مدرسة الموسيقى بأنقرة سنة ١٩٢٤ وجعلت مادة " الموسيقى " مادة اجبارية تدرس فى جميع المدارس ، وقد اهتمت بذلك وزارة التعليم ، وفى ١٩٣٤/٦/١٧ قام الممثلون بتمثيل مسرحية أمام رئيس ايران السابق اثناء زيارته لتركيا (٢) . وكان للقصص والمسرحيات دور كبير فى إشاعة السفور ، وإفساد أخلاق المسلمين فى المجتمع التركى . لأن " الشاب ، أو الفتاة " أو " العلاقات بين الرجل والمرأة " وغير ذلك .. كان من اهم مراكز عليه المنحرفون فى الأعلام...

ولعبت الصحف دوراً حاسماً فى هذه المعركة ، بما كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء ، وما كانت تروى من أخبار النشاط النسوى الذى قد أن تخلو منه صحيفة ، ومن تطورات الانقلاب الكمالى فى تركيا وآثاره فى المجتمع النسوى خاصة (٣)

وإليك نموذجاً من تسلل الدونمة إلى الإعلام التركى بأموالهم وأشخاصهم . . الخ . متعاونين مع الصليبية العالمية : تعتبر جريدة الحرية أكبر دار نشر فى تركيا . ومن هذه الدار تصدر مجلات بين اسبوعية وشهرية تحتل المكانة الأولى فى التوزيع بين المجلات ، ولا شك أن لدار الحرية أثراً كبيراً فى توجيه قطاعات

(١) تاريخ الادب التركى لحسين مجيب : ٤٠٠

(٢) تاريخ اوبرا : ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) الاتجاهات الوطنية : ٢١٧/٢ .

ضخمة من الشعب التركي ، هذه الدار تملكها وتديرها أسرة من يهود الدونمة . تختص هذه المؤسسة كبار كتاب اليسار . كما أن جريدة " الملية " جريدة واسعة الانتشار ويتبعها دار للطباعة والنشر وتصدر سلاسل كتب مختلفة، وتجنح إلى اليسار، وبقي القول بأن مؤسسة الملية تملكها وتديرها أسرة من يهود الدونمة أيضا هي عائلة " ابيكجي " ويكتب فيها إلى جانب كتاب اليسار، أقلام يهودية معروفة . ويأتي دور جريدة " الجمهورية " التي أسسها " يونس نادى " وهي جريدة اليسار المتطرف، كان يرأسها يهودى من الدونمة. فهذه الصحف فى مقدمة الصحف التركية ذات الفعالية الواضحة والنفوذ والتأثير سواءً بسين المثقفين ثقافة غربية أو يسارية أو بين بعض الطبقات الشعبية (١). وحين نقارن بين هذه النشاطات المذكورة وبين حالتهم أيام السلطان عبد الحميد نرى إلى أى حد كان الضغط والتضييق السياسى على هؤلاء فى أيامه . فقد منعت الكتب والجرائد والمجلات التى تحمل الأفكار المنحرفة من قبل إدارة السلطان لأنها كانت مضرّة ، وإن كان بعضها قد تسرب إلى البلاد عن طريق بريد السفراء الذى لا يخضع للرقابة (٢) .

وهدف جرائد الدونمة واحد هو ابعاد المسلمين الأتراك عن إسلامهم وانتشار التغريب والفساد الخلقى فى أقصى حدوده الممكنة .

د (الدفاع عن المرأة وحقوقها :

بذلت محاولات لجعل المسلم التركى مثل المسيحى الغربى الفرنسى واشتدت المحاولات بشأن المرأة بصفة خاصة وقد كانت النساء يعشن حياة إسلامية فبدأت بعد التنظيمات محاولات عديدة فى الدفاع عن تحرير المرأة واستمرت الفكرة من التنظيمات إلى الجمهورية . والفوا كثيرا من الكتب ودافعوا عن اختلاط النساء بالرجال ودافع بعضهم عن الرقص والحياة الغربية. وقسال قائلهم : لا يمكن ترقى تركيا إلا بأن يبدأ هدم جدار منع الاختلاط (٣). ونقد بعضهم طريقة الزواج الإسلامى ، وبدأت محاولات لتغيير نظام الحياة . وأراد بعض المثقفين ان يتخذ اسلوب حياة الغرب أسلوبا لنفسه وتأثر المسلمون بالغرب حتى فى عدد من ينجبون من الأولاد (٤). واحس بعض الكتاب خطر ذلك ونهبوا إلى

(١) انظر يهود الدونمة لمحمد عمر : ٥١-٥٢ .

(٢) انظر بديع الزمان سعيد النورسى لجمال كوطاى : ٧٧

(٣) رواية ثروة فنون من ناحية التغريب : ٩٠-٩١ .

(٤) المرجع السابق : ١٠٠ .

إن نتيجة ذلك ستكون انحلالاً للدولة . ولكن لم يلتفت أحد لتحذيراتهم . واهتم
الدونمة بمسألة إلغاء الحجاب . وذلك عن طريق الدعوة للسفور في صحفهم
ومجلاتهم ووسائل دعاياتهم . ودعوا بحرارة للاختلاط بين الطلبة والطالبات في
الجامعات . واخذ بعض المثقفين الأتراك الذين تأثروا بالفكر الغربي يدعون إلى
مادعا إليه هو "لاء اليهود" ، وتولت أجهزة الدعاية التي يمتلكها الدونمة اصدار
الكتب والرسائل والمقالات لمهاجمة الحجاب . وتجمع كثير من الكتاب الملحديين
والقوميين حول " المجلة الجديدة " . وكان للدونمة اتصال وثيق بالجهات العليا
في الحكومة ، وعن طريق هذه الصلة كانوا يستصدرون القرارات باغلاق كل صحيفة
معارضة لهم وكل صحيفة يصدر فيها مقال ضد هم . وكانوا يهتمون بنشر الصحف
والمجلات المنحرفة لإفساد المجتمع ، وأصدروا عدة جرائد ومجلات موجهة إلى
النساء خاصة . واصبح ترك الحجاب وعمل النساء في الإدارة والتشريع من المبادئ
العلمانية (١) ، تقول السيدة فريدة : انها أول امرأة تركية عملت في الحكومة . .
بدأت عملها بخلع الملابس الخارجية القديمة ولبس ملابس حديثة . وتقول السيدة
حاطي : انها عملت كعضو في المجلس الوطني وانها لبست ملابس حديثة واصبحت
من جميلات انقره خلال نصف ساعة واصبحت امرأة حديثة في انقره (٢) !

(هـ) تبديل الزي :

بدأ تبدل الزي يزي الأوروبيين بعد السلطان محمود الثاني ، فقد
اصدر قانون الأزياء في ٣ / ٣ / ١٨٢٩ واجبر الجميع من الموظفين غير العلماء على
لبس الجاكت والسروال والطربوش ، وجعلت العمامة والجبنة لأهل العلم فقط ، وقص
السلطان لحيته وطلب من الموظفين تقليده . وهكذا قلد العثمانيون لأول مرة
الحياة الاجتماعية الغربية . واستمروا على أسلوب الغرب حتى سنة ١٨٦٠ حيث
عملوا تغييرات شكلية بسيطة . ولاشك كان تقليد النساء الزي الأوروبي اكثر من
الرجال ، واهتمامهن بذلك أشد وازداد الاهتمام بالتزيين وأدوات التجميل (٣)
ونتيجة نشاطات اليهود انتشر تقليد الغربيين بأسرع شكل ورغم ذلك لم تظهر
المرأة التركية في المسرحيات بسبب تمسكها بدينها حتى نهاية الدولة العثمانية
ولم يحدث ظهور المرأة التركية في المسرحيات أمام الناس إلا في عام ١٩١٩ (٤)

(١) تاريخ معارف الترك : ٣ / ١٨٧٩ .

(٢) مجلة اسرتنا : العدد : ١٥ : ص : ١٤ : مارس ١٩٨٣ .

(٣) رواية ثروة الفنون من ناحية التغريب : ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٨ .

(٤) تاريخ الادب التركي المصور والمنقوش : ٨٨ / ٢

ومن الأقوال المنتشرة في المجتمع التركي " من ينظر إلى المرأة الجميلة يستحق الثواب" ، ولا شك في كفر مستحل الحرام القطعي في الإسلام ، وإذا كان استحلال الحرام كقرا في الإسلام فماذا تكون دعوى استحقاق الثواب على استحلال الحرام (١) . ومن مقتضيات الثورة في اللبس : ترك الجبة والسروال العثماني والطربوش والعمامة تماما ومنع لبسها واجبار الناس على لبس قبعة وسروال غربي (٢) ، " كان التخطيط الصليبي الصهيوني للمرأة المسلمة أن تسير في ذات الخط الذي دفعت إليه المرأة الأوروبية من قبل ، ضمنا لإفساد المجتمع الإسلامي كله حين لا تكون هناك أم مسلمة تلقن أبناءها مبادئ الدين والأخلاق وهم في مرحلة الطفولة ، وبذلت الصليبية الصهيونية كل مافي وسعها واستخدمت كل وسائلها لجعل عودة المرأة المسلمة إلى الإسلام وإلى الحجاب الإسلامي مستحيلة بعد أن تعرت بجسدها كله أو معظمه وبعد أن أصبح العري أصلا من أصول المجتمع المتمدن . وعلامة على الرقي ، والتحضر ، والتطور ، والانطلاق " (٣) .

وسقط الحجاب تدريجيا عن طريق زوجات رجال الدولة وبنات المدارس والجامعات. وكانت هناك جهود شيطانية لإفساد المجتمع التركي بإلغاء قوامة الرجل على المرأة ، وبإعلان المساواة بين الجنسين الذكر والانثى . كتبت صحيفة السياسة الاسبوعية مقالا عن فتاة تركيا في ١٧ / ٥ / ١٩٢٦ تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضا عاما ، في رحلة على نفقة الحكومة ، تنتقل فيها بين موانئ أوروبا الشهيرة . فتقول إن هذه الباخرة كانت تقل (خمسا وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة . كلهن جميلات مقصوصات الشعور ، لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لندن وباريس) ويقول مراسل الصحيفة : إن أكثر الفتيات يتكلمن الإنجليزية باتقان يدعو إلى الدهشة ، وأن بعضهن قد تلقى العلم في الكلية الأمريكية في استانبول ، ويروى بعض ما صرحت به الفتيات ، من مثل قول إحداهن في بعض الموانئ الإنجليزية : إن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير في الطرقات في ظلام وإنما نعيش اليوم مثل نساءكم الإنجليزيات ، نلبس أحادث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا ، وصرحت امرأة أخرى بأن " معيشتهن على ظهر الباخرة معيشة سرور وصفاء لا يوصف ، فكلهن يرقص وبعد العشاء يبدأ الرقص من " تانجو " و " فوكس تروت "

(١) انظر موقف العقل : ٣٦ / ١ .

(٢) تاريخ المعارف التركي لعثمان ارجين : ١٨٥١ / ٣ .

(٣) واقعنا المعاصر : ٤٤٦ .

وقد تعلمت ذلك فى المدرسة" ويعلق مراسل الصحيفة على ذلك الوصف بقوله : ان هذا من اظهر الآثار التى تدل على تقدم المرأة التركية ومجاراتها لأختها الغربية فى ميدان العمل والجهاد الفكرى والاقتصادى ولا يسع كل محب لتركيا إلا ان يغبطها على هذه الخطوات^(١) . وفى الواقع لاشك فى كون كل ما ذكرناه مخططا من جهات معينة . وقد اتفقوا جميعا على محاربة الإسلام . وإفساد المرأة المسلمة . فترك المسلمون دين الله واتجهوا إلى الغرب واتخذوه قدوة فى كل اعمالهم وحركاتهم . ووقفوا ضد الإسلام . وقد كان الحجاب التركى للمرأة المسلمة حجابا إسلاميا . وتمسكت به المرأة المسلمة بما أمر به الله تعالى . ولكن بسبب مجموعة من الانحرافات ، طالبت الحكومة بالسفور وخروج المرأة حاسرة فسى الطريق ، وبعد فترة خرجت نساء العسكريين ورجال الحكم والمدارس والطالبات سافرات كاسيات عاريات . وكل ذلك بضغط من الحكومة وقوات الأمن .

وكتبت صحيفة المقتطف مقالا عن " الاحوال فى تركيا المعاصرة" تشيد فيه بالتطور الاجتماعى الذى طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكن فى المجتمعات مع الرجال ومشاركتهن الشبان فى الدراسات الجامعية وإنشاء صحيفة تدافع عن حقوقهن ، كما يشير الكاتب باعجاب إلى ما أنشئ من الدور المختلطة التى تضم الشبان من الجنسين ليمارسوا الرياضة^(٢) وشغلت الصحف بمثل هذه الموضوعات ودار حولها جدل كثير ، و نشر شكيب ارسلان مقالا عن " السفور والحجاب" وحاول أن يقدم للناس درسا يستنبط فيه العظة من تطورات السفور فى تركيا . وعرض للمراحل التى مر بها ، ليبين ان الدعوة إلى نزع الحجاب هى مرحلة تهىء لما يليها من الدعوات التى ترمى إلى هدم الدين ، فيقول : عند إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ قال احمد رضا بك من زعماء احرار الترك ، مادام الرجل التركى لا يقدر أن يمشى علنا مع المرأة التركية على جسر غلطة - باستانبول - وهى سافرة الوجه ، فلا أعد فى تركيا دستورا ولا حرية . فكانت هذه المرحلة الأولى وفى هذه الأيام بلغنى أن احد مبعوثى مجلس أنقرة ، الكاتب رفقى^(٣) بك ، الذى كان كاتباً عند جمال باشا فى سورية . كتب : انه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين ، بل مادامت لاتعقد مقابلة مع رجل تعيش وإياه كما تريد ، مسلما أو غير مسلم ، فإنه لا يعد تركيا قد بلغت رقيلا^(٤).

(١) عن الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق : ٢ / ٢٥٦ .

(٣) هو من الماسون البارزين (يا ابن التركى تعرف على عدوك : ١٠٤ .

(٤) الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

فهذه هي المرحلة الاخيرة التي وصلت اليها المخططات .

و (التغريب فى مجال الأدب والفن والفكر والحياة الاجتماعية :

بعد التنظيمات اصبح المثقف العثماني صاحب النفوذ يتشدد بالالفاظ الاوروبية فى حديثه اليومي ، ويتحدث عن ادباء الغرب وشعرائه بدلا من أن يتحدث فى الأدب الإسلامى ورجاله . وأخذت المؤلفات العثمانية عن الآداب الأجنبية تنتشر، وكتب الفكر الفرنسى تترجم إلى اللغة التركية وقد كثر عدد الأسر التي تعلم اولادها الفن الموسيقى الغربى على يد الاساتذة الأجانب وبدأت البنات يتعلمن أنواع الموسيقى الغربية (١) وزين الناس منازلهم بتزيينات الغرب على اساليبه ومن ضمنها الادوات الموسيقية .

وانتشرت كتب المؤلفين الغربيين وساعدت الجرائد والمجلات على استغراق الناس فى حب الغرب وقال حسين جاهد : أنا لست مدينا للكتب التركية .

ز (التغريب فى مجال السياسة :

أعلنت التنظيمات عام ١٨٣٩ وبدأت معها فى الدولة العثمانية التغيرات السياسية والاجتماعية بسرعة واصبح التغريب سياسة الدولة رسميا ، ونتيجة العلاقات مع الغرب راي المسؤولون أن تقدم الغرب ليس فى المجال العسكرى فقط بل فى المجالات الأخرى لذا فتحو المجال لكثير من المؤسسات الغربية ومن بينها " المدارس على النظام الجديد " خصوصا فى كليات العلوم السياسية والإدارية . واعطوا اهتماما اكثر لتعليم اللغة الأجنبية وازداد التأثر بالغرب بين المثقفين بين سنتى ١٨٣٩ - ١٨٦٠ ، واضيف التغريب فى مجال الأدب إلى التغريب السياسى بعد عام ١٨٥٩ .

وكان لسياسة الابتعات التي اتبعها بعض السلاطين اثرها التدريجى فى تقبل الأفكار الغربية وانماط الحياة الغربية ، وكان من أهم المجالات التي عني الاعتداء بها مجال السياسة أى مجال الحكم والتشريع ، وقد غلب الاحتلال الصليبي الأمة على نفسها فنحى شريعتهما والجمها بالحديد والنار والعسف والتسلط (٢) ، وذبحوا عددا من علماء المسلمين و الغوا المحاكم الشرعية ، وهموا بالغاء الإسلام بكاملة (٣) ، الغيت الخلافة وتضمن هذا الغاء الدين أيضا . منع

(١) رواية ثروت الفنون من ناحية التغريب : ١٦٠ .

(٢) انظر واقعنا المعاصر : ٣٠٦ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٩ .

السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، واستبدل النكاح المدني بالنكاح الشرعى (١) . وتحقق التغريب الكامل أيام مصطفى كمال بإعلان العلمانية (٢) .

- فصل الدين عن السياسة و الدولة : ان فصل الدين واقصاءه عن السياسة أخذ يعمل به جزئيا فى بعض البلاد الإسلامية وتاما فى تركيا الجديدة ولم يرأى أثر لهذا الفصل فى تقدم البلاد الإسلامية وفى تركيا كما يزعم انصاره بل العكس هو الصحيح . ووضعوا جل همهم أن يفصلوا تركيا كليا عن ماضيها الإسلامي باحياء النعرات الطورانية والتغريب ، وكذلك بدأت الاعمال لفصل تركيا عن العالم الإسلامي ، وبشكل أدق عن الخلافة الإسلامية . وكان رأى المنحرفين أنه يجب الغاؤها وهدمها ولا جهاد ولا قتال . الخ . ولم يكتفوا بفصل الدين عن الدولة فقط ، بل وصلوا إلى فكرة فصل الدين عن الدنيا كلها حيث جعل الدين فى مقابلة الدنيا فهما ضدان متنافران ليس لأحد هما علاقة بالآخر ، وفصلوا العلوم الدينية عن العلوم العصرية التطبيقية . فساروا بتركيا سيرة من يجعل الدين الإسلامي أجنبيا عن الحكومة التركية .

ومن اعمالهم : حذف المادة التى تنص على أن دين الدولة هو الإسلام من الدستور . واطافة مادة إلى قانونها المدنى - بدلا من المادة المحذوفة من الدستور - تجعل كل من بلغ سن الرشد من أفراد الأمة ، حرا فى اختيار أى دين شاء (٣) .

وحظر على علماء الدين الاستمرار على التزى بلباسهم القديم - أيام العثمانيين (٤) - ومنعت الحكومة لبس العمام حتى على أئمة المساجد وخطبائها والسير بها فى الشوارع ، فكان الإمام يدخل المسجد بالقبعة ثم يخلعها ويضع العمامة على رأسه ، حتى إذا فرغ من صلاته أو خطبته وهم بالخروج أعاد القبعة وخلع العمامة . يقول ماهراز : أعلنت ثورة القبعة فى مدينة قاصطامونى (فى شمال غرب البلاد) ووقف الناس ضدها فى الشرق ، وأعلنوا عصيانهم وأخمس العصيان بصعوبة بقوة الجيش وجرت الدماء . . . ولم يقفوا ضد " القانون المدنى " و " ثورة الحروف " ولم تظهر مخالفة جديدة من الشعب ، لأن اكثرية الشعب فى ذلك الوقت كانوا لا يقرأون ولا يكتبون . وكانت اهتمامهم بالشكل والزى أكثر حتى المثقفون الذين لم يكونوا من علماء الدين كانوا غير راضين عن صدور قانون القبعة

(١) موقف العقل : ٣٦٥ / ٤ .

(٢) انظر خيانة التغريب لمحمد دوغان : ١٣٢ .

(٣) انظر موقف العقل : ٢٩٨ / ٢ .

(٤) العلمانية للمشهدانى : ٣٠٣ .

وقد كان سليمان نظيف يستعمل قلمه القوى ضد معارضيهِ وكان داهية بارع الأسلوب قال بهذه المناسبة: " نجت البلاد من غزو العدو ، ولكن ظهرت عليها القيعنة ومنع اللحية والحجاب " ، وتمت الموافقة على القانون المدنى دون مناقشة مواده لأن مناقشتها تفتح أبواب الخلاف الكثيرة . وتظهر لزوم تغيير بعض بل أكثر مواده . ونتيجة ذلك فقد الثوريون المقصود الأسمى . قال أغاغلو احمد فى تلك اللحظة وهو جالس على كرسى المجلس: " الحضارة كل لا يتجزأ توأخذ كماهى " وقال وزير العدل فى ذلك الوقت كلمات بنفس المعنى - وهو محمود اسعد بوزقورت (١) إذ ظهرت عقبات كثيرة ، وثار الشعب ثورات عديدة ضد هذا الاتجاه ، وكان من أكبر الانحرافات : ادخال القوانين الأوروبية لتحكم بها المحاكم فى الدولة .

- الأذان والصلاة باللغة التركية : قرروا فى قصر دولما بختة فى ١٩٣٢/٢/٣ تحت اشراف موسيقيين وقراءة سبعة من الرجال حفاظ القرآن اجراء تجارب للأذان باللغة التركية ، وفى عشاء نفس اليوم أذنا فى مسجد آياصوفيا (٢) باللغة التركية . كانت الأيام أيام رمضان والصلاة صلاة التراويح . ووقف المصلون ضد هذا القرار ، وفى مدينة بورصة حصلت حوادث نتيجة لذلك ومنع شرطة المدينة الحوادث ، ومنعوا مفتى بورصة من أداء واجبه . وذهب رئيس الجمهورية إلى بورصة وتكلم ضد الرجعية وفى ١٩٣٣/٣/٦ بعث رئيس الشؤون الدينية رفعت بوركجى تعميماً إلى جميع المفتين يأمر فيه بالأذان باللغة التركية فى جميع أنحاء البلاد . وفى ١٩٤١/٦/٢ صدر القرار بالحكم على من لم يتبع هذا الأمر ولم يطبقه بالسجن لمدة ثلاثة اشهر بموجب قانون الجزاء رقم : ٥٢٦ وفى ١٩٥٠/٦/١٧ أمر (٣) رئيس الحكومة بالغاء القرارات السابقة وتحويل الأذان إلى شكله الأسمى العربى .

وحين قررت الحكومة ترجمة الأذان إلى اللغة التركية كانت حريصة على استبعاد أى كلمة عربية منه . وقد ترجمت كلمة (اشهد . .) بجملة بمعنى: " دون شبهة أعلم وأبلغ " (٤) . وفاتهم ان كلمة " شبهة " التى ضمنها فى النص التركى هى ايضا عربية خالصة ، وفرض الأذان التركى بقوة السلاح والارهاب على الشعب التركى . وهذه ترجمة ما كان يقال فى الأذان باللغة التركية : الإله العظيم (٤)

- (١) اثر السنين : ٨٤-٨٥ .
 (٢) أيا صوفيا : كان كنيسة ، ثم تحول الى مسجد جامع بعد الفتح الاسلامى وبعد انهيار الدولة العثمانية حوله مصطفى كمال فى عام ١٩٣٥ الى متحف مفتوح لغير المصلين من الزوار والسياح .
 (٣) من الشريعة الى العلمانية : ٣٦٨-٣٦٩ .
 (٤) هى بالتركية : شبهز بليرم وبلدر يرمكى تنكر يدن بشقا يقدر طابا جق

لاشبهة أعلم وأعلم لا إله غير المعبود (٢) - لاشبهة أعلم وأعلم أن محمداً سفير
الله (٢) ، - تعالوا إلى الصلاة (٢) ، - تعالوا إلى الفلاح (٢) ، - إلا له عظيم (٢)
- لا معبود غير الإله (١) .

وطمست الحكومة الآيات القرآنية المكتوبة باللغة العربية على بعض المنشآت

الدينية .

ح) وسائل أخرى للتغريب :

وهذه بعض الأعمال الأخرى التي تمت لاكمال التغريب على الوجه
المطلوب من قبل أعداء الإسلام . كانت الاجازة قبل الانقلاب تبدأ من بعد ظهر
يوم الخميس ويوم الجمعة بكامله فصدر قانون يجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد ،
بدلاً من الجمعة (١) ، و " هو عمل ينبيء وحده عن اتجاه واضح لا يحتاج إلى تفسير
حتى عمت الكاؤنة وندد بها الأحرار في كل مكان .
لقد ارادوا جعل الدولة العثمانية قطعة من أوروبا وتمكنوا من تحقيق
ذلك ووصل التغريب إلى القمة واستقر للمنحرفين أمر إذلال المسلمين بالظلم ،
والاضطهاد ، وتولى أمرهم فئة غربية عنهم . وأصبح المسلم التركي مقهوراً في
بلده مظلوماً على يد المنحرفين قال أحد الأمراء في فرنسا : ليست صدفة اختيار
يوم الأحد لقراءة التنظيمات وإعلانها إلى العالم (٢) . . . إنها كانت حركة لا تدخل
البلاد تحت سيطرة الغرب . وكان المبدأ الأساسي : غيرنا احسن منا في التفكير
ونظام الحياة ، وطريق الخلاص لنا عبارة عن استيراد ما عند غيرنا ونجعله ملكاً لنا
ونتبناه (٣) . وعبر عن ذلك ضياء كوك الب بقوله : أنا من أمة الإسلام ، وملة الترك
والحضارة الغربية (٤) وبعد ذلك وصل الأمر إلى إعلان العلمانية نظاماً للدولة
واغلاق بعض المساجد وجعلها متاحفاً أو مستودعا للمواد الغذائية للحيوانات
أو جعلها اصطبلا ، واجبار المسلمين على تغيير زيهم الإسلامي . ولبس الزي
الأوروبي والغاء استعمال التقويم الهجري واستبدل به التقويم الغربي الميلادي
وألغت قوانين الميراث والطلاق وقبل المساواة بين الذكر والأنثى في الميراث وانتشار
الفجور وياحة المنكرات ، وانحطاط الخلق والادمان على الخمر والفساد والانحلال
والاستعانة باليهود والصليبيين وتأسيس احزاب لممارسة عملية الارهاب والبطش

(١) الحركات المليية في تركيا : ٦٧ .

(٢) تاريخ الادب التركي المصور والمنقوش : ٣٤ / ٢ .

(٣) الوحشة المدنية : ١٣٥ .

(٤) منتخبات مما كتب ضياء كوك الب ، كركي ياغمردرلي : ٩١ .

بالشعب التركي المسلم عن طريق هذه الاحزاب .

- الغاء السلطنة ثم الخلافة و اعلان الجمهورية : صرح مصطفى كمال ، سنة ١٩٠٧ بين زملائه الضباط بفكرة تأسيس دولة وطنية للاتراك وسعى لاقتناعهم في انهاء دور الخلافة والسلطنة (١) ، ووجد في السجلات السرية أمام اسمه عبارة : " وهو جمهورى (٢) ورغم ذلك أرسله السلطان وحيد الدين إلى الأناضول ، وأرسل مصطفى كمال برفية إليه فى ٢٥ / ٥ / ١٩١٩ وبين فيها ان الخلافة والسلطنة ستستمر وقال : اطلب زيادة ثقتكم لى فى صدق طاعتي لكم ، لا تهتز هذه الصداقة ولا تنزل (٣) ولم يصرح بما اكنه فى قلبه من الأفكار إلا لأصحابه القريبين منه وقد سجل مظهر مفيد كانصو يوم ٧ / ٧ / ١٩١٩ عنه هذه الأمور : ستكون الجمهورية هى شكل الحكومه بعد الانتصار سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكة عندما يحين الوقت المناسب ، سيرفع الستر عن النساء ، سنلغى الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتقدمة ، سنأخذ الأحرف اللاتينية ، قال مظهر مفيد : يكفى ياباشا يكفى ، قال مصطفى كمال : لو نجحنا فى إعلان الجمهورية فإن البقية سهلة (٤) وافتتح المجلس الوطنى فى ٢٣ / ٤ / ١٩٢٠ بعد صلاة الجمعة بمراسم إسلامية - مثل الدعوات - وحلف النواب بالقسم التالى : أقسم بالله ألا أتبع غرضاً غير استخلاص مقام الخلافة والسلطنة واستقلال الوطن والملة (٥) وبعده سنتين ألغيت السلطنة فى ١ / ١١ / ١٩٢٢ بقرار من المجلس الوطنى وانتخب عبد المجيد افندى من قبل المجلس خليفة - فقط - للمسلمين . وألغيت الخلافة فى ٣ / ٣ / ١٩٢٤ بقانون رقم ٣١٤ (٦) ذكر فيه : " خلع الخليفة لأن الخلافة موجودة أساساً فى معنى ومفهوم الحكومة والجمهورية ومن أجل ذلك ألغيت الخلافة وقبل ذلك أعلنت الجمهورية فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٢٣ تحت رئاسة مصطفى كمال وفى عام ١٩٣٤ سمي مصطفى كمال نفسه بأتاتورك أى جد الترك (٧) . وألغى فى المجلس الثانى قانون منع المسكرات فى أيلول ١٩٢٣ وألغيت وزارة الشريعة والأوقاف فى ٣ / ٣ / ١٩٢٤ بقانون رقم ٤٢٩ ، وألغيت المدارس الدينية بقانون رقم ٣٠٤ (٨) ، واصبحت رئاسة الشئون الدينية تابعة لرئيس الوزراء وقطعت كل صلة لتركيبا بالإسلام وكان تمزيق الدولة العثمانية والغاء الخلافة التمهيد الحقيقى لإنشاء اسرائيل وضياع القدس .

(١) نهاية الخلافة : ١١١ (٢) المرجع السابق : ٢٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ١٢ (٤) انظر الرجل الصنم : ٣٤٦ العلمانية للمشهدانى ٣٠٠ .

(٥) انظر اثر السنين ماهر از : ٧٦ ، (٦) من الشريعة الى العلمانية : ٢٦٠ .

(٧) تاريخ الادب التركى لحسين مجيب : ٥٨٨ .

(٨) من الشريعة الى العلمانية : ٢٤٤ .

الباب الثاني

شخصية محمد عاكف

وموقفه من التيارات الفكرية في عصره

الفصل الأول: حياته الشخصية والعلمية

الفصل الثاني: موقفه من الغزو والعسكري

الفصل الثالث: موقفه من الغزو الفكري

الفصل الرابع: موقفه من حركات الإصلاح في عصره

الفصل الخامس: موقفه من الحضارة الغربية

الفصل السادس: موقفه من الحركات الانفصالية

الفصل الأول

حياته الشخصية والعلمية

أ (حياته الشخصية .

ب (حياته العلمية .

أ (حياته الشخصية :

- مولده (مكان وتاريخ ولادته)
- اسمه
- أبوه وجداه .
- أمه
- نشأته الأولى
- تعليمه الابتدائي
- دراسته في المتوسطة
- دراسته في الثانوية
- دراسته الجامعية
- الكوارث التي ألمت به أيام دراسته
- زواجه وأولاده
- وظائفه أعماله ونشاطاته
- رحلاته
- حياته في مصر
- مرضه ووفاته

ب (حياته العلمية :

- (١) شيوخه وأصحابه وتلاميذه
- (٢) ثقافته ومؤلفاته
- (٣) مكانته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه
- (٤) شخصيته وأخلاقه

أ) حياة الشخصيةتمهيد :

كتب المؤلفون في تركيا وفي البلاد العربية عن حياة محمد عاكف وشخصيته فألف بعضهم عنه دراسات شاملة ، واكتفى البعض الآخر بنشر جانب من جوانب حياته الفكرية في تركيا ، في مقالة أو مجموعة مقالات منشورة على حلقات وقد رجعنا إلى كتابات هؤلاء المفكرين والكتاب واستفدنا منها معلومات قيمة ولكن اضطررنا إلى رد أقوال بعضهم مع احترامنا لهم . وذلك بسبب بعض الأخطاء في كتاباتهم ، وسوف يجد القارئ بعض التصحيحات خصوصا في الهوامش ، وهذا بعض ما كتب في البلاد العربية عن هذه الشخصية ، وبقية المراجع المذكورة في هامش الرسالة .

- كتب د . عبد الوهاب عزام صاحب محمد عاكف حينما سمع خبر وفاته عدة مقالات عن حياة صاحبه وشخصيته واثني عليه ، ونشرها على حلقات في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٧ في مصر .

- ترجم ابراهيم صبرى ابن الشيخ مصطفى صبرى " الظلال " آخر جزء من ديوان صفحات عاكف ، وهو الجزء السابع ، وكتب مقدمة في أول ترجمته عن حياة عاكف وشخصيته وافكاره ، ومن خصوصيات هذه الترجمة أنه ترجمها إلى العربية شعرا .

- نشر أكمل الدين محمد احسان بعض قصائد عاكف بعد ترجمتها إلى العربية على صفحات بعض اعداد مجلة " الشعر " مثل العدد : ٤ ، ١٥ سنة ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ .

- نشر عبد الحميد الدواخلى في مجلة " المعرفة " بعض قصائد لعاكف مترجمة إلى العربية مع مقدمة قصيرة .

- كتب محمد رجب البيومى في مجلة " الحج " على حلقتين بعنوان " محمد عاكف شاعر الإسلام في تركيا .

- ونشرت مجلة " الأدب " قصيدته المسماة " مسجد الفاتح " ونشرت مجلة " الأمان " قصيدته المسماة " بابا سيفى " ونشر كاتب سمي نفسه بـ " ابو بشر " في مجلة " المجتمع " مقالة بعنوان " تيار الوعى الإسلامى فى

الشعر التركي " ، وكتب فيها عن شاعر الإسلام محمد عاكف ، ونشر ———
 د . عبد السلام فهمي ، كتابا مستقلا سماه " شاعر الإسلام محمد عاكف"
 وكتب د . مسعد الشامان ردا عليه في مجلة " اليمامة " في مقالين بعنوان
 " في محاولة " سطو " فاشلة . أستاذ في جامعة ام القرى حاول التأليف
 فوقع في التلفيق . . . خطأ !! " وكتب حسين مجيب المصري عن محمد عاكف
 في كتابه تاريخ الأدب التركي ، وكتب عنه احمد فهد بركات الشوابكة في
 كتابه " حركة الجامعة الإسلامية " وكتب عنه د . محمد عبداللطيف هريدي
 في كتابه " الأدب التركي الإسلامي " ، وكتب عنه . د . محمد حرب في كتابه
 " تعريف بأدب الدعوة الإسلامية في تركيا منذ سقوط الخلافة " وكتابته الآخر
 " العثمانيون في التاريخ والحضارة " . . . الخ .

مولده (مكان وتاريخ ولادته) :

ولد محمد عاكف في مدينة استانبول عام ١٨٧٣ بحى الفاتح المجاور
 لمسجد السلطان محمد الفاتح (١) ، هكذا قال الكتاب واتفقت عليه المراجع
 ولكن سجل في دفتر سجلات الأحوال في ملفات رئاسة الوزراء ، ان عاكفا
 ولد في قضاء بيرامج التابع لمدينة جناق قلعة عام ١٨٧٨ (٢) ، ويقول
 مدحت جمال في بيان سبب هذا الخلاف وكيفية التوفيق بين القولين سجل
 خطأ في حفيظة النفوس لمحمد عاكف أن مكان ولادته بيرامج ، لأنه حين
 ولد لم يسجلوه في دفتر الهويات ، وحينما سافر مع ابيه من استانبول
 إلى بيرامج في صغره سجلوه هناك (٣) وهذا تحليل معقول ، لأنه سجل
 في سجلات بيرامج لا في سجلات استانبول ومنها اخذ حفيظة النفوس
 ولكن القول الأول في تاريخ ومكان ولادته هو الأرجح إذ تكاد تجمع
 المصادر على تعيين سنة ١٨٧٣ تاريخا لمولده ومدينة استانبول مكانا
 للولادة .

(١) انظر مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١ ، محمد عاكف لأشرف اديب

٠٢٩٥٠٧٤/٢

(٢) محمد عاكف لجميل سنا : ٥ ، بحوث في محمد عاكف : ٣/١ .

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨١ .

اسمه :

تقول الروايات أن الاستاذ محمد طاهر (والد عاكف) سمي ولده " رغيفا " وهو اسم عربى غير متداول علما بين الأتراك ، ولكن محمد طاهر أراد اختيار اسم يطابق الحساب الابدعى لمولد ولده فجاء تاريخ الولادة مطابقا لمجموع حروف " الراء والغين والياء والفاء " وهى حسابيا على النحو التالى : ر ، ٢٠٠ + غ ، ١٠٠٠ + ي ، ١٠ + ف ، ٨٠ = (مجموعها) ١٣٩٠ (١) . وهى سنة ولادة محمد عاكف بالتاريخ الهجرى ، ونذكر هنا اقوال بعض الكتاب وملاحظاتهم بشأن تغيير اسمه : يقول عمر رضا : " لم يفهم الناس معنى كلمة رغيف فى المجتمع التركى وبدلوه بعاكف ، ولكن استمر ابوه فى استعمال اسم رغيف بلا تبديل " (٢) ويرى مدحت جمال : أن أباه كان يريد أن يثبت تاريخ ولادة ابنه بهذه التسمية ولكن الناس ظنوا أن " رغيفا " تحريف خاطيء للكلمة عاكف فدعوه بعاكف " (٣) ، وقال آخرون : ان كلمة رغيف تعنى رغيف الخبز لذلك رفضت امه وآخرون فى حيه ومدرسته أن يسموه بها وغيرها بعاكف ، وسجل هكذا رغم اصرار أبيه على استعمال اسم رغيف وكانت امه تقول : راكف بدلا من " رغيف " وعلى أى حال نعتمد فى بحثنا هذا على التسمية الرسمية وهى محمد عاكف .

ابوه وجده :

ابوه محمد طاهر (١٨٢٦-١٨٨٨) من قرية شوشيفا قضاء إبيك مدينة قوصوى بألبانيا التابعة للدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، قدم الى استانبول بعد اكمال دراسته فى بلده ، ولازم حلقات درس الاستاذ محمد يوزقاتى ، واصبح من اكمل تلاميذه علما وأحسنهم خلقا واستمر على دروسه حتى أخذ منه الإجازة - الشهادة العلمية - بدرجة ممتازة واصبح من اساتذة

(١) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٠ .

(٢) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٣ .

(٣) عاكف نامه : ١٦ وفى رأى عبدالسلام فهمى : أن طاهر افندى وجد بعد فترة ان الإسم الذى اختاره لولده غير شائع ومثير للغرابة فحواله إلى محمد عاكف (شاعر الإسلام محمد عاكف) : ١٠) وهذا غير صحيح والصحيح ما ذكرناه .

مدارس السلطان محمد الفاتح ، ومن العلماء المشهورين في عصره ، وكان هناك اثنان من الاساتذة اسم كل منهما طاهر افندى . وكان الاستاذ طاهر والد محمد عاكف اكثر اهتماما بالنظافة ، واشتهر بها في مجتمعه لذا لقبوه بطاهر النقى ، واصبح يدعى بالنظيف طاهر افندى . وكان عالما فاضلا صالحا وفيه سخيا نبيلاً سمحاً مستقيماً ، صادق القول والعمل ، صاحب مروءة وشهامة ، يتميز بالعفة والبساطة متمسكا بدينه الحنيف (١) .

كان يقوم بجوار عمله الرسمي بالتدريس والاشراف التربوى على ابناء محمود أمين باشا - من اعيان استانبول ، وأحد رجال الدولة العثمانية وولاتها - وابناء اقاربه يتعهدهم بالتربية والتعليم يقول ابن الأمين محمود كمال : ان ابى اختار الاستاذ طاهر في ايام شبابه استاذاً لنا . وقد كان يحضر في حلقات درسه في منزلنا ايام الشتاء في استانبول اخى احمد توفيق وابناء عمنا واولاد اقاربنا . وكان الاستاذ ينتقل إلى منزلنا الصيفى في حى يقاجيق . وكنا نستفيد من حلقاته ، كان استاذنا كاملاً عشنا معه كأفراد اسرة واحدة ، كان صاحب شخصية جادة ، ورغم انه سريع الانفعال فإنه لم يزعجنا . وكانت زوجته سيدة محترمة صاحبة أخلاق فاضلة (٢) .

وكان الاستاذ طاهر من العلماء الذين يحضرون دروس التفسير بين يدي الخليفة ، يلقي الدرس ايام رمضان . ويحضر خمسة عشر عالماً ويسألون الأسئلة المتعلقة بالآيات موضوع ذلك اليوم ويسمع له السلطان والمدعوون (٣) . وكان من منسوبي الطريقة النقشبندية من مريدى الصوفى الشيخ فيض الله ، ولكن لم يلحق ابنه الصوفية . ولم يأخذ محمد عاكف من ابيه شيئاً منها - وشهد عاكف بذلك قائلاً : لم تكن امى من الصوفيات ولم يلحقنى ابى الصوفية (٤) .

(١) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٢ ، عاكف نامه : ١٣ .

(٢) نستنتج من هذه العبارات ان التعليم انتشر في المنازل وقصور الاغنياء والباشاوات تحت اشراف العلماء الاجلاء خصوصاً للبنات كما استمر التعليم في المدارس والجامعات .

(٣) انظر بحوث في محمد عاكف : ١٩ / ١ - ٢٠ . دروس الحضور لابي العلا ماردين : ١ / ٤٧٢ ، ٢ / ٩٦٦ .

(٤) محمد عاكف لمحدث جمال : ٢٥ ، ٢٦٣ ، مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ١٨ .

وفى ايام دراسته توفى ابوه (١) ، وكتب عاكف مع زميليه هاشم وعزيز بيتا من الشعر بمناسبة وفاة ابيه ليصبح اشارة إلى تاريخ وفاته وهو قولهم :
فلتكن الجنة مكانا لروح طاهر افندى (٢) .

أما جده نور الدين آغا الألبانى ، فكان انسانا أمياً يشتغل فلاحا يحب العلم والعلماء لذا ارسل ابنه طاهرا من بلده إلى استانبول لاكمال دراسته فى مدارسها ، وسكن طاهر باستانبول واشتغل بالعلم ، وكانت العلاقات ببلاده البانيا شبه مقطوعة (٣) ، لذا لم تتوافر المعلومات لدينا عن جده الا ماكتب عاكف عنه فى ديوانه (٤) .

أمه :

كانت ام محمد عاكف السيدة آمنة شريفة (١٨٣٦-١٩٢٦) بنت محمد البخارى يتصل نسبها بالحكيم حاجى بابا من زهاد القرن الحادى عشر الهجرى وشيوخه . جاء من بخارى إلى الأناضول مهاجرا وسكن بمدينة بويابات (٥) وتزوج فيها ثم انتقل مع اسرته إلى مدينة طوقات ، حيث

- (١) ظن بعض الكتاب أن اباه توفى وهو طالب فى الثانوية (محمد عاكف لمدحت جمال : ١٦ ، عاكف نامه : ١٧) وفى الواقع كان عاكف طالبا فى الكلية فى تلك الايام (بحوث فى محمد عاكف : ١ / ٧) وسبب الخلاف انهم لم يدققوا فى كون عاكف فى آخر سنة فى الثانوية أو اول سنة بالكلية (٢) ومجموع حروف الشطر من البيت بالتركية بالحساب الابدى هو عام ١٨٨٨ ، انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ١٦ ، عاكف نامه : ١٣ بحوث فى محمد عاكف : ١ / ١٧ .
- (٣) محمد عاكف لجميل سنا : ه
- (٤) بين عاكف امية جده ، واخطأ عمر رضا فى فهم ذلك وظن أن المقصود والد عاكف (مقدمة ديوان الصفحات : ٧ محمد عاكف لغزوية عبد الله : ٤) يقول عيد السلام فهمى : توجه الى استانبول واقام فى حى بوى آباد ثم انتقل مع زوجته إلى مدينة طوقات (شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٠) وهذا غير صحيح لان "بوى اباد" فى الواقع ليس حيا من احياء استانبول كما ظنه هو ، بل هى مدينة فى شرق تركيا بعيدة عن استانبول .

اقام فيها ، وولدت أم آمنة شريفة (اى جدة محمد عاكف) فيها وحين
نشأت تزوجت بالتاجر محمد البخارى ، وولدت آمنة ام عاكف نتيجة هذا
الزواج فهى بخارية من جهة ابيها وامها ولكنها ولدت بالاناضول (١) ،
ونشأت فى مدينة طوقات وتزوجت بدرويش افندى الشروانى ، ثم انتقلت مع
زوجها إلى مدينة آماصيا ثم استانبول وانجبا ولدين وبنتا ، وتوفى الولدان
ثم ابوهما ، وبقيت آمنة شريفة مع بنتها فى بيتهم فى حى الفاتح ، ثم تزوجت
من طاهر افندى والد محمد عاكف ثم توفيت البنت التى ولدت من قبل . وكان
الاستاذ طاهر الزوج الثانى لآمنة شريفة بعد وفاة الزوج الأول ، وورثت
من زوجها الأول المنزل الذى كانوا يسكنون فيه . وحينما تزوج الاستاذ
طاهر كان له من العمر (٤٥) عاما . وانجبا محمد عاكف وبنتا بعده سمياها
" نورية " وإن سلمى التى كتب عاكف قصيدة بمناسبة وفاتها كانت بنتا
لنورية (٢) ، وكانت اكبر أمانى والدة عاكف اداء فريضة الحج ، وحققت هذه
الامنية سنة ١٩١٠ (٣) . عاشت آمنة شريفة قرابة تسعين سنة وتوفيت
باستانبول ، يقول عمر رضا : انها كانت امرأة مؤمنة قوية البنية والشخصية
فاهمة صاحبة تجارب ، ونظر عميق ، صحيحة العقيدة ، مخلصه فى عبادتها
تعيش كما تأمر عقيدتها تحب الفداء والاحسان ، تبحث عن سبل الخير
صاحبة روح عالية (٤) ، ويقول عاكف فى هذه الأسرة : كنت سعيدا جدا فى
اثناء طفولتى ، لأن الأسرة كانت مثل الجنة .

نشأته الأولى :

كانت نشأته وحياته الأولى باستانبول التى كان لها مكانتها فى
بلاد المسلمين ولها دورها فى تاريخ تلك البلاد وحضارتها . وكانت زاخرة

(١) يقول سليمان نظيف فى كتابه (محمد عاكف : ٤) ان امه بخارية والحقيقة

أن أصل الأسرة من بخارى ولكن ام عاكف من موالىد مدينة طوقات تركيا

(بحوث فى محمد عاكف : ٢٧ / ١ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٣

(٢) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ١٨ .

(٣) بحوث فى محمد عاكف : ٣٥٣ / ١ .

(٤) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٢ .

بالعلماء والادباء والشعراء وفي الفترة التي عاشها عاكف كانت العلوم والفنون تطورت ، وكان طبيعياً أن يتلقى مبادئ العلوم على يد ابيه الذي كان من العلماء. ونشأ عاكف في بيت تعاون وعفاف ودين والتزام بالسنة. وتربى بين ابوين كريمين صالحين ، فنشأ نشأة صالحة. كان والده حريصاً على تربيته وتنشئته . ونشأ كما ينشأ أبناء العلماء في بيت العلم ورحاب المعرفة. تولى ابوه بنفسه تعليم ابنه ، وفي رعايته ومعيته عاش عاكف اربع عشرة سنة من حياته ، رباه خلالها على الخلق الرفيع وغذاه بالروح الدينية ، ادبه بأحسن الاساليب ، ولقنه اللغة العربية وعلوم الشرع ونشأ الفتى نشأة دينية قوية وعمر قلبه بالتقوى منذ نعومة أظفاره ، وحين دخل المدرسة بان أثر ابيه فيه إذ توفّر على دراسة العربية والفارسية وظلّ وفيها لكل تلك التعاليم الدينية التي احيط بها علما في حداثة سنه (١) ، يقول عاكف في بيان دور ابيه في حصوله على العلوم : كان ابي الاستاذ محمد طاهر من اساتذة مدارس السلطان محمد الفاتح ، ولقد كان ابي واستاذي في نفس الوقت ، تعلمت عنه كل ما اعرفه (٢) ، ومعنى ذلك أن اياه اهتم بتربيته والحقه بالمدارس النظامية فنال قدراً من التعليم المدني أهله للالتحاق بالكلية. وفي نفس الوقت زواج تعليمه ، فحفظ القرآن وبعض الاحاديث ودرس اللغة العربية والفارسية والفرنسية مع التركية فكانت دراسته الشخصية ذات اثر بالغ في حياته .

تعليمه الابتدائي :

بدأ محمد عاكف تعليمه الأولى في الكتاب (٣) - مدرسة الحى - يقول عاكف : بدأت أول دراستي في كتاب الأمير البخارى في حى الفاتح باستانبول ، كان عمري اربع سنوات اذكر استاذي ولكن لا أتذكر اسمه وبقيت

(١) انظر تاريخ الادب التركي لحسين مجيب : ٥١٦ .

(٢) هامش ديوان الصفحات : ٢٠٣ .

(٣) كانت العادة في ذلك الوقت أن يبدأ تعليم الاولاد اولاً في الكتاب

قبل الابتدائية وكان الناس يرسلون اولادهم الى الكتاب إذا بلغوا الرابعة ليتعلموا مبادئ الكتابة والقرآن. والكتاب غالباً عبارة عن غرفة في الدور الارضى من احد المنازل أو مدرسة مستقلة .

فى الكتاب سنتين ثم التحقت بالمدرسة الابتدائية الرسمية التابعة لوزارة المعارف بالفتح وكان فيها اساتذة كثيرون ، وكنت اتابع الدراسة فيها ، وفى نفس الوقت كنت اتعلم مبادئ اللغة العربية من أبى واستمرت الدراسة فى تلك المدرسة ثلاث سنوات (١). يقول الاستاذ عرب (٢) ، استاذ مادة القرآن الكريم : كان عاكف يأتى مسجد الفاتح مع ابيه وعمره ثمانى أو عشر سنوات بدأ حفظ القرآن ثم اخذ مادة " مخارج الحروف والتجويد " وكان ذكيا جدا اخذ مادة العقائد من ابيه واخذ منى مادة " القواعد " كان يحفظ كل يوم خمس صفحات من القرآن وفى نفس الوقت يساعد صاحبه الحافظ عيسى اسكجوى وقت فراغه . ووصل خلال ثلاثة اشهر إلى حفظ (١٢) صفحة من كل جزء ، وبعد تخرجه من الكلية عين موظفا فى مدينة أضنة وفى ايام وظيفته حفظ بقية القرآن (٣) ، تلك هى نشأته الأولى ومرحلته الابتدائية ، صافية نقية لا يشويها كدر ، وقد مضت ايام صغره فى بيئة متمسكة بدينها ، عابدة زاهدة مسلمة (٤) ، لم ينحرف ، بل استمر على حياة اسلامية وذلك رغم كثرة الانحرافات فى عصره .

دراسته فى المتوسطة (١٨٨٢-١٨٨٥) :

درس عاكف بعد الابتدائية فى المتوسطة المركزية (٥) بحى

- (١) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٤ .
- (٢) انظر حياته " شيوخ محمد عاكف " .
- (٣) يقول عبد السلام فهمى : لقن محمد طاهر ولده محمد عاكف اللغة العربية وآدابها والادبين الفارسى والتركى وبعض العلوم الدينية من تفسير وحديث كما حفظ القرآن ولم يتجاوز سنه العاشرة (شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٢) وهذا غلو فى الثناء على عاكف وابيه لأن المتفق عليه انه اكمل حفظ القرآن متأخرا بعد نشأته بفترة وكتب رسالة الى استاذة قائلها : اكملت حفظى وحينما اعود نعمل حفلة " ، وحينما عاد السى استانبول قرأ القرآن غيبا فى مسجد كرازلى ببوز دغان (السليمانية) انظر مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٣ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٢١ / ٢ .
- (٤) انظر ديوان الصفحات : ٨-٩ ، محمد عاكف لسليمان نظيف : ٨ .
- (٥) يقول عبد السلام فهمى : " بعد حصوله على الشهادة الابتدائية =

الفتاح وقد اخبر هو بهذا ثم قال : هو لاء بعض اساتذتنا فى تلك المدرسة : سليمان افندى (الاستاذ بالدرجة الاولى) ومصطفى افندى (الاستاذ بالدرجة الثانية) والحافظ عثمان (الاستاذ بالدرجة الثالثة) وغيرهم كانوا من خارج المدرسة ، واخذت اللغة التركية فى الفصل الأخير من الاستاذ قدرى افندى وفى ايام دراستى فى المتوسطة كنت آخذ اللغة العربية من ابي ، ووصلت الى مستوى اعلى من مستوى المدرسة وعلى اسلوب ذلك الوقت كان ابي جعل لى كتابا معينيا مقرورا فاذا انتهيت منه قرأت كتابا آخر وهكذا ، وكنت لا اكتفى بما اخذته فى المدرسة من مادة اللغة الفارسية بل احضر حلقات العلم فى مسجد الفاتح بعد العصر ، ومنها حلقة اسعد دادا اللانيقى الذى كان يدرس بعض الكتب القديمة مثل "ديوان حافظ الشيرازى" و "جولستان لسعدى" و "المثنوى لمولانا" ، وكان عندى رغبة شديدة فى اللغات وكنت الأول فى اللغات الاربعة العربية والفارسية والتركية والفرنسية ، وكنت أحب الشعر وأبى كان يعرف ذلك ولم يمنعنى عنه . واول كتاب شعر قرأته هو " ليلى والمجنون " للفضولى (الشاعر التركى) (١) . وبدأ اهتمامه بالشعر فى ذلك الوقت احبه وجرب كتابته أول مرة . وكان طالبا ناجحا فى المواد المقررة عموما (٢) ، وتدل قراءته الكتب المذكورة على مستواه الممتاز ، لأنه استطاع فهم هذه الكتب رغم حداثة سنه كما يدل ذلك ايضا على الفرق الكبير بين مستوى التعليم فى ايامه وبعده ايامه .

دراسته فى الثانوية (١٨٨٥-١٨٨٨) :

بعد تخرجه من المتوسطة التحق بالثانوية - يقول مدحت جمال :
 " كانت زوجة الاستاذ محمد طاهر تقول بعدم لزوم الدراسة بعد المتوسطة ، وترغب فى أن يكون ابنها عالما يلبس عمامة يشتغل فى حقل الدعوة الاسلامية .

من رشدية الفاتح انتقل الى المعهد الاعدادى الملكى (شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٤) وفى الواقع بعد تخرجه من الابتدائية التحق بالمتوسطة (اى الرشدية) والتعبير بالمعهد الاعدادى غير

صحيح الصحيح انها مدرسة اعدادية .

(١) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٤ .

(٢) عاكف نامه : ١٦ .

ويقول ابوه : سأدرس لابنى فى البيت العلوم الدينية ، ولا داعى ليدرس فى المدارس الدينية . وسجل ابنه فى الثانوية ، ولكن فى أثناء التسجيل طلب الكاتب مبلغا معيناً رسوماً للدراسة ، ولم يجد الاستاذ طاهر المبلغ المطلوب واراد ان يدفع ساعته رهنا ، ولكن الكاتب أعفاه من ذلك وقال له : لا بأس فى أن تأتى بالمبلغ غدا (١) . وخيره ابوه فى نوع التعليم الذى يريده ، يقول عاكف : " حينما انتهيت من الدراسة فى المتوسطة لم يجبرنى أبى فى أمر التخصص والمدرسة ، بل ترك لى الخيار فاخترت الثانوية الملكية الشهيرة آنذاك ، وكانت الدراسة فيها كمايلى : ثلاث سنوات فى القسم الثانوى ، ثم سنتين فى القسم العالى (اى دراسة عالية بعد الثانوية للراغبين فيها) وسجلت نفسى فى القسم الثانوى وتخرجت بعد ثلاث سنوات (٢) . واستمرت علاقته بالأدب وقلد استاذة " معلّم ناجى " (٣) وكتب قصائد من الشعر ولكن لم ينشرها (٤) ، وكان يمارس الوانا من الرياضات واشتهر بين أقرانه الشباب والفتيان بقوته الجسدية التى ساعدته على ممارسة الالعاب الرياضية حيث لم يتفوق عليه أحد . وعرفته استانبول بطلا رياضيا يقوم بالتمارين مع بعض اصحابه ، ومن الالعاب الرياضية التى كان يمارسها : المصارعة ، والسباحة (اشتهر بسباحته من جهة الى جهة فى مضيق استانبول ، والقفز) اشتهر بقفزه إلى مسافة أحد عشر قدما دفعة واحدة) ، وكان يدخل المسابقات مثل رمى الاحجار إلى مسافات بعيدة والمشى بسرعة مدة طويلة (٥) .

دراسته الجامعية (١٨٨٨-١٨٩٣) :

حين أتم عاكف دراسته الثانوية التحق بكلية الطب البيطرى مع ظروفه المادية القاسية . يقول فى ذلك : سجلت فى القسم العالى من كلية

-
- (١) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٢ .
 - (٢) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٤ .
 - (٣) سوف نكتب عنه عند الحديث عن شيوخه .
 - (٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٥ .
 - (٥) انظر تفصيل تفوقه فى الرياضات (محمد عاكف لاشرف اديب : ٢ / ٢١٤ - ٢١٥ ، شاعر الاسلام محمد عاكف : ١١ ، محمد عاكف لجميل سنا : ٨)

العلوم الادارية سنة ١٨٨٨ ودرست فى السنة الأولى ، ولكن توفى أبى واحترق منزلنا واصبحت محتاجا مع ذلك كان من امكانيات ذلك الوقت استمرار الدراسة ، وكانت هناك صعوبات فى التعيين بالنسبة للوظائف الحكومية مع قلة الراتب ، وفتحت أول مرة الكلية البيطرية وترك عديد من اخواننا الطلبة الدراسة فى كلية العلوم الادارية وسجلوا فى الطب البيطرى ليكون تعيينهم سهلا والحصول على الوظائف ميسورا. وسجلنا فيها عام ١٨٨٩ ، وكانت الدراسة سنتين ، دراسة نهائية ، وستين دراسة ليلية ومجموعها اربع سنوات ، كنت اجد اللغة ، بدأت اشتغل بالشعر اكثر فى السنتين الاخيرتين من الكلية ، كتبت قصائد كثيرة ثم مزقتها. فى الحقيقة لم تظهر مؤثرات جديدة فى تلك الفترة ، بل تطورت ميولى السابقة وكان اكثر الاساتذة فى الكلية من الدكاترة المتخصصين ومتمسكين بالإسلام ، وأثرت تلقيناتهم على تربيتى الدينية ومن اكثر المؤثرين فى سلوكى الاستاذ رفعت حسام الدين (١) ، وكان ترتيبى الأول حينما تخرجت (٢) .

وهكذا نال عاكف شهادة الكلية من الدرجة الأولى وفاق اقرانه جميعا فى جميع المواد ، واصبح طبيبا بيطريا ، ولم يتجاوز العشرين من عمره كان عدد اساتذة الكلية ثلاثة عشر استاذاً ، كانوا يحبونه حتى الاساتذة النصارى ، وكان الطلبة والاساتذة يوءدون الصلوات جماعة فى مقر الجامعة ولم يجبره " المراقب " على أداء الصلاة فقد كان عاكف يوءديها من تلقاء نفسه ويقوم بواجبه فى المعمل (٣) .

الكوارث التى ألمت به أيام دراسته :

اصيب عاكف فى اثناء دراسته بكارثتين الأولى وفاة ابيه سنة ١٨٨٨ ، والثانية احتراق منزلهم حينما توفى ابوه كان عاكف فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة وابوه فى الحادية والستين أو الثانية والستين

(١) سوف نكتب عنه فى الحديث عن شيوخه .

(٢) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٥ .

(٣) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٦ .

من العمر (١) ، يقول عاكف : " كان عمرى حوالى ثمانى سنوات ، وكان أبى لابسا العمامة البيضاء ، نظيفا ، عمره تقريبا خمسة وخمسون عاما ، بدنه قوى ولكن لحيته وشعره بيضاء " (٢) ، ونستنتج من هذا القول الذى قاله فى حكاية صغره ، أن عمر أبيه يوم وفاته كان احدى وستين أو اثنتين وستين وكان عاكف طالبا فى الجامعة (٣) .

وقد أصابته النكبات بعد فقده والده الذى لم يترك لأسرته شيئا يقيم أمرها ومعاشها وكان يصرف لأسرته طوال دراسته العالية معاش شهرى قدره ستة وثلاثون قرشا (كانت الليرة التركية مائة قرش) ومع أن هذا المبلغ كان لا يفي بحاجات الأسرة ، فقد اكمل عاكف دراسته العالية فى ضيق وحرمان (٤) . ومن ناحية أخرى ، اهتم " مصطفى صدقى البرزرى " احد تلاميذ محمد طاهر بأسرة استاذة بعد وفاته ، وحين احترق منزلهم فى ١٣ / ٥ / ١٨٨١ فى أول رمضان ، بنى المنزل من جديد وانفق على بنائه ستين الف ليرة تركية (٥) ، وساعد عاكف فى دراسته وفى شراء ملابس المدرسة . الخ ، وفاء للصداقة واهتماما باولاد استاذة ، وكان قائما بأعمال اوقاف خليل خير الدين باشا (٦) .

ويروى ان عاكف كان قبل تسجيله فى الكلية يبيع المسابح امام مسجد بايزيد لكسب عيش الاسرة .

-
- (١) يقول عبد السلام فهمى : توفى والده بمرض السل الرئوى ولم يتجاوز الخامسة والخمسين من عمره (شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٧) ويقول حسن بصرى : كان ابوه تقريبا فى الرابعة والخمسين من العمر (عاكف نامه : ١٧) والصحيح فى ذلك مقاله محمد عاكف .
ديوان الصفحات : ٦ .
- (٢) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٤ ، وليس فى المدرسة الثانوية كما يقول حسن بصرى ، عاكف نامه : ١٧ ، وحسين مجيب المصرى فى تاريخ الأدب التركى : ٥١٦ .
- (٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٤ . (٥) المرجع السابق : ١٨١ .
- (٦) انظر عاكف نامه : ١٨ .

زواجه واولاده :

تزوج محمد عاكف فى ١٨٩٨/٩/١ من السيدة " عصمت " بنت محمد امين - امين الصندوق بطوبخانة العامرة - امها : السيدة حسيبة بنت حمدى ، وكان عمر عاكف خمساً وعشرين سنة حين تزوج وعمر السيدة عصمت عشرين سنة وأنجبا ستة أولاد ، ثلاث بنات وثلاثة بنين ، انجبا بنتهما الأولى فى السنة الأولى من الزواج وهى " جميلة " (١) ثم ولدت " فريدة " ثم " سعاد " ثم " احمد نعيم " (٢) ثم " أمين " ثم " طاهر " ، واستمرت حياتهم الزوجية اربعين سنة عاشت السيدة عصمت بعد وفاة عاكف عدة سنوات وكانت تعاني من ضيق التنفس وتوفيت فى ١٩٤٤/٤/١٩ (٣) -

سكنت أسرة عاكف فى استانبول متنقلة من حى إلى حى كما عـبر هو بقوله : " لم يبق فى استانبول حى لم اسكن فيه " ، وعاش بعيداً عن أسرته حينما سافر إلى مصر ، غير أنه اخذ معه اولاده فترة .

وظائفه وأعماله ونشاطه :

يقول عاكف : حين تخرجت من الكلية - فى ١٨٩٣/١٢/٢٢ عينونى - فى ١٨٩٣/١٢/٢٦ فى وظيفة مساعد المفتش البيطرى فى وزارة الزراعة والمعادن . وعملت خلال ثلاث أو اربع سنوات فى الروملى والأناضول والبلاد العربية واشتغلت بعلاج امراض الحيوانات واسست علاقات بينى وبين القرويين .

- (١) انظر بحوشفى محمد عاكف : ٢٦/١ .
 (٢) يقول عمر رضا : كان اسم هذا الابن ابراهيم نعيم (مقدمة ديوان الصفحات ١٧) والمرجح هو احمد نعيم ، توفى وعمره سنة ونصف سنة .
 (٣) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٧ ، وليس صحيحاً ماصوره محمد امين - احد المؤلفين - فى كتاب " حياة وشخصية محمد عاكف فى تركيا " - أن مشاكل اسرة عاكف كانت بسبب انحرافاته هو وارتكابه بعض المعاصى (انظر رواية شاعر إسلامى : ٤٠٣ - ٤٠٦) لأن جميع المراجع تتفق على تمسك عاكف بالإسلام وعدم انحرافه وبعده عن جميع المحرمات ، انظر فى الرد علي اقوال محمد امين (بحوث فى محمد عاكف : ٣١/١ ، محمد عاكف لأشرف اديب : ٢٥٦/٢ .

واستمر عاكف في الوظائف الرسمية من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩١٣ واستقال منها وهو يشغل وظيفة المدير المساعد للامور البيطرية (١)، وصور ما شاهده في البلاد، وذكر ما صادفه من احوال الأمة وعمل مقارنسة بين الجيل السابق واللاحق وقال: " اننى سكنت بمدينة ادنة حينما كنت فى الحادية والعشرين والثانية والعشرين وبقيت هناك سنتين" (٢). وعمل مفتشا بيطريا حوالى ١٨٩٣-١٨٩٦، ووجد فرصة لمعرفة احوال المسلمين سواء من خلال وظيفته بأدرنة أو غيرها، وبعد انهاء وظيفته بأدرنة أرسل إلى دمشق ثم حلب ثم أضنة مع هيئة ليختاروا اجود الخيل لتشتريها الحكومة للجيش وعمل فى أضنة بيطرى المدينة، وكان مركز عمله استانبول ولكنه عمل إلى سنة ١٨٩٨ فى مناطق مختلفة.

اما نشاطه فى مجال النشر: فقد نشر أول قصيدة له فى ١٨٩٣/١٢/٢٨ فى مجلة "خزينة الفنون" وقصيدة أخرى فيها فى ١٨٩٤/١٠/١٨، ويحتمل أن تكون له قصائد أخرى فى المجلات المنتشرة فى ذلك الوقت، ونشر فى ١٨٩٥/٣/١٤ فى مجلة "المكتتب (المدرسة) العدد ٢٨ قصيدة فى مدح القرآن الكريم (٣)، ونشر فى شهر مايو - أغسطس ١٨٩٥ فى مجلة "المعارف" بتوقيع "سعدى" مباحث العلم، وقسم هذه المقالات إلى سبع ونشرها على حلقات، ونشر اعتبارا من ١٠/٢/١٨٩٨ قصائده فى مجلة "الجريدة المصورة" واصبح من كتابها ويصل عدد

-
- (١) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا: ١٦
 (٢) انظر محمد عاكف لمدحت جمال: ١٤٧.
 (٣) اى "مناجاة القرآن" يقول اشرف اديب: "حينما نشر عاكف هذه القصيدة الأولى له كان فى الحادية والعشرين من العمر، وقد نشرت بعض القصائد فى المجلات المختلفة بتوقيع "محمد عاكف السلانيكى" و"محمد عاكف قَلِجِي" و"محمد عاكف من مداومى دار المعلمين" فهو لاء ليسوا محمد عاكف الذى نتحدث عنه - فى هذه الرسالة - وليس لهم علاقة به، وليس الاسلوب والروح فى آثارهم مثل اسلوب وروح محمد عاكف. وكان عاكف يحزن لما فعلوه (انظر محمد عاكف لاشرف اديب: ١٩٠/٢-١٩١، انظر نماذج من اعمالهم فى كتاب محمد عاكف لفوزية عبد الله ١٤، ٢٣، ٣٤.

قصائده المنشورة فيها خمسا وعشرين قصيدة ، كانت تدور حول الموضوعات المتعلقة بالدين والاخلاق . وفي سنة ١٨٩٨ ايضا نشر ما ترجمه من الأدب - الفارسي في مجلة " ثروة الفنون " وكتب مقالات متعلقة بهذا الأدب ، ثم اضطرته الظروف السياسية إلى الصمت واستمر على ذلك إلى سنة ١٩٠٨ ونشر على ثلاث حلقات ترجماته من الشيخ سعدى الشيرازي شعرا ونثرا تحت عنوان " بدائع العجم " في المجلة المذكورة . وفي اغسطس - ديسمبر ١٨٩٨ نشر ترجماته من اللغة الفرنسية على حلقات . واطلق لحيته وعمره (٢٨-٢٩) ما بين عام ١٩٠١-١٩٠٢ (١) .

وأضيف إلى وظائفه وظيفة الاستاذية اعتبارا من ١٧/١٠/١٩٠٦ إذ عين استاذًا بكلية الزراعة وأضيف في ٥/١١/١٩٠٦ إلى جدول عمله مادة قانون الطب ، وحقوق التجارة ، والخريطة الصحية . الخ ، ولكنه لم يقبلها (٢) ، وفي ٢٥/٨/١٩٠٧ عين استاذًا للغة التركية في مدرسة الفلاحة الآلية (٣) . وبعد اعلان المشروطية اعتبارا من ٢٣/٧/١٩٠٨ ، سجل عاكف اسمه مع بعض اصحابه بوساطة الاستاذ فاطن كوكمان (١٨٧٥-١٩٥٤) في جمعية الاتحاد والترقي ، وذلك رغم عدم ممارسته للسياسة بصورة مباشرة . ودرس اللغة العربية في النادي العلمي للجمعية باستانبول (٤) . وعين اعتبارا من ٢٤/١١/١٩٠٨ استاذًا للأدب العثماني (٥) بشعبة الأدب بالجامعة وعمل استاذًا في المدرسة الاهلية المسماة " بدار الأدب " خلال اربع أو خمس سنوات بلا مقابل .

وقد كان تعيينه استاذًا للأدب من الأسباب التي يسرت له الاشتغال بالأدب فأصبح الكاتب الأول في مجلة الصراط المستقيم وتولى

-
- (١) انظر مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٥ . (٢) المرجع السابق ٢٨
(٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٢٩٥ .
(٤) المرجع السابق : ١/٤٦ ، ٢٦٨ ، عاكف نامه : ٥١ .
(٥) قبل استاذ للادب العالم (محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٨) .
(٦) بحوث في محمد عاكف : ١/١٠ ، وليس صحيحا قول القائل انه عين عليها سنة ١٩١٥ (شاعر الإسلام محمد عاكف : ٢٠) .

رئاسة تحريرها اعتباراً من ٢٧ / ٨ / ١٩٠٨ واستمر ينشر فيها ما يكتبه مسن القوائد والمقالات والترجمات ودافع عن الإسلام ضد الفكرتين اللتين كانتا يوماً بعد يوم تبرزان على انهما تمثلان الاتجاه الرسمي : فكرة التغريب وفكرة الطورانية .

(١) واصبح في ٢٨ / ٢ / ١٩١٠ رئيساً لجمعية خريجي الكلية البيطرية ونشر صفحاته الأولى سنة ١٩١١ ، وهو ديوان يأخذ موضوعه من التاريخ والحياة الاجتماعية واعجب به كثير من القراء ونشر في سنة ١٩١٢ كتابه " على كرسى السليمانية " وبين فيه فساد فكرة الطورانية واضرارها ودعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية .

ورقى إلى وظيفة وكيل المفتش بإدارة الشؤون البيطرية وتدرج في وظائف هذه الادارة حتى وصل إلى درجة وكيل المدير العام في ٧ / ٩ / ١٩٠٩ ومكث بها حتى استقالته في ١١ / ٥ / ١٩١٣ من وظيفته بعد عزل المدير العام السيد عبد الله من الادارة العامة للشؤون البيطرية دون سبب نتيجة وشايات الحاقدين ، فلم يتحمل عاكف هذا العزل واستقال من وظيفته احتجاجاً على ذلك (٢) ، وحين غيرت وزارة المعارف درسا من دورس فريد كام - صاحب عاكف - في الكلية غضب عاكف على تلك المعاملة واستقال من وظيفته في الجامعة (٣) وبقيت له وظيفة الاستاذية بكلية الزراعة بعد حرب البلقان (٤) واصبح في اواخر الحرب عضواً في شعبة النشر في هيئة الدفاع الملى ولكن لم يستمر في هذه الوظيفة مدة طويلة (٥) واشتغل بعد ذلك مفتشاً على المدارس (٦) ، وارسل في عام ١٩١٣ إلى مصر ثم الحجاز ونجد وعاد إلى استانبول ، ونشر كتابه المسمى " على كرسى الفاتح " ومارس التدريس

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٣٠ .

(٢) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٧٤ .

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٠٦ .

(٤) مقدمة ديوان الصفحات لعمر ريبضا : ١٦ .

(٥) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٧١ .

(٦) محمد عاكف لجميل سنا : ١٥ .

العالي في معاهد عديدة من بينها شغل وظيفة استاذ الأدب العثماني في مدارس دار الخلافة الاسلامية (١) .

وتكونت هيئة العلماء في منظمة " دار الحكمة الإسلامية " التابعة للمشيخة الإسلامية ورشحته الحكومة سكرتيراً (كاتباً أول) لها ، وبدأت وظيفته بعد عودته من عالية بلبنان (٢) . واصبح عضواً من أعضاء هذه الهيئة اعتباراً من ١٩٢٠/١/٢٣ مع ابقاءه وظيفة سكرتير في عهده وعزل عن هذا العمل في ١٩٢٠/٥/٣ ، والسبب الحقيقي لذلك موقفه من الغزو الصليبي ونشاطه مع المجاهدين ضد الاعداء وإن كانت الذريعة الرسمية لعزله : تركه مكان عمله بغير اذن رسمي (٣) ، ونشر عاكف عام ١٩١٧ كتابه المسمى " ذكريات " ونشر الطبعة الثانية والثالثة في عام ١٩١٨ لكتابه " على كرسى السليمانية " والطبعة الثانية لـ " اصوات الحق " و " ذكريات " والطبعة الثالثة لـ " على كرسى الفاتح " .

وخرجت الدولة العثمانية في عام ١٩١٨ من الحرب العالمية الأولى بانتصار الاعداء عليها واصبحت فكرة الجامعة الإسلامية بعيدة عن التحقيق وبدأ الجهاد مرة أخرى في عام ١٩١٩ ، وحاول عاكف تحقيقها مرة أخرى وذهب في شباط ١٩٢٠ إلى مدينة بالي كثير للحث على الجهاد بمواعظه ونصائحه . وادبح يوم وصوله إليها كيوم العيد ، وبعد عودته منها إلى استانبول بذل جهوده في نشر روح الجهاد في البلاد جميعها ، وتحت ضغط من الانجليز على الحكومة منعوا نشر اعماله . وعلى ذلك غادر استانبول وذهب إلى انقره (٤) ونشر ترجمة لمقالات من تأليف الشيخ مشير حسين قدواي من علماء مسلمي الهند في مدح الجهاد في الأناضول والوقوف ضد الانجليز . وارسل نسخ مجلة سبيل الرشاد إلى انحاء البلاد وعمل لخماد العصيان في مدينة قونية ، وأدت مواعظه في مساجدها دوراً كبيراً في

(١) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٧٤ . (٢) المرجع السابق : ٨٩ .

(٣) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٥١ .

(٤) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٥٤-٥٥ .

تهدئة الشعب ومنع انتشار العصيان والقي مواعظ في ضواحي مدينته
قسطاموني في ١٩٢٠/١١/٢٥ ومابعده (١) .

وأصبح عضواً في المجلس الوطني التركي الأول اعتباراً من ١٩٢٠/٦/٥ .
وكان نائبا عن مدينة بردور (٢) سكن في زاوية تاج الدين . وعاش حياة الفقراء
مع ذلك استمر في نشاطاته كأنه انتقل من ارشاد الشعب إلى توجيه النواب
في المجلس الوطني . وفي أثناء حرب الاستقلال نظم " نشيد الاستقلال الذي
بدّ به كل المتبارين في نظمه ووافق المجلس عليه رسمياً في ١٩٢١/٣/١٢ (٣)
وعين عضواً في هيئة التدقيقات والتأليفات الإسلامية بوزارة الاوقاف في عام
١٩٢٢ وانتهت الحرب بتغلب تركيا على اعدائها في عام ١٩٢٣ وألغى
المجلس الوطني الأول . وعاد عاكف إلى استانبول . وسافر مع صاحبه عباس حليم
باشا إلى مصر ونشر في عام ١٩٢٤ كتابه المسمى " عاصم " وكان يسكن
بين سنتي ١٩٢٣ - ١٩٢٥ في الشتاء في مصر ويعود في الصيف إلى
استانبول . وفي سنة ١٩٢٦ سكن في مصر - في حلوان - ودرس اللغة
التركية في الجامعة المصرية . واشتغل بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة
التركية ونشر كتابه الأخير في عام ١٩٣٣ بعنوان " الظلال " . وسافر إلى
عالية - لبنان في ١٩٣٥ لتغيير الجو ولم تتحسن حالته الصحية وفي أول
الصيف سنة ١٩٣٦ عاد إلى استانبول وتوفي في ١٩٣٦/١٢/٢٧ .

رحلاته :

كان لعاكف رحلات في داخل والدولة العثمانية وخارجها منها :
أنه سافر إلى جَطَلْجَا - قضاء استانبول - أثناء دراسته في الثانوية مع احد
اصحابه لغرض المصارعة . وسافر إلى قرية شوشيصا ، قضاء إيباك بالبانيا بعد
وفاة أبيه ليرى عمه وليعود مع ابن عمه إلى استانبول ليسجله في مدارسها (٤) .

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٥٩ - ٦١ .

(٢) عين أولاً في بردور ، ثم بيقا ، واستقال منها وبقي نائبا عن بردور

() مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٥٦ .

(٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ٨١ / ١ .

(٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٩١ - ١٩٤ . بتصرف .

كانت هذه رحلاته في شبابه .

اما رحلاته لاداء العمل ، فقد سافر إلى مدينة أدرنة موظفاً في وزارة الزراعة ومنها سافر إلى بلغاريا ، يقول عاكف : كان لي وظيفة في مدينة أدرنة وكنت اذهب احيانا إلى بلغاريا وشاهدت مرة في قرية من القرى رجلا يلبس الصندل ورداء خارجيا مصنوعا من اللباد . وظننت أنه راع ولكن بعد التكم معه عرفت أنه من المثقفين خريجي الجامعة . اعتبروا من هذا فان خريج الجامعة يلبس لباس القرويين ويدخل بينهم ويرشد هم فلان اعداءنا يعملون ونحن ماذا عملنا ؟ طبعاً لا شيء . إن لم نعمل بعد الآن فليس لنا حق الحياة . (١) . بعد ذلك سافر عاكف ضمن هيئة رسمية إلى أضنة ودمشق وحلب ليشتري الخيل للجيش (٢) ، وسافر بعد فترة من استانبول إلى بيروت ومنها إلى القاهرة والأقصر ثم إلى المدينة المنورة ومنها إلى دمشق . كان بداية سفره في ١٩١٤ / ١ / ٨ وعودته ١٩١٤ / ٣ / ٥ كما نشرت مجلة سبيل الرشاد (٣) ، يقول عمر رضا : عرفته اثناء وجوده بمصر ، وكانت اجازته الرسمية لمدة شهرين ، ولو كانت اكثر من ذلك لاعتزم السفر إلى مكة بعد المدينة والاقامة فيها مدة . ونتيجة زيارته لمصر كتب قصيدته بعنوان " في الأقصر " (٤) ، و" تكفل بنفقاته في هذا السفر صاحبه عباس حليم باشا (١٨٦٦ - ١٩٣٤) . واصبح ضيفا عند عزيز عزت باشا . تجسول في منطقة الالهرام وشاطي النيل ، والتقى بفريد وجدي " (٥) .

-
- (١) مواعظ محمد عاكف : ٤٤٦ .
(٢) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٩٧ .
(٣) اختلف الكتاب في تاريخ سفره إلى مصر : منهم من قال انه زارها سنة ١٩١٢ (حسين مجيب المصري تاريخ الادب التركي : ٥٢٢ ، محمد عاكف لجميل سنا : ١٥) ومنهم من قال انه زارها سنة ١٩١٣ (مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٨ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ٣٨ / - ٣٩ ، فوزيه عبدالله : ٧٢ - ٧٣) ونستبعد أن يكون هذا السفر في العامين المذكورين واعتمد البعض في ذلك على التاريخ الذي ذكره عاكف في آخر قصيدته " في الأقصر " (مقدمة ديوان الصفحات لدوزد اغ ٣٧) ومن المحتمل انه كتب قصيدته في وقت لاحق وأرخها بوقت كتابتها والصحيح ما نشرت مجلة سبيل الرشاد .
(٤) مقدمة ديوان الصفحات : ١٨ . (٥) المرجع السابق : ٣٩ - ٤٠ .

وفى نهاية عام ١٩١٤ ارسل من قبل الحكومة العثمانية ضمن هيئة علمية إلى برلين / ألمانيا . وبقي فيها ثلاثة اشهر تقريبا ثم عاد إلى استانبول فى اوائل مارس سنة ١٩١٥ . والغرض من هذا السفر: " أن ألمانيا المتفقة مع الدولة العثمانية عملت سكنا خاصا لأسرى المسلمين الذين كانوا فى صفوف فرنسا وانجلترا فى الحرب . وكانت ألمانيا تعاملهم معاملة حسنة ، وبنوا لهم مسجدا وارادوا اظهار ذلك الجميل امام زعيمة العالم الإسلامى ، وهى الدولة العثمانية ، لذا دعوا هيئات مختصة للقيام برعايتهم . يقول د . عبد السلام فهمى : اسهم محمد عاكف فى الحرب العالمية الأولى ووضع نفسه فى خدمة الحكومة العثمانية حيث كلفته فى بداية الحرب بالسفر إلى كل من مصر والحجاز ومناطق أخرى من الجزيرة العربية فى أموريات خاصة لعلها تتعلق بتأييد الدولة العثمانية وتحريض الأهالى على الانجليز ، كما كلفته وزارة الحرب العثمانية بالسفر إلى برلين لدراسة احوال الاسرى العثمانيين فى أوروبا فبقى فى العاصمة الألمانية مدة ، أشرف فيها على ترحيل الاسرى العثمانيين الذين حاربوا فى الجبهة الأوروبية جنبا إلى جنب مع القوات الألمانية ، وقطع الحلفاء الطريق عليهم ، فبقوا فى ألمانيا حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها " (١) . وقد فهم الكاتب القضية فهما مخالفا للواقع لأن ألمانيا أخذت الأسرى من المسلمين الموجودين فى صفوف فرنسا وانجلترا . . . الخ . وليس من المسلمين العثمانيين وكان اهتمام عاكف باللقاء مع المسئولين لتأييد الدولة العثمانية . ولم تتح له فى سفره إلى مصر والجزيرة العربية فرصة الاتصال بالجماهير لتحريضهم ضد الانجليز .

وفى رأى ارطغول دوزداغ : لم يكن هناك عمل سياسى فى السفر إلى مصر والمدينة فى المرة الأولى لعاكف " (٢) . والمتفق عليه أن عمله السياسى

(١) شاعر الاسلام محمد عاكف : ٢١ .

(٢) مقدمة ديوان الصفحات : ٣٧ وفى رأى جمال كوطاى : كان عاكف

من اعضاء هيئة الاستخبارات فى الدولة العثمانية بعد اعلان

المشروطية سنة ١٩٠٨ (المتفقون يتحدثون فى سعيد النورسى :

٣٢٢ ، ٣٢٥) ، ولا اظن أنه عمل فى الهيئة المذكورة فى السنة

كان للحفاظ على الخلافة الإسلامية في سفره الثاني إلى هذه المناطق .
ومن جهة أخرى فإن إنجلترا وفرنسا جمعتا ضد ألمانيا جيوشا من المسلمين
الذين كانوا تحت استعمارهم وسلطتهم ولقنوهم : " ان الالمان استولوا على
استانبول واخذوا الخليفة اسيراً وتسببت هذه الدعاية في إحداث مشاكل
لألمانيا ووقع المسلمون اسرى في يد الالمان . وارسل عاكف مع بعض اصحابه
إلى ألمانيا لحل مشاكل أولئك الاسرى ، وعمل ماعليه من النصح والدعوة
ونجح في ذلك . وكان ضمن الهيئة معه كل من " علي باشا همبا التونسي
- رئيس هيئة التفتيش بوزارة العدل آنذاك - ود . فؤاد المصري - الموظف
في المديرية العامة بالأمن العام في استانبول - والشيخ صالح التونسي -
الداعية والخطيب العام - وكانتوظيفة هؤلاء الثلاثة القاء المحاضرات
باللغة العربية ليقاظ المسلمين ولنصر الدولة العثمانية . وذهب عاكف مع
الشيخ صالح إلى برلين للخطابة امام مائة الف اسير مسلم ، وايقن باهمية
الأمر وأدى واجبه ، والتقى مع بعض المستشرقين الالمان ومنهم هرتمن
Hartman وناقشه . يقول عاكف : " إن هذا المستشرق رغم كونه مختصا
في الأدب التركي ، كان عاجزا عن القراءة بالتركية " ، وتعلم من عاكف شيئا
كثيرا ، وكتبت الصحف والمجلات الألمانية اخبارا عن اعمال عاكف . يقول خليل
أديب - الطالب التركي في ألمانيا آنذاك - كنت ازوره في برلين واترجم له
اخبار الصحف ، وكانت البيانات تكتب باللغة العربية وترمى بالطائرات بين
صفوف جنود المسلمين من جنود فرنسا .. ، و اراد الالمان تجهيز كـل
الامكانيات لراحة عاكف وخصصت له الخارجية الألمانية غرفة في فندق
حديث ولكنه رفض قائلا : " انا محزون لاننى اعيش هنا على نفقتكم فى
المسكن والمعيشة ولا امكانية عندى لدفع تلك النفقات ، والا لكنت ارفض أن
تدفعوا شيئا . ويجب أن اكتفى بأقل التكاليف فان خدمتى ليست لكم بل
لبلادى المشاركة معكم فى هذه الحرب " وكتب عاكف نتيجة هذه الرحلة
منظومته بعنوان " مذكرات برلين " (١) وقصيدهته " استيقظ " .

المذكورة بل عمل فى أيام الحرب العالمية الأولى فى الايام الحرجة
التي مرت على الدولة العثمانية . وهكذا ساهم فى الجهاد للحفاظ
على الخلافة الإسلامية .

(١) ذكرت فوزية عبد الله فى كتابها (محمد عاكف : ٧٦) أن عاكفا ألف

وبعد عودته من برلين أرسل إلى نجد والمدينة المنورة ، أما تفصيل ذلك : فقد سافر عاكف في ٢٧/٥/١٩١٥ في ادارة اشرف قشجو باشى - رئيس التشكيلات المخصصة - مع هيئة مختصة إلى نجد ثم المدينة المنورة ، واستمرت هذه الرحلة اربعة اشهر ونصف شهر تقريبا . وعاد في ٧/١٠/١٩١٥ وكان الهدف من ذلك السفر : الذهاب إلى الرياض . لأن الشريف حسين اتفق مع الانجليز وبدأ يجهز للخروج على الدولة العثمانية ، أما ابن الرشيد فقد اصبح مطيعا لها . وقد التقت الهيئة مع الشيخ ابن الرشيد في الرياض - ووزعوا الهدايا عليه وعلى رجاله . وكان الغرض من السفر إليها غرضا سياسيا للحفاظ على وحدة الدولة العثمانية . ووجد عاكف فرصة لزيارة المدينة المنورة مرة ثانية ، وكتب قصيدته الطويلة بعنوان " من فيافي نجد إلى المدينة " . وصور وحدة المسلمين واخوتهم فيها . وفي اثناء الطريق وصلت الاخبار عن انتصار الجيش العثماني في جناب قلعة وكتب بهذه المناسبة قصيدته الشهيرة بعنوان " إلى شهداء جناب قلعة " .

يقول اشرف اديب : " وقد اقتضت الظروف الحوار مع ابن الرشيد في نجد ، وأرسل عاكف واصحابه إليها وذهبوا في تلك الظروف القاسية إلى مقره بالرياض " ، وفي طريق عودته من نجد والمدينة حط رحاله في كل

هذا الكتاب بأمر من المخابرات العثمانية لحساب المانيا " . ولا يمكن أن يكون الأمر كذلك . بل الصحيح أنه كتب بايمانه الصحيح للدفاع عن المسلمين وقد قرر هو : انه ارسل موظفا إلى المانيا أيام الحرب العالمية الأولى وارسل ايضا في ذلك الوقت بوظائف سياسية إلى نجد والمدينة المنورة (انظر بحوث في محمد عاكف : ١/١٣) .

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٤٥-٤٦ ذكر صاحبه قصة هذه الرحلة وضياعهم في الطريق ووصولهم عن طريق تيماء إلى محطة المعظم للقطار ثم وصولهم إلى مركز سلطة ابن الرشيد " حائل " (المرجع السابق : ٢/٢١٤-٢١٥ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ٢٢ .

من دمشق وبيروت اجابة لدعوة امير مكة المكرمة الشريف خيدار باشا (١)، وكتبت مطبوعات سوريا : " أن شاعر الاسلام سوف يزور دمشق " . وحينما أعلن قدومه ، اجتمع قرابة مائة عالم من علماء سوريا وادبائها في صالفة فندق دمشق وقدموا تحياتهم له ، واستحى عاكف امام هذا الاحترام والتقدير (٢) . وتجول في دمشق والسلطانية، وكان عاكف صديقا مخلصا للشريف علي خيدار باشا . ودعاه الأمير إلى عالية بلبنان في نهاية الحرب العالمية الأولى. واجاب عاكف هذه الدعوة وسافر مع صاحبه الاستاذ اسماعيل حقي الازميرى (١٨٧٠-١٩٤٦) إلى عالية، واقام ضيفا عند الأمير لمدة شهر، وعاد في تموز سنة ١٩١٨ إلى استانبول .

وبعد نهاية الحرب ذهب إلى مدينة بالي كثير في تركيا ورغب الناس في الجهاد مرة أخرى بمواعظه فيها وضواحيها، ثم توجه إلى انقرة وجاهد لنصرة المسلمين في حرب الاستقلال .

وبعد فترة قصيرة بدأت حركة الخروج في مدينة قونية وضواحيها، ورحل إليها عاكف وحاول انهاءها . ثم عاد إلى انقرة، ومع ذلك يقول متواضعا: لم تكن لي علاقة واسعة بالسياسة في أيام حرب الاستقلال حتى أتيام انتخابي نائبا في المجلس الوطني" (٣). اما غرضه من الرحلة إلى مدينة قسطاموني : فهو الوعظ في مساجدها، وبيان أن معنى الموافقة على معاهدة

(١) كان احداً من أعضاء مجلس الاعيان العثماني عين إبان الحرب العالمية الأولى أميراً على مكة المكرمة. إثر قيام الشريف حسين بن علي - الأمير السابق - بالثورة ضد الدولة العثمانية. وكان ابنا الأمير من تلاميذ عاكف في الجامعة هما الشريف عبدالمجيد والشريف محي الدين (محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٠٠-٢٠١) . ويستبعد ارتطخول دوزداغ (مقدمة ديوان الصفحات : ٥) ذلك. ويرى أنهما كانا من تلاميذ اسماعيل حقي ولا مانع من أن يكونا تلميذيين خصوصيين له وليس في الجامعة والمتفق عليه أن هناك علاقة بينهما وبين عاكف .

(٢) محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٠٤٧/١ - ٢٢٦ .

(٣) بحوث في محمد عاكف : ١٢/١ .

" سيفر " توهدي إلى الذل والاضمحلال ، وضياح الأمة . وانتشرت افكار عاكف في انحاء البلاد ثم عاد إلى انقره مرة أخرى وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٣ . وعاد بعد ذلك الى استانبول ، ثم اتخذ مصر مستقرا له ولم يعد إلى استانبول الا سنة ١٩٣٦ وهي السنة التي توفي فيها . اما رحلته إلى جبل لبنان وانطاكيا ، فهي في أيام مرضه الأخير وهي رحلة قصيرة . وفي اثناء اقامته بانطاكيا زاره افواج من الناس ودعوه إلى حداثتهم ومنازلهم احتراماً له .

وكان من آماله السفر إلى اسبانيا . وكان ينوي كتابة مشاهداته من الآثار الإسلامية فيها نظماً ، وكان من آماله ايضاً السفر إلى بلاد الهند والصعود على جبال هماليا وكتابة ملاحظاته نظماً (١) . وكان من آماله ايضاً اداء فريضة الحج وكتابة حجة الوداع نظماً ، ولم تتحقق هذه الآمال الطيبة (٢) .

حياته في مصر :

بحث الخديوي عباس حلمي باشا بمصر عن استاذ لتعليم اولاده - اللغة التركية فذكروا له شخصين هما حسين جاهد ومحمد عاكف ، ورجح عاكف على حسين جاهد ، ووافق عاكف على ذلك وكان من آماله طبع آثاره . ونشر كتبه في مصر أيام السلطان عبد الحميد ، ولكن لم يتيسر له السفر إليها (٣) حينذاك ، وإنما تحققت أمنية السفر بعد ذلك قبل الحرب العالمية الأولى ثم أيام الحرب ثم في سنة ١٩٢٣ و ١٩٢٤ .

وغادر عاكف بلاده سنة ١٩٢٥ وآثر أن يعيش في مصر منقطعاً عن المنحرفين عن طريق الله مخلصاً لانتاجه الاسلامي ما عن سبب هجرته إليها : فهناك اقوال كثيرة منها : أنه ذهب إلى هناك لكي لا يلبس

(١) وقد اخبر عاكف بذلك صاحبه عاصم شاکر ، انظر محمد عاكف

لمدحت جمال : ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) يزعم بعض الكتاب : " ان عاكف ادى فريضة الحج حينما سافر إلى مصر ومنها إلى المدينة (المؤلفات في محمد عاكف : ١٤) وهذا القول غير صحيح .

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٧-٣٨ .

القبعة ومن الذين يختارون هذا السبب لهجرته ابراهيم صبرى بقوله : ظل عاكف فى انقرة إلى أن قطعت الحكومة شوطا بعيدا فى تطبيق الانقلاب الاجتماعى الذى اقتبسته من الغرب. وكان من ضمنها قانون لبس البرنيطة التى عزى على عاكف لبسها فما كان منه الا أن اباه وهاجر إلى مصر" (١) وحينما توفى عاكف لم يقم له المسئولون مراسم رسمية وعلى ذلك قام الشباب ببعض الحركات. فقال مصطفى كمال فى خطاب له فى مجلس خاص امام الشباب : يتهموننى بأنى لم أقم بالواجب نحو الشاعر الذى ألف نشيد الاستقلال وانا اسألکم ماذا كسبت الدولة من عاكف؟ كان عاكف عدوا لانقلاباتنا ، نعم كتب نشيد الاستقلال ، ولكنه كتبه بروح فكرة الدفاع عن الأمة - الإسلامية - وليس بفكرة القومية التركية ، ولو كان عاكف فكر فى استقلال الترك لما اختار مصر ليعيش فى الاسر لكيلا يخلع الطربوش عن رأسه رغم أن الطربوش من اصل نصرانى . فى الواقع نحن نسعى لرفع مستوى هذا البلد إلى مستوى البلاد المعاصرة ، كما نسعى لتخليصه من كل انواع الرجعية" (٢) . وقال آخرون : انه اختلف مع مصطفى كمال بسبب نزعتة العلمانية فأثر الهجرة من بلده (٣) . وكان عاكف يتوقع تأسيس دولة اسلامية مستقلة لخلص جميع المسلمين ، ومن اجل ذلك شارك فى الجهاد بكل امكانياته وحين استت دولة علمانية لم تتحقق آماله ولم يرض عما حصل وذهب إلى مصر وبقي فيها وعاش فى ظروف صعبة ماديا ومعنويا ، بينما كان الشباب فى الوقت نفسه يردد نشيده فى مدارس تركيا وفى المناسبات الرسمية (٤) . ومما جاء فى هذا النشيد قول عاكف : " سبحانك ربى هاك روحى ومهجة قلبى وكل ما ملكت يدي ، حسبى الا تحرمنى من الوطن ، ان ذا هو مطلبى الوحيد" (٥) .

يقول شمس الدين جونالطاي : اندهش عاكف بعد انتصار تركيا فى

- (١) ظن ابراهيم صبرى أن عاكفا هاجر اليها سنة ١٩٢٤ (الظلال ٨) و الصحيح أنه عاد منها إلى استانبول ، وانما استقر فى مصر اعتبارا من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٦ .
- (٢) عن تاريخ الأدب التركى المصور والمنقوش : ٦٢٩ / ٢ .
- (٣) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٦ . (٤) من الأس إلى الغد : ١١٣
- (٥) مقدمة ديوان الصفحات لجمال مختار : ١٢٦ .

حرب الاستقلال ازاء الانقلاب الذى يتجه لتحقيق التغريب، وتوقف عاكف لأن الانقلاب أصابه بصدمة عنيفة، وأمام هذا الوضع غادر بلاده متوجهاً إلى افريقيا رغم أنه كان صاحب النشيد الوطنى، ونشيد الجهاد أيام حرب جناق قلعة، بحث عن الراحة فى ظلال الاهرامات والتجأ إليها وما ادرى هل حصلها " (١) .

والحقيقة أن عاكفا لم يذهب إلى مصر بحثاً عن الراحة، بل كان فاراً بدينه، يحاول الحفاظ على دينه وايمانه، يقول احمد قبلى - احد الكتاب القوميين - : أحس عاكف بعد سنة ١٩٢٥ ضرورة الانتقال إلى مصر والحياة فيها ولعله اضطر إلى ذلك. فإن بعض اعداء القيم العلية حاولوا تحقير عاكف امام اعيان الشباب وقالوا : " ذهب عاكف إلى مصر لكيلا يلبس القبعة " ، فهذا ادعاهم وينفى الكاتب هذا السبب ويستدل على قوله بصور عاكف قائلاً : " كما نشاهد أن كثيراً من صوره الشمسية مأخوذة وهو حاسر الرأس. وكان عاكف لا يحب الطربوش لانه كان لباس اليهود فى مصر " (٢) .
والحقيقة أن لبس الطربوش كان من تقاليد العثمانيين. ومن اجل ذلك لبسه عاكف، فحينما شاهده الناس أيام اقامته فى مصر بلبسه العثمانى ظنوا أنه من الاوربيين وقالوا له " ياخواجه " لأن بعض السياح كانوا يلبسون الطربوش آنذاك. ولاشك أن عاكفا لم يتحمل مقام به الانقلاب من الاعمال المعادية لدينه ولم يقبلها ولم يجد فى تركيا مناخاً يريح ضميره ولذلك غادرها لأنه كان يتوقع تأسيس دولة تركية اسلامية بعد اندحار الاعداء، وقد اسست الدولة بعد تكلل الاعمال الجهادية بالنجاح ولكنها اتجهت إلى الغرب. اما ذهاب عاكف إلى مصر ويقاؤه فيها عشر سنوات فلم يكن برغبة منه، بل اضطر إلى ذلك اضطراراً، لأنه بعد انتهاء عمل المجلس الوطنى الأول سنة ١٩٢٣، بقى بلا عمل، ولم يعد هناك مجال لمعيشة أسرته (٣) .

يقول حسين مجيب المصرى : " وقد وصل أسبابه بأسباب الأمير عباس حليم باشا فاتصلت بينهما اواصر المودة ، ووجد عاكف من الأمير تكمة

-
- (١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٦٢٤ ، انظرايضاً : ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٠ ، ٤٤٩
(٢) محمد عاكف ل احمد قبلى : ٣٩ - ٤٠ .
(٣) بحوث فى محمد عاكف : ١ / ٦٨ .

وتقديرا أما الباعث له على الرحيل إلى مصر فضيق بالمقام في تركيا ويأس -
 خيم على نفسه ، فاراد أن يسيح في الأرض ملتصبا تفريجا لهمه ، كما وجد
 في السياحة جهادا يذكره بقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا) (١) وقد اشار إلى ذلك في بعض رسائله (٢) . كتب إلى تلميذه ماهر
 إز قائلا : إن شاء الله تمضى هذه الأيام بسرعة وملتقى وتستمر مذاكراتنا
 الادبية والعلمية..، معا ، احب اللقاء مع احبائى باستانبول ، وفي الواقع
 كنت اتوقع الصبر على فراق هؤلاء الاخوة فترة طويلة ولكنى أحس بشوق
 شديد إليهم ، وانت من بينهم ، لقد اضطرت إلى فراقهم اضطرارا ، إلى غير
 ذلك من كلماته في رسائله .

وهناك سؤال : " ماذا كان يفكر المسئولون في تركيا تجاه عاكف في
 النصف الثانى من سنة ١٩٢٥ ، ٢ ، وجواب ذلك فى قول شفيق قولايلى - صاحب
 عاكف - : " جاء عاكف إلينا وقال : " سوف اسافر إلى مصر " حاولنا اقناعه
 ومنعه عن السفر ، لأن هذه الفترة كانت مهمة جدا لتعليم أولاده وتربيتهم
 فإن سافر فسوف يفشل الاولاد فى دراستهم . اجاب عاكف فى حزن عميق قائلا
 يتابعنى رجال الشرطة دائما وأنا لا اصبر على هذه المعاملة ، أنا لست
 باع أرض الوطن أو خائنا لبلادى ، لا أريد العيش هنا تحت المراقبة
 فى هذه الظروف ومن اجل ذلك اغادر البلاد " (٣) ، فهذا هو سبب هجرته
 من بلاده إلى مصر ، ومعنى قوله أن الحكومة لم تهمله بل اجبرته على الهجرة .

ومع ذلك كله لم يفقد عاكف آماله فى الإسلام واستمر فى حماسه
 لمبادئه ، وحافظ على سجايه وعاش بايمانه العميق ورحل عن تركيا كما رحل
 غيره من علمائها فى تلك الايام : يقول اشرف اديب : " خصص له عباس حليم
 باشا سكنا عاش فيه ثم استأجر بيتا واخذ معه أسرته إلى حلوان كان بيته
 متواضعا جدا ، واثابه بسيطا..، وكان حينما ينتقل من بيت إلى آخر ينتقل
 ليلا ، حياء من جيرانه . كانت زوجته مريضة فى اكثر الاوقات ، لذا اضطر إلى

(١) سورة العنكبوت : ٢٩ . (٢) انظر تاريخ الادب التركى : ٥٢٢

(٣) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٧٣ .

الاهتمام بشئون المنزل والاولاد ، يقول فى ذلك : تعبت بمشاغل الأسرة لو لم تكن هذه المشاغل لوجدت فرصة لتأليف آثار قيمة " ، عاش فى مصرفسى ظروف قاسية وفى ضيق مالى (١) ، ولو اراد راحة الدنيا وحلا لضائقته فقد كان يكفيه أن يكتب بيتا من الشعر أو قصيدة يثنى فيها على الاغنياء أو الامراء أو الحكام ، لكنه لم يفعل ذلك يقول حسين مجيب المصرى : أما اخريات اعوامه فى مصر ، فكانت اعوام يأس واسى ، فقد رأى الفجيعة فى حاميه وصديقه الأمير عباس حليم باشا ، وجزع عليه جزعا شديدا ، ونكد عيشه بعده ، وتحدث عن همه وبلواه فى كتاب له إلى كريمة الأمير فقال : إنه سئم تكاليف الحياة واختار الاعتزال عن شئونها بعد أن نفض يده من كل خير فيها . وعاج يوما بدار الأمير ليقف وقفه ويسكب دمه على ايام غر ، وليال بيض ، وبشاشات من العيش ، فقال فى شعر حزين : " أنت قصر كلشن ، نعم ! ولكن القلوب كسيرة موجعة ، لقد وقفت لماضى لى فيك أحيى ذكراه ، لا لفرحة ولا نشوة . ليت شعرى فانى لست ادرى ، افى عتمة صدرك بقية من نـسور الحبيب" (٢) ! يقول عاكف : " خربت روحى ومعنوياتى ، وإن من اسماء الله الحسنى " الباسط " اللهم اجعل لى ولأمة محمد عليه الصلاة والسلام انبساطا وانشراحات وسلامات آمين " (٣) .

اما آثاره فى مصر ، فمن أهمها : منظومته الطويلة بعنوان " مع فرعون وجها لوجه " صور فيها مظالم فرعون وطبع كتابه بعنوان " الظلال " وهو الجزء السابع من ديوان الصفحات فى مطبعة الشباب بمصر .

وكان يقول امام المتاعب : " شبيبتنى مطبعة الشباب " (٤) اما ترجمته معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية خلال وجوده فى مصر ، فسوف نكتب عنها فى الباب الثالث ، ومن جهة حياته الاجتماعية : فقد كره عاكف أن يقسم فى القاهرة ، وذكر سبب ذلك فى رسالة له فى سنة ١٩٢٦ ، فقال : هبـط

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٢١ - ١٢٣ بتصرف .

(٢) انظر تاريخ الأدب التركى : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٣٨٤ .

(٤) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٥٦ ، ايضا ١ / ١١٧ ، ٣٨٥ .

مصر يونان ويهود وارمن ، وطلليان وروس ، وبهم جميعا من جهد الفاقة مالا يخفى ثم اصبحوا اليوم من اهل الثراء والحول والطول ، أما من جاء مصر من بلادنا فان بعضهم على حال نعوذ بالله منها ، واني لأحسب أن اعتكافى بمدينة حلوان يعيئني على تحقيق رغبتى فى عدم رؤيتهم حتى لاتذهب نفسى حسرات (١) ، وهذا من اسباب عزلته فى حلوان إذ وجد نفسه غريبا بسين أهله وذويه ، عن يمينه وشماله اوروبيون من انجليز وفرنسيين وألمان يملئون الكفوس ثملين ، ويواصلون السمر ضاحكين وأمامه معابد الفراعنة تشير إلى مجد عفا ، وسلطان أدبر وواقع العالم الاسلامى من حوله يشير إلى ظلمات تتراكم وتمتد حتى يسود الافق ، وتهدم الأنفاس ، كل ذلك قد هاج لواعجه فنظم قصيدة طويلة جعل عنوانها " فى الأقصر " (٢) ، يقول عبد السلام فهمى : وأخيرا مضى عاكف فى سبيله ، ولم يقبل مشاركة أحد آلامه فعاش فى مصر منزويا غير معروف الا من قلة قليلة ، هم بقايا العثمانيين فى مصر أو مصريين من ذوى اصول تركية عثمانية يعرفون قدره ومقامه . وعانى مشاق الحياة فى مصر بكل صبر وجلد إلى أن شعر بدنو أجله ، فنظم بيتين خاطب فيهما شريكة حياته (٣) ، يقول ما ترجمته : " إلى شريكة حياتى " بذلت كل جهدى لكى اخرجك إلى النور يامن رافقتنى طول حياتى المتموجة ؛ لقد تخطيت كل ما اعترضنى من جهال وصخور غير أن الذى يصدم جبينى هذه المرة هو حجر قبرى " (٤) . وقد اعترف عاكف بانزوائه فى مصر بقوله : " أنا معتكف فى مصر تمام الاعتكاف ، لا اخرج من البيت غالبا كأن حرارة الجسو وبرودة الغرفة وحبى العزلة من فترة طويلة كل ذلك جعلنى منزويا " ، حينما ارى المحيط الهادى فى حلوان وعدم تقييدى بقيود المعيشة اقول : لو كانت عندى هذه الفرصة قبل خمسة عشر سنة لكنت اعمل آثارا قيمة . " بسبب كونى منزويا فى حلوان لا اعرف اناسا كثيرين ، احب الانزواء حبا جما " (٥) .

(١) انظر تاريخ الادب التركى لحسين مجيب : ٥٢٣ ، محمد عاكف لمدحت

جمال : ١٤٥ . (٢) انظر ديوان الصفحات : ٢٦٢ .

(٣) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٤) ديوان الصفحات : ٤٣٢ .

(٥) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٥ .

وكان لا يخرج من حلوان إلى القاهرة الا في اوقات معينة من بينها سماع قراءة الشيخ القارىء محمد رفعت يوم الجمعة وقال مرة لضيفه اشرف اديب: ليس ورائي اليوم عمل في القاهرة غير سماعي الشيخ محمد رفعت إن رغبت أنت في شيء آخر تذهب وحدك لسماع ام كلثوم (١). يقول اشرف اديب: كان عاكف يشتغل بالمذاكرة كثيرا . حين يعود إلى بيته يتوضأ ويباشر المذاكرة - واشتغاله بترجمة معاني القرآن جعله من اهل التقوى. وفي شهر رمضان يصلى التراويح بالختم مع ابنه ، يكون عاكف اماما وابنه مأموما . وبعد ركعات يتركه ابنه ويصلى عاكف وحده ومن اجل ذلك كتب إلى استاذة قائلا : اصلى التراويح بالختم ابعث لى جماعة من المسلمين الصابرين (٢) .

اما عمله الرسمي في مصر ، فقد كان يشتغل بالتدريس إما في درس خاص مثل تدريسه لبنات عباس حليم باشا وبنات اقربائهم في صفرهن (٣) وإما في الجامعة المصرية (٤) كلية الآداب أستاذا للأدب التركي (٥) ، يقول عبد الوهاب عزام : " كنت عرفت اساتذة كلية الآداب بهذا الأديب الكبير ، فاخترته لتدريس التركية بها فكان محببا إلى الاساتذة والطلاب يأمنون به ويجلونهم ويردون إليه . ويقول حسين مجيب المصري : شغل عاكف نفسه طوال هذه الأعوام بتدريس الفارسية والتركية بجامعة فؤاد الأول في القاهرة (٦) . والواقع أنه لم يدرس الفارسية بل درس التركية في الجامعة المصرية وقد تعرف عليه د . عبد الوهاب عزام فرشحه لتدريس التركية بكلية الآداب فقبل أن يكون استاذا بها وكان يدرس اللغة التركية للطلبة المصريين وكان يتكلم بالعربية الفصحى وهذه اللغة كانت تعتبر لغة غريبة هناك . وقال امام تلاميذه : لاتضحكوا على كلامي باللغة العربية وأنا لن اضحك من كلامكم باللغة التركية (٧) وفي رأى ماهر إيز : قدم عبد الرحمن

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١١٦ . (٢) المرجع السابق : ١ / ١١٧

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٨٧ .

(٤) اخطأ بعض الكتاب وقالوا (جامعة الزهر) (محمد عاكف لفوزية عبد الله ١٩٠ ، المؤلفات في محمد عاكف : ١٥ .

(٥) محمد عاكف لجميل سنا : ١٦ ، ولاشرف اديب : ١ / ٢٩٦ .

(٦) تاريخ الادب التركي : ٥٢٢ .

(٧) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٦ لاشرف اديب : ١ / ١٤٩ .

عزام (١) إلى استانبول والتقى محمد عاكف واقترح عليه أن يدرس مادة اللغة والأدب التركي في الجامعة المصرية، وفي ذلك الوقت لم يكن لعاكف بيت يسكن فيه ولا راتب تقاعد، وأمام هذا الوضع وافق عاكف على ذلك الاقتراح (٢). ولم يذكر عاكف علاقته بعبد الرحمن عزام واكتفى بقوله: " حصل التعارف بيني وبين عبد الوهاب عزام (٣). وهو يدرس اللغة التركية والفارسية واقترح أن أدرس التركية، وأنا وافقت، وعرض الأمر على الجامعة وبعد المذاكرات وافقوا على الأمر وأبلغوني، فإن اللغة التركية تدرس في قسم الأدب (٤) وكتب عاكف إلى ماهر إز رسالة وطلب منه الكتب وهذه بعض كلماته: يابني أريد منك أن تختار للقواعد كتابا وللقراءة كتابا آخر. أو كتابا واحدا للأمريين معا، وتشاور في هذا الشأن مع الأساتذة ثم أرسلها لنا (٥).

وكان عاكف يمر أحيانا على الأمير عباس حليم، ويزور صاحبه عمساده الدين أو يزور الأزهر ويجلس مع محمد احسان، والشيخ مصطفى صبرى ويقدم النصائح للطلبة الأتراك، ثم يعود إلى حلوان مرة أخرى، وكان الطلبة يزورونه ويستفيدون منه.

مرضه ووفاته :

يقول عبد الوهاب عزام: كرت على هذه الأيام وعددنا فيه بضعة سنين لا يكاد عاكف يغيب ثلاثة أيام لا أراه في حلوان أو كلية الآداب. وكان قويا صحيحا مغتبطا بالعافية. فلم يرعنا إلا أن بدا عليه الهزال والشحوب. وازداد به الانقباض والحزن، فاذا سأله أخبرنا أن مرضا قديما عاوده. وهو يظن له ويرجو الشفاء، ثم بدا له أن يذهب إلى الشام (٦) يستمد العافية.

-
- (١) وهو الأمين العام للجامعة العربية سابقا.
 - (٢) أثر السنين ماهر إز: ١٤٣.
 - (٣) عبد الرحمن عزام هو عم الدكتور عبد الوهاب عزام.
 - (٤) انظر محمد عاكف لمدحت جمال: ١٤٥-١٤٦.
 - (٥) محمد عاكف لاشرف اديب: ١١٥/١، ويرى البعض أن هذا القسم افتتح لأجل عاكف ليستفيد الطلبة المصريون (محمد عاكف لفوزية عبد الله: ١٢٠) وهذا القول غير صحيح لأن تاريخ القسم المذكور أصبق من سفر عاكف إلى مصر.
 - (٦) في تموز سنة ١٩٣٥ سافر إلى عالية بلبنان وبقي بقريّة سوق الغرب وجلس مرة في انطاكيا.

من السفر وتجديد الهواء، فعاد بعد شهرين وقد استفاد أن مرضه لم يزد .
ثم تغير وتغير فانكرنا حاله ورثينا له ، وإذا الجسم القوى المضمور عظام
تحت الثياب . قال له د . حسين سعاد (١) لماذا لا ترجع إلى استانبول ؟ ،
وحيثما سمع عاكف هذه التوصية من طبيب قرر العودة إليها (٢) .

وحيث وصل إليه اخبار وفاة بعض أصحابه قال : " أرى أن هذه الأيام
هي أيامي الأخيرة . اعيش ولا لذة في الحياة ، سوف اصبح غريبا في بلادى
لأن كل شىء تغير فيها ، حتى الاشخاص تغيروا واصبحوا غير مألوفين " (٣) أعود
إلى بلادى لأمل تحسين احوالى الصحية . لا اتوقع التحسن الكامل ولكن
ارجو أن أجد قدرة على الكتابة ، ووقتا سانحاً لتأليف أهم مؤلفاتي فقط (٤) . ولولا
اشتداد المرض عليه فقد كان يأمل كتابة أشياء عديدة وكتب قيمة (٥) . وكان يسلى
نفسه بأنه سوف يموت فى السن التى مات فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
أى فى الثالثة والستين من عمره (٦) ، لم يشتك من مرضه بل كان يضحك ولكنه
لم يكن يستطيع القيام للزوار .

يقول عمر رضا بعد ذكر تفاصيل أيام مرض عاكف : " فثقل لسانه
قليلا ولكنه لم يفقد من ادراكه إلا يسيرا وذات يوم تغيرت حال الأستاذ
فجأة ، وبدت عليه أمارات القوة والنشاط ، فكان يتحدث إلى الناس ويستمع
إليهم ويطلب أن يكونوا حوله ولا يرضى أن يترك وحده ، وفى مساء هذا
اليوم ١٩٣٦/١٢/٢٧ ضاقت نفسه فلم يلبث إلا يسيرا حتى كانت الخاتمة (٧) .

-
- (١) هو شاعر وطبيب تركى يعمل فى السفن التركية ويسافر من تركيا إلى اسكندرية
(٢) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٨ ، عاد بالباخرة مع زوجته وعلى رأسه
قبعة - وضعوها بغير رضاه ولو لم تكن زوجته معه لماعرفه أحد من ضعفه
(المرجع السابق : ١٥٩) .
(٣) محمد عاكف لاشرف أديب : ٢٩٨/١ . (٤) المرجع السابق : ٣٠٤/١ .
(٥) المرجع السابق : ١٥٨/١ (٦) المرجع السابق : ١٦٩/١ .
(٧) كتبت مجلة الرسالة (العدد : ١٨٤ ص ٧٤ السنة ٥) عن وفاته ما يلى :
فى ١٩٣٦/١٢/٢٩ استعز الله بالشاعر الكبير محمد عاكف وكتب
د . عبد الوهاب عزام قائلا : مات الشاعر الكبير والساعة ثمان إلا ربعا من
مساء الخميس التاسع والعشرين من ديسمبر تاركا للأمة التركية آثارا
خالدة (العدد : ١٨٩ ص ٢٦٧) ونقل عنه المعلومات المذكورة محمد
رجب البيومى فى مجلة الحج العدد : ٣ السنة ١٩٩ ص : ١٦٣ ، والتاريخ
المذكور غير صحيح لان تاريخ وفاته ١٩٣٦/١٢/٢٧ وليس ١٩٣٦/١٢/٢٩ .

واجتمع المئات بل آلاف من المسلمين لجنائزته والحقيقة أن الدوائر الرسمية نسبتها وارادات إسدال الستار عليه ، ولكن شعبه لم ينسه وكان فى توديعه كثير من اصدقائه وجمهور عظيم من طلبة الجامعة ، فلما أدت الصلاة وأريد وضع التابوت على السيارة أبى الطلبة إلا أن يحملوا النعش على أكتافهم . واشترك مئات الشبان فى حمله طوال الطريق من مسجد بايزيد إلى مقبرة أدرنه قبو ، فى استانبول ، واتفقوا أن يحتفلوا كل عام بيوم وفاته ، وأن يسمى " يوم عاكف " .

كتب عاكف سنة ١٩٢٩ خلف صورته هذه الابيات وارسلها إلى تلميذه ماهر إز : لقد ابهض محيا وجهى ولكن لا تسألوا عن محيا ضميرى فهو أسود فاحم ! وقد اخجلنى من نفسى الآن منظر صورتى التى لا تشتهبنى قط (١) .

وكتب سنة ١٩٣١ خلف صورته هذه الابيات : " لعلك تذكرنى بالرحمة إن سمعت يوما ، أن صوتى سكت خائبا فى هذه القبة الصماء ، فارجع البصر ولو كرة واحدة إلى هذا الظل لكى أشعر إلى الأبد بنزول النور على قبرى (٢) .

وعبر عن شيخوخته سنة ١٩٣٢ بهذه الابيات وسماها " بلغست الستين " لم أرض الخالق ولا الخلق أماا لخليفة فتطلب فنائى ، فمن هو الذى سرمنى أهو نفسى ؟ ، حاشا ! ولقد ظلّ ستون ستارا من حياتى تنزل واحدا فواحد افوقفت ازاءها تائبا ولم اخجل من نفسى ، فلترتفع تلك الستائر المسدلة والأمر واحد (٣) .

وكتب سنة ١٩٣٣ بيتين من الشعر وسماهما " الحقيقة الوحيدة " " ام أتعلم من الدنيا سوى حقيقة واحدة ، وإن تجولت فيها حائرا نحو ستين عاما ، والحقيقة هى أننا كلنا عشاق أنفسنا المدلهون ، مهما حاولنا أن نخفى ذلك " (٤) .

(١) ديوان الصفحات : ٤٩٠ . (٢) المرجع السابق : ٥٠٨ .

(٣) ديوان الصفحات مع مقدمة عمر رضا : ٥٠٨ .

(٤) المرجع السابق : ٥٠٩ .

وكتب سنة ١٩٣٥ خلف صورته : " كل أصحابك قدماء ، ولم يبق منهم أحد ، هل أنت وحدك بقيت هكذا بعيدا عن القافلة ؟ وإن كانت نيتك أن تفرش السجادة على الطريق لتجلس عليها ، فلن يسمحوا لك بذلك بل يمنعونك ، هيا إذهب مع ظلك واترك الدنيا " (١) .

وكتب أيضا خلف صورة أخرى له في السنة المذكورة : أنا احسد ظلي الذى رسم هكذا ماهذه السعادة ! أنا فى حرمان من ذلك أيضا وأنا محكوم عليه بحمل ثقل هذه الحياة خلال سنوات قادمة ، رغم وهن ركبتي ثم دعا بهذا الدعاء : إلهى فك عقالى ، ولا تحرمنى من ملء كف من التراب (٢) .

وقال مخاطبا صورته : بعد ما يغطى التراب ظلى الذى يجول عليه ، ستمحو الأيام هذا الشبح آجلا أو عاجلا ، إن معنى الابدية للانسان هو أن يذكر بالرحمة بلاشك ، ولكنى قضيت العمر بلا صوت ، فمن يعرفنى ؟ ، إذا كان لك على هذه الأرض أثر ذو حياة لا يفنى ، فإن جوف التراب ليحملك على اكتافه ولو كنت ميتا ، أيها الانسان الذى يأمل وفاء من الظلال ، كم يوما سيذكرك هذا الشبح الأسود (٣) .

ويقول عاكف فى نهاية قصيدته بعنوان " خسران " - وقد ترجمها " العوضى الوكيل " نظما بالعربية ، وهو من الذين عرفوا عاكفا واعجبوا به وترجموا بعض آثاره :

وصدى تألمى العميق يضيع فى . . . تجويف هذى القبة الزرقاء
وكذاك خسرانى الذى أودعته . . . فى شعري المتأجج الوضاء
لهفى عليه يئن أنا خافتا . . . وكأنه ماخط من لأوائى (٤) .

وقال يوسف جميل أراارات فى بيت من الشعر (بالتركية) بمناسبة وفاة عاكف لتسجيل تاريخ وفاته " آه لقد مضى الترجمان الفصيح لأم الكتاب " (٥) .

(١) المرجع السابق : ٥٦٨ . (٢) المرجع السابق : ٥٦٨

(٣) ديوان الصفحات : ٤٩٤ . (٤) المرجع المذكور : ٣٧٥ .

(٥) خاتمة ديوان الصفحات : ٥٧٤ (مجموع حروف البيت بالتركية

ب) حياته العلمية

١ - شيوخه واصحابه وتلاميذه

تمهيد :

نشأ محمد عاكف في بيئة متدينة ، وبدأ طلبه للعلم من ابيه صغيراً . ثم التحق بحلقات العلم باستانبول ، بدأ في سن الرابعة بقراءة القرآن ، شأن كثير من طلاب العلم وقتئذ ، تعلم القراءة والكتابة من ابيه واساتذته في الكتاب والمدارس ، ووجهه والده إلى العلم والحرص على طلبه ، وبهذا اتجه بجد نحو العلم ، وصار يعرض نفسه على العلماء ، ووصف في آثاره لقاءه بهم ، واستطاع خلال مدة وجيزة أن يأخذ علماً كثيراً عنهم .

ولاشك ان ما وصل إليه عاكف كان بفضل من الله ثم بكثرة الملازمة ، وبالجدية في التلقي ، وبالاجتهد في طلب العلم الذي كان يتلقاه ليل نهار ويدل على ذلك ما أخبر به اصحابه في كتاباتهم عن ترجمة حياته ، وبلغت مكانته العلمية شأوا عظيماً ، ولعل الاستاذ احمد حمدي - مندوب رقاسنة الشؤون الدينية آنذاك خير من عبر عن ذلك حين طلب إلى عاكف ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية .

ولم يقتصر في طلب العلم على ابيه وعلى من كان من العلماء في استانبول ، بل استفاد أيضاً من علماء مصر وغيرها اثناء رحلاته إليها . اتصل بهم فذاكرهم في العلم وافاد منهم ، وقد نقل كثير من الكتاب والباحثين والنقاد والمؤرخين عشرات الاخبار الدالة على مكانته العلمية وتفوقه على أقرانه . وكان لعاكف قدرة على تحليل الواقع ، ومعرفة بالاجواء العلمية السائدة في مختلف الديار الإسلامية آنئذ ، ويمكن له ذكاؤه وحبسه للعلم واخلاصه له ، وانقطاعه عن مناصب الدنيا ، من أن يجمع علوم الدين والعربية معا شأن الأسلاف من العلماء ، وإذا أردت أن اذكر بعض ما يدل على مكانته العلمية فإنه لا يسعني في هذا المجال استقصاء ما يشهد بعلمه ، ولكن اكتفي بذكر شواهد من اقوال اصحابه من العلماء والمفكرين دالة

وموضحة مكانته العلمية في شتى العلوم ، ونبدأ بيان حياته العلمية بذكر اساتذته الذين تأثر بهم .

شيوخه الذين تأثر بهم :

التقى عاكف بعلماء كثيرين وأخذ عنهم العلم ، وسنخص من شيوخه بالدراسة الذين اثروا في تكوينه العلمي ، وأما الآخرون فسنحدث عنهم حديثاً سريعاً .

* يعد الاستاذ الأول لعاكف والده محمد طاهر : كان من كبار العلماء ومن أهل الفضل والصلاح ، أخذ عاكف عنه المواد المختلفة من العلوم الدينية واللغة العربية ، ولكن حياة ذلك الوالد الجليل لم تطل حتى يأخذ منه كل ما عنده ، بل توفي وعاكف ما يزال في الرابعة عشرة من عمره .

* الحافظ الاستاذ عرب : اشتهر بهذا الاسم ، هو الامام الأول في مسجد محمد الفاتح ، اشرف على تحفيظه القرآن ، واخذ عنه عاكف قواعد اللغة العربية . واستمرت العلاقات والاتصالات بينهما حتى وفاة عاكف وتوفي استاذة بعده في ١٩٣٧/٩/٢ (١) .

* الاستاذ اسعد دادا السلانيكي : يقول عاكف : " كنت احضر حلقات درس الاستاذ اسعد في مسجد الفاتح بعد صلاة العصر ، وكنا نأخذ ديوان حافظ ، أو جولستان أو المثنوى في الفارسية (٢) .

* الاستاذ خالص افندى : درس عليه اللغة العربية ، يقول عاكف : اخذت من حلقاته في مسجد الفاتح " المعلقات " (٣) .

* الاستاذ علي فهمي الهرسكي : يقول عاكف : " درست عليه كتاب الكامل للعلامة الإمام المبرد وانتهيت إلى آخره " (٤) وفي نفس الوقت استفاد

-
- (١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١١٧/١ ، ٣١١ ، ٢٢٠/٢ .
 (٢) المرجع السابق : ٥١٨/١ ، ٥٣٨ .
 (٣) المرجع السابق : ١٨٢ ، ٥٢٣/١ .
 (٤) المرجع السابق : ٥٢٣/١ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨ .

عاكف من نصائحه وتأثر بأفكاره (١) ، كان صاحب علم ومعرفة ، ومفتيا على مدينة هرسك ، قدم منها أيام السلطان عبدالحميد الثانى مع هيئة سياسية إلى استانبول وبقي فيها يقول عاكف : " كنت إذا جئت بشىء من شعر شعراء الجاهلية أو المخضرمين أو المولدين ذكر الاستاذ على فهمى أوله وآخره ومناسبتة واشعار الشعراء الآخرين فى نفس الموضوع ، وكان لى ميل إلى اللغة العربية من صغرى ، وبحث عن اهلها ، حتى فى البلاد العربية ، والتقيت مع كثير من ادباء العرب ، ولكن لم التق مع أحد ممن يعرف دقائق اللغة وأصولها وقواعدها وادبائها ، ولم التق بأحد ممن تتبع تاريخ العرب مثله . وكان يعرف تاريخ الإسلام من اشهر وقائعه إلى ابسطها" (٢) .

* الاستاذ قدرى البوسنوى (١٨٦٠-١٩١٨) كان رجلا سياسيا من المناهضين لسياسة السلطان عبدالحميد الثانى ، وله آراء سياسية كانت سببا فى فراره من استانبول ولجؤه إلى مصر حيث أسس جريدة " القانون الأساسى " ثم انتقل إلى باريس قبيل الحرب العالمية الأولى ، وكان يجيد اللغة العربية والفارسية والتركية ، وتأثر به عاكف اثناء دراسته فى المتوسط ، وأخذ عنه اللغة التركية ، ويبدو أن عاكفا تعلق به وجعله نموذجا حيا أمامه واستفاد منه وسار على نهجه فيما بعد ومن ثم كان له تأثير قوى فى تكامل شخصيته الثقافية ، وكان الأستاذ قدرى من الذين يدافعون عن الحرية ، وبعد اعلانها وقف ضد الاتحاديين وخالفهم لاستبدادهم ، وسكن فى باريس حتى توفى ، وله مؤلفات ومقالات عديدة . يقول عاكف : " كان له تأثير كبير على فى اللغة واستفدت كثيرا بنصائحه لى (٣) .

* رفعت حسام الدين باشا (١٨٦٣-١٩٢١) استاذ عاكف فى الجامعة ، تتلمذ على باستير ، وقدم من باريس بمعلومات وافية عن المكروبات كان عاكف يحب استاذة وتأثر به كثيرا كثيرا بالغا ويذكره بالرحمة ويقدره (٤) ، لأنه

- (١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٥٤٢ . (٢) المرجع السابق : ١ / ١٨٢ .
 (٣) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٨٠١٥٣٢٥٣٨ ، شاعر الإسلام
 محمد عاكف : ١٢ ، بحوث فى محمد عاكف : ٥ .
 (٤) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٧ ، محمد عاكف لاشرف اديب :
 ١ / ٥٢٠ بحوث فى محمد عاكف : ١١ .

صاحب معرفة واسعة وأخلاق حسنة .

* الأمير ألى الطيب البيطرى ابراهيم اد هم البوصوى : كان صاحب سجية عظيمة ، ونموذجا فذا امام عاكف أيام شبابه ، ورفيقا طيبا فى السفر . قرأ عاكف معه بعض الكتب بالفرنسية . وكان يقول : " هو سيب فيوضاتى " وحينما توفى استاذة كتب فيه قصيدة فى الثناء عليه وسمها " المرحوم ابراهيم بك " وقال : " ليس هناك ما هو أشد ألما من موته فى آفاق الشرق فى الأزمنة الأخيرة ، كان من نوادر الطب البيطرى صاحب علم وفضل ، وفاته ضياع للعلم ، كان جامعا للعلوم والفنون ، يعرف اللغات الشرقية وآدابها ، واللغة الفرنسية والروسية ، كان عاكف يقول : " استفدت من نصائحه ، وحضرت محاضراته وسافرت معه إلى بلاد الشام " ويقول الاستاذ ابراهيم فى عاكف : " هو من احب طلابى إلى ، وهو مجتهد ودرجته فى المرتبة الأولى " (١) .

* معلم ناجى ، وهو عمر خلوصى (١٨٥٠ - ١٨٩٣) عرف فى عالم الأدب والفكر باسم معلم ناجى ، كان استاذنا لعاكف فى المدرسة الثانوية ومن الشخصيات التى تأثر بها عاكف . فقد كان ادبيا مجتهدا ، اشتهر بالأدب - والبراعة فى النظم والانشاء ، وكان صاحب اسلوب جديد فى التأليف ونظم الشعر ، يعتمد على الاختصار الدقيق الموفى بالغاية حتى يكاد يستحيل على القارئ أو الدارس أن يجد فى عبارته كلمة يمكن الاستغناء عنها ، أو وضعها فى غير ما وضعت له . تقرب عاكف من استاذة ، واعجب بمقدرته الفاتحة وحسن بيانه ، فقد كانت الالفاظ والمعانى طوع بنانه يصوغ منها ماشاء فى نسق جديد ، فلم يقلد الغربيين كما جرت عليه عادة كتاب عصره ، وتميز على اقرانه بأن جعل للانشاء التركى منهجا قائما بنفسه ، لا يشبه الغربيين المحدثين ولا الشرقيين القدماء ، بل يوافق مقتضيات اللغة والعصر ، وكان معلم ناجى يوفى تلميذه عاكف ، ويتأثر التلميذ بحب استاذة ، وهو ما يزال الصبى اليافع الذى لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وكان التأثير عميقا لدرجة أن عاكفا عندما بدأ ينظم الشعر سار على منوال استاذة القديم ، وبرغم أنه ترك الطراز القديم

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٨٢ ، ٥٢٢ ، محمد عاكف لفوزية عبدالله : ١٢ - ١٣ .

فى النظم ، إلا أنه لم يستطع أن يتخلص نهائيا من التأثير الأدبى لمعلم ناجى ، فكان أول درس له عندما عين استاذا للأدب التركى فى جامعة استانبول عن قصيدة " التوحيد " لأستاذه عرفانا بفضلله ووفاء لاستاذيته (١) . فأملاه على الطلبة واستغرق شرحه لهم كل الوقت المحدد للدرس ، وهذا دليل على اعجاب به (٢) ، وكان يتخذ نمودجا لنفسه أيام شبابه (٣) ، وكان يقول : " إن ماصرت إليه هو نتيجة تلمذتى على معلم ناجى " (٤) ، اعجبت بنظمه وقلدته " (٥) ، وقد تمثل آثاره من ناحية النظم والروح غير أنه لم يستمر على تقليده كثيرا بل تخلص من التأثير به حين تكونت شخصيته (٦) . وتحددت معالمها التى قلد فيها الآخريين . ويقول بعض الأدباء : انه تفوق على استاذه فى آثاره المنظومة (٧) .

وقد تأثر عاكف أيضا بنامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨) (٨) وضيا باشا (١٨٢٥-١٨٨٠) (٩) ، وعبد الحق حامد (١٨٥٢-١٩٣٨) (١٠) وغيرهم من معاصريه ، أما السابقون من العلماء والمفكرين والأدباء ، فقد أفاد عاكف من آثارهم وتأثر بهم .

-
- (١) شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٢-١٤ بتصرف .
 (٢) انظر تاريخ الادب التركى لحسين مجيب المصرى : ٥١٦ .
 (٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٨٥ ، ٤٢١ . (٤) المرجع السابق : ٢٣ .
 (٥) محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٢٠٥٢٢ / ١٩٤ .
 (٦) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٤٧ .
 (٧) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٤٠٢ ، ٥٠٨ .
 (٨) انظر : بحوث فى محمد عاكف : ١ / ١١ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٢١٨ ، ٣٦٦ .
 ٢٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٤ / ٢ ، ١٠٤ / ١ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٠ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٨٩-٣٩١ محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٤٧ .
 (٩) محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٢ / ٥٢ ، ١١٣ / ٢ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٠٨ ، ٢٣٦ .
 (١٠) تاريخ الأدب التركى : ٥١٧-٥١٨ ، بحوث فى محمد عاكف : ١١ / ٢ ، محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ١٦٧ - ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٤٠٦ ، ٤١٧ ، ٤٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٨٠ / ٢ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٤٧ ، ٣٨٥ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٣-٢٤ ، ٢٧ ، ١٤٧ .

* سعدى الشيرازى (الشيخ مصلح الدين نحو: ١١٩٣-١٢٩١) شاعر
 ناثر فارسى كبير. ولد فى شيراز تعلم فى نظامية بغداد له : بستان وجولستان
 وديوان ، يقول عاكف : " بدأت كتابة الشعر متأثرا بسعدى ومقلدا لشعره
 وأظننى تأثرت به كثيرا " (١). كان عاكف يستشهد بغزلياته وابياته فى مناسبات
 عديدة ، ويرى البعض : أن تأثره بسعدى استمر حتى فى الجزء الأخير من
 ديوان الصفحات" (٢) ، أى أنه ظل متأثرا به إلى نهاية حياته. وكان يجرى مقارنة
 بين سعدى وادباء الغرب ويقول : كان ينبغي على تأليف كتاب قيم على الأقل
 مثل جولستان سعدى" (٣). وكان عاكف يعجب به (٤) ، وحينما سئل عن اكبر
 شاعر بين شعراء العجم (فارس) أجاب قائلا سعدى" (٥) ، ويقف عاكف
 ضد التقليد ويقول : ومن الغريب أن ادباءنا تركوا السنائى - الشاعر الكبير
 والمؤء من المخلص - واخذوا اكاذيب الأنورى ، ولم يأخذوا بحكم سعدى ولم
 يقلدوه بل اخذوا الغوامض والخيالات (٦) ، وكتب عاكف قصيدة فى الثناء على
 سعدى قائلا : " كلنا فى الحقيقة تلاميذ للاستاذ الكبير سعدى ، هو مربى
 افكار الأمة وعلم الشعب الحكمة ، ومزج الشعر بالحكمة. وعبر عن الحقائق
 بالشعر ، لم يفقد كتابه " جولستان " شيئا من قيمته ولن يفقد ، كأنه ألف اليوم" (٧).
 وكان تأثر عاكف بسعدى كبيرا. فقد بدأ منظومته بعنوان " لا نتوقف " بترجمة
 حكاية منه ، ومنظومته " العزم " مأخوذة تقريبا من سعدى ووسع مضمون بيت من
 ابنيات سعدى وعمل منها قصيدته بعنوان " شاه عجم " و " صعوبة المعيشة"
 ونقل قصة " الثعلب والكرم " من سعدى. وعبر فى مقالاته عن تأثره بسعدى
 وقال : غرضى من كتابة النظم بيان الرذائل الاجتماعية وتغيير الناس منها.
 وكان سعدى يوضح جوانب الضعف فى البشر ليأخذوا درسا منها (٨)، واتخذ
 عاكف سلبيات المجتمع موضوعا لقصائده التى بين الحقائق من خلال نقده له .

-
- (١) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨٧ ، (٢) المرجع السابق : ٢٠ .
 (٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ١٩٨/١ . (٤) المرجع السابق : ٣٩٩/١ .
 (٥) محمد عاكف لمدحت جمال : ٦٥ .
 (٦) محمد عاكف لأشرف اديب : ١٥/١ . (٧) المرجع السابق : ١٩٨/٢ .
 (٨) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٧-٢٠ ، محمد عاكف لسليمان نظيف : ١٤ .
 مواعظ شاعر النشيد الوطنى : ٧ .

كان عاكف يحب من شعراء العرب ابن الفارض ، فقد طالع آثاره وتأثر به ، يقول عاكف : قرأت كثيرا عن أدباء العرب ، أحب عنتره (١) في حماسته والمنتجبى (٢) في حكمه ، وابن الفارض في غزله ، ودهشت أمام صفاة شعراء الاندلس (٣) ، واستفاد من كتب المبرد كثيرا (٤) .

وقد اطلع على كتب المفكرين الشرقيين والغربيين وكان يختار من بينها المفيد ويترك المضر ، ومن بين هؤلاء :

* جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩-١٨٩٧) وسوف نكتب عنه وعن محمد عبده اثناء كتابتنا عن " موقفه من حركات الاصلاح فى عصره " فى الفصل الرابع من هذا الباب ، ويبدو لى أن عاكفا لم يكتب ضد الأفغانى شيئا بل أثنى عليه بمقالين وكتب قصيدة فى الحوار بين الأفغانى ومحمد عبده ، واختار عاكف رأى محمد عبده على رأى الأفغانى ، وسبب ترجيحه رأى محمد عبده ، هو مخالفته للأفغانى فى مجال التعليم والتربية (٥) . أما ثناؤه على الأفغانى فكان لما سمعه من الثناء على علمه وفضله ، وكونه داعية إسلاميا ، ولم يعرف ماسونية الأفغانى ولا دفاعه عن التغريب .

كان عاكف يطلب الاصلاح ويسعى إلى تقوية العالم الإسلامى إزاء الغرب الصليبي ، وحينما رأى محاولة الأفغانى دافع عنه وكتب ثناء عليه . ولم يعرف حقيقته التى كشف النقاب عنها بعد فترة من وفاة عاكف ، تقول فوزية عبد الله : وقد جمع جمال الدين حوله فى استانبول جماعة كبيرة نتيجة محاضراته ولا يمكن أن لا يهتم عاكف بهذه المحاضرات (٦) وهذا القول مبنى على التخمين فقط

(١) هو عنتره بن شداد بن عمرو .

(٢) ابو الطيب (٩١٥-٩٦٥) من كبار شعراء العرب ، له ديوان شرحه طائفة من كبار الادباء ، نقل عاكف بعض حكمه (محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٨٧) وكان يحبه كثيرا لأن اشعاره فى الأخلاق والحماسة ، وكان يقول : يأخذ الانسان درس الأخلاق من قصائده ، ويوقظ الصيل إلى المعالى فى الارواح والقلوب القاسية ويبث فيها القوة (محمد عاكف لأشرف اديب : ١٦٣/١) .

(٣) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨٧ . (٤) محمد عاكف لأشرف اديب : ١٨٢/١ .

(٥) كان رأى محمد عبده أن الاصلاح يجب أن يتم عن طريق التربية والتعليم لاعن طريق الثورة كما يرى الأفغانى .

(٦) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٥٢ .

لأن عاكفا لم يذكر عنها شيئا ، ولم يذكر أنه حضر محاضراته أو التقى به . ويقول عبد السلام فهمي : شخصيات عامة تأثر بها محمد عاكف وهو في شبابه لم يتلق عنها درسا في المدرسة ولا حضر مجالسها ، وأهمها شخصية جمال الدين الأفغاني (١) . " كان السيد جمال الدين في رحلته الأولى إلى العاصمة العثمانية بمثابة مؤشرا للتطلع إلى الحرية والكرامة ، وكان الفتى محمد عاكف من بين هؤلاء ، وتميز عن أقرانه بأنه جعل السيد مرشدا واستاذا له ، وسار على دربه وظل صادقا لفكرة الوحدة الإسلامية ، فكانت عقيدته وغايته إلى آخر أيامه ، ثم كانت رحلة السيد الثانية لاستانبول المؤشرا لمحمد عاكف والدرس الكبير في التشدد في آرائه والتمسك بمبادئه . . . وهكذا كانت آراء - السيد جمال الدين الأفغاني وماحدث له في استانبول سببا مباشرا في تحديد طريق الشاب محمد عاكف ، فجعل مبدأ " الوحدة الإسلامية عقيدته وغايته " (٢) .

وليس صحيحا ماقاله عبد السلام فهمي من أن عاكفا " جعل السيد مرشدا واستاذا له وسار على دربه " ولا دليل على ذلك ، ولم نجد في المصادر من يوعده في قوله المذكور ، يقول ارطغرول دوزداغ : ومن الأشياء المعروفة أن عاكفا كان يوعد أفكار محمد عبده - في إصلاح التعليم - أكثر من تأييده الأفغاني - رجل الثورة والحركة - وقد جاء الأفغاني إلى استانبول في تموز سنة ١٨٩٢ اجابة لدعوة السلطان عبد الحميد وبقي فيها وتوفي في ١٨٩٧/٣/٧ ، سكن في حي تشويكية في القصر الذي خصه السلطان له . وكان يقابل الضيوف ويتكلم معهم ، وكان عاكف في ذلك الوقت يسكن في استانبول ولم نعرف شيئا عن زيارته له . وحينما نجد أن عاكفا رغم كتابته مقالة في الأفغاني بعد فترة ، لم يكتب شيئا عن لقاءه . إذاً نقرر أنه لم يتقابل معه " (٣) ، ولم يتخذه مرشدا واستاذا لنفسه ، ولم يأخذ أفكاره .

* محمد عبده (١٨٨٥-١٩٠٥) ترجم عاكف كثيرا من آثار محمد عبده إلى اللغة التركية لاسيما رده على هانوتو وبعض تفسيراته ومقالاته كما

(١) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤ . (٢) المرجع السابق : ١٥-١٦

(٢) مقدمة ديوان الصفحات : ٢٣-٢٤ .

سنتحدث عن ذلك بالتفصيل اثناء كتابتنا عن آثار محمد عاكف ، يقول محمد رجب البيومي : ترجم عاكف كثيرا من آراء محمد عبده إلى اللغة التركية لاسيما بعض تفسيراته العصرية لآيات من كتاب الله " (١) ، وهذا غير صحيح ، بل الصحيح أن عاكفا تجنب ترجمة كثير من آراء محمد عبده ، لاسيما بعض تفسيراته التي نحا فيها نحوًا خاصًا وخالف فيها المفسرين ، مثل تفسير سورة الفيل وغيرها . ويقول عبد السلام فهمي : تأثر محمد عاكف بآراء الشيخ محمد عبده صديق السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه ورفيق دربه ، خاصة أفكار الإمام المتعلقة بفكرة الوحدة الإسلامية وكفاحه من اجل حياة إسلامية متطورة سواء في نظم التعليم أو غيرها " (٢) ، ويقول اشرف اديب : " وقد ترجم تقريبا كل مقالات محمد عبده إلى اللغة التركية " (٣) والصحيح أن عاكفا اختار بعض مقالاته أو اجزاء من مقالاته وترجمها ، ولم يتبن عاكف معظم آراء محمد عبده ولم يترجمها . وقد بدأ تأثره به بعد سنة ١٩٠٨ يقول في ذلك : " استفدت من مفتي مصر محمد عبده ومن الشاب الفاضل محمد فريد وجدى - كثيرا " (٤) .

* محمد فريد وجدى : كان عاكف معجبا به ، ترجم من كتبه المتعلقة بالاجتماعيات ما يفيد المسلمين واخذ من كتبه بعض آرائه ونشرها في تركيا (٥) وسوف يأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن آثار عاكف .

* الفضولى البغدادي (٦) (١٤٩٥-١٥٥٦) كان أول كتاب ادبى قرأه عاكف هو كتاب الفضولى بعنوان " ليلى والمجنون " وكان عاكف يحبه ويطالع كتبه ويستفيد منها .

(١) مجلة الحج ، العدد : ٣ ص : ١٦٢ ، السنة : ١٩٠٨ .

(٢) شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٦٠ .

(٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٥٠ / ١ .

(٤) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٥٤ ، ١٨٨ ، انظر محمد عاكف لمدحت

جمال : ١٣ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٥٥ ، ٦٦١ ، ٦٦٥ ، ١٨١ / ٢ ، ٨٢

(٥) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٦٠٤ ، ٥٥٠ ، ٦٦٢ -

٦٦٨ .

(٦) المرجع السابق : ٢ / ١٤٦ ، ١٦٣ ، ٢٣٠ .

* جلال الدين الرومى (١) (٦٠٤-٦٧٢) صاحب ديوان

" المثنوى " قرأه عاكف، وكان ينوى ترجمته وشرحه ولكن لم تتحقق هذه الأمنية.

* الكتاب والمؤلفات الغربية : اطلع عاكف على بعض مؤلفات

الغربيين واستفاد منها ، كان يحب لامارتين Lamartine ، ويرى فائدة

كبيرة فى ترجمة كتبه إلى اللغة التركية ، وفى رأيه : أن الأدب التركى لا يستغنى عن عظماء الأدب (٢) ، وكان يطالع كتب بعض المؤلفين الغربيين

ويعجب بها ومن بين هؤلاء : الفونس دوديه Alphonse Doudet

واميل زولا Emile Zola ، وفيكتور هوجو (٣) Victor Hugo اسكنندر

دوماس الابن (٤) ، يقول مدحت جمال : كان عاكف يود المحرر دوديه Doudet

ومن بين آثاره Jack جاك ، واخذ منه موضوع احدى قصائده بعنوان " سيفى

بابا" (٥) ومعنى ذلك أن عاكفا تأثر بهذا المؤلف الغربى فى تصوير موضوعه

وقد عمل مدحت جمال مقارنة بين عاكف وبين جان جاك روسو J. J. Rousseau

وحين سمع ذلك عاكف غضب عليه وقال : لست رجل فكر كبير مثله ، ولست انسانا

حقيرا مثله ، لا تعقد شبيها بينى وبينه هو الذى ترك اولاده الخمسة فى يد

المؤسسة التى تفسد أخلاقهم ، ثم يعترف بأخطائه . انظر كتابه بعنوان

" اعترافات " يحاول فيه تعظيم نفسه وتصغير وتحقير غيره (٦) ، يقول سليمان

نظيف : كان عاكف يعجب بالقدرة الفنية عند فيكتور هوجو ، واميل زولا ، -

ودوماس الابن ويطالع كتبهم (٧) وقد اتصل عاكف بالأدب الغربى من قريب ،

واطلع على افكارهم كما اطلع على آثار المفكرين الاسلاميين المعاصرين له ،

وترجم كتبهم وكان يحمل معه فى اكثر الاوقات كتابا باللغة الفرنسية ، فحفظ

بعض الاشعار الفرنسية وذهب إلى ضرورة ترجمة بعضها وطلب من صاحبه

فريد كام أن يترجم عن لامارتين بعض كتبه ، ويجلس عاكف معه ليطلع على

(١) انظر شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٨ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٢٨ .

(٢) محمد عاكف لاشرف اديب : ١٧/١ .

(٣) انظر المرجع السابق : ١/٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٥٢٤ ، ٥٤٢ .

(٤) المرجع السابق : ١/٢٦ ، ٢٧ ، ٢٥٦/٢ .

(٥) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٨-٢٩ ، ايضا : ٤٨ .

(٦) المرجع السابق : ١٠٢ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ١/١١٢ .

(٧) محمد عاكف لسليمان نظيف : ٢٦ .

تلك الكتب، وحينما ترجم بعضها طلب ترجمة غيرها وترجم نشيده " الله تعالى " قال عاكف: " نرجو من اصحاب العلم أن يقلدوا السيد فريد في ترجمة بدائع الشرق والغرب لإكمال ما ينقص مكتباتنا في هذا المجال، وأن يتحروا الطريق لإكمال النقص، وليس لدينا وقت نضيعه، لا بد لنا أن نبحت ونحصل على الكتب القيمة، ونكتب نحن من جانبنا (١)

اصحابه وتلاميذه الذين تأثروا به :

كان عاكف يختار اصدقاءه من بين ذوى الأخلاق الحميدة والسرور الصافية والسمعة الطيبة، فكان من بينهم أشخاص فقراء، وآخرون من غير المتعلمين يشغلون وظائف عادية، وبعضهم من ذوى المناصب العالية والثراء العريض (٢). ولقد احب عاكف اصدقاءه وأخلص لهم.

ويهمنا فى هذه الدراسة أصحابه من العلماء والمفكرين. وقد عاصره مفكرون وأدباء كثيرون، لكن لم تكن له بكثير منهم علاقة، وربما كانت الأحوال المضطربة، وتقلب الناس فى الفتن، وابتعاد عاكف عن بلاده، وطبيعته الواضحة، بعض اسباب ذلك، وقد كان يحبه الناس المخلصون الذين لم تفسد هم الكتب والمدارس، كما يحبه العلماء الأجلاء (٣).

ويبدو هنا من الضرورى الحديث عن معاصريه الذى كانت لهم منه وله منهم مواقف متباينة بسبب اختلاف المشارب الفكرية والسياسية. وقد انقسم معاصرو عاكف بالنسبة لموقفهم منه إلى اقسام ثلاثة : قسم أساء إليه بدافع الخلاف الفكرى مثل توفيق فكرت الذى اشتد فى عداته لعاكف وهو لاء الصنف

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٥، وسبب حبه لامارتين من الفرنسيين اكثر من غيره : انه كان يوء من بالله وكان الدين اكبر منبع إلهامه (محمد عاكف لسليمان نظيف : ١٤) قيل ان عاكفا قال : " احب الفضولى واحسب واحترم لامارتين بنفس الدرجة " (محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٥ / ١) ، ولوصح اسناد هذا القول إليه، فقد كان من الخطأ أن يجب عاكف غير المسلم بدرجة حبه للمسلمين .

(٢) شاعر الإسلام محمد عاكف : ٣٨ . (٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٠٩ .

هم من الملاحدة والشيوعيين . أما القسم الثاني : فقد اختلف معه فى الرأى ونقده ، لكنه ظلّ محايداً مثل نور الله أتاى ، والقسم الثالث هم اصدقاه عاكف الذين ربطتهم به علاقة صداقة خالصة ، لم يدخل فيها الجدال الفكرى ولا الخلاف فى الرأى .

أما تلاميذه ، فنقصد بهم فى هذه الدراسة أولئك الذين تأثروا به وساروا على طريقه واعتنقوا آراءه . وإلا فإن لعاكف تلاميذ كثيرين ، لأنه عمل أستاذاً فى عديد من الكليات فى استانبول وفى الجامعة المصرية بالقاهرة ، وكان له دروس خاصة فى استانبول وفى مصر . فقد كان يدرس لمحمد على بن راتب باشا فى قصرهم باستانبول ، ودرس لأولاد عباس حليم باشا وأولاد اقاربه فى مصر . ودرس أيضاً فى المدارس الإسلامية مثل مدارس دار الخلافة . وهكذا فإن تلاميذه الذين اخذوا عنه لا يحصرهم كتاب ، فهم جم غفير ومن خسلال تلاميذه يمكننا أن نقف على جانب من مكانة عاكف ، وقد اعتبر بعض الكتاب " الشعب التركى " تلاميذ لعاكف من اجل شهرته بينهم . واستشهادهم اثناء كلامهم بأبياته ، ومطالعة كتبه من قبل جم غفير من الناس ، واعتبر البعض الآخر جميع الشباب تقريباً من تلاميذه من اجل ترديدهم نشيد الاستقلال فى كل مناسبة رسمية . ومن ناحية أخرى فإن عدداً من الأدباء والكتاب الإسلاميين ساروا على اسلوبه واتبعوا اتجاهه الفكرى واتخذوا منهجةً منهجاً لأنفسهم . وتأثر به الناشئون الإسلاميون فى تركيا . ونشأ الجيل الموهب من فى أيامنا هذه على قصائده ، فإن ديوان صفحاته اكثر الكتب طباعة وقراءة بعد كتاب الله الكريم ، وفى كل بيت من بيوت الأتراك تقريباً توجد نسخة من ديوان صفحات عاكف .

وسوف أقوم بالترجمة لأشهر هؤلاء التلاميذ ، وهم الذين اشتهروا بعده بالاخذ عنه وسوف نأتى بذكر للبعض الآخر عند حديثنا عن شخصيته .

* اشرف اديب فرقان (١٨٨٣-١٩٧١) من اقرب اصحاب محمد عاكف إليه ، وهو صاحب مجلة الصراط المستقيم ثم سبيل الرشاد ، وله دور كبير فى نشر قصائد ومقالات عاكف ، وله جهود كبيرة فى نشر الكتب الإسلامية ، ومن اجلها كان عاكف يثنى عليه (١) . اصدر مع عاكف مجلتي

الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ثم استمر على إصدارهما في مدن الأناضول^(١) قدموه إلى محكمة الاستقلال للمحاكمة بسبب نشرهما . وقد استمر في إصدارهما في أيام الشدة مع عاكف ، وطبع كتبه خصوصا بعد هجرته إلى مصر^(٢) . وجمع معلومات قيمة عن عاكف ، وكوّن منها كتابا قيما ومرجعا أصليا في شخصية عاكف بعنوان : " محمد عاكف حياته وآثاره وبعض ماكتب عنه بأقلام سبعين كاتباً " ^(٣) ، ويعتبر كتابه جهدا علميا طيبا ولقد كتب عن عاكف بإخلاص .

* سليمان نظيف (١٨٧٠-١٩٢٧) كان من اصحاب عاكف جمعتهما هيئة الدفاع الوطني شعبة النشر أيام حرب البلقان وقد كانت مكونة من المفكرين من امثالهما في استانبول^(٤) . نشر سليمان نظيف مقالات على حلقات في مجلة ثروة الفنون بعنوان " شخصية محمد عاكف وآثاره " ^(٥) ثم جمع تلك المقالات وأصدرها في كتاب بنفس العنوان سنة ١٩١٩ ، وعبر عاكف عن عدم ارتياحه لهذا العمل ، لأنه انسان متواضع لا يحب الثناء عليه . وانشأ سليمان نظيف مقارنة بين عاكف وتوفيق فكرت الذي هاجم الشاعر المقدسة ودافع عن عاكف ورد على توفيق فكرت ^(٦) .

وكتب سليمان نظيف في يوم دخول الإنجليز مدينة استانبول مقالا بعنوان " اليوم الاسود " ونفاه الإنجليز إلى جزيرة مالطة ، وكتب فيها قصيدة بعنوان " حوار مع نفسى قبل الموت " وعبر عن يأسه . وحينما عرف عاكف هذا اليأس كتب قصيدة بعنوان " الى سليمان نظيف " وعبر عن آماله ، كان سليمان نظيف يثنى على عاكف بقوله : لم يستطع أحد ترجمة معانى القرآن إلى التركية مثل عاكف وعبر عن قدرة عاكف فيها وسروره بتوجيه طلب الترجمة إليه ، كان

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ٥٨ / ١ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٠ / ١ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ .

(٣) يتكون من مجلدين الأول (٧٠٤) صفحة والثاني (٣١٨) صفحة ، مع مقدمة

للمؤلف اشرف اديب ، انظر للتفصيل المرجع المذكور / ٤٣٦-٤٣٧ ، ٣٠٣ ، ٢٣٨ ، ١٣٤ / ٢ .

(٤) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٧١ .

(٥) انظر المرجع السابق : ٨٧ ، ١١٦ ، ١١٧ . (٦) المرجع السابق : ١٩٩-٢٠٠ .

يحترمه ويزوره ويجلس معه ويستفيد من نصائحه وكان بينهما علاقة طيبة لذا يقول " اهتديت على يد عاكف ولكن اخاف من الضلالة على يد غيره " (١) . كان سليمان نظيف يجتمع مع بعض اصحابه ويقرأ آثار عاكف مرارا ويعرب عن تقديره له (٢) واثنى عليه عاكف من اجل شجاعته وفدائيته (٣) . وكان ينوى الكتابة عن جهاد الاستقلال والتعبير عن جهود سليمان نظيف ولكن لم يتحقق ذلك وقد اطلع سليمان نظيف على افكار عاكف ونقلها إلينا وكان يقول : " عاكف شاعر رباني " (٤) .

* على شوقى الهوسنوى : كان أستاذا فى مدارس الصرب باستانبول، وكان يسكن بجوار مسجد الفاتح ، لم يتزوج طوال حياته ، وكان يهتم بالكتب ويجلدها قبل ادخالها فى مكتبته ، وله مكتبة ضخمة فى منزله ، جمع فيها الكتب القيمة من المطبوع والمخطوط طبعه ، سجلها فى الدفاتر ونظمها ورتبها ترتيبا دقيقا فى دفاتر متعددة ، واستفاد كثير من المثقفين من مكتبته ، يقول اشرف اديب : قرأت أول مرة قصائد عاكف من دفاتر على شوقى ، كانوا يجتمعون مع عاكف فى منزل على شوقى خصوصا يوم الثلاثاء للمذاكرة فى الكتب والموضوعات (٥) . كان عاكف يحبه لأنه صاحب فضل ، لم يؤلف الكتب ولكن بوجه ويرشد الآخرين . اصبح مرجعا فى المسائل العلمية والادبية . كان عاكف يزوره ويجلس فى بيته ، ويهتم به أيام مرضه واراد أن يلتقى به اكثر ، ونقل منزله إلى جواره ، كان على شوقى يحتفظ بجميع قصائد عاكف مطبوعة أو غير مطبوعة ويقروها زواره ويستنسخ منها نسخا ويعطى الراغبين فيها . إلا أن جميع تلك الكتب والدفاتر أتت عليها النيران فى حريق استانبول ، وهكذا ضاع معظم قصائد عاكف فى تلك الدفاتر (٦) إلا ما أملاه على شوقى على ضيوفه أيام زيارتهم

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤٠١ ، ١٠١ ، ٢٢١ .

(٢) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٥ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٢٣

(٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ٩٤

(٥) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٥

(٦) انظر : محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ١٨٤ ، ٣٣٤ ، محمد عاكف لمدحت

جمال : ٥٧ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٩ ، ١٠٩ .

له. كانت قصائد عاكف تنشر بين هذه الجماعة قبل نشرها في المطابع بعد اعلان المشروطة ، خاصة أن على شوقى كان من تلاميذ والد محمد عاكف فكتب عاكف عنه وذكره في بعض قصائده .

* باهان زاده احمد نعيم (١٨٧٢-١٩٣٤) كان من أصدقاء عاكف ، له مذكرات خاصة مع عاكف (١) وهو من اكبر محررى مجلة الصراط المستقيم . نشر فيها ترجماته ومقالاته . الخ . وكان العلماء يستشيرونه ويأخذون برأيه ويطلبون منه كتابة تقرير في مقدمة مؤلفاتهم (٢) ، راجعوه في ترجمة معانى القرآن فاقترح أن يقوم بها عاكف ، وحثه على القيام بها ، ووافق عاكف على ذلك (٣) ووافق احمد نعيم على ترجمة الاحاديث ، كان عاكف يحبه لقدرته العلمية وأخلاقه العظيمة وايمانه القوى وإخلاصه . استمرت علاقتهما اربعين سنة ، كانا يبذلان كل جهدهما فى الدفاع عن الإسلام وكان عاكف يثق به ويثنى عليه ووقف احمد نعيم إلى جانب عاكف فى موقفه ضد الاحاد والقومية وايداه . وحينما سمع عاكف خبر وفاته حزن كثيرا وقال : " ظننت أن جدارا هدم على " (٤) ، وهذه بعض آثاره : تمارين فى الصرف العربى ، علم النفس ، دعوى القومية فى ميزان الإسلام ، دروس الحكم ، علم المنطق ، فضائح توفيق فكرت ، اساس الأخلاق الإسلامية ، ترجمة حديث الاربعة ، الإسلام ، الاصطلاحات الفلسفية واصطلاحات الفنون (٥) ، وله مقالات فى موضوعات مختلفة .

* محمد شوكت : كان عاكف يعقد جلسات العلم والمذاكرة معه ومع احمد نعيم فى حلقات خاصة ، اشترك ثلاثتهم فى الهيئة المشرفة على تأليف القاموس العربى التركى ، ولكن لم يكتمل هذا العمل الجليل (٦) ، كانوا يقرؤون الكتب بالمناوبة ، وفى بداية الأمر كان عاكف أقل منهما علما ولكن بعد المطالعة الشخصية وصل إلى مستواهما ، كان هو «الثلثة اصداق» مخلصين ، اصحاب علم وفضل يعجب بهم الجميع ، وكان عاكف يحترم صاحبيه ، يقول عاكف :

-
- (١) محمد عاكف لأشرف اديب : ١٧٧/١ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٦ .
 (٢) محمد عاكف لأشرف اديب : ٦١ ، ٢٤ . (٣) المرجع السابق : ١٠١/١ .
 (٤) المرجع السابق : ١١١/١ . (٥) التفكير الاسلامى فى تركيا : ٢٧٥/١-٢٧٦ .
 (٦) محمد عاكف لأشرف اديب : ٦٧١/١ .

"استمرت مذكراتنا في تلك الحلقات سنوات طويلة وكنا نستفيد بعضنا من بعض" (١) ، وكان محمد شوكت مرجعا في العلوم العربية (٢) ، وله دور كبير في تكوين عاكف علميا وفكريا (٣). وكانوا إلى جانب مذكراتهم العلمية والادبية في كثير من الاوقات ، يدخلون احيانا في المسائل السياسية ، واحوال البلاد الاسلامية .

* فريد كام (١٨٦٤-١٩٤٤) ابن احمد مختار باشا. كان عاكف يشجعه ويحثه على التأليف والترجمة ويراه صاحب قدرة في الفلسفة والأدب ووصفه بعض المستشرقين مثل ماسينيون Masinyon بلقب "الفيلسوف" كان في بداية الأمر زاهدا في الكتابة ، اقنعه عاكف بقدرته فبدأ يكتب وينشر قصائده وترجماته من الفرنسية . وكان يشعر بالسعادة في صحبة عاكف ، وانتقل عاكف إلى الحى الذى كان يسكن فيه فريد كام . واعتبر تلك الأيام من أحسن أيامه . وكان معه في " دار الحكمة الإسلامية " وهيئة التأليف والدراسات الاسلامية ، في خدمة الإسلام والدفاع عنه . واستمرت بينهما الاتصالات واللقاءات وبعد سفر عاكف إلى مصر استمرت المراسلات بينهما ، وبعد عودة عاكف إلى استانبول اهتم فريد كام بأموره وكان يزوره أيام مرضه ، وكتب تفصيل ذكرياته معه وأثنى عليه . وكان يدرس لأولاد عاكف " تاريخ الإسلام " واهداه عاكف كتابه بعنوان " اصوات الحق " وكتب فريد كام بمناسبة عديدة عن عاكف ونشر فكره ودافع عنه ، ومن مؤلفاته : احاديث دينية ، علم الأخلاق شرح المتن ، علم ما بعد الطبيعة ، تاريخ الأدب الفارسي بالاضافة إلى مقالاته في المجلات . (٤)

* شيخ الإسلام مصطفى صبرى ، تولى منصب المشيخة الاسلامية ، وغادر استانبول فرارا من الكماليين قبيل سنة ١٩٢٣ فذهب إلى مصر ، وسافر إلى لبنان وطبع هناك كتابه النكير على منكرى النعمة ، ثم سافر إلى اليونان حيث اصدر جريدة " الغد " ثم استقر في مصر إلى أن توفي بها سنة

- (١) محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٢٣٥
 (٢) المرجع السابق ١ / ١٧٧ ، ١٧٩ - (٣) المرجع السابق ١ / ١٧٦ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ .
 (٤) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ٣٤ ، التفكير الإسلامى فى تركيا : ١١ / ٢ - ١٢ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٥٠ . محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ١٧ - ١٩ ، ٢٥٨ ، ٢٨٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩١ ، ٣٠٧ ، ٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٤٥ ، ٦٣٩ ، ٢ / ٢٩٠ ، ٢٩٤ .

١٩٥٤ ، ومن كتبه المطبوعة بالعربية قولى فى المرأة ، تحت سلطان القدر ،
التول الفصل ، موقف العقل . وكان بينه وبين عاكف علاقة طيبة ، وكان الشيخ يقرأ
قصاد عاكف ويعجب بها (١) .

* **عبدالرشيد ابراهيم** (١٨٤٦-١٩٤٤) ولد بمدينة " تارا " بسبيريا
تعلم فى بلده مبادىء العلم ثم رحل إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة
ثم عاد إلى بلده وعمل قاضيا ومفتيا ، ثم استقال بعد اطلاعه على نيات الحكومة
القيصرية الخفية نحو المسلمين ، فسافر إلى استانبول ، وطبع فيها رسالة
فى نقد السياسة الروسية مع المسلمين ووزعها على مسلمى روسيا بطريقة سرية .
وبعد سنة ١٩٠٥ رأى الشيخ القيام برحلة إلى اليابان وبلاد أخرى ،
اسلامية وغير اسلامية هاديا وناشرا لدين الله ، ولبت نحو نصف قرن
ينشر الإسلام ، ويتجول فى بلاد العالم ، ولما عاد من اسفاره إلى استانبول
سنة ١٩٠٩ ، كان الحكم قد تغير فيها فنشر رحلاته فى مجلدين بعنوان
" عالم الاسلام " واشتغل فترة بالتحريير فى مجلتى " معلومات " و " الصراط
المستقيم " وكان له رغبة ملحة فى نشر الإسلام فى الجزر اليابانية فسافر
إليها للمرة الثانية عام ١٩٣٢ . وكان قد تجاوز الخامسة والسبعين ، ومكث
فيها اثنتى عشرة سنة حتى وافاه الأجل المحتوم فى ٣١ / ٨ / ١٩٤٤ بعد أن
تمكن من انشاء مسجدين عظيمين فى مدينتين من المدن اليابانية (٢) .

وقد اتصل بعاكف بعد عام ١٩٠٨ والقى محاضرات قيمة فى شرح احوال
المسلمين خصوصا فى روسيا ، وكتب عاكف على لسانه الجزء المسمى " على كرسى
السليمانية " مبينا امراض المسلمين فى العالم بلسانه ، وكان عبد الرشيد مجاهدا
جاهد فى جبهة طرابلس الغرب وشرق الأناضول ، ونشر مواعظه فى مجلة
الصراط المستقيم ، وكان حين يسمع قصاد عاكف يتهيج ويقول : " آه يا عاكف
واسفاه ضاع عمرى قبل أن استفيد من قصادك ، لو كنت كتبتها قبل عشرين
سنة لكانت تقوينى فى جهادى أيام شبابى ، سافرت فى بلاد آسيا وافريقيا
ولم ارشاعرا مثلك " ، وكان يجلس مع عاكف ويتناقش معه فى علاج امراض

(١) انظر علاقتهما ، موقف العقل : ٤٧٨ / ١ - ٤٧٩ .

(٢) انظر شاعر الاسلام محمد عاكف : ٨٩ - ٩٠ .

المسلمين والعالم الإسلامي ، وكان عبد الرشيد يحثه على الرحلات في آسيا وأفريقيا ليرى اقوام المسلمين الذين يعيشون بين الثلوج والصحارى من قريب ويقول : " لأن قصائدك تحيي القلوب والارواح الجامدة كاحياء الربيع ، ينبغي عليك أن تراهم وتسمعهم وهم يرونك ويسمعونك " (١) ، وكان لعبد الرشيد دور في التكوين الفكري لعاكف .

ولعاكف اصحاب آخرون عمل معهم ، تبناوا الفكرة نفسها ودافعوا عن الإسلام ومن بينهم :

* سعيد النورسى (٢) : كان عاكف يجتمع معه فى استانبول ، وعمل معه ومع بعض اصحابه الآخرين فى " دار الحكمة الاسلامية " ، ويتفق معه عاكف فى امور كثيرة ، ودافع كلاهما عن فكرة الجامعة الإسلامية . وقد انتشرت افكار عاكف فى المدارس على أيدى اساتذة فيها ، أمثال على اكرم (٣) .

* حسن بصرى جنطاي (٤) (١٨٨٧-١٩٦٤) هو من الذين حضروا يجالس عاكف ، واستفاد من حلقات درسه ، خصوصا أيام اقامته فى انقرة ، كان يستمع إلى قصائده ويتأثر بأفكاره ، ويتعاون معه فى الدفاع عن فكره ، ومن امثلة ذلك ، أنه قدم تقريرا إلى رئاسة المجلس الوطنى التركى طلب فيه موافقة المجلس على اختيار قصيدة عاكف نشيدا وطنيا ، وبهذل جهودا للحصول على تلك الموافقة ، وحينما كتب عاكف قصيدته الشهيرة بعنوان " بلبل " اهداها له قائلا فى مقدمتها " اهدى هذه القصيدة إلى ابننا الكريم حسن بصرى " وقد تأثر حسن بصرى بآثار عاكف وفكره وعمل معه أيام الجهاد وشاركه فى احساسه يقول ماهر إز : عملوا ليل نهار للدفاع عن ميادئهم (٥) . درس حسن بصرى

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٤١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ .

(٢) انظر سعيد النورسى مع جبهاته المجهولة : ١٠٣ ، ٧٩ ، ١٨٤ ، بديع

الزمان سعيد النورسى لجمال كوطاي : ٣٩٣ ،

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٢٩ - ٤٣١ ، ٤٣٤ .

(٤) محمد عاكف لأشرف اديب : ١/٧١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٤ ، ٢٩٥

(٥) عاكف نامة (مقدمة) : ٦ .

على عاكف كتاب المعلقات مع مجموعة من تلاميذ عاكف واصحابه واستفادوا منه ولم تنقطع العلاقات بينهما بعد عملهما بانقرة ، وبعد وفاة عاكف ، كتب بعض اصحابه كتباً في شخصيته فعلق عليها حسن بصرى ، وشارك بمقالاته ثناء على استاذه ، ثم الف كتابه المكون من (٤٠٤) صفحة وسماه " عاكف نامه " اى " كتاب فى محمد عاكف " وتواضع فى مقدمته قائلاً : لم أكن افكر فى تأليف كتاب فى استاذى الفاضل محمد عاكف وارى نفسى عاجزا عن تأليفه واخاف من عدم اخراجه كما ينبغى ، وفى نفسى مودة شديدة تجاه استاذى وقد طلبت منى جريدة " لسان الترك " (١) بعد وفاة استاذى مقالا فيه ، فكتبت شيئاً يسيراً فى مبدأ الأمر ، ثم شجعونى على هذا الأمر واخيراً ظهر هذا الكتاب ، وقد جمع فيه معلومات قيمة ، لكن المأخوذ عليه مع الاسف الشديد أنه لم يعلق على مقالات المنحرفين والعلمانيين وكان ينبغى التعليق على الذين كتبوا عن فضائل الجمهورية فى أثناء كلامهم عن عاكف ، مع ذلك لانكر دور حسن بصرى فى الدفاع عن فكر عاكف بمحاضراته وكتاباته فى مناسبات عديدة .

* ماهر إز (٢) (١٨٩٥-١٩٧٤) من اصدق تلاميذ عاكف ، يقول ماهر از : تعرفت على عاكف أيام اقامته بانقرة ، كنا نجلس معه لمطالعة بعض الكتب بالفارسية وبالفرنسية ، وكان اسلوب درسنا على شكل قراءة الطالب على الأستاذ وتصحيحه لأخطائه ، كان عاكف يجلس معنا فى الصباح ونقرأ عليه ، وبعد درسنا ، يدرس " المعلقات " لحسن بصرى واصحابه ويأتى المجلس الوطنى بعد الظهر ، ويترجم من الفرنسية بعض الكتب حتى تبدأ المذاكرات ، وبعد العشاء يأتى منير أرتقون إلى بيته ويدرس له عاكف ديوان حافظ " وقد حضرت مرة درسهم ورأيت عاكفا يقرأ الديوان حفظاً عن ظهر قلب واستمرت علاقاتنا به بعد عودتنا من انقرة إلى استانبول . كنا نلتقى فى الاسبوع مرة بالمناوبة مرة فى بيتى ومرة فى بيته ، ونجلس لقراءة " پیام مشرق " لمحمد اقبال وبعد رحلته إلى مصر استمر الاتصالات بينهما بالرسائل ، ولما توفى عاكف جمع ماهر إز ذكرياته معه ونشرها ضمن كتابه " اثر السنين " (٣) ، والقى محاضرات

(١) عاكف نامه : ١٢ .

(٢) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١٥ / ١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٢ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ،

٢٩٠ - ٢٩١ ، ٢٦٧ / ٢ ، ٣٠٤ .

(٣) انظر اثر السنين : ٩٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١

حول شخصية عاكف وفكره وقد عمل استاذاً في المدارس أكثر من خمسين سنة وكان يحفظ قصائد عاكف ويقرأها أمام الطلبة ويجعل بعضها مقرراً في مادة الأدب التركي ويطلب حفظها ، يقول أحد تلاميذه ، ارطغرول دوزداغ : كنت من تلاميذ الاستاذ ماهر إز في الثانوية ، وهو يدرس لنا الأدب التركي ، ويأتى كل اسبوع بقصيدة عاكف المتعلقة بالجهاد ويشرحها ويهتم بها من الناحية الفكرية (١) .

* عارف نهاد آسيا : هو من الذين قلدوا اسلوب عاكف ، ودافع عن فكره واتخذ شخصيته وفكره وفنه نموذجاً لنفسه ، وأثنى عليه في قصائده ، ودافع عنه في مناسبات ذكرى عاكف (٢)

* على علوى قروجو : ولد سنة ١٩٢٢ بمدينة قونية - تركيا - ودرس في جامعة الازهر سنة ١٩٣٩ وعمل اعتباراً من ١٩٥٣ الى ١٩٧٥ مديراً لمكتبة المحمودية ومن سنة ١٩٧٥ الى ١٩٨٥ مديراً لمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة وتقاعد عن العمل وهو في تلك الوظيفة ، يقول في عاكف : كنا نتكلم في احاديثنا في مصر عن عاكف ، كأنه علم في قلوبنا ، نقرأ قصائده متأثرين دامعى الأعين ، ونعيش في جو معنوى وروحانى ، وتأثرت بهذا الجو وبدأت احفظ قصائده ، واستولى على عقلى وشعورى وفكرى حب الشعر والأدب ، كنت اتوضأ في سكنى الطلاب الاتسراك بجامعة الازهر ، واصلى ركعتين ثم ادعوربى قائلاً : اللهم اجعلنى شاعراً مثل محمد عاكف وناثراً مثل جناب شهاب الدين ، وفي اثناء الدرس يذكره الاستاذ محمد احسان بالرحمة ويقرأ ابياتاً من قصائده وجعلنا نعيش في جو افكار عاكف وبدأت كتابة الشعر متأثراً بقصائد عاكف واحببت فنه واسلوبه (٣) ، وقلده ودعا الى فكره وهو على قيد الحياة .

ومن استعراضنا لأسماء هؤلاء التلاميذ الذين ذكرناهم ، ومعرفتنا بشهرتهم بالعلوم المختلفة وتوثيق العلماء لهم يتضح لنا مقدار ما كان لعاكف من العلم والفضل ، وما كان له من التأثير الطيب في تلاميذه ، وكثرة ما كان يلتصق حوله من العلماء والادباء والمفكرين .

(١) بحوث في محمد عاكف : ١ / ١٠١

(٢) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) انظر سنوية الثقافة والفن في تركيا : ٤٢٣ - ٤٢٦ بتصرف .

(٢) ثقافته ومؤلفاته :

- ثقافته :

- ثقافته فى العلوم الإسلامية .

- ثقافته فى علوم اللغة من العربية والفارسية والفرنسية

- ثقافته الأدبية

- مؤلفاته :

- آثاره المنظومة :

- ديوان الصفحات فى سبعة اجزاء .

- آثاره من الشعر خارج ديوان صفحاته .

- آثاره المنثورة :

- تفسيره وترجمته لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية .

- شرحه الأحاديث

- مواعظه

- مقالاته

- ترجماته

- رسائله

- الموضوعات التى كان ينوى الكتابة فيها ولم يجد فرصة لكتابتها .

- خصائص إنتاجه الأدبى .

تمهيد :

كان عاكف عالما واسع الثقافة ، فكان عالما بالقرآن وعلومه وتفسيره وبالسنة وعلومها وشرحها ، وبالعقيدة الصحيحة ، كما كان عالما باللغة وآدابها ، إلى غير ذلك من ألوان الثقافة التي كانت سائدة في عصره ، فكان بهذه الثقافة إلى واسعة من العلماء الذين يشهد لهم القريب والبعيد بالعلم والتفوق ، تلقى تربية دينية وعلوما تطبيقية مع العلوم الاسلامية ، واتفق لغتين من لغات الشرق - العربية والفارسية اضافة إلى اللغة الأم التركية - وواحدة من لغات الغرب - وهي الفرنسية - وأصبح صاحب ثقافة واسعة ، ووصل إلى مستوى تفكير اسلامي كبير ، وهاجمه معارضوه حسدا منهم ، يقول تلميذه ماهر از : " كان الاستاذ عاكف إما يقرأ ، وإما يدرس للتلاميذ ، وإما يكتب ، وإما يحكى قصصا للعبارة والعظة أو يسمعها ، ولا يحب العبث ولا اللغو في الكلام (١) " .

وهكذا بلغ عاكف شأننا عظيما في عدة علوم ، وجمع فنونا من ضروب العلم برع في اكثرها وتفوق فيها على اقرانه ، يقول على اكرم : " عاكف عظيم هو اب كريم ، وصاحب مؤلفات افتح المصحف يفسر لك ، اسأل عن الحديث يشرح لك اسأل عن الغرب والعرب والعجم يجيبك ، لو عرفه والدى - نامق كمال - في حياته لبقى في صحبته دائما " (٢) ولقبه بعض اصحابه بسبب تفصيله في شرح الموضوعات بـ " مفصل افندى " (٣) وسوف نعرض بالحديث هنا لأهم الجوانب في ثقافة محمد عاكف .

(١) اثر السنين : ٠١٢٥ .

(٢) محمد عاكف لمدحت جمال : ٠٤٣٨ .

(٣) المرجع السابق : ٠٤٣٦ .

ثقافته في العلوم الاسلامية :

علمه بالقرآن وعلومه : كان نصيب عاكف وافرا من القرآن وعلومه فقد حفظ القرآن ، واشتهر في اوساط الناس بتفسير آيات وسور من القرآن الكريم ونشر تفسيره بعنوان " التفسير الشريف" في مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ، ولاشك أن اتقانه ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية يدل على مدى رسوخه في علوم القرآن خاصة تفسيره ، ولذا رشحه العلماء في تركيا لترجمة معاني القرآن ، واختارته رئاسة الشؤون الدينية لهذه المهمة ، ووصفوه بأنه اهل لها . واصروا على ذلك ، لأنه كان يختلف إلى علماء عصره ، فأخذ عنهم وتعلم على يدهم الكثير ، ونرى من الدلائل والعلامات المتناثرة في بطون كتبه ما يدل على علو شأنه في القرآن وعلومه وقد شهد العلماء له بذلك ووصفوه بالفهم الدقيق والافادة البليغة وفي السنوات الاخيرة من عمره اتجه إلى القرآن تماما فاخذ منه بحظ كبير.

علمه بالحديث وعلومه : وعاكف على جانب كبير من الثقافة في الحديث ولذلك كان يذكر اثناء كلامه احاديث كثيرة ، ويقرأ اثناء خطبه وارشاداته الأحاديث المتعلقة بالموضوع ، ونظم كثيرا من القصائد التي تأخذ موضوعها من الأحاديث المختارة يستشهد بها على كلامه ، ويترجمها إلى اللغة التركية .

علمه بالموضوعات المتعلقة بالعقيدة ودفاعه عنها : لقد دافع عاكف عن العقيدة الصحيحة شأنه في ذلك شأنه في بقية العلوم الإسلامية. وكان اشتغاله بالدفاع عن العقيدة السليمة اكثر ، وقد تميز عن علماء عصره في تركيا بالدفاع عن الإيمان الصحيح ، وشهد له بذلك العلماء المعاصرون له ، وقطع شأوا بعيدا فيه حتى لقبوه بشاعر الإسلام ، واستدل العلماء بأبيات منه واستشهدوا بها في خطبهم ونصائحهم ، وكان عاكف مفكرا اسلاميا ودرس الفكر الاسلامي للطلبة خلال فترة طويلة ، واهتدى بيده عديد من المنحرفين واستقام كثير من اهل الفساد بعد الاطلاع على آثاره .

وحين نبحث عن واقع التراث الإسلامي في تركيا نرى أنه خلف لنا

فى مجال الفكر الاسلامى الشىء الكثير ، وأنه اتخذ لنفسه منها فى التفكير الاسلامى ، ونقرر أن الفكر الاسلامى السياسى فى تركيا تأثر كثيرا بشخصية عاكف وآثاره . والمثقف المسلم يرى أن كتب عاكف توحى إليه بأفكار سياسية صالحة وتمنعه من التأثر بالنظم الفاسدة . سعى عاكف لاعلاء كلمة الله طوال حياته ، ودافع عن الإسلام والإيمان الصحيح ووقف ضد الخرافات فى الفكر والحياة ، وعمل رجل فكر وحركة وداعية ، ومن اشهر ما نقل عنه ديوانه ، إذ استعرض فيه فى مناسبات عديدة ، فضل الايمان ، ومعرفة الخالق ، وتوحيد الله ونفى الشبهات . وحاول وقف الالحاد ووقف ضد الملحدين والقوميين والمنحرفين من الاداريين . . الخ .

ثقافته فى علوم اللغات العربية والفارسية والفرنسية :

ثقافته العربية : قرأ عاكف كثيرا فى الثقافة الاسلامية واطلع على الأدب العربى ، وله جهود فى اللغة ، لم يكن يقصد فيها إلى منافسة أربابها أو التفوق فيها وإنما كان غرضه الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة . يقول عاكف : " علمنى ابي الصرف والنحو العربى تعليما جيدا ، ومن أجل ذلك كنت استطيت مطالعة الكتب الأدبية بشرحها بلا استعانة بالآخرين أو بمعونة بسيطة " ، ودرس عاكف لبعض اصحابه " قصيدة البردة للامام البوصيرى " وديوان ابن الفارض - احب شعراء العرب عنده - واعجبوا بمعرفته فى اللغة وكان يحفظ ديوان المتنبى وابن الفارض ، وكان يناقش مع الاستاذ فهمى " علم الانساب " ويعمل المذاكرات مع الاستاذ خالص الداغستانى على كتاب الكامل للمبرد (١) وقرأ مع موسى كاظم " الواردات " لبدر الدين سماوى شاكلا قراءته . ويقول عاكف " قرأت الكتب فى حلقات الاستاذ خالص ومن بينها " المعلقات " (٢) ، ويقول : قضيت سنوات طويلة فى المطالعة مع احمد نعيم ومحمد شوكت " - يقصد مطالعة الكتب العربية - واستفدت من الأدب العربى وعرفت أن علماء الإسلام من العرب وغيرهم اعطوا كل اهتمامهم للغة العربية

(١) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٧ ، ٢٤ ، ٣٤ ، شاعر الاسلام محمد

عاكف : ١٧ .

(٢) بحوث فى محمد عاكف : ١١ / ١ .

وادرکوا قدرها ویدلوا جہدہم فی فہم الکلمات کلہا (١) . وكان الأستاذ محمد اسعد هو من المشاهير في ذلك الوقت، يأتي إلى عاكف ليسأله عن بعض الكلمات العربية ويطلب شرحها، جاء إليه مرة وسأل عن كلمة "عمد" هل هي مؤنث أو مذکر ؟ أجابه عاكف بقوله تعالى : (في عمد ممددة) (٢) وقال : لا تردد في انها مؤنثة (٣) ، وفي أيام اقامته في بلاد الشام كان يشتغل في النهار بعمله الرسمي في دمشق وفي الليل كان يدرس اللغة العربية لابناء اصحابه المقيمين فيها (٤) ، وكما استفاد من علماء عصره افاد الآخرين . وكان ميله إلى اللغة العربية وادبها اكثر من اللغات الأخرى .

ثقافته الفارسية : درس عاكف اللغة الفارسية ، وهضم آدابها حتى اصبح حجة فيها ، وعندما بدأ حياته الادبية نشر على صفحات مجلة ثروة الفنون ترجمات لبعض أشعار سعدي الشيرازي (٥) ، يقول حسين مجيب المصري : ملك عليه الأدب الفارسي نفسه فترجم كثيرا من الشعر الفارسي ونشره ، وكان سعدي أحب شعراء الفرس إليه فقيس من معانيه ونظم القصيدة الطويلة أحيانا وهي تفسير بيت لسعدي (٦) ، يقول عاكف : " تعلمت الفارسية بجهودى الخاص . ففي بداية الامر اطلعت على الكتب المشروحة ، ثم استطعت فهم الكتب بدون الرجوع إلى الشروح " (٧) . وبحث عاكف بحثا دقيقا في شعر الفرس وأدبهم ، وكان لا يحب الفردوسى ، صاحب كتاب شاه نامه بسبب اتجاهه القومى (٨) الذى جعله يميل إلى احياء الكلمات الفارسية القديمة ومع ذلك اطلع عاكف مع بعض اصحابه على هذا الكتاب . يقول ابراهيم علاء الدين : " اقترحت على عاكف قائلا : لو ترجمت جولستان لسعدي لكان سعيا جميلا ، فتبسم وقال : ما ادرى هل استطيع ؟ قلت له : لا تردد فلا شك أنك تحسن ذلك ، قال بنعم يكون هذا عملا طيبا " ولكنه لم يجد فرصة لترجمة هذا الكتاب (٩) وكان يطالع المثنوى لمولانا جلال الدين باللغة

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٢٨٥ - ٢٨٦ ، ٣٩١

(٢) سورة

(٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٣٢٣ . (٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٤١ .

(٥) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٨ (٦) تاريخ الأدب التركي : ٥١٧ .

(٧) بحوث في محمد عاكف : ١/١٢٠ . (٨) محمد عاكف لسليمان نظيف : ١٠ .

(٩) محمد عاكف لاشرف اديب : ١/١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٩٠ - ٢٩١ .

الفارسية مع شرحه (١) ، وترجم من المثنوى ابياتا مختارة فى فضل العلم والعمل وذم الكسل والجهل ، وترجم من سعدى قصائد ومقالات ونصائح ونشرها كما ترجم عن محمد اقبال عدة ابيات من قصائده الفارسية (٢) .

ثقافته الفرنسية : تعلم عاكف اللغة الفرنسية وقرأ آدابها وأعجب ببعض أدبائها (٣) . وله آراء فى الادب الفرنسى وأدبها فرنسيا . ودرس الفرنسية على يد عديد من الاساتذة . وكان يعرفها معرفة جيدة ولم يكتف بها أخذ فى المدارس بل بذل جهدا خاصا . يقول عاكف : تعلمت اللغة الفرنسية بمجهودى الخاصة بالاضافة إلى ما اخذته فى المدرسة . واشتغلت كثيرا بمطالعة كتب بعض شعراء فرنسا . وقرأت كثيرا من كتب قدماء أدبائها (٤) ، وكان يقرأ كتبها مختارة يقول حقى اسبرطاوى : كان عاكف يأتى إلى فى أيام شبابه ويقرأ اشعاره ، وأنا اظهر عدم اعجابى بها فى كل مرة وأخيرا استفسر عن سبب ذلك فقلت له : هذا أدب ؟ ما عندك معلومات عن أدب العالم المعاصر ، لماذا تمشى وراء الاستاذ معلم ناجى ؟ لا تضع وقتك وجهدك بهذه القصائد . اترك الشاعرية وتعلم لغة من اللغات ، وبعد ذلك تكون كما تشاء عالما وشاعرا . وجاهد عاكف سبع سنوات والآن يستطيع فهم اصعب كتاب فرنسا حتى اطول مقالاتهم ، وأنا استفيد من ترجماته (٥) . وكان عاكف يذاكر الفرنسية مع صاحبه مدحت جمال ، واستفاد من استاذة السيد ابراهيم (٦) ، والاستاذ فريد كام (٧) ، وكان يطالع فى الليل على ضوء الشمعة ، حتى فى أيام الرحلة (٨) كان يبحث عن الفرص للمذاكرة ، يروى عنه مدحت جمال فيقول : أخذ عاكف مرة كتابا فرنسيا وبدأ يقرأ بلا خطأ لا فى الكلمات ولا فى التلفظ ، ثم بدأ يترجم ذلك الكتاب إلى اللغة التركية ترجمة فورية دون أن يحتاج إلى تكرار العبارات الفرنسية

(١) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٢٧-٢٢٨ ، انظر : ديوان الصفحات : ٢٧٨-٢٧٩

(٢) انظر ديوان الصفحات : ٥١٤ .

(٣) انظر شاعرا اسلام محمد عاكف : ١٩ ، تاريخ الادب التركى : ٥١٧ ، محمد عاكف

لمدحت جمال : ١٤ . (٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢١٦

(٥) بحوث فى محمد عاكف : ١٤-١٥ . (٦) مقدمة ديوان الصفحات : ٥٤ .

(٧) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٤٧ . (٨) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٤

فقلت في نفسي : لا بد لي أن استفيد من مهارته في الترجمة من اللغة الاجنبية إلى اللغة التركية وجعلته نموذجا ومثالا لنفسي ، وكنا نجتمع معه يوم الاربعاء من كل اسبوع وقررنا أن نطالع كتابا بالفرنسية ، ولا نضيع الوقت باللغو ، ولكن بسبب عدم كفاية الوقت اضفنا إلى يوم الاربعاء يوما آخر وهو يوم الاثنين ، وهكذا بدأنا نجتمع في الاسبوع مرتين ننتهي من مطالعة كتاب ونبدأ بكتاب آخر ونتيجة هذه الجهود انتهينا من مطالعة عديد من الكتب (١) . يقول فريد كام وجدت صعوبة في ربط احدي الجمل الفرنسية الطويلة ، قرأتها مرة ثانية وحاولت ولم استطع ، ثم اخذها عاكف وربطها وكانت الجملة نصف صفحة تقريبا (٢) ، وهناك امثلة كثيرة على قدرته اللغوية .

ثقافته الأدبية :

كان عاكف من أدباء ومفكرى تركيا شهد له الأدباء والعلماء بالفصاحة والبلاغة وحسن البيان ، ويذكر اصحابه حرص الناس على سماع أقواله ، وأثنى عليه معاصروه بعد سماعهم مواعظه بقولهم : " هو أديب من الأدباء ، وفصيح من الفصحاء ، وشاعر من الشعراء الاسلاميين . كان يقول الشعر ويستشهد به في المناسبات في خطبه ومواعظه .

كان من اعلم الناس بالعروض في عصره ، يقول سليمان نظيف : كانت الكلمات والعروض في يد عاكف كالحديد في يد داود عليه السلام ، وتميز نظمته عن غيره من امثاله بسهولة البيان والتعبير التي لا توجد في النثر التركي ، فإن أدب عصره لا يشبه أدبه ، بل أدبه سهل ممتنع (٣) . وقد صرف همهته إلى اتقان العروض حتى بلغ فيه الغاية ، وإن في شعره آثارا من شيوخه الذين تأثر بهم ظاهرة من غير خفاء ولكن الذي لا ريب فيه أن عاكفا قد رفع النظم التركي في اوزان العروض إلى درجة من السلاسة لم يرق إليها شاعر آخر . وقد صارت اللغة التركية على يديه ميسرة لفن الشعر ، وقصائده تراث يفنى به الأدب التركي

(١) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٧-٢٨ .

(٢) تدقيقات في ديوان الصفحات : ٢٩ - ٣٠ .

(٣) محمد عاكف لسليمان نظيف : ٧-٨ .

وَأَنَّ لَهُ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ لِعِثَانَةً خَاصَةً . وَقَدْ كَتَبَ قِصَائِدَهُ كُلَّهَا مُوزُونَةً بِالْعَرُوضِ لِأَنَّ الْعَرُوضَ انْتَشَرُوا بَيْنَ الْأَتْرَاقِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَكْتُبْ بَيْتًا وَاحِدًا مِنَ الشَّعْرِ بِالْوِزْنِ الْهَجَائِيِّ (١) وَقَدْ كَانَ الْوِزْنُ الْحَاكِمَ أَيَّامَ ثَوْرَةِ مُصْطَفَى كِمَالٍ هُوَ الْوِزْنُ الْهَجَائِيُّ ، وَقَالُوا أَنَّهُ خَاصٌ بِالْأَتْرَاقِ وَهُوَ تَرْكِي الْأَصْلُ ، وَقَدْ اسْتَمْرَعَاكَ فِي نِظْمِهِ بِالْعَرُوضِ الْعَرَبِيِّ وَحْدَهُ ، وَاعْتَبَرَهُ مِنْ هُدَايَا الْإِسْلَامِ الْقِيَمَةَ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَتْرَكَهُ ، بَلْ إِنْ تَرَكْتَهُ ظَلَمٌ وَخِيَانَةٌ لِلْإِسْلَامِ وَالتَّارِيخِ ، وَهَكَذَا ثَبَتَ أَمَامَ الَّذِينَ قَالُوا : لَا يُمْكِنُ كِتَابَةُ الشَّعْرِ التَّرْكِيِّ بِالْعَرُوضِ الْعَرَبِيِّ ، وَطَبَّقَ ذَلِكَ بِأَحْسَنِ شَكْلِ وَحِينَمَا قُرِيَ الشَّنِيدُ الْوِطْنِيُّ الَّذِي أَلْفَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوِطْنِيِّ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، اضْطَرَّ مُخَالَفُوهُ إِلَى الْإِعْجَابِ بِهِ فَأَظْهَرُوا إِعْجَابَهُمْ بِالتَّصْفِيقِ ، وَسَمِعُوهُ وَهُمْ قَائِمُونَ وَوَأَفَقُوا عَلَيْهِ نَشِيدًا رَسْمِيًّا وَعَلَى رَأْسِهِمْ مُصْطَفَى كِمَالٌ .

وَقَدْ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ حِينَ اكْتَفَوْا بِذِكْرِ جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْ جَوَانِبِهِ وَهُوَ شَاعِرِيَّتُهُ بَيْنَمَا هُوَ قَدْ حَاوَلَ إِصْلَاحَ مَفَاسِدِ مَجْتَمَعِهِ وَعَبَّرَ عَنْ فِكْرِهِ فِي قِصَائِدِهِ وَفِي آثَارِهِ الْآخَرَى ، وَاصْبَحَ مُتَرْجِمًا لَصَرَخَاتِ الْأُمَّةِ ، إِذْ جَعَلَ هُمُومَ الْأُمَّةِ هُمُومَ نَفْسِهِ ، وَرَكَزَ عَلَى السَّبَبِ الْأَصْلِيِّ لِلانْحِرَافَاتِ . بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ إِسْلَامِهِمْ وَعَمْدِ شَعُورِهِمْ بِمَسْئُولِيَّتِهِمْ .

وَالْأَدَبُ فِي نِظَرِهِ لَيْسَ تَعْبِيرًا عَنِ الْمَيُولِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ الْحُبِّ وَالغَرَامِ وَلَا تَنَاوُلًا لِلْجَمَالِ وَالطَّبِيعَةِ بَلْ الْأَدَبُ تَعْبِيرٌ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَشَاكِلِ الْأُمَّةِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَدَبُ إِسْلَامِيًّا بِكُلِّ أَشْكَالِهِ وَأَنْوَاعِهِ وَعِنَاصِرِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الظُّلْمِ لِعَاكِفٍ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْبَاحِثُونَ أَدَبَهُ مِنْ وَجْهَةٍ نِظَرٍ أَدْبِيَّةٍ بَحْتَةً مُتَعَلِّقًا بِنِظَرَةِ الْأَدَبِ لِلْأَدَبِ أَوْ مَا يُسَمَّى الْفَنُّ لِلْفَنِّ ، لِأَنَّ عَاكِفًا جَعَلَ الْأَدَبَ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَسَخَّرَهُ طَرِيقًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ عَاكِفٌ فِي خِدْمَةِ دِينِهِ ، وَكَانَ ابْتِزَ الْمُتَقَفِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ عَمَلًا وَحَرَكَةً وَسُلُوكًا . وَاصْبَحَ قُدُوةً أَمَامَ النَّاشِعِينَ .

(١) هُوَ وَزْنٌ يَعْتَمَدُ عَلَى تَتَابُعِ الْمَقَاطِعِ فِي الْجُمْلَةِ عَلَى نَسْقٍ مَعِينٍ مِثْلَ الشَّعْرِ الْغَرَبِيِّ ، وَبِجَانِبِ الْأَوْزَانِ الْعَرُوضِيَّةِ ، لِلْأَتْرَاقِ أَوْزَانَ مَقْطَعِيَّةٍ وَقَدْ حَاكُوا الْأَوْرُوبِيِّينَ فِي أَوْزَانِهِمْ .

مؤلفاته :آثاره المنظومة :ديوان صفحاته فى سبع اجزاء :

نظم محمد عاكف دواوينه السبعة خلال سنوات طويلة من عمره ولا يخفى على القارىء أن مؤلفات عاكف تختلف باختلاف الفترة التي كتبت فيها . فان الجزء الأول من " صفحات " أُلّف فى أيام الراحة والاستقرار ، - أيام السلطان عبد الحميد الثانى - وكانت منظوماته فى الوصف وتصوير احوال المجتمع والحياة أو الافراد . أما منظوماته الجهادية فتبدأ من الجزء الثانى إذ تظهر حيوية فكره وحركيته فى " عاصم " الجزء السادس وفى هذه الدواوين نجد بياناً لأمراض عصره ووصفا لدوائها ، ومشكلات المجتمع وطرق حلها ، واحوال العالم الاسلامى وجهاده ، وعبر عاكف عن هذه المسائل صفحة صفحة ، وقد نشر ديوانه فى سبعة اجزاء كلها تحمل اسم " صفحات " وهو ديوان شعر ممتاز يدل على تمكن عاكف تمكنا تاما من نظم الشعر ، وهو من اهم مؤلفاته وليس لأحد من المفكرين فى تركيا مثل هذا الكتاب . وهو من اجمع تصانيف مؤلفه وأهمها لما اورد فيه من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة واقوال السلف لإثبات وجهة نظره ، وقد ذكر فيه عاكف مثل الأخلاق التي ينبغى أن يتحلى بها كل مؤمن .

الجزء الأول : ليس لهذا الجزء عنوان محدد ، بل وضع عاكف عليه بعد العنوان العام " صفحات " كلمة " الكتاب الأول " وجمع فيه القصائد المنشورة بين سنتى ١٩٠٨-١٩١١ فى مجلة الصراط المستقيم ، وهو عبارة عن اربع واربعين قصيدة ، وهذه بعض موضوعاته : العلاقات الاجتماعية والبشرية والامراض المتعلقة بها ، الفقر ، والعجز ، والتعاون ، وصور بكل وضوح حقيقة الجهل وواقعه ، وكتب عن الحانات والمقاهى لينفر الناس من هذه الأماكن وحينما كتب عن مشاكل المعيشة دعا إلى العزم والعمل ، وصور المساجد والعبادات ومع وضوح الالم فى تعبيره عن عدم وجود الحرية فلم تكن شكواه صارخة ، لأن الوطن كان ناجيا من الكوارث ، وحينما اعلنت الحرية رآى أنها

ليست الحرية التي كان يأملها ، ومع ذلك لم يفقد آماله وأشار إلى بعض
المفاسد اعتباراً من عام ١٩١٠ ، وحاول عاكف في هذا الجزء تصوير الحياة
في استانبول وإبراز دقائقها ، يقول عبد الوهاب عزام : " وفي هذا الجزء
أربع وثلاثون منظومة " وهذا صحيح إذا اعتبرنا القصائد القصيرة منظومة
واحدة والا فإن عدد قصائد هذا الجزء أربع وأربعون قصيدة صغيرة
أو كبيرة (١) .

الجزء الثاني : وعنوانه " على كرسى السلمانية " ويشمل هذا
الجزء برمته على منظومة واحدة ، وتشتمل على زهاء ألف بيت (٢) ، يصف
فيها عاكف جسر قلاطا وخليج استانبول ، والمسجد الجديد ثم مسجد
السلطان سليمان القانوني . وطرح في هذه المنظومة مسائل عديدة ، واختار
لهذا الحديث السائح الشهير عبد الرشيد إبراهيم صاحب الخبرة والدراية
بأمور المسلمين لكثرة سياحته في أرجاء العالم أكثر من ستين سنة ، والغرض
من كتابة هذا الجزء : الدعوة لاتحاد المسلمين تحت قيادة الدولة العثمانية
وتلقي تلك الفكرة للمسلمين ، والابانة عن مشاكل البلاد الاسلامية خصوصاً
مشاكل المسلمين في روسيا والصين وذكر امثلة للخرافات المنتشرة بين
المسلمين في تلك البلاد ، ثم توجه إلى اليابان وعبر عن تقديره لساعيهم .
وتوقع مستقبلاً مشرقاً لمسلمي بلاد الهند . وأشار إلى العداوة المستمرة بين
المسلمين وروسيا (٣) ، ثم عبر عن احوال المسلمين في استانبول بعد اعلان
الحرية ، وأشار إلى الفهم الواقعي للحرية . وركز على ما كان ينبغي من
التعليم وتحقيق فكرة الجامعة الاسلامية وتوحيد صفوف المسلمين . وانكر اعمال
بعض الصحف والمجلات باتخاذها اسلوب الشتم ، والحث على التفرقة

(١) انظر ملاحظات العلماء : عاكف نامه : ١٠٠-١٣٢ ، محمد عاكف لجميل

سنا : ١٩-٢٣ .

(٢) نشر هذا الجزء في مجلة الصراط المستقيم على تسع حلقات سنة ١٩١٢ ثم
طبع ككتاب .

(٣) ذكر د . محمد عبد اللطيف هريدي خطأ أن عاكفا زار روسيا الاسلامية

(التركستان) وذلك في كتابه الأدب التركي الاسلامي : ٢٠٨-٢٠٩

والحقيقة أن عاكفا لم يسافر إلى هناك .

والانفصالية، وأشار الى دور المثقفين والأدباء والمفكرين فى ايقاظ الشعب أمام خطر الغزو العسكرى للعالم الاسلامى كل ذلك تحدث عنه عاكف على لسان واعظ سائح اعتلى كرسى الوعظ فى المسجد. وكان هذا اسلوبا جديدا تماما فى الأدب التركى (١).

الجزء الثالث: وعنوانه " اصوات الحق " (٢) ويشتمل هذا الجزء على مجموعة من القصائد فى تفسير ثمانى آيات قرآنية وشرح حديث واحد وقصيدة فى الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد اختار موضوعات هذا الجزء بدقة لتناسب معالجة مشاكل أيامه. وحث فيها على الخلق الحسن والاتحاد الاسلامى، واطهر ما وراء حرب البلقان، ودعا لتعمير ما خربته هذه الحرب وليس لمنظومات هذا الجزء عناوين إلا للمنظومة العاشرة.

والمنظومة الأولى: تفسير لقوله تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير) (٣) إذ وصف احداث ودسائس حرب البلقان.

والمنظومة الثانية: فى تفسير قوله تعالى: (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) (٤) وذكر محن المسلمين فى العالم.

والمنظومة الثالثة: فى شرح حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه عاكف شرحه للحديث ضد الحركات الانفصالية والقوميات.

والمنظومة الرابعة: فى تفسير قوله تعالى: (يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم

(١) لعله متأثر فيه بمقامات ابن الجوزى التى تتخذ أبا التقويم واعظا ومرشدا سائحا متجولا فى ديار عدة من بلاد الاسلام

(٢) انظر الملاحظات فيه: مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ: ١٢٩-١٩٠،

محمد عاكف لجميل سنا: ٢٥، شاعر الإسلام محمد عاكف: ٩٧-١٠٣،

كتب عاكف هذا الجزء بين سنتى ١٩١٢-١٩١٣ وطبع سنة ١٩١٣.

(٣) سورة آل عمران: ٢٦. (٤) سورة النمل: ٥٢.

الكافرون (١) وتعرض عاكف فيها لأحوال الأمة الاسلامية التي دب فيها اليأس والضياع والاستسلام .

والمنظومة الخامسة : في تفسير قوله تعالى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) (٢) تعرض عاكف فيها لوضع الدولة العثمانية المنهار ، وعبر عن تلاشيها وانقراضها ، وحث على الوحدة .

والمنظومة السادسة : في تفسير قوله تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (٣) ، وقد حث عاكف فيها على العلم وحذر من الجهل والكسل وبين ضرورة كسب المعارف .

والمنظومة السابعة : في تفسير قوله تعالى : (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (٤) وذكر عاكف ما كانت عليه هذه الأمة في بداية أمرها من قدرة واقتدار نتيجة تمسكها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقارن بين الحالة السابقة والحالة في عصره .

والمنظومة الثامنة : تفسير للآيتين (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (٥) وكشف فيها عاكف عن الفساد القائم في السياسة والمجتمع والأسر .

والمنظومة التاسعة : تفسير لقوله تعالى : (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ، ان ذلك لمحبي الموتى وهو على كل شيء قدير) (٦) يصف فيها عاكف الربيع بنضرتة واخضراره وشبه الربيع الذي يلي الشتاء بالأمة الاسلامية التي يمكنها النهوض بعد طول رقاد ، وليس ذلك ببعيد ، فعلى الناس أن يتحركوا مسلحين بدينهم وايمان عميق بحق أمتهم في عيش كريم ويعملوا بجد وتفان ليعيشوا في ربيع دائم (٧) .

(١) سورة يوسف : ٨٧ . (٢) سورة الاعراف : ١٥٥ .

(٣) سورة الزمر : ٩ . (٤) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٥) سورة البقرة : ١١-١٢ . (٦) سورة الروم : ٥٠ .

(٧) شاعر الاسلام محمد عاكف : ١٠٢ .

وآخر منظومة في الجزء الثالث: بعنوان "ليلة حزينة من ليالي المولد" وهي من المدائح النبوية عبر فيها عن حال الأمة من ذل وفقر وجهل وما آل إليه أمرها. وفي نهاية الجزء الثالث يضيف عاكف رسالة كتبها صديقه "فريد كام" فيها ثناء على إنتاج عاكف من ناحية الفكر واللغة والموضوع والفصاحة وسلاسة البيان، ورقة الالفاظ، وعدم التعقيد والغموض في تعبيره، ونشرت مجلة سبيل الرشاد ثناء على هذا الجزء، وحثت الناس على قراءته (١).

الجزء الرابع: "على كرسى الفاتح" (٢) ومن موضوعات هذا الجزء: حديث بين صديقين سائرين في طريقهما إلى مسجد الفاتح لتأدية الصلاة والاستماع إلى درس ديني فيه، ويبدأ الواعظ درسه بشرح وتفسير قوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) (٣). ويعمل عاكف مقارنة بين ماضي المسلمين وحاضرهم، ويعبر عن تحسره على الماضي المجيد، ويسرى أن المسلمين كانوا أكثر تقدماً في الماضي ويتمنى عودة أيام المجد من جديد، ويأسف على عدم دفاع المسلمين عن مقدساتهم ومشاعرهم وعدم فهمهم للقدر والتوكل، فهما صحيحا. ويبين رسالة المسلمين تجاه العالم ويندد بالخرافات والجهل، ويوضح أهمية التعليم خصوصا الابتدائي ودور المدرس فيه. ويهاجم التفرقة وفكرة القومية، ثم يقسم الأمة إلى أربعة أقسام: الأولى: العوام وهم في غفلة، الثانية: المتشائمون الذين يغسوا من الحياة، يعيشون في آقدي الآمال، ينتظرون الموت، الثالثة: طبقة الجيل الجديد المتعلم المقلد للغرب، أصحاب اللهو والمجون، لا يتأثرون بما يدور حولهم ولو كان الخطر يدق أبوابهم. الرابعة: السفهاء: الغارقون في الملذات، لا هم لهم إلا اللذة والمتعة، اسلامهم حبر على ورق، وتنتهي المنظمة وينتهي معها الجزء الرابع بأن يدعو الشيخ الواعظ لكافة المسلمين بالهداية والصالح والعمل على رفعة الدين ونصرة الحق واليقين وظاهر أن الواعظ هو عاكف

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ: ١٨٨-١٩٠.

(٢) نشر عاكف هذا الجزء على حلقات في مجلة سبيل الرشاد بين سنتي

١٩١٣-١٩١٤، وهو منظومة واحدة طبع سنة ١٩١٤ ثلاث مرات،

انظر شاعر الإسلام محمد عاكف: ١٠٣-١١١، عاكف نامه: ١٤٦-١٦٢،

محمد عاكف لجميل سنا: ٢٦، مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ: ٥٢

(٣) سورة الأعراف: ١٨٥

نفسه ، وأن هذه هي افكاره التي يعظ بها في المسجد ولكنه في المنظومة كتبها بلسان غيره من العلماء ، فهذا الاسلوب شئ جديد في الأدب التركي كما ذكرنا في الجزء الثاني .

الجزء الخامس : وعنوانه " خواطر " (١) وقصائد هذا الجزء تفسير لبعض الآيات القرآنية وشرح لبعض الاحاديث النبوية والبعض الآخر في موضوعات شتى ، تبدأ القصيدة الأولى بتفسير قوله تعالى (ولا تحملننا ما لا طاقة لنا به) (٢) ويطلب فيها عاكف من الله تعالى الهداية والنجاة من العذاب وأن يخفف عن الأمة الآلام كتبها سنة ١٩١٥ في برلين . أما القصيدة الثانية ، فانها تتناول كيفية نهضة المسلمين ، ووحدتهم ، وفيها يحثهم على الوقوف صفا واحدا أمام اعداء الأمة الاسلامية ، وقد سماها عاكف " استيقظ " والقصيدة الثالثة في تفسير قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) (٣) يشير فيها إلى أن الأمة إذا فسدت اخلاقها.. فان مصيرها إلى الانحطاط والزوال . أما القصيدة الرابعة فقد استلهمها عاكف من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) (٤) . وتحدث عن واقع المسلمين من ضعف وضياع ، والقصيدة الخامسة : في تفسير قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) (٥) . يذكر عاكف فيها أن المسلمين نتيجة فهمم الخاطيء لمعنى الدين اصبحوا مشتتين . والقصيدة السادسة : شرح وتعليق على الحديث النبوى (الاسلام حسن الخلق) (٦) . أما القصيدة السابعة فهي في قوله تعالى (الذين قال لهم

(١) طبع هذا الجزء عدة مرات اعتبارا من عام ١٩١٧ ، يتكون من عشر منظومات

وهذا الجزء ذو أهمية كبيرة من ناحية بيان فكر عاكف ، انظر شاعر الإسلام

محمد عاكف : ١١١-١٣٣ ، عاكف نامه ١٧٣-١٨٢ ، محمد عاكف لجميل سنا :

٢٨-٢٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ . (٣) سورة آل عمران

(٤) رواه الطبراني في " المعجم الصغير " ص ١٨٨ باسناده عن حذيفة بن

اليمان مرفوعا اسناده ضعيف من أجل (عبد الله بن ابي جعفر) وأبيه

فانهما ضعيفان (سلسلة الأحاديث الضعيفة : ١/٣٢٣ رقم : ٣١٢ .

(٥) سورة الاسراء : ٧٢ .

(٦) متفق عليه ، صحيح البخارى : أدب : ٢٩ ، مسلم بر : ١٤-١٥ ، ابوداود

ادب : ٢٧ الترمذى : بر ٦٢ ، زهد : ٥٢ ، ابن ماجة : زهد : ٢٤ ، ٢٩ .

الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١) وفيها يوضح عاكف أن الإسلام هو دين الشهامة ودين الغيرة وأن الإسلام الحقيقي هو أكبر شجاعة، أما المنظومة التاسعة فهي بعنوان "خواطر برلين" وهي أطول منظوماته، وهي في تصوير الغرب والمقارنة بينه وبين الشرق وآخر قصيدة في هذا الجزء - المنظومة العاشرة - عنوانها: "من فيافي نجد إلى المدينة المنورة" دافع فيها عن فكرة الجامعة الإسلامية .

الجزء السادس : عنوانه "عاصم" (٢) وهو منظومة قصصية بطلها شاب مسلم من الذين جاهدوا في الحرب العالمية الأولى، والمنظومة وردت على شكل حديث وحوار يدور في زمن الحرب، أما اشخاص الحوار فهم على النحو التالي : ابن الاستاذ : ويمثل محمد عاكف ابن المرحوم الاستاذ طاهر الإمام التقى : من تلاميذ الاستاذ طاهر والد عاكف، عاصم : وهو ابن الامام التقى، أمين : ابن محمد عاكف، وقد جعل عاكف عنوان هذا الجزء ويطل منظومته هذا الشاب المكافح "عاصم" الذي وجد فيه عاكف، شخصا كامل النضج، متدينا بطلا عالما، فوضع فيه آماله وآمال الأمة الإسلامية، فهو بحق خير نموذج للشباب المسلم، صاحب المواهب المتعددة والخصال الحميدة، وقد ذكر عنه عبد السلام فهمي أنه نال شرف الاستشهاد وهو يدافع عن "جناق قلعة" (٣). وهذا القول غير صحيح لأن عاكف لم يجعله يستشهد بل جعله يعيش ويذهب إلى برلين لاكمال دراسته . وقد وصف عاكف في هذا الجزء كثيرا من الأمور الاخلاقية والاجتماعية، وكان يشجع الجيل الجديد على قراءة هذه القصة، لما تتضمنها من عبر وعظات، وعندما يتحدث عاكف عن الإمام التقى والـسد عاصم - البطل - يصفه بالغيرة والحمية على دينه، وأنه كان يشجع ولده على

(١) سورة آل عمران : ١٧٣ .

(٢) يتكون من (١١٤٦) بيتا من الشعر فرغ عاكف من نظمه سنة ١٩١٩ وقدمه هدية إلى صديقه فؤاد شمسي، انظر ثناة المفكرين على هذا الجزء (محمد عاكف لسليمان نظيف : ٣٠، محمد عاكف لسزائي قراقوج : ٤٠-٤١، عاكف نامه : ١٨٧-٢٠٠، تدقيقات ديوان الصفحات : ٣٠ .

(٣) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٢٣ .

خوض المعمارك دفاعا عن الإسلام . أما الغرض الذى دفع عاكف إلى نظم هذه المنظومة ، فهو واقعة الدفاع عن جناق قلعة وايمانه بالنصر على الرغم من ضعف المسلمين وتكاتف قوى الصليبية ، وترنم فيها عاكف ببطولة الجيش العثماني :

الجزء السابع : عنوانه " الظلال " (١) وبعض منظوماته مما نلّمه عاكف قبل هجرته إلى مصر ، فى أيام قامته فى انقرة أو استانبول والباقي مما نظمته فى مصر، وكان يحس بالألم لما أصاب العالم الإسلامى من نكبات ووقوعه فريسة الاستعمار. واهدى الكتاب إلى صديقه الشريف محيى الدين - ابن الشريف على حيدر باشا - وترجم هذا الجزء ابراهيم صبرى نجل شيخ الإسلام مصطفى صبرى إلى اللغة العربية ، وهذه عناوين وموضوعات قصائد هذا الجزء :

خسران : " وهى صرخة أراد بها أن يوقظ المسلمين " . الششرق : " تصوير لواقع العالم الإسلامى " ، يعيش الشخص بمقدار مشاعره : " عبر فيها عن موقفه من الالحاد والملحدّين " ، لا بد أن تندى الجباه : " فى بيان موقفه من الاستعمار " ، هل كنت تتوقع ؟ : " سجل فيها رده على يأس عطاء الله بها " الدين من مسلمى روسيا " . إلى محمد على (أحد تلاميذ عاكف) : " تحمل بعض التوجيهات للشباب " . إلى متى النزاع : " تفسير لقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (٢) . لا يأس : " تفسير لقوله تعالى : (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) (٣) . التوكل بعد العزم : تفسير لقوله تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله) (٤) . إلى سليمان نظيف : يلوم فيها صاحبه سليمان نظيف على يأسه ويطلب منه أن يكون متفائلا ، بلبل : " عبر فيها عن موقفه من الغزو العسكرى لبلاد المسلمين " . ليلى " عبر فيها عن آماله فى مستقبل الإسلام والمسلمين " . مع الفرعون وجها لوجه : " مقارنة بين الكفر السابق والحالى

(١) طبع هذا الجزء مرة واحدة بالحروف العربية سنة ١٩٣٣ وتوالت الطبعا

بالحروف اللاتينية مع الاجزاء الأخرى. انظر ديوان الصفحات ٣٧-٣٩

شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٣٧-١٤٥ ، عاكف نامه : ٢٠٠-٢٢٣ .

(٢) سورة الانفال : ٤٦ . (٣) سورة الحجر : ٥٦ .

(٤) سورة آل عمران : ١٥٩ .

من اجل العبرة " نصب الشهداء " : " تعبير عن فضل الشهادة والشهيد " الوحدة : " عبرة من قصة أحد الصحابة في حرب اليرموك " الليل : " آماله في مستقبل الإسلام " . هجران ، السجدة ، الاستاذ حسام : " يثنى فيها على أحد اساذته " .

وهناك بعد ذلك مقطوعات قصيرة يبلغ عددها سبع عشرة مقطوعة . أما القصائد في هذا الجزء فآخرها " الفنان " وهى قصيدة طويلة تعبر عن آماله في مستقبل الإسلام " . ويقول عاكف فى قصيدته بعنوان " لأجل صفحات " :
تعيش بعدى وتذكرنى بالخير، هكذا كنت اقول كلما نظرت إليك يادىوانسى
المسكين . من كان يعتقد أنك ستقضى ويبقى بعدك عمرى الخرب الذى أفنيتـه
فى سبيلك ؟ " (١) " كان عاكف يخاف على آثاره بعد تبديل الحروف العربية إلى
الحروف اللاتينية فى تركيا من أن لا يطلع عليها أحد ، وكأنه ينعى ديوانه
" الصفحات " الذى نكب كما نكب صاحبه من قبل " (٢) .

آثاره من الشعر خارج ديوان صفحاته :

حينما طلب مدحت جمال من عاكف أن يقرأ عليه شيئاً من قصائده التى كتبها فى أوائل حياته ، أجابه عاكف قائلاً : ليس لى غزل ، كتبت بعض الأشعار أيام شبابى ولكن مزقتها كلها " (٣) . فقد بدأ عاكف كتابة الشعر أيام كان طالباً فى الكلية بين سنتى ١٨٩١ - ١٨٩٤ ، وكان يرسل قصائده إلى المجلات لنشرها ، فنشر بعض القصائد سنة ١٨٩٣ فى مجلة " خزينة الفنون " ونشر قصيدة فى ١٨/١٠/١٨٩٤ فى مجلة " ثروة الفنون " (٤) . ونشر فى مجلة المكتسب - أى المدرسة - فى ١٤/٣/١٨٩٥ قصيدته بعنوان " مناجاة القرآن - أى حديث إلى القرآن - وكان عاكف فى الحادية والعشرين من العمر (٥) . وبعد ذلك نشر قصائده فى مجلة " المعلومات " و " الجريدة المصورة " ونشر فى مجلة " المعارف شهر مايو سنة ١٨٩٥ مقالات على سبع حلقات بعنوان " مباحث

(١) ديوان الصفحات : ٤١٩ . (٢) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٤

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ١١

(٤) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٣ .

(٥) مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ٢ .

علم الثروة" ووقعها باسم مستعار هو "سعدى" ومن ناحية أخرى ارسل إلى بعض اصحابه رسائل منظومة وانتشرت بعض قصائده الأخرى بين اصحابه من محبى الشعر .

وقد نشر بين سنتى ١٩٠٠-١٩٠٨ قصائده المختارة ولم ينشر كل ما كتبه، بل اختار من بينه ما اعجب به ونشره . ومزق الباقي ، ونجا من الحريق ما كان قد نشره قبل ذلك ، وما حفظه بعض اصحابه فى دفاترهم (١) . اما ما بين سنتى ١٩٠٨-١٩٣٣ فقد نشر عاكف احسن قصائده وعلى الرغم من ذلك فان بعض قصائده فى تلك الفترة لم تنشر فى ديوان صفحاته . ومنها : سبع عشرة قصيدة نشرها فى مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ، من بينها قصيدته المسماة " عارف حكمت الهرسكى " (٢) ونشيد الاستقلال ، ونشر بعضها فى الصحف والمجلات الأخرى مثل : الصوت ، واليوم الجديد ، وطان ، والشلال . الخ . ومع ذلك يحتاج الأمر بحثا اكثر .

اما بعد سنة ١٩٣٣ أى بعد نشر " الظلال " الجزء الأخير من صفحاته فلم يكتب عاكف كثيرا من القصائد إلا ما كتبه خلف صورته وبعض رسائله التى ارسلها من مصر إلى بعض اصحابه واقاربه . واخيرا بعد وفاة عاكف طبعت قصائده التى نظمها خارج ديوان صفحاته فى ذيل ديوانه .

آثاره المنشورة :

لمحمد عاكف إلى جانب دواوينه الشعرية مؤلفات دينية وادبية واجتماعية منثورة نشرت فى المجلات التركية المتعددة ، وجمع اغلبها فى كتب . وما تبقى يحتاج إلى الجمع من بين صفحات الصحف والمجلات وقد كان عاكف يعتمد على البساطة فى التعبير والبعد عن الزينة اللفظية ، ولا يأخذ بفكرة

(١) وقد كتب قصيدة طويلة ، حصلوا عليها فى دفتر احد اصحابه كتبها له أيام اقامته فى مدينة ادرنة (مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٣) وسوف يبرز مثل ذلك كثيرا فى المستقبل لأن على شوقى احد اصحاب عاكف : كان يلتقى مع عاكف مرتين أو ثلاث مرات فى الاسبوع ويأخذ قصائده ثم يملئها على ضيوفه وذلك قبل سنة ١٩٠٨ وهكذا انتشرت قصائده قبل طبعتها (انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ٥٥) .

(٢) انظر مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ١٧ مقدمة ديوان الصفحات لعمر رضا : ١٧ .

" الفن للفن " و " الأدب للأدب " لأن الأدب فى الإسلام ذو رسالة فى البناء والاصلاح للفرد والمجتمع وحمل الدعوة ، ولم ينتسب إلى جماعة التغريب ولا ثروة الفنون ، ولم يستعمل فى كتاباته الكلمات الصعبة بل ارسلها ارسلالا ليفهم الشباب مقالاته ، وليفهم الجميع نصائحه ، ويورى بعض الكتاب أن نشر عاكف لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية السهولة الممتنعة ، وان مقالاته نموذج واضح الدلالة على علو رتبته فى مجال النشر . وقد دافع عاكف بنشره عن الإسلام والمسلمين فى كل انحاء العالم . وايد فكرة الجامعة الاسلامية ، ويمكن تقسيم نشر عاكف إلى انواع منها : تفسيره وترجمته لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، شرحه للأحاديث النبوية ، مواعظه ، مقالاته ، ترجماته ورسائله .

تفسيره وترجمته لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية

تنقسم اعمال محمد عاكف فى هذا المجال إلى قسمين : التفسير بعنوان " التفسير الشريف " وترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية .

اما التفسير الشريف : (١) فهو عبارة عن تفسير بعض الآيات والسور المختارة . وكان عاكف يراعى فى اختيار الموضوع حوادث عصره وحاجات المسلمين فى تلك الأيام واعطى لهم معلومات قيمة فى ظل تفسيره للآيات القرآنية ، ووجههم توجيهها سليما عن طريق إثارة وجدانهم . وفسر الآيات تفسيراً وجيزاً ونشرها فى مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد .

وينقسم التفسير إلى نشر وشعر ، واختار من تفسيره المنظوم ثمانى عشرة منظومة ونشرها فى ديوان صفحاته كما تحدثنا سابقاً ، وكان يفسر بعض الآيات والسور فى صورة مقالات ، وينشرها فى أول صفحة من مجلتى الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ، وجعل العنوان العام " التفسير الشريف " ثم يكتب " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم يذكر الآية أو السورة التى يريد تفسيرها ، ثم

(١) جمع عمر رضا بعضاً من تفسير عاكف واخرجه فى كتاب بعد أن رتبته وسماه " من آيات القرآن الكريم " واخيراً جمع اريطغول دوزداغ تفسيرات عاكف واخرجها فى كتاب بعنوان " التفاسير لمحمد عاكف " .

يشرح معانى الآية أو السورة ثم يفسرها تفسيراً فكرياً حركياً . وسوف نذكر نماذج منها فى الباب الثالث . ولم يراع عاكف ترتيب السور والآيات ، ولم يكن فى منهجه التفسيرى استيعاب جميع آيات وسور القرآن . بل اختار آيات وسوراً معينة ليحاول من خلال تفسيره حلّ مشاكل أيامه وتوجيهها . ومن بين موضوعاته تفسير سورة الفاتحة ، وفسر قصار السور بكاملها . واختار مئات الآيات من السور الأخرى (١) .

ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية :

كان السلطان عبد الحميد الثانى يمنع منعاً باتاً ترجمة معانى القرآن إلى اللغة التركية (٢) . وبدأ بعد اعلان الحرية سنة ١٩٠٨ بعض الكتاب الأتراك فى ترجمته إلى اللغة التركية وسط مقاومة بعض العلماء .

وبعد اعلان تأسيس الجمهورية التركية طلبت رئاسة الشئون الدينية فى انقرة من عاكف أن يترجم معانى القرآن إلى اللغة التركية ، فاشفق عاكف على نفسه وأبى وتعلل بأن امامه قصصاً يود أن ينظمها ، فلم يقبل عذره وتوسلت رئاسة الشئون الدينية بصديقه الحميم الأستاذ احمد نعيم . فاضطر عاكف أن يذعن كارها ، يقول عمر رضا : والحق أن إياه الاضطلاع بترجمة القرآن أول الأمر كان من اجلاله الكتاب الكريم واعتقاده أن انساناً لا يستطيع أن يوهدي ترجمته على الوجه الجدير به مهما أوتى من العلم والبيان . وكان كلما سئل عن الترجمة قال : لم أقدر عليها . إنها لم ترضنى فكيف ترضى غيرى وقضى الاستاذ سبع سنين فى مصر وهو فى شغل شاغل عن ترجمة معانى القرآن

(١) انظر التفاسير لمحمد عاكف ترتيب ارطغرول دوزداغ ، من آيات القرآن الكريم ، ترتيب عمر رضا : ١٧-١٥٨ ، ملاحظات : محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٦٦٠ .

(٢) كتب طه الولى تحت صورة السلطان عبد الحميد الكلمات التالية بالخليفة العثمانى الذى حمى بيضة الإسلام طوال حكمه من المؤامرات الغربية والمناورات الاستعمارية ، وحفظ للقرآن الكريم أصالته العربية المعجزة بموقفه الحازم ضد الذين حاولوا ترجمته إلى اللغة التركية بوحي من اليهودية العالمية (الإسلام والمسلمون فى ألمانيا بين الامس واليوم : ٥٧) .

وكانت النتيجة ما رأينا. فقد ضاعت تلك السنون وحرم الأدب التركي من اثر خالد
حدثني الاستاذ رحمه الله : أنه كان كارها احتمال هذا العبء وأن اصدقاءه
قالوا له : اذا لم يكن بدّ من ترجمة القرآن فليس لها غيرك ، وأنه أكمل
الترجمة وأراد أن تنشر معها تفسيرات فى الحاشية وابت حكومة انقرة أن يكون
مع الترجمة تفسير فأبى الاستاذ أن يعطيهم ما ترجم وانتهى الأمر .

وبعد أن ثبت أن لعاكف جهودا فى التفسير لا بد ان ننوه هنا
بترجمته معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية وتفوقه فى علم التفسير وفسى
استنباط معانى القرآن ، وترجمته ، مما يدل على توفيق الله له فى فهم القرآن
وطول باعه فيه ولعل ثناء العلماء عليه يشهد لما نقول ، يقول عبد السلام فهمى
نظرا لشهرته الفاتحة كأديب تركى كلفته الحكومة التركية بأنقرة بترجمة معانى
القرآن إلى اللغة التركية . وذكر أن الأمانة التى تحمل عبئا - أى قبوله هذا
الاقتراح - شاقة وعسيرة وتحتاج إلى أديب لديه إمام كامل باللغة العربية
أولا ثم التركية ليستطيع صياغة المعانى القرآنية فى جمل سليمة^(١) . وعندما
نوى عاكف السفر إلى مصر آخر مرة كلف من قبل رئاسة الشؤون الدينية بترجمة
معانى القرآن إلى اللغة التركية ورفض عاكف هذا العمل فى بداية الأمر وبعد
الحاح اصحابه وافق على المطلوب وبدأ ترجمته واستمر عليها فى مصر ، ولكنه
امتنع عن ارسال الاجزاء المنتهية وتسليمها إلى رئاسة الشؤون الدينية بحجة
أنه يرى ضرورة تغيير بعض الكلمات والتصحيحات واطافة بعض الهوامش التى
مز شأنها اقناعه بصحة عمله قبل أن يسلمه إلى المسئولين ولكن المسئولين
كانوا يستعجلون الأمر ويريدون طبع الترجمة بسرعة ، وأخيرا قرروا فسخ العقد
مع عاكف وعينوا الشيخ محمد حمدى الماللى للتفسير والترجمة .

اما ترجمة عاكف فيقول أشرف اديب : عندما سافرت إلى مصر سنة
١٩٣٢ كنت من ضيوف عاكف ، وقرأت الترجمة من أولها إلى آخرها . كان
يبيض بيده ويعمل هصصوامش فى مواضع كثيرة ، وحينما قرأتها ادركت
اهميتها وقوة عاكف فى الربط بين الآيات بحيث تحس بعدم الانفصال بين
الآيات فى السور ، ولا تحس مللا ، كأنها شعر ، اصبح سهلا ممتعا ، هناك فرق
كبير بين ترجمته وترجمات غيره ، ومن يطلع يدرك قدرة عاكف وتفوقه فى الترجمة^(٢) .

(١) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٨-١٩ .

(٢) محمد عاكف لا شرف اديب : ١ / ١٠٥-١٠٦ وما بعد ها .

ولم يرض عاكف عن نشر الترجمة ، وحينما سئل عن سبب عدم موافقته قال : انا ما اعجبت بها فكيف أنشرها . اكملت الترجمة ، وصححتها مرتين من أولها إلى آخرها . وبحثت عن اخطائها ، ورغم ذلك لم يطمئن قلبي " وذلك أن احترامه لكتاب الله أدى به إلى التفكير الطويل في الكلمات المناسبة للتعبير عن المعنى وحينما عاد إلى استانبول سنة ١٩٣٦ ، ترك الترجمة عند أحد العلماء من اصحابه وهو محمد احسان "يوزقاتي" ، وقال له في وصيته : " إن عدت مرة أخرى أكمل مانقص منها ثم انشرها وإن متّ ولم ارجع فأنت تحرقها" . يقول اشرف اديب : حينما كنت مقيما في مصر كان عاكف يريد تصحيحها واطافة الهوامش إليها ، ثم يدفعها إلى هيئة علمية للتصحيح النهائي وبعد ذلك ينوى طبعتها ، كما عمل مولانا محمد علي في ترجمته الإنجليزية . يضع المصحف في وسط الصحيفة وفي الجانب الترجمة وفي الهامش تفسير وايضاح . ولكن فكرة الانقلاب تفتت حتى شملت العبادات فقامت ترجمة القرآن إلى اللغة التركية مقام الأصل العربي في القراءة واداء الصلوات . وحين سمع عاكف بهذا ، ندم على كل ما عمله وقال : لهذا يطلبون مني ترجمتي ؟ وخشى من العاقبة ، لأن انصار الصلاة بالقرآن المترجم إلى اللغة التركية بدأوا يجربون اقامة الصلاة نفسها باللغة التركية ويقرأون القرآن بالتركية مترجما . وكانت الترجمة مليئة بالاطاء والتحريفات وهي ترجمة " جميل سعد" من اللغة الفرنسية . لاتراعى الاحترام والأدب مع المشاعر الاسلامية . وكان يقرأ في المساجد بأمر من المسئولين بالأجرة . ولم تلتفت إليهم جماعة المصلين بل تركوهم لإقلّة قليلة حضروا لمشاهدة ما حصل . ويهد أيام فهم القراء أخطاءهم ولم يستمروا في عملهم . ولم يتابع الانقلابيون هذا المشروع في تلك الفترة أي سنة ١٩٣٢ ، يقول اشرف اديب : كانت العملية عبارة عن اختبار . وفي حال نجاحهم سيجعلون الترجمة مقررة في الصلوات وتقوم الترجمة مقام أصل القرآن الكريم . وهوؤلاء الذين حاولوا تحقيق هذا الهدف ارادوا أن يعملوا في الاسلام ماعمله LUTHER " لوثر" في المسيحية والفرق الوحيد بينهما ، أن لوثر كان رجل دين ولكن المغامرين الثوريين كانوا رجال سياسة وماسونيين . ومن اسباب عدم نجاح المغامرة - عدم وجود ترجمة سليمة يعتمد عليها المسلمون . ولو وجدت ترجمة يثق المسلمون بصحتها لسهل الأمر عند الثوريين فقالو لأنفسهم : هناك ترجمة لمحمد عاكف نأخذها ونجعلها مقررة في المساجد ، لأن الشعب يثق بصحتها

ولا يعترض أحد عليها وهذا اسهل الطرق لنجاح الخطة. ولذا حاولوا بكل الطرق أن يأخذوا الترجمة من عاكف" (١). وحينما علم عاكف بالموءامرة اصبح فى دهس وقال : هل أرتكب أفحش الاخطاء فى آخر حياتى ، واخالف أمر ربهى ؟ ما اعظم هذه المعصية التى كنت على وشك الوقوع فيها ! وقد وافقت على الترجمة رغم مسئوليتها الكبيرة لخدمة الإسلام و القرآن . ولكن ماذا أرى ؟ ! يلغى القرآن وتجعل ترجمتى فى مقامه ، ثم يلعننى المسلمون إلى يوم القيامة ؟ يا عاكف : كيف تكون لعبة فى ايدى المتآمرين ، وكيف تكون آلة فى لعبة الماسون ؟ . هكذا فكر عاكف وأسف كثيرا وقرر ازالة ترجمته ازالة كاملة وأوصى بحرقها . واطمأن قلبه بهذا القرار النهائى ، لأن مخططى الموءامرة لن يستطيعوا الوصول إلى ترجمته . فقد ترك الترجمة خارج بلاده فى مصر، وفى يد انسان ثقة، عمل كما طلب منه واحرقها . يقول اشرف اديب : ذهبت إلى مصر واتصلت بالاستاذ احسان ، وعبرت له عن التوجه العام إلى ترجمة عاكف وطلبتها منه للطبع والنشر . ولم يرض..، قلت : هناك طريقة أخرى لتنفيذ وصية عاكف، نستنسخ من ترجمته نسخة وأنت تحرق الاصل لتنفيذ الوصية . واجاب الاستاذ احسان قائلا : كان عاكف ادرى منى ومنك بما يلزم عمله . أنا لن اتلاعب بوصيته . ارجو الأتتكم فى هذا الموضوع بتاتا . ورفض كل اقتراحاتى . وحاول عمر رضا صهر عاكف الوصول إليها باقامة دعوى فى المحكمة على أساس أنه وارث لعاكف ولكنه لم يصل إليها أيضا عن طريق المحكمة (٢). ونشير هنا إلى بعض المحاولات الرسمية لأهميتها فى موقف عاكف من مصطفى كمال ، يقول مدحت جمال : زار حقى طارق أوس (٣) الشاعر عاكفا فى صيف سنة ١٩٣٦ أيام مرضه وبعد هذه الزيارة سألت حقى طارق عن سبب الزيارة ، فاخبرنى قائلا : كنت ليلة اسر مع مصطفى كمال ودار الكلام فى الجلسة عن عودة عاكف إلى استانبول وعن ترجمة القرآن ، ومغادرة عاكف بلاده لئلا يلبس القبعة ، وعدم اعطائه الترجمة بعد تغيير الحروف لئلا يطبع كتابه بالحروف اللاتينية . . الخ واعترف حقى طارق أنه جاء إلى عاكف مندوبا رسميا عن مصطفى كمال لطلب الترجمة منه فقال : اخذت عنوان عاكف وجئت لزيارته . . وبدأت اشرح له أننا تكلمنا مع مصطفى كمال فى موضوع ترجمة القرآن ، وأن عاكفا إذا أعطاهم الترجمة

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٠٠-٢٠١ . (٢) المرجع السابق : ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) مدير شؤون الاعلام والنشر آنذاك .

فسوف يكون مصطفى كمال مسرورا ، وسوف يتحقق أمل من آماله حين يرى الترجمة
وقلت له : سوف تكون أنت مسرورا بسرور مصطفى كمال ،

فأجابه عاكف قائلا : تركت ترجمتي في مصر عند شخص من الناس ،
وعلمت أخيرا أنها عطاها إلى شخص آخر ، وحتى الآن لم يستردها من الشخص
الأول ، ومن ناحية أخرى انني لم أرض عنها . فإن تحسنت حالتني الصحية فسوف
اترجم مرة أخرى جزءا ، واقدمه ، فإن أعجبنى فسوف استمر في الترجمة فأجابه
حقى طارق : يا استاذ انكم بسبب تواضعكم تتكلمون هكذا ، لا مانع من
مراجعتها مرة أخرى وتغييرها . نحن لا نتفق معك في رأيك ، ولو كنت أنت
غير مطمئن لها فنحن لا نتصور وجود ترجمة أحسن من ترجمتكم . ومادام الأمر
كما تقول ، فسنحاول أن نحصل عليها بطريقة رسمية لتكون ترجمتكم أساسا في
ترجمة الآخرين . وهكذا تصل الترجمة إلى يدكم وبلادكم . سامحونا نبدا
بمراجعة الشخص الأول الذي استلم منكم الترجمة . ولكن عاكف لم يرد أن تصل
الترجمة إلى ايدي المسئولين في تركيا . فلم يصرح باسم أي شخص من الاشخاص
بل استمر على اصراره الأول في عدم اعطاء ترجمته إليهم . ويقول حقى طارق :
توسعت في الكلام وقلت له : إن ذهابه إلى مصر واقامته فيها لكيلا يلبس
القبة اصبحت سببا في انتشار الاقوال المختلفة في المجتمع (١) ، وحاول حقى
طارق محاولات أخرى للوصول إلى الترجمة عن طريق اقارب عاكف واولاده ووضع
خططا لذلك معهم منها : أنه عقد اجتماعا معهم ولقنهم أن يطلبوا الترجمة
من عاكف ، فإن مصطفى كمال سوف يدفع عشرة آلاف ليرة تركية مقابل تسليم
الترجمة إليهم . وقد اجتمع زوج بنته عمر رضا ، وبنته الأخرى فريدة ، ومن
المقربين إلى عاكف " خير الدين كاران " وزوجته السيدة سهيلي وذهبوا إلى
زيارة عاكف ، وتكلموا عن ترجمته وطلبوها وذكروا له أن مصطفى كمال سوف يدفع
له عشرة آلاف ليرة تركية . وحين سمع عاكف كلامهم اسف جدا على هــ
الاقتراحات ، واسباه ؛ فان اقرب اقاربه عاجزون عن ادراك شخصيته توجهه
إليهم وهو مريض وقال لهم : إنني انسان فقير واربعة آلاف من المبلغ المقرر
كثير فكيف بالزيادة عليها ؟ إذا تحسنت حالتني فسوف أعود إلى مراجعتها

(١) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٣٠ - ٢٣٣ ، (والمقصود بهذا الكلام
هو التهديد من جانب حقى طارق لعاكف لعله يلين ويوافق على
تسليمهم الترجمة) .

ثمرة أخرى ، وقد حاول وزير المعارف أيام الحرب العالمية الثانية حسن على بوجال الوصول إلى الترجمة أثناء زيارته لمصر والتقى بالاستاذ احسان ، فقال له هذا الأخير : إن المرحوم محمد عاكف اعطاني ترجمته واوصاني بهـ هذه الوصية: " إن تحسنت صحته أردّها إليه وان مات أحرق الترجمة ، وحينما وصل إلى خبر وفاة عاكف أحرقتها مباشرة" (١) وقد كان عاكف مصيبا في عمله ووصيته ، لأن الواقع كان مطابقا لما كان يخشاه ، وقد حاول الثوريون مرة أخرى أيام رئاسة عصمت اينونو بعد مصطفى كمال ، وادركوا في النهاية أنهم لن يتمكنوا من الحصول على ترجمة عاكف ، فعينوا " شرف الدين يلطقايا" في رئاسة الشؤون الدينية ، وطلبوا منه ترجمة القرآن لتحقيق الانقلاب في هذا المجال . وكان ذلك بتوجيه من د . عدنان أديوار الماسوني الوسيط بين الماسونيين الأتراك والماسونيين الغربيين . وبعد اللقاءات المستمرة مع رئيس الجمهورية عصمت اينونو ، عمل شرف الدين ترجمة لقصار السور وأخيرا لم يكتب لهم النجاح (٢) . وكان المقصود : اخراج شيء يقال له ترجمة القرآن وأن تحل هذه الترجمة في اذهان العامة محل القرآن نفسه ويكتفوا بها عن قراءة القرآن في الصلاة وتلاوته على وجه التعبد ، دون أن يدرك الشعب أنه يتعبد بغير ما انزل الله . يقول محمد رجب البيومي : فنعلن أن عاكف قدم إلى مصر فاقام بحلولا زمنا شغل فيه وقته بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية وقد أتم الترجمة بعد جهد شاق متحرز وأخذ يراجعها حذرا متشككا ثم تعاضمه أن يقع في خطأ غير مقصود فيحمل على القرآن ما لا يريد ، وتجسد شكه أمامه فطوى الترجمة عن الناس وذهب جهده الشاق ادراج الرياح " ولا شك أن عاكفا كان يتحرز من أن يقع في خطأ ، ولكن السبب الحقيقي في رفضه نشر ترجمته هو السبب السياسي ، فقد خشي من أن تقع ترجمته في يد انصار الصلاة بالقرآن المترجم . وليس صحيحا قول القائل " أن عاكفا اشتغل بالترجمة ولكن ادرك أنه عاجز عنها بسبب عدم كفايته العلمية" (٣) . وقال بعض الكتاب :

" بعدم اطمئنان قلب عاكف إلى ترجمته كما ينبغي" (٤) ولكن السبب الحقيقي هو السبب السياسي (٥) كما أشرنا من قبل وليس خوفه من عدم استطاعته الترجمة

(١) رواية شاعر إسلامي ، لمحمد أمين : ٣٩٢-٣٩٤ بتصرف .

(٢) محمد عاكف لاشرف أديب : ٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) دائرة المعارف لجريدة تركيا : ٣٢٧/٢

(٤) محمد عاكف لجميل سنا : ١٧٠ (٥) انظر أثار السنين : ١٤٤-١٤٥ .

فى الوقت المتاح له ، ولم يترك الترجمة عند حسن افندى كما يظن البعض (١) ، بل تركها عند محمداحسان افندى وهو الذى احرقها عملا بوصية عاكف له .

شـرحه الاحاديث :

اختار عاكف بعض احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرحها ، اما نثرا واما شعرا فى قصائده وحاول من خلالها أن يسهم فى حل مشاكل المسلمين ويشارك فى أحداث أيامه . ومن بين الموضوعات التى تناولها من خلال الشرح : بيان الأخوة الاسلامية ، والتحذير من الفرقة ، والحث على الوحدة والجهاد ، وكان يشرح الأحاديث تحت عنوان " الحديث الشريف " .

أما أسلوبه فى التفسير والشرح ، فلم يكتب عاكف تفسيره بالأسلوب القديم ، بل كان يختار الآيات والاحاديث ويتخذها موضوع مقالته أو منظومته ويحاول توجيه القراء بتفسيره أو شرحه توجيها سليما ولذا لا تعتبر تلك التفاسير شيئا مهما من ناحية علم التفسير المعروف لدى اهله ، ولكنه كان مهما جدا من ناحية الفكر والحركة فى مواجهة قضايا عصره . ويبدو من بعض ترجماته أنه استفاد فى تفسير بعض الآيات والسور من كتب محمد عبده ومقالاته ولكنه لم يوافق فى جميع آرائه كما سنفصله فيما يلى من الفصول ، بل اختار فى تفسيره للآيات ما يوافق قول الجمهور . وقد استمر فى كتابة ونشر تفسير الآيات وشرح الأحاديث من سنة ١٩١٢ إلى ١٩١٩ فى مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد (٢) .

مواعظه : (٣)

شارك عاكف بمواعظه وخطبه ومحاضراته فى الجهاد ، أولا فى حرب

- (١) انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٩٩-١٠٠ .
 (٢) من العدد : ١٨٣ لجزء ٨ ، إلى العدد : ٤٤٨ لجزء ١٨ .
 (٣) نشر ارطغرول دوزداغ مواعظ عاكف فى كتاب بعنوان " مواعظ لمحمد عاكف انظر ايضا : مواعظ وخطابات حرب الاستقلال : ٤٤١-٤٢٩ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ٦٥٩/١ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨١ ، ٨٩ ، رواية شاعر اسلامى لمحمد امين : ٤١٩ .

البلقان ثم فى الحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال. وله مواعظ وخطب كثيرة ، وسوف نتناول فى هذه الدراسة تسعة من مواعظه لأنها منشورة ، ولم ينشر شيئاً آخر غيرها ، وهى مما كان يلقيه عاكف فى المساجد ثم ينشر فى المجلات والكتب : نشر موعظة بعنوان " الاتحاد يحى والتفرقة تميت " فى كتاب " المواعظ الدينية " من منشورات الهيئة العلمية لجمعية الاتحاد والترقى ، نادى حى شيخ زاده باشى باستانبول سنة ١٩١٢. ويبدو أن عاكفا ألقاها أولاً فى النادى المذكور ثم نشرت ضمن منشورات النادى. وهناك ثلاث مواعظ ألقاها عاكف أيام حرب البلقان فى مساجد استانبول : موعظته فى مسجد بايزيد فى ١٩١٣/١/٣٠ التى نشرتها مجلة سبيل الرشاد العدد : ٢٢٩ ، وموعظته فى مسجد السلطان محمد الفاتح فى ١٩١٣/٢/١٣ التى نشرتها مجلة سبيل الرشاد العدد : ٢٣١ ، وموعظته فى مسجد السليمانية فى ١٩١٣/٢/٢٠ التى نشرتها المجلة المذكورة العدد : ٢٣٢ ، تكلم عاكف فى تلك المواعظ عن اسباب ضياع البلاد الاسلامية ، ومساوىء تلك الحروب ، وضلال فكرة القومية ، وضرورة تأييد الدولة العثمانية والأخوة . أما موعظته فى مسجد زاغنوس باشا بمدينة قراسى (بالى كثير) فقد ألقاها فى ١٩٢٠/١/٢٣ وندد فيها بالاستعمار ، وحذر المسلمين من الكسل ، ونشرت فى مجلة سبيل الرشاد العدد : ٤٥٨ ، وموعظته فى مسجد نصر الله بمدينة قسطامونى ألقاها فى ١٩٢٠/١١/١٩ ، وشرح فيها نتائج الاستعمار ومعاهدة " سيفر " ومساوئها وحث الناس على الجهاد ونشرتها المجلة المذكورة فى العدد : ٤٦٤ ، وألقى موعظة فى بعض قضاء مدينة قسطامونى نشرتها مجلة سبيل الرشاد فى العدد : ٤٦٥ بتاريخ : ١٩٢٠/١٢/٣ ، وموعظة فى مسجد بإحدى ضواحي مدينة قسطامونى نشرتها مجلة سبيل الرشاد فى العدد : ٤٦٦ بتاريخ : ١٩٢٠/١٢/١٣ . وموعظة فى مسجد بالمدينة المذكورة نشرتها مجلة سبيل الرشاد فى العدد : ٤٦٧ بتاريخ : ١٩٢١/٢/٣ ، والمنشور من هذه المواعظ عبارة عن ملخصات لها وليس النص الكامل لها. ولا شك انها نشرت بعد تصحيح عاكف وموافقته لأنه كان رئيس التحرير فى المجلة المذكورة ، وقد تجول عاكف بعد وصوله إلى انقره فى مدن الأناضول وتكلم فى المساجد والميادين وارشد المسلمين وحذرهم من " تقليد الكفار " ومن " اليأس " و " القعود عن الجهاد " و " اتخاذ الكفار بطانة " . . . الخ . وسوف نفصل مواعظ عاكف وارشاداته فى

الفصل الأول من الباب الثالث بعد أن ذكرنا هنا شيئاً اجمالياً عنها .

مقالاته : (١)

يمكن تقسيم مقالات عاكف إلى قسمين ، الأولى : مقالاته وكتاباتـه الانشائية . والثانية : مقالاته المترجمة من بعض علماء ومفكرى العالم الاسلامى وكتب هنا عن مقالاته الانشائية الشخصية فى موضوعات مختلفة .

كتب عاكف أول مقالاته فى ١٨ / ١١ / ١٩٠٨ تحت عنوان " تبشير مهم لطلبة الجامعة " أثنى فيها على الاستاذ على فهمى - مفتى مدينة هرسك - بعد تعيينه استاذاً للأدب العربى فى الجامعة . وبعد ذلك استمر عاكف فى نشر مقالاته فى موضوعات عديدة . وعبر عن فكره ومعارفه وثقافته باخلص تعبير فى تلك المقالات .

ترجماته :

ترجماته من اللغة العربية :

ترجم عاكف عدة كتب ومقالات مما كان ينشر فى أيامه فى البلاد الاسلامية خصوصاً فى مصر . ومن بين هؤلاء العلماء الذين ترجم عنهم عاكف كتاباً أو مقالات : محمد عبده ، عبدالعزيز جاويش ، فريد وجدى ، عزم زاده رفیق ، الشيخ شبلى ، سعيد حليم باشا ومحمد اقبال . ويصل عدد المترجمات إلى ستين مابين كتاب ومقالة نشرت فى مائتين وستين حلقة من مجلة " الصراط المستقيم " التى اصبحت بعد فترة " سبيل الرشاد " ، ونشر بعض ترجماته فى كتاب مستقل مثل " المرأة المسلمة " لفريد وجدى و " دفاع الشيخ محمد عبده عن الإسلام ضد هجمات هانوتو " و " الجواب على الكنيسة الانجليكانية لعبدالعزیز جاويش .

ترجماته من الشيخ محمد عبده : وقد بدأ عاكف ترجماته منه اعتباراً من ٢٧ / ١٠ / ١٩٠٨ واستمر إلى عام ١٩١١ ، ونشرت بعض الترجمات مرة أخرى

(١) نشرت مقالات محمد عاكف فى كتاب مستقل مرة من قبل عبد كرىم عبد القادر اغلو ، ومرة من قبل ارطغرول دوزداغ .

في عام ١٩١٣ ، وكان بعض هذه الترجمات عن مقالات منشورة في مجلة " العروة الوثقى " (١) وبعضها لكتب مؤلفة منها : ترجمة " دفاع الشيخ محمد عبده عن الإسلام ضد هجمات هانوتو " وقد استغرقت هذه الترجمة (١٢) حلقة في مجلة الصراط المستقيم ، ثم جمعها عاكف ونشرها وقال في مقدمته : " كتب هانوتو - وهو وزير الخارجية الفرنسية سابقا ومبشر نشيط - مقالا في ذم المسلمين وعقائدهم ، ونشرها في جريدة لو جورنال *la Journal* الصادرة في باريس ، وترجمت تلك المقالة في ذلك الوقت من قبل " المؤيد " إلى اللغة العربية ، وحينما اطلع محمد عبده على تلك المقالة ، كتب رده عليها ونشره في جريدة " المؤيد " . ويضيف عاكف قائلا : " نحن نورد في ترجمتنا هذه مقال هانوتو أولا كما هو ، ثم نذكر رد الشيخ محمد عبده عليه ، لأننا إن لم نعرف مقاله هانوتو ، لم نعرف موضع الجواب في قول الشيخ ، ومن جهة أخرى إن لم نفعل هكذا لاندرك درجة صحة جواب الشيخ ، وكنا نودّ الحصول على اصل المقال الفرنسي لهانوتو ، ولكن بسبب الصعوبات امانا اكتفينا بترجمتها عن الترجمة العربية " وكان عاكف يعطى اهتماما كبيرا لهذا الكتاب ولذا نشره أولا على حلقات في المجلة ثم نشره كتابا مستقلا ، أما ترجمته لتفسير سورة العصر عن محمد عبده فنشرها في مجلة الصراط المستقيم ولم ينشرها في كتاب ، وأما ما ترجمه من مقالاته فهو منشور في مجلة الصراط المستقيم (٢) .

ترجماته من عبد العزيز جاويش : (٣) ترجم عاكف عن عبد العزيز جاويش اكثر من غيره وبدأ بترجمة كتابه بعنوان القومية والدين ، والإسلام والحضارة وهي رسالة ترجمها ونشرها على حلقات في مجلة سبيل الرشاد في الاعداد من ٣٣٥ إلى ٣٤٠ . و " أسرار القرآن " : ترجم عاكف بعض اقسام منه ونشرها وهذه اطول ترجمة استمر نشرها فترة طويلة أحيانا بعنوان " تفسير القرآن الكريم " وأحيانا بعنوان " أسرار القرآن " . و " امراض العالم الاسلامي ودواؤها " وهو كتاب قيم ترجمه عاكف ونشره على احدى عشرة حلقة في مجلة

(١) انظر عناوين المقالات بالتفصيل في مجلة العروة الوثقى من : ٩ إلى ١٨٢ .

(٢) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٦٦٥-٦٦٦ ، انظر اعداد المجلة

بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٢ .

(٣) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٦٦٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ .

سبيل الرشاد فى الأعداد ما بين : ٣٥٥-٣٦٧ بين سنتى ١٩١٦-١٩١٨ وترجم مقالا فى " الخلافة الاسلامية " و " اضرار المسكرات فى حياة البشر " :
 نشر على حلقات فى الاعداد : ٥٢٢-٥٢٧ بين تاريخ : ١٨/١/١٩٢٣ ،
 و٢٢/٤/١٩٢٣ ، وترجم رسالته إلى الكنيسة الانكليكانية واستمر نشرها
 ثمانيا وعشرين حلقة فى الاعداد : ٥٢٧-٥٩٢ وطبعت فى استانبول سنة
 ١٩٢٤ وموضوعها : الدفاع عن الإسلام . وهناك مقالات مثل : حقوق المرأة
 فى الإسلام و الجندى المسلم ، كان عاكف يكتب تحت بعض ترجماته لقبه
 " سعدى " ويترك بعض ترجماته بلا توقيع .

ترجمته من فريد وجدى (١) : ترجم عاكف عن فريد وجدى عدة ترجمات
 بعضها من كتبه والبعض الآخر من مقالاته ومنها : " المرأة المسلمة " وقد بدأ
 عاكف ترجمته عن فريد وجدى بترجمة هذا الكتاب سنة ١٩٠٨ ، واستغرق نشره
 سبع عشرة حلقة فى مجلة الصراط المستقيم فى الاعداد : ٣-٩ ثم طبع
 فى استانبول سنة ١٩١٠ ، واعيد طبعه عدة مرات بالحروف العربية واللاتينية
 وكتب عاكف مقدمة موجزة فى أول هذا الكتاب وأوضح فيها سبب اختياره للترجمة
 وعبر عن معارضته آراء قاسم امين فى كتابه " المرأة الجديدة " و " تحريـر
 المرأة " (٢) . وهناك ترجمات أخرى من المقالات والرسائل فى الحضارة الاسلامية
 استغرق ترجمتها احدى وثلاثين حلقة .

ترجمته من عزم زاده رفيق : ترجم عاكف من عزم زاده رفيق - من علماء
 دمشق - مقالين ونشرهما فى مجلة الصراط المستقيم العدد : ٨٢-٨٤ ، بين
 ٣٠/٣/١٩١٠ ، ١٤/٤/١٩١٠ .

ترجمته من سعيد حليم باشا : وترجم عاكف من سعيد حليم باشا كتابين
 الأول : " الدفاع عن الإسلام " من اللغة الفرنسية ، والثانى بعنوان " المؤسسات
 السياسية فى الإسلام " ونشرها على ثمانى حلقات فى مجلة سبيل الرشاد
 العدد : ٤٩٣-٥٠١ بين ٢٦/٢/١٩٢٢ ، ١٣/٥/١٩٢٢ ومن —
 موضوعاته : المجتمع فى الإسلام ، مبدأ حاكمية الشريعة ونتائجه ، المجتمع الغربى
 - لاصول السياسية فى الغرب ، الاصول السياسية فى الإسلام ، حق التشريع ،

(١) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١/٦٦٤-٦٦٥ .

(٢) انظر المرأة المسلمة ، ترجمة محمد عاكف : ١

القوة التنفيذية (١) .

ترجماته من الشيخ شبلي (٢) النعماني (١٨٥٧-١٩١٤). وقد ألف جرجي زيدان كتابا بعنوان " تاريخ الحضارة الاسلامية " وفيه اخطاء كثيرة أبرزها الشيخ شبلي النعماني - من مؤرخي وعلماء بلاد الهند - وقد ترجم عاكف هذا النقد والرد إلى اللغة التركية ونشره في مجلة الصراط المستقيم في الأعداد : ١٨٧-٢٠٩ ، يقول عاكف : ترجم كتاب جرجي زيدان إلى اللغة التركية ، ونقد كثيرا في مصر وروسيا ، واصبح لهذا الكتاب موقع كبير في بلادنا واتخذة كتابنا مرجعا اصليا لهم ، وزعم محمد رشيد رضا : " ان الاخطاء الموجودة في الكتاب ليست متعمدة " بل السبب في نظره : " عدم فهم المؤلف بعض المسائل " ، ورد عاكف على رشيد رضا ثم قال : وقد حصلنا على رد للشيخ شبلي يرد فيه على كتاب جرجي زيدان " ووجد عاكف بترجمته ثم ترجمه ونشره في مجلة سبيل الرشاد (٣) .

ترجماته من اللغة الفارسية :

ترجم عاكف عن الشاعر الحكيم ثنائي سنة ١٨٩٨ ابياتا من الفارسية إلى التركية (٤) ، وله ترجمات من محمد اقبال ، ولكن تلك الترجمات عبارة عن ابيات أوجز من قصيدة . وترجماته من سعدى اكثر . ثم يأتي في الدرجة الثانية ترجماته من مولانا جلال الدين ، ولم تكن ترجماته عنهما ابياتا متفرقة ، بل ترجم قصائد بكاملها نظما ، ونشرها في ديوان صفحاته ، ولم ينس عاكف الاشارة إلى كونها لسعدى أو لجلال الدين الرومي خلال ترجماته عنهما . ويضاف إلى ذلك ترجماته من سعدى بعض كتاباته على شكل مقالات ، ونشرها على حلقات بعنوان " بدائع العجم " وقد نشرها أولا في بعض المجلات ثم نشرت ضمن بعض الكتب (٥) . وترجم عاكف عن سعدى قصيدة سماها

-
- (١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٦٦٩/١ .
(٢) انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٤٨ .
(٣) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٦٦٦/١ .
(٤) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٤ .
(٥) آيات من القرآن الكريم ترتيب عمر رضا : ٢٥٥ .

" لن نتوقف " (١) وهى فى الحث على العمل ، يقول حسن بصرى : ترجمها عاكف واطاف إليها من علمه وحكمته وهى نظم مفيد جدا" (٢) ومن ترجماته عنه قصيدته المسماة " مشكلة المعيشة " (٣) وأخذ عاكف إلهامه فى كتابتها عن بيت من ابیات سعدى معناه " يضيع العمر فى هذين الامرين ! ماذا نأكل فى الصيف وماذا نلبس فى الشتاء ؟ . ومن ترجماته منه قصيدة بعنوان " العزم " (٤) وبدأ عاكف قصيدته التى كتبها مع صاحبه مدحت جمال بعنوان " شاه عجم " (٥) ببيت من سعدى ، وهناك أبيات أخرى ترجمها عنه عاكف ونشرها فى ديوان صفحاته ، ولا شك أنها ابیات مختارة من سعدى خصوصا من كتابه المسمى بستان - ديوان شعره - (٦) وشارك عاكف فى الحياة الفكرية بترجماته عنه وعن غيره من اللغة الفارسية ، ونشرها فى المجلات ثم فى الكتب .

ترجماته من اللغة الفرنسية :

كان أول ترجمة لعاكف من الفرنسية كتاب " كامى فلا ماريون Camile Flamaron بعنوان Uranie (٧) ونشره فى جريدة "المصور" فى اغسطس - ديسمبر سنة ١٨٩٨ على حلقات وترجم كتاب "الدفاع عن الاسلام" لسعيد حليم باشا من اللغة الفرنسية أيضا ونشره فى مجلة سبيل الرشاد على حلقات ابتداء من العدد : ٣٧٨ إلى ٣٨١ (اى اربع حلقات) من ١٩١٨/١١/١٥ إلى ١٩١٨/١٢/٥ ، وفيه موضوعات عن العقيدة الاسلامية والأخلاق والاجتماعيات والسياسة فى الإسلام . وحينما نشرها اصبحت حديث تلك الأيام . واهتم المثقفون بهذا الكتاب من ناحية الفكر والسياسة وظهر بعض المعارضين وعلى رأسهم النصارى ، خصوصا الأرمن وعلى سبيل المثال كتب ديران كلكيان - رئيس التحرير فى جريدة الصباح واستاذ الحقوق فى الجامعة - : نحن لسنا مسلمين فهل نحرّم حق الحياة فى أراضى الدولة العثمانية ، لأننا لانفكر مثل تفكير المسلمين (٨) . وكان هذا اعتراضا صريحا

- | | | | |
|-------|--|-------|----------------------|
| (١) | ديوان الصفحات : ٢٢ . | (٢) | عاكف نامه : ١٠٢ . |
| (٣) | ديوان الصفحات : ٢٨ . | (٤) | المرجع السابق : ٥٢ . |
| (٥) | المرجع السابق : ٦٢ . | | |
| (٦) | انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٣٢ . | | |
| (٧) | محمد عاكف لاشرف اديب : ٦٦٣/١ . | | |
| (٨) | حياة بديع الزمان سعيد النورسى لجمال كوطاى : ١٠٤ - أيضا : ١٨٤ . | | |

من أحد النصارى على أعمال عاكف ونشاطاته الفكرية و رغم ذلك استمر عاكف فى نشر مؤلفاته وترجماته من اللغات الثلاثة المذكورة .

رسائله :

ارسل عاكف خصوصا بعد هجرته إلى مصر رسائل عديدة إلى أسرته وبعض تلاميذه واصحابه (١). وتكشف تلك الرسائل عن اشياء كثيرة من حياة عاكف وفكره واعماله ، ويلاحظ أن معظم رسائله التى ارسلها إلى اولاده وتلاميذه كانت توجيهية يوجههم عاكف فيها إلى الطريق السليم فى حياتهم عامة ودراساتهم خاصة . وعلى رأس هؤلاء ابناه طاهر وامين ومن تلاميذه ماهر إز وله رسائل أخرى ارسلها إلى تلميذته الأميرة آمنه عباس حليم (٢) . كما ارسل رسائل إلى بعض اساتذته . أما رسائله المنظومة ، فقد نشر بعضها فقط منها ما ارسله من دمشق إلى استاذة السيد ابراهيم - الطبيب العسكري (٣) - وقيل إن عدد تلك الرسائل يصل إلى آلاف ويهنا هنا رسائله المنشورة .

يقول ارطغرول دوزداغ : عرف حتى الآن خمسون رسالة تقريبا لعاكف ونشرت ، ويحتمل أن توجد مئات الرسائل له فى ايدى بعض اصحابه وحينما تنشر تلك الرسائل سوف تظهر جوانب كثيرة من حياة واعمال عاكف خصوصا فى مصر ، وتظهر بعض جوانب من تاريخ الجمهورية التركية ، ومشاكل أيام عاكف وآماله ونواياه (٤). وقد نشرت بعض رسائله المنشورة فى كتابات اصحابه عن حياة عاكف وشخصيته (٥) ، ونرى فى رسائله التركيز على تجاربه فى الحياة ووصاياه للشباب ، ويركز احيانا على الحياة الفكرية ولم أجد فى رسائله وقفا صريحا ضد العلمانية والتغريب والسياسة الحالية فى تلك الأيام ويبدو أنه كان يحذر أن يطلع عليها رجال المراقبة وخشية من المراقبة لم يتناول مسائل بلاده كثيرا . وكان يتحاشى الكلام عن ثورة الجمهوريين

-
- (١) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ٢١٧ ، ٢٥٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ .
 (٢) المرجع السابق : ٣٠٤ ، ٢٢١ ، ٢٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
 (٣) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٣٣ .
 (٤) حياة محمد عاكف وأثاره : ٨٠ .
 (٥) انظر : محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ٥١٦ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٥ ، ٢٩٤ .

ورغم وصوله إلى سن الشيخوخة أيام كتابته هذه الرسائل ، نرى أن قلبه مليء بالآمال في المستقبل (١) . يقول حسن بصرى : ضاعت الرسائل وبعض المنظومات التي أرسلها عاكف إلى مع بعض الاوراق حين أغار الاعداء على استانبول (٢). ولاشك أن هناك رسائل لم تضع بل حافظ عليها بعض الاسر (٣) وسوف تظهر في المستقبل .

الموضوعات التي كان بنو الكتابة فيها ولم يجد الفرصة لكتابتها :

حجة الوداع : كان من أمانى عاكف أن يكتب قصيدة يصف فيها حجة الوداع (٤) ، يقول ماهر إز : كان عاكف يحب أن ينظم الوقائع التاريخية الهامة ، كان عندي كتاب كثر العمال - كتاب الحديث - وطلب مني عاكف هذا الكتاب وبدأ يطالع المواضع المتعلقة بحجة الوداع ، لأنه كان يريد أن ينظم خطبة حجة الوداع ولكن لم يتيسر له هذا العمل (٥) " وهناك رأى يقول : كان عاكف يريد نظم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصور جهاده (٦) ، ونستبعد هذه الفكرة لأن المراجع تتفق على " حجة الوداع " وليس " حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقول حسن بصرى : رغم نيته في كتابة " حجة الوداع " فإنه لم يكتب لأن خوفه من ربه ، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم منعه عن هذا العمل لأنه يخجل من أن يضع نفسه في النظم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب أمة محمد على لسانه عليه الصلاة والسلام ، فهذا هو السبب الاصلى في عدم كتابة عاكف منظومة حجة الوداع رغم الالاحاح المستمر عليه من قبل اصدقائه (٧) . ويبدو انه لم ينظمها تأديبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة إلى الاسباب الأخرى من عدم سنوح الفرصة ، والاشتغال

- | | | |
|-------|---|---|
| (١) | اثر السنين : ٤٤٢ | (٢) عاكف نامه : ١٧ |
| (٣) | انظر ما نشرته مجلتا الاكاديمية عام ١٩٧٥ ، التاريخ والادب ١٩٧٩ . | |
| (٤) | يقول عمر رضا : هذا المشهد التاريخي العظيم الذي يمثل الرسول في حجته الاخيرة يخطب في مائة الف من المسلمين (مجلة الرسالة العدد ١٨٨ الجزء : ١ / ٥) والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج مرة واحدة . | |
| (٥) | اثر السنين : ١٢٥ . | (٦) محمد عاكف لفوزيق عبد الله : ٢١٥ . |
| (٧) | عاكف نامه : ٤١٥ . | |

بالاعمال الأدبية الأخرى ، واعماله الرسمية والجهاد . وابرز خصوصية لعاكف أنه كان يكتب انتاجه بعد مشاهدته الأماكن المتعلقة بالموضوع ولذا اراد أن يكتب عن خطبة حجة الوداع ، ولم يكتب في شأنها بالمطالعات في الكتب والسماع من العلماء ، بل كان يرغب في مشاهدة الأماكن المتعلقة بها ويقول : سوف اذهب إلى مكة وارى الغار الذى نزلت فيه أول آية^(١) ، وكذلك كان يريد أن ينظم قصة تمثيلية في الحروب الصليبية وبطولة صلاح الدين الأيوبي ويصور شجاعة المسلمين المجاهدين^(٢) ، وكان يأمل السفر إلى اسبانيا^(٣) ليرى الآثار الاسلامية ثم يكتب مشاهداته في مدن الاندلس نظما ، وبدت له فرصة فى أيام اقامته في مصر لنيل هذا المقصود وكتب رسالة مطولة عن تفصيلات هذا السفر إلى عاصم شاكر ، ثم كتب رسالة أخرى ذكر فيها عدم تحقيق تلك الأمنية وكان الغرض الأصلي من الرحلة مشاهدة الآثار الاسلامية عين اليقين ، ثم الكتابة عن ضياع المسلمين في السابق ومقارنته بحال المسلمين في أيامه .

وكان من أماله كذلك السفر إلى بلاد الهند^(٤) ، والصعود على جبال همالايا وكتابة ماشاهده منظوما ، ولم تتحقق تلك الأمنية أيضا ، وقد كان عاكف يحترم مسلمي بلاد الهند ويعمل على حمايتهم في استانبول أيام الاستعمار الصليبي لبلاد الهند واستانبول .

وكان يفكر في الكتابة عن جهاد الأناضول وحرب الاستقلال بعنوان " عاصم الثانى " ^(٥) ويجعله ذيلا لكتابه " عاصم " وموضوعه : دور الشباب في الجهاد ، ومن خلال شخصية " عاصم " يكتب عن جميع شباب المسلمين ويصور شجاعة المسلمين المجاهدين في جهاد الاستقلال ولكن لم يتيسر له ذلك .

كتاب باللغة التركية لأولاد العرب : يقول ماهر إز : أرسل إليّ عاكف رسالة من مصر ومن بين ماكتبه فيها : اريد تأليف كتاب باللغة التركية لأولاد العرب ، ولكن إلى أن أنتهى من ذلك ، اطلب منك أن ترسل إليّ كتابا ليكون مقرا للطلبة في الجامعة في مادة الأدب والنصوص " ، يقول ماهر إز

-
- (١) محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٩٨ - ٣٩٩ .
 (٢) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢١٤ - ٢١٥ .
 (٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٠٥ ، ٣٩٨ (٤) المرجع السابق : ٢٠٦ .
 (٥) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١١٦ ، ١١٦ .

ارسلت إليه الكتاب المسمى " الكتابات الجميلة " لسليمان شوكت، ولكن لم ادر شيئا عن عاقبة كتاب عاكف هل انتهى من كتابته أم لا ؟ (١).

ومن ناحية أخرى كان عاكف ضمن " هيئة ترجمة القاموس " ورغم انتهاءهم من مادة " الف " لم تستمر هذه الهيئة في عملها ولم تتحقق أمنية عاكف فسى انها جميع المواد وتكوين قاموس عربي - تركي (٢).

وكان عاكف ينوى الكتابة عن الأحوال المتعلقة بالاطفال بعد حروب الاستقلال ككتب دينية ليقوى الحس الدينى والروح الإسلامى ، ولزيادة معلومتنا الاطفال (٣) ، وقد كتب عاكف إلى صديقه فؤاد شمسى رسالة فسوى ١٩٢٧/٢/١٠ وقال فيها : " فى ذهنى ثلاث أو اربع موضوعات مهمة اريد الكتابة فيها نظما وأرجو أن اكون موفقا إن شاء الله (٤) . ويقول فى رسالته التى ارسلها فى ١٩٣٢/٤/٩ إلى ماهر إز : فى ذهنى موضوعان أو ثلاثة ، أرجو أن أبدأ التأليف فيها فى هذا الصيف (٥) . وكتب إلى الأميرة آمنة عباس حليم - من تلامذته - رسالة فى ١٩٣٥/٤/٢٨ قال فيها : سأحاول كتابة بعض الموضوعات ، والآن أنا مشغول بتصورها وسأحاول كتابتها ، ومن الله التوفيق ، والله على كل شىء قدير ، ننتظر ماذا سيصدر من قلمنا الجامد (٦). وكان يقول فى ايام مرضه فى استانبول : إن تحسنت ظروفى الصحية وقمت من مرضى هذا فسأبدأ كتابة بعض الموضوعات ، وعلى رأسها رثاء لسليمان نظيف . لقد كان رجلا عظيما (٧) ، وفى آخر أيام مرضه لم يكن يستطيع أن يمسك كتابه للتوقيع عليها ويقول : حينما تحسن صحتى سوف اكتب ابياتا من الشعر مقام التوقيع (٨) .

خصائص إنتاجه الأدبى :

تدلنا مؤلفات عاكف على موسوعيته ، ونوجز الدلالات التى تعطىها لنا مؤلفاته السالفة الذكر فى النقاط التالية : تعدد مجالات المعرفة التى

- | | | | |
|-------|-----------------------|-------|--------------------------------|
| (١) | اثر السنين : ١٤٤ . | (٢) | محمد عاكف لفوزيقعيد الله : ٢١٤ |
| (٣) | المرجع السابق : ٢١٥ . | (٤) | محمد عاكف لمدحت جمال : ١٦ . |
| (٥) | المرجع السابق : ٤٦ . | (٦) | المرجع السابق : ٨٨ ، ٨٩ . |
| (٧) | المرجع السابق : ٩٥ . | (٨) | المرجع السابق : ١٥٨ . |

طرقها عاكف ، وكثرة مصنغاته ، وكثير من مقالاته كان الباعث عليها ما يدور حول موضوعها من جدل فى المجتمع . وتعكس لنا آثاره الوانا من الحياة التركىة الاجتماعية والسياسية والفكرية . وتعتبر وثيقة مفصلة للحياة الثقافية والعقائدية فى عصره ، والصدق هو ابرز سمة لهذه المؤلفات ، كتبها عاكف دفاعا عن مبادئه من بها . وهو صادق مع نفسه فى كل ما كتب لأنه لم يكتب بغية كسب دنوى أو مقام ، ويتجلى لقارىه كته إيمانه القوى المتين الصادق بالله وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتمتاز مؤلفاته باستقلال فكرى فى نطاق النص القرآنى والحديث النبوى الثابت واقوال السلف . وقد اثار هذه المؤلفات اهتمام الدارسين فى تركيا عموما ومدارسها خصوصا . كما اثار اهتمام الدارسين فى جامعات بعض الدول العربية لأن عاكف يعتبر فى ذروة التفكير الإسلامى فى تركيا ويظهر هذا الجانب فى مؤلفاته .

يقول محمد عبد اللطيف هريدى : امتاز شعر عاكف بميزتين ربما كانتا السبب فى أن يظل شعره محفورا فى حواظ المسلمين ويؤثر على الاجيال المعاصرة واللاحقة له . إذ تميز بصدق العاطفة وموهبة فنية ألهمت الفكرة ثوبا ادبيا جميلا ، وهو يصف شعره بأنه يخلو من كل صنعة ولا يتميز بشئى سوى الصدق (١) . أسألنى ايها القارىه العزيز ، لأقول لك عن ماهية اشعارى التى تواجهك هى كومة من الفاظ ، والفن فيها الأخلاق فقط ، ولا اعرف التفنن إذ انى لست فنانا يقولون إن الشعر هو دموع العين ولست ارى فى انتاجى إلا أنه دموع عجزى ، اننى أبكى ولا استطيع إلا بكاءه ، أشعر ولا استطيع الافصاح ، وقلبى لا يملك التعبير . أه لو علمت مدى حزنى من هذه الحالة !! إقرأ إن احتجت إلى قلب ذى شعور ، اقرأ لأننى إن كتبت كلمتين فقد كتبتهما لتصوير ذلك القلب (٢) ، هكذا يبدأ عاكف ببيان هويته اشعاره بمقدمة متواضعة له . وقد جاء شعره مصداقا لحياته ، وصور الواقع أيام انهيار الدولة العثمانية و صدر الجزء الأول من ديوان صفحاته بالابيات السابقة لبيان فكره (٣) . وجعل شعره بسيطا ليفهمه الشباب (٤) ، كتب احدى قصائده وارسلها إلى ماهر إز ، وطلب منه ملاحظاته حولها كما طلب منه أن

(١) الأدب التركى الإسلامى : ٢٠١ (٢) ديوان الصفحات : ٣ .

(٣) محمد عاكف لسليمان نظيف : ٢٨ .

(٤) محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٥-٢٦ .

لا يخجل من أن يقول : " هذا غير مناسب " (١) وارسل إليه رسالة أخرى وقال فيها " اهديك قصيدتي بعنوان " السجدة " ينبغي عليك أن تخبرني بملاحظاتك واقتراحاتك عليها واقرأها أمام الشيخ يوسف جميل آارات (١٨٧٩-١٩٦٣ عالم لغوى تركي) وأسأله عن رأيه فيها ، ثم اخبرني بالنتيجة وحينما وصلت إليه الملاحظات سربها سرورا كثيرا (٢).

ومن مميزات كتبه البارزة : أنه حرك احساس القراء وخاطب اعماقهم وضائهم بالخشوع ، نجد بين موضوعاته ، موضوعات بسيطة وموضوعات دقيقة وكتب عاكف في كل منهما بصلاحية وقدرة ونجح ، وصل العروض إلى اعلى الدرجات بيده ، يظهر التوفيق في اختيار الكلمات والتناسب وعدم الزيادة وهو ناجح في تشبيهاته وخیالاته ، شعاره السهولة والطبيعية والواقعية في عرض افكاره الاسلامية . نزل إلى مستوى الشعب وخاطبهم وكتب عن واقعهم ، وكان شديد اللهجة في خطابه إلى المثقفين ، لم يضع وقته باشياء وموضوعات محرمة ، بل جعل إنتاجه في خدمة الإسلام . اهتم بامور أمته وهو عدو للفن السذی لا يتمسك بمبادئ الإسلام ، يظهر إيمانه في آثاره (٣) . وقف ضد المداهنة والرياء والانانية والجهل والحقاقة والظلم... والانحرافات بكل اشكالها وانواعها . وكان موفقا في معارضته وإصلاح بعض المجالات . هناك ناحية تربوية في آثاره ومفيدة للجميع خصوصا للأسرة وافرادها ، لأنه عبر عن المجتمع الذي كان يعيش فيه كما شاهده بلا تغيير ، واعطى للأجيال القادمة صورة واضحة عن التاريخ والمجتمع ، ولا شك في إخلاصه في الدفاع عن الإسلام والأمة الاسلامية وأخلاق الإسلام والآخوة الاسلامية ونادى بضرورة العودة إلى الإسلام من جديد . وكان شديد المعارضة للقوميات . وعبر عن آلام الأمة وآماله في مستقبلها (٤) .

(١) المرجع السابق : ٢٢ . (٢) المرجع السابق : ٩٩ .

(٣) انظر عاكف نامه : ٢٢١-٢٢٣

(٤) انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٨-١٩ .

٣) مكانته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه

كان عاكف ذا حظوة لدى الأمراء يلقي الاحترام والتقدير من السيادة
يُحترمه العامة والخاصة ، وأحيانا كان السلطان يستخدمه رسولا لولائه ووسيطا
لدى الحكام الآخرين لحل مشاكله وخلافاته معهم . ومن هذا يتضح انه كان
عظيم القدر واسع الاطلاع على صلة وثيقة بكبار الرجال ، كما كان يحظى بتقدير
العلماء وباحترام عامة الناس في تركيا .

ولم يكن عاكف صاحب بدعة بل كان متمسكا بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكان من اهل الخشوع خصوصا في السنوات الأخيرة من حياته
وقد بلغ مكانة عظيمة مع العلم الواسع وما كان عليه من الدين والعبادة ، وصدق
القول ، وكثرة المطالعة ، وحسن السمات وكمال العقل ، وقد كان لاستانبول
الأثر في تهيئة عاكف علميا لمكانتها العلمية والحضارية باعتبارها مركز العلوم
الاسلامية ومركز الخلافة آنذاك فيها ولد عاكف وفيها أمضى أكبر حقبة من
حياته ، والناس الذين اتصل بهم عاكف فيها كانوا بين قارىء ومقرئ ومستمع
- في الحلقات خصوصا في المساجد - ومؤلف ومصنف ومترجم ، ولكن العامل
الأهم في حياته العلمية هو ابوه الذى بالغ في الاهتمام به منذ الصغر وانتظم
عاكف في حلقات علمية في مسجد الفاتح ، ومما يجدر ذكره هنا انه كان اصغر
اقرانه في بعض الحلقات ، ونشأ عاكف فيها متعلما ، درس ودرّس العلوم
التطبيقية مثل البيطرة ، والأدب الغربى والشرقى ، ومع ذلك كله كانت حماسته
للإسلام شديدة ، كما كان موقفه من الأفكار المعادية للإسلام شديدا ولذا كان
له فضل ومكانة علمية ذائعة في العالم وكان له أنصار في كل مكان وذكره
على كل لسان شاء اعداؤه من الملحدين والعلمانيين وغيرهم أم أبوا ، كان
مفسرا وأديبا عروضا ، كاتبا بارعا ، وكان صحيح العقيدة ، محبا لأهل الخير
والصلاح والعلم والفضل . وقدم الديار المصرية وحصل له فيها رفعة وحظ ولما
سمعه عبد الوهاب عزام وغيره من المفكرين الاسلاميين والعلماء الأجلاء اعجبوا
به ، وبالغ بعضهم في تعظيمه والثناء عليه . ووصفوه بالعلم . وإذا كان هذا
هو شأنه في العلم والفكر والأدب فقد كان له في الدعوة شأن آخر ، لا يكاد
أحد من أهل زمانه ولا من أتى بعده أن يبلغ درجته في مجال الدعوة فسى

تركيا . وقد سبق أن عرفنا كتبه واثقانه بعض العلوم واللغات ، وهذا إن دل - على شيء ، فانما يدل على أن الدعوة إلى الجهاد كانت همه الناصب وشغله الشاغل ، وانه قد وهب لها حياته منذ نعومة الاظفار حتى الممات ، فقد اخذ العلوم في سن مبكر ثم راح يشتغل بالدعوة ويقطع البلاد في الدولة العثمانية جنوبا وغربا من اجلها ، ويؤلف فيها ويعلمها لطلابها .

وكانت اسباب تعلم العلوم متاحة له سهلة المأخذ لديه إذ كان استاذه الأول في العلوم الاسلامية أباه ، ثم كان هنالك اساتذته الآخرون من الشيوخ النوابغ الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم العلم من كبار علماء العثمانيين . وذكرنا بعضا فيما سبق من اشهر مشايخه ومن الصعب أن يحصر الانسان الشيوخ الذين اخذ عنهم عاكف لأنهم كثيرون يطول ذكرهم . يضاف إلى ذلك تراث - هائل من العلوم الدينية وكتبها تركها علماء المسلمين . كما يضاف إليه الكتب التي ألفها علماء المشرق والمغرب باللغات التي يعرفها عاكف من العربية والفارسية والفرنسية اضافة إلى التركية ، اشتغل بالعلوم واحب القرآن وحبب إليه فهم معانيه ونقلها إلى اللغة التركية ، كان أول اشتغاله في العربية والفارسية من جهة اللغة والأدب وكان متشوقا للأخذ عن الأساتذة والاجتماع بهم حتى غلب عليه الاشتغال بالقرآن . وتوغل فيه حتى صار لا يعرف إلا به وانصرفت اوقاته فيه ، وكان مع ذكائه سريع الحفظ جدا ، كان عالما بالصحيح والسقيم من الأفكار والاتجاهات . لأنه انصرف إلى العلم واطلع على العلوم الاسلامية ورد على الاتجاهات الفكرية الباطلة ، شهد له كثيرون بكثرة علمه وسعة آفاقه ، وقلما يؤلف مؤلف بعد عاكف في فن من الفنون الكثيرة التي طرقها لإلارجع إلى مؤلفاته ، واستشهد بأقواله ، وكفى بهذا دليلا على منزلته العلمية . ويدرك المطلع على مؤلفاته بوجه عام مقدرته في الفهم الصحيح والسدقيق للنصوص الاسلامية ، وفي نقد آراء المخالفين . وقد بدأ عاكف نشاطه العلمي والأدبي والفكري والسياسي بعد اعلان ادارة المشروطية سنة ١٩٠٨ ، فبرز اسمه وقتذاك لمقدرته الفكرية ودافع عن فكرة الجامعة الاسلامية . ووقف ضد الافكار المعادية للإسلام ، كعالم وأديب ومفكر وشاعر . . . الخ واصبح من اشهر العلماء والشعراء والمفكرين في العصر الحديث في تركيا .

ثناء العلماء والمفكرين عليه :

بعد أن عرفنا هذه المنزلة العلمية الرفيعة التي احتلها عاكف نورد بعض شهادات العلماء فيه من معاصريه ومن بعدهم إلى عصرنا الحاضر، لنرى كيف كانت نظرتهم إليه . قال في حقه الأمير عباس حليم باشا - أحد الأمراء من أسرة محمد علي باشا - وكان من اقرب الناس إلى قلب عاكف : " يستطيع محمد عاكف أن يجد في كل يوم عباس حليم ، أما أنا فلا أستطيع أن أجد عاكفا مهما بحثت في اقطار المعمورة" (١) ، وكتب مجدى طلون قصيدتين طويلتين فى الثناء على عاكف وقال : " كان عاكف وحيد عصره . حين ألف كان يكتب ببيان جميل تتأثر القلوب به ، ويتبنى القارى أفكاره ومقترحاته فإن ضمير هذه الشخصية مشبع بالفضائل والمعاني ، وعقله ومعارفه اعلى مما كنا نتصوره (٢) ، وتحدث الأديب التركى جناب شهاب الدين عن شخصية عاكف وفنه الرفيع وجعله أحد اساتذة الأتراك والمسلمين ثم قال : " كان عاكف يعشق اثنين لا ثالث لهما : الدين ووطن المسلمين وضحى بنفسه فى سبيل دينه ووطنه فعاش غربيا ومات فقيرا فخلده شعره ووضع فى مصاف الأبطال ، وهو شاعر فى درجة العبقرية يليق بالمرء أن يترسم خطاه ، ولم يشتهر مثله أحد - من المفكرين فى تركيا - كان لإسلام منبع إلهامه فى ديوان صفحاته . ولم يعرف تاريخ الأدب حتى الآن شاعرا تركيا اسلاميا اكبر من محمد عاكف" (٣) . ويقول عبد الحق حامد : هو شاعر الإسلام ، ادى خدماته للجميع ، وقام بواجبه تجاه الأدب التركى قصائده سليمة صافية أعرفه من ناحية أدبه وأشيد بجهوده وحملاته الاسلامية (٤) ويقول بيامى صفا - المفكر والأديب التركى - : هو شاعر ملي واسلامى ، عبّر عن آلام الشعب ، كان له اشتياقات ، بكى على الشرق المهزوم ، ووقف ضد الأخلاق السيئة ، ومات حسيرا لأنه لم يحقق آماله الاسلامية (٥) ، وألف نور الدين طونجى - المفكر التركى - كتابا مستقلا فى شخصية عاكف وفنه وفكره وسلوكه . ومعارضته وثورته على الواقع السىء وقال فى الثناء عليه : انه عرفنا الصورة الحقيقية لأبناء الصليب المخفيين وراء التاريخ خلال ألف عام" (٦) ، إن

(١) شاعر الاسلام محمد عاكف : ٣٧ (٢) عاكف نامه : ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٥ (٥ ، ٤) عاكف نامه : ٣٧٥ .

(٦) محمد عاكف لنور الدين طونجى : ٩

الجيل الذى فتح مدرسة الإيمان فى عصرنا هم ابناؤنا وتلاميذ لعاكف.. وقد كانت الجماعة الوحيدة فى نظره هى جماعة الإسلام ، فإذا ضاع العالم الإسلامى ، فلا رغبة له فى الحياة من بعده" (١) . وقال فاروق قدير فى كتابه عن حياة عاكف : حينما دافع عاكف عن الحصن الأخير للعالم الإسلامى وهو الدولة العثمانية ، حث المسلمين المظلومين على الجهاد ، ولم يدافع عن الدولة العثمانية فقط بل دافع عن الحضارة العظيمة ذات التاريخ الطويل منذ ألف وأربعمائة عام وهى الحضارة الإسلامية (٢) . وكان سليمان نظيف من اقدم الشخصيات فى التأليف عن حياة عاكف قال فى كتابه : عاكف : هو احد كبار شعرائنا سوف ينتقل تراث اجدادنا عن طريقه إلى اجيالنا القادمة وإلى ضمائرهم كأمانيات وميراث (٣) . ويقول عمر سيف الدين - الأديب والكاتب التركى - أصبح عاكف اكبر شاعر اليوم بقدرته فى الكتابة بالعروض يظهر فى ديوان صفحاته روح عظيم ، إنه أثر عظيم ، رغم اننى لست من الذين يدافعون عن " الوحدة الإسلامية " ولكن حينما اقرأه أنفعل بكتاباته وأعيش معه فى عالم الخيال ، فإن عاكفا مخلص فى حرصه على الإسلام" (٤) . وقد أثنى جميل سنا على عاكف فى كتابه عن حياته قائلا : إنه كان شاعرا عاليا وانسانا فاضلا ، صاحب غاية عظيمة ، شرح افكاره وعبر عن معتقداته بلا خجل ولا خوف ، لم يمش خلف اغراضه الشخصية ومنافعه الخاصة ، بل عاش لأتمته وعبر عما آمن به ، كأنه مخلوق سماوى ، أنا اعتبر تقديمه كنموذج للشباب من وظائفى ، فإن آثاره توجيهية وتعليمية واقعية ، عبر فيها عن إيمانه وافكاره ودافع فيها عن دينه (٥) . ويقول اسماعيل حامى : " عاكف شاعر إسلامى ، وقف ضد القومية ، فى رأى أنه لم يكن شاعر الشعب التركى او طائفة من الطوائف بل هو شاعر الأمة الإسلامية لانصاف فى آثاره كلمات الثناء على الترك حتى فى قصيدته الشهيرة بعنوان " إلى شهداء جنات قلعة " التى كتبها للثناء على الشهداء ، وفى نظره فانهم ليسوا شهداء الترك ، بل هم شهداء الإسلام ، لم ينشغل بشئ غير العالم الإسلامى ، فهو مسلم أولا وثانيا وثالثا . . . وليس له هوية أخرى ولا فكر آخر غير ذلك " .

-
- (١) المرجع السابق : ١٧ (٢) محمد عاكف ومجتمعنا لفاروق قدير : ٥
(٣) محمد عاكف لسليمان نظيف : ١٣
(٤) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٩١
(٥) محمد عاكف لجميل سنا : ٣-٤ .

وقد اتفق الجميع على أنه رجل دافع عن الأمة الاسلامية : قال بعضهم هو عالم مسلم حين نبحث عن موضوعات آثاره نرى مثلا ديوان صفحاته هو من أوله إلى آخره فكر ومباحث عن الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعن العبادات ، كقصيدة " السجدة " ويدعو ربه في كل آلامه وآماله ، وأما جانبه الانساني فقوى جدا في بعض قصائده بصفة خاصة مثل : " المريض ، والسفط وسيفي بابا " . ولم يود خدمة واحدة للانقلابات العلمانية بل هو لم يعجب بآثار الانقلاب ونتائجه . كان خوفه على ضياع الإسلام أكثر وآماله في اتحاد المسلمين اشد ، يتمنى في كل مناسبة من المناسبات توفيق الله وفضله للمسلمين .^(١)

بعض المآخذ عليه :

ورغم ما يتمتع به عاكف من سعة الاطلاع إلا أنه كغيره معرض للخطأ وان تلك الأخطاء التي تظهر للناس في صورة اخطاء قد تكون لها عند صاحبها مبرراتها بحيث لو اظهرها لتبين للناس مراده منها . وفيما يلي بعض المآخذ التي اخذها العلماء على عاكف وهي : موقفه السلبي تجاه السلطان عبد الحميد الثاني ، وتعاونه الثقافي ولو في فترة معينة مع نادي الاتحاد والترقي ، وعدم تعرضه للاجراءات الجمهورية ضد الإسلام^(٢) باسم صريح واضح وليس بالرمز والاشارات . وبعض الاخطاء في الوزن والقافية في الشعر واستعمال بعض كلمات غير لائقة^(٣) .

(٤) شخصيته واخلاقه :

شخصيته :

ان الدارس لحياة عاكف ليرى من خلالها ملامح شخصيته المتكاملة جليلة ، فهو ذو شخصية علمية واعية ، وذو شخصية اجتماعية محبوبة وهذه الشخصية

- (١) عاكف نامه : ٣٧٦ - ٣٨٠ بتصرف .
- (٢) تعريف بأدب الدعوة الاسلامية في تركيا : ٣ - ٤
- (٣) غير عاكف بعض كلماته في طبعتها الاخيرة ووضع مكانها كلمات مناسبة (انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ١٠٠ - ١٠١) إلا أنه لم يعمر طويلا ليصححها جميعها .

كانت تتصف بأخلاق عالية ، وصفات لم تتوفر لكثير من الناس .

وقد اتفق الكتاب على إخلاصه ، قال بعضهم : " يعتبر عاكف من اشد الشعراء الأتراك إخلاصاً للروح الإسلامية كما يتجلى ذلك في آثاره " . ولم يعرف منه خلال أعماله إلا سداد وإخلاص . وكان يتميز بأخلاق حميدة وسلوك شخصي غاية في الطهر والعفة . وشهد له اصدقاؤه وزملاؤه في العمل ، بل كل معارفه بذلك ، وامتدحوا سلوكه وأخلاقه السامية ولم يكن به ضعف نفسي كالرياء والكذب ويذكرون أنه طوال عمره لم يصدر منه عيب أو قام بعمل مبتذل أو خسيس واشتهر باستقامته وأدبه وشرفه وكان من عادته أن يغضب من المقربين إليه إذا اخطأ أحد منهم معه . ويغضب إذا كان محدثه يكذب عليه أو يناق أو يدهن (١) .

ومما يذكر لعاكف حبه لخير المسلمين وحبهم هو الذي دفعه إلى التضحية في سبيل اسعادهم وقد آتاه الله قوة في البدن والعقل وحكمة في الفعل وحياء كحياة الصالحين . فكان له بذلك كله شخصية قوية . وكان العلماء يعرفون حقه وفضله . وهكذا كانت هيبة العلماء تفرض نفسها على الجميع تقديراً واجلالاً ، وكان لعاكف من ذلك النصيب الكبير يحس الآم المسلمين في قلبه كمسلم . وكان اذيع العلماء ذكراً واعلامهم صيتاً واحقهم بتقدير العلماء والنقاد والباحثين . فقد اسهم بنصيب كبير في بناء صرح الشعر الحديث ورفع صوت الإسلام عالياً في اشعاره . ويمتاز شعره بالجمال وصدق التعبير والقوة واشراق الشخصية والعاطفة وحرارة الإيمان ، وكان يرى ضرورة أن يكون الإنسان صاحب شخصية مستقلة تظهر آراؤه في آثاره . ويقول : كنا أيام شبابنا نشتغل بتقليد السابقين من المفكرين والادباء ، وضاعت اوقاتنا بالتقليد ، ولم نحاول أخذ الالهام من واقع الحياة نفسها ، بل حاولنا أخذ الالهام من كتب الشعراء السابقين (٢) ، ولكن تأثره بالآخرين في تأليف انتاجه لا يقلل من قيمة شخصيته (٣) يقول نور الدين طوبجى : نجد في عاكف هذه الاوصاف : أولاً وقبل كل شيء ، انه طيلة حياته كان صاحب فكر واحد وصاحب إيمان بلا تذبذب لم يختلف من عهد إلى عهد ، لم يتبع محيطه بل يتبعه محيطه . وهو اقوى من مجتمعه

(١) محمد عاكف لنور الدين طوبجى : ٢٣ .

(٢) محمد عاكف لمدحت جمال : ٣٨٦-٣٨٧ . (٣) المرجع السابق : ٣٩٢ .

ولذا اتبعه افراد مجتمعه وحفظه إيمانه بالله وتربيته الاسلامية من التذبذب.
الستقت ارادته الحديدية بإيمانه العميق ومشى على الصراط السوى (١).

اخلاقه :

تدينه وموقفه من الحكام :

اعتزل عاكف الحكام فلم يقبل اعطياتهم ، ولم يطرق ابوابهم ، ولم يحضر حفلاتهم خصوصا أيام اقامته فى انقرة . يقول فسالح رفقى أطاى - أحد المقربين إلى مصطفى كمال - : لم اتفق مع عاكف فى معظم افكاره..، وقد شاهدنا ذلّة فى كثير من الرجعيين ولكن كان عاكف بعيدا عن الذلّة كان عدوا لافكارنا ولكن لم توجهه تلك المخالفة إلى سياسة معادية للوطن (٢).

ومن حسن خلقه أنه كان بارا بأقرانه واصحابه لا ينافسهم على الجاه والسمعة ولا يزاحمهم ولا يذكرهم إلا بخير، لا يعرف النفاق والرياء . يتمسك بالحق ويحارب الباطل (٣) ، انتشر الرياء والمداهنة والكذب فى أيامه . وابتعد عاكف عن كل هذه التصرفات. يقول قليلا ويسمع كثيرا يواجه اصدقاءه وجها لوجه ، إذا وجد تقصيرا من أحدهم لا يتقول فى الخفاء أو يطعن الصديق فى ظهره أو ينقلب عليه لمصلحة شخصية ، أو كسب مادى أو دون وجه حق (٤) ، كان عدوا للتحكم والتجبر والتسلط ، يقف مع الضعيف وذوى الحاجة والمكروم ولم يكتف بالدفاع عنهم بقلمه بل كان يساعدهم بامكانياته . عاش أخلاق الإسلام ولقنها لغيره ووقف ضد المساوىء والمكاره وكان انسانا شقيقا . ورغم كونه فى حياته الخصوصية انسانا حليما كان فى المسائل المتعلقة بمقدساته والمشاعر الإسلامية شديد الغضب ينفعل للدفاع عن الإيمان وأن كثيرا من مبادئ الأخلاق قد ضاعت بين المثقفين فاصبح عاكف بأخلاقه غريبا بين اقرانه ، ومن سمو أخلاقه حسن صحبته للآخرين ، فقد كان بارا بالجميع ويدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة إلى ترك المعصية . ويدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة

(١) محمد عاكف لنور الدين طوبجى : ٢٠ .

(٢) محمد عاكف لاشرف اديب : ٣٦٨/١ .

(٣) انظر محمد عاكف لسزائى قراقج : ١٣ .

(٤) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ٣٥ .

رسوله صلى الله عليه وسلم والاشتغال بهما . وترك الاشتغال باللهو واللعب وافكار الملحدين والمنحرفين . وذلك لأن دأبه كان دعوة الناس إلى التمسك بالإسلام . ونهذ ما يحول دونه . والحق أن ما ورد فى كتبه تعبير واضح عن أخلاقه . هو انسان صاحب خلق عظيم ولعل سيرته الحميدة جعلته موضع احترام الجميع بعد وفاته إلى يومنا هذا . وقد شهد اعداؤه وخصومه ومنافسوه بتقواه وعلمه وزهده وعبادته وإيمانه القوى وهذا فضل الله يوتيئه من يشاء .

صفاته :

كان عاكف أحد الدعاة إلى حبل الله المتين . زاهدا ورعا ، قانتا لله قائما بنصر مذهب أهل السنة ، كان من العلماء العاملين الذين يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسيروا على نهجه وعلى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم . وقد وصفه معاصروه والمترحمون له بالعلم والدين والخلق ، كان كثير الوقار لطيف المزاج سليم الصدر كثير الحياء ، ليس عنده حقد ولا غش ولا حسد لأحد لا يغضب إلا لأمر عظيم . لا تأخذه فى الله لومة لائم . لا يهاب سلطانا ولا حاكما فى قول الحق وإن كان مرآ ، يتشدد فى موضع الشدة ويلين فى موضع اللين . منحه الله شجاعة ودفعته شجاعته إلى قول كلمة الحق ، وكان شديد الاباء ، وابطاؤه هذا جعله يشعر بالظلم الذى يقع عليه وعلى الناس . وحاول رفع جميع المظالم عن المسلمين ، وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام شعائر الدين وكانت عنده معظمة ولها فى نفسه هيبة . وكان صبورا يضبط نفسه ويعالج الأمور بحكمة ولا شك أنه كان صبارا على أذى الاتحاديين ومن اتى بعدهم . وكان يتصف بالصبر فى تصرفاته ومناقشاته مع خصومه . يعرف حقيقة الصبر وجعله شعاره .

صدقه ووفاءه :

كان عاكف صادقا وأميناً ، يعامل اصدقاءه من قلبه ووجدانه ، وكانت تلك الشخصية الثابتة القوية تنعكس على تصرفاته . فاحترمه الجميع حيث وثقوا به لأنهم يعرفون صدقه ويصدقون قوله ويلمسون وفاءه بوعوده . وإن من بين ما يذكره مدحت جمال عن سجايا عاكف : أنه كان يهتم بمواعيده ويحترمها ، فاذا

كان عنده لقاء في وقت معين اعتبر الوصول إليه في وقته أو قبله بدقائق أكبر واجب له . وقد اتفق مع عاكف ذات مرة على الاجتماع به بمنزله وتصادف - هبوط الثلوج في ذلك اليوم . ولم تكن هناك وسيلة من وسائل المواصلات يمكنها السير أثناء تساقط الثلوج بدرجة شديدة ، ومع ذلك صمم عاكف على لقاء صديقه طبقاً للوعد القائم بينهما ، فتوجه سيراً على قدميه من منزله إلى منزل صاحبه وهي مسافة تزيد على خمسة عشر كيلومتراً ، وعندما وصل إلى منزل صاحبه كان الثلج يعلو رأسه .. ، فقال عاكف لصديقه : " لا يكفي الثلج وحده لمنعني من المجيء ، إنما الموت وحده ، إن ماقلته لا بد أن انفضه بعون الله ، واهرز أخلاق عاكف صفتان تتفرع عنهما كل سلوكياته ، ما قبله الناس وما لم يقبلوه وهما : وفاؤه وتدينه ، ويروى لنا أصحابه شيئاً كثيراً عن وفائه ، أما عن تدينه فحسبك منه أنه عاش في ظروف تدعو كلها إلى المعصية في أيام انتشار التفريغ والقمومية والعلمانية ، فلم يلتفت إليها عاكف ، وكان بأفكاره وأخلاقه وصدقه ووفائه نموذجاً أمام الشباب (١) .

يقول مدحت جمال : " عشت معه كصديق له ثلاثاً وثلاثين سنة وما رأيت مرة واحدة على سوء في الأدب والأخلاق ، عرفت كل حياته ، إنها كانت حياة صافية لم أرفيها قبها ولا سوءاً ولو لدقائق معدودة " (٢) ، " كانت الصداقة معه أمراً حلواً وصعباً في الوقت ذاته ، لم يكن يذكر أخطاء الإنسان من وراء ظهره هذا حلواً ، ولكن في نفس الوقت لم يكن يخجل من أن يصرح بأخطاء الإنسان في وجهه فهذا مر ، وكان يتحمل الحرمان والقلّة ، يحب أصدقاءه ويفتديهم بنفسه (٣) ، وفي رأيه هناك فرق بين الإعجاب بشخص والحب له . ويذهب إلى ضرورة معرفة الأشخاص بالحقائق وليس بالشائعات التي تدور حولهم (٤) . وقد اعترف مخالفوه في مناسبات عديدة إنه كان إنساناً مسلماً صادق الإيمان دافع عن إيمانه وإسلامه ، وحينما كان الناس يعجبون به ويثنون على أخلاقه وأعماله كان يخجل ولا يحب سماع ثنائهم عليه . وكان أحياناً يقطع عليهم الحديث لكيلا يعطيهم فرصة للمديح والثناء عليه . كان يبتعد عن الكبر ولا يتتبع عورات الناس

-
- (١) انظر لمزيد من الأمثلة : شاعر الإسلام محمد عاكف : ٣٩ - ٤٠ ، محمد عاكف لاشرف ادیب ١ / ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٢٣٧ ، ديوان الصفحات : ٦٨ ، ٣٣٢ .
- (٢) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٩ . (٣) المرجع السابق : ٨٠ .
- (٤) المرجع السابق : ٨٣ - ٨٤ .

يصحح اخطاء اصحابه بكلمات مناسبة . لم يقسم بالله اثناء كلامه على قدر ما عرفه خلال خمس وثلاثين سنة إلا ثلاث مرات ، لا يحب المشى فى الشوارع - المزدحمه بل يختار ازقة فارغة ، فاذا اضطر إلى السير فى الشوارع المزدحمه وجهه بصره بعيدا عن العارة ، زرنا معه أحد شعراء تركيا عبدالحق حامد فلما طلب منه أن يقرأ شيئا من قصائده ، أخرج عاكف رسالة قديمة من جيبه يقرأ قصيدته وهو ينظر إلى الرسالة رغم انه كان حافظا لما يقرأ . وعمل ذلك حياء من هذا الأديب الكبير وشهد عبد الحق حامد بجودة شعره (١) .

زهده وورعه وتقواه :

يدل كثير من قصائده على مدى زهده فى الدنيا رغم كثرة محبيه ، وعلو مكانته واقبال الناس عليه ، ومع ذلك فقد آثر الكفاف من الطعام وكانت داره مستأجرة لا يملكها . وشهد اصحابه على ورعه بقولهم : كان عاكف من المتقين واهل الورع فى الدين ، كان يراقب الله فى الصغيرة والكبيرة عاش حياته زاهدا واقتصد فى اكله وشربه ولباسه ورضى بما قسم له من رزق وما آتاه الله من فضل . وجهته تربيته الإسلامية إلى طريق الخير والفلاح وهيأت له حياة هانئة ، ساعدته على القيام بعمل الدعوة الإسلامية . وقد كانت تقواه نابعة من اخلاصه وإيمانه القوى ومراقبته لله فى سره وعلانيته ، واشتهر بين اصحابه بذلك . يقول حسن على يوجال - وزير المعارف سابقا واتجاهه شيوعى :- " كان منبع قوة عاكف إسلامه وإيمانه . كان مؤمنا مخلصا فى إيمانه ولذا كان قويا (٢) . وهذا اعتراف صريح من قبل معارضيه كان يستكمل قراءة القرآن فى صلاة التراويح غيبا . يصلى التراويح بالختم فى منازل بعض اصحابه فى تركيا ثم ايام اقامته فى مصر (٣) . وكان نور الإخلاص يبدو فى وجهه وقوله وعمله . وتعدل سيرته على أنه كان من الزهاد .

(١) انظر لما ذكر عن اخلاق عاكف (محمد عاكف لمدحت جمال الصفحات

التالية : ٩ - ١٠ ، ٢٠ ، ٣٤ - ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ١٠٧ .

(٢) محمد عاكف لأشرف اديب : ٣٢٩ / ١ .

(٣) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٢ - ٢٣ .

تواضعه : (١)

اشتهر عاكف بتواضعه الكبير، رغم علو منزلته فانه كان متواضعا وقد كثرت الاخبار والمباحث في الآثار الدالة على ذلك، إذ افرد اشرف أديب في كتابه " محمد عاكف حياته وآثاره " بابا خاصا في أخلاق عاكف وتواضعه بعنوان " اخلاقه وسجاياه وبعض افكاره " ثم عمل مبحثا في " تواضعه ولباسه " و اسند إليه أنه كان كثير التواضع، وعندما سأل الأديب مدحت جمال صديقه عاكف عام ١٩٠٦ عن امكانية طبع اشعاره ليتسنى للجماهير التركية المتعطشة قراءة أدبه، أجاب عاكف بكل تواضع : أين هي تلك الأشعار التي أقوم بطبعها ونشرها ؟ هل لأشعارى التي انظمها قيمة أدبية ؟ كذلك كان مدحت جمال ذاته يقرأ شعر عاكف في مجلسه ذات مرة ، وسأله للمرة الثانية عن امكانية نشر اشعاره ، فكان جواب عاكف : " من اكون حتى تنتشر أشعارى ؟ ! " وبعد ذلك نشر اشعاره ومقالاته ليس للتكبر بل لأداء الخدمات ، ومفهوم التكبر عنده أن يرى المرء في نفسه خيرا اكثر مما في غيره . ولم يخلط عاكف بين العزة والتكبر والذلة والتواضع، كان يرى : أن العزة بالله مطلوبة والتكبر مرفوض، كما أن التواضع مطلوب والذل لغير الله مرفوض، وقد ادرك الفرق بين تلك المفاهيم ، وعبر عن تفصيلها في آثاره ومن تواضعه أنه كان يتهم نفسه ولا يرى فيها الخيرية مع ثقته العلمية بنفسه . إذ يروى أنه انشد قصائده الجهادية باكيا . تواضع مع الفقراء والايتام وتحدث عنهم في قصائده . كان يتميز بالهيبة والوقار وفي الوقت نفسه كان متواضعا . إن إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسلامة عقيدته واخلاصه لدينه كانت اسبابا مجتمعة لتواضعه حتى صار مثلا يحتذى لشبيبة الأتراك الذين وجدوا في شخصيته الاسلامية وسلوكه الانساني الرفيع مثلا عاليا ونموذجا رفيعا واعاد إلى اذهانهم سيرة السلف الصالح ، إن تواضعه كان نابعا من قلبه دون تكلف أو تظاهر . (٢) .

ماله ومعيشته :

عاش عاكف فقيرا وكان بإمكانه أن يكسب الآلاف من الليرات التركية، ويسكن القصور، ولن يكلفه ذلك سوى نظم قصيدة يمدح فيها شخصية مسئولة

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٢٤٩ ، ٢ / ٢٦٢ ، وما بعدها .

(٢) انظر شاعر الاسلام محمد عاكف : ٣٦

أو صاحب ثروة ، ونشأ أول ما نشأ في اسرة ميسورة الحال رغيدة العيش . إذ - كان والده محمد طاهر استاذاً في كليات محمد الفاتح ، وكثرت في ذلك الوقت أيام السلطان عبدالحميد الثانى ، العطاءات والمنح للعلماء الأجلة ، وكان ابوه طوال مدة حياته يكفيه مؤونة العيش ووجد عاكف صعوبة في كسب المعيشة بعد وفاة أبيه واصبحت الاسرة في ضيق مالى ، قدر للأسرة " ٣٦ " قرشا عثمانيا كراتب شهرى بعد وفاة والده محمد طاهر ، وكان من تلاميذ هذا الاستاذ شخص وفي يسمي مصطفى افندى ، اصبح حاميا لاسرة استاذه وساعدهم في معيشتهم (١) ، وبعد ذلك بدأ عاكف عمله الرسمى وكان له راتب شهرى ولكن حينما استقال من عمله كان يتحصل على قوت يومه بصعوبة . وكان اهتمامه الاكبر وشغله الشاغل تقديم الخدمات للمسلمين عن طريق النشر والنصح والتعليم ، لم يفكر في الثراء ، ولم يسع إلى المنصب ، ولو اراد المال والمنصب السياسى والاجتماعى عن طريق شعره لتوصل إليه (٢) ، ولو رغب في السلطة لوجد ابوابها مفتوحة أمامه . ولكنه قصر شعره على خدمة الإسلام والمسلمين ، كان عاكف يعيش عيشة متواضعة قانعة وكان سعيداً بحياته الشخصية تلك ، حتى انه عندما استقر في مصر استأجر منزلاً متواضعا وصفه مدحت جمال قائلاً : كانت غرفة واحدة في هذا المنزل هي كل ما يحتاج إليه عاكف ، انها غرفة نومه ومكان عمله واستقبال ضيوفه . أما أثاثها فكان سريراً حديدياً ومنضدة للكتابة وكرسیين وبعض اسطوانات الموسيقى وسجادة مهداة إليه (٣) ، تلك هي غرفته في مصر .

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٣٨٠ .

(٢) انظر محمد عاكف لسليمان نظيف : ٥٣ .

(٣) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٤ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ٣٨ ،

الفصل الثانى

موقفه من الغزو العسكرى

- (١) أيام حرب البلقان
- (٢) أيام الحرب العالمية الأولى
- (٣) أيام حرب الاستقلال فى تركيا

تقديم

رغب الصليبيون وخاصة رجال الدين منهم فى اخراج الأتراك المسلمين من أوروبا منذ أمد بعيد ، ثم حاولوا اخراجهم من البلقان ثم من الأناضول وتجمعت قوى الغرب وقررت طردهم من تلك المناطق إلى المكان الذى أتوا منه وهو آسيا الوسطى ، ثم قرروا أن يتعقبوا فلولهم حتى لا يبقى لهم أثر لافى أوروبا وحدها بل فى المسرح السياسى والعسكرى الدولى قاطبة .

حاولوا بكل امكانياتهم وقواتهم إزالة المسلمين ونصرة اخوانهم الصليبيين بكل فرقهم ومذاهبهم ، ونسوا الخلافات فيما بينهم ، وكان غرضهم تأسيس الامبراطورية البيزنطية من جديد على تراب مركز الخلافة الاسلامية . وقد استمر الغزو الصليبي والمخططات الصليبية بلا انقطاع حتى حققوا آمالهم فى تمزيق الدولة العثمانية وتقسيمها وتأسيس دولة لليهود فى اراضى المسلمين وإزالة وحدة المسلمين وقوتهم وخلافتهم ، ولتحقيق تلك الاهداف وغيرها حاربوا الإسلام والمسلمين .

وهنا انبرى محمد عاكف لبيان حقيقة بواعث واهداف هذه الحروب . وأن الغرب جرد حملات غزت العالم الإسلامى باسم الصليب وتحت رايته وكان رجال الكنيسة فى أوروبا يدفعون الملوك والشعوب إلى هذه الحروب ، وفى نفس الوقت تحاول تلك القوى الصليبية تفريق المسلمين إلى دويلات ضعيفة . وبدا منهم فى تلك الحروب حقد دفين . وما تخفى صدورهم أكبر (١) .

وقد ظلت الدولة العثمانية تتوسع فى أوروبا إلى عام ١٦٦٨ ، عندما

(١) انظر منصب البطريرك فى استانبول واوضاع تركيا للمحمد سرياشاهين: ١٧٥

هزمت أمام أوروبا في معركة حربية بعد حصار فيينا وارتداد المسلمين عنها. ثم تولى انتزاع الغرب لاقطاره التابعة للدولة فسقطت المجر وافلاق والبغدان والصرب واليونان والجبل الأسود وبلغاريا وغيرها من الولايات العثمانية وبعد اعتلاء السلطان عبدالحميد الثاني العرش أراد أن يجرب الطرق السياسية وحافظ على الخلافة إلى عام ١٩٠٩ ، وبعد ادارة المشروطية نزلت كوارث على المسلمين منها : إعلان الحرية المزعومة ثم حرب طرابلس الغرب - ليبيا - ثم حرب البلقان والحرب العالمية الأولى ، وهزيمة الجيوش العثمانية في جهات القتال ، ثم حركات التمرد داخل تركيا ، ثم جهاد الاستقلال مرة أخرى ، وبعد ذلك خلاص جزء من أراضي الدولة العثمانية .

وملأت احداث هذه الفترة قلب عاكف احزاننا عميقة ووقف ضد الأعداء طوال حياته . ويمكن تقسيم موقفه ضد الاستعمار إلى ثلاث مراحل .

(١) أهم حرب البلقان :

تمهيد :

شنت ايطاليا حربا في ٢٨ / ٩ / ١٩١١ واستمرت الدولة العثمانية نحو من سنة في حربها معها وانعقد بينهما صلح لوزان في عام ١٩١٢ وخسرت العثمانيون ماتبقى لسهم في افريقية ، وفي تشرين الأول سنة ١٩١٢ اعلنت دول البلقان الحرب على الدولة العثمانية ، ومع أن هذه الدول كانت على خلاف فيما بينها حول قضايا كثيرة فقد أصبحت قوة بلقانية موحدة ، فالقى البلغار الحصار على مدينة أدنة بينما احتل اليونان سلانيك ، وسقطت أدنة وأكره العثمانيون - أي حكومة الاتحاد والترقي - آخر الأمر في مؤتمر الصلح المنعقد بلندن على أن يتخلوا عن جميع المناطق الواقعة غربى خط أينوس على بحر إيجه وميديا على البحر الأسود ، بيد أن الأعداء لم يتوصلوا إلى اتفاق حول تقسيم الغنائم فنشبت الحرب فيما بينهم ، ومن هنا استنقذ الجيش العثماني مدينة أدنة التي اضطر البلغار إلى التخلي عنها آخر الأمر ، وبقا لما قضت به معاهدتا استانبول عام ١٩١٣ واثينا عام ١٩١٤ . وعملت الدولة العثمانية تحت حكم الاتحاديين على تسوية كافة مشاكلها في الفترة الواقعة بين ١٩١٢-١٩١٤ ومن أهمها عقد معاهدة مع ايطاليا بشأن طرابلس

الغرب وتركت امورها فى يد الايطاليين ، ثم تركت بلاد البلقان فى يد الصليبيين . وقد العثمانيون اراضيهم الكائنة فى البلقان . وساعد على هذا التحالف الصليبي ، اتباع الاتحاديين لسياسة التتريك ، وكرهية دول البلقان لرجال الاتحاد والترقى ، وكان لروسيا وبريطانيا وفرنسا أثر كبير فى قيام ذلك التحالف البلقانى (١) ،

موقف محمد عاكف من هذا الغزو العسكرى الصليبي أيام حرب البلقان :

(١) حَصَّ الناس على الجهاد ودعا إلى الالتفاف حول راية الخلافة ومد يد العون لها ولمسلمى تلك الديار . وعزَّ عليه أن ينسلخ عن الدولة العثمانية بعض اجزائها . وأن تتحالف الدول النصرانية ضدها وهى الدولة المسلمة . وأخذ عاكف يحث الناس على التبرع . ويصور لهم حالة الجرحى وهم يرقبون حنانهم والأيتام الذين ينتظرون عطفهم . ويصور ما حل بهم ليثير مشاعر النخوة فى نفوس المسلمين . كما صور حالة المسلمين وحرزهم وجزعهم على البلقان ذلك لأن الخطب خطبهم والمصيبة مصيبتهم ، ولقد قامت الجيوش البلقانية بالتكيل بالمسلمين وارتكبت أبشع أنواع الجرائم حتى فرَّ اكثر المسلمين من ديارهم .

(٢) لقد أسهم عاكف فى هذه الحرب بنصائه وقصائده ، فطفق يدعو المسلمين إلى الوقوف معهم ويبكي مجد الإسلام فى تلك الديار التى تعرضت للمذابح . وسلك شتى الوسائل لاثارة حماسة الشعوب الاسلامية ، وتحريك نخوة المسلمين ليتحدوا ويتكاتفوا ضد القوى العالمية الحاقدة عليهم الطامعة فى بلادهم . وقدم عاكف صوراً من الجرائم التى ارتكبتها الجيوش الغازية الصليبية هناك . ونصح المسلمين بالوئام وعاب عليهم الانقسام . وبكى صوت المؤذنين الذى خبا ، والمساجد التى عطلت وهجرت ، خصوصاً مسجد السليمية فى مدينة أدرنة . وبين مدى تعلق المسلمين بها ، وأنها عندهم من الأماكن المقدسة باعتبارها مركزاً للدولة العثمانية فى السابق . وانشأ عاكف فى هذه الحرب قصائد بعد أن هزته احداثها وعاش معها منذ البداية . وأشاد عاكف فى قصائده بالجيوش الإسلامى وقدرته على تشتيت شمل الاعداء وتمزيق جمعهم ، وبينما كان عاكف فى طربه وزهوه وتغنيه بالجيوش الاسلامية وردت الأنباء بهزيمتها فحزن

أشد الحزن . ونظم قصيدة يندب فيها تلك البلاد التي ضاعت من أيدي المسلمين . وانتشرت الأخبار بأن الجيش أقدم واستبسل ولكن قائده خان فحلت الهزيمة بالجيش والمسئولية على قائد الجيش . ورثى عاكف الجيش المسلم الذي هلك ولم يحقق آماله وأمانيه . واكد أن الغرب انكشفت حقيقته وبان زيفه وباطله . وطفق ينظم القصائد فى مهاجمة الغرب . وسخر من أفعال رجال الغرب التي تكذب اقوالهم . وأشار إلى جرائمهم بالبلقان . وختم نصائحـه وبعض قصائده بالترحم على المسلمين الذين لا ذنب لهم إلا الإسلام . وتوعد عاكف أعداء المسلمين بالويل والثأر والانتقام ، حيث لم يحفظوا عهدا ولم يرعوا حرمة واستعمل ضمير المتكلم ليوكد انتماءه الإسلامى ، وقرر أنها حرب صليبية . ودعا المسلمين إلى الاتعاظ والعبرة بما حصل ، وأكد أن المسلمين أقوى من الصليبيين وأن الخلافة التي يكيدون لها هي رمز القوة . وعبر عن مشاعره وعواطفه واحاسيسه حيال مسلمى البلقان . وبلغ به الحزن على المسلمين بعد أن انهزمت الدولة أنه كاد يهلك حزنا عليها . وحض المسلمين على أن يتدبروا امورهم ليوعدبوا الطغاة الذين اجرموا بحقهم . وعمد إلى استثارة الحميصة والغيرة فى نفوس المسلمين بذكر النساء اللواتى هتكت اعراضهن ، وذلك لتحريك المشاعر وإثارة العواطف . وعرض على المسلمين صور النساء الأيامى والأمهات الثاكلات ودعاهم إلى نجدتهن . وأشار إلى الاستقرار والأمن اللذين كانت تتنعم بهما البلاد الاسلامية فى السابق فى ظل حمايتها الخلفاء ، وماتعرضت له تلك البلاد من هجمات حاقدة ودعا القائمين على الأمر إلى اليقظة والحذر من الأعداء الذين يتربصون بالبلاد السوء . وابدى ألمه المرير من تطاول دول البلقان على الدولة العثمانية . وبلغ به الأسى أنه جعل ينادى السلطان مراد الأول - الشهيد المدفون فى البلقان - ليقوم من قبره ويرد الظالمين البغاة . ودعا المسلمين إلى البذل والعطاء ، وأهاب بهم أن يسرعوا لنجدة اخوانهم المجاهدين ونصرة دينهم بالنفس أو المال ليحفظوا بالأجر والثواب . وكان يوجه أحيانا خطابه إلى دول البلقان ، ويحذرهم من أن يشنوها حربا صليبية . ويتوعدهم بحرب طاحنة وهزيمة منكرة . ودعا أمته إلى جمع الشمل وحذر المسلمين من عدوان المعتدين . وحضهم على الذب عن الدين والجهاد فى سبيل الله والتحلى بالصبر وذكرهم بالانتصارات الماضية . وبين أهمية وجود الخليفة وكان يرى أن المسألة ليست مسألة الأتراك فقط ، بل هي مسألة جميع

المسلمين . وكتب عاكف كثيرا عن نتائج هذه الحرب . وقد قتل ستمائة الف مسلم في حرب البلقان ، من النساء والشيوخ والأطفال العزل من السلاح ، بطرق مختلفة ، إما بالخنجر وإما بالحريق أو التمزيق بعد هتك الأعراس ، ومات بعضهم جوعا .

(٣) عبر عاكف عن آلامه واحزانه المتصلة باحزان المسلمين (١) . وكان يتمثل بايات من القرآن الكريم فيجعلها عناوين لقصائده ، ويستمد منها موضوعاته وهكذا يجمع عاكف بين آيات القرآن والقضايا اليومية .

(٢)

بدأت حرب البلقان في ٨ / ١٠ / ١٩١٢ و نشر عاكف في ١٧ / ١٠ / ١٩١٢
نشيد الجهاد فافتتحه بقوله : هذا النشيد هدية من مجلة سبيل الرشاد
الاسلامية إلى جنودنا البواسل - توكل على الله في أمر وطنك ، واخرج قاصدا
الجهاد لخلاص الوطن ، والجهاد شرف لا يناله كل إنسان هيا أيها الجندي
البطل إلى الجهاد مع السلامة . هيا أيها الشجاع الذي تخلف من المجموعة ،
بادر إلى اصحابك ، اذهب والتحق بهم . اسمع إلى مايقوله جدك الشهيد
وأصغ جيدا ، لا تتوقف يا بني اذهب مع السلامة . لا تتوقف يا ولدي اذهب فإن
طريقك مفتوح جهز للجهاد عضدك التي لا تعرف الهزيمة . جهز خنجرك وكن
في الصف الأول ، فليكن الحظ رفيقك مع السلامة . ينبغي عليك أن تكون كسيل
يهدم الموانع أمامه . لا تخف من الجبال والصخور ، بل سر عليها حتى تصل إلى
هدفك ، فيستغرب الأغيار من شجاعتك ويكونون في دهش اذهب يا بني مع
السلامة ، اصعد كطير على جبال البلقان . اضرب ضربة قاصمة على كلب
البلغار العقور ، لئلا يتجراً مرة أخرى على العثمانيين . اذهب يا ولدي ويسادر
في العودة بالنصر ، مع السلامة . احفظ تراب وطنك من غزو الاعداء ، هيا
اضرب بسيفك على رؤس هؤلاء السفهاء . فليهنزل على الارض علمهم الأسود
جثة هامدة أيها الفتى الباسل اذهب مع السلامة . يا ابن بلدي هل عرفت
البلقان ماذا هو ؟ هو المكان الذي كان آخر أرض لأجدادك ، أنت ترغب
في أداء واجب " صلة الرحم " من وقت طويل ، الآن حان وقته . اذهب مع
السلامة . هناك عين من الماء في بلاد البلقان ، هي عين جرح ينزف بالدم على
الدوام ، لو رفعت حجرا من الاحجار هناك ، تجد تحته قبراً من القبور . شاهد

(١) انظر محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : ١٤٤ - ١٤٥ .

المجاهدون المعممون : ٣٢ .

(٢) انظر مجلة سبيل الرشاد العدد : ٢١٥ .

ياولدى بعينك قدسية هذه الأراضى اذهب مع السلامة . ارفع الثلوج المتراكمة فوق الجبال ، فلن تجد تحتها نباتا ، بل شعرة من رأس جدك انت . اصغ لصوت الريح فانها أصوات شهيد اصغ جيدا ، لاتقف أيها الجندى البطل ، مع السلامة . أيها الموكب الشجاع من ابناؤ الوطن الذاهبين للجهاد اجمعوا على الاعداء كأنكم أسود . فان الله معكم بنصره ، والنبي صلى الله عليه وسلم فى قلوبكم بحبه ، هيا اذهبوا مع سلامة الله" (١) .

(٤) تكلم عاكف فى الجزء الثالث من ديوان صفحاته - وعنوانه : اصوات الحق (٢) - عن حرب البلقان ، وأسهب فى وصف احداثها الأليمة و دسائسها المرة ، وما آلت إليه حال الدولة العثمانية وشجع أعداءها على التهامها والناس فى لهو وشغل عن وطنهم ودينهم لا يعيرون اهتمامهم لما يحق بأمتهم من شرور وترىص . وكتب عاكف فى بيان اعمال الاعداء فى أراضى المسلمين منظومات طويلة ، وشرح مطالبهم ليأخذ المسلمون دروسا مما سبق . وفى كل من الامثلة التى سنذكرها اختلفت الأماكن ولكن شكل العذاب ولون الاستعمار واحد . وقد صور لنا عاكف ستة من وقائع أيام حرب البلقان ، يقول فى المثال الأول : " هذه القلعة التى تراها هى قلعة مدينة أدرنة . أما الشجر الأسود الذى طلع فى وسطها فهو " صليب " . وقد كان السلطان مراد الأول - من سلاطين آل عثمان - يتجول فى هذه التلال . والآن فى هذه المرة تخضع لفردناند (الزعيم البلغارى وملكها أيام حرب البلقان) هل تظن أن هذه الراية المرفرفة رايتنا ؟ لا ، فقد رفعها إلى مكانها ساوفا (الجندى البلغارى) وليس لألا شاهين باشا (القائد التركى الذى وصل أول مرة بجنوده إلى روملى أيام السلطان أورخان ، وفتح مدينة أدرنة أيام السلطان مراد الأول وتوفى سنة ١٣٨٥م) هذه هى أدرنة قلعة قوية للإسلام ، وهذه المدينة كانت مصدر عزة للشرق . فهى المقر الثانى لآل عثمان فى أيام عزتهم . ولعلها أول ثغرة انطلق منها الإسلام إلى أوروبا وهى حصن قوى لاستانبول (٣) . الآن أصبحت تحت أقدام البلغار القذرة وما يسمى جيشهم المنتصر يثار من المسلمين . يمزقون ابدان كل من صادفهم على طريقهم من الأمهات والأولاد والنساء والرجال . الخ .

(١) ديوان الصفحات : ٥٢٧-٥٢٨ .

(٢) انظر لمزيد من المعلومات : ديوان الصفحات : ١٦٥-١٩١ ، شاعر

الإسلام محمد عاكف : ٩٧-١٠١ .

(٣) وفى الطبعة الأولى : أدرنة . . هذه قفل دار الخلافة .

ولقد كنا نرضى عن القتل الجماعى لو رأينا احتراماً تجاه المقتولين . لم يتركوا شيئاً من شعائر الدين ولا عفة النساء إلا اهانوها . هذا المسجد ذو المآذن الأربعة ليس له مثل فى العالم . تتلألاً فيه روعة الفن . علق الأعداء على صدره الصليب وهو ينتظر فاقد الأمل ، وماتسمعه فيه ليس صوت الأذان بل هو أنين ممتد ، لقد كانت عظمة هذا المسجد شبيهة بشجاعة السلطان سليم رحمه الله ، وقد انتهى صبحه المشرق بالغروب المبكر قبل الأوان ، لم يظهر ضياء ولا نور تحت القماش الدموى (١) ، لم يذكر اسم الله فى داخله ولا اسم النبى صلى الله عليه وسلم ، واصبح كالميت المغطى بظلام الكفر . انظر الى البيوت أصبحت كالمقابر ، وفى خلال خمسة اشهر اطفئت أنوار اربعين ألف بيت ، ولم يبق الآن نور ولو فى بيت واحد ، وتسمع من جميع الاحياء والأزقة صيحات مستمرة ، وتسمع دائماً فى الاعماق صوت أنين الاستغاثة ، الرجل محبوس فى الخراج وحريره محبوس فى الداخل . انظر كيف يقتلون الأسير من شدة ظلمهم (٢) وذكر عاكف المثال الثانى من جوار نهر مريخ وطونجا ، والمثال الثالث من مدينة كمول جينا وضواحيها ، والمثال الرابع من مدينة قصورا والخامس من جوار نهر " واردار " (٣) . المثال السادس من مدينتى سلانيك وسراز يقول عاكف : انظر السهول الشهيرة لسلانيك وسراز اليوم أصبحت فى يد من ؟ صارت منزلاً لآى وحشى ؟ فقد تلونت أرضه تماماً بدم المسلمين . فكثافة اللون الأحمر اثرت على مظهر الأيام ، واصبحت الأماكن كلها تظهر فى اللون الأحمر ، احمرت الجبال والوديان وكأن وجه الدنيا ومنظر السماء اصبح أحمر اللون ، ولكن هذا العلم الملون بالازرق - العلم اليونانى - لماذا لم يلون بالأحمر؟ وفى الأماكن التى يرفرف فيها تهب الرياح الحمراء ولا تترك أحداً إلا قتلته . لم يبق أثر للإيمان ، هدمت المآذن وسكنت المعابد ، وهدمت المدارس (الاسلامية العثمانية) هدمت مقابر المسلمين كلها وحولت كثير من المساجد إلى أماكن لشرب المسكرات أو كنائس ، وفى المدن يهاجمون المنازل ، وفى الاقضية تقتل الناس قتلاً جماعياً ، ولم يبق فى القرى عفة فتكوا بها ولوؤها . من عمل ذلك كله؟ - الجواب - : اسمه عثمانى وروحه يونانى ، مجموعات من هؤلاء المتخصصين فى اراقة الدم الطغاة يوءيدون مايسمى " بالجيش المقدس " (٤) وفى الميادين

(١) أشار إلى العلم البلغارى . (٢) ديوان الصفحات : ٢٣٥-٢٣٦

(٣) انظر المرجع السابق : ٢٣٧-٢٤٠ .

(٤) يشير عاكف إلى الجرائم التى يرتكبها الصليبيون الجدد باسم الصليب .

حرقوا ما صادفوه من كل شيء ولم يتركوا حياة فى الأماكن التى مروا عليها ولم يتركوا منزلا قائما وربما لن توجد الحياة فى تلك المنطقة إلى قيام الحشر تصادف فى كل خطوة من خطواتك شقا وقاتلا ، وكل شكل من اشكال الشناعا الدموية فى نظرهم حلال ، هذا قطعوا جبينه ليرسموا عليه صليبا ، وذاك ، اصبح كالثلج فى البحيرة لغرض التعميد ، فهو لا * جميعهم مساكين ، وهو لا * الأيتام الذين يرتعدون فى البرد ، وتلك الارحام التى طعنوها بالحرايب ومزقوها ، وهو لا * فتيات أبدانهن مغطاة بالدماء وطعوا عليها بأحذيتهم لقد هدمت بيوتهن ومزقت أسرهن . وتلك الأمهات فى اسوء الاحوال والأولاد مشردون وتدعو الجدات على الظالمين . والاجداد يئنون أنينا ، فهذه القباب هدمت بالقنابل ، وأخرجت عظام الاجداد من قبورهم . وجثث بعضهم محفوظة تحت اكوام من الرماد ، والصيحات تتعالى ، ولكن القلوب لا تستطيع أن تتحمل سماع هذه الصرخات " (١)

بعد تصوير عاكف لتلك الوقائع يذكر أن المنحرفين لم يعجبهم سماع تلك الروايات وتذكيرهم بتلك الاحداث وتلك الأيام ، بل يعجبهم الذهاب إلى المسارح التى لا تبرز فيها تلك المناظر المؤلمة . وصور عاكف تلك الوقائع على لسان واعظ على كرسى الوعظ فى مسجد الفاتح . حينما أراد أن يزيد من الامثلة فى مظالم الاعداء فى منطقة البلقان سمع الواعظ صوت المؤذن وهو ينادى بقوله " صلوا " ليخبر بدخول وقت العصر ، والجماعة فى بكاء شديد ، ودعا الواعظ بهذه الدعوات لخلص المسلمين من الكوارث ، يقول عاكف : " تعالوا ندع الله تعالى ، لعل الله يقبل منا : يارب لاتجعلنا من المقهورين والهالكين آمين ، لئلا نكون عبرة للعالمين جميعا ، آمين ، فقد تجليت بجلالك ، نحن فداء دينك نحن تعبنا نتطلع لبزوغ الفجر انتظارا لغد جديد ، اكرمنا يارب ، بأيام طيبة آمين ، أين الأيام المشرقة فى المستقبل الموعود ؟ إن المأتم المستمر يضر الإسلام ، إن الآفاق مغطاة بستار من الدماء ، احفظنا من نارك واجعلنا فى نورك يارب ، آمين . ليس فى قلب الأمة أمل فى المستقبل الطيب ، بل هناك ظلمة اليأس ، وفقنا بتوفيقك يارب واجعل قلوبنا مطمئنة ، وايقظ قلوبنا بنفحة منك ، آمين . هل يكون القرآن تحت الاقدام يا إلهى ؟ وهل ترضى يا إلهى أن تدوس أقدام الاعداء على آياتك ؟ هل ترضى أن تعلق الصلبان

على جدران الكعبة المشرفة ؟ هل ترضى أن يقضى على دينك العظيم في آخر الأمر؟ إذاً احفظنا يا إلهي من الذلة : آمين والحمد لله رب العالمين (١) .

وهكذا صور عاكف وقائع أيام حرب البلقان وأشار إلى طريق الخلاص ودعا ربه بالدعاء المذكور . وحينما ننظر إلى آثاره المؤلفة أيام الحرب نرى أنه يدافع عن وحدة المسلمين في ظل الخلافة الإسلامية ، وزعامة خليفة المسلمين . وبعد انتصار الأعداء على الدولة العثمانية في تلك الحرب بدأ يعبر عن احزانه وعن مخاوفه أمام هذه الأوضاع المؤلمة ومع ذلك كله لم يفقد عاكف ثقته في تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية . واستمر على دفاعه عن أفكاره وآماله في توحيد صفوف المسلمين . ونصح المسلمين بالسعى والعمل والثقة بما عندهم من القدرات المادية والمعنوية وعبر عن حزنه حينما دخل الأعداء أراضي المسلمين وتآلم بالآلام تلك المناطق ، وأمراض المسلمين وفقدهم وما أصابهم من أنواع الضعف والخسران وعبر عن الحضارة الغربية "بالوجه المستعار" لأنهم اختفوا خلف التقنية وارتكبوا المظالم .

٥ (هـ) مواعظه (٢) أيام حرب البلقان في أكبر مساجد استانبول : لقد عبر عاكف فيها عن سئس الله في الكون والحياة وأشار إلى ضرورة العمل للخلاص من الكوارث وطلب التوفيق والنصر من عند الله . وقال : هل المسلمون جاهدوا كما أمر الله تعالى في كتابه الكريم ؟ ليس الإسلام الفاظاً تقال فحسب ، إنما أسأل : هل اهتم المسلمون في الشرق بأمر المسلمين في الغرب؟ وهل تألم مسلمو الشمال بالآلام اخوانهم في الدين في الجنوب ؟ لا والله ما عملوا ذلك إذا لا شك فإن المصائب سوف تنزل على العالم الإسلامي ، بعد التخلص من مصيبة تصيبه مصيبة أخرى وهكذا . . . ، ورغم كون الأمر بهذه الصورة فنحن لم نبحث عن الأسباب الأصلية للمصائب وما اشتغلنا بخلاصنا ، بل اشتغلنا باخطاء الآخرين وبمواخذتهم ، وضيعنا اوقاتنا ولذا فقدنا البلقان" (٣) ويعقب قائلاً : " حين يدعو داعي الجهاد وتنتشر رائحة دماء الشهداء فلا يمكن للانسان المسلم أن يشتغل بالأمر الأخرى من الأهواء والشهوات .

وقد ادرك عاكف اغراض الأعداء واحس اهدافهم في تعزيق المسلمين وازالة الإسلام خصوصاً في أحداث حرب البلقان واهتز بضياع روملي - أراضي المسلمين في البلقان - وعبر عن اسفه بتأثر ودعا ربه وبكى وابكى . (٤) .

(١) ديوان الصفحات : ٢٤١ . (٢) انظر مواعظ محمد عاكف : ١-٣٥ .

(٣) مواعظ أيام حرب الاستقلال : ٤٢١-٤٢٩ هـ (٤) محمد عاكف لاشرف اديب : ٩٩/٢

٢) أهام الحرب العالمية الأولى :

تمهيد :

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في جانب المانيا والنمسا في اكتوبر سنة ١٩١٤ وكان البريطانيون بمعاونة الجنود الاستراليين، والنيوزيلنديين يدقون أبواب المضائق، وكان الحلفاء قد وعدوا روسيا باستانبول والبسفور، لذا ظلت روسيا تقاتل وتواصل الحرب.

قامت الحكومتان البريطانية والفرنسية خلال شهرى فبراير ومارس عام ١٩١٥ بمحاولة لمهاجمة المضائق وحاول اسطولهما أن يخترق بالقوة مضيق الدردنيل ولكن المحاولة فشلت واضطر الاسطول المشترك إلى الانسحاب وخسر عددا كبيرا من بوارجه وحاول الحلفاء توجيه ضربة إلى الدولة العثمانية بإرسال حملة برية كبيرة تنزل بواسطة الاسطول فى شبه جزيرة غاليبولى - فى آخر مضيق الدردنيل فى الجانب الاوروبى - واستمر القتال بضعة أشهر ولكن قوات الحلفاء اجبرت على الانسحاب فى ديسمبر سنة ١٩١٥، بعد أن خسرت مائة وعشرين ألفا من الجنود بين قتيل وجريح . وقد وقعت معركة فى البر والبحر لم يشهد مثلها من قبل واستبسل العثمانيون استبسالا منقطع النظر فصدوا هذه الحملة (١) ، وأراد الحلفاء ضرب الدولة العثمانية بالاستيلاء على استانبول ففتحو عليها عدة جبهات فى وقت واحد مثل جبهة القوقاز وجبهة مصر، وفلسطين و جبهة العراق . . . الخ ، ووضعت الحرب اوزارها فى نوفمبر ١٩١٨ ، وتمزقت الدولة العثمانية نهائيا . واستولت البواج الانجليزية على البسفور، واحتلت جيوشها العاصمة وكل قلاع الدردنيل، والأماكن الحربية الهامة فى انحاء تركيا . بينما احتلت الجيوش الفرنسية اجزاء من استانبول، واحتلت الجيوش الايطالية اجزاء أخرى . واشرف ضباط الحلفاء على شئون " الشرطة" والحرس الوطنى، وعلى الميناء وعلى تجريد القلاع من اسلحتها وتسريح الجيش، وانهارت الادارة الحكومية انهيارا تاما . وتفرق رجال " جمعية الاتحاد والترقى" ، ففر انور وطلعت وجمال إلى الخارج ، واختفى الاعضاء إلى أماكن مجهولة بعد أن انتهت هذه المجزرة البشرية - التى يطلقون عليها الحرب العالمية الكبرى-

(١) انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية : ١٢٦-١٢٧ ، تاريخ أوروبا الحديث : ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، دولة الخلافة : ١٦٧ ، كيف هدمت الخلافة : ٧٩ .

وأرغمت حكومة استانبول على توقيع معاهدة سيفر. وفي هذه المعاهدة لم يضع من أيدي الاتراك كل شيء فحسب، بل انتزعت منهم بلادهم أيضا. وأرسلت القوات اليونانية لتحتل مدينة "إزمير" على الرغم من الهدنة التي ارتضتها تركيا والحلفاء معا (١)، وكان ذلك دليلا قاطعا على أن الاعداء قد حكموا على تركيا بالموت.

اعمال محمد عاكف أيام الحرب العالمية الأولى :

(١) عمل عاكف مخلصا ليقضى على معاهدة "سيفر" هذه، وتنال بلاده استقلالها وحريتها وكان هدف الانجليز تمزيق الدولة العثمانية والغاء الخلافة، وسلكوا السبيل التي تودي إلى ذلك وساروا في معاملتهم للدولة العثمانية المغلوبة على غير الاسلوب الذي ساروا به مع ألمانيا المغلوبة مع أن كلتا الدولتين كانتا تحاربان معا. ولكن الإنجليز عاملوا ألمانيا معاملة دولة مغلوبة ضمن القانون الدولي وما ينص عليه في مثل حالة انتهاء الحروب بين دولتين احدهما غالبية والاخرى مغلوبة أما الدولة العثمانية فقد عوملت على خلاف ذلك إذ مزقت إربا إربا بعد انتهاء الحرب فاحتل الانجليز اكثرها وقسموا ما احتلوه قطعا حسب المخطط الذي كانوا قد وضعوه لها (٢).

وقد كانت نشاطات عاكف قبل هذه الحرب في مجال النشر والنصح والارشاد. أما في أيام الحرب، فتعددت مجالات اعماله ونشاطه ولم تقف عند حد نشر الكتابة بل تعدته إلى القيام بنشاط سياسي فقد ارسله الخليفة إلى برلين ومصر ونجد والمدينة المنورة، وكان عمله في هذه الجهات عبارة عن السعى للحفاظ على الخلافة الاسلامية ووحدة المسلمين، وكتب عن احوال المسلمين وعن مشاهداته في البلاد التي سافر إليها مثل قصيدته بعنوان "في الأقصر" و "من فيافي نجد إلى المدينة" و "خواطر برلين" ودعا إلى ضرورة اتحاد المسلمين، وحاول تحقيق فكرة الجامعة الاسلامية. أما خواطر برلين: فهي منظومة طويلة لعاكف نظمها سنة ١٩١٥ أيام اقامته في برلين. وكان قد رحل إليها في النصف الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وعاد منها في اواسط شهر مايو سنة ١٩١٥، وأشارت مجلة سبيل الرشاد إلى رحلته قائلا: إن رئيس تحرير مجلتنا ليس في استانبول بل هو في خارجها ونشر

(١) انظر كيف هدمت الخلافة: ١٧٤-١٧٥. (٢) المرجع السابق: ٩٤-٩٨.

هذا الخبر للسائلين عنه عن طرق المراسلات " ونشرت في ١٨/٣/١٩١٥ الخبر التالي : " عاد رئيس تحرير مجلتنا محمد عاكف ومعه الشيخ صالح الشريف التونسي من ألمانيا " . وقارن عاكف في منظومته التي سماها " خواطر برلين " بين الاجهزة الادارية في الحكومة العثمانية ومثيلاتها في برلين . واطهر عاكف نقده الاجتماعي واجاد في عرض افكاره فيها . وعرض المأساة التي يعيشها المسلمون . فقد كانت الدولة العثمانية في فترة تعد بالنسبة لها " فترة الضياع " مما يبكي القلوب ويهيج المشاعر . وكان غرض عاكف أن يقدم بوضوح وبساطة التناقض الكبير بين تقدم الغرب وخمول الشرق في طرق المعيشة واسلوب الحياة . ثم نصح عاكف المسلمين كافة : " هل تعلم اليوم أن تونس والجزائر والقوقاز غارقة في المآثم والاحزان ؟ هل تعلم ان الرجال صامتون لأنهم مكبلون بالاغلال ويساقون بالحديد والنار؟ ، ثم الأدهى من ذلك أنهم انخرطوا في جيوش فرنسا يحاربون باسمها ، ويدافعون عن شرفها . يحاربون من ؟ يحاربون المسلمين أرسلوا إلى ميادين القتال حيث القتلى منهم بالآلاف والمعوقون بمئات الألوف والاحصائيات تقول إن مائة وخمسين ألف امرأة في شمال افريقيا أرامل لاعائل لهن ، أجبروا على السير في طريق الرذيلة ليكتسبوا لقمة العيش ، ماتوا في سبيل فرنسا ، في سبيل عدوهم " ، ثم ينتقل عاكف بعد الحديث عن مسلمي شمال افريقيا الواقعة تحت السيطرة الفرنسية ، فيخاطب مسلمي آسيا ، مهد ابراهيم الخليل عليه السلام . وأول بلد يتحدث عنها هي الهند الواقعة تحت السيطرة البريطانية . يبدأ حديثه بشرح مفصل عن احوال مسلمي الهند وما هم فيه من فقر وحياة غير مستقرة ، والمستعمر يحرض عليهم اصحاب الديانات الأخرى فيقومون عليهم قتلا وتشريدا وهتكاً لأعراضهم ، وكل يوم تتكرر المأساة والضحية هم أبناء المسلمين . ثم ينتقل عاكف إلى وسط آسيا وكل شعوبها مسلمة فذكر أنها كانت ذات يوم صاحبة شعاع حضارى أظلت العالم برمته وأخرجت أبطالاً مقاتلين وعلماءً أفذاذاً وأدباءً مرموقين . وتئن شعوبها المسلمة الآن تحت نير السيطرة الروسية . ثم يشير إلى أن سادة الروس من قيصرهم إلى قادة جيوشهم ، بل وكل من يعمل بالجيش الروسى مشهورون بالقسوة والعنجهية لا هدف لهم إلا تحطيم الإسلام ولا شغل يشغلهم إلا افناء المسلمين حتى إنه من قسوتهم وجبروتهم يُعتبر الشعب الروسى نفسه مستعمراً من قبل قياصرته وزمرة حكامه حتى وصل بهم الأمر أنهم يعيشون حياة كلها نكد وغم وألم .

وبعد الحديث عن المستعمر الروسي وما يقدم به من أعمال بربرية ووحشية ، وما تقاسيه الشعوب الاسلامية الواقعة تحت نير بطشه وما هم فيه من ذل وفقر وضياح ، يعود عاكف فيخاطب المرأة الألمانية (١) - خطابا خياليا ويقصد جميع الغربيات - ويطلب منها أن تشارك بدعوتها السخية للمسلمين في آلامهم ومصائبهم قائلا لها : إن نظراتك المليئة بالحنان تجاه الشرق الخالد وأهله وهم في بؤس وتعاسة ، تعتبر فجرا جديدا يطل على بلادنا إن آذان وجدان الغرب واحاسيسه صماء ، لا تسمع شيئا من صيحات أولئك المسلمين التعساء ، بل إن البشرية تستغيث وتبتهل إلى الله العلى القدير ، أن يرحمها من هؤلاء القساة الذين يسوقون الملايين نحو الموت.. إن ما فعله الغرب المسيخى تجاه المسلمين شىء فظيع ، لقد اتحد على تدمير البلاد الاسلامية ومحوها من الوجود ، والدولة العثمانية التي تقف صامدة أيام الطغاة ، هي آخر معقل للإسلام ، وأمل المسلمين فى الخلاص والنصر. إنها اليوم فى أسوأ وضع ، إن الاعداء يهددون " جناق قلعة - الدردنيل - إن جناق قلعة مفتاح عاصمة الإسلام " وهنا يظهر بوضوح ما كان يحس به عاكف بفطنته وروحه الصافية مما يديره الإنجليز واعوانهم للاستيلاء على ثكنات جناق قلعة ، وهو أهم خط دفاعى يحمى استانبول ، ثم يسرح عاكف بخياله نحو استانبول عاصمة الدولة العثمانية ، وهو جالس على كرسيه فى المقهى ببرلين ، وكأنه يرى جنودها البواسل يدافعون عنها ، فيقول : " انظروا إلى هذا الجندى المتقدم ، إنه من جند الله ، نعم !!! إن عيني الآن تتبعان افراد جيشنا فردا فردا . إنهم أعظم الأبناء الذين يشكلون جيشنا الباسل ، إنهم يدافعون عن الإسلام ، وإن استشهدوا فإلى رحمة الله ، ثم يهمس عاكف وكأنه يخاطب نفسه بعد ذلك ويحس أن هؤلاء الجنود البواسل هم أبناؤه ، ويخشى عليهم ، لكن نداء الوطن والإسلام يرن فى أذنه ولعله أحس بالكارثة قبل وقوعها. فيقول : هم أمل ثلاثمائة وخمسين مليوننا من المسلمين ، يالها من كارثة محققة إذا انهزم هؤلاء البواسل !! ستهدم المآذن من صدر الفضاء ، ولن نسمع صوت " الله اكبر " مرة أخرى ، ومع هذا الإشفاق والحنان الأبوى على الأبطال المدافعين عن جناق قلعة والأمة الاسلامية ، يتماسك عاكف ويصبح فى الجنود البواسل كأنه يقود مسيرتهم :

(١) انظر الحوار الخيالى لعاكف مع امرأة ألمانية حينما رأى بكاء المرأة أيام الحرب : ديوان الصفحات : ٢٧١ .

أيها الأبطال الصناديد ، لا تخشوا ، ولا ترتدوا على أعقابكم ، نحن معكم" (١) .

ويقول عاكف في مزايا وفضائل المجاهدين في قصيدة له : " اسرع المجاهدون إلى القتال في ظروف سيئة ليس لهم طعام ولباس كاف من جبهة إلى جبهة أخرى بلافاصل لوجه الله تعالى لا شك يشعر الجميع بالخوف من الموت حتى الأسد يشعر بذلك فضلا عن الإنسان . ولكن هو " لا " الشجعان عرفوا الموت معرفة يقينية لأنهم يجابهون الموت دائما فإن جبهات القتال في قارات متعددة ومحاطة بالبحار . أما جبهات البر فهي أكثر خطرا : ليس لها طرق كما ينبغي فإن أيسر الحركات القتالية كما هو واضح إما السفر إلى بلاد القوقاز حفاة بلا أحذية ، وإما السفر إلى سيناء مكشوفى الرأس (٢) إن ظننت أن الجهاد يمكن في هذه الظروف ، فجهز نفسك والبس لباس الجهاد ليس الجهاد في هذه الأيام شغل منصب من المناصب بل الجهاد اليوم فتح قارة من القارات" (٣) .

(٢) ومن روائعه الخالدة التي وصف فيها موقعة الدردنيل وصفا بليغ العرض شديد الروعة قصيدته بعنوان " إلى شهداء جناق قلعة " تناول فيها عاكف وصف أهوال الحرب - أى معركة الدردنيل - التي كان يراد بها ضرب الذلة والمسكنة على المسلمين حتى يستطيع الحلفاء الوصول إلى استانبول " ما حرب الدردنيل هذه ؟ وهل لها نظير في العالم ؟ أربعة أو خمسة من جيوش الدنيا الجرارة تهجم هجوما عنيفا على قطعة صغيرة من البر ، محاطة بكثير من الأساطيل ، كي يتمكنوا من فتح الطريق إلى مرمرة ، أى حشد مخز هذا الذى قد سد الآفاق ؟ أينما وجدوا من أسراب الضبع المفترسة العديمة الشعور ، التي تدعو الانسان ، بما أرتته من توحش ، لأن يجزم بأنها أوروبية جاءوا بها من غياهب السجون أو الأقفاص ! الدنيا القديمة والدنيا الجديدة وكل أقوام البشر ، يموج (٤) بعضها في بعض ، فوجا فوجا كالرماد تثيرها الرياح أو الطوفان . أقاليم الدنيا السبعة تقف أمامك ، فحينما تنظر يقع بصرك على كندا إلى جانب أستراليا : الوجوه مختلفة اللغات ، والجلود ألوان ، وليس بينهم وصف جامع سوى تساويهم فى الوحشية . منهم نيام نيام ، ومنهم

(١) انظر ديوان الصفحات : ٢٧١-٢٨٥ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٢١-١٣٣

(٢) لأن الدولة العثمانية كانت تحارب روسيا في جبهة القوقاز في الشمال وتحارب

الإنجليز في سيناء .

(٣) ديوان الصفحات : ٣٥٤ . (٤) فى الاصل التركى : تغلى كغليان الرمال

هندوس ! ومنهم لا أدري أية مصيبة ! إن هذا الاستيلاء ذلّ وصغار، لا يصدران حتى من الطاعون . هل ترى القرن العشرين هذا . ذلك المخلوق النجيب قد وقف أمام محمد جك - اى محمد الصغير - " (١) شهورا متوالية، فقاء كل من كان يعنى بهم من الأوغاد، وصب ما فى بطنه من الاسرار بغير خجل ولا حياء . ان ذلك الوجه كان لا يزال فتنة لنا، فعندما مزق نقابه، إذا المومس التى نطلق عليها " مدنية - " الحضارة الغربية - كانت خليعة جدا . وناهيك بوسائل التخریب فى يد هذه الملعونة، تكفى واحدة منها لتدمير مملكة .

من هناك تمزق الصواعق - الطائرات - الآفاق ، ومن هنا تبعثر الزلازل - الألغام - خبايا الأرض، إن بروق القنابل تنزل من أعلى المتاريس، فتخمد - على صدور ذلك النفر البواسل وآلاف من الألغام تحت الأرض، كالجحيم وما يحرقه كل لغم مشتعل - مئات من الناس، فالسما تمطر الموت والأرض تغور بالموتى ! ما أفظع تلك العاصفة التى لا تنسف إلا أنقاض البشر ! فالرؤس والعيون والجذوع والسيقان والأذرع والأصابع والأيدى والأرجل، تنهمر على التلال والوديان دفعة دفعة ! تلك الأيدى الأثيمة - المدرعات - تنثر، وهى مغطاة بالدروع، طوفانا من الصواعق وسيولا من النيران . واسراب الطائرات التى لا تحصى تقف وترسل نيرانها على صدور عارية . المدافع اكثر من البنادق فالذخائر النازلة قذائف، انظر إلى هذا الجيش الباسل فإنه يسخر من هذا التهديد ويقدم على القتال ولم يتدرع بدروع من الفولاذ، ولا يستكين أمام عدوه، فهل الإيمان المضاعف فى قلبه من الحصون التى يمكن فتحها؟ هيهات لأية قوة أن تذله لسلطانها، لأن هذا الاستحكام المتين تأسيس إلهى !

قد تحاصر القلاع الحصينة فتسقط، لأن صنع البشر لا يقوى على وقف عزم البشر، أما هذه الصدور، فهى حدود الله الأبدية، التى يقول فيها : إنها صنعى البديع، فلا تدعها توطأ . فله در هذا النشى البار، الذى لم يترك شرفه يوطأ ولن يتركه أبدا، وهاهى الجبال والصخور كلها مغطاة بجذوع الشهداء وتلك الرؤس التى لم تكن لتحنى فى الدنيا لولا الركوع قد تمددت على الأرض - مجروحة جباهها الطاهرة، فكم من شمس تغرب فى سبيل هلال واحد (٢)، أيها

(١) يسمى الجندي المسلم المجاهد - أى كل فرد من أفراد الجيش - باسم "محمد الصغير". ومن بين فوائد هذه التسمية، ربط أفراد الجيش برسول الله صلى الله عليه وسلم اسما وسلوكا واجلاقا . الخ .

(٢) الهلال رمز للاسلام ويمثله، كما كان الصليب رمزا للصليبية باجمعها واصبح المراد بالهلال العلم العثمانى .

الجندي الذي وقع في التراب لأجل هذا التراب! انك لجدير بأن ينزل -
اجدادك من السماء ويقبلوا جبينك الطاهر. ما اعظمك فإن دماك تنقذ
التوحيد، وليس يدانيك في جلالة القدر إلا أسود بدر! (١) من الذي يستطيع أن
يحفر قبراً لا يضيّق عنك؟ فإن قلت هلم ندفنك في التاريخ فهو لا يسعك بل لا
يستوعب صدره الأدار التي قمت بها، وإنما تستوعبك الأبدية..، فانت وقصد
كسرت صولة أهل الصليب الأخير، فجعلت صلاح الدين - وهو أحب سلاطين
الشرق - حائراً مهبوتاً أمام جلالك، كما أذهلت ذلك السلطان العظيم (قلسج
أرسلان) . وكان الخسران محيطاً بالاسلام، وآخذاً بخناقه، فكسرت ذلك
الطوق الحديدي على صدرك ومزقته! وانت واسمك يسير في الأجرام مع روحك
وأنت ولو دفنت في الأعصار لتفيض عنه، فان هذه الآفاق لا توافقك ولا تسعك
هذه الجهات! (٢) .

(٣) في رأى عاكف أن نكبة الحرب العالمية الأولى جاءت عقاباً ريانياً
للمسلمين على تفرقهم وتشتتهم وحرب بعضهم لبعض، وتعاونهم مع اعدائهم
الصليبيين ضد بعضهم البعض، واتخاذ اولئك الاعداء بطانة من دون المؤمنين (٣)
مثل ما عمل حزب الاتحاد والترقي مع الألمان في الدخول بالحرب معهم فسي
صفوفهم. وكما عمل البعض الآخر من الإنجليز واصبحوا في صفوفهم في حربهم
ضد الخلافة الاسلامية، ومخالفة لأمر الله وهم لا يألونهم خيالاً، بالاضافة إلى
الفتنة بالمحرمات، ولم تعد بلاد البلقان وقبلها القوقاز والقرم وبلاد كثيرة إلى
الإسلام مرة أخرى، واستنفدت طاقة الأمة الإسلامية في مجموعها وانحسر في عديد
من بلاد العالم ظل الإسلام، وازيلت الدولة العثمانية رغم تمكنها في الأرض
واستطاعتها أن تحفظ كيان المسلمين أربعة قرون أو اكثر، ورغم امتدادها في
داخل العالم الصليبي حتى " فينا " في الغرب و " بطرسبرج " في الشرق
وإلى المحيطات في الجوانب الأخرى، ورغم دخول ملايين من البشر في الإسلام

(١) أقام عاكف شبهاً بين شهداء بدر وشهداء جنات قلعة ويرى بعض
المفكرين أن هذا التشبيه من المآخذ على عاكف لعدم جواز تشبيه جهاد
هذا الجيل بالجيل الأول، وقيل: إن عاكف غير الشرط الثاني من البيت
بالشرط التالي: كان شهداء بدر والشجعان هم الاسوة.

(٢) انظر ديوان الصفحات: ٣٥٤-٣٥٦ ترجمة عبد الحميد الداخلى .

(٣) انظر مواعظ محمد عاكف: ٣٥٠-٤٤٤، ٥٦-٨٦ .

على يدها في قارات مختلفة .

لقد كان عدد السكان المسلمين في البلقان وروسيا . الخ ملايين عند ابتداء الحرب العالمية الأولى ، فتناقص عددهم تحت مطارق الافناء ، والقتل والتجويب والنفى ، والمأساة تتكرر حتى الآن . وليس لنا محمد عاكف لتصوير المأساة في جميع انحاء العالم ولتصوير وسائل الظالمين وبشاعتها ، وفي بلغاريا تتم حركة التطهير من العنصر التركي الإسلامى ، وكذلك في جميع البلقان وروسيا وغيرها بانزال النقمة على رؤوس المسلمين بشكل وحشى . وروى الفارون أيام محمد عاكف من هذه المناطق إلى استانبول اخبارها ونقل عاكف عنهم الهمجية الواقعة . يقال : لو لم يكن عاكف لما كتب أحد عن حرب الدردنيل كما كتب عاكف ولا صور أحد تصويرا واقعيا مظالم الصليبيين وبطولات المجاهدين (١) . وعودة الجيش من الدردنيل منتصرا على الإنجليز كما صورته عاكف ، وكان له أثره فى معنويات الجيش وفى نفوس المسلمين ، وكان له أثره كذلك على الحلفاء .

وفى الجزء السادس بعنوان "عاصم" من ديوان صفحاته . اختار عاكف "عاصم" - وهو بطل شاب عثمانى - كموضوع لمنظومته القصصية ، وكتب عن جهاده فى ميدان القتال ، ونظر إليه كمجاهد ومكافح أبلى بلاء حسنا هو ورفاقه من الجنود العثمانيين حيث اظهروا بطولات فى الدفاع عن بلاد المسلمين . ونظم عاكف عن بطولات العثمانيين فى الحروب الصليبية الأخيرة التى شنها الغرب على الدولة العثمانية وشجع الجيل الجديد على الجهاد وشجعهم على خوض المعارك والاستبسال فى القتال دفاعا عن وطن المسلمين .

(٤) يقول عاكف فى بيان ظروف البلاد الاسلامية واعمال الصليبيين " أسأل نفسى احيانا ، هل أنا فى غربة أم فى دهرش ؟ أنظر إلى الاحجار والتراب ، تظهر أمامى آثار الدم ، وموجات بحر بلادى عبارة عن دماء ، لونها ينفسجى ، وقد بقى فى بيتين أو ثلاثة بيوت من منازل جيرانى أثر الحياة فقط . يخرج الدخان على دفعات من مدخنتها ، بحثت عن منزل اعرفه من قبل ، ولكن أثناء البحث حرقت عينى ، واحاطنى رماد حار ، ليس هناك مياه خضراء ، ولا جبال زمردية ، ولا حتول قمح يتحرك زرعها فى الريح هنا وهناك ، ولا حدائق عنب كثير الثمار ، والجميع ينتظر النتيجة تحت حرارة الشمس ، وبقى من هـو لا "

(١) انظر تاريخ الأدب التركى المصور والمنقوش : ٢ / ٥٩٦ .

المظلومين وبلادهم الصرخات القاسية والغلاة الفارغة فقط، واصبحت بلاد الأتراك خراباً . والبيوت التي كانت بالأمس سعيدة بمن فيها أصبحت اليوم حطاما ، لا تسمع صوت إنسان أثناء النهار، ولا ترى نورا وقت الليل ، لو صرخ ضيف بأعلى صوته لردد الصدى صوته كصوت البومة . وإن قلت : " أين أصحاب هذا الوطن ؟ يرجع إليك نفس الصوت من الجبال أمامك " أين أصحاب . ؟ " ثم عبر عاكف عن الضعف المحيط بالأمة بكل وضوح ، فبين ضعف افراد الأمة من ناحية البدن والقوى المعنوية . وأشار إلى الفقر المنتشر وقال : يابنيتي : إن تابوت جدتك كان احسن من عربة العروس لك . يا الهى : مضت الأيام مثل الروءيا المنامية ..، اصبحت اليوم وحدة الأمة عبارة عن خيال ، انظر احوالها ثم أفكر فى الماضى ، من كان يتوقع أو يقول : ستهدم هذه الصخرات ؟ اليوم اهتزت تلك الصخرات ، فتزلزلت من اهتزازها الأركان (اى تمزقت الوحدة) (١)

٥) يقول عاكف عن رأيه تجاه الحرب العالمية الأولى : فى رأىى : أن الدماء قد ضاعت فى هذه الحرب مثل الأنهار، فإن الحرب العالمية عبارة عن ملهاة أسوأ من لعبة المسارح ، وليست لها قيمة تذكر، وبعد ازالة الستار لا يبقى للأمر قيمة حقيقية . وكل من نظر شاهد الوجوه التي كانت تخفى فى الظلام بالله قل لى هل ينبغى الصبر على الحرمان ؟ قد تحملت الأمة حتى الآن ولكن لن تتحمل بعد ذلك ، ولا يمكن اقتناع الشعب تحت اسم الدفاع عن الوجود ، والانسان الفاقد جميع درجات صبره يقول : لاحول ولا قوة الا بالله . حينما أصبح أنا فى الكوارث فهل يجوز أن تعيش أنت فى الرقاهية مرتاحا ، لا أظن ان السادة يوافقون على هذا الوضع ، انظر جوارك لتشاهد الاوضاع السيئة التي نعيشها فى واقعنا . ولكن لا تتعمق لأنها تمزق القلوب ، كنافى الماضى نسمع الصوت القوى للناس فى هذه الوديان اسأل الآفاق وقل : اين تلك الأيام الطيبة ؟ وقد اصبحت الأرض الخضراء ترابا أسود ، انتهت حركات الآف من أهل الحياة وما اكثر الذين بقوا فى جوارى جائعين وكل منزل من المنازل المسكينة اصبح مقبرة للأسرة . يابنيتي : إن هذا السكون الخرب يحزننى ، لو بحثت عن منزل من المنازل تسمع صرخات جمدت اجساد الاموات وليس هناك من يدفنهم . وقد تضيع البلاد بهذه الكوارث . ومن جهة أخرى تقوم فى البلاد مجموعة من أهل الشر يأكلون خيراتها كما يأكل الضبوع

(١) انظر ديوان الصفحات : ٣١٢ - ٣١٣ .

لحم ميتة (١) .

ثم يصور عاكف احد الشباب المسلمين الشجعان ويكتب عنه قائلا : إن حالة الضياع تخنق روح الشاب، يحزن دائما ويمضى كسير القلب مشتت الفكر، كم من الناس فى الآلام لا يستطيع ازالة الآمهم، وكم من المحتاجين لا يستطيع أن يساعد هم كم من المنازل اصبحت حطاما من أثر الحريق ! من يساعد من العاجزين الذين لا يحصى عدد هم ؟ ومن يعارض من اللصوص الطعونيين ، وهم اعداد كبيرة ، اصبح منزله كأنه محكمة تقضى فى أمور الناس بهمة ونشاط، يحكم فى الليل وينفذ فى النهار" (٢) ، ثم ذكر عاكف رأى والد عاصم فى اعمال ابنه ويقول : هو يسرع إلى جبهات القتال بلا توقف من سنوات طويلة ، لا يخاف من بعد المسافات ولا الحر ولا البرد ، لم امنعه من الذهاب إلى الجهاد ابدا بل اشجعه بقولسى : " إالحق بالعدو " وحينما كنت ارسله كنت اقطع الأمل فى عودته واقول : " ذهب ولن يعود مرة أخرى " وأنساه ، واعطى اهتمامسى لآخوانه الباقين فى البيت بعده . إن الزلازل لم تضرنى وحدى بل هدمت العائلات ، وهناك مأساة عامة للجميع لا يمكن أن اتكلم عن مشاكل الشخصية لم اتفكر فى ولدى ، ولم اجعله همًا لقلبى ، لأن هناك اولادًا للآخرين : لم أفرق بينهم ، كلهم شباب ، لهم أرواح كم من المرات قيل لى : "مَرَقَ ابنك عاصم" حزنت من قلبى حزنا شديدا ، ولكن لم اظهر ، لأن المشاكل طبيعية : مادامت الاحزان قد احاطت ببلادى من جميع الجوانب ، فليكن عاصم فداءا لسلامة الباقين من المسلمين . اقول فى نفسى : هذه سعادة عظيمة" لأنه جاهد واستشهد وأبذل كل جهدى لاسكات احزاني" (٣) ، مع اشفاق عاكف وحنانه الأبوى فى بعثرقصائده على الابطال المدافعين عن الأمة الاسلامية ، يتماسك فى بعضها ويصيح فى الجنود البواسل كأنه يقود مسيرتهم . وعبر عن عواطف المسلمين ومشاعرهم وحشهم على الوقوف بجانب الدولة العثمانية وتأييدها وحذرهم من القوى العالمية التى تعمل على تفريق شملهم وهاجم الحلفاء وكل من شايعهم وامتازت اشعاره بالطابع الإسلامى الحماسى الذى يدعو المسلمين إلى اليقظة وحمل السلاح .

وانتهت الحرب العالمية الأولى وخرجت الدولة العثمانية منها بعد أن خسرت معظم املاكها وفتح الإنجليز ابواب فلسطين أمام يهود العالم . وبكى

(١) ديوان الصفحات : ٣٦٠-٣٦١ (٢) المرجع السابق : ٣٦١ .

(٣) المرجع السابق : ٣٦٥ .

عاكف حالة الإسلام بكاء الأمهات اطفالهن وعبر عن حزن المسلمين وألمهم فنظم قصائد . وسيطر الحزن عليه حين رأى اعمال الحلفاء فى دار الخلافة استانبول . وكانت قصائده تثير فى المسلمين الحمية الاسلامية وتذكرهم بعدوان الصليبيين عليهم .

(٣) أيام حرب الاستقلال :

تمهيد :

كان لليونان النصيب الأكبر فى إرث آل عثمان ، فقد ضمت إليهم تراقيا واخذوا جزءاً من الأناضول وقسم الجزء الباقي إلى مناطق نفوذ بين الحلفاء الذين لم يكتفوا بهذا بل وضعوا رقابة دولية على استانبول والدردينيسل والبسفور مع كل هذا لم تستطع تركيا أن تحرك ساكناً ، لأنها خرجت من الحرب منهوكة القوى ، ضعيفة كل الضعف ، حتى خيل إلى الحلفاء أنها على وشك الفناء ، إلا أن القوة الحيوية الكامنة فى نفوس الأتراك سرعان ما دفعتهم لأن يهبوا من جديد ، وأن ينازعوا اليونان ، فالقوا حكومة فى انقرة ، ولموا شملهم الحربى ، واصلوا بطلان معاهدة سيفر (١) . وهنا سلط الحلفاء اليونان على الأتراك ، ومع قوة اليونان الحربية والمالية ، فإنهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الأتراك الذين حملوا عليهم حملة اضطرتهم إلى الجلاء عن أراضى الأناضول فى خريف عام ١٩٢٢ ، واستمر الأتراك كل ما كان لهم فى الأناضول وشيئاً من تراقيا فى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ وانجلى الحلفاء عن استانبول .

واستيقظ الأمل فى قلوب المسلمين فى العالم حين وصل إليهم خبر جهاد المسلمين الأتراك فى الأناضول ، وتمردهم على قوات الاحتلال ، ورفضهم ما أملى على الدولة العثمانية من شروط مذلة قاسية فى معاهدة " سيفر " وتعلقت آمال المسلمين بالمجاهدين فى قتال يائس مع اليونان الذين انتشروا فى إزمير وضواحيها إلى قرب انقرة . يدرون كل ما يصل إلى أيديهم ولا يرعون لشيء حرمة . واتخذ المجاهدون " انقرة " مركزاً لحركتهم . ودهش الناس حين رأوا هذا القتال اليائس ينقلب إلى انتصار

يتلوه انتصار حتى تم له اجلاء اليونان عن الأناضول بعد أن كبدهم خسائر
قادة والذين يقرأون قصائد الشعراء (١) الذين هلكوا لتلك الانتصارات يحسون
أنهم كانوا يعتبرونها انتصارات للإسلام على المسيحية .

اعمال محمد عاكف أيام حرب الاستقلال :

(١) كان لابد من عمل ينقذ مابقى من البلاد ويرد عنها مصير الدمار
المنتظر، فتشكلت العصابات في طول البلاد وعرضها . وأخذ عاكف يطوف بالقرى
والمدن يخطب في الناس، وكان في خطبه يثير الحمية في النفوس، ويهيج
مشاعر الناس من المسلمين للدفاع عن اعراضهم ودينهم وخلافتهم
وممتلكاتهم . . الخ (٢) ، لأن العدو قرر أن يدمر تركيا ويمزقها شرممق ويقم
دولة يونانية كبيرة . وبات الخليفة مسلوب الحول والقوة اسيرا في ايدي
الإنجليز، ومن بين اعمال اليونان في أراضى الأناضول : اغراق البيوت بالبترو
ثم ارسال السنة اللهب عليها . ومثلوا بجثث الجنود الذين اسروا بعد أن
اقتلعت اعينهم، وذبحوا الأهالي المسلمين العزل من السلاح دون تفريق بين
الرجال والنساء ولا تمييز بين الاعمار، ونهبوا كل منقولات المسلمين وانعامهم

(١) فشوقى في قصيدته المشهورة يقرن مصطفى كمال بخالد بن الوليد فى

أول بيت من ابياته حيث يقول :

الله اكبر كم فى الفتح من عجب . . يا خالد الترك جدد خالد العرب

ثم هو يشبهه فى جهاده جيوش المسيحية بصلاح الدين الايوبى فى

الحروب الصليبية حيث يقول :

حذوت حرب الصلاحيين فى زمن . . فى القتال بلا شرع ولا أدب

وهو يقرن انتصاره بانتصار المسلمين فى " بدر " ويقول :

يوم كبدر فخيلى الحق راقصة . . على الصعيد ، وخيل الله فى السحب

وفى ديوانه يمضى شوقى مصورا فرحه وفرح المسلمين فى اقطار الأرض

(انظر الشوقيات ١ / ١٦٦-٦٦) وقد ايد مصطفى كمال ورجامن ورائه الخير

للمسلمين . ثم انكر اعماله ورجع عن اقواله ويكى على ما حصل وهاجم

مصطفى كمال فى عنف، واعتذر عما تورط فيه من مدحه (انظر

الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٢٧ وما بعد هاللمقارنة بين اقواله الأولى

والثانية) .

(٢) انظر مواظ محمد عاكف : ٨٦-١١٧ .

واخذوها معهم اثناء انهزامهم . واسىء إلى طهر النساء المسلمات . واحرقوا ودمروا عددا عظيما من المدن والقرى وعلى الأخص المساجد وضريح الغازى ارطغرول والد عثمان مؤسس الدولة العثمانية . وهناك كباثر اكثر مما ذكرنا ارتكبها اليونانيون بمنتهى الخشونة غير عابئين بما تستدعيه الانسانية من الرحمة ولا حاسبين لقوانين الحرب اقل حساب .

وقد حدث تحقيق دقيق مع ضابط يونانى قبض عليه فى قرية تلتهمها النيران . فلما سبق إلى الأسر اعترف فى خلال التحقيق جهارا بصدور الأوامر إلى الضباط اليونانيين بصفة خاصة..، بذبح ونهب واحراق كل ما يصادفونه أو يلوح لهم فى طريقهم توصلا إلى افقار الأمة العثمانية واسقاطها إلى الأبد فى هوة الشقاء والبأساء فتلبث خامدة فاقدة قواها وتهلك تحت أصر الفاقة الميعة ولا تقوى على النهوض والظهور مرة أخرى أهد الدهر (١) ، قال القائد اليونانى (قونارس Gonaris) حين دخلوا مدينة إزمير : " نحن نحارب من أجل الصليب، ولن يخرج جيش اليونان من الأناضول وإن خرجنا فسوف نحطم كل ما فى طريقنا وندعه تحت اقدامنا مذلولاً " (٢) .

وقد استمرت حرب الاستقلال من يوم ١٥ / ٥ / ١٩١٩ حين بدأ غزو اليونان لمدينة إزمير إلى ٣٠ / ٨ / ١٩٢٢ حين انتصر الجيش التركى على اليونان . وظهر فى هذه الفترة نشاطات مختلفة من استنكار إلى مظاهرات ووقوف ضد العدو . وأيقن عاكف بضرورة الجهاد ضد العدو ونادى بقوله : " جاء وقت الخدمة للأمة " وترك راحته وعمله وشغونه المنزلية وتجول فى البلاد والجيهاات وحث على الجهاد وحاول ايقاظ جوهر الإيمان الموجود فى الأمة النائمة ، وايقاظ روح الشجاعة فيها . وهاجم العدو طلبا للاستقلال والحرية وتظهر هنا مكانة عاكف فى الحرص على مستقبل الأمة . ويظهر أيضا موقفه الشجاع من المدافع والرشاشات . لقد كان يملك الإيمان ، ويشجع الجنود بكلماته فى الجبهات ويبث الآمال والشجاعة فى قلوب اليائسين (٣) .

(٢) ترك مدينة استانبول لأنها كانت تحت سيطرة الأعداء واتجه

(١) رسائل انقرة : ٣٥ أنظر أيضا للتفصيل : ٥٢ = ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

(٢) مواعظ حرب الاستقلال : ١٢ - ١٣ .

(٣) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٦٥ / ٢ .

إلى انقراة ليستمر فى القيام بنشاطه فى الأناضول ، وان روحه الجهادية دفعتته الى الانضمام إلى المجاهدين ضد احتلال الإنجليز وحلفائهم حتى كان غزو اليونانيين ، وهم حلفاء الإنجليز على مدينة إزمير الشرارة الأولى للثورة المسلحة والدفاع عن البقية الباقية من الأرض الاسلامية السليبية . واسهم عاكف فى حرب التحرير تلك واستمر فى موقعه الثورى يوجه الاعلام توجيهها جهاديا ، متطوعا بهذا الأمر دون تكليف من الدولة . وقد عبر اشرف أديب عن اعمال عاكف أيام الجهاد وقال : أتانى عاكف فى إدارة مجلة الصراط المستقيم فى شهيج وقال لى : هيا نذهب ، قلت له : إلى أين ؟ قال : إلى الجبهة التى فيها القتال ، لا ينفى لنا أن نبقى هنا (استانبول) .

يقول أشرف أديب : سافرنا فى اليوم التالى ووصلنا إلى مدينة بالى - كثير وحينما رأى عاكف الدفاع فى الجبهات تحمس كثيرا وقال : " هذا هو طريق النصر " وحينما رأى أهالى المدينة عاكف بينهم إزدادوا سرورا واجتمعوا فى المسجد المسمى بزغنونس باشا . وامتلأ المسجد ولم يبق مكان حتى للوقوف وكل منهم يرغب فى الاستماع إلى عاكف ، ووقف خطيبا وبدأ كلامه بعد المقدمة بقصيدة له . وبين ضرورة الجهاد من أجل الاستقلال ، وهاجم اليأس وبين أنه كفر . وذمّ التفرة وبيّن فضل الوحدة وذكر امثلة من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بالآيات القرآنية (١) . وبكى الحاضرون تأثرا ودعا عاكف طالبا تنزل النصر من عند الله تعالى (٢) . والتقى بالمجاهدين وتعانق معهم وبقي فيها لفترة ثم عاد إلى استانبول . وبدأت الحكومة تضيق به من جهة ومن جهة أخرى تضايق الإنجليز من تحركاته . واستمر عاكف فى نشاطه ولم يهتم بهم . وكان من أكبر مجاهدى حرب الاستقلال . وكثير من المؤلفين لا يكتبون عن هذا الجانب . وقد عمل من أول الجهاد إلى يوم الصلح بكل امكانياته . وبت فى القلوب الأمل والإيمان . وله دور كبير فى خلاص المسلمين من الاحتلال ، ولم نر شخصا آخر مثله فى النشاط فى تلك الأيام وقد أدى واجبه فى الصف الأول . وحين اصبح المسلمون فى قهر واهانة تحت سيطرة الاستعمار كان عاكف مايزال محتفظا بالأمل فى صدره واستمر عزمه واعتقاده فى نصره المسلمين وبين أن النصر قريب ولذا احبه المسلمون وحينما قرر المستعمرون ازالة الإسلام بقوة الصليب ، تكف نشاط عاكف ، وعبر عن شجاعات المجاهدين

(١) انظر نص الموعظة فى " مواظ محمد عاكف : ٤٤-٥٥ .

(٢) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١٢٩/١ - ١٣٠ .

بلسان الشعب ونقل إلى المسلمين بطولات المجاهدين في جبهات القتال .

(٣) أدت مقالات عاكف ومواعظه دورا كبيرا في رفع معنويات المجاهدين . وشارك في الجهاد بقلمه ولسانه وماله وبدنه . الخ . ووجه الجنود توجيهها سليما إلى الجهاد . وكان التوجه للجهاد في روحه وضميره أكثر من غيره من المثقفين وهذا جانب بارز في إنتاجه . ويقال انه كان الزعيم المعنوي أو المرشد الإسلامي في جهاد الاستقلال وحين أصبح مركز الجهاد مدينة انقره غادر معظم أعضاء المجلس الوطني العثماني مدينة استانبول متوجهين إلى انقره . وعلى ذلك قرر عاكف الفرار إليها للقيام بنشاط جدي فيها . وغادر في أول شهر نيسان عام ١٩٢٠ مدينة استانبول متوجها إلى انقره ومعه ابنه أمين وله من العمر اثنتا عشرة سنة . واجتمع مع صاحبه على شكرى - شهيد الخلافة - ووصلوا إلى انقره بعد الصعوبات والمشقات والخوف من حكام الاستعمار وبعد فترة قصيرة من وصوله إليها خرج إلى المناطق التي لم يصل إليها جنود الأعداء وبدأ نصائحه وارشاداته وتوجيهاته في مدن وقرى الأناضول (١) .

وكان عاكف عضوا في " دار الحكمة الإسلامية " التابعة للشيخوخة الإسلامية . ونتيجة أعماله الجهادية فصلوه من هذه الوظيفة . يقول عاكف : لهم حق في ذلك ، لأنني رغم كوني كاتباً أول في مؤسسة دينية ، فقد ذهبت إلى مدينة بالي كثير لحث الناس على القيام والحركة ضد الأعداء الغازية ، فهذا لا ينبغي ! (٢) ، فكان السبب الحقيقي في فصلهم له من عمله : نشاطه في بالي كثير لتأييد الحركة الجهادية (٣) ، والتحاقه بصفوف المجاهدين (٤) ، ولكنهم سجلوا في دفتر القرارات لدار الحكمة الإسلامية : " أن الكاتب الأول والعضو في دار الحكمة الإسلامية المدعو محمد عاكف قد تغيب عن وظيفته الرسمية بلا طلب إذن وترك وظيفته . لذا صدر قرار بفصله من وظيفته المذكورة بأمر من حضرة السلطان في ١٣ شعبان ١٣٣٨ هـ / ٣ / ٥ / ١٩٢٠ م (٥) .

-
- (١) انظر المجاهدون المعممون : ٣٢٨-٣٢٩ .
 (٢) محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ١٣٠ .
 (٣) مقدمة الصفحات لعمر رضا : ١٧ .
 (٤) محمد عاكف لغوزية عبد الله : ٩١ .
 (٥) الأكاديمية الإسلامية الأخيرة : ١٨٢ نقله : محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : ١٨ .

(٤) بعد وصوله إلى انقرة بأسبوعين ذهب إلى مدينة برُدور مع ابنه أمين للنصيحة ، وبخاص لنا ابنه بعض كلمات أبيه ويقول : رأيت أبي يخطب في ثلاثمائة أو أربعمائة من الحاضرين أمام مبنى الحكومة . وكان يخطب بصوته العالى في حماسة ، يتحدث عن الأخبار التي وصلت من جبهات القتال ، والاعمال السيئة للعدو تجاه المسلمين . وينبئهم عن عواقب هذه الفجاءة بكلماته المؤثرة . وكنت بين السامعين والجماعة في سكون وصمت وقد عاشوا أثناء سماعهم مشاعر الجهاد بأرواحهم ، وأحس كل منهم كأنه في ميدان القتال يجاهد بنفسه ، وكنت اسمع من حولي اصوات البكاء " ، وبعد ذلك سافر عاكف منها إلى مدينة صُنْدُقْلِي ووعظ الناس في المسجد ، وذهب منها إلى أنطاليا واصبح ضيفا في بيت صاحبه سليمان أفندى واسسوا برئاسة صاحبه هـذا منظمة مهمتها نقل الاسلحة والذخائر وجمع المجاهدين ونقلهم إلى الجبهات . وعاد منها عاكف إلى انقرة ووصلت الاخبار بالنصر في جبهة إينونو وسر لذلك عاكف سرورا كثيرا وبقي في انقرة اسبوعين ثم ذهب إلى أقيون عن طريق أسكى شهر (١) .

(٥) له اعمال قام بها أيام " ثورة مدينة فونية " واستهدف بها وحدة صفوف المسلمين . بدأت حركة الخروج على الحكومة فيها اعتبارا من ايلول سنة ١٩٢٠ واستمرت حتى ٢٢ / ١١ / ١٩٢٠ ، وارسل عاكف إلى هذه المنطقة ونصح اهاليها بالكلمات التي يفهمونها وذكرهم بالمخاطر المحيطة بالمسلمين وبين خطر التفرقة وفضل الوحدة ، واقنعهم . يقول عاكف : هل تعرفون ماذا قالوا لى اهالى قونية ، رغم انهم اناس طيبون ومسلمون ؟ : " نحن من ابناء سلجوق ، ولا يهمننا انهيار الحكومة التي هي فى الأصل ليست منا " . وكان عاكف يحكى ذلك دائما ويبكى ويقول : إذا ضعفت الحكومة لا قدر الله فهذه هي اكبر المصائب ، إذ تظهر الحركات الانفصالية فى كل جهة من الجهات " (٢) .

(٦) كان من بين موضوعات مواعظ عاكف فى المساجد خصوصا فى مساجد مدينة قسطامونى معاهدة سيفر . التي وقعت فى ١٠ / ٨ / ١٩٢٠ وتنازلت تركيا بموجبها عن معظم أراضي آسيا الصغرى للصليبيين . وقد رفضت الحركة الجهادية التركية بنود معاهدة سيفر كما بين عاكف فى مواعظه (٣) . وبعد

(١) محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : ١٩٠ .

(٢) محمد عاكف لأشرف اديب : ١٤٢ / ١ .

(٣) انظر مواعظ محمد عاكف : ٨٦ وما بعدها .

هزيمة الاعداء وتقهرهم وارتدادهم عقد مؤتمر آخر للسلام فى مدينة لسوزان السويسرية فى تموز من عام ١٩٢٣ وانتهت بموجه حالة الحرب مع تركيا (١)، وفى اثناء معاهدة لوزان وقف جميع الصليبيين مع اليونان ضد المسلمين وقال رئيس وزراء اليونان بعد المعاهدة مباشرة: " حصلت على اكثر مما كنت اتوقعه " .

(٧) من نماذج دفاعه عن جهاد الاستقلال بقصائده ، دعوته إلى الوحدة ضد الصليبية القصيدة التالية التى نشرها فى ٣ / ١٠ / ١٩١٨ بعنوان " لا بد أن تندى الجباه " وقرأها فى أول مواعظه الجهادية بمدينة بالى كثير . ونشرها فى ٣ / ١٠ / ١٩٢١ بعنوان " لاتفارق الجماعة " مع تعديلات قليلة بين الأولى والثانى . وكان نشرها مرة ثانية أيام اقامة عاكف فى انقرة فى أيام حرب الاستقلال ، يقول فيها عاكف : " وقفت متفرجا بلا حراك حينما زلزلت أركان العالم ، فاصبحت اليوم تائها شريدا فى وطنك ، إن الحياة حق لك بدون شك فاصدع بحقك ، ومن تلك الصرخات التى لا حصر لها تئن الجبال والمحيطات ، فمن الذى يصغى الى بكاء المسكين المظلوم الصامت ؟ أنتمازلت تحبو على الأرض مثل الرضيع بينما ترى وثبة الإنسان ليسيطر على الجو ، قد أهاج الجراكين وسيرها فى أفق العالم ، وجعل الجحيم يصطرع فى قلب البحر ، وقد تعمق فى الأرض وكشف الآثار من اطوار الخليقة . ومزق الآفاق و حاول أن ينفذ إلى أسرار القوة الفاطرة ، وقد سخرت الأرض لارادته واصبح الزمن تحت سيطرته ، إنه ليحاول وهيهات أن يسيطر على البعد المطلق ! هذه الطبيعة التى تملك ألف عضد من الفولاذ ، تعال انظر كيف يحكمها عضد ضعيف ، ثم تعجب ماشئت كلا . ليس عضدا واحدا بل إنها ألوف الألوف من السواعد ، اتحدت كلها وعملت لأنها لا تملك إلا الوحدة ، أما الخيبة فهى عاقبة الجهد المنفرد ! إن ما ترشح به الجبهة الواحدة قطرة غير مجدية ، إن العالم قد تبدل ، فإلام الانفراد فى العمل ؟ ولو هجرت المعمور وسكنت القفر ، لما أطقت العيش منفردا فعهدك الحاضر : عهد الجماعة . إذا أبيت الموت ولم تقصد الاضمحلال فلا تندد بالإسلام قائلًا : " فلتسقط الوحدة " ، وإن ابترعت عن الإيمان فلا تترك الجماعة وانصت ، إن هناك حكما قاطعا لا يتغير : " البعد عن الجماعة بعد عن الله " أى خير فى اعلاء كلمة الإلحاد الوضع ، وأى نفع فى تشتيت شمل الآحاد المضمحلة ؟ انظر حولك لترى كيف اتحدت الأمم وكيف تنتظم فى نهج مطرد ؟ فاعتبر ثم اعتبر ! أما إذا اردت أن تموت ذلة فمت

غير أنك خسرت ، لقد قضى عليك . نعم ولكن هل تظن انك تملك لنفسك الحياة أو الموت ؟ أنت في قبضة الأبدى التى تمسك زمامك . وإن طلبت بعد ذلك حظك من العيش فتحمل : السحق والأنين والانطراح على الأرض والزحف على وجهك ..، أما الموت فهو آخر سعادة يحظى بها المحكوم عليه بالفناء فى هذه الدنيا ، ولو قلت ألف مرة " أنا إنسان " لن يوء من لك إنسان ولم يوء من ؟ كلا . لن تكون إنسانا إلا إذا صنت حقك وحرمتك ، والحرية والحق يطلبان الإنسا أن يوحد العمل ، ماقيمة العرق المتقطر من ثلاث نواص أو اربع فلتنضح العرق ناصية الوطن بأسره" (١) .

نفى الإنجليز الكاتب والشاعر التركى سليمان نظيف إلى جزيرة مالطة على إثر احتلالهم استانبول فى نهاية الحرب العالمية الأولى . ونظم سليمان نظيف فى منفاه قصيدة جاء فى أحد ابياتها : " مادامت روحى موءيدة بهذا الإيمان فسوف تنتظر ثلثمائة أو اربعمائة هل خمسمائة سنة . ورد عاكف عليه بقصيدة قال فيها : " هل تنتظر خمسمائة سنة ؟ وكيف تستطيع ذلك ؟ وهل كتب على روحك أن تعاني هذا الخسران قرونا ؟ وكأنى قصدت الكارثة الماثلة أمامى فعبرت عنها بالخسران ، إن الفاظ المعاجم تنفذ ولا تكفى لشرح الظلمات المحتشدة احتشاد يوم الحشر بأفاقى . وقد مضت القرون على انتظارنا ولم يولد الغد ، حسبنا ما قاسينا من هذه الليلة الليلية !... كلما تلظى صدرى آملا أن تهب نفحة من الرحمة ألفت نار الجحيم تهبط من السماء . ولكن سيل النيران سوف ينضب وسوف يهوى إلينا نور لا نار . ، أيها الصديق الوحيد لهذا الوطن المهجور فى وقت الشدائد ، لقد أسمعت بيراك العجيب آلام الأمة للعالم فى اخطر الأيام ، نحن نجل اسمك فهل لك أن تستمع إلئى ؟ كيف وقعت فى اليأس أنت الذى كنت بالامس التمثال الحى للعزم والأمل ؟ هل تطول أيام الذلّة والمسكنة المضروبة علينا . مادامت الأمة تحملتها منذ أمد بعيد ؟ ألم يقدر لهذا العالم الإسلامى إلا الأسر ؟ أفنسيبت ذلك الماضى المهيب ؟ كان عليك أن تسمع صوت قلبك وإيمانك لا أن يتزلزل أملك مما حولك إن قلت وقد رماك غيظ الغرب الأبدى فى اليأس : لن يسمح ذلك الكابوس للإسلام بالاستيقاظ فمادام وعد الله لنا حقا ، فسوف يشرق فجر الشرق الأزلى قريبا . هل يصرع هذا القُدْر العظيم من الشهداء ، وتتبخر الدماء كالبحر على صدر الدنيا . وإن كان العصيان يرجع إلينا ، فأعوذ بالله أن أظن أن عدله يقف من ذلك موقف المتفرج ! أجل .

إن التفرقة شنت شمل الإسلام . وقتل الأخ أخاه عن قصد أو على غير هدى . ذهبت الروح وذهب الوطن وانقض السكين على الدين ، ولكن سرعان ما اهتز ونهض ، فانظر اليوم إن الروح والدم له ، والدنيا والدين والمجد له ! وتلك الوحدة المنفعمة المشتتة ربطتها الأخوة وتوثقت عرى تلك الرابطة الأزليّة ، ولو هاجم الإسلام اربعون جيشا من الصليبيين ، فكن مطمئنا ، إن اربعمائة مليون من المحال أن يوءسروا" (١) .

أنشأ عاكف قصيدة بعنوان " البلبل " أثناء تلك الحروب التي ذكرناها وكان الجنود قد حملوا سلاحهم للذود عن بلادهم والدفاع عن الأناضول وكتبها عاكف فى ساعة حزن عندما وصلت الأخبار بأن اليونان قد استولوا على مدينة " بورصة " واستباحوا حرمتها وعبر عاكف عن آلامه واحزانه أمام الغزو العسكرى الصليبي ، كتبها خطابا إلى بلبل ، وبين فيها احوال المسلمين تحت سيطرة الصليبيين ، وقد وصلت إليه الأخبار فى أن اليونانيين دخلوا بورصة وحينما وصل سفوكليس sofoklis - قائد القوات المسلحة اليونانية - إلى قسطنطينية - السلطان عثمان - مؤسس الدولة العثمانية - ضرب القبر برجله وقال : " قم لتوقظ أمتك " ! قاله للتحقير والاستخفاف . وحين سمع عاكف هذا الخبر اسف جدا ونظم قصيدته المسماة " البلبل " وهذه ترجمتها : " ضاقت البارحة على نفسى ، ونقمت على العالم كله ، ثم انتهيت إلى التطواف فى الجرية والمبيت فى احدى القرى ، وكانت الآفاق تظلم إذ كنت أحاول الفرار بنفسى من المدينة ثم اطبق على الوادى ظلام موحش . لا ضوء ولا صوت ولا عابر سبيل . انقلبت الخليفة كلها خرساء ، وليس هناك نفس واحد يتردد فى هذا السباق العميق ! وخيل إلى أن هذه الآفاق مثال من الانسانية الكئيبة ، فرجعت أتسلق الماضى ، فأية آلام جاشت بنفسى وأية ذكرى ؟ وبينما تفيض نفسى بألف الهواجس مسلسلة ، إذا بصباح مديد ينبجس فى صدر الليل ، فماج به هذا الوجود الراكد والتطم ! وتجاوبت أترجاء الوادى بخبر الأناث فى كل ناحية ! يارب . أية نغمت من النار ، وأية امواج من الصفير ! قد اقشعرت منها الأشجار والاحجار كأنما هى نفخة الصور ! أيها البلبل ! عندك الألف ولك العش والربيع الذى كنت ترتقب . فما هذه القيامة ، وماذا دهاك ؟ قد استويت على عرشك الزمردى ، وأقمت مملكة فى السماء ، ولو وطعت كل ديار الدنيا فمملكتك لاتنالها الاقدام ! اليبسوم

واد اخضر بهيج ، وغدا حدائق الورد القانية ترح فيها ، وأسرتك في سعادة
 وقلبك في هنا ، ودنياك في سرور وصفاء . إن ترد روحك الطليقة أرضا
 فيها ، فالآفاق والابعاد الشاسعة كلها طوع جناحيك ، وإذا بسطت جناحيك
 لاتسعك الأبعاد بله القيود . إن حياتك هي أقصى ما يتمناه الاحرار في
 هذه الدنيا ، فلماذا يملأ الشقاء والاحزان أيامك ؟ وما هذا البحر الزاخر
 في صدرك ، وما صدرك إلا قطرة صغيرة ؟ .

كلا . لست بالمآتم جديرا ، وإنما هي نصيبي . إن آفاقى لـم
 تستشعر الضوء منذ قرون ولاحظ لى من السلوى ، وليس في ربيعى إلا بكاء
 الخريف ، وها أنا ذا اليوم غريب مشرد فسى ديارى . أى خسران أن أتترك
 - أنا ابن الشرق العاق - ديار اجدادى كلها تداس تحت اقدام الغرب؟
 لقد هاج فكرى وماج ، إذ ذكرت ديار صلاح الدين والفتح . وأية ذلة أن -
 يدوى الناقوس على رأس - السلطان - عثمان . وأن يصمت الأذان فيمحي من
 ذاكرة الفضاء اسم الله؟ وأى حرمان أن ينقلب ذلك الماضى الامجد سرايا؟
 وأن تصير تلك القدرة وهذه السطوة هباء منثورا ؟ وأن لا يبقى من جامع
 يلدريم^(١) إلا قبة مهدمة ؟ وأن يداس قبر - السلطان - " أورخان " العظيم
 فى اشنع صورة؟ وأية خيبة أن تنقض جامعة الدين حجرا بعد حجر؟ وأن
 يفترش الغرباء ملايين من المسلمين لا مأوى لهم ولا وزير؟ وأن تتملط أسربائسة
 تحت أسواط العذاب والنكال ؟ وأن تقطع آلاف مؤلفة من الجذوع الخاوية
 إربا إربا؟ وأدهى من ذلك وأمر أن يطوف الأعداء الأجانب فى حرم الإسلام!
 لست بالمآتم جديرا ، وإنما هي نصيبي . فاصمت أيها البلبل ! (٢) .

والتحق عدد من المتطوعين بجيش الاتراك فى الأناضول ، وعبر عاكف
 عن فرحته وفرحة المسلمين باسترداد الأناضول ، واشاد بالجيش البطل الذى
 استرده . وطرب لانتصار الجيوش وهلل لذلك وكبر وعده نصرا للمسلمين اجمع .
 ونجد أن قصائده التى انشأها اثناء هذه الحروب من اقوى شعره عاطفة
 وأشدها تأثيرا فى النفوس . وإن نشيد الاستقلال من اكثر قصائد عاكف
 ذيوعا ، واعظمها انتشارا . وهذه ترجمته :

(١) مسجد بمدينة بورصة العاصمة الأولى لآل عثمان وبها كل المشاعر
 المذكورة فى القصيدة .

(٢) ديسوان الصفحات : ٣٩٦-٣٩٧ ، ترجمة عبد الحميد الداخلى .

" لاتخف ، هذا العلم الأحمر السابح فى الشفق لا يخمد قبل ان تخمد
آخر نار داخنة فوق ديارى ، هونجم أمتى ، بل هو كوكبها الذى يتألق فى
سما العالم . هولى ولأمتى فقط . أيها الهلال المتدلل ! لاته بمهجتى
أفديك ، ما هذه الشدة ، وما هذا الغضب ؟ ابتم مرة لقومى الأبطال
وان لم تهتم فلن نسمح لك بدمائنا المهرقة ، إن الاستقلال حق أمتى التى
تعبد الحق . أنا عشت منذ الأبد حرا وسأعيش حرا ، وأنا مثل السيل المنهمر
كتسح السد واطهر عليه ، واخترق الجبال ، وأملأ السهول ، وافيض عنها . فمن
هذا المجنون الذى يريد أن يربطنى برباط الأسر؟ إن كان قد أحاط بأفاق
الغرب سور مدرع بالفولاذ ، فحدود وطنى صدرى المملوء بالإيمان . إن الوحش
الذى تسميه المدنية لم يبق منه سوى سن واحد ، فدعه يعوى ولا تخف ، كيف
يخفق إيماننا كهذا (١) ، أى صاحبى . لاتدع الأوغاد يمرور على ديارى أبدا
واجعل جسمك سدا لتقف هذه الغارة الدنيئة ، ولتطلعن تلك الأيام التى
وعدك بها الحق ، وما يدريك لعلها الغد ، أو هى اقرب ! تأمل الأرض التى
تطوءها ولا تمرن بها تحسبها ترابا ، وتذكر الآلاف الراقدين تحتها غـير
مكفين ، إنما أنت ابن الشهيد ، فعار عليك أن تؤذى أباك ، ولا تعط جنة الوطن
هذه ولو أخذت بها العالمين . من ذا الذى لا يكون فداء لجنة الوطن هذه؟
ولو عصرت ترابه لتفجر شهداء . . فليأخذ الله روحى وجيبى وكل ما أملك ،
ولا يقدر لى أن أعيش بعيدا عن وطنى . يا الهى ، إن ما تأمله منك روحى
هو : ألا تلمس يد اجنبى صدر معبدى ، وأن يدوى فوق ديارى دائما ذلك
الأذان الذى بنى الدين على شهادته . إذن تسجد احجار قبرى ألف مرة
خاشعة إن تكن لى أحجار وينبعث جسدى من الأرض كالروح المجرد ، ساكبا
دمعى الدامى من كل جروحى وحينئذ يعلو الرأس منى حتى يلمس السماء .
أيها الهلال الجليل ! خفق قانعا مثل الشفق ، لتحل لك كل دمائى المسفوكـة
وليس لك ولاقومى زوال أبدا . إن الحرية حق رايتى التى قد عاشت حرة .
وان الاستقلال حق أمتى التى تعبد الحق " (٢) . وكتب جمال مختار مقالا
عن هذا النشيد فى مجلة كلية الالهيـات باستانبول جاء فيه : سئل عاكف قبيل

(١) يشبه عاكف الحلفاء الاوروبيين بوحش قد سقطت أنيابها ولم يبق منه
إلا ناب واحد هو اليونانيون الذين حاربوا الأتراك ، ولم يقدر لهم
إلا الفشل والخذلان .

(٢) ديوان الصفحات : ٤٨٥-٤٨٦ ترجمة عبد الحميد الداخلى .

وفاته. إذا طلب نظم هذا النشيد من جديد أكان من الممكن أن ينظم احسن من هذا؟ فرفع عاكف رأسه وقال بهدوء: أرجوه تعالى ألا يقدر لهذه الأمة كتابة نشيد وطني جديد.

والنشيد الوطني التركي هذا - كما يبدو - ليس تعبيراً صادقاً لشعور الشعب التركي فحسب بل هو تعبير صادق لشعور كافة الشعوب الإسلامية المناضلة لأجل استقلالها وكرامتها، شعور منبعث عن إيمان هذه الشعوب بنصر الحق ضد قوى الشر والفساد^(١)، ويقول جواد رفعت - الجنرال التركي - إن الماسونيين لم يشتركوا مطلقاً في حرب الاستقلال التركي - ولم يقدموا أية مساعدة مالية للمناضلين حتى أنه عندما طلبت مساعدة مالية منهم تلقينا هذا الجواب المحزن من أصحاب المال: نحن لانملك المال الذي يمكن اعطاؤه للأتراك، نعم عندما كنا نخوض غمار حرب هي حرب حياة أو موت بالنسبة لنا لم نتلق أية مساعدة - ولو كانت ضئيلة - من الماسونيين ولن نتلقى منهم أية مساعدة لأنهم السبب في اختلال الوطن وتمزيقه^(٢)، أما محمد عاكف: فنراه يدعو إلى الجهاد ويبين أن الوقوف ضد العدو وفرض عين على جميع المسلمين^(٣)، وسخر من اليونانيين واحلامهم في انشاء امبراطورية بيزنطية، ومدح المجاهدين وترحم على الشهداء. وهنا المسلمين بالنصر. واشاد بالجنود ومالهم من شجاعة وفضل وإخلاص لدين الله. واستبسألهم في الذود عن الخلافة.

ومن نتائج الغزو العسكري للدولة العثمانية أيام عاكف أن تعرضت الدولة إلى فقد أجزاء كبيرة من أراضيها، وكانت الحروب التي تخوضها مفروضة عليها وفقدت سيادتها على جميع ولاياتها السابقة، واحتلت الدول الصليبية معظم أراضيها. وحاربت الدولة ضدهم، ولم يكتب لها النجاح، ولم يبق للعثمانيين سوى الأناضول وجزء صغير من البلقان. ويصادف عصر عاكف أيام الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي من كل الجهات ولا مجال لتفصيل كل مجهوداته. وقد اكتفينا بذكر ملخص عن موقفه القوى واشعاله روح الجهاد ضد الأعداء.

- (١) مقدمة ديوان الصفحات: ١٢٥-١٢٧، مجلة كلية الآلهيات باستانبول العدد ٣، ص ١٥، ١٩٨٥.
- (٢) اسرار الماسونية: ٦٢.
- (٣) انظر شاعر المساجد محمد عاكف: ٤١، بحوث في محمد عاكف: ٤٧/١-٤٨.

والواقع أن عاكفا سررورا كبيرا بنصر المسلمين وكتب نشيد الاستقلال بهذه الروح ولكن بعد الحرب بدأت صفحة جديدة من حياة الأمة . ونراه فى هذا الفصل الجديد فى الغربية يبكى على ما حصل ، لقد أيد عاكف الكفاح الشعبى على الاستعمار الصليبي وصد لتحرير وطن الإسلام والمسلمين . ووقف ضد الاستعمار الشرقى الشيوعى والاستعمار الغربى ووقف ضد المأجورين الذين كانوا يخدرون المسلمين . وفى رأيه أن المسلمين قد تيقظوا ، والويل لاعدائهم ولم يتجه إلى شىء غير الإسلام ، ورفض جميع الاتجاهات غيره ولم يرد أن يشترى خلاص أرض المسلمين باسترقاق ارواحهم . ولم يرد أن يبيع عقائد المسلمين بهذا الثمن الباهظ . وأن المسلمين فى نظره يملكون الخلاص بوسيلة الجهاد الإسلامى .

وعرف معرفة أكيدة أن الصليبيين والصهيونيين يجتهدون فى محاربة الإسلام فى داخل العالم الإسلامى عن طريق عملائهم و جواسيسهم وأنهم يحاولون القضاء على دين الله وقد سمحت الظروف لتركيا أن تحتفظ بشىء من القوة والاستقلال ، ولكنها لم تكف بالتخلى عن الخلافة الإسلامية ، بل انسخت من إسلامها . وكذلك اراد لها حلفاؤها . بل لقد امعنت فى استدبار الدين حتى حاربت بكل قسوة أى محاولة ترمى إلى احياء المبادئ الإسلامية (١) وكان عاكف يأمل الشىء الكثير من حرب الاستقلال ، كان يأمل خلاص خليفة المسلمين من الأسر ، وتحقيق تضامن المسلمين ووحدتهم من جديد وتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية . ولذا دخل حرب الاستقلال وكتب الشىء الكثير فى الحث على الجهاد ونظم قصائده مثل قصيدته بعنوان " لا يأس " التوكل بعد العزم" . الخ . وبت فى قلوب المسلمين الآمال الطيبة فى تحقيق النصر ، ورغبتهم فى العمل ، وتحدث فى مواظبه عن وحدة المسلمين وفضل وطن الإسلام وكان من آماله خلاص جميع العالم الإسلامى ، وليس خلاص تركيا فقط ، ولكن بعد حرب الاستقلال اسست تركيا العلمانية وانتشر التغريب وقد رأى عاكف أن الأنظمة الجديدة لم تحقق اهدافه وافكاره . وبكى على ما حصل .

(١) انظر الاتجاهات الوطنية : ٢ / ٩ - ١٠ ، محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١١ ،

الفصل الثالث موقفه من الغزو الفكرى

تمهيد

- (١) موقفه من الفكرة القومية
- (٢) موقفه من الإلحاد
- (٣) موقفه من التغريب وانتشار الفساد الخلقى

تمهيد :

انتصر الأتراك على أعدائهم الصليبيين فى حرب الاستقلال ، وبدأ الأداريون وكبار المسئولين يبحثون عن نظام جديد . ودافع المسلمون عن الإسلام والخلافة الإسلامية ومنهم محمد عاكف . ودافع الآخرون عن النظام الأخرى لحكم تركيا الحديثة . طالب الاشتراكيون والشيوعيون بنظام كمنظام روسيا . واسسوا احزابهم ومنظماتهم لتحقيق تلك الأهداف . والقوميون الطورانيون حاولوا الجمع بين القومية التركية والتغريب فى تأسيس نظام قومى على أساليب غربية . وبحثوا عن نظم الأتراك فى جاهليتهم . وكتبوا عنها ونشروها فى أيام عاكف . وتأثر الثوريون فى تركيا بثورة فرنسا (١٧٨٩) وعملوا مثل اعمال رجالها واتخذوهم نموذجا فى تحقيق اهدافهم . وجميعهم من المعادين لسياسة الجامعة الإسلامية الداعين لاجلال الروابط الأخرى محل الرابطة الإسلامية .

وقد استعمر الغرب قلوب ابناء المتعلمين العثمانيين . واستعمار القلوب اقوى انواع الاستعمار وأشدّها خطرا وأفتكها بكيان الأمم . وقد استمر الاستعمار الغربى الصليبي فى سياسته الاستعمارية حتى تمكن من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين فى جميع العالم الإسلامى ، وطوقه من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال ، وانحل عقده وسقط بعضه إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربى وما جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها حتى اصبح كله تحت نفوذ المستعمرين . وازاء ذلك ، خلا الجولم ينفثون من سمومهم فى البلاد المستعمرة مايشاءون من ثقافتهم وفكرهم . وجعلوا الثقافة الغربية هى المنبع الأساسى للثقافة فى البلاد الإسلامية . ثم اخذوا

يقذفون بالتيارات و المذاهب الوضعية ، وحدث ذلك هزة عنيفة فى العالم الإسلامى ونشأت طبقة من المثقفين الذين كان لهم أثر فى التعليم وفى الحركة الثقافية ممن تأثروا بالثقافة الغربية واقتنعوا بها ودعوا إلى اتجاهاتها المعارضة للإسلام ومنهم ضياء كوك ألب واصحابه . ولما بدأ الزحف الاستعماري الغربى على العالم الإسلامى لم يحمل معه افكاره السياسية وآراءه الاجتماعية ونظمه الاقتصادية فقط ، وإنما نشر وبأوسع نطاق جميع تصورات الخاطئة . والغزو الفكرى يحاول دائما أن يزاحم المسلمين فى بلادهم وأن يشوش عليهم دينهم . والمعركة معركة فكر ، وجبهة الصراع الجديد هى عقول ابناء هذه الأمة ومشاعرهم . تلك التى يحاول هذا الغزو أن يفرس فيها بذوره ويعرض بضاعته ، لذا فإن جهاد عاكف لهذا الغزو كان يعتمد على سلاح من نوع سلاحه . هناك عديد من الاتجاهات والتيارات الفكرية الهدامة غسرت الدولة العثمانية ولا تزال مستمرة فى غزوها فى تركيا . وفى حالة الضعف والتردى التى كانت تعيشها الدولة تعرضت لزحف أوروبى حديث ليس عسكريا فقط كزحف الحروب الصليبية ، وإنما كان عسكريا وفكريا وسياسيا واجتماعيا ووجد العدو الجومها لتنفيد خطته الماكرة فى تغريب العالم الإسلامى وكانت هذه الخطة تعتمد على تربية الجيل الذى سيقود البلاد فى المستقبل وتغذيته بفكره وثقافته حتى تضمن أوروبا ولائه وخضوعه له فى نهاية الأمر .

ولقد كان عصر عاكف يموج بنظريات معادية للإسلام . وحلت حرب الافكار والعقيدة محل الحروب الصليبية بعد حرب الاستقلال فى تركيا . ورفع المستغربون راية العلمانية وحبسوا الدين فى المساجد فقط وأبوا عليه أن يكون له سلطان خارج المسجد . ورفعوا مبادئ الرأسمالية والديمقراطية ، فى مختلف مجالات الحياة . وقضوا على القيم والمثل والأخلاق الإسلامية وهكذا غزا الغرب المجتمع الإسلامى بقيم جديدة لبيتعد به عن قيم الإسلام ، وحقق الغرب هدفه فى تقسيم الدولة العثمانية وفى القضاء على الخلافة الإسلامية ، وقطع كل صلات الدولة بالإسلام واتخاذ دستور علمانى بدلا من الإسلام ، وتنتهى الاجراءات إلى سلخ تركيا من إسلامها ، وفى بداية الامر بدأت محاولات لاقتباس بعض النظم الادارية والقانونية من الغرب وانتهى الامر إلى اقبال تام عليه واعراض تام عن الدين .

حاولنا في هذا البحث اعطاء لمحة عن موقف محمد عاكف من الغزو الفكري ومحاولاته المشكورة للدفاع عن الإسلام . وحاولنا التركيز على الغزو الفكري في الفترة التي عاش فيها عاكف ، حيث بدأ في عهده تطبيق النظام العلماني ، واتضحت افكار رجاله حين نادوا بوجوب الاتجاه نحو الحضارة الغربية . وتبنى القوميون فكرة القومية الطورانية وطرحوا السؤالا للإسلام جانبا . وقد قطع الاتحاديون شوطا كبيرا في مسيرة التغريب وأرسوا المفاهيم التي جاء الجمهوريون من بعدهم مباشرة فمدوا اروقتهما إلى كل قطاعات الحياة التركية . ومن بين وسائل ذلك الغزو تحريم الأذان باللغة العربية - وجعلوه باللغة التركية - وتحريم الكتابة بلغة القرآن ، واستيراد القوانين لكل مرافق الحكم وأطلقت وسائل الاعلام لتهاجم الإسلام بكل الصور والاشكال والأساليب والأخطر من ذلك كله ان العلمانية في تركيا لم يقتصر أثرها على تركيا فحسب بل تعداها إلى كثير من بلاد العالم الإسلامي ، واصبح النظام الجديد النموذج والمثال للنظام الناجح واتخذوه قدوة في تأسيس نظم في بلادهم . واحاط بهذا النظام في صحافة الغرب ثناء وتبجيل ومدح واعجاب . ولقى التشجيع على تطبيقه من جميع القوى المناهضة للإسلام .

وحدثت ردود فعل معارضة لتلك الاجراءات وصلت في بعض الاحيان إلى درجة الثورة المسلحة . وتلا ذلك مقاومة سلبية تمثلت في الرفض الصامت من معظم جماهير المسلمين للتخلي عن دينهم ، وفي اظهار ولائهم للإسلام كلما خف الضغط والقهر عنهم قليلا .

ولعاكف وقفات قوية ضد الغزو الفكري في مجالات متعددة نبينها فيما يلي من البحث . . .

١) موقفه من الفكرة القومية

تمهيد :

عاش عاكف بين سنتي ١٨٧٣-١٩٣٦ وهي الفترة التي نجح السلطان عبد الحميد في الوصول إلى الحكم في الدولة العثمانية ونجح في توفير الأمن للرعية كما أعاد إلى الخلافة هيبتها ودافع عن فكرة الجامعة الإسلامية . ثم سيطر على الحكم حزب الاتحاد والترقي ثم حزب الشعب الجمهوري وقد استطاع اليهود أن يخوضوا بحور الفتن والدسائس التي كانت سائدة يومئذ وأن يخرجوا إلى الشاطئ طافرين .

والحقيقة أن أكبر خطأ ارتكبه الاتحاديون أنهم أزالوا هيبة الخلافة من نفوس الناس بخلع السلطان عبد الحميد ، وحين تسلطوا عليها بفكرة الطورانية فصلوا بينها وبين كثير من الشعوب الإسلامية . ولعل هذا كان من أكبر العوامل فيما أصاب الدولة في الحرب العالمية الأولى حيث انتهى الأمر بسقوط الدولة العثمانية وتبعه دخول تركيا عصر اضمحلال سياسي وتأسيس الجمهورية . لقد كان اعتزاز المسلمين في الدولة العثمانية بالخلافة الإسلامية أقوى بكثير من اعتزازهم بالقوميات . والتفتت حول هذا الاتحاد القلوب ، وضعفت على عتبه العنصريات . وبعد سقوط الدولة العثمانية عاش العالم الإسلامي فترة الفتنة التي امتدت من الغاء الخلافة إلى يومنا هذا . وقد انفكت عروة الدين من النفوس ، بعد أن نقضت عروة الحكم فأصبح الأمر صراعا عرقيا أحيانا وأحيانا أخرى صراعا فكريا واستعان بعضهم على بعض بالنصارى واليهود والماسونيين .

لقد أحس عاكف في أخريات أيام الدولة بعمق الكارثة التي توشك أن تحيط بالعالم الإسلامي وبالإسلامية . ووصف واقع المسلمين في تلك الأيام في آثاره . ويبدو أن مسئولية فتنة القومية لا تقع على طائفة بعينها بل تقع على الجميع . ويتحمل فيها الترك والعرب والألبان وبنو عثمان ، نصيبا من المسئولية . وذلك على عكس ما يذهب إليه كثير من المؤرخين من تحميل بني عثمان المسئولية وحدهم . فالحق أن ما أصاب الخلافة العثمانية في الفترة الأخيرة من خلاف وتمزيق وتقسيم بعد أن كانت كتلة موحدة تمتد من المحيط

إلى المحيط ، فصارت إلى اشلاء ممزقة ورقاع متناثرة لا تربطها رابطة مشتركة ، كان فتنة عامة وهى القومية . وكان سقوط الخلافة العثمانية بداية انهيار الوجود الإسلامى فى شبه جزيرة البلقان وأوروبا . وبعد ذلك جاءت مراحل تأسيس دويلات متفرقة ثم تأسيس دولة اليهود . وانقطاع العلاقات بين المسلمين . لقد وجد بين هذه الدويلات نوع من التنافس على الزعامة والتوسع على حساب بعضهم البعض . وايقظت الدعوة للقومية التركية أو العربية طوائف أخرى ودفعتها لأن ترفع نفس الراية . ففى شرق تركيا وشمال العراق دعا سكان هذه المنطقة إلى بعث القومية الكردية ، وفى البلقان ارتفعت اصوات بالقومية اللبانية ، كرد فعل للقومية التركية . وفى مناطق أخرى ظهر مسلمون يفخرون بانتسابهم إلى قومياتهم .

وقد اتخذ الاتحاديون " الطورانية " طريقا لأنفسهم فى الحياة الفكرية والثقافية . تمسكوا بها وعاشوا فى عالم الخيالات فى جمع الأتراك فى العالم تحت راية واحدة . ولم يدافعوا عن الأمة الإسلامية بل سلكوا طريق القومية التركية (١) . كما انتشرت فكرة القومية بعد الثورة الفرنسية فى دول أوروبا الشرقية ، وبدأ الدفاع عن الجامعة العثمانية عند بعض المثقفين الأتراك ثم ازدادت فكرة القوميات انتشارا بعد السلطان عبد الحميد خصوصا فى البلقان وازداد نشاط ضيا كوك الب ورفقائه للدفاع عن الطورانية (٢) . يقول حسين مجيب المصرى : وإلى جانب هذه النزعة القومية المتطرفة ظهرت نزعة اسلامية شديدة أمل اصحابها اصلاح الحال بالرجوع إلى تعاليم الإسلام والتمسك بعروته الوثقى ، ففى القرآن نور يهدى فى الظلمات وصلاح الدين و الدنيا ولن تقوم قائمة للمسلمين عامة ولا للترك خاصة ، إلا إذا أقاموا الدين ووقفوا عند الحدود ومما يذكر أن انصار هذا الرأى لا يميلون إلى القومية التركية لأن الإسلام لا يفضل جنسا على جنس فالعرب والعجم سواء فى ظل منارته السامقة ، وهم يريدون وحدة اسلامية تجمع شمل المسلمين وتؤلف بين قلوبهم ولا يحلمون بالطورانية ولا العثمانية كغيرهم وفى ذلك يقول شاعرهم محمد عاكف مخاطبا اللبانيين (٣) : ما هى القومية اللبانية ؟ أ لها محل فى الشريعة الإسلامية ؟ (٤)

(١) انظر اثر السنين : ١٠٣ (٢) انظر اساس القومية التركية : لضيا كوك الب

(٣) تاريخ الأدب التركى : ٥١٤ - ٥١٥ .

(٤) انظر تفصيل قوله (ديوان الصفحات : ١٧٣) .

واتفق الكتاب على أن عاكفا شاعر إسلامي دافع عن الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم كله .

وقد انتشرت في أيامه فكرة القومية التركية ودافع عنها بعض الأدباء والشعراء والكتاب وعلى رأسهم ضيا كوك الب ومحمد أمين يورداقل (اى عبد الوطن) . . . الخ . ودافع المؤلفون الآخرون مثل ناظم حكمت وعبد الله جودت عن الاشتراكية ودافع معظم الكتاب عن التغريب وما يسمى بالحضارة الغربية . أما عاكف فقد عاش بينهم ووقف ضدهم وعبر عن معارضته لهم ، وأصبح مخالفا تمام المخالفة لأفكارهم . وابرز خصومته للأفكار المعادية للإسلام ويظهر من مؤلفاته دفاعه عن المقدسات الاسلامية وردوده على مزاعم المخالفين جميعا واعتبرهم مفسدين تحت اسم الاصلاح وضالين مضللين . افسدوا عقول الناس بمؤلفاتهم وكتاباتهم .

ظهرت فكرة القومية التركية من خلال الابحاث التاريخية . وزاد الاهتمام بها حين استطاع المستشرق الدانماركي طومسون (TOMSON) أن يقرأ كتابات اورخون ، ثم جاء باحث مجرى يدعى فامبرى . وتكلم عن صفاء العنصر فى اقاصى آسيا وأهدى اعجابه به ، ثم ظهر اليهودى ليون كاهين ، كما تحدثنا فى الباب الأول . وكانت عادة المستشرقين ، هى القيام برحلات استكشافية ثم استغلال نقطة الضعف التى يريدون استثمارها ، فأثاروا احساس الأتراك بقوميتهم وواعزوا إليهم أنهم أتراك قبل أن يكونوا مسلمين وسرعان ما أتت جهود المستشرقين ثمارها إذ قام الكتاب الأتراك بالتأليف مرددين ما ذكره الباحثون الغربيون عن الأصول التركية . ولم تكن سياسة السلطان عبد الحميد لتسمح بفصل ما هو تركى عما هو غير تركى ، ولذلك ما أن خلع عن العرش حتى توالى المؤلفات ذات النزعة القومية مثل : خدمات الترك للعلوم والفنون لطاهر بورصوى (١٢٧٨-١٣٤٥) وترجمة نجيب عاصم (١٢٧٨-١٣٥٤ هـ) لكتاب : "مدخل لتاريخ آسيا" لمؤلفه ليون كوهين . ثم أضاف إليه وأعاد نشره تحت اسم " تاريخ الترك " ، وصادر شمس الدين سامى (١٢٦٧-١٣٢٢ هـ) القاموس التركى و صدره بمقدمة طويلة عن اللغة التركية ولهجاتها المختلفة ، ونشطت اقلام جماعة تركيا الفتاة لتبعث هذا الاحساس القومى فى النفوس وكتب يوسف اقجورا (١٢٩٧-١٣٥٤ هـ) سلسلة من المقالات تحت عنوان " ثلاثة مناهج سيادية : العثمانية والاسلامية والتركية " ، ومن خلالها اثبت فشل الجامعة

العثمانية والاسلامية - في زعمه - ومن ثم فهو يرجح الاخيرة ويدعو الترك إلى التخلي عن عثمانيتهم ، ولكن لم يجروا على دعوتهم للتخلي عن اسلاميتهم ، وتشكلت جمعيات ثقافية بعد عام ١٩٠٨ ، وبدأت إصدار جرائد ومجلات خاصة بها مثل : جماعة الترك ، والوطن التركي ، والعائلة التركية وإلى الشعب (١) ، أما ضياكوك الب : فهو الأب الروحي للقوميين الاتراك ، نشر منظومته الشهيرة (طوران سنة ١٩١١) وفيها طرح فكرة الوحدة الطورانية وموداها " أن وطن الترك ليس الدولة العثمانية أو الأناضول وإنما هو (طوران) وكان مدرسا للفلسفة والاجتماع فنشر آراءه القومية بين طلبته وعلى صفحات الجرائد والمجلات داعيا فيها إلى : " الاهتمام برقى العنصر التركي أولا " ، وراجت مثل هذه الدعاوى العنصرية بعد عام ١٩١٢ وتبناها السياسيون ، فاصبح ضياكوك الب عضوا بارزا في الاتحاد والترقى ، وفي نفس الفترة تقريبا ظهرت مؤلفات بالعربية تدعو إلى القومية منها ما نشره نجيب العازورى : " يقظة الأمة العربية " وأم القرى لعبد الرحمن الكواكبي .

يقول محمد عبد اللطيف هريدى : تخلى ضياكوك الب عن دعوتهم الطورانية وظهر ذلك من خلال مقالات كتبها فى مجلة " المجلة الجديدة " ردا على مجلة الوطن التركي المغالية فى قوميتها ووضح وجهة نظره ، ويقول فى الثناء على محمد امين يورد قول : " نخلص من هذا كله إلى أن الدعوة الانفصالية التى تنادى بها رواد الاتجاه القومى لم تفصلهم عن الإسلام ، وإنما الظروف والملابسات السياسية جعلتهم ابواقا للدعوة الانفصالية (٢) . وهذا الحكم فى هذين الشخصين غير صحيح على الإطلاق .

الواقع : أن محمد عاكف وقع مع بعض اصحابه من محررى مجلة سبيل الرشاد على طلب أرسلوه إلى ضياكوك الب - عضو المركز العام لحزب الاتحاد والترقى فى تلك الأيام - وطلبوا منه الاجتماع العلمى لعقد الحوار أو النقاش حول الافكار المنتشرة من قبل القوميين الطورانيين لبيان اضرار النشريات المتعلقة بالطورانية ولغرض التآليف بين الجماعتين أى الاسلاميين والطورانيين . ولكن لم يرد أحد من الطورانيين على هذه المذكرة . بل استمر الطورانيون فى نشر افكارهم . أما عاكف فلم يفرق بين العناصر الاسلامية فى الدولة العثمانية وحاول تحقيق الوحدة الاسلامية وابتعد عن الطورانيين (٣) .

(١) الأدب التركى الاسلامى : ١٩٣ . (٢) المرجع السابق : ١٩٣-١٩٤

(٤) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٥٧-٥٨ .

يقول محمد عبد اللطيف هريدى فى محمد امين - من رواد الشعـر القومى- : كان من مريدى جمال الدين الافغانى اثناء وجوده فى استانبول ورغم دعوته للقومية التركية لم يدع للانفصال عن الدين الإسلامى ، ونلمس ذلك فى فخره بعنصره ودينه فى نفس الوقت : " أنا تركى ، عظيم الدين والعنصر" (١) وقد اعترف محمد أمين أن الأفغانى لقنه القومية التركية ، وفى اثناء وجود الافغانى باستانبول التقى بمحمد امين واوصاه أن يكتب قصائده بلسان الشعب وعلى وزن قومى وبروح قومى . ولاشك أن الافغانى ايقظ فى جماعة تركيا الفتاة حماسة للقومية التركية (٢) . ووصل الأمر إلى أن احمد أغايف القومى التركى - زعم قائلا : " ليس لجمال الدين الافغانى علاقة بالافغانية بل هو تركى ، من أتراك الازريين (الساكنين فى ايران وشرق تركيا) ووافق فى هذا الزعم بعض الكتاب الأتراك وايدوه (٣) . وقد اتفق الباحثون فى أن محمد أمين دافع عن الطورانية (٤) . يقول محمد حرب فى موقف الأتراك المتحفظ فى الحكم على شخصية الافغانى : " مع العلم بأن جمهور المثقفين الاسلاميين الأتراك يرون فى الأفغانى داعية للفرقة بين المسلمين ومشجعا للفكرة القومية والعلمانية ويشكون فى سنيته (٥) . كما لا بد من الاشارة هنا إلى أن السيد جمال الدين الافغانى هو الذى شجع على انبثاق الأدب القومى الحاد بتشجيعه للشاعر القومى محمد امين على كتابة الشعر القومى ، وقد كان هذا الشاعر وقتها مبتدئا فى نظم الشعر (٦) . وقد ركز الاعداء على إثارة النعرة القومية والنزعة الوطنية قبل الحروب المذكورة فى الفصل السابق . ثم نفخوا فيها لجعلها اساسا للتمزيق أيام الحرب .

اعمال محمد عاكف ضد القوميات عموما والقومية التركية خصوصا

(١) يقول عاكف مخاطبا جميع المسلمين بلسان واعظ يلقي درسه فى مسجد السلیمانیه باستانبول : " كان المفروض أن يربطنا الإسلام ربطا كاملا

-
- (١) انظر الأدب التركى الإسلامى : ١٩٣ . (٢) مخربو الدين : ٥٩ .
(٣) المرجع السابق : ٩٥ نقلا عن مجلة الوطن التركى ج : ١ .
(٤) الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها : ١٣ / ١ .
(٥) انظر لترى شيعيته (الشرق الاوسط لبرنارد لويس) ، مخربو الدين : ٦٠ .
(٦) تعريف بأدب الدعوة الاسلامية فى تركيا منذ سقوط الخلافة : ٨ .

وقويا . ولكن لم ولن أفهم من أين جاءت فكرة التفرقة واستولت على أذهانكم؟ وكيف انتشر هذا الفكر؟ هل الشيطان لقتكم وبث في أذهانكم فكرة القومية؟ فإن الإسلام جمع في بنيته اقواما مختلفة تحت راية أمة واحدة . ولكن "القومية" زلزال يريد أن يهدم الإسلام من قواعده الأساسية. ونسيان هذه الحقيقة ولو لحظة واحدة خسران ابدى . ولن تستمر حياة هذه الأمة اذا - استمرت فيها دعوى القومية العربية أو القومية الألبانية وأما السياسة الأخيرة في الدولة العثمانية ، وهى القومية التركية (١) ، فلا يرجى منها فائدة أبداً فى استمرار حياة الأمة. فإن خالقكم خلقتكم كأفراد أسرة واحدة يجب عليكم أن تزيلوا أسباب التفرقة من بينكم . وإذا اشتغلنا بدعوى القومية فسوف يغزو الأجنبي - والعياذ بالله تعالى - بلادكم ليصبحوا فوراً أصحاب الملك ، وقد قال أبائنا الأقدمون : " القلعة تفتح من داخلها " ، ولم يستمع أحد إلى هذه النصيحة لأن الأمة كأنها أمة مبهمة ، لا تسمع لأنها صماء ، إن الدولة الاسلامية الحالية التى ترزح اليوم تحت نير الاستعمار الذى يسعى لازالتها ليست هى الفريدة فى التاريخ ، فالدول الاسلامية السابقة دخلت مقابرها بنفس السياسة (اى أزيلوا جميعهم من الوجود نتيجة التفرقة) لا يستطيع العدو دخول بلد من البلاد قبل أن يدخل التفرقة بين افراد الأمة التى تعيش فيه ، وحينما تصبح القلوب موحدة فى إيمانها فلن تستطيع المدافع اسكاتها أو ازلتها . اتركوا النقاش حول الحكومات السابقة التى زالت من الوجود ، فإن الحكومات الحالية كافية للعبارة لمن يريد أن يعتبر ، هذه بلاد المغرب وتونس والجزائر كلها ضاعنت والآن يقسم الاعداء بلاد ايران بينهم (٢) . ولا غرابة فى هذا كله . بل هى أمور طبيعية لأن ميدان العمل ملك لمن يعمل ، وقد منح الخالق سبحانه وتعالى حق استمرار الحياة للقوى . اصبح المسلمون اقواما مرضى بمرض التفرقة أفلا تحولها اوربا المتحضرة لقيمت لتبتلعها؟ أيتها الأمة : إن المصائب كافية للعبارة استيقظوا بالله من نومكم ، وإلا فسوف تسمعون صوت الناكوس القوى بأذانكم " (٣) .

(١) غيروا فى عام ١٩٢٨ كلمة " القومية التركية " بقولهم : " هذه السياسة " .

(٢) يقصد عاكف تقسيم ايران بين روسيا وبريطانيا . وقد نشر هذه الابيات فى ١ / ٨ / ١٩١٢ و صور فيها واقع المسلمين فى تلك الأيام .

(٣) ديوان الصفحات : ١٥٣ .

(٢) كتب في مايو سنة ١٩١٣ قصيدة طويلة ندد فيها بالقوميات ونشرتها جريدة " الظهور " التي كانت تصدر في مدينة بغداد ، ووزعتها في ملحق خاص ، ووعدت بنشر تلك القصيدة المكونة من خمسين بيتا باللغتين العربية والفارسية (١) . وقد دخل جنود الصرب بلاد ألبانيا أيام حرب البلقان وقتلوا المسلمين وكان أصل عاكف من ألبانيا . وحينما هاجم الاعداء بلاد آبائه واجداده انفعل بذلك الحدث وعبر عن انفعالاته في قصيدة له ، وبين أن سبب خروج سكان تلك المناطق على الدولة العثمانية هو انتشار فكرة القومية بين سكانها . يقول عاكف : " يا والدي ، انظر كيف يذبح ثلاثة ملايين مسلم بتخطيط من قبل بضعة من السفهاء . لا عون ولا فائدة من الأحياء ، قم أنت من قبرك لتساعد المسلمين ..، إن ألبانيا تحترق والحريق رهيب جداً في هذه المرة . كان الحريق في البداية مجرد شرارة واصبح الآن مثل نار الجحيم وانتشرت السنة اللهب المنبعثة منها في كل انحاء البلاد ، إنه حريق هائل جدا لم يترك بيتا إلا احرقه ! كأنه سيل عرم ، حرق الوديان وهدم كل ما صادفه كنت ابحث عن الوجوه المألوفة . ولكن هيهات . لم أجدها ليس هناك إلا صحراء جرداء حينما تسأل عن شيء فلا أحد يسمع ولا أحد يجيب ، لم يبق وجه من وجوه معارفى ، ولا أثر من ذكرياتهم ، وليس هناك بقية حتى من الأجساد المحروقة ، لو بحثت بين بقايا الحريق ، فلاشك انك ستجد قطعاً من عظام الابدان قد تفحمت ، يا والدي ؛ هل هذه عاقبة أمك الحبيبة ووطنك الأم ؟ وهل يكون كل ذلك تنفيذا لرغبات بضعة أفراد قلائل ؟ لقد ضاعت الأراضى التي كانت ملكا لجدى يزرعها وافنى عمره عليها ودفن فيها . ضاعت في هذه المرة ضياعا كاملا ، لا أمل في إعادتها إلى أراضى المسلمين ابدا . ولا أمل فى بعثك من قبرك لتشاهد واقعنا الحالى (٢) .

يا والدي هل كنا نتوقع أن ينصب الصليب على الأرض التي فيها " مشهدك " هذه كارثة كبيرة ، فإن المساجد حولت إلى حظائر للخيل ويرقص جيش الكروات (٣) فيها لم يبق شيء من الماضى على هذه الأرض حتى الذكرى فتحت الأرض ودفنت فيها اضرحة الشهداء ! ألتقى فى جميع رحلاتى بسهولة

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٣٥-٣٦ .

(٢) ديوان الصفحات : ١٧١-١٧٢ .

(٣) من الاقوام الصليبية فى بلاد البلقان .

دموية، الآن هل أنت أمامي أم خيالك يا قصوة (١) أنت غير وفية . وقد كانت كل خطوة من اراضيك مليئة بآلاف من المفاخر. أين الطريق الذي مشى عليه السلطان يلدرم بايزد، أيام سفره إلى الجهاد؟ أين الجنود؟ أين سلطان الشهداء، الذي هو مدفون في قلبك؟ آه، أين اليوم " شهيد النصر؟ أين العيد السابق؟ اخبرني يا أيها المشهد، لأحترم ترابك وجميع ذكرياته أما فيك قطرات من دم الشهيد السلطان مراد الأول؟ آه، يا أيها المشهد، ما هذا؟ هل هذا مكان لشرب المسكرات في ساحتك؟ لم أرقنأديك، أين هي؟ هل هذه الاقداح لشرب المسكرات اخذت مكان قناديلك؟ من هؤلاء السكارى اللابسون القبعات الساكنون في داخل حرمك؟ هل أنا مخطيء أم ماذا؟ لا تحاول الشرح، لأنني عرفتهم يقينا، هل كنا نصدق أن الصربي يطاءً بنعله على قلبك؟ وترمي عمائم آلاف من الشهداء على الأرض، وتمسح بها احذية النفر الدنيء من جيشهم ويتقاذفونها باقدامهم؟ وحينما بدأ علمهم المكون من ثلاث قطع يرزف عليك لماذا لم ينزله أحد، ومن الذي منع الشعب المسلم في ذلك الوقت من أن ينزله من مكانه؟ أين أصحاب الأرض الاصليون الأبطال الذين دافعوا عن هذه الأراضي ضد الشعوب الأخرى من الصليبيين؟ الغريب أنني لم أر أحدا في الميدان ولو فردا واحدا. أين الشجعان الذين لو أصيب شرف الواحد منهم بأدنى أذى لما سكن حسه ولا قنعت شجاعته حتى يقتل بضعة اشخاص من الاعداء المعتدين؟ والآن شرف الأمة محقر وأصاب مجدها الضرر، فأين الذين كانوا لا يذكرون اسماء بناتهم وزوجاتهم عند غير المحارم، ولا يسمحون لهم أن يسألوا عن اسمائهن ويقولون: لا تسأل عن اسمها وإلا قتلتك؟ وأين هؤلاء الذين كانوا لا يسمحون بتسجيل أسماء نساءهم وبناتهم غيرة عليهم؟ أين هؤلاء الأبطال؟ لم لم يظهرنا شيئا من شجاعتهم السابقة حينما عمل هؤلاء الخبيثاء لنشر الفحش بلا مراعاة للحرمات ولا حجاب النساء.

ويخاطب عاكف الألبانيين قائلا: أيها القوم الأسرى، كنتم تريدون الاستقلال فماذا حدث؟ أنا أخشى أن يكون نصيبكم الآن هو الندم الابدي - فحسب. أيها العنصر الرافض للروابط، أين استقلالك؟ أرى أنه قد قضى على جميع آمالك تماما. أين الخيالات العالية - في تحقيق الاستقلال -

(١) اسم مدينة من مدن البلقان .

للإشقيين (أى المنظمة القومية الألبانية) ؟ وقد نتمت فى خدر تلك الرؤيا
الملعونة سنوات طويلة ، حقا لقد كنتم نائمين وإفلو استيقظتم فى الوقت
المناسب ، فهل كان يقدر لكم الهلاك بهذا الشكل ؟ وهل كان يحدث ذلك
الانهيار السريع فى جميع الآفاق فى ذلك الصباح الدموى ؟

لقد احاطت البلاد من كل جانب قطاع الطرق من الجبل الأسود ، وحمير
الصرب ، وأفامى البلغار ، ثم كلاب اليونان (١) وقد احاطت تلك الجيوش الثلاثة
السفينة بجيشنا المتين (٢) ، شردونا من بلادنا واخذوا وطننا من ايدينا ،
ذبحوا بعض الأسر الفقيرة ، وهاجموا اعراض النساء بانواع من الفجائع ، وهكذا
سفكوا دماء هذا ، واحلوا عرض تلك ، يا أيها الخارجون على الدولة العثمانية
إن هذا الانهيار المؤلم هو نتيجة اعمال اولئك الثلاثة أو الخمسة من السفهاء
الذين بثوا فيكم فكرة الخروج على الدولة . لماذا لم تتوقعوا تلك العاقبة
الشنيعه ؟ وقد كنتم تدعون أن ملتكم هى " الإسلام " إذا فما هذه الدعوى
القومية . لماذا لم تتمسكوا بملتكم الاسلامية تمسكا كاملا ، وتستمروا على هذا
السبيل ملتفين حوله ؟ ماهى القومية الألبانية ؟ ألبا محل فى الشريعة
الاسلامية . إن التنادى بالقومية لن يكون إلا كفرا . أى فضل لعربى على
تركى ، أو للاز (٣) على شركسى (٤) أو على كردى . هل هناك سبيل لترجيح
عجمى على صينى ؟ وأين هذا الفرق ومن أين لكم هذه التفرقة ؟ هل فى الإسلام
دعوى العنصرية ؟ لا ، لا وجود فى الإسلام للعنصرية - وأنى يكون هذا - والنبي
صلى الله عليه وسلم يلعبن فكرة القومية . إن روح رسول الله صلى الله عليه وسلم
أكبر عدو للتفرقة ، الموت للسفينة الذى أدخل التفرقة بين المسلمين . وقد وصل
إليكم خبر عاقبتكم الحالية قبل اكثر من ألف عام ، فهل يجوز لكم أن تشتغلوا
بالجدل رغم علمكم بهذا الخبر ؟ .

استيقظى أيتها الملة الميتة لأن الوقت وقت صباح ، ولم تستيقظى من
نومك على أصوات الأذان بسبب خفوت الصوت ، فهل تنتظرين صوت الناقوس ؟
افتحى عينيك ، لن يبقى من العروبة والطورانية شىء فى المستقبل ، اسمعى

-
- (١) أخرج هذا القسم من الصفحات ووضع مكانه نقاط .
(٢) وغيروا هذا الشطر بما يلى : " وقد مزقوا جيوشنا كلها " .
(٣) اسم قوم يسكنون الساحل الجنوبي والشرقى من البحر الأسود .
(٤) قوم من اقوام القوقاز .

اسمعى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النهى عن القومية ، وسن يدعى أن ا لترك يعيشون بلا عرب فهو مجنون فالترك للعرب مثل العين اليمنى واليد اليمنى (١) ، كونوا معا وإلا فسوف تكون العاقبة الخسران المبين . بالـــــــ
- كونوا معا - وإلا فلن تبقى فى المستقبل لا الخلافة ولا الدين (٢) ، فإن الحضارة - الغربية - تريد من وقت طويل تمزيقكم تخطط أولا للتمزيق ثم تبتلع اللقيمات الممزقة . إن بلاد ألبانيا عبرة واضحة أمامكم ولكنكم مشغولون بسياسة مجنونة وبدعوى فاسدة ، أظن أن معظمكم لا يرى الطريق الخاطيء الذى سلكه .
اطردوا الأوباش الذين وجهوكم إلى القومية . اسمعلوا منى هذه النصيحة ، نعم أنا ألبانى ، لا أستطيع أكثر من أن أقول لكم : هذه هى بلادى أمام اعينكم فى اسوء الاحوال - كعبرة وعظة لكم (٣) .

ويخاطب عاكف القوميين قائلا : "هدمت مائة وخمسون ألف بيت وقتل من فيها ، أيها السفهاء الخمسة أو الستة الذين خططوا لهذه الحرائق اخذيتونا أمام الصرب والكروات . لماذا فصلتم ألبانيا المطيعة للخليفة (٤) بالقرآن ونتيجة فصلكم هذا الجزء خربتم جميع البلاد ، لماذا تسلكون طريق القومية (٥) ، كما اشرنا قبل ذلك كان اصل آباء عاكف من ألبانيا وحينما ضاعت تلك البلاد بعد خروج أهلها على الدولة العثمانية حزن عاكف حزنا شديدا واعتبر خروجهم انفصالا عن اسرة جماعة المسلمين ، وفكرة الوحدة الاسلامية . وقد انتشرت القومية فى ألبانيا بشكل سريع . واورد عاكف الاحداث المؤلمة التى ارتكبتها الثوار فى البلقان عموما وألبانيا خصوصا ، وطلبهم الاستقلال والانسلاخ عن الدولة ، مؤيديين من اعدائها الصليبيين وبتحريك الغرب ودسائسه انقلبوا على الدولة ينتمون إليها فكان الصراع أليما والقتال شديدا وراح ضحيته الآلاف المؤلفة من المسلمين .

وهناك اسباب لا تنتشر فكرة القومية بين المسلمين ، ومن اهم هـــــــ
الاسباب فى رأى عاكف " جهل المسلمين " وعدم كفاية التعليم و المدارس اعتبارا من رياض الاطفال و المدارس الابتدائية لتعليم الناشئين . ويذكر عاكف مثالا

-
- (١) أخرج البيتان من الطبعة الاخيرة ووضع مكانهما نقاط .
(٢) فى الطبعة الاخيرة : لن تبقى الحكومة فى الواقع ولا الدين .
(٣) ديوان الصفحات : ١٧٣-١٧٤ .
(٤) فى الطبعة الاخيرة " الحكومة " . (٥) ديوان الصفحات : ٢٣٩ .

فى بيان ذلك ويقول : كثير منا يريد أن يصبح عبرة أمام اعين الناس . كأن ماسبق من العبر الصادرة منا للعالم لم تكن كافية . وفى الواقع لم يبق من انواع المصائب شىء إلا أصابنا ، والسبب هو جهلنا . لا تفكروا كثيرا ينبغي علينا أن نفتح مدارس الحى (الكتاتيب) لو كنا اسسناها فى وقت الحاجة كما ينبغي أو لو كنا - على الأقل - أصلحنا ماكان متبقيا منها فى تلك الأيام اصلاحا جيدا ، هل كان فى استطاعة الذين حرضوا الألبانيين للخروج على الدولة أن يعملوا ماعملوه، وهو "لا" السفهاء قلة قليلة يلبسون نعالا مقطوعة من نصفها ، ولا يلبسون سراويل ، انظروا كيف تسوق فكرة دنيئة - وهى القومية - العناصر الاسلامية كلها ؟ ومن أين نشأت هذه الفكرة؟ لاشك فى أن رأس - كوارثنا هو جهلنا (١) . ثم يذكر عاكف رأيه فى طريق الخلاص من هذه المصائب ومن فكرة القومية ، والطريق فى رأيه هو انشاء المدارس بشروط أن لا تستند طرق التدريس ومناهج التعليم على الأسس القومية .

(٣) يقول عاكف فى تصوير أيام الاتحاديين : ظهرت التفرقات دائما باسم حزب ، أو قومية أو لغة ، لذا وقعت عداوات كبيرة بين أخلص الناس ، ولم يسبق فى تاريخ الإسلام ذل كالذى كان فى أيامنا (٢) ، وبين عاكف أن فكرة القومية فكرة مدسوسة من قبل الإنجليز لتمزيق المسلمين وقد نشروا هذه الفكرة بين المسلمين ليسهل لهم غزو هذه البلاد ، وركزوا فى ذلك على الطورانية والعروبة للفصل بين هذين الشعبين أولا ثم تحطيم مركز الخلافة الاسلامية (٣) . وتحدث عن الكوارث التى أصابت وطن الإسلام والمسلمين . وعن آلام الوطن الإسلامى وعذاباته ولم ينس فى كتاباته دينه ودولة الخلافة . وقد اتفقت ضد الدين وضد الدولة الخلافة معظم الافكار المعادية للإسلام كالقومية والوطنية والتغريب والالحاد ، ودافع عاكف عن الإسلام ووطن الإسلام بحرارة وإيمان صادق

ويقول عاكف فى قصيدته بعنوان " إلى متى النزاع؟" يقول سبحانه وتعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (٤) " دع الألسنة تقول : أنا أنت ، وفرق وحدة الجماعة . فيومئذ تقوم القيامة التى تبنى الأمم . غص فى الماضى وطف بمشهد تلك العهود الخوالى ، فلن ترى لسنة الله تبديلا ، إن التاريخ

(١) ديوان الصفحات ٢٢٧
(٢) المرجع السابق : ٢٥٦
(٣) المرجع السابق : ٢٨٢
(٤) سورة الانفال : ٤٦

وهو تلك الخبرة الدامية التي نحفرها تخبيء لحدودها لا حد لها وآثارها لا عداد لها. إن تلك الاحجار المحطمة على الأرض، إن هسى إلامعان مهدمة لسطور جباه الأمم. فإن استطعت جمع أشتاتها بيدك فسوف تسمع العظة الجليلة التي تبدو من ثنايا تلك الالفاظ المبعثرة : كل حفرة أمة وكل هوءلاء الراقدين أمم !

وصروف الدهر دائرة تسوق إلى هذه النهاية.. أيها الزائر التائه لقد سمعت إذن : " تعددت الاسباب والموت واحد " ولكن لا أعرف أمن الصواب أن أشهد الماضي والأمم الغابرة ؟ هيهات على جيل قد انطوى يومه على أحداث الدهور ؟ ما الجدوى من إضاعة وقته بضرب الأمثال له من التاريخ ؟ إنه لعبث أن تحس الأعماق تبتغى العبر، على حين تزخر الآفاق والأنفوس بالآيات . والذين يبصرون تلك الأسرار التي تتجلى فيها ، يدركون أين روح البقاء للأمم بيد أنى لا أعرف على أى شىء كنا نعتمد ونرجو الخير. نحن الذين أغمضنا عيوننا عن تلك الآيات. هل اتعظ الشرق بما مر به من المواعظ والعبر ؟ لقد مرت به الكوارث تترى وأهله فى خيبة يعمهون . آيتها الأمة الميتة ، لقد غربت الشمس ألا تستيقظين ؟ ألا يزال دوى السيول وأنين الآفاق الذى هز الأمم وهز حكوماتنا يهددك لتستغرقى فى سباتك العميق الذى انغمست فيه طوال القرون ؟ تلك الشعوب التي لا يحصى عديدها ، لا تفتأ تدب ساعية فى طلب البقاء ، هم اتحدوا لغاية واحدة وقاموا قومة رجل واحد ، رغم اختلافهم فى الجنس وفى اللغة وفى الإقليم وفى الأخلاق وفى الحياة، وهذه أمة تفرقت لا يعدو عددها العشرات ، وما نزاعها إلا من الحرص على الجاه ! إلى متى النزاع ؟ يا للغفلة ويا للفضيحة . قالوا : لقد ظفرنا بالحرية ، آمنا بالغيب ، وآسفاً ، قد خسرننا فى هذه اللعبة أيضاً ، وسمينا الجماعة فرقة (حزباً) فانتهى ذلك إلى التفرقة ، وإلى هدم كيان الأمة القوية . وخلقنا اسطورة وطن الطوران (الوطن القومى التركى الاسطورى) وكم بذلنا المجهود لتحقيق هذا الحلم المنشود ! وكم خسرننا من البلاد فى هذا السبيل ؟ كفى ماضع فاشفقوا على مابقى (١) .

وقد أشاد القوميون بجنكيز خان - الزعيم المغولى - من الوثنيين القدامى ، وجعلوه من اكبر زعماء الأتراك فى السابق . فكتب عاكف قصيدة على شكل حوار ونقد فيها ولاء القوميين وودهم لجنكيز وقال فيها :

- أما الجد جنكيز ، فماذا تقصدون من زعامته ؟ .
- اتركه فان مصيبتى كبيرة ، لأنه ضاع ومضت أيام اشتهاره بزعامة الأتراك .
- لا تأسف على ما حصل ، إن احتجتم إليهم مرة أخرى ، فسيجعلونه ذا شهرة عظيمة مرة ثانية .
- أنا لا افكر على هذا النحو ، فما دام قضى عليه ، فلن يعود إلى الميدان مرة أخرى .
- أنا لا اوافق على قولكم ..!
- فى الحقيقة لقد عرفنا اخيرا انه كان من أشد اعدائنا ، ولكن نسبته إلينا كجد سابق أحدى البغايا اليهوديات (١) .
- فهل جعلته من اجدادكم ، وجعلت قرابة بينه وبينكم ؟
- نعم ولكن لم يمض زمن طويل حتى جاء كافر آخر (٢) وقال : من أين لكم هذه القرابة بين الأتراك وبين جنكيز . أنتم من أصل الأتراك وهو من المغول .
- ثم ؟
- لاشيىء فى الميدان ، لأن تلك الشهرة الزائفة قد ضاعت . وخسرت الأعمال وانطفأت الحركة .
- لقد انطفأت بنفخة واحدة .
- نعم لم يبق الآن قانون للدفاع عن جنكيز واصبحت كلمة " خاقان " - أى السلطان جنكيز - نسيا منسيا .
- ولكن لاشك أن الكافر الذى نفى كون جنكيز من أصل الترك ، هو صاحب ادعاء معقول ، ولكن هناك مجانين يصدقون هذه الادعاءات بلا تفكير (٣) .

(٤) دفاع عاكف عن الروابط الإسلامية ووقوفه ضد القوميات خلال تفاسيره : يقول فى تفسير قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (٤) الإسلام يجمع جميع العناصر من جميع الالوان واللغات والانساب والاقاليم فى ملة واحدة ، ويربط بين تلك العناصر ، وليس للعثمانيين طريقة للسلامة فى الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بهذه الرابطة تماما ، أيها المسلمون : انتبهوا

(١) من المستشرقات
 (٢) من المستشرقين
 (٣) ديوان الصفحات : ٣٣٢
 (٤) سورة آل عمران : ١٠٣

اتركوا الغيرة القومية إن مضيت في اهماكم الرابطة الدينية ستهلكون ولن تستطيعوا بعد ذلك جمع الأمة في الدنيا مرة أخرى ، وسيكون عذابكم في الآخرة اشد . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القومية والتمزق بين افراد الأمة . العصبية هي : تجاوز الإنسان حقوق الآخرين للدفاع عن اصبته واقربائه وحدهم ، وقد اسس الإسلام مساواة تامة بين الذين دخلوا فيه . وجعل المسلمين أخوة ، وجعل كمال إيماننا في أن نحب لأخينا ما نحب لأنفسنا بلا زيادة ولا نقصان ، وجعل المؤمن مساويا تماما لأخيه المؤمن ، وملايين المؤمنين اشباه بعضهم بعضا . وروحهم واحد فهذه غاية التربية الاسلامية وليس في الإسلام ترجيح الآباء والاجداد والاولاد والاكابر والقوم والقبيلة على المسلمين الآخرين ، وكونهم عربا أو تركا أو فرسا أو هنودا ، لم يلق بينهم النفاق والشقاق ، ويتفق جميعهم على صلاح المسلمين ، ولا يقول أحد منهم بترجيح قومه على الآخرين . والمسلم يتمنى سعادة الدنيا والآخرة لجميع المسلمين وليس لقومه فقط . ولا يعمل لسعادة قومه فقط . وإن تمنى هذه السعادة الخاصة ، فإن قلبه لم يذق حلاوة الإيمان ربما لا يصح أن نقول عنه إنه مسلم .

ويقول عاكف في تفسير قوله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (١) إن التفرقة والانقسام للتعارف وليكون وسيلة لصلة الرحم .. أما التفاخر بالآباء والاجداد فانه مغاير لمقاصد الشريعة ، لأن جميع القبائل والاقوام تشعبوا من اب واحد ، وليس بينهم رجحان وتفاوت .. ويميز بين الناس شيء واحد وهو التقوى . والتقوى افضل من الفاسق والكافر عند الله ، وهذا هو التفاضل الوحيد الذي يقره الإسلام ، وهذا هو التفاخر الحقيقي ، وقد حث الإسلام على التمسك بحبل الله ، وحب المسلمين وحميتهم وليس لنسبه وقومه بل لكونه مسلما . كما حث على ترك التفرقة وترجيح منافع الإسلام على المنافع الذاتية والقومية (٢) . فإن رأى الإسلام في القومية واضح جدا ، ينبغي ازالة التفرقة والشقاق لتحقيق بقاء قوة الدين والحفاظ على المسلمين ولكن ظهرت في الآونة الأخيرة في الصحف السياسية كلمات عن العرب والترك والألبان ، وقد أسف المسلمون لهذا الوضع ، ولم يدع بهذه الدعوات الجاهلية ولم يقم بها إلا الذين فقدوا حس

الدين ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتألم بتفريق هؤلاء الزعماء ، لأن الجهلاء اقتنعوا بكلماتهم ، ويخرجون من الدين بدون علم ، ويتبرأون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضيعون سعادتهم . نحن نبكى على بلاد الإسلام لأنها ستضيع وسيكون الإسلام حقيراً وذليلاً في السنة اعدائنا وستكون قوة الإسلام موضعاً من موضوعات كتب التاريخ وليس لها واقع في الحياة . وقد منع الإسلام من القومية والدفاع عنها ، وقطع جميع علاقات المسلمين بالجاهليات وهى منها ، وقد اسس السلف هذا البناء العظيم للإسلام كما نقرأ فى كتب التاريخ بالتمسك بأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نحن اشتغلنا بالطورانية والعروبة والألبانية ، وضاعت سعادتنا وسعادة العالم ، ولم ننتصر ، وحتى لو انتصرنا فلا فائدة من هذا الانتصار . وقد سلط الله بيننا السيف نتيجة اعمالنا القومية وينبغى علينا أن نفكر جيداً اليوم : فإن بقينا نتقاتل فيما بيننا فسوف يستفيد من هذا اعداؤنا (١) .

وا اسفاه ، فإن معظم الذين يظنون أنهم على الحق لم يعرفوا عن ائحقائق شيئاً ، ويرى اعداؤنا ان حياتهم مرتبطة بموتنا لذا نشرت حكومتهم بيننا النفاق والفساد والقومية والجنسية ، وخلاصة القول نشرت كل اسباب ضياع وحدة هذه الأمة وتمزقها ، ونحن نسعى لنجاح دعوات اعدائنا وانتاج بذور فسادهم . ايتها الجماعة : استيقظوا ، انتهوا عن التفرقة والقومية لأن الخطر شديد ، إن بقينا على القيل والقال والقتال الدموى بيننا فسوف تضيع هذه الحكومة الاسلامية الأخيرة معكم وستكون مثل الحكومات السابقة (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) (٢) ، أيها المسلمون اعلموا جيداً أنه لا قومية فى الإسلام إن ظلتم على تمسككم بقومياتكم المختلفة ، وترك الأخوة الاسلامية فهذا هو الخسران المبين للجميع نعوذ بالله (٣) ، من يتمسك بقوميته لا يكون مسلماً (٤)

يقول محمد حرب فى كلمة القاها فى ندوة الأدب الإسلامى بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بعنوان : " تعريف بأدب الدعوة الاسلامية فى تركيا منذ سقوط الخلافة " : وإذا أخذنا مجموعة الاسلاميين الوطنيين مدخلا لدراسة أدب الدعوة الاسلامية فى تركيا ، فواضح أنهم أنصار فكرة الوطن

(٢) المرجع السابق : ١٠٠

(١) تفاسير محمد عاكف : ٩٥

(٤) المرجع السابق : ١٠٤

(٣) المرجع السابق : ٤٩

بمعناه الحديث وهى أرض عليها قوم يتحدثون لغة مشتركة ولهم دين مشترك هو الإسلام ويمثل هو "علاء" شاعر الإسلام محمد عاكف، حقيقة أن اشعار عاكف مليئة بالإيمان لكننا نجد فيها قصائد ليست كثيرة تميل إلى جانب القومية الوطنية مزج عاكف الإسلام بالوطنية ولذلك يمكن اعتباره شاعرا اسلاميا وطنيا " ، ثم يضيف قائلا : يعد عاكف - على قول نَجْلَابِكْ أَوْلَجَايْ - شخصية رئيسة فى الأدب التركى الإسلامى بمفهوم الإسلامى فى عهده ، فإنه يأخذ منطلقه من القرآن الكريم . اننا نجد فى شعر عاكف قلبا مؤمنا ينبص بأحاسيس المسلمين وما يعانونه من اضطرابات ، كما نجد فى ديوانه وضوح الشخصية التركىة ومدحا للمفاخر التاريخية واعلاء للبطولات الحديثة القومية فى حرب الاستقلال اعلاء طغى على المثل الاعلى للجندى المسلم فى حروب صدر الإسلام . لذلك بيد محمد عاكف فى أدبه مسلما كما يبدو أيضا تركيا " ، وينقل لنا محمد حرب قول بعض الكتاب قائلا : يقول حليم ثابت فى كتابه محمد عاكف بين الإسلام والفكرة الوطنية ، أن محمد عاكف لا يمكن أن يتصور وجود الإسلام فى مكان لا تسود فيه الحاكمة الوطنية " (١) وفى الواقع كما يعيش فى البلاد الإسلامية اقوام كثيرة يعيش فى تركيا نفسها اقوام وقبائل كثيرة . ويتكون المجتمع من مجموع هو "علاء" المسلمين ولا فرق فى رأى عاكف بين افراد المجتمع إلا فى التقوى كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (٢) والوطن : وطن الإسلام ، والأرض : التى يعيش عليها المسلمون والقومية فكرة معادية للإسلام . وقد دافع عاكف عن الأمة الإسلامية وملة ابراهيم حنيفا ورفض الطورانية . أما ذكره " الوطن " فى آثاره كثيرا ، فهى وطنية فى داخل مفهوم وطن الإسلام والمسلمين . وليس مقصوده وطن الأتراك فقط . بل كان يقصد أرض المسلمين ضمن فكرة الجامعة الإسلامية . ولم يدافع عن وطن قوم معينين من الاقوام وعارض معارضة شديدة فكرة القوميات . ودافع عن الأمة الإسلامية . فهذا ظاهر فى آثاره من الشعر والنثر . وفى مواعظه وخطبه وعرف انه كان على رأس الذين يدافعون عن وحدة الأمة الإسلامية . وقد اعترف مصطفى كمال قائلا : " إن عاكفا كتب نشيد الاستقلال بروح الدفاع عن الأمة الإسلامية " (٣) . وهذا الاعتراف فى موضع نقد عاكف وليس فى الثناء عليه من قبل مصطفى كمال .

(١) تعريف بادب الدعوة الإسلامية فى تركيا : ٣-٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) تاريخ الادب التركى المصور والمنقوش : ٢ / ٦٢٨ .

٢) موقفه من الإلحاد

كان في عصر عاكف أشخاص من الزعماء يجيدون النفاق كثيرا وعلى الرغم من المعاداة الشديدة التي كانوا يحملونها للإسلام إلا أنهم كانوا يتظاهرون بأنهم ينتمون لهذا الدين ، ومن أمثلة ذلك أنهم كانوا يدخلون المسجد ليؤدوا صلاة الجمعة مع السلطان ، رغم أنهم من أصل سلافي بعيد عن دين الإسلام وأصل بعضهم إما أن يكون بلغاريا أو رومانيا أو يوغسلافيا ودينهم إما يهودى وإما نصرانى . وخلال المعارك كانوا يتكلمون باسم الإسلام ويحرضون على الجهاد ويصلون مع الجنود البسطاء وغير ذلك من مظاهر النفاق فى قلوبهم وسلوكهم . إلا أنهم فى بعض الأوقات لم يكونوا يستطيعون أن يخفوا حقدهم الشديد على الإسلام فيظهر ذلك فى بعض اقوالهم وتركهم الواجبات الاسلامية .

وهؤلاء الملحدون لم يقاوموا الاستعمار الصليبي الذى حل بدولة الخلافة . وذلك على عكس ما يعتقد البعض . ولكن الحقيقة أن الشعب المسلم فى تركيا هو الذى قدم التضحيات وجاء بالانتصارات . أما ما شاع عن الملحدين من بطولات فهى أكاذيب بثها عبيدهم المخلصون من الصحفيين والكتّاب وغيرهم ، إذ أنهم كانوا يسرقون البطولات وينسبونها إلى أنفسهم ويصورون أنفسهم أنهم هم الذين قادوا تلك البطولات فى حين لم يكن لهم أية علاقة بمقاومة الاحتلال الصليبي فى الدولة العثمانية . بل انهم سعوا لتنفيذ المخططات الاستعمارية الذى يفضى بإقصاء الإسلام عن واقع حياة المسلمين وقطع كل صلة للأمة التركية بالإسلام وقد رفض المسلمون فكرة الإلحاد وفصل الدين عن الدولة فقيل لهم : إن الغاء الإسلام سيتم ، وإذا اعترض البعض فلن يحدث شيء سوى أن بعض الروءوس ستقطع وفعلا قطعوا رؤوس بعض المسلمين .

وهذه بعض الخطوات التى نفذها الاستعمار فى نشر الإلحاد : خلع السلطان عبد الحميد للقضاء على فكرة الجامعة الإسلامية التى تبناها ، وعلان الدستور وتقييد جميع سلطات الخليفة وذلك على يد جماعة الاتحاد والترقى الماسونية ، ثم الثورة الالبانية والثورات الأخرى . وكانت ضربة قوية للخلافة لأنها فصلت عناصر الدولة الإسلامية بعضها عن بعض وتلاها اعلان العلمانية

ووصل الحزب الشيوعي إلى كرسى الحكم فقامت أول دولة للإلحاد فى التاريخ وهى دولة روسيا السوفياتية . وبعد قيام هذه الدولة الشيوعية المقامسة قواعد ها على الإلحاد ، وبعد محاربتها الإيمان بالله ، تغير مجرى الصراع فى الدولة العثمانية بين الإيمان والإلحاد . وحاول الشيوعيون الوصول إلى الحكم فى تركيا . وكان الإلحاد يقف دائما موقف الدفاع فتحول بعد تلك الثورة إلى موقف الهجوم . وذلك بعد أن أصبحت له دولة تحيطه بالحماية والرعاية . وصار الإسلام والمسلمون ودعاة الإسلام الهدف الرئيسى لحملة الإلحاد . وانتشر الإلحاد فى تركيا بتشجيع من الحزب الشيوعي الروسى . وصرحوا بأفكارهم ووصل بعضهم إلى تولي بعض المناصب فى الدوائى الحكومية (١) . ونشروا افكارهم فى جرائدهم ومجلاتهم . وقد اتفق فى كثير من الاوقات اعداء الإسلام من الملحدين والمستغربين وغيرهم . ونرى احيانا علاقة وثيقة بينهم ومن امثال ذلك العلاقة الطيبة بين عبد الله جـودت الإلحادى وضيا كوك الب القومى (٢) . وظاهر أنه كانت هناك علاقة سيئة بين محمد عاكف وبينهم .

ووقف الشيوعيون ضد جهود عاكف فى الدعوة الإسلامية ، ونقصده بعضهم (٣) ووقف عاكف ضدهم وكتب عن وجوب الإيمان بالله ، ورد على كل من انكر سواهم من الملحدين أو غيرهم ، فى مناسبات كثيرة فى مقالاته (٤) ومواعظه (٥) أما سبب انتشار الإلحاد ؛ فقد سلبت السلطة من المسلمين العثمانيين وبذل الأوروبيون عامة والإنجليز خاصة ما يملكون من طرق الاغراء لقطع صلات المسلمين بالإسلام واحلال الإلحاد مكان التوحيد . وقد ارتفعت معنويات المسلمين بعد الانتصار على اليونان فى حرب الاستقلال واستولت عليهم روحانية الإيمان وتشتوته وفى غمرة هذا الاحساس ظهر الإلحاد ، لإفساد العقيدة وتسميم الافكار وسرى بين المثقفين . لذا كتب عاكف قصائد حول التوحيد (٦) ، ووجدانية الله تعالى وقدرته وعظمته تعالى . وقد ظهرت هناك التناقضات الاجتماعية فى عصر عاكف . وتأثر كثيرا لانهار الحضارة الاسلامية أمام الحضارة الغربية .

-
- (١) انظر يدع الزمان سعيد النورسى لجمال كوطاى : ٤٣ .
 (٢) انظر الوحشة المدنية : ٦٨ . (٣) عاكف نامه : ٢٢٣ .
 (٤) انظر مقالات محمد عاكف : ٨ وما بعدها .
 (٥) مواعظ محمد عاكف : ٣٧ .
 (٦) انظر قصيدته بعنوان " التوحيد " ديوان الصفحات : ٣ ، أيضا : ٤٤٣ .

ورأى أن المادة طغت على الإنسان في عصره ، فكتب يشكو من هذا الأمر وقد كانت الفكرة الغالبة على مفكرى عصره هى الإلحاد والتغريب . وأصاب هذا الضلال معظم الأدباء والشعراء الترك ، فاتخذوا أوروبا قبلة لانفسهم ، واقتضى المثقفون أثرهم . ورغم انتشار الإلحاد فى ذلك الوقت بقى عاكف مسلماً مخلصاً واستمر على منهج اساتذته المسلمين .

وقد انتشرت الاحزاب الاشتراكية فى تركيا . وبدأت تطلق الشعارات الخادعة وتعمل فى السر والعلن ضد الإسلام . وخدع بها كثير من ابناء المسلمين فأخذوا يرددون شعاراتها وافكارها ويخدمون أغراضها وزادت جرأتهم على الإسلام حيث بدأوا بتبرير افكارهم بنصوص من القرآن الكريم . يزعمون فيها أن الإسلام يوافق افكارهم . والحقيقة أن الإلحاد الذى شهده عصر عاكف ناتج عن غياب شرع الله عن التطبيق . ولو أن الامة استقامت على دين الله وحاربت الإلحاد ومخططات اليهود الشريرة الرامية إلى إفساد البشرية وتدمير اديانها واخلاقها ونهب اقتصادها لما انتشر الإلحاد . وعبر عاكف عن بطلان " النظرية الالحادية " ، وأن مايزعمه الملحدين من الافكار ليس إلا انحرافاً فى السلوك نتيجة لعدم تحكيم شرع الله فى حياة المسلمين .

وقد صور عاكف فى قصيدته بعنوان " مسجد الفاتح " موقف المسجد تجاه الأفكار الالحادية ، لأنه بوضعه المادى والمعنوى يقف ضد الإلحاد يقول عاكف : وعندما كانت الافكار الدنيئة تنشر الإلحاد فى الأرض ، بقى هذا المعبد العظيم المقرب بالتوحيد صامداً أمام هجمات الإلحاد ، ويقول فى تصويره للمسجد الفاتح : تتلألأ فى ناصيته عظمة صدر الإسلام ، كأن كومة الأحجار هذه ، ظهرت إلى الوجود من فيض انفاسه ، أو كأنها قامت ثم ارتفعت ثم تحولت إلى معبد من النور ، وكيف لا تكون هذه الجدران الواقفة فى سكونها الرهيب تمثالا من النور؟ انصرفت قرون وهذه الجدران تقف فى مواجهة الباطل - الإلحاد - دون أن تسأم ولو مرة واحدة... (١) وقد خشى عاكف على ضياع إيمان افراد المجتمع المسلم نتيجة الظروف السيئة بعد الحروب المدمرة وقال : يا إلهى ، امهلت الظالمين مهلة طويلة ، ومن أجل ذلك نخاف من أن تنكر بعض الضمائر فى يأس وجود " العادل المطلق " - أى وجود المعبود الحق - . ترتفع إلى السماء من الأرض آلاف من الصرخات ، وينزل من السماء ترديد لهذا الأنين ، ويقول عاكف فى آمال المؤمنين وكفر بعض البشر

والحاد هم : " فى قلب بعض البشر أمل ، يضيء كالنجمة وهو جوهر الإيمان ، يارب ما اعظم هذا الإيمان . أما القلوب التى فيها مرض فليس فيها هذا الجوهر فتلك القلوب المريضة ثقل فى الصدور ، والمؤمن يعتقد أن وراء هذا العالم الفانى عوالم براقية اعتبارا من صبح يوم البقاء . ولذا يرضى المؤمن بكل ما اصابه فى هذه الحياة الدنيا ولو اصابه آلاف من المصائب فى كل لحظة ، فالمؤمن يصبر عليها ، لأنه حينما يفكر فى نعيم الآخرة يتحمل فى الدنيا الآلام بلا شكوى . أما الملحد فمن أين يجد التسلية ؟ هيهات ، لا يستوعب فكره نعم الآخرة ولا يستطيع تصديق ثوابها (١) . وفى زعم الملحد ان هذه السماء والأرض قد خلقتا باطلا وليس فيها أذن صاغية تسمع البكاء لأنه يظن أن وجوده فى الدنيا عبارة عن صدفة ، وبموته تصير عاقبته خسرانا . ونصيبه من الحياة الدنيا ، الموت بالانين . وهو لاهم التعساء من البشر . اللهم ارحم المؤمنين وامددهم برحمتك ، ولكن ارحم الملحدين اكثر من غيرهم (واهدهم) ، لأن هؤلاء فقدوا الصراط المستقيم فى ظلام الليالى ولم يجدوا نجم الهداية ليهديهم ولذا اصبحوا ضالين . اللهم أنت تكتب الضلال وتكتب الهداية . ولا هداية إلا منك الملحد عبدك وقلب المؤمن لك يارب ، فما حكمة وجود الإلحاد والتوحيد ؟ وما اسباب الاختلاف فى افكار البشر ؟ اللهم ، هل تتبين اسرار تلك المسائل فى يوم من الأيام ؟ أم تبقى سرا غامضا كظلام الليالى ؟ اللهم نشاهد آثار جلالك وعظمتك فى كل ذرة من الذرات . وتنطق آلاف من الألسنة فى كل نغمة من النغمات بتلك العظمة ، يا من بقيت العوالم كلها ظلا لنور ألوهيته . كيف بقيت دلائل اسرارك مجهولة بين الناس ؟ (٢) .

وكان رائد الإلحاد الشاعر توفيق فكرت (١٨٦٧-١٩١٥) ويعتد ما كتبه ممثلا لأدب التغريب حينما والإلحاد احيانا . وقد طالب بالتخلى عن الأشكال التقليدية للشعر التركى واستحدث تفعيلات جديدة ليصبح كالشعر الحر فى الأدب الفرنسى ، وسادت العلاقات العاطفية المحرمة بين الرجل والمرأة فى موضوعات اشعاره . وله اشعار انتقد فيها سياسة السلطان عبد الحميد . يقول محمد عبد اللطيف هريدى : تمثلت علمانيته فى شعره " تاريخ قديم " و " ذيل تاريخ قديم " فهذا الشعر يدور حول فكرة رفض كل الأديان

(١) ديوان الصفحات : ٢٠-٢١ . (٢) المرجع السابق : ٢٢-٢٣ .

باعتبارها سببا في الحروب والخلافات القائمة بين دول العالم" (١) وفي الواقع فإن إلحاد توفيق فكرت وكفره ظاهر في الشعر المذكور. ورغم ضلالات وتوجيهه الشباب إلى الفساد يقول عبد السلام فهمي في الثناء عليه : " هو شاعر تركسي عظيم وصاحب المدرسة الحديثة في الشعر التركي ، نظم منظومة طويلة عنوانها (الضباب) وحمل فيها على استبداد السلطان عبد الحميد وكانت تتداول سرا، عمل استاذاً في كلية روبرت الأمريكية باستانبول اعتباراً من ١٩٠١ واستمر في عمله حتى توفي عام ١٩١٥ . ومن آثاره الأدبية التي أشار إليها عاكف في ديوانه " التاريخ القديم" الذي يفصح فيه عن الإلحاد المأثور في عصره فهاجمه محمد عاكف (٢). والحقيقة أن توفيق فكرت أظهر عداؤه للإسلام وضلالاته التي لا ضلالة بعدها وإياؤه للحق ظاهر في قصيدته المذكورة . فحضارة الإسلام في نظر عاكف اعظم حضارات الدنيا وفي نظر توفيق فكرت ليس لها قيمة ولهذا عارضه عاكف معارضة شديدة . ونتيجة لانبهار المستغربين أمام النماذج الأدبية الفرنسية دخلت من خلالهم موهنات المدارس الأدبية الفرنسية وكانت غريبة على البيئة الإسلامية ولم يكن انتاجهم يمر دون معارضه . بل قوبل بمعارضة شديدة ولا سيما من قبل المتمسكين بالإسلام وعلى رأسهم محمد عاكف الذي شن من خلال أبياته النقدية هجوما عنيفا على انتاج توفيق فكرت . وتركز هجومه حول افكاره الإلحادية . وقد خدمت تيار الإلحاد بعض الاقلام الصحفية مثل عبد الله جودت (٣) وغيره من الملحدين .

وقد رد عاكف على توفيق فكرت في قصيدة طويلة تتكون من تسعة وأربعين بيتاً ، وبين فيها آراء الملحدين في الاجتماعيات وفي مجال الاقتصاد ثم كتب عن آرائهم في الشعائر الإسلامية ونقل كلامهم وقال : يقول الملحدون إن أول كلام المسلمين يبدأ عن " الله " ثم يتكلمون في المرحلة الثانية عن " الدين " وفي المرحلة الثالثة يقسمون " بالوجدان والحق والشرع " . قبل أن يهدم هذه الأوهام لن تعيش افكارنا أبداً . لأن افكارنا لو حاولت كل انواع المحاولات فلن تستطيع التفاهم مع مخاطبها والشبيء الواضح أنه لا داعي للدخول في صراع ضد هذه الأوهام . لأن موقف الحكومة الليبرالية أمر يثير الشك دائما فهي حينما ترى حولها المتعصبين تتظاهر بالتمسك بالدين

- (١) الأدب التركي الإسلامي : ١٩١٠ .
 (٢) شاعر الإسلام محمد عاكف : ٧٠-٧١ ، وانظر تفصيل هجوم عاكف (شاعر المساجد محمد عاكف : ٣٧ . . .) .
 (٣) انظر الأدب التركي الإسلامي : ١٨١ .

محافظة على مكانتها ، وبعد ذلك إما تسجن واما تنفى ، اذا فالطريق السليم لنا أن نتخذ طريقا سياسيا ، فإن قلم داهية الفن (أى توفيق فكرت) فى الكلية الامريكية (١) باستانبول يستطيع أن يضرب هذه الضربة القوية إن أراد ، ولن تستطيع الحكومة أن تعترض عليه . لأنه يرفع رايات متعددة ، كـلل الرايات محمولة على عمود واحد ، - أى أن فيه أنواعا من النفاق - إن اعترض ماذا تعمل ؟ نسترحم كثيرا ثم لا يستطيع رفض الخطة بل يوافق عليها ، ولكن يقال : إن كثيرا من الدهاة لمجانين فهـذا مرض الاشخاص ذوى الشهرة ، يبدو أن لديه مرضا من هذا النوع ، وهذا مانع أماننا - كونه من المشهورين - . ما هذا المانع ، هل اخبركم ؟ لا تضحكوا على ما سأقوله : فهذا المانع هو " العفة " صوت عبارة عن ثلاثة حروف ليس له رصيد ، يحدث صوتا حين يصل إلى الأدمغة الفارغة ، ولن يصمد هذا الشاعر المحبوب - توفيق فكرت - أمام كلمة " العفة " لأنه يتمسك بظاهر اللفظ فقط ، وإلا فإن فطرتـه المنحرفة لا تطيق أبدا قيود العفة ، إنه ينادى بالحرية ، ولو صرخت له بأعلى صوت بندا^ء الحرية ، فإن حريم اسرته تقدم لك - لأجل الحرية - ، ثم اتفقوا أن يرجعوا إلى توفيق فكرت ليكتب ضد الإسلام ، رجعوا إليه ، وكأنه خادم الناقوس سب مقدسات الشعب ، وسب العباد والمعبود كالمجنون ، وعمل ذلك بلا تفكير كمن يرمى الوسخ من النافذة ، و احيانا يتذكر هذه اللوثة ويظهرها من جديد وانتشر كفرة الشديد فى وجه الأرض . ولو ربطوا آثاره بعضها مع بعض بحبل ابدى ، وعملوا منها مكنسة فلا يمكن تنظيف هذا التلوث ولو بحثت فى العالم كله من الغرب والشرق وفى كل مكان ، فلن تجد ملحدا فى مستوى هذا الملحد الذى كأنه مصاب بداء الكلب ، لأنه لم يكتف فى هجماته بالهجوم على المقدسات فى الأرض ، بل حاول الهجوم على من فوق العرش ، هل رأيتم شخصا مصابا بداء الكلب مثل ذلك ؟ حاشا إن الانسان لا يحب أن يسمع جنابة شنيعة بهذه الدرجة فضلا عن روءيتها " ، ويوجه عاكف خطابه إلى الغربيين ويقول: أولادكم يتعلمون الدين أولا ، كأن اساس تربيتكم إزالة الشرك (٢) قبل كل شىء

(١) كانت تسمى روبرت كولج Robert Kollaj أصبحت الآن جامعة بوغازايجى باستانبول

(٢) يقصد بالتركيز على التربية الدينية ، ولكن اصل تربيتهم كفر وضلال ، كما اخبر سبحانه وتعالى عن كفر النصارى فى كتابه الكريم . ولكن قصد عاكف المقارنة بين الغرب وبين ادارة الاتحاديين . لأن الغرب اهتم بالتربية الدينية والاتحاديون اهملواها .

أما اولادنا فقد أصبح من العلوم المبدئية عندهم : " دفن المعبود الحي - حاشا - في حفر الماضي " . وهكذا أزيل كل ما هو موجود في ذهنه من المقدسات ! إن الشباب معزور ، لأن بضعة من الأبقار المجنونة ، قد كتبوا ووزعوا ورقة عصيان ملعونة ، وهكذا نزعوا الإيمان من قلوب الصبيان ، ثم درس هؤلاء - الملحدون مثل توفيق فكرت - القول القائل : " ينبغي ألا يتقيد الفن بأى قيد " ، وهكذا جعلوا الأدب حرام من الحياء وآداب الإسلام مطلقا . أما ما كتبه فهو كورقة استعملت لازالة الأقدار ، لا يجب للإنسان لمسها بعد استعمالها" (١) . وقد كتب عاكف هذا الرد على توفيق فكرت سنة ١٩١٥ واستعمل الكلمات الفرنسية كماهى على لسان الملحدين فى اثناء كلامهم باللغة التركية وقصد الإشارة إلى درجة انتشار التغريب بينهم . وعمل قائمة لشرح معانى تلك الكلمات .

أما سبب رد عاكف على توفيق فكرت : فقد كتب فكرت قصيدة بعنوان " التاريخ القديم " مكونة من ستة أبيات ومائة بيت فى ٢٨ / ٤ / ١٩٠٥ وهاجم فيها التاريخ الإسلامى والمقدسات الإسلامية وفى نهايتها انكرو وجود الله تعالى ، وتأثر بأفكاره المثقفون البعيدون عن التفكير الإسلامى فى تلك الأيام . إشهرة فكرت دور كبير فى انتشار افكاره الالحادية بينهم . وضاع إيمان كثير من الشباب بعد تأثرهم به . لذا رد عاكف عليه . ومن كلماته الالحادية فى تلك القصيدة قوله : " أنت تنتهى بعرشك وملائكتك ، وليس هناك صوت للدلالة على ذلك فى الطبيعة يهتّم بهذا الأمر ، بل الناس فى كل مكان يضحكون ، ولا يبكى على الكذب إلا أهل الرياء والحق " ، ونشرت هذه القصيدة سنة ١٩٠٨ ، وكتب عاكف أول رد له على لسان واعظ فى المسجد ينصح المسلمين . ويشرح فساد الادباء واخلاقهم السيئة . وبين أن الأدباء السابقين قلدوا أدب إيران وكتبوا عن الخمر والغلمان ، والأدباء الجدد بدأوا يقلدون الغرب وكتبوا عن المسكرات والفحش ، ثم قال عاكف : ليس لهم عمل ذاتى ولا نسب صحيح يحاولون تقليد الفلاسفة ، ولكن لم يتخرجوا من المدارس ، اليوم يشتم الخالق تعالى ، ولو دفعت له مبلغا اكبر لم يستح أن يعمل خادما فى الكنيسة البروتستانتية يدق الناقوس " نشر عاكف هذا الرد فى ٢٢ / ٨ / ١٩١٢ ، ونفهم من هذا الرد أن توفيق فكرت لا يصدر فى

الحاده عن مبدأ يعتنقه لأنه كان يعمل فى مؤسسة نصرانية للمبشرين - اى الجامعة الامريكية - فاستحوذوا عليه فاتفق معهم وأصبح عدوا للاسلام ثم كتب توفيق فكرت " ذيل التاريخ القديم " وهى قصيدة من أربعين بيتا وكتب تحت العنوان كلمة " إلى الملا صراط " وقصد بها محمد عاكف، وبعد تسعة أشهر من كتابتها توفى فى ١٩/٨/١٩١٥. وقد أعلن فى تلك القصيدة كفره بصراحة ومن كلماتها: " كنت احب اصوات الأذان، واذهب إلى المساجد اسبح وادعو واصلى واسلم، عملت كل ذلك، واسفاه، وخذعت بالتلقينات، وقد ادركت أننى خدعت كما خدعت أنت، كنت أحب الله والرسول ولكن بقى منه اليوم الاستهزاء فقط. " وحينما سمع عاكف هذا الهجوم فى تلك القصيدة وتأثر الشباب المثقفين بها كتب رده على توفيق فكرت، ونشرت قصيدتا فكرت من قبل الملحدين عدة مرات. وبعد عام ١٩٢٨ أعلنت الكتابة بالحروف اللاتينية فكانت القصيدتان من أول ما نشر من الآثار بها.

ويقول عاكف: " لا يليق بالانسان الذى يجلس على كرسى الأخلاق (اى التدريس فى الجامعة) بغض النظر عن إيمانه أو عدم إيمانه، أن يشتم المقدسات التى يحترمها الشعب، ولا يتفق عمله هذا مع العقل (١). يقول مدحت جمال: التقى عاكف مع فكرت بالجامعة لأن كليهما كان من اساتذتها أيام السلطان عبد الحميد، وسألت عاكف عن فكرت فاجابنى قائلا: " ما احببت هذا الرجل قط لأنه لقينى أول مرة وتكلم معى ضد اصحابه الذين كانوا معه من عشرين سنة" وكان اشد ما كتبه عاكف فى الرد على فكرت ذلك البيت الذى اشرنا إليه من قبل: " اليوم يشتم الخالق تعالى - حاشا - ولو دفعت إليه مبلغا اكبر، لم يستح أن يعمل خادما فى الكنيسة البروتستانتية يدق الناقوس" وقوله: " عنده أعلام كثيرة وإن كان عمودها واحدا" (٢) قلت لعاكف لا يمكن أن تكون أنت كاتب هذه الكلمات، لأنك لا تتكلم ضد الاشخاص تورعا عن الغيبة فكيف تكتب كلاما وأنت تستحى أن تقوله؟ اجابه عاكف بقوله: ان توفيق فكرت كتب قصيدة بعنوان " التاريخ القديم" أما قرأتها؟ وقال فيها: " سوف تمزق غدا صفحاتك البالية التى هى مقتل الفكر" وقصد بهذا الكلام القرآن الكريم. حينما قرأتها تأسفت على ذلك وغضبت على ما حصل. إن هذا الشخص سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو شتم والذى

(١) محمد عاكف لاشرف اديب: ١/١٦٧-١٦٨.

(٢) يقصد انه منافق.

فربما كنت اسامحه ، ولكن لن اعفو ابدا عن شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كانت عاقبة وقوفى ضده الموت . لن اصبر على ما فعله (١) . وهكذا بين عاكف سبب كتابته الرد على توفيق فكرت . وقد انقطعت كتابات عاكف ضد فكرت بعد وفاة الأخير سنة ١٩١٥ ولكن التأثر بأقواله بعد وفاته استمر بين رجالات الحكومة ، يقول مصطفى كمال فى خطاب له فى الثناء على توفيق فكسرت " ياسادة : هناك قليل من الشخصيات النادرة عندنا ، لن نسمح بأى محاولة لتحقيهم ، فإن التاريخ القديم لتوفيق فكرت يمنع الانقلابات التى سوف تحصل فى العالم " ، ويقول أيضا : " أنا اخذت روح انقلاباتى منه " (٢) ، وقد أصبحت تلك القصيدة من الموضوعات المقررة فى المدارس الثانوية فى مادة اللغة التركية . وكانت دراستها اجبارية بين سنتى ١٩٤٥-١٩٤٩ والغرض من تلك الاجراءات إفساد عقول الشباب والدفاع عن اليساريين والإلحاد . هذه بعض كلماتها فى حق الله تعالى : " صفتك أنك لاشريك لك ، ولكن انظر كم لك فى هذه الدنيا العادية من الشركاء ، وكلهم قيوم وقهار وصفة كل واحد منهم أنه لاشريك لك (٣) " ومن كلمات الحادة أيضا هذه الكلمات : ليس هناك معبود ولا عابد ، أنا أنا وأنت أنت فقط (٤) .

وهناك شخص آخر من الملحدين هو محمد رؤف ، كتب رواية بعنوان " حكاية زنبق واحد " سنة ١٩١٠ ، وهى حكاية خليعة مليئة بالفساد والضلال . وقد كتب عاكف قصيدة فى الرد على هذا الكاتب المضل ، وكان رفضه شديدا تجاهه ، وكشف عاكف عن مقاصده واعماله وبين أن هذا الملحد يريد نشر الفحش وإفساد الأخلاق من خلال انتاجه (٥) ، وبين أن اتجاهه إتجاه إلحادى ومولفات مفسدة (٦) . ومن ناحية أخرى فقد ألفت إحدى الشابات فى الجامعة الامريكية باستانبول محاضرة ، وفى اثناء المحاضرة هاجمت محمد عاكف بقولها : " لقد انغلق عقل عاكف وعميت بصيرته " ورد عاكف عليها بقصيدة وعبر عن ضلالتها وإلحادها ، وهذه بعض كلماته فى الرد عليها : " هل سافرت فى

-
- (١) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٠٩-١١٠ .
 (٢) تاريخ الأدب التركى المصور والمنقوش : ٢/٢٢٣-٢٢٤ .
 (٣) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٧٨-٧٩ .
 (٤) تاريخ الأدب التركى المصور والمنقوش : ٢/٦٤٨ .
 (٥) انظر ديوان الصفحات : ٢٨٠ . (٦) انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨٠ .

الشرق الإسلامي وأنت تقولين ولو في خيالك : " ماذا أعمل لخلاص هذا الشعب الذي ينتظر هلاكه في أنين " يا بنيتي اتركي الدراسة وتعلمي الحياه أولا وقبل كل شيء (١) لقد كان الأعمى والأبكم في نظر عاكف هو الملحد ، لأن المسلم يدرك الحقائق ويحسهما وقد أراد عاكف برده عليها إيقاظ ضمائر الشباب وابعادهم عن المفسد والضلالت (٢) . وكان رفضه الشيوعية شديدا جدا ، تكلم في بعض مواعظه في مساجد الأناضول عن خطر الشيوعية ، وحاول إيقاظ المسلمين تجاه تلك البلية . ويرى عاكف انها حريق كبير جدا وبلاد أوروبا مستعدة لها (٣) . وتكلم عاكف عن روسيا وجواسيسها وكونها خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين ويقول على لسان سائح مسلم : " اعرف احد الروسيين من وقت طويل انه عدو المسلمين أبتعد عنه حينما أراه لأنه مضر " (٤) ، وأشار عاكف إلى النوايا السيئة عند الروس تجاه المسلمين وحذر المسلمين منهم ومن افكارهم .

ومن دلائل معارضته الشديدة للشيوعية كلماته التالية . فقد ارسل إليه أحد قرائه رسالة يطلب فيها توضيح أمر الشيوعية وقال فيها : " إلى السيد الفاضل محمد عاكف رئيس تحرير مجلة سبيل الرشاد الإسلامية ، ياسيدي الفاضل أسألك في مسألة مهمة ، هناك بعض الناس يقولون : " الشيوعية مثل الإسلام " هل هذا صحيح ؟ وبعضهم يقولون : " ينبغي على المسلمين أن يكونوا شيوعيين بصورة قطعية " لأن هذا في نظرهم هو الطريق لتقدمهم السريع . ارجو منكم أن تنشروا فكركم في مجلتكم . وهكذا تزيلون التردد من الأذهان وتخدمون البلاد ، ومنتظر جوابكم في اسرع وقت ياسيدي / احمد حلمي من مدينة طرابزون ، تركيا . فأجابه عاكف : " ياسيدي لا احب أن تنتظروا طويلا لذا اكتب جوابا قصيرا جدا . وسوف نكتب إن شاء الله جوابا مفصلا في المستقبل . وينبغي لنا أولا أن نعرف أن الإسلام والشيوعية شيئان مختلفان تماما . والذي يدعى أنهما واحد فإنه إما لم يفهم الأسس الإسلامية وإما لم يدرك الشيوعية كما هي . أما القول بضرورة تأييد المسلمين للشيوعية . فنقول : أولا لا لزوم لذلك لأن هناك أسبابا خاصة لظهور الشيوعية في روسيا من الظروف الحياتية والاجتماعية والاقتصادية و السياسية والزراعية والصناعية و خلاصة القول أن هناك اسبابا وعوامل لا وجود لها في البلاد الإسلامية . ثانيا : نفرض جدلا وجود تلك العوامل ، أما منا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يمكن أن نتصور موافقة المسلمين على الأسس الحاضرة للشيوعية ، أما مستقبل هذا

(١) انظر ديوان الصفحات : ٢٧٨-٢٧٩

(٢) انظر محمد عاكف لنور الدين طوبجى : ٢٢ (٣) مواعظ حرب الاستقلالى : ٥١٢

(٤) ديوان الصفحات : ١٤٩ .

النظام الجديد وشكله الذى سياًخذه ، فلن نستطيع ان نقول عنه شيئا من الآن لأن المستقبل مجهول لا يعلمه إلا الله تعالى" ، وكانت الشيوعية قد أطلقت برأسها إلى تركيا أيام عاكف ، وانتشرت الكتب ذات الفكر الشيوعى ، وتبلى الشيوعيون الفكر الشيوعى فى أدبهم ، فظهر ناظم حكمت (١٩٠٢-١٩٦٣) فى الشعر ، وصباح الدين على (١٩٠٧-١٩٤٨) فى الرواية . ودافع محسن ارطغرول (ت ١٩٧٩) عن الشيوعية فى مسرح تركيا . وقال نتيجة زيارته لروسيا - موسكو - إن موسكو كعبة العالم المتيقظ ، حينما ادبت الحج الأخير إليها وجدت أنوار إيمانى الجديد" . وعمل للشيوعية ودافع عن الإلحاد بعض الكتاب منهم برهان آصاف بلجة ، وشوكت سرياً أيدمير ، وعزيز نسين ، والملاحظ أن الفكر الإلحادى يسيطر على أدبهم . ونقد هم عاكف ونقد افكار الآخرين من الملحدين . ودافع عن إيمانه وعقيدته الإسلامية الصحيحة حتى لقي ربه وافنى عمره فى هذا السبيل . ووقف ضد الإلحاد واصبح عدوا له . وكان عدوا لاعداء الإسلام والإيمان . دافع عن الدين أمام الاتجاهات الالحادية . يقول رضا نور : هدمنا الدين . ولا أدرى ماذا سنفعل حين نحتاج إلى الدين فى المستقبل مرة اخرى" (١) .

ونظم عاكف أيام اقامته فى مصر فى ١٢/٢/١٩٢٤ قصيدة طويلة بعنوان " مع فرعون وجها لوجه " ، وصور زيارته منطقة الاهرامات ، ويبدو للقراء انه قصد الفراعنة والملحدين قديما وحديثا فى عصره . وهذه بعض المقتطفات من تلك القصيدة : " وقد مضينا وضاق الوادى وقاربنا الغاية ، ثم بدا شبح الآثار الخربة رويدا رويدا ، إن هى إلا أعمدة مهشمة ونصب ، سقطت على الأرض هنا وهناك وانتشرت ، وقد بدت صفوف المعابد التى غطت أرض الوطن ، ثم بدا معبود تلك المعابد وقطع إربا إربا . وقد قامت عن يمينه أمواج من ميان خربة تمتد بلا نهاية ، وقام عن يساره جدار المعبد الوحيد ، وقد مثل بالتماثيل أمامه تمثيلا كاملا . أما فيما يواجه المعبد فروهوس بلا أنف وخصور بلا ظهور ، وقد غرقت هناك مئات من اجساد الشياطين فى بحر الرمال . وقد مزقت الأرض هنا آلاف من الرمم تريد الخروج منها وذهبت أدراج الرياح انقراض الآمال الخربة هناك ، وهنا يدوس النظر قصورا متهدمة بين الفينة والفينة ، إن هى إلا أرض نبت فيها الفساد ، تحشر فى طياتها الأجساد حتى يحين يوم الحشر . وتضاءلت

سعة الوادى فاستحالت مضيقا. ألا فانظروا إلى هذه الأرض ما أشد تداعيبها؟! وقد حفروها هنا وهناك وأخرجوا الجبال التى استحالت ترابا، فالتهموا قبورها ولم يذروا ما بها من الجيف فنهبوها! . رحم الله النباش الأول، كان آدميا، أما هو^١ لا للصوص فوجوش! وإذا بالصحارى محفورة وإذا حفر تمتد من اليمين إلى اليسار، إن جيشا من السواعد لا يفتأ يبحث عن المقابر، وأنقاض من الخرق البالية تنجر صفوفا، على أمل أن تنكشف عن موميا، إنهم يمزقون الخرق ويغربلون الثرى وينثرون الرماد والعظام وكل هذه الأكوام. ما هذا الجشع البشرى الذى يعيب بالعجز البشرى؟.. كلا لن يطول الطريق لقد انتهى أى انتهاء! الا فتعالوا واملأوا ابصاركم بهذا المنظر العجيب وقد أسدل فجأة على الأفاق ستار من النار حيث تدور الطريق وتتجه نحو الغرب، يالها من رهبة الهية ويالها من قدرة وياله من جلال، إن الأرض بأدوارها المتغيرة تجثو على أعتابها، وهذا المنظر قد نسج من فجر الأزل، أو هو لهيب الغروب قد تحجر! فقطب هذا الهرم (١) السرمدى جبينه فى الفضاء، ومضى فى وعيده. للآمال الحريصة. أجل، إن هذا الخصب الذى يستند على الأطلال الخرية، إن هو إلا سكوت مهيب غرق فى التفكير، ما من خطب تلقى، كلا.. ولا منبر. لأنه أسمى من ذلك كله.. إنه لقبر عميق! إن أضلاع هذه الصخرة الحمراء قد حفرت من نواح شتى، وهناك أسماء مصفوفة قرأناها عفوا: (آمنوفيس الثانى) حسن.. فلندخل ونر: إن الضوء كان ضئيلا على العتبة وقد شمل الظلام الداخل ولكن الأمد لم يطل إذ رفع الستار فجأة، هو الدليل ولا ريب، قد سلط النور من الخلف، إن المشى مع الضوء ليسير وإن كان المسلك عسيرا، أما الذى لا يحتمل فهو الحر المزعج المنبعث من الداخل، ولكن ما الحيلة؟ لا بد من النزول ما دنا قد دخلنا غير مبالين، فالأرض تنحدر انحدارا، على أن النجاة من العثار ليست غير متيسرة.. فعند كل خطوة درجة قد حفرت فى الصخرة، فانطلقنا وإذا بجسر امتد أمامنا، والثغرة تنتظرنا فتوكلنا على الله، وقلنا: بسم الله مجراها ومرساها، ومضيئا، ولكن الله سلم.. إذ الدليل يقول: إن بئرا مخوفا ملؤه الظلمات، قد كمن تحت هذا الجسر المعلق، إن من ينبش قسبر

(١) هو جبل أحمر المنظر وملؤه مقابر فرعون يقع عند انتهاء وادى الملوك بالأقصر، فيجب أن لاتظن آية الطبيعة هذه أحد الاهرام التى بجوار القاهرة (ترجمة الظلال لابراهيم صبرى : ٥٦٥)

أمونوفيس ليسرق عظامه المفخمة ويحاول كشف أسرار الملك ، يطأ قدمه هذا الشرك ويسقط في قرار الجحيم . هلم نمض سريعا فإن من دخله ليس آمنا . وقد أسرعنا الخطى نحو درجات السلم وعولنا على الهرب إلى أسفل هذه القافلة بمشاعلها كأنها موكب من النجوم ، اصطفت على طول الممر وهي تبرق كأنها كومة من يراع حبست في خلية ، تحاول حرق هذه الليلة السرمدية حتى تتخلص منها . وهذه الرموز المعبرة تتوالى وتتكرر بلا نهاية في كل مكان من السقوف والجدران والألوان والصور قد تلفعت بظلام ، لمن تمثل هذه الرواية التي تعرض في الظلام ؟ ... ، بينا نحن نتساءل هكذا وقد قطعنا شوطا بعيدا في الممر ، وساقطنا الطريق الآن إلى مكان ذي أعمدة ، وإذا بنا قد وصلنا إلى حريم فرعون الخاص ، حذار أن تحدث ضجيجا لكيلا يفزع . أما هذا المسرح المائل بصدر الجبل فرائع ! إن موجات زرقاء ذات نجوم كالسماء البهيجة غمرت السقف وظلت تلمع . . . ، وإن أطراف الجدران ذات اليمين وذات الشمال ، مرشدة إلى مهالك الموت ، ملأى بألف أسطورة في صورة جيوش من الجن . كلا أن الأعمدة تقص روايات مسهبة روايات ذات فصول طويلة . حسن ولكن أين هو ؟ وإذا بلحدة المزخرف الأحمر اللامع قد ظهر فجأة ، كان مكشوبا ، وقد حلّ محل الغطاء زجاج كثيف ، ولما فتح النور ابن القرن العشرين ، جاشت سيول من الأضواء . فترأى شبحه البائس المشلول . ياله من آيات العدالة الإلهية ، أن تنظر إلى أمونوفيس الثاني كما تنظر إلى جيفة ! هذا الفرعون الذي كان المرء يخشى مجاورته . هذا الفرعون الذي تحوى القصور والأعمدة والنصب ، تاريخه وتلقنه للناس ، هذا الفرعون الذي إن أحنى رأسه لحق ، فإنما يحنيه لحق بقاءه وحق نفسه ، هذا الفرعون الذي إذا ما خطر بعقله الثمل تخليد خيال ظله ، فإن راحة الرعية لا يحسب لها حساب . هذا الفرعون الذي ظلّ كابوسه على الأرض كالجحيم ، قبل أن يقع جسمه المشثوم في جهنم ، هذا الفرعون الذي طاف البشر بتمثاله ، راکعا وخاشعا تحت وطأة رهبته ، هذا الفرعون ، هذا القضاء الخفي ، هذه الكارثة المتحجبة ، هذا الفرعون الذي نودي (ياربنا الأعلى . .) ياله من انتقام إلهي وياله من خسران سرمدى . يجثو تحت أقدام المارة بجسمه البالي العارى ، ضاع كفته ولم يبق له إلا لحمه ، وجسده عار مطروح ولا يزال تحنيطه باقيا لم يتحلل .! أهذا هو الوجه الذي كانت الأرض ترتعد له ؟ أضحك هذا الوجه هو الذي كان يحدث أنينا في الآفاق ؟ كلا ، لم يعد وجهها الآن بل أضحي سجلا للعذاب . إن أساريه كلها متداعية لاتعبر إلا عن الخراب ، والعيون التي

كانت تنشر الرعد والبرق ليست إلا هاوية مظلمة ! إن الرياح تعصف الآن فى مكان تلك الرعود ، بينما الموت يغوص فى منحدرات الأصداغ ، وخسران مرشديد ينعقد على الشفاه ، ولا أدرى فىم تفكر تلك اللحية المتهافنة ؟ والجبين قد خيم عليه اضطراب مهيب ، وقد تحولت البطن والحجر واليد والرجل إلى جذوع محترقة . إنها سوف تستحيل قريباً رماداً وتنتشر . هل هذه الجيفة التى أراها هى مصيرك ؟ هل فى سبيلها جعل الألوف الموءلفة من الأرواح تنن ؟ ما كان أعظم شوه مك الذى استولى على الجو ؟ فحياتك كانت كارثة كما أمسى موتك مصيبة ! أجل . ما كنت تستطيع أن تقيم هذه الأعمدة ، لو لم يفض العرق غزيراً من تلك الجباه البريئة . إن تماثيلك نبتت فى البلاد كالأعشاب السامة . فهذا الوادى إنما سقى بدماء البشر . كأن جوف الأرض لم يتسع لجسدك فلم تستطع أن تواريه فى التراب ! هل كان يجدر أن تجعل الرعية تثقب الجبال بأظافرها وأسنانها لانشاء قصور توضع فيها جيفة ؟ ما سر تكريم هذه الجيفة ؟ ولم لم تنل روحك هذا الاعزاز والانعام ؟ ولو أردت الخلود فى الدنيا لاستطعت ، ولكن هل ضحيت بعض أنفاس حياتك فى سبيل الحق وأبقيت ذكرى عزيزة ، خالدة تحت هذه القبة الزرقاء ؟ تلك العيون الراجعة التى كانت تنثر الموت على الآفاق ، هل انحنت ونظرت إلى الخلق الذين كانوا يلفظون أنفاسهم فى التراب ؟ هل أرويت القلوب الظامئة بذكرى رحمتك مسكناً لوم هذا القلب الغليظ القاصى ؟ وحياتك السافلة المليئة بالأحوال والدم ، عمل تذكرها قلبك يوماً ونظرت إليها ، واستحييت منها ؟ وهل فاض عرقك الذى يغسل عنها الأحوال ؟ فإن لم يجد نفعا فهل اغرقتها فى سيل الندم ؟ كلا ما أبعد لون الحياء عن ذلك الوجه ؟ وقد أغمضت جفونك دون أن تبتل مآقيها بالدمع ، واحتمت بالتحنيط جيفتك التى هى آيتك الوحيدة ! ولكن هل استطاعت روحك الشريفة أن تلوذ بالغفران ؟ لو مزقت الستار الأول المسدول على حياتك فسوف تسمع آذانى صوت الأجساد العارية ، تلك الأجساد التى كان يعلوها الدخان من ضرب سياطك تحت لهيب الشمس ! إن التعب كان حقهم المجهول ، تلك الأجساد التى لم يكن لها عندك حق إلا التمزيق ! إني أتخيل عهدك الفخم الآن ، كما فار شبحه من الرمال قبل ثوان ! ما من أحد من رعيك لم يلق العذاب : فما الصراخ الذى لا ينقطع إلا أنين الأيتام ! ما أكثر البيوت التى خربتها قبل خرابك ، وما أكثر

المنازل التي داستها هذه الصخرة التي شيدتها ! لومست هذا الجدار المائل لبكى وهو لا يستطيع أن يقول كم من دم جرى في هذه الحفرة ، وكيف يستطيع أن يروى وهو شريك في الخسران ! أحقا له مصر العظيمة العارى كان كل هذا الضجيج في بناء هيكلك لتخليد ذكراك ؟ وإذا كان الأمر كذلك فقد ضاع سدى ! أجل ، إنه لمن حق البشر أن يتمنوا الخلود ، ولكن ليس يطلب الخلود من حجر ولا جيفة (١) .

وقد ذكر عاكف أسماء اشخاص معينين من الملاحدة في رده عليهم ، واختار توفيق فكرت من معاصريه . وفرعون من التاريخ ، ورفض الإلحاد في الماضى وفى عصره . ورد فى شخص هو "الملاحدة" جميع أنواع الإلحاد وأشكالها قديما وحديثا . ولم يقصد عاكف فى كتاباته شخصا ملحدا أو شخصين معينين بل قصد جميع الملاحدة فى كل زمان ومكان بكل اعمالهم ومحاولاتهم لنشر الإلحاد . ويسأل عاكف قائلا : " أى خير فى وضع الإلحاد الوضع فى مرتبة الإيمان " (٢) ويصور الواقع قائلا : إن العقول تقشعريارب ما أفضع الانقلاب الذى حدث ؟ . ضاع الدين و الإيمان فما الدين إلا خراب ، ولا الإيمان إلا تراب " (٣) ومع ذلك لم يقع عاكف فى يأس ولم يقطع آماله وقال : إن صدرا واحدا فقط يعيش بدون أمل هو صدر الملحد " (٤) .

ومن خلال ماتقدم نستطيع أن نقول أن موقف عاكف من الإلحاد والشيوعية هو الرفض التام المطلق . وقد نشأ الفكر الشيوعى فى أوروبا وطبق فى روسيا لكنه انتقل إلى البلاد الإسلامية ومنها تركيا . وهو د خيل وغريب على أهله ودياره نقله اليهود رغبة فى القضاء على الدعوة الإسلامية ولعدم التعرض لليهود واليهودية . وكان عاكف يرى خطورة الإلحاد والشيوعية ، وحذر المسلمين منهما .

(١) ديوان الصفحات : ٤٠١-٤٠٦ ، ترجمة الظلال : ٦٢-٧٢ .
 (٢) ديوان الصفحات : ٣٨٢ . (٣) المرجع السابق : ٣٨٤ .
 (٤) المرجع السابق : ٤٦٥ .

٣) موقفه من التغريب وانتشار الفساد الخلقى

أ) موقفه من التغريب

ب) موقفه من الفساد الخلقى

تمهيد :

لا شك أن حركة التغريب هي حركة كاملة ، لها نظمها واهدافها وقادتها الذين يقومون بالاشراف عليها ، تستهدف تدوير فكر الشخصية الإسلامية وتسميم ينابيع الثقافة فيها .

وقد تأثرت الدولة العثمانية بثورة فرنسا (١٧٨٩) تأثراً كبيراً . وهي الدولة الإسلامية الوحيدة التي لها حدود مباشرة مع الغرب الصليبي . وهي تمثل العالم الإسلامي . وقد أصابها الضعف نتيجة عوامل مختلفة ، ورأى بعض الاداريين الاتجاه إلى أوروبا في ميدان العلوم والعسكرية ، واتجهت الدولة بالفعل إلى الغرب . وأخذ هذا الأمر شكلاً قانونياً بفرمان التنظيمات وهو اصطلاح يقصد به إصلاح اجهزة الدولة العثمانية ، وتنظيمها وقف المنهج الغربي ، واقتبسوا الشيء الكثير من أوروبا ، وهكذا بدأ استعمار الغربيين لقلوب ابناء المسلمين وهو شر من استعمارهم للأرض . وأمر المسئولون في الحكم بتبني الدولة لهذه الحركة . وبدأ في الدولة ماسمى بـ " عهد التنظيمات " كما بدأت تستلهم الروح الغربية في الحياة ، والفكر الغربي في اقامة المؤسسات ، وهذه هي المرحلة الأولى في التغريب ، وفي المرحلة الثانية اعلن الدستور في عام ١٩٠٨ وخلق السلطان عبد الحميد في ٢٧ / ٤ / ١٩٠٩ ، وكانت غاية يهود الدونمة ومحافل الماسونية ابعده من ذلك ، ولم تكن الاحداث السياسية وليدة الساعة ، وإنما كان لها جذور مرتبطة بالتيارات الفكرية التي بدأت تنتشر منذ اعلان التنظيمات . وانقسمت الآراء حول وسائل الاصلاح لانقاذ الدولة من الانهيار ، ثم ساعدت العوامل الخارجية والداخلية على انفجار الموقف ليظهر الصراع على السطح وتعتبر هذه المرحلة الخطوة الثانية في مجال التغريب . وكان السلطان عبد الحميد حجر عثرة أمام حركة التغريب وكان عدوا لدوداً لها وبذل كل ما في وسعه لإعادة دولة الخلافة إلى سابق عهدها . الأمر الذي جر عليه ماجر من

مؤامرات كثيرة لاقصائه كان آخرها حادثة خلعه . ودخل يهود سلانيسك
استانبول ودبروا تدمير الدولة أيام الاتحاديين . ووصل الجمهوريون إلى
السلطة واعلنوا التغريب الكامل في كل شىء .

أ (موقله من التغريب :

والتغريب فى عصر عاكف لم يكن هو التبعية العاطفية والفكرية وتبنى
أنماط السلوك الدخيلة فحسب بل هو انسلاخ المستغربين من القيم التى
كانوا ينتمون إليها احتقارا لها والدعوة إلى تبني القيم الغربية اعجابا بها
وحاول المستغربون بث الأفكار الغربية والتمكين للحضارة الغربية فى الدولة
وبذلوا الجهد وحاولوا أن يصلوا فى مجال محاربة الفكر الإسلامى وتحقيره إلى
حد تجريده تجريدا كاملا من كل الجوانب المشرقة فيه وكان اعجابهم بالفكر
الغربى وحماستهم له والدعوة المتفانية إليه قد بلغت أشدها . وكانوا
يمثلون كيانا غربيا عن بنى جلدتهم وعن الغرب كذلك ولم ينجحوا فى اقناع
الغرب انهم منهم قلبا وقالبا .

وقد اتفق عاكف مع كثير من المفكرين الإسلاميين فى رأيهم أنه لا بأس
من أن نستفيد من الغرب فى تقدمه التكنولوجى فى الأمور المادية من صناعة
وانشاء . . . ، ولكن لا يجوز استيراد الفكر والثقافة الغربية لتعارضها مع تعاليم
الإسلام ، ولكن الواقع يشير إلى أن الفصل بين المنتجات المادية والقيم
الحضارية الغربية ليس دائما من السهولة بمكان ، وإن كان هذا الفصل ليس
مستحيلا إذا وجد الوعى الإسلامى ، ووضع الفرق بين الحضارة الغربية
والحضارة الإسلامية كل بخصائصها ومقوماتها . وفى رأى عاكف أن المنبع
الذى يستقى منه المسلم افكاره وتصوراتة هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم ، وان الاسوة الحسنة مقصورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالتالى هذا المنبع وتلك الاسوة يجب ألا تشوبها شائبة وإلا كانت النتيجة
هورة مشوهة ومنهجا غير سليم . ونرى أن كثيرا من المثقفين وقعوا فريسة
للتغريب أيام عاكف فى سلوكهم وتصوراتهم ، وحاولوا أن يقلدوا الغربيين
اكثر من حرصهم على تقليد سلف هذه الأمة . ونرى تأثير الفكر الغربى الذى
يتعارض مع الإسلام فى أمور اكثر من أن تحصى . وان النتيجة الحتمية للدعوة
الدؤوب للقيم الغربية من قبل دعاة التغريب هى تبعية الشعب المسلم للغرب

فى كل شىء . فقد اوجد التغريب جيلا لا يرى قيمة للتراث الإسلامى أكثر من انها ثمرات فترة تاريخية معينة انتهت ، ولا داعى للتمسك بها ويرون أنه لا بد من تغيير مصدر الالهام والتلقى إذا أردنا أن نساير ركب الحضارة الغربية كما يزعمون . ونذكر هنا مثالين : ففى المجال الاقتصادى ربط دعاة التغريب مصير تركيا الاقتصادى بالغرب بعد أن اقنعوا كثيرا من المسلمين بضرورة تطبيق الاقتصاد الرئوى والتبعية المطلقة للمؤسسات الغربية وكانت نتيجة ذلك أن وضعت خيرات البلاد فريسة للاحتكار العالمى واصبحت امـوال المسلمين يستغلها الاعداء وصارت سلاحا يحارب به الإسلام واصبحت البلاد من أفقر بقاع الأرض ومن اكثرها تخلفا فى الناحية الاقتصادية . وفى المجال السياسى نجح دعاة التغريب فى القضاء على أهم المؤسسات الإسلامية . ثم فرضوا انماط السلوك والتفكير السياسى الغربى على المسلمين . ونصبوا تلاميذ أمناء فى كراسى الحكم والتوجيه الفكرى فى كل مجال فاصبحت دفة السياسة التركية لا توجهها مصالح هذا البلد وارادة شعبه بل توجهها أطماع الاستعمار الغربى ، وكانت نتيجة الديمقراطية المزعومة شقاء لا يماثله شقاء . واهم دعاة التغريب هم رجال التنظيمات ثم الاتحاديون وتلاميذهم . وهناك أسباب كثيرة أدت إلى الاعجاب بما يزعمه ويردده دعاة التغريب عن فضائل الحضارة الغربية بل دفعت كثيرا من المسلمين إلى تبني الافكار الغربية ، كما أن هناك عوامل كثيرة جعلت التغريب ظاهرة مستمرة أيام عاكف ومن بين ذلك حملات التشكيك والشبهات التى ألصقها دعاة التغريب بالفكر الإسلامى .

يرى عاكف أن الاعداء يهدفون من وراء مخططاتهم إلى التغلغل الفكرى وإلى اماتة الروح الجهادية ويضحكون على المسلمين . كتب قصيدة فى ١٩٠٨/١١/٥ ووقف فيها ضد مظالم شاه إيران . الشاه محمد على (حكم بين ١٩٠٧-١٩٠٩) وذكر نماذج من مظالمه ثم قال : أبكيت الشرق واضحكت الغرب عموما . لا ، لم يضحك أحد على المظالم ، بل للغرب ضمير . يحزن الجميع على اجراءات الظلم ، لأن أجساد المظلومين غطت وجه أرض ايران " ، ثم ينصحه عاكف قائلا : " أنت تعيش فى أيام لن يصبر الناس فيها على المظالم ، لاتقل : " أنا اعمل كما أشاء " ، " لن يتدخل أحد " هذا اتجاه غير سليم ينبغى عليك أن تنتهى عن ظلمك ، يقال إن المستقبل غير معلوم ولكن عاقبتك بتلك

الحركات ضياع واضمحلال" (١) ، ويذكر عاكف مثالا عن احترام الغرب للعلماء ويقول على لسان واعظ يعظ في المسجد وهو عالم وسائح مسلم : " كان غرضي السفر في جميع بلاد الهند ، ولكن كنت تحت مراقبة الشرطة في كل اسفارى ، لذا غيرت فكرى ولكن عرفت عنها الشئ الكثير ، فإن هذا الاقليم القديم من بلاد العالم نشأ منه علماء اجلاء أمثال رحمة الله - صاحب كتاب اظهار الحق . رد فيم على افكار المستشرقين - يصل عددهم إلى مئات ، يدركون روح الاديان ، ويعرفون حكم القرآن يحترمهم الغربيون أنفسهم" (٢) ثم كتب عاكف عن شباب المسلمين في بلاد الهند ودراساتهم في إنجلترا ، وكونهم تدوة أمام شعبهم وعدم تقليد هم الغرب تقليدا أعمى ، واخذهم العلم فقط من الغرب ، واصبحوا اصحاب خبرات ، وليس لهم علاقة بالفحش والمسكرات وهم أناس شرفاء اصحاب همم ، يحترمون شرع الله . لذا لهم مستقبل مشرق ، أما في الدولة العثمانية فقد عمل عاكف مقارنة بين أفكار المستغربين وافكار الشعب المسلم قائلا : " انظروا ماذا يقول من يُسمون بالمفكرين عندنا " ، ان وصول الشرق عموما إلى مستوى الغرب لا يمكن إلا عن طريق واحد وهو السير فى الطريق الذى سارت فيه أوروبا دون سواه . وينبغى أن يهضم ذهن الشرق افكار الغرب ، وهكذا تتوحد المشاعر ، كما ينبغى تقليد الغرب فى المسائل الاجتماعية والادبية و خلاصة القول فى جميع المسائل واخيرا ينبغى ازالة الدين من الوجود ، لأن الدين هو المانع أمام اسباب الترقى والتقدم " . ثم يذكر عاكف افكار العوام من الشعب قائلا : " أما حس العوام من المسلمين فهو بلاشك ضد الافكار المذكورة للمثقفين . انهم انقادوا لحكم التقاليد تماما ، واصبحوا أعداء لجميع افكار الغرب وآثاره ، ورفضوا جميع انواع التجديد بلا استثناء وبغض النظر عن التجديد بمعنى التغريب فانهم يرفضون التجديد المفيد الصادر من بنية أمتهم . هذه هى الافكار المشتركة بين عوام الشعب " ، ثم بين عاكف أفكار الأدباء المنحرفين قائلا : " هل هو لا " سيرشدون الشعب ؟ لا أبدا ، لأن بعضهم يرغب فى نقل فحش الغرب . . ، والبعض الآخر يأخذ أدب إيران القديم ويشغل بقدماء ادبائه " (٣) ثم يقول عاكف بعد التفصيل عن اعمال وافكار المفكرين والادباء : " لا فائدة فى سلوك طريق التقليد فى جميع المسائل ،

(١) ديوان الصفحات : ٦٥-٦٦ . (٢) المرجع السابق : ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق : ١٥٥-١٥٧ .

خذوا علم الغرب وصناعته، واعطوا اقصى السرعة فى نفس الوقت لمساعيتكم، لأن - الحياة لاتستمر بدونها، وليس للعلوم والفنون قومية، ولكن لاتنسوا نصيحتى وتنبيهاتى، ينبغى لترقى جميع مجالات الحياة ان تكون الماهية الروحية فى الأمام. ولأيمكن تحقيق آمال السلامة بدونها". وينصح عاكف أيضا : "احتقروا اهل الصليب، لا يوثق باقوالهم، وانظروا إلى حقيقة هذا المخلوق السمى" وهو " الحضارة الغربية"، واحتقروا الوجه المستعار لوجدان العصر"، قالوا أيام إعلان الحرب العالمية الأولى الملعوننة : " ينبغى لنا تبنى الافكار المنتشرة فى الغرب وهذا لا يمكن إلا بانكار وجود الله، ولقنوا هذه الاباطيل كتلقين الإيمان، وحاولوا إخماد صوت الدين" (١).

وقد صور عاكف ظروف الدولة العثمانية بعد اعلان ادارة المشروطية سنة ١٩٠٨ وقال : " كما يظهر الجرح بمهضع الجراح، اظهر كل واحد من الناس ما اخفاه من الافكار والنيات وبسطوا السننهم، ولم يفرقوا بين حسنها وسيئها. ولم يبق عندهم شئ" خفى، لم تعد الأيام، أيام المداهنة بالقصائد القديمة بل يشتم الأدباء بعضهم بعضا، أما الجرائد : فهى لاتعد ولا تحصى، تنشر تحت عناوين مختلفة فتزرع فى البلاد بذور الخلافات، ووجد الخبثاء ممن أصحاب الأخلاق السيئة المناخ مناسب لتنتشئة الخبثاء، وزرعوا الفحش فى انحاء البلاد، حينما يهاجم خمسة أو عشرة من الخبثاء الدين يصفقون لهم، والجيل الجديد يعتبر ذلك من حرية الوجدان ! ويستدين بعض الناس أموالا يسافرون بها إلى أوروبا رجالا ونساء، كأن بلاد آسيا ليست على طريقهم للسفر إليها. ويقال : إن بعض الناس يتركون بناتهم فى بلادهم ويأخذون معهم أخوات زوجاتهم اثنا السفر إلى أوروبا ولا يستحيون من هذا العمل بل يقصدون تعليم علم الأمومة للبنات من باريس. وفى الواقع ان الحمل ثقيل ونسرى ان المسئولية والجزاء اعظم منه.. أيها الناس : استيقظوا من نومكم واكتفوا بهذا القدر من النوم، أليس فيكم إحساس بالرحمة تجاه الوطن، حافظوا على الحرية والاستقلال قبل أن تكونوا أسارى فى المستقبل، اسمعوا أحوال الناس الذين يعيشون تحت سيطرة الاستعمار فى البلاد الأخرى، وافهموا معنى العزة، وإلا فلن يبقى للمسلم عزة، ولن يبقى للمسلمين الدين ولا الدنيا

لأن الخسران المبين يحيط من كل جهة بالأمة التي تقع في ذل الأسر^(١) .

يقول عاكف في تصوير الغرب: انظروا إلى الغرب في هذه المـرة لتشاهدوا أعمال الغربيين أنهم لم يكتفوا بالأرض بل بدؤوا يحكمون الفضاء وانظروا إلى الشرق المتخلف لتروا تخلفه ربما لن يكون له مكان في المستقبل، ويضيع جميع ما يملكه " (٢) " فإن موضعك اليوم بين ملل العالم كموضع سائل الصدقات ، وفي رأبي ليس لهذه الحياة معنى . لو توجهت إلى شمال العالم يقابلك استقبالا باردا ، وإذا نويت التوجه إلى الجنوب تحس استقبالا بارزا تقول ياسيدى جراى GREY (٣) نطلب المساعدات منك ، ليس لنا معين إلا أنت . . ، وتقول ياسيدى بوانكار Puankare (٤) العناية والكرم منك ، فإذا قلت هذه الكلمات قالوا لك " دبر أمرك " يا ابله هل تستمر السياسة بالتكف ، فإن دم السياسة ثروة وحياتها قوة . لاتعرف أوروبا لغة إلا لغة القوة . حينما كان الاسطول العثماني يهجم مع جيشها وهم منتصرون ، كان سفراء الغرب في تلك الأيام يتسابقون إلى تقديم آيات الاحترام إلى درجة تقبيل سراج خيول الجهاد ، وأنت تركت اليوم تلك العظمة من يدك فاصبحت ذليلا وحقيرا تحت الاقدام " (٥) . ثم يعود عاكف إلى صدر الإسلام ويشرح عزة المسلمين أيام النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ثم يقول : لم تستوعب روح الغربيين حقيقة الإسلام في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدركوا كيف أحاط العرب القليلون العالم كله بقواتهم (٦) . ويصف عاكف حال أحد المنحرفين عن طريق الإسلام فيقول : ليس له رغبة في محاسن الغرب ، أما جميع انواع المفاسد فهو يتخذها شعارا لنفسه ، وأنهم يحملون روح الفساد ، وفي نظرهم ليس لدى الفرنسيين إلا الفواحش والإلحاد ، وقد نقلهما أولاد القرن العشرين ، وفي رأيهم ليس لدى الالمان من الأشياء التي يتذوقها الإنسان إلا المسكرات ، ونسوا الألبان وشربها واصبحوا سكارى بشرب المسكرات وللغرب بدافع كثيرة ، لهم علوم وأدب وصنائع لو أن كل واحد من أعضاء بعثاتنا العلمية إلى أوروبا استورد جزءا منها لكان أفضل . ونتيجة ذلك

(١) ديوان الصفحات : ١٧٧-١٧٨ . (٢) المرجع السابق : ٢١٢

(٣) (١٨٦٢-١٩٣٣) هو وزير الخارجية الإنجليزي السابق .

(٤) (١٨٦٠-١٩٣٤) هو رئيس الوزراء الفرنسي السابق .

(٥) ديوان الصفحات : ٢١٥ (٦) المرجع السابق : ٢١٨-٢١٩

تكون بلادنا بلاد المعارف، وقد استوردنا من العفاسد أشياء كثيرة . وحينما نطلب من بعثاتنا أن يستوردوا شيئاً من العلوم النافعة يولون معارضين^(١)! ويقول في بيان أحوال الشرق : أيها الشرق الكبير ، يا بلاد الكسل ، ينبغي عليك أن تنوى الحركة ولو في أقل درجاتها ، لأنني أخاف على مستقبلك ، وسوف ترى مساوي كثيرة من أيدي الغرب^(٢) ويقول في تخلف المسلمين وضياعهم : " إن الأمة أصبحت محكومة بأوامر الغرب حتى في قيامها وقعودها لأنها بعيدة عن أسباب القوة التي تضمن لها استمرار حياتها ، فتلك الأسباب هي التقدم العلمي . ثم ينصح عاكف الشباب قائلاً : " يا اولادى لا تخافسوا ولا تترددوا بل وجهوا عيونكم إلى علم الغرب فقط ، اعملوا ليل نهار مع اصحابكم وخذوا تلك العلوم التي تطورت خلال ثلاثمائة عام وأسرعوا فى أخذها ونقلها^(٣) . " ويذكر عاكف مثالا فى بيان عدم نجاح البعثات التعليمية ويقول : " وقد ارسل مسلمو روسيا اولادهم إلى أوروبا للدراسة ونقل علوم الغرب إلى بلادهم ، وكم دفعوا من المبالغ لكل شخص من اجل تحقيق آمالهم ولكن ضاع اولادهم . ثم يقرن عاكف بين البعثات العلمية الإسلامية من العثمانيين والتركتانيين . وبين فساد اخلاقهم ونياتهم وسلوكهم أيام دراستهم فى الجامعات الغربية ، ولا فرق فى ذلك بين البعثات العثمانية والبعثات التركستانية . لأنهم دافعوا عن نقل فساد الغرب إلى العالم الإسلامى ، وفى النتيجة : " تدفع مبالغ كثيرة لدراسة الأولاد فى أوروبا ثم ترى أنهم اعداء لك " (٤) . وقد كان ارسال الطلبة إلى أوروبا من الدولة العثمانية يصادف نفس الفترة التي ارسلت اليابان شباهها إلى أوروبا للدراسة ، ونجح اليابانيون فى نقل العلم والتقنية إلى بلادهم ولم تنجح محاولات العثمانيين فى هذا المجال . وعبر عاكف عن ذلك فى مناسبات عديدة فى آثاره^(٥)

ذكرنا فى الباب الأول أن برنامج دعاة التغريب لا يقف عند حد أخذ التقنية والعلوم الأوروبية ، بل ينادى بتغريب الحياة الاجتماعية تماما والتخلي عن مبادئ الإسلام . ويدعو إلى العلمانية ، وما جاءت به الثورة الجمهورية لم يكن إلا ترجمة لهذا الفكر^(٦) . يقول عاكف فى الذين يحاولون تحقيق

- (١) ديوان الصفحات : ٢٣٤-٢٣٥ . (٢) المرجع السابق : ٢٤٨
 (٣) المرجع السابق : ٣٧٠ . (٤) المرجع السابق : ١٤١ .
 (٥) المرجع السابق : ٤٠ ، ٤٤ ، ١٥٩ . (٦) انظر الأدب التركى الإسلامى ١٨٩

انقلابات في الأسرة ويعملون لافساد الأسرة وسفور المرأة : " إنهم لا يفهمون روح الشرق ولا يعرفون الغرب وليس عندهم شيء من التجارب (١) ولعاكف كتابات في وجوب تستر المرأة المسلمة وحجابها . وفي رأيه : أن من وظائف المرأة الاشتغال بالاعمال المنزلية وتربية الأطفال . ويرى عاكف ضرورة منع ما يفسد سعادة الأسرة . ويرى أن ضمان سعادة الأسرة مرهون بالمحافظة على العفة والشرف ومنع الفواحش . لذلك ينهض منع الذين يعملون للاخلال بهذا ومعاقبتهم . ويجب على كل مسلم على حسب قدرته تنفيذ أوامر الإسلام واجتناب نواهيها والدفاع عنه ومواجهة الذين يعملون على إزالة شعيرة من شعائر الإسلام أو ركن من أركانه . وأخذ عاكف من خلال مجلة " الصراط المستقيم " ثم " سبيل الرشاد " في نقد حركة التغريب في الدولة العثمانية خصوصاً في الحياة الاجتماعية ، ونقد المجتمع العثماني والنظام الجديد أمام الاتحاديين وتلاميذهم . وفي هاتين المجلتين مادة خصبة لدراسة وجهة النظر المعارضة للتغريب من مقالات وتحليلات ودراسات لعاكف وأصحابه .

وقد حاول المستغربون أن يغيروا عقول المسلمين بتغيير أفكارهم وعاداتهم وأزيائهم وأساليب حياتهم وسلوكهم الذي يربطهم بنشاطهم الإسلامية . وكان من مظاهر التغريب إلغاء الحجاب ، وذلك من أجل فصل المرأة المسلمة التركية عن إسلامها الذي يمثل عفتها وفضيلتها ولجعلها مثل المرأة الغربية التي تكون غالباً عديمة الشرف . يقول عاكف : زال الحياء فانتشرت الوقاحة ! ما أقبح الوجوه التي سقط عنها ستار الخجل الرقيق . . . إن العقول تقشعر يارب ، ما أفظع الانقلاب الذي حدث ! ضاع الدين والإيمان (٢) . ومن مظاهر التغريب أيام عاكف في تركيا اختلاط النساء بالرجال وأمر المسئولون بإزالة الحواجز الفاصلة بين مقاعد الرجال والنساء فسي عربات الترام والسفن وسائر المراكب ودور السينما والمسارح . . .

يقول عاكف في بيان أفكار المفكرين في عصره : اسمعوا ماذا يقول من يسمون أنفسهم بالمفكرين : لا يمكن تطور بلاد الشرق في مجال الحضارة عموماً إلا بالسلوك في طريق واحد . ومن سلك طرقاً أخرى فهو غافل . لا بد من السير على طريق أوروبا بلا انحراف إلى اليمين أو اليسار . ويجب أن تتبنى أذهان اولاد الشرق أفكار الغرب . . . ، فيكون منبع الاحساس واحداً . إن لم

نقلد الغرب فى كل مسألة من المسائل الاجتماعية والأدبية والمسائل الأخرى فلا فائدة من اقوالنا . ومن ناحية أخرى : لابد من ازالة الدين ، لأن الدين فى مجتمعنا مانع أمام جميع اسباب التطور ومحاولات الترقى .

ثم يوضح عاكف رأى عموم الشعب فى تقليد الغرب وعدم أخذ شىء منه ويقول : والآن فلنبين رأى العوام من الناس : لاشك ان رأيهم عكس رأى المثقفين - المستغربين - تماما . فهم يقولون : يجب التمسك بالتقاليد ، نحن نعرف جيدا أن الغرب بجميع افكاره وآثاره عدو لنا . وجميع طرق التجديد مرفوضة . . ، فإن الشعب عدو للتجديد الداخلى الضرورى الناشئ فى بلاده فضلا عن التجديد القادم من الخارج ، وهذا هو الحس المشترك بين عوام الناس .

ثم يوضح عاكف رأيه هو : إن المفكرين سلكوا طريقا خاطئا . ولم يلتفتوا إلى شىء آخر غير طريقهم . . ، ثم استغربوا حينما لم يذهب الشعب وراءهم وفى الواقع إن رأى العام هو افكار عامة الناس ، وهكذا ابتعد كل طرف عن الآخر ، ودخل بينهما النزاع . واشتد المثقفون على الشعب ، واطهر الشعب بغضه الشديد . وازدادت الخصومات والقطيعة بينهما وكانت النتيجة رد الشعب افكار طبقة المثقفين بكاملها ولم يلتفت إلى أقوالهم ، بل عملوا ضد أقوالهم واعتادوا على ذلك فى جميع امورهم وهذه مشكلتنا ولكن السبب هو عدم التوازن فى اعمال من يسمون بالمفكرين ، ولذا ايقن الناس ، ان رأس الفساد نابع من تعليم العلوم ، وسعى الشعب بكل امكانياته لمحو العلوم لماذا لم تتبين هذه الملة العظيمة تلك العلوم ؟ لأن رأى العام فى المجتمع ضدها . حينما بدأت تنتشر هذه العلوم ، كان ينبغى احترامها والأخذ بها وعدم الاعراض عنها ، ولكن هل بينكم احد أخذ هذه العلوم ونشأ عليها ؟ ، أما المشهورون القليلون بعلومهم ، فإن معرفتهم عبارة عن التقليد فقط . ومن وصل بمساعيه إلى هدفه ؟ ومن وصل إلى رفع مستواه فى تخصصه ؟ وا اسفاه للعمر الذى ضاع بالاشتغال فى النظريات . وفى عصرنا فإن قيمة العلم عبارة عن قيمته العملية ولكن من يسمع هذه الحقائق ومن يقرأ ؟ والمشهورون من المفكرين الضائعين يحفظون خمسة أو عشرة من الكلمات ثم يفكرون فى طرق

ازالة الدين بهذه الكلمات المعدودة ، ولتحقيق هذا الهدف يكتفون بالدراسة في مستوى الثانوية فقط .

ثم بين عاكف احوال الأدباء وقال : أما الأدباء فانهم مخلوقات دنيئة هل هو "لا" سيرشدون الناس؟ هيهات . بعضهم عميل باع نفسه بلا مقابل لنشر فحش الغرب في البلاد ، والبعض الآخر يأخذ من إيران . يشتري الافكار القديمة ويبيع اشياء تافهة . ودواوين شعرائنا السابقين مليئة بذكر الغلمان والخمر . أما شعر الشباب فهو عبارة عن المسكرات والفواحش فقط . " ، ثم يذكر عاكف اعمالهم بالتفصيل ، ويعطينا نماذج عن اعمال ادباء روسيا عدوة المسلمين ليأخذ المسلمون عبرة عما انتجه اعداؤهم ثم يقول : لو كنت قادرا لأبعدت جميع ما يسمى بالأدباء إلى خارج البلاد ، ولوضعت فسي المنفى جميع الذين بلغ عمرهم سبعة عشر عاما وما فوقها ، وعلق في اعناقهم مؤلفاتهم المليئة بالفحش ، واقوم بعملية تعويض غريبة . فأتعاقد مع روسيا لتعطينا خمسة عشر أدبيا من الأدباء ليكتبوا لنا عدة مؤلفات تستفيد منها الأمة . (١)

ويقول عاكف في تمسك أوروبا بدينها : إن المفكرين في بلادنا إما جهلاء وإما بلهاء : يظنون أن أوروبا بكاملها كافرة - أي ملحدة تنكسر جميع الأديان ومن ضمنها النصرانية - وأنا إن ظهرنا أمامهم بمظاهر اسلامية فسوف يقولون لنا : أنتم غير متحضرين ، وإن أظهرنا الإلحاد فسوف تختلف نظرتهم تجاهنا" ، ويذكر عاكف اسباب ترقى الأمة ويقول : لا تبحثوا عن اسباب تقدمكم في اماكن أخرى إن أرادت الملة التقدم فستجد اسبابه في ذاتها . لأن التقليد في كل نقطة في الحركة لن ينفع ، خذوا علوم الغرب وفنونه وابدلوا كل طاقاتكم في اعمالكم ، لأن الحياة لاتستمر بدون هذه الأمور وليس للعلم والفن قومية خاصة . . . ، ولكن احفظوا جيدا نصيحتي الأولى ، وهي كما قلت : للسير قدما في طريق الترقى لا بد لكم أن تتخذوا قيمكم الروحية نبراسا أمامكم . لأن آمال السلامة بدونها هباء " (٢) . وفي كثير من المواضع في آثاره حينما يتكلم عاكف عن الغرب يشير إلى أنهم أهل الصليب . وأشار إلى حماقة بعض المسئولين وقال : " أيها الجماعة احتقروا افكار هو"لا كثيرا

لأنهم اعلنوا خصوصا في أيام الحرب الملعوننة - أي الحرب العالمية الأولى- :
أنه يلزم لنا أخذ الافكار العامة للغرب، ولقنوا تلك الضلالات للشباب
وقالوا : لن نتحقق آمالنا إلا بترك الإيمان بالله تعالى ولقنوا ذلك فسى
اذهان الناس كتلقين الإيمان، واراادوا بذلك اسكات صوت الدين" (١) .

وقد بدأ الاهتمام بالتفريب في مجال اللغة أيام عاكف بزمامة
ضيا كوك الب، وكتب عاكف قصيدة للتعبير عن رفضه الشديد لهذا الاتجاه
وبصور أحوال بعض المستغربين في استانبول فيتخيل نفسه زاهدا مع أحدهم
إلى مسجد الفاتح . هو يمثل الشخصية الاسلامية فيخرج من البيت وهو
متوضىء ويدخل المسجد مباشرة أما صاحبه الذي يمثل شخصا من المستغربين
رضى الذهاب إلى المسجد بعد اصرار من عاكف، فيلبس ملابس الغربية
فيقول له عاكف : انك لن تستطيع أن تتوضأ بسهولة خلال دقائق، لأنك
تحتاج إلى خلع حذاءك ولم تلبس الخفين (٢) - مثل الاسلاميين - .

وعبر عاكف عن الشباب المثقفين الذين انغمسوا في الملذات المحرمة
مع وجود اشخاص منزهين عن ذلك وقال : أما هو "لا" السفهاء فنحن نشك
في اصالة نسبهم ، كما تتردد في جنس الواحد منهم ، لو تقول له انثى حكما
بالظاهر فإن ذلك يجوز ، ولكن يظهر اسمه ، اسم ذكر، فهو ليس امرأة،
ولكن ماذا هذه الشعور الطويلة في شكل حزمة ، والشارب قصير جدا صوته
كصوت البومة . وشكل مشيه كالعققع ، وهو متصنع تماما كما قلت . . . فهذه
خلاصة مقاله عاكف فيهم : يجدون في شرب الجعة (البيرة) تسكيناً
لآلامهم - كما يزعمون - فإنهم بعيدون عن حس الخجل ، وإذا كان في جيبه
بضعة عملات تركية يهرع إلى احد فنادق استانبول، وإن كثر معه المال يذهب
إلى حى " بك أغلو " فقيه افخم الفنادق وملهى ليلى وحيث عالم الفسق
والفجور والحياة الجنسية المحرمة..، يهاجم مفهوم الحياء والأدب ، والوطن
والأسرة . . . الخ ، كحيوان مصاب بداء الكلب ، حينما تقول له : أليس عيبا
ما فعله ؟ لا يبالي بكلامك ، ولا يودى المشاعر التعبدية مثل الصوم والصلاة
وغيرهما ، بل يستهزئ بالمقدسات الاسلامية ، وانهم ينظرون إلى كتاب الله
عز وجل على أنه كتاب من القرون الماضية ، ولا يتناسب مع إنسان القرن العشرين .

الانسان العصرى الذى عرف الغرب ومناهجه . وواقع الأمر إنه لم يعرف عن الغرب سوى الأفعال المشينة والاعمال المذمومة ، وماعرفه من علم أو صناعة إنما هو قشور . ثم يقول عاكف : اعرف أحد الفساق المرتكب لجميع انواع الكبائر ومنها المنيسر ، ولم يترك من المعاصى شيئا إلا ارتكبها ، فحينما تقول له أما تستحى ، فإن جميع ماتفعله هو من المعاصى ؟ يأخذ يذكر لك اكابر القدامى من الرجال معددا لك ما علموه من المعاصى ، ويقول : فلان كان يشرب الخمر ، فلان كان يزنى . . . ، وهكذا يضيف المعاصى التى يرتكبها إلى الرجال السابقين . . . ، ويحتج بهم ، وإذا قيل له : أليس لهؤلاء نصيب من الفضائل ، يجيب قائلا : لست مؤرخا ولم اعمل بحثا فى مجال التاريخ !

يقول عاكف : " لقد غشى أبصارنا كابوس الغرب الدامى وحال دون النظر فمئذ قرون شلّ عقل المسلم وساعده " (١) . ويذكر عاكف الحضارات القديمة الموجودة فى الشرق ويشير إلى حضارة الإسلام الحاكمة حينما كان تألق بعد برق الإيمان فى سماء العالم وحين كان الغرب مدفونا فى غياهب الوحشة ثم يدعوق قائلا : رباه ! أين نفخة منك تحرك الشعور الجامد ، وتدفع الصدور الصرعى عن نفسها ذلك الكابوس ، وينهض الشرقى مطالبا بحقه فى الحياة وإن انكره العالم " (٢) . ويوقظ عاكف المسلمين قائلا : " أيها الشرق الكبير مقر الكسالة ، إنو التحرك ، وإلا اخاف من العاقبة السيئة لك ، ولسوف ترى غدا كل انواع المكر من الغربيين . إن كنت شجاعا فخذ حثك فى الحياة قبل ازالتك بهزيف الدماء وليس اليوم فى الميادين صاحب حق إلا من دافع عنه وقال : لن اتخلى عن حقى بل ادافع عنه " (٣) . ويقول عاكف فى مخططات الدول الصليبية : إن بقى شئ من البلاد الاسلامية الضعيفة فى أيدي المسلمين ، فإن أوروبا تحاول غزوها منذ أمد بعيد ، وليس عندنا خبر عن ذلك ، فحينما يعمل الغرب لتعجيل دفن جثمان بلادنا ، يعمل عديد من الخائفين فى داخل بلادنا لفتح القبر لنا ويساعد اعداءنا لإزالتنا " (٤) ، وحاول عاكف فى كثير من المناسبات ابراز الحقد الدفين والعداوة الصليبية القائمة فى قلوب الغربيين وعلائهم المحليين ووصفهم بالفسق ونعتهم بالفجور والضلال وبين أنهم أضعوا المجد ونبذوا الإيمان وسلكوا طريق الفساق . واعلن أنهم عصابة خذلان اشتروا الضلالة

(١) ديوان الصفحات : ٢٣٢-٢٣٥ (٢) المرجع السابق : ٣٧٩
 (٣) المرجع السابق : ٢٤٨ (٤) المرجع السابق : ٢٨١ .

بالهدى وقفوا انفسهم على هدم الإسلام وأنى لهم ذلك . ونعتهم فى بعض آثاره
بالفسقة الفجرة الملحدين ، وأنهم تناولوا على دين الله وسخروا من المسلمين .

رغم شدة المعارضة كان تيار التغريب اقوى منها . وكانت جماعة من
مشاهير الأدباء العثمانيين تدافع عن الأخذ بالروح الغربية . وكان رجال الدولة
فى القرن الأخير يبذلون كل جهدهم لإرضاء أوروبا أملا فى عدم تدخلها ولكن
الدول الغربية كانت تخطط للقضاء على الدولة العثمانية ذاتها ، ولم تكن
اعتراضاتها على سوء معاملة المسيحيين إلا ذريعة للتدخل ، وكانت معارضة
عاكف منصبة على كل مظاهر التغريب التى ظهرت فى شتى مجالات الحياة والتى
كانت تشجعها وتبناها فئات كثيرة فى المجتمع ولاسيما الطائفة الرومية والارمنية
من الفئات النصرانية ، والطائفة اليهودية ، وكان على رأس المشجعين رجال
حزب الاتحاد والترقى وتلاميذهم ، فكانت تصرفاتهم تتسم بالتفرنج وتضيف إلى
ذلك عامل الانهيار تجاه الغرب نتيجة تفوقه فى الميادين العسكرية والتقنية ،
وكانت زاوية الميل تجاه الغرب حادة وقد تعددت قنوات الاتصال الثقافى مع
الغرب وبدأت تزداد يوماً بعد يوم ، فمنها : اصلاح التعليم على اسس غربية
والغاء المدارس الإسلامية فى نهاية المطاف . ومنها الترجمة بقصد افساد المجتمع
خصوصاً عن الفرنسية ، وافتتاح المدارس العلمانية والتنصيرية مثل الجامعة
الامريكية ، ومن خلال الترجمات ترسب العديد من المبادئ الفلسفية والاجتماعية
الغربية الصليبية فى اذهان الشباب واهمها مبادئ الثورة الفرنسية وآراء ،
رجالها حول الحرية مما كان له ابعث الأثر فى الجيل وسلوكه الاجتماعى
والسياسى ، وكان للفرق المسرحية الاجنبية دور فعال فى الاتصال بين أوروبا
والدولة العثمانية (١) ، وللصحافة دور فى نقل الاخبار المترجمة من الصحف
الاجنبية . وهناك قنوات أخرى غير التى ذكرنا عبرت من خلالها الافكار
الاوربية ومظاهر حياتها الاجتماعية مثل الزيارات السياسية . يقول محمد
عبد اللطيف هريدى : " وكان من الطبيعى أن ينتقل التغريب من الحياة
السياسية والاجتماعية إلى الأدب ومن الطبيعى أيضاً أن تظهر تجاهه ردود
فعل كما حدث فى مجال الحياة الاجتماعية ، وارتبط التغريب فى الأدب ،
بالدعوة إلى التجديد والتخلص من قيود الأدب القديم (٢) " ، إلا إن المبالغة

(١) انظر الادب التركى الإسلامى : ١٢٧-١٣٨ .

(٢) المرجع السابق : ١٤٦ .

فى تقديم الاعمال الغربية فى الكتابات جعلت الاجيال التالية تنغمس فى التقليد وتنأى عن الأصالة (١) . وقد ظهر فى المجتمع شخصيات متقابلة منهم من تمثل الاصاله الاسلاميه بكل مظاهرها ومنهم من تمثل التقليد الاعمى للغرب إذ ان بعضهم نشأ فى قصر كل من فيه يهوى تقليد كل ما هو غربى ويعزف عن كل ما هو شرقى ، ويردد بعضهم العبارات الفرنسليه ويستحضرون الخدم من الأرمن والروم أو اليهود بصفة خاصة كى يتحدثوا الفرنسليه . وقد ذكر عاكف امثلة على ذلك فى آثاره وعبر عن فساد ضباط الجيش عن هذا الطريق وعلاقتهم بالساقطات من النصرانيات (٢) . وعلى النقيض من ذلك " عاصم " فى آثار عاكف هو الذى كان اسلامى النشأة ، اكتسب احترام الجميع (٣) ونتيجة التفرج ضاع كثير من الشباب وانفق بعضهم كل ما يملكه من المال على حياة اللهو والاقبال على شراء كل ما هو اجنبى . وقد تتكرر المقارنة فى آثار عاكف بين المستغربين والشعب المسلم المتمسك بدينه (٤) . ولم يتوقف نقد عاكف عند سلوك الافراد فى المجتمع بل تعداه إلى الحياة الاسرية ، من الزواج إلى العلاقة بين الزوجين إلى تربية الاطفال فناقش الامور الصغيرة والكبيرة ، لأنه كان يعتبر نفسه معلما ومربيا للمجتمع المسلم . وما فتى " عاكف يعالج موضوع التفريغ منذ سنة ١٩٠٨ سواء على مستوى الفرد أو الأسرة . وكان يشغل ذهنه بمعالجة هذا الموضوع لأنه كان يرى فى مجتمعه تسرب الافكار الغربية السياسية والاجتماعية إلى المجتمع الاسلامى وكيف تسربت العادات والتقاليد الغربية إلى الحياة الاجتماعية فنشأ الصراع ، وقد استمر الصراع حتى هاجر عاكف إلى مصر ، ولم ينته حتى يومنا هذا .

يقول أغا أغلو احمد : لقد قررنا أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهايات التى فى رئاتهم والنجاسات التى فى امعائهم (٥) وزعموا أن الأمة الإسلامية فى حاجة إلى تقليد الغربيين فى كل شىء من الفساد حتى ملاهيهم ومراقصهم وإلحادهم . الخ ، وواجهت " تركيا " معركة ضخمة من معارك التفريغ

-
- (١) الادب التركى الاسلامى : ١٤٦ .
 (٢) انظر ديوان الصفحات : ٣٠٦-٣١٢ حكاية ضابط .
 (٣) المرجع السابق : ٣٥٧-٣٧١ حكاية عاصم .
 (٤) انظر ديوان الصفحات : ٢٨٠ ، حكاية الشعب المسلم وأهل الثقافة الغربية .
 (٥) موقف العقل : ٣٦٩/١ .

وكان أبرزها منصبا على الإسلام واللغة العربية التي منع تدريسها، وانشئت صحف ومجلات للدفاع عن التغريب مثل " تقويم الوقائع " (١٨٣١) وجريدة الحوادث (١٨٤٠) وترجمان الاحوال (١٨٦٠) وتصوير الافكار (١٨٦٢) والمخبر (١٨٦٦) والحرية (١٨٦٨) (١) . الخ . وانتشر التغريب والاتجاهها التغريبية عن طريق الصحافة التي كانت تديرها الجهات الموالية للغرب واتخذ الأدباء المستغربون بعض الجرائد لتكون لسان حالهم يستلهمون الثقافة الأوروبية ويحاولون تقليدها لاسيما الأدب الفرنسي فحاولوا انشاء أدب وثقافة على غرار النماذج الفرنسية . أما عاكف فلم يتعامل معهم وكان هدفه من آثاره مخاطبة هذه الأمة .

(ب) موقفه من الفساد الخلقى :

انصرف بعض الناس في أيام محمد عاكف إلى اللذات المحرمة ، وحفلت تلك الأيام بأنواع من المفاصد باسم الفن مثل الغناء والرقص والموسيقى وانتشرت صور من الترف في قصور الأثرياء . وكان معظم الأثرياء من اليهود والنصارى والمنحرفين من المنتسبين إلى الإسلام ، بذلوا في سبيل الفساد الاموال الطائلة .

وكان في امكان عاكف التقرب من الحكام والاثرياء من أهل الفساد ولكن روحه الأبية كانت ترفض ذلك ، وكان الاتحاديون وتلاميذهم يسعون إليه ويتوددون له . وكان بإمكانه الحصول على الثروة والمنصب إن شاء لكنه رفض . وكان نموذجا حيا للإنسان المتخلق باخلاق القرآن واحس باحساس المسلم المراقب لربه . وعاش عفيفا معرضا عن المناصب أيام الفساد . لأن والده احسن تربيته ووجهه إلى طريق الخير والفلاح . وقد عبر عاكف عن نشأته على خلق حسن ، وعن الفساد الخلقى في عصره خلال نصائحه وآثاره . وبين عدم تمسك المسلمين تمسكا كاملا بالإسلام . وسعى عن طريق الدرس الديني وتفسير الآيات وشرح الأحاديث في مساجد استانبول لمنع الفساد الخلقى ومن مواعظه ما كتبه تحت عنوان " على كرسي السلیمانية " و" على كرسي مسجد الفاتح " في ديوان صفحاته . ودعا عاكف في مواعظه وقصائده إلى ترك النفاق

(١) انظر تاريخ الادب التركي المصور والمنقوش : ٦٩ / ٢ - ٧٠ .

والرياء ومداهنة الأمراء والسلاطين ، والتحلى بالصفات الحميدة حتى يكسبون الانسان مسلما مخلصا لدينه . ولانجد في قصائده وصف مجالس الشراب ، بل نراه يتغنى في اشعاره بالإسلام والدعوة للجهاد ولانقاذ المسلمين من الصليبيين . وتتميز قصائده بصدق العاطفة بصفة عامة ، وينقد الفساد فى المجتمع الإسلامى . وتعد الكتابات النقدية التى نشرها عاكف سواء على صفحات الصحف والمجلات فى عصره أو فى صدور اعماله من المؤلفات منهاجا لجيل لاحق له .

وقد اختار عاكف للدفاع عن الاخلاق الإسلامية اسلوبا غير مألوف . وهو اسلوب المواعظ فى المساجد . والواعظ الشيخ عبدالرشيد ابراهيم - السائح المسلم - يخطب على منبر مسجد السلیمانية فى حماس واحاسيسه كلها حمية إسلامية وغيره على الإسلام ليثير فى المسلمين الحمية الإسلامية ويحثهم على الدفاع عن الإسلام . والمسلمون يستمعون إليه ويتزايد اعداد الذين تمسكوا بالإسلام . وكان عاكف من بين الذين استمعوا للخطب المؤثرة للخطيب المذكور واتخذها نهجا له فى سلوكه وطريقة حياته فى الحياة . ويشرح عاكف على لسان هذا الواعظ المتحمس الانحراف الذى ساد بين المثقفين ومن بينهم موظفو الدولة العثمانية . وتحدث عن الحالة السيئة فيها خصوصا بعد ثورة الاتحاديين بلسان مرّ . وحينما نبحث عن موضوعات إنتاجه نرى أنه يأخذ فردا من افراد المجتمع أو جزءا من السيئات ويصور هذا الموضوع كما هو . ويبدو أن الفساد الخلقى أيام السلطان عبد الحميد فساد فردى وقليل . لذا كتب عاكف عن الفقر والمرض والدفاع عن العقيدة الصحيحة ، والكسل . والعجز . وضيق المعيشة والحانة والمقبرة ، واحوال الايتام يوم العيد ، وموت صبي نتيجة المرض ، والعزم ، واحوال المسنين والسائلين ، والظلم ، ونماذج من عدل عمر رضى الله عنه ، والأذان ، وموت عالم ، ونماذج من تاريخ الإسلام ، ومقهى الحى والفساد فيه ونشاطات الأئمة ، وترف الاغنياء ، والخسران المبين فى الدنيا والآخرة ، وتوحيد الألوهية ، وتربية الأولاد فى المدارس والمنازل (١) . الخ . ويبدو من كتابات عاكف أن الفساد انتشر بعد اعلان الحرية أيام الاتحاديين . كان عاكف يتحدث قبل ذلك عن مفساسد اخلاقية شخصية عند بعض الأفراد وبدأ يكتب بعد ذلك عن الفساد فى المجتمع عموما . ولم يكتب بتصوير احوال

المسلمين في الدولة العثمانية بل كتب عن مسلمي روسيا وتركستان والصين ،
وكتب على لسان الواعظ عن أوروبا وشرح وصولهم عن طريق العلم إلى درجة
رفيعة من التقنية . واستعمروا المسلمين نتيجة لذلك . ووقع العبء الأكبر على
المسلمين (١) .

وبين عاكف أن المسلمين شرعوا يستغلون ثرواتهم المادية والمعنوية
ويبرسلون أبناءهم إلى أوروبا للتعليم فبعضهم حصل علومه جيدا وأصبح عنصرا
فعالا للمسلمين ومثال ذلك في قصاد عاكف شخص مثالي هو "عاصم" (٢) الشاب
المسلم المخلص ، والبعض الآخر غرق في مباحج الغرب واقتبس رذائله وشاع
بينهم شرب الخمر والانهماك في الرذائل وسعيهم وراء ملذاتهم الجنسية
وهوهم . وبدأ هؤلاء ينظرون إلى الإسلام نظرة احتقار وازدراء . . . ونادوا
بتعظيم الغرب وتمجيد ابطاله والسير على دربه . ومن ناحية أخرى ذكر عاكف
مميزات الشعب الياباني ، وفي رأيه : إن الإسلام الحقيقي يكمن في خلق
الشعب الياباني ليس بالصورة فقط بل بروحه ومعناه . يقول عاكف على
لسان الرحالة : " أسألوا عن اليابان لأشرح لكم . في الواقع لا يستطيع
أن أعبر عن حال تلك الأمة وكل ما يمكن قوله أن الروح الإسلامي انتشر في تلك
البلاد ، وبقي عندنا شكله . اذهبوا إليها لتروا الإسلام الصافي فإن هذا
الشعب العظيم صغار الاجسام يتبعون قوانين الإسلام (٣) ينقصهم التوحيد فقط
لنقول عنهم أنهم مسلمون . فإن من طبائعهم الصدق والوفاء بالعهد ، الصدق
في المواعيد ، والشفقة والعمل بالاخلاص لإعلاء حق العاجز والقناعة بالقليل مع
القدرة على الكثير ، كرم الضيافة على الميسور ، والعفة والحفاظ عليها ، ينظرون
إلى اولاد الآخرين من غيرهم بعين الأخوة . وفي وقت الجد الفداء بالنفوس
والثبات في التضحية بالارواح . ألغوا مصالحهم الخاصة . حياة الفرد ومنافعه
فداء لمنافع الجماعة . ورأيت اشياء كثيرة من نوادر الاخلاق كأن تلك الجزر
تملك احسن احفاد آدم عليه السلام ، دخلت الحضارة بلادهم بالعلوم فقط (٤) .
ثم اعطانا عاكف صورة كاملة عن احوال مسلمي شبه القارة الهندية وعن اخلاقهم

(١) ديوان الصفحات : الجزء الثاني : ١٣١-١٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ٢٩٣ وما بعدها .

(٣) المقصود الاخلاق والمعاملة الحسنة في الإسلام وليس الحدود والعبادات

(٤) انظر ديوان الصفحات : ١٤٥ .

وتمسكهم بالإسلام . . . ، أما الدولة العثمانية ، فقد كان عاكف يأمل تحسن حال المسلمين فى بداية ثورة الاتحاديين سنة ١٩٠٨ ، وعندما شاهد أن استانبول تعج فى ضجيج لا حد له ورأى الوضع الجديد أسوأ من الوضع القديم ، غير عن اسفه ودافع عن دينه وشرف الأمة الإسلامية . وحارب الفساد وسوء الاخلاق .

وقد وصف عاكف احداث حرب البلقان الأليمة ودسائسها المرة ، وما آلت إليه حال الدولة من انهيار ، وكان تلك الحرب كانت غطاء كشف ستر الدولة وشجع أعداءها على التهامها ، والناس فى لهو وشغل عن دينهم ولا يعيرون اهتمامهم لما يحق بأمتهم من شرور وتربص ، وذكر ما ألم بالدولة العثمانية من امراض ومحن وما تعرضت له من ظلم واستخفاف على ايدى أعدائها . واصبح المسلم غريبا فى وطنه والمستبد المستعمر الصليبي يلقى شروطه ، ويعامل المسئول المسلم بخشونة وكبرياء . ويواجه المسلمين بعظمة والغربيين بوجه باسم وذلة ومسكنة . وسرد عاكف مجموعة من الاحداث ارتكبتها اعداء الإسلام فى حق المسلمين ، سواء من الصليبيين الذين قدموا استانبول ونهبوا خيراتها أو المواطنين المستغربين الذين لا يعرفون المسئولية وهمهم التسلق إلى المناصب الكبيرة فى حزب الاتحاد والترقى أو الحكومة باى طريق كان ، وبين عاكف دسائس الغرب ثم تعرض لأحوال الأمة الإسلامية التى دب فيها اليأس والضياع والاستسلام . ضاع الدين والعرض وبلاد المسلمين . وايقن أن تلاشى الدولة العثمانية هو انقراض لعزة المسلمين . وحث الأمة على التكاتف والاتحاد ومواجهة جميع الأخطار . وإلا فالدمار للجميع والعار لمن يبقى على الأرض ذليلا . وحض المسلمين على الحياة الكريمة التى لاتأتى إلا بالعمل والجهاد وليس بالكسل ، وأن الجهل والتراخى مصيرهما إلى الذلة والخنوع وحض أيضا على كسب المعارف والعمل باخلاص وتفان . وذكر ما كانت عليه هذه الأمة فى بداية أمرها من قدرة ، نتيجة تمسكها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فظهر اتحادها وتعاونها ووصلت إلى المجد وساست العالم وقارن عاكف الحالة السابقة بحال المسلمين فى عصره المتميز بالبعد عن الدين والحرص على ملذات الدنيا واقتراف الرذائل ، وتفشى الجهل والعادات السيئة وتفرقهم شيعا واحزابا يقاتل بعضهم بعضا" (١) .

(١) انظر ديوان الصفحات : ١٧١-١٨٤ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٠٠

يقول محمد عبد اللطيف هريدى: لمس عاكف عن كثب بعض الأمراض الاجتماعية التي تصيب المجتمع الإسلامى بالشلل وتقعده عن الحركة، من هذه الامراض اضاءة الوقت والمال فى الجلوس على المقاهى والحانات، ولمس ما يحق بالاسرة المسلمة من خطر نتيجة انتشار مثل هذه المؤسسات التي كانت وما تزال تنتشر فى ارجاء العالم الإسلامى فكتب شعرا بعنوان "مقهى الحى" ويقرر حقيقة انتشارها فى مطلع القصيدة قائلا: "يعرف العثمانيون جيدا ما معنى "مقهى الحى" حذار أن تتصور قائلا يقول: لا اعرفها لـم ارها...، ويجسد عاكف الفكرة بتصوير "مقهى الحى" فى صورة لص يقطع الطريق ليسلب الناس فى وضع النهار، فهو يسرق اموالهم واوراقاتهم. ويتساءل مستنكرا: "لماذا لا يفلق "مقهى الحى" كفى فليسدل هذا الستار الدامى. ستار؟ كلا فليقل جرح هذا الشرق. إنها وصمة فى جبين الوطن، فى هذا المكان ندفن الأمة المرحومة وهى حية، هاهنا تخبو جذوة الادراك وتموت" (١) وينظر عاكف إلى الجالسين فى هذا المقهى فيخالهم أشباحا، لا يعملون شيئا صالحا بينما الخراب يعم البلاد، فالجسور والطرق قد تهدمت ونضبت المياه فى السبيل حتى أضحت سرايا... هذا ما يمكن أن يصيب المجتمع الكبير من جراء الجلوس فى المقهى، أما المجتمع الصغير أى الأسرة فمصابها اكبر، إذ يهجرها العائل ليلتصق بكرسى فى مكان إلى الحظيرة اقرب، بينما لو جلس العائل بين عياله يداعبهم ويسامر زوجه لأحس بمعنى السعادة الحققة (٢).

وقد كتب عاكف عن المقاهى فى موضع آخر على شكل حوار بينه وبين صاحبه، أنهما بعد تجولهما داخل غرف "كلية الطب سابقا" خرجا منه فوجدا أمامهما مقهى مزدحما بالرواد وهم جلوس على الكراسى من الصباح حتى المساء بل ومنتصف الليل، لا عمل لهم سوى الحديث عن الناس، بل عن بعضهم البعض أو فرارا من بيوتهم أو الانشغال بلعب الميسر، مهملين المساجد تاركين الصلاة، غير مباليين بأسرهم ورعاية ابنائهم ثم يتفق الرفيقان بأن افضل تسمية لتلك الأماكن هو "دار الكسالى" وصور عاكف الجلوس فى المقاهى تصويرا رائعا كله حسرة وألم وانتهى إلى أن الأمراض التي أصيبت بها الأمة. من اسبابها الجلوس فى المقاهى وترك دور العبادة (٣). يقول محمد عبد اللطيف هريدى والحانة اشد بلاءاً من المقهى، ولذا كان هجومه عليها اكثر ضراوة فيبدأ

(٢٤١) ديوان الصفحات: ٩٤، انظر الأدب التركى الإسلامى: ٢١٣-٢١٤.

(٣) انظر ديوان الصفحات:

بتصوير المكان " أشبه بوكربنى من حجارة تصدر من تحتها أنات المنكوبين ضحاياها، تتدلى من سقفها الأسود قناديل تنثر على الجدران صوراً تخالها أشياحاً تعوى بين جدرانها رياح سفلية، من يدخل هذا الوكر نادماً والخارج منه تائه . . . المواعيد تشبه التوابيت والمقاعد إما عرجاءً أو بلا أرجل". ثم يصور عاكف الشخصيات فى هذا المكان : تحت مصباح خافت ، علاه الصناج ، تراصت كومة هى خليط من الطرابيش والطواقى والقلائس. ويسترق الشاعر السمع لحوار يدور بين الساقى الأرمنى وأحد عملائه لفهم أن العميل مدين للساقى صاحب الحان . . . ثم هذا رجل مسن دلف من الباب وهو ثائر ومعه سهنودة ، ونعرف قصة هذا الرجل أنه أب مكلوم فى ابنه الذى ترك زوجته وعياله دون أن يترك ما يكفى أودهم وجاء يعاقر الخمر فى الحان ، أهمل بيته وأبنائه حتى بلغت ابنته سن الزواج ولم يطلب أحد يدها لسوء سلوك أبيها ، راحت الزوجة تعتب على زوجها وتذكره ببيته وأبنائه وتدعوه لأن يعود ولكن الزوج السكران : " صامت دون حراك وكأنه شاهد قبر ، وأخيراً فتح فمه وليته ما انفتح فقد طفح لتخرج منه اللعنة الابدية : عليك اللعنة أيتها العاهرة ، أنت طالق" (١) .

وهكذا نجد عاكف قد تناول القضايا الاجتماعية التى يعانى منها أبناء مجتمعه مشيراً إلى أن حلها فى اتباع مبادئ الشرع الحنيف ، فالدين ينهى عن اللهو والاسراف ، والركون إلى الكسل ، وينهى عن معاورة الخمر وهى أكبر الكبائر ، ولم يشأ عاكف أن يتحدث عن أوامر ونواهى الدين بصورة مباشرة وإلا فما الفرق بينه وبين واعظ على المنبر قد لا يجد آذانا صاغية ، بل جسده الفكرة فى صورة تمثيلية توضح لنا ما يمكن أن تفعله الحانات والمقاهى بالأسرة وهى نواة المجتمع (٢) وهناك مفاصد كثيرة وأمراض عديدة كتب عنها عاكف وبين طرق الخلاص منها . واختار " عاصم" (٣) الشاب المسلم المكافح من أبناء المسلمين وجعله بطل الجزء السادس من ديوان صفحاته . ووجد فيه شخصاً شاباً متديناً فوضع فيه آماله وآمال الأمة الإسلامية اشترك فى القتال واطمهر بطولات فى الدفاع عن وطن المسلمين . ثم حاول العمل لاصلاح الافراد والمجتمع .

(١) انظر ديوان الصفحات : ٣١ - ٣٤ .

(٢) انظر الأدب التركى الإسلامى : ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ٢٩٣ - ٣٧٢ .

وقد استدل عاكف بالآيات وباحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيان الأخلاق الإسلامية . وهذه بعض مجالات الفساد كما صورها عاكف : تقديم آيات الاحترام للظالم بما يقرب من العبودية ، رفض العدل عدم الاهتمام بالحقوق ، اشتغال الناس براحة انفسهم فقط ، عدم الخوف من نقض العهود ، وعن الكذب فى القول ، وعن الثناء على القوة واسكات العاجز واداء المراسيم المبتذلة المتعددة والانحناء لغير الله تعالى والاستمرار فى اللغو والرياء والغش والتفرق باسم الاحزاب أو القوم أو اللغة ، والتباعد الشديد بين المخلصين ، والتظاهر بالشجاعة فى الخفاء والظهور بمظهر الهرة الذليلة عند المواجهة " ويقارن عاكف بين حاضر الإسلام وماضيه قائلاً : لم ير الإسلام ذلة فى تاريخه الطويل مثل الذلة الحالية . فإن وضعنا اليوم يشبه البنية المنحلة ، وضياح الروح ضياح للأخلاق عندنا . والأخلاق كلمة بسيطة ولكنها تحتوى مجمل الحكم" . ويشير إلى طريق الخلاص قائلاً : هناك امكانية للخلاص وهى : " العمل على ترقية اخلاقنا " وإلا فسوف تتضاعف أسباب ضياعنا وتصبح العاقبة رهيبة وإن لم تسعوا لترقى الأخلاق ستضيع الدنيا والآخرة معاً" (١) وقد وصف عاكف كثيراً من المسائل الأخلاقية والاجتماعية وصفاً دقيقاً (٢) . وكان يشجع الجيل الجديد من المسلمين على العلم والتمسك بالأخلاق الحسنة . أما عامة الشعب التركى ولاسيما فى الأناضول . فيقول الشيخ مصطفى صبرى : إنه متدين بلا شك ولا يوافق على أى تغيير فيما فيه من الشئون الإسلامية غير أن رأيه هذا قاصر عليه فلا يصل إلى منصات الاحكام ومواد القوانين وخطط الحكومة (٣) . لذا صور عاكف عامة الشعب فى آثاره بالعجز والفقر والكسل وعدم الاهتمام بشئون البلاد وحاول ايقاظهم من نومهم العميق .

وقد نشر مجلة سبيل الرشاد قول عطاء الله بهاء الدين من مسلمى روسيا كما يلى : دخلت غرفتى واغلقت الباب ورحت أبكى ، لقد بكيت سحابة اليوم على غربة الإسلام واضمحلال المسلمين " وعلى ذلك كتب عاكف قصيدته بعنوان " هل كنت تعتقد " فى ٢٤ / ١٠ / ١٩١٨ وقال فيها : " لست واجدا فى طريقك وجوها تعرفها ، ما أشد الغربة التى خيمت على الإسلام فى بلاده ؟

(١) انظر ديوان الصفحات : ٢٤٨ . (٢) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٣٤
 (٣) الاسرار الخفية : ١٧٤ .

هل كنت تعتقد أن المعابد والعبادات أضحت مهملة كما يضيع اليتيم؟ وسوف تسمع هذا الأذان الباكي خلف جيل يائس؟ هل كنت تصدق أن المنايا أضحت شاغرة تنتظر الجماعة، وأنها لن ترى أمامها إلا أعمدة أربعة وكومة ملقاة من الرخام؟ هل كنت تعتقد أن تخر السقوف مما حدث لها من الضعف الشقوق، وتنمو الطحالب على العتبات وينسج العنكبوت بيوته في المحراب؟ هل كنت تعتقد أن هذا البنيان المرصوص المتصدع حجرا بعد حجر سوف يصرخ صرخته الأخيرة تحت هذه القباب العتادية؟ . . . استمع إلى الآفات إنها لا تزال تعكس صدى الرعد، الذي انفجر من انهيار عالم سلخ أربعة عشر قرنا، وليس بجوارك وأمام عينك وفي جوك وبيئتك إلا مآثم . انظر كيف أمسى ألف عالم يخفق في قلب مآثم واحد . واحسرتاه، أن تتناثر أنقاض التوحيد اليوم، فتملاً ذلك الاقليم الفياض الذي انبثق نور الأنبياء من أرضه ! تخاف الآلاف للموءلفة من الموءمنين أن ترفع صوتا، لدفع ما أخذ يستولى على الأرض من ألف منكر وقد مسح من ذاكرتهم المسكينة الأمر بالمعروف انقيادهم المديد إلى الظلم الداني . فزال الحياء فانتشرت الوقاحة . ما اقبح الوجوه التي سقط عنها ستار الخجل الرقيق . لا وفاء ولا حفاظ للعهد والأمانة لفظ بلا معنى، أما الكذب فرائج والخيانة متبعة والحق مجهول، والقلوب قد سلبت الرحمة والضمير وضيع والأمانى حقيرة . والعيون ملوها الازدراء بعباد الله، إن العقول تقشعر يارب، ما افزع الانقلاب الذي حدث؟ ضاع الدين والإيمان فما الدين إلا خراب ولا الإيمان إلا تراب . انقضت المفاخر ووقدت الضمائر، وليس للاستقلال كيان مادامت الأخلاق في اضمحلال . أما أنت يا اخي المسلم المسكين : فكأنك تأمل متأخرا، وقد وقعت في اليأس وبكيت وابهكيت والزمتنا الأنين . . .، إن روحى جاشت بدموعك وهاجت وماجت، ولكن المآثم وحده ليس ينقذ الوطن المحاط بالنيران، فالأمة في حاجة إلى النهضة وهى لا تستيقظ بالعبرات الخافتة . فالسعى ولاشى إلا السعى فليس ثمة سبيل آخر إلا الجود بارواحنا وانفسنا فسوف تنزل الرحمة الموعودة حين مايندى الجهد الجياش، وكيف تخسر الأمة التي تقول : إن من حقى الفوز؟ رباه . أليس هناك يد كريمة تمدها بسروح من عندك، حتى تأخذ بيد الشرق الضال وتخرجه من الظلمات إلى الفجر المنشود . ؟ (١)

ونشر عاكف فى ١/٩/١٩٣٠ قصيدة بعنوان " الدرويش أحمد بمناسبة رجوع عازف الناي الشهير - " نيزان توفيق " من توبته الأربعمئة بعد الثلاثة آلاف . كان من معاصرى عاكف اشتهر بانحرافاته يقول عاكف : " قال : " شربت طول العمر وكفى فاتركه " . وما كان من الدرويش احمد إلا أن اهتدى وتاب أى توبة . ضرب الأباريق على الحائط فحطمها ولم يترك كأسا ولا طاسا ولا ابريقا إلا قذف به ، فطغى طوفان من الخمر فى الحجرة وغمرتها المياه ، وطفست الاطعمة التى توفى كل قبل شرب الخمر على أمواج التيار ، وقد أظهر الشيخ كرامته حينئذ وبسط السجادة على تلك الأمواج ثم القى النظر بنشوة الظفر على ماجرى . . . ولكن لم يكد يطول أمد نظر الإنسان إلى شىء حتى يمل ، وصاحبنا ضايق بالتطلع ذرعا ، لما اقترب الظهر قام ونام وطاف فلم يجد نفعا . إذ شعر فى نفسه بفرغ لم يستطع سده ، سبح الله تسبيحا وحاول أن يستغرق فى التوحيد فلم يتمكن ، وأدى الشعائر كلها ولطم صدره بلا طائل ، إن عمر الساعة كان بالامس اقصر من نفس واحد ، وما أطول كل ثانية تمر اليوم كأنها سنة ، مضى ماضى . . . ولكن الدرويش ليس قادرا على المضى راح يهز النفاذة والسقف ويركض الأرض ركضا دون أن يقدم الزمن لحظة ، والزمن ما أشد حراره يظل فى سكونه ولا يخطو خطوة إلى الأمام ، فما كان من صاحبنا إلا أن تقدم بنفسه ، " حنانيك يا أحمد . أصغ إليّ : هل انت مقدم على نقض توبتك ؟ وهل أنت مصمم على ألا تبالى بخاطرى ؟ أتوسل إليك يا أحمد لا تذنب . " إن إلهام جذبته لا بد أن يكون شديد الوقع ، فقد أطاع الدرويش الأمر الآتى من تلقاء نفسه وسلك سبيله دون أن يلتفت إلى ما حوله . " يا احمد يا درويش ، أنت ذاهب الآن ولكن لا تعرج شمالا ها أنتذا قد وصلت إلى الزاوية ، أرجوك أن تمضى ، يا أحمد إن نيتك لا تبشر بخير ، أتوسل إليك أن تتجدد ، أرجوك يا احمد ، أرجوك أن تقاوم " . ولكن احمد لا يبالي وينقاد للتيار لو تأخر صدره فسوف تتقدم رجلاه ، وما الخطب ؟ هل وصلت إلى الحانة إياك أن تدخل ، يا أحمد إن العاقبة لأليمة ، أرجوك ألا تدخل ، أرجوك ألا تقف ، يا أحمد تشجع ، يا أحمد إن الممر خطير امض يا أحمد ياله من غوص وياله من غرق . " يلج الدرويش باب الحانة بعد نزاع خائب ، " مادمت دخلت أيها الدرويش ، فاخرج دون أن تتناول الكأس حتى يقولوا إنك ولى . هلم يا أحمد يا بنى قليلا من المجهود ما هذا الجلد يا أحمد وما هذا الصبر ؟ لقد دخلت الحانة وجلست وفرشت سجادتك ، واحترقت والتهبت من

الظماً ثم وقفت كالجبل وصعدت كالصخرة . قلت كالجبل وقلت كالصخرة أفهذا حق ؟ ، هيهات . الزلزلة تهز الجبل والموجة تغمر الصخرة ، كم من زلزلة اصابتك فلم تستطع أن تهزك ، أيها الأسد ما اعظم ما خلقك الخالق . إن التوبة التي استمسكت بها بلغت مبلغ العجب ، ولشد ما كان هول ذلك الطوفان في وقت السحر؟ وقد دست أنت الموجة واجتزت تيار الدوامة وألقيت السجادة على "الجودي" (١) ونزلت هناك إلى البر! يقولون إن " ادهم " (٢) رفض الدنيا وتخلي عنها ، فهل لطم ابريق الخمر؟ كلا ! أيها الولي بجل نفسك وقدرها! إن فيك المثل الاعلى وليس في العلماء ، ما اعظم قدرك وما أثنى جوهرك ، أنت سلطان السلاطين المتنكر تحت العباءة ، أنت عبد علي بن أبي طالب السذي يسقى الكوثر ، فلن يطلب الخمر من لم يطلبها لك؟ . . . هلم يا بني وسل : ما يشرب حضرة الغوث الأعظم؟ ! افعم للدرويش ايها الساقى ابريقين وأضف ثمنهما الى حسابي" (٣) .

وبهذه الكلمات ذكر لنا عاكف نموذجاً واحداً من منحرفي أيامه . وامثاله كثير ، وقد كان المجتمع على صورة كريمة من الانحلال الخلقي كما عبر عاكف في مقالاته (٤) ومواعظه (٥) ، ومن ناحية أخرى كثرت المخالفات للشريعة والخروج عليها والشرود بعيداً عنها حبا في الدنيا ومتاعها المحرم ، وقد عاش عاكف في المرحلة الأخيرة من حياته الفكرية في مصر ختم صفحاته بكتاب "الظلال" واسم الكتاب يوحي بمحتواه ، إذ خيمت عليه ظلال الحزن والاحباط ، تتردد بين جنباته أنات شاعر حزين ينعى الأمة الاسلامية تارة ويدعوها للفاقة من غفوتها تارة أخرى ، وما زاد من سوء حالته النفسية روءيته للأجانب وهم يتمتعون بخيرات مصر ، إذ يقول في رسالة له : هبط مصر يونان ويهود وأرمن وطلبيان وروس واصبحوا من الاثرياء (هنا) بعد فقر ، أما من قدم إلى مصر من الترك فنأسف على حالهم ، اعتكافى في حلوان إنما هو هروب من روءية منظرهم حتى لا تذهب نفسى حسرة عليهم" (٦) .

-
- (١) الجبل الواقع في شرق تركيا في مدينة سِغْرْت ، نزلت عليه سفينة نوح عليه السلام
 (٢) ابراهيم ادهم سلطان من سلاطين بلخ في القرن التاسع ، ترك السلطنة واتجه إلى حياة الزهد .
 (٣) ديوان الصفحات : ٤٢٥ - ٤٢٦ الظلال : ٩٧ - ١٠٠ .
 (٤) انظر مقالات محمد عاكف : ٧٥ - ٧٦ .
 (٥) انظر مواعظ محمد عاكف : ٦٦ وما بعدها ، تفاسير محمد عاكف : ٧٣ ، ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .
 (٦) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١٢٢ ، الأدب التركي الاسلامي : ٢١١ .

الفصل الرابع

موقفه من حركات الإصلاح في عصره

- (١) موقفه من السلطان عبد الحميد الثانى
- (٢) موقفه من اعمال حزب الاتحاد والترقى
- (٣) موقفه من حركة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده

تمهيد :

إن العصر العثمانى الأول أو اعصر قوة الدولة هو ذلك العصر الذى طبقت فيه النظم الإسلامية . أما عصر الضعف والسقوط فهو يمثل ذلك العصر الذى اخذت الدولة فيه تنحرف عن تطبيق هذه النظم .

كانت حركة اصلاح الجيش العثمانى على النظام الأوروبى قد بدأت فى عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٣) مستعينا بعدد من الخبراء العسكريين الاوروبيين ، واستمرت المسيرة فى عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣-١٧٨٩) وزاد هذا الاتجاه فى عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) فاتخذ للجيش زيا أوروبيا واستخدم الضباط الاوروبيين للتدريس ، واتبع الولاة خطاه فى الولايات العثمانية . واشتدت المعارضة ضده من قبل العلماء لتشبيهه بالاروبيين . وعندما تولى السلطان محمود الثانى (١٨٠٨-١٨٣٨) تابع مسيرة الاصلاح العسكرى مستعينا بالضباط الإنجليز . لتدريب البحرية ، وبالضباط الألمان لتدريب المشاة وأمر بإرتداء الزى الأوروبى وازاء المعارضة الشعبية اكتفى بفرضه على رجال البلاط والحكومة (١) واستندت حركة التنظيمات إلى مرسومين سلطانيين صدرتا خلال عهد السلطان عبد المجيد أولهما فى ٣ / ١١ / ١٨٣٩ خط (أى منشور) همايونى / كلخانة ، الذى وضعه مصطفى رشيد باشا وثانيهما فى ١٨ / ٢ / ١٨٥٧ منشور التنظيمات الخيرية الذى أكد - كسابقه - المساواة بين جميع الطوائف فى الضرائب (الغاء الجزية) وتمثيل الطوائف غير الاسلامية بالمجالس المحلية وفى مجلس القضاء الأعلى . وققدت الدولة مفهومها الإسلامى واصبح جميع اصحاب الاديان متساويين فى التوظيف ومنع استعمال كلمات التحقير

(١) انظر حركة الاصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى : ٢٦٢ .

المسلمين . واخذت الدول الأوروبية تستغل الأزمات الكبرى التي تمر بها الدولة لتضغط على السلطان لإصدار قرارات من شأنها اخراج الدولة عن اصولها الاسلامية ، واضطر السلطان تحت ضغط الدول الأوروبية إلى إصدار المنشور المذكور الذي يمثل بدءاً اصدار اوامر سلطانية لاتستند إلى حجة شرعية أو فتوى ، واتخذت الدول الأوروبية مسألة الطوائف غير الاسلامية في الدولة ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية اكثر . وكانت التنظيمات وسيلة استخدمتها بريطانيا لضعاف سلطة الخليفة وتقييد الحكومة واشاعة الفوضى والاضطراب بين الطوائف والقوميات مما ادى إلى انحلال الدولة العثمانية بعد أقل من قرن واحد . ولكن هذه الاصلاحات المذكورة لم تقنع الأعداء من الصليبيين واليهود لأن الطريقة الوحيدة في نظرهم لاصلاح الأحوال هي ازالة العثمانيين من على سطح الأرض كله ، ويبدو ان رجال الاصلاح العثماني لم يفهموا الحضارة الغربية فهما صحيحا فقلدا ومظاهرها الشكلية . . . وفي الحقيقة كان الغرب يريد من سلاطين العثمانيين أن يبادروا بالغناء للإسلام من التشريعات والمؤسسات والثقافة حتى يكون " الاصلاح " على أتمه .

وكل ذلك كان قبل أيام محمد عاكف ، أما الاصلاح في أيامه . فقد تابع السلطان عبدالعزيز (١٨٦١-١٨٧٦) تنفيذ الاصلاحات الأوروبية ، فصدر قانونا بتنظيم الولايات ، وانشأ " ديوان الاحكام العدلية " على نسق مجلس الدولة الفرنسي ونجح السفراء والقناصل الغربيون في التأثير على مجريات السياسة العثمانية في تلك الفترة ، حتى بلغ بهم الأمر حد التدخل في خلع وتنصيب السلاطين لا اختيار من يتوسمون فيه الضعف واللين تحقيقا لمآربهم ومصالحهم وتخلصوا من السلطان عبد العزيز والسلطان مراد . وتم تنصيب السلطان عبد الحميد الثاني على أمل أن يتعاون معهم ويترك الحكم بيد رجال " الباب العالي " واستمرت الاصلاحات العسكرية في عهده فاستقدم عددا من الجنرالات الألمان ، حيث قاموا بتدريب مختلف الفرق العثمانية ، كما ارسل بعثات عسكرية إلى ألمانيا وقام بافتتاح عدد من المدارس العسكرية والكليات وانتقلت الدولة في أيامه إلى عصر المشروطية الأولى سنة ١٨٧٦ والثانية سنة ١٩٠٨ ، وجعل الحكم مشروطا بالدستور الذي وضع نصوصه مدحت باشا وجماعة من المستغربين . وسميت هذه الاصلاحات بالمشروطية . وتعرض السلطان

عبد الحميد قبيل وبعد سقوطه سنة ١٩٠٩ إلى حملة اعلامية مفرضة استهدفت إزالة المهابة عن شخصه . وتضافرت الصهيونية والدول الغربية بما تملكه من وسائل اعلام إلى ترويج عشرات الفضائح التي نسبتها إليه وقصره ورجال دولته في استانبول ، وخذع بتلك الحملة الاعلامية عشرات من العلماء والمفكرين ووقفوا ضد السلطان ومنهم محمد عاكف نفسه ثم انتقلت الدولة إلى عصر الاتحاديين ، وسقطت نتيجة انفصال الدولة عن أساسها الذي قامت عليه وهو الإسلام . ثم جاء دور الجمهورية العلمانية (١) .

(١) موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني :

واجه السلطان عبد الحميد هجوما من اغلب من تناولوه بالدرس والبحث امثال المستشرقين وتلاميذهم . واخذوا يرددون ما شاع بين العامة من اوصاف لا ينبغي ذكرها في بحث علمي . ونجد أقلية من الكتاب يذكرون مناقب السلطان وخدماته ، ويثنون عليه وأخذ بعض الكتاب على عاتقه تصحيح كل ما ألصق به وبتاريخه (٢) . والذين اتهموه هم في الحقيقة بعيدون عن معرفة حقيقة التهم التي وجهوها إليه .

أما محمد عاكف ، فله جوانب مشتركة مع السلطان ، فلاشك أن للسلطان جهودا في نشر الدعوة الإسلامية كما لعاكف جهود في هذا المجال ، ولكل منهما خدمات قام بها في مجال الدعوة . وقد وقف السلطان في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنعهم من اقامة وطن قومي لهم ، وكان عاكف عدوا لليهود ، ينفّر منهم ويكرههم وتكلم عن اعمالهم السيئة في العالم الإسلامي في بعض آثاره . ودافع كلاهما عن فكرة الجامعة الإسلامية ، إلى غير ذلك من الافكار والاعمال المشتركة . ولكن هناك أمور منها : أنه لما تسلّم السلطان الحكم سنة ١٨٧٦ في وقت عصيب ، كانت الحكومة العثمانية في ايدى عصابة من الساسة يسعون باسم الاصلاح إلى تجديد الدولة على العناهج السياسية الدستورية الغربية . وواجهت الدولة ثورات عنيفة قامت بها الشعوب النصرانية الخاضعة لها بدافع الشعور القومي والروح الصليبي حينما وبمقولة

(١) انظر اتاتورك وخلفاؤه لمصطفى الدين : ٢٨ .
 (٢) انظر السلطان العظيم عبد الحميد خان لنجيب فاضل .

انه يجب الا تخضع هذه الشعوب لسلطان مسلم متبربر حيناً ثانياً (١) . ولما ولى السلطان عرش الخلافة كانت الأوضاع خطيرة بالغة لاسيما مؤامرات الدول الأوروبية التي كانت قد انتهت يومئذ من وضع عشرات المشاريع لتحطيم الدولة والقضاء عليها وتوزيع املاكها ، وقد أدى التفتت السياسى الذى اصطنعته الدول الأوروبية الاستعمارية فى الولايات العثمانية إلى ضياعها .

و هناك احداث متعلقة باليهود والصهيونية العالمية وللسلطان مواقف تجاه اهدافهم (٢) . ويبدو لنا أن انظار معظم المثقفين ومنهم محمد عاكف لم تلتفت إلى تلك الاحداث ولم يكن لديهم خبر عن المؤامرات لأن الاحداث جرت بين السلطان وبين زعماء اليهود ، ولم يدر الشعب شيئاً عن حقيقتها واتهموه بالاستبداد وقد دفع السلطان ثمناً غاليا لرفضه هجرة اليهود إلى فلسطين ، واصداره قانوناً بذلك ، ومنعه اقامة اليهود فيها إذ خلع السلطان سنة ١٩٠٩ وتسلمت السلطة جمعية الاتحاد والترقى . ولعل الاحداث التي مرت بها الدولة والظروف الصعبة التي احاطت بها جعلت السلطان يقدم على الموافقة على اصدار الدستور العثمانى سنة ١٨٧٦ ، ووجهت الاحداث السلطان بأن يعمل على ارضاء الغرب ولا يتم ذلك إلا بإعلان الدستور الذى يساوى فيه بين العناصر والاقوام وكان شعاره (حرية ، أخوة ، عدالة ، مساواة) أى أنه زائد على الشعار الفرنسى كلمة العدالة . وقد اضطرت الظروف السلطان لاصدار الدستور على غير اقتناع به ولذا كان ينتظر الظروف التي تمكنه من التخلص من هذا الدستور ومن صاحبه مدحت باشا فنفاه السلطان إلى الطائف وفيها توفى والذى السلطان الدستور كما الغى مجلس المبعوثان سنة ١٨٧٧ فاصدر ارادته بتعطيله . وتألفت الجمعيات السرية من اعداء الدولة فى الداخل والخارج وتعاضد الاعداء فيما بينهم ضد السلطان الذى وقف فى وجه اطماعهم ونزواتهم فتكالبوا ضده ، ونادوا بالاصلاح على الطريقة الأوروبية واتهموه بالاستبداد . وكانت جمعية الاتحاد والترقى سباقة للمناداة باعادة الدستور فرضخ السلطان باعادة الدستور سنة ١٩٠٨ للمرة الثانية . وقبله رغم عدم وجود فرق بينه وبين دستور سنة ١٨٧٦ ويبدو أن الصعاب والمحن التي مرت بالدولة حتمت عليه أن يقبل الامر الواقع وارسل الاتحاديون تهديدات له

(١) انظر السلطان عبد الحميد الثانى وأثره فى نشر الدعوة الاسلامية : ٣٢ .

(٢) انظر جمال الدين الأفغانى لمحسن عبد المجيد : ١٣٣-١٣٤ .

لكي يرضخ ويعلن قبوله للدستور سنة ١٩٠٨ وسيطروا على الحكم اعتبارا من ١٩٠٩. وهذه بعض كلمات النقد التي وجهها محمد عاكف للسلطان عبد الحميد فقد كتب في ١٩٠٨/٩/٣ قصيدة بعنوان " التوحيد أو التضرع بالدعاء " عبر فيها عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والقدر وعن سبب وجود الإنسان في العالم. وفسر قول الله تعالى : (لا يسئَلُ عما يفعل وهم يسئَلون) (١) . ثم انتقل إلى شخص السلطان عبد الحميد ، ولم يذكر اسمه بل أشار إليه بقوله : " هل يرضيك يارب أن تكون الملة العظيمة أسيرة لشخص واحد مستبد ؟ " (٢) ، والمقصود من هذا الشخص المستبد في تلك الأيام هو السلطان عبد الحميد وهذا من أشد ما صدر من عاكف في نقد شخص السلطان بدون ذكر اسمه واكتفى بذكر مدة حكمه فقط وقال : " الشخص الجبان الذي يخاف حتى من ظل نفسه والكثير الصراخ قد خوفنا خلال ثلاث وثلاثين عاما بدعوى أنه يطبق الشريعة ، ويسبب تمرد شخص واحد هو درويش وحدتي (٣) وهو ممسك بعصاه ذهب عديد من الضباط من فرق الجيش تحت اسم تطبيق الشريعة " (٤) . هذا النقد شديد جدا وقد نشره عاكف في ١٩١٠/٣/١٠ أي بعد خلع السلطان . وفي تلك الأيام لم يكن قد بقي شيء في يد السلطان من قوة وهو اسير في أيدي الاتحاديين ، ورغم ذلك خاف عاكف من السلطان وهو في السجن ، ولم يصحح باسمه في نقده . ومعظم الأدباء والمفكرين والنقاد كانوا يخافون من نقده حتى بعد خلعهم ، وهذه الحقيقة تدل على قدرة مقام الخلافة وهيبة الخلافة . وعظمة سلطته في نظر اعدائه ومخالفيه . ولست اشك في أن عاكفا كان من المخدوعين في تصديقه بعض الاتهامات الموجهة للسلطان ومنها أنه ذبح مجموعات من الناس ، وتأثر عاكف بالاقوال الشائعة من قبل اعداء الإسلام في ذم السلطان وظهر تأثره بتلك الشائعات في قصائده .

ولم يكتف عاكف بنقد شخص السلطان عبد الحميد واتهامه بالجبن بل انتقد ادارته ورجال دولته وكتب للتعبير عن عيوبهم قصيدة عنوانها " الاستبداد " (٥) ونشرها في ١٩٠٩/١/١٤ ، وعبر فيها عن فرحه الشديد

(١) سورة الانبياء : ٢٣ . (٢) انظر ديوان الصفحات : ١٥ .

(٣) هو درويش وحدتي (١٨٦٩-١٩٠٩) صاحب جريدة ولقان تمرد على السلطان في ١٩٠٩/٣/٣١ مع التابعين له من الضباط وغيرهم في استانبول وقتل هو وبعض المتمردين في تلك الحادثة .

(٤) انظر ديوان الصفحات : ١٠٥ . (٥) المرجع السابق : ٦٧-٧٢ .

بانتهاء أيام السلطان واتهمها " بأيام الاستبداد الملوث" وحث الشعب على الثورة ضد أعمال القتل - كما يزعم - ويخاطب المؤيدين لادارة السلطان قائلاً : " انكم جعلتم الظل الموهوم أعلى من السموات . . . " ، وقصد بالظل الموهوم السلطان عبد الحميد ، ونحن نتساءل إذا كان السلطان يتهم بهذه التهم رغم دهاك وحسن تصرفه وسياسته فيماذا نتهم ، أو ماذا نقول للذين أتوا بعسده ؟ وفى نظر عاكف فإن أيام السلطان خلال ثلاث وثلاثين سنة كانت أيام الكوارث والنكبات . . . ، والذلة والدموية ، والنفي إلى اماكن بعيدة والتحكم والسجن والجاسوسية وأيام اليأس . . . ، إلى غير ذلك من التهم . وصور حوادث القبض على بعض الاشخاص فى تلك الأيام للإشارة إلى الظلم وصور رجال الدولة ومنهم الضباط فى أسوء صورة ، ولم يكن ينبغي لمسلم مفكر مثل عاكف أن يكون غائباً إلى هذه الدرجة التى استهزأ فيها بالضباط حتى بلحيتهم وشكلهم وملابسهم كأن عاكفا اراد بنشر تلك القصيدة الطويلة اثاره السخط ضد السلطان وادارته . وزعم أن الاصلاح يأتى من إزالته . ولكن الواقع ان الذين اتوا بعسده افسدوا كل شىء ، ورغم ذلك يظهر فى آثار عاكف معارضته لادارة السلطان عبد الحميد وعبر عن تلك المعارضة فى قصيدته المسماة " الاستبداد " وفى قصيدة له بعدها مباشرة بعنوان " الحرية " (١) نشرها فى ١٩٠٩ / ١ / ٢١ وعبر عن فرحه وفرح الاطفال فى استانبول بمناسبة اعلان الحرية . وعبر عن سروره الشديد أيام المظاهرات وحفلات الحرية ، وقد خيل إليه أن أيام الحرية فى أول امرها كانت أيام الحرية والنشاط ويشبه أيام السلطان فى السكون والركود بأنها مثل هدوء المقبرة ، وبعد فترة من أيام الاتحاديين ادرك عاكف ان الحركة المعلنة عبارة عن خدعة وأنها حرية مزيفة ولكن بعد فوات الأوان .

وبعد ضياع الدولة العثمانية على ايدى الاتحاديين رجع عن قوله من السلطان عبد الحميد وعبر عن ذلك على لسان احد تلاميذ والده الاستاذ محمد طاهر على شكل حوار بين عاكف وبين هذا الطالب يقول عاكف :

— نعم يا بنى كان استاذى محمد طاهر لا يحب قصر السلطان كنا نعرف ذلك الأمر جيداً .

— لم يكن يشتمه رغم بغضه إياه ، ولكن لاشك أنه كان يكتم بغضه فى صدره .

— لا أعلم شيئاً عن دخيلة نفسه ولكن كانوا لا يعيبون السلطان حين يذكر اسمه !

— لن انسى ابدا هذه الحادثة ، كنامعه فى حديقة المدرسة فى يوم شديد الحرارة ، وكان شديد الغضب على فى ذلك اليوم ، و اردت ، اغضابه اكثر و قلت : " الاحوال سيئة والأمر غير طبيعية إن لم يمت البومة الساكن فى يلدز — أى السلطان عبد الحميد الساكن فى قصر يلدز — فسوف تكون العاقبة أسوأ " هكذا بدأت كلامى . . . ، واجابنى استاذى قائلا :

يابنى إن تمنى الموت — أى للسلطان عبد الحميد — هو كالتمنى الوارد فى القصة الآتية : إن مجموعة من الحمير تعبت من حمل الاثقال وضجروا فجمعوا اصواتهم قائلين : ماهذه المصائب التى أصابتنا ؟ يأتى السرج بعد السرج بلا انقطاع . بعدما نتخلص من الأول يأتى الثانى ، والجديد مثل الحجر فى القسوة واضخم من القديم ، لو يموت السراج .. كنا نستريح . نعم موته خير لنا ادعوا على هذا الرجل ليموت فوراً ، واخيراً مات السراج المسكين ، ولكن لم يستمر منصب السراج فارغاً فترة طويلة . بل جلس مقام السراج احد مساعديه أو غيره من الذين لا يتقنون هذا الفن . وبدأ عمله بنحت الأخشاب وقطع الأدوات لصناعة السروج للحمير . ولكن الرجل لم يكن خبيراً فى هذا الفن ولا شك ان العمل يحتاج إلى الخبرة . واصبحت الحمير مرضى وذهب بها اصحابها إلى البيطار لمعالجتها وظهرت الجروح فى الكتف والظهر وتعفت الجروح ، واشتد ألم الحمير وشاوروا بينهم فقالوا ما الطريق للحصول على السراج السابق لأنه كان صاحب خبرة ولم يكن جاهلاً مثل هؤلاء الجدد . ومن سوء حظنا أننا لم نقدّر قيمته فى حال حياته . لم يكن ما يصنعه لنا سرجاً بل كان نعمة عظيمة لنا رحمة الله عليه (١) . ونصيحته لك ألا تشتغل بكلام لا فائدة فيه .

ابحث عن طريق الكمال واسلك سبيله ، إن كنت إنساناً ، فأنت حر إلى الأبد فى العالم تعيش كما تشاء ، لن يستطيع أحد أن يربط فى عنقك رباطاً ليجبرك على وجهة لا تريدها وإن لم تكن إنساناً يا بنى فإنك تتقبل السرج راضية به نفسك فلا تشتم السراجين الذين تخضع لهم عن طيب خاطر (٢) . والمقصود من السراج السابق السلطان عبد الحميد . (٣)

(١) والظاهر من هذه الكلمات : أن عاكفا عاد عن قوله الأول ضد السلطان

عبد الحميد وندم على مقاله .

(٢) ديوان الصفحات : ٣٣٤-٣٣٥ .

(٣) محمد عاكف لأشرف اديب : ١٦٥/١ .

استمرت اساليب النقد الجارح والاقوال السيئة ضد السلطان فترة من الوقت بعد خلعه، ولكن حين ظهر ظلم الاتحاديين فى البلاد واشتهروا فى السنة لناس بعصاة المجرمين، عاد كثير من الذين تحدثوا ضد السلطان، وكتبوا قصائد فى الثناء عليه وبدوا يقولون بعد فوات الأوان : أيها السلطان العظيم وعبروا عن رضاهم عن ادارته أمام ظلم الاتحاديين واستبدادهم، أما عاكف فليس له قصيدة مستقلة فى الثناء عليه، ولكن نستدل بكلماته ضد الاتحاديين وحریتهم المزيفة، واخوتهم المزعومة، أنه ندم على تعاونه مع هؤلاء ضد السلطان وفى الواقع تعتبر أيام السلطان بالنسبة لعاكف فترة سكون وسكوت، وليس له نشاط ملموس فى مجال النشر حتى سنة ١٩٠٨، وفى تلك السنة نشر كثيرا من قصائده وفيها أبيات ضد السلطان لأنه انتهز اعلان الحرية لنشرها (١)، ويبدو أنه كان قد كتب هذه القصائد ومن ضمنها معارضة السلطان، قبل نشرها بفترة وانتظر اعلان ادارة المشروطية لينشرها. وكتب كثيرا بعد السنة المذكورة، وندم على ما فعله، ولكنه عبر عن ندمه بالوقوف ضد الاتحاديين وحریتهم الزائفة وليس باظهار الندم على معارضة السلطان. والمأخوذ على عاكف انه نشر معارضته إما بعد اعلان الحرية وإما بعد خلع السلطان وفى رأينا أن هذا لا ينفى وما دام قد انتهى دور السلطان واصبح تاريخا فقد كان عليه أن ينظر السلبيات والايجابيات معا ويحدد موقفه بناء على ذلك .

وبرغم أنه ليست هناك شخصية فى تاريخ الإسلام الحديث، قد هوجمت بمثل العنف الذى هوجم به السلطان عبد الحميد . فقد كشفت احداث الدراسات التاريخية فى هذا الصدد عن سلامة موقف السلطان، فهو صاحب الصيحة المعروفة المشهورة التى هزت الغرب والعالم كله "يا مسلمى العالم اتحدوا" كما كشفت ترجمة مذكرات هرتزل . . . براءة موقف السلطان الخارجى من كثير مما ألصقه به اعداء المسلمين . أما من انتقدوه فقد اتهموه بفساد الادارة وهى دعوى غالبا ما أثارها الاتحاديون والماسون ومن لف لفهما . وقد كشف التاريخ ما وراءها من هوى وانحراف (٢) .

وفى نهاية ادارة السلطان كانت استانبول تعج بنشاط المعارضة

(١) انظر محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٢ ، ٣٤ .

(٢) انظر اسرار الانقلاب العثمانى : ٢١-٢٢ ، الاتجاهات الوطنية : ٤٨/١

الأدب الإسلامى قضية وبناء لسعد ابوالرضا : ٥٩-٦٠ .

ضد السلطان وحاشيته . ويبدو ان وجود عاكف فى هذه الظروف ، واحتكاكه بشكل أو بآخر بتيار المعارضة ترك فى شخصيته آثارا لم تمح إلا بعد ظهور ضلالات الاتحاديين . وقد بدأ ميله لمعارضة السلطان فى وقت مبكر كما نشر فى الجزء الأول من ديوان صفحاته . إذ أن صاحبه مدحت جمال لوحق فى استانبول من قبل الشرطة . وكتب عاكف قصيدته بعنوان " الاستبداد " ضد ادارة السلطان . ويبدو منها أن ما شاهده دفعه إلى أن ينحاز إلى تيار المعارضة ضد السلطان ولكن لم يدع إلى افكار المعارضة ، ولم يعمل لتعزيز مواقع الاتحاديين ولم يقم علاقات مع زعمائهم ولم يتجول فى البلاد للدعوة إلى افكارهم ، بل نجد فى قصائده العاطفة الدينية ، وحرصه على الخلافة الاسلامية وقوتها ، وكان ينتظر من السلطان عبد الحميد أن يقف موقفا قويا ليكون حازما أمام سقوط الدولة العثمانية مثل سقوط الاندلس ، ويقارن بين الماضى الزاهر وحاضر المسلمين الموهلم ويربط بين الماضى والحاضر فى آثاره ويعبر عن حسرتة وألمه لما حل بالمسلمين ويغضب على السلطان بسبب سكوته وعدم وقوفه فى وجه الزوال والسقوط والفقد والضياع الذى اصاب المسلمين وبلادهم ونزل بخلافتهم ، ويذكر عاكف أمثلة من عدل عمر رضى الله عنه . ويشير إلى أنه واجب على الخليفة أن يكون مثله فى الحكم والادارة . وينعى انحسار الإسلام عن بعض البلاد ويعبر عن غفلة المسلمين وضياع دمائهم وعن المأتم الذى يعيشون فيه وسكوت خليفة المسلمين فى أيامه .

وقد نشر بعض الأدباء قصائد الندم بعد فترة من خلع السلطان عبد الحميد ، نذكر مثلا منها ما كتبه رضا توفيق : " أين أنت ايها السلطان العظيم عبد الحميد خان ؟ هل تصل صرخاتى إلى مقام حضرتك ؟ لو تبعث من قبرك لتشهد نتيجة ذنوب هذه الأمة الخائنة . . ، قلنا ان السلطان ظالم وإنسه مجنون . ، واتفقنا على وجوب قيامنا لتحقيق الانقلاب ، وكنا نردد كل ما وسوسه الشيطان . نعم . القينا بصاقتنا على قبلة اجدادنا ، وفى الحقيقة أنت لست مجنونا بل الجنون فينا نحن لأننا نظمنا الخيالات ورتبناها فى حبل خرب ، بل نحن لسنا مجانين فقط ، وإنما نحن سيئو الأدب ، وفاسدو الأخلاق أيضا لأننا القينا بصاقتنا على قبلة اجدادنا ، حينما يذكر التاريخ اسمك فسوف يعترفون انك كنت على الحق أيها السلطان العظيم ، كنا نحن المفترين عليك على اكبر سلطان سياسى فى هذا العصر" (١)

٢) موقفه من اعمال حزب الاتحاد والترقى :

بعد خلع السلطان عبد الحميد الذى كان ينادى " بالجامعة الإسلامية " ويدعو إليها تولى اعضاء حزب الاتحاد والترقى السلطة فى الدولة العثمانية وتبنوا العصبية القومية التركية ولم يكن للخلفاء الذين جاؤا بعد السلطان عبد الحميد إلا الاسم فقط ، كانوا سلاطين رمزيين واتجه زعماء هذه الحزب نحو الطورانية باحيا " تاريخ الاتراك الوثنيين . وتمجيد الغزاة الوثنيين وفتوحات اسلافهم فى جاهليتهم وتمادى الاتحاديون فى خيالهم الذى كان يصور التثام الطورانيين من الترك العثمانيين والتركان والتتر والمغول والفننديين والمجر واصبحوا يرون أن هذه الاجناس اقرب إليهم من العرب ومن سائر المسلمين الذين لا ينتمون إلى العنصر الطورانى ، ثم حالفوا الألمان فى سبيل تحقيق ما يحلمون به من به من السيادة الطورانية وذهبوا فى هذا الحلف إلى ابعد مدى فزجوا بالدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى التى لم يكن لها مصلحة فيها ، على الرغم من معارضة الخليفة محمد (رشاد) الخامس (١) .

واستبعد تلك الجماعة الوحدة الإسلامية وحاربت الجامعة الإسلامية . وقد كان زعماء الاتحاد والترقى كلهم من أشياع الماسونية يجتهدون فى نشرها وجعل رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها بين ضباط الجيش وكان هذا تمهيدا للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطة من صفة الخلافة الإسلامية وإن من لوازم تشيعهم للماسيون قوة نفوذ اليهود فيهم وفى الدولة (٢) ، يقول السلطان عبد الحميد : لا بد للتاريخ يوما أن يفصح عن ماهية الذين سموا انفسهم تركيا الفتاة وعن ماسونيتهم وقد استطعت أن اعرف من تحقيقاتى أن جلهم من الماسون وانهم منتسبون إلى المحفل الماسونى الإنجليزى . وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل (٣) . وان جمعية الاتحاد والترقى كانت تعقد اجتماعاتها فى بيوت اليهود المنتمين للجنسية الايطالية والجمعيات الماسونية الايطالية . . ، وأن وزير مالية الاتحاديين كان يهوديا . . (٤) وكان

-
- (١) انظر الاتجاهات الوطنية : ١٠١ / ٢ - ١٠٢ .
 (٢) شعر الوحدة الإسلامية فى العصر الحديث : ٥٢ / ١ .
 (٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : ٨٧ .
 (٤) الاتجاهات الوطنية : ٧٩ / ٢ .

الانجليز من وراء هذه الجمعية وقد عملت تلك الجماعة ومن ورائها القسوى العالمية على تضليل العالم الإسلامى وتصوير عهد السلطان عبد الحميد بالظلم والاستبداد وكل الوان الرذائل والنقائص وزعموا أنهم دعاة حرية وعدل ومساواة .

وبعد اعلان الحرية بفترة بدأت المعارضة ضد الاتحاديين وحریتهم الزائفة وكثير من اصحاب عاكف اقتنعوا حينذاك بأن فكرة الحرية ستودى إلى العدالة والمساواة فى الدولة العثمانية . أما عاكف ، فقد حاول ان يقاظ الشعب إلى نتائج المفهوم السبى للحرية وانكشفت حقيقة الاتحاد والترقى بعد فترة من وصولهم إلى السلطة ولكن ليس إلى الحد المعروف اليوم من انكشاف اهداف الحزب وصلته باليهود . ولم تكن هذه الأمور واضحة تماما فى الفترة التى سجل عاكف نفسه فى الحزب . ومن ثم فقد انخدع عاكف وغيره فى أول الأمر فى المبادئ البراقفة التى تعلنها جمعية الاتحاد والترقى والتى تبدو من الظاهر مبادئ اصلاحية نبيلة منها اصلاح الجيش والادارة والمدارس ، وكان عاكف واصحابه من طلاب الاصلاح لمجتمعهم وبلادهم وكانوا يدركون ضخامة العقبات الموجودة فى طريق اصلاحهم . وحينما دخل عاكف واصحابه فى سلك هذه الجمعية ظنوا انها سوف توصلهم إلى غايتهم وقد فعل ذلك عاكف وكثير من العلماء الأجلة . يحدوهم الأمل أن يجدوا فى الجمعية عوناً لهم على ما يريدون . أما أن يكون عاكف قد انضم إلى الجمعية وهو يعلم اهدافها الحقيقية ، أو يدرك عداها للإسلام والمسلمين ، فهذا ما نستبعده تماماً ، مستندين فى ذلك الاستبعاد إلى ما عرف عن الرجل من تمسك بدينه . إنما تعاون معهم فى مجال الثقافة ظناً منه أنهم يعملون حقاً للاصلاح ، ولم تعرف الحقيقة ولم تنكشف جوانب العداة فيها للإسلام بصفة خاصة إلا فى نهاية الدولة العثمانية حين ظهرت صلتها الوثيقة باليهودية العالمية ، لذلك نلتبس العذر لعاكف فى أنه لم يعرف حقيقة الحركة التى انضم إليها ، وكله أمل فيها وفى قدرتها على الاصلاح ، ولكن حين ظهر فسادها صورته عاكف فى شعره .

يقول أشرف أديب : حينما أعلنت الحرية سنة ١٩٠٨ أصبح كثير من الناس من اعضاء جمعية الاتحاد والترقى . وكان الاستاذ فاطن كوكمان (١٨٧٨-١٩٥٤ من اصحاب عاكف) من العلماء قد دخلها قبل ذلك وأصبح

فيها صاحب منصب ونفوذ ، ودخل فيها بتوصيته كثير من العلماء والمثقفين فسي استانبول وضواحيها . وقرر عاكف وبعض اصحابه تسجيل اسمائهم في الجمعية المذكورة بعد مناقشات ومذاكرات طويلة ، واخبروا الاستاذ فاطن بذلك ، واصبح هذا الخبر حادثة كبيرة في تلك الأيام . لأن الشاعر محمد عاكف ومجموعة من اصحابه المفكرين سيصبحون من اعضاء الجمعية . واتصل بهم الاستاذ فاطن وشرح لهم مقاصد واهداف الجمعية وطلبوا منه ايضاحات كثيرة في نقاط هامة ووضح لهم الاستاذ فاطن جميع ما طلبوا شرحه وتوضيحه ، وحينما جاء دور التحليف اعترض عاكف بشدة على صيغة القسم وكان قبل ذلك وقت مناقشة المباحث السياسية يسكت ولا يدخل في النقاش . وطلب عاكف الغاء جزء مهم من صيغة القسم . كان نصه : " سأطيع أوامر الجمعية بلا قيد ولا شرط مسبق " واصبح الاستاذ فاطن في موضع صعب أمام اعتراض عاكف بشدة . قال عاكف : انا أبايع الجمعية في المواضيع التي توافق الأمر بالمعروف فقط ، ولا أتعهد بالطاعة المطلقة ولن اقسم على ذلك أبداً " وهكذا وجد الاستاذ فاطن فسي موقف عاكف صلابة عظيمة ولكنه حاول أن يذلل تلك العقبة وكان يعرف جيداً أن عاكفا انسان مخلص ، وبعيد عن طلب المنافع الدنيوية عن طريق دخوله الجمعية وابقن بضرورة الموافقة على ما اقترحه عاكف . يقول الاستاذ فاطن : فكرت كثيراً في أهمية هؤلاء الشخصيات وقيمتهم ، وبعد تفكير طويل ادركت أن هذه الجمعية لن تستمر في المستقبل كجمعية انقلاب ، واخذت جميع المسئوليات على عاتقي ووافقت على الشكل المطلوب من قبل عاكف في نص القسم . واصبح النص الجديد موضوع اعتراض في محافل الاتحاد والترقي ، وبعد المناقشات الطويلة اصبحت هذه الحادثة سبباً في تعديل نص القسم الخاص بالجمعية (١) وهكذا دخلها عاكف مع اصحابه بعد اعلان المشروطة بعشرة أيام سنة ١٩٠٨ (٢) .

يقول مدحت جمال : حينما سمعت تسجيل عاكف اسمه في جمعية الاتحاد والترقي لم استرح لعمله هذا ولم أرحب به ، ولكن في الواقع لا يعتبر ماعمله عاكف دخولا في الجمعية ، لأنه حلف على أن يطيع الأوامر المعقولة وليس جميع الأوامر الصادرة منها . ولم أكن اعرف شيئا عن حقيقة هذا القسم العجيب وحينما دخلت الجمعية عرفت الحقيقة وقلت : لا يليق لعاكف ان يدخلها ،

(١) محمد عاكف لأشرف اديب : ١ / ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٢) عاكف نامه : ٢٤٥ ، محمد عاكف لمدحت جمال : ٧٤ .

الجمعية ليشارك في نشاطها التعليمي . وهكذا نفهم نيته . لأنه بعد التحاقه بالجمعية درس اللغة العربية في شعبة حتى شيخ زاده باشي باستانبول واعجبوا بأسلوبه واسلوب ترجمته (١) . وتلك الشعبة كانت النادي العلمي ودرّس عاكف فيه اثناء الليل وعمل ترجمات وشروحا على المعلقات السبعة ولامية العرب للزمخشري . وكان يملئ معاني بعض الابيات على الطلبة نظما (٢) وظاهر أنه تعاون مع الاتحاديين في المسائل الثقافية ثم انفصل عنهم . ولكن يبدو لي انه لم يتعرض لذكر اسماء زعمائهم بصراحة كذكر اسم الحزب بل اكتفى في معارضته لهم بذكر اعمالهم السيئة . مثل مفهوم الحرية الزائفة لديهم ، ويقال : كان الناس بعد اعلان المشروطية في تهيج واصبحت جمعية الاتحاد والترقي جمعية مقدسة في نظرهم . واطهار عاكف الجرأة المذكورة في تلك الأيام واعتراضه على اصحاب السلطة ، واصراره على رأيه وعدم اهتمامه بالالتحاق بالجمعية المذكورة أيام سباق الناس في تسجيل اسمائهم فيها ، كل ذلك يدل على ان عاكفا لم يدخل فيها لأغراض شخصية وفي نفس الوقت كان كثير من الناس يحاولون تسجيل اسمائهم فيها للحفاظ على مناصبهم أو للحصول على مناصب عالية (٣) .

وهذا بعض ماكتبه عاكف في بيان موقفه من اعمال الاتحاديين : فقد نشر في ١٩٠٩/١/٢١ قصيدة عنوانها " الحرية " عبر فيها عن سروره بمناسبة اعلان الحرية وسرور البنات الصغار في استانبول بملابس جميلة وبحزام رمز الحرية يتجولن في الشوارع . والأولاد مسرورون يمسون رايات اكبر منهم . يقول لهم عاكف : مضت أيام الملل في الماضي ، افتحوا المستقبل لصالحكم بالنصر ثم صور سرور الاطفال الصغار ولايزيد اعمارهم عن (خمس) سنوات أو ست وجد هم العجوز معهم . ثم تحدث عن مجموعة من الاطفال وفي ايديهم رايات كبيرة جدا . يصرخون بقولهم : " يعيش . . . " وحركاتهم طبيعية وليست مصطنعة كأنهم احرار من يوم ولادتهم . يرفعون اصواتهم ويقولون : " تعيش الحرية " ويصفقون ويغنون بترديد نشيد الأرض أو ماشابهه من الأناشيد . وترتفع الاصوات من كل مكان . وكانت هذه الازقة قبل اعلان الحرية كالمقبرة في السكوت وتشاهدون اليوم هذه الروح النشطة . وشارك الاطفال في احتفال الحرية وبكى

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٧ .

(٢) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٢٢٩ .

(٣) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٧ .

جدهم قائلاً : ليت أباكم يشاركنا الفرحة بهذه النتيجة ولكنه غائب في اليمن^(١)

وبعد فترة من ثنائه على الحرية كتب في ١٠ / ٣ / ١٩١٠ قصيدة عبر فيها عن احوال البلاد وهذه بعض ابياتها : يريد أحد الفساق أن يتزوج باثنتين رغم عدم وجود الشروط اللازمة للزواج بهما ويحتج على عمله هذا بوجود الحرية ويرغب في أن يعمل كما يشاء على حسب هواه ، وإن يرد الطلاق يطلق^(٢) ويضيف عاكف قوله في بيان عدم الفهم الصحيح لمعنى الحرية : " لا يصغى أحد لنصائح المسنين في أيامنا كأن الجميع يحمل معه ختما ليختم به الآخرى - بعبارة " الرجعى " ^(٣) . إن نهيت عن المنكر المشهود امامك يتهمونك بهذه التهمة المشهورة ، وبدأ الناس يهدد بعضهم بعضاً لأن وجود الحرية اعطى لهم هذه الفرصة . وقد كان في السابق اناس من الفساق يعملون السيئات باسم السلطان ، واصبح اليوم معظم هؤلاء من الاحرار العظام ، ويتهموننا بالرجعية^(٤) والحماقة ، ارحموا وفكروا ما سينتج هذا الواقع ، ولن تستمر الحياة بهذا الجهل ، انظروا العصر ، فانه عصر العلوم يابنى لتبدأ تربيتكم من الأسرة وإلا فلافائدة من اعلان الحرية كلكمة جافة ، وينبغي أولاً هضم فكرة الحرية جيداً وادراكها^(٥) .

ويقول عاكف في الجزء المسمى بعلى كرسى السلمانية الذى بدأ نشره اعتباراً من ١١ / ١ / ١٩١٢ في بيان احوال المسلمين : " هناك أمور غير معقولة لا يمكن تصويرها كما هي ، يعملون انواعاً من الاعمال الموجبة للهزء باسم السلطة أو الدين ، وماذا كان حال الأيام في السابق ، امام انتشار المصائب والرذائل ، والزعيم شخص رمزى . ومستقبل الملة في ايدى قلة قليلة من رجاله يعملون كما يشاؤون ، ويتبعون سياسة ضعيفة يستطيع حتى ضعاف الناس أن يلحقوا بها الأذى وهناك اشخاص من المهرجين اشتهروا واصبحوا مستشارين لأصحاب الاخلاق السيئة ، منهم اصحاب الحانة ، والحريص ، والشريير واصحاب الوجه المستعار ، يعينون في ديوان السلطان فى المناصب العالية أو يصبحون وزراء . كانت احوال الأمة سيئة جداً كما شاهدناها ، ليس هناك عمل لكسب المعيشة ولا مال لشراء الخبز ولا سكن للجنود ولا الدوائر الحكومية

(١) ديوان الصفحات : ٧٣ × ٧٤ . (٢) المرجع السابق : ١٠٤ .
 (٣) وفى الطبعة الاولى : المستبد (٤) فى الطبعة الأولى بالاستبداد
 (٥) ديوان الصفحات : ١٠٦ .

ولا المدرسة قديمها وحديثها ، ولا سيف ولا قلم وكل ما تسأل عنه فهو غير موجود لا تربية فى الجيش ولا يمكن أن تكون ، لأن احد هم يمضى عمره فى رتبة " الملازم " وصاحبه يصل إلى رتبة " الفريق " لالتحاقه بالحزب من أيام دراسته . فيقدم بسرعة هائلة بدون حق ، وإن وجدت وظيفة شاغرة فى رتبة " المشير " يصدر قرار بتعيينه أما مجال العلوم فهو اسوأ مما ذكرنا . فإن منصب دار الافتاء يجمع مجموعة من الاميين . يأخذ شهادته العلمية اعتبارا من يوم ولادته ، لأن ابن العالم يصبح عالما يشبه جده ، يشتري عمامة ليلبسها ويعين كقاضى عسكري (رئيس العلماء) ، أما الوزراء فمنهم جاسوس ومزور ، وبسيط الشخصية لا يتقى الله ولا يستحى أبدا لا يعرف شيئا عن الدين وليس فى ذهنه فكرة عن أمور الحياة لا يقرأ ولا يكتب ، كأنهم عصابة المجرمين ولا ينبغي ذكر شىء اكثر من ذلك . . . ولكن الاكثرية العظمى منهم البلهاء وقلة قليلة اصحاب العقول (١) .

وبعد تصوير العثمانيين من كل جانب حكومة وشعبا ، كتب عاكف قصائد اعتبارا من عام ١٩١٢ ونشرها على حلقات على لسان سائح مسلم يقول فيها :
 " إن مسلمى بلاد الهند قالوا لى : لا تقارنوا بين الإسلام المنتشر فى بلادنا وبلاد الترك لأن فيكم دماء تدور بروح الشجاعة ، وليس فينا هذه الحماسة والدماء ، كأننا محكوم علينا بالذلة إلى يوم القيامة ، لأن معظمنا لم يحس ما اصابه من الخسران ، ولكن لنا أمل فى عظمة العثمانيين ، وأنا بكيت كثيرا حين سمعت قول الرجل . . . " وذكر حماسة شباب بلاد الهند ثم قال : " كنت فى حيدر آباد . وصلت الاخبار بأن السلطان اعلن القانون الاساسى (اى الدستور) وانتشرت الروايات ، وأنا كنت اشك فى صحة هذا الخبر وأقول : هل يمكن هذا ؟ واحاول اقناع نفسى و اقول : " ربما " واستمر النزاع فى ذهنى بين اليأس والأمل فصرت افكر كثيرا واصبحت اعيش فى حماسة واعتبر هذا الخبر كالرؤيا المنامية وقلت لنفسى : لعل اصرار الشعب تحول إلى شكل التهديدات ونتيجة لذلك اعلن السلطان الدستور . ثم اقول : أين هذا الشعب الذى يتحرك ويهدد السلطان ؟ هذا لا يمكن . ولكن حينما ايقنت بصحة الخبر قلت : هذا من مظاهر قدرة الله تعالى فى الأمور الجارية ، وليس من أمر السلطان ولا من أمر الشعب بل هذا سر من اسرار قدرة الله فوق عقول البشر . اللهم اكتب السرور لأولاد بلادى اليائسين ، ثم بكيت كالأطفال ، ثم وجدت هدوء اعصابى

وضميرى . وقصدت السفر إلى استانبول عن طريق البحر . . ، وطردت جميع
الظلمات من روحي ، وتغلبت على اكبر عدولى وهو اليأس . . . ، وكأنى شاهد
استانبول المطفعة بالظلام من بعد ثلاثة آلاف ميل ، كأنها الآن بدر من بعيد . ،
واصور الحال فى ذهنى فاقول : ليس هناك ذلة ولا سوء بعد اليوم ، بل هناك
عظمة وحياء طيبة ، فتحت مدارس لا حصر لها . يدرس فيها الجميع من البنين
والبنات وتعمل المصانع وتنتج ، وتنشر الآثار النافعة ليلا ونهارا . وتطبع
بلا انقطاع . وتنشئ الشركات لعمارة البلاد من اقصاها إلى اقصاها ، وأسست
الجمعيات الجديدة لارشاد الشعب ، وتحقيق مصالحه ، وتحمل السفن إلى
السواحل ثروات لا حد لها . وهكذا كنت احلم وأنا على الحصير . شاهدت فورا
فى جوارى جاسوسا روسيا من اعداء المسلمين . قال لى مرة قبل ذلك : أيها
العالم ، إن الرجل المريض قد مات وليس له وارث شرعى غير روسيا وبكيت من
هذا الكلام كثيرا فى ذلك الوقت ، وفى هذه المرة قلت له : لقد وجد المريض
صحته ، وأنت طبعا لا تتوقع ذلك ، ولكن كما تشاهد ، تحركت الأمة الشجاعسة
ولو قليلا . وسكنت أصوات الطيور الجارحة آكلة الجيف ، ينبغى على روسيا نسيان
خيالاتها السابقة واجابنى قائلا : ماذا تقول أيها التترى الغارق فى الخيالات؟
أنت تقول عن الأتراك أنهم شعب شجاع ، ولكنى إن شرحت لك جميع أفكارى
فسوف تترك كل ما تتخيله من الآمال ، أنت تتكلم عن صحة المريض ونشاطه ، فى
الواقع ليس لهذه الامة المفلسة حق الحياة ، أما الاصوات المرتفعة باعلان
الحرية فانها آخر نفس لها ! صدقنى لن تعيش هذه الدولة الميتة فى صحارى
البلاد العربية فى آسيا " ، ويستمر عاكف فيقول على لسان هذا السائح : ثم
وصلت إلى استانبول وشاهدت ان جميع الاسواق والاحياء تعج بالاصوات
المرتفعة بمناسبة اعلان الحرية ، أصبح الجميع كالمجانين من فرط الحماسسة ،
وضاع العقل ، وكل من شاهدته يعمل اعمال المجانين ، لم يفكر احد فى عاقبة
اعماله بل اصبحوا كالسكارى واحمرت العيون من كثرة التفكير فى الخيالات
كأن المجانين خرجوا من محبسهم بعد قطعهم رباطهم أو هدموا جدران
السجن وخرجوا إلى الشوارع ، وبعضهم ينفخ آلة طرب وأهالى استانبول
يمشون خلفهم من الاطفال إلى الشيوخ ومجموعات يقومون بالمظاهرات رافعين
الرايات ، واكثر الناس عقلا من بينهم يعمل اعمالا لا يعملها المجانين ويخطب
على كل حجر مرتفع خطيب باصوات مزعجة وبكلمات لافائدة فيها ، ويجتمع حوله
مجموعة من الجبناء ويصفقون حينما يسمعون كلام الخطيب بلا تفكير ، ويصرخون

بقولهم : " يعيش " . من ؟ ، من له عمر فهو يعيش ، ثم يصفقون مرة أخرى . ليس في الدوائر الحكومة سلطة ، ولا عمل في الشعب ولا مصانع ولا معارف ولا تجارة . أصبحت مدينة استانبول كأماكن خاصة للسواح ليست فيها شرطة ولا رابطة بين الناس ، ولو جرت الدماء كالسيول فليس هناك علاج لمنع النزيف ، واغلقوا المدارس جميعها قائلين : ينبغي على طلاب العلم أن يتذوقوا الحرية أكثر لأن تعليم العلوم بالتضييق يعتبر في نظرهم استبدادا . وياطلاب العلم أصبحتم احرارا بلا حد ، والاساتذة يلقون محاضراتهم ، والطلبة يسرعون من ميدان إلى ميدان ليسمعوا الخطباء فيه ، ويتكلم الجميع كما يشاءون بلا قيد ولا يضرهم في نفوسهم شيئا ، يشتم الأدباء بعضهم بعضا ، والجرائد تزرع التفرقة بين الشعب والمفسدون يعملون الفواحش ، ويهاجمون الدين ، وتسافر الأسر - خصوصا مع بناتها - إلى أوروبا . وحينما شاهدت ذلك كله انهارت جميع خيالاتي .

ويقول عاكف على لسان واعظ يعظ في المسجد : حافظوا على الحرية والاستقلال قبل أن تضيعوا أيها الجماعة واسمعوا احوال الأسرى في البلاد الأخرى . وقدروا قيمة كونكم اصحاب سلطة في بلادكم وإلا فستضيع الدنيا والدين ، ولن يبقى الإسلام ، ويحيط الخسران المبين بالأمّة الأسيرة (١) . لقد أصبحنا مثلا امام الجميع ، من أراد العبرة يكفيه أن يشاهد ظروفنا ، انظروا بعين العبرة ماذا كانت هذه الأمّة في الماضي ؟ وماذا أصبحت الآن ؟ لا جانب يحتقروننا . لأن السائلين الذين يتكفون الناس أكثر منا شرفا (٢) " وأشار عاكف إلى اعمال الاتحاديين في مجال التعليم ، وبين ضرورة وجود المدارس الدينية و المدارس العامة ثم عبر عن احوال المدارس القديمة وعدم فائدتها ، ولكن اصحاب السلطة هدموا المدارس الدينية و اظهروا بأنهم سيبنون على انقاضها مدارس حديثة . وفي الواقع لم يبنوا شيئا لأنهم عاجزون حتى عن بناء بيت للطيور ، ويضيف عاكف قائلا : لأن من اعمال الثوريين الهدم و اشعال الحريق ، ومن لم يقل لهم " أنتم حمقى " فهو احمق فهل يكون الهدم شرفا للإنسان مثل البناء ؟ ولا شك يستطيع الهدم أبسط الناس حتى العاجزون لو ائنا طلبنا هدم قبة مسجد السلمانية وأمرنا بهدمها لاستطاع ذلك اثنان من العمال . أما البناء من جديد فلا يمكن ابدأ ، إلا حينما تحصل على

(١) انظر ديوان الصفحات : ١٤٧-١٥٢ بتصرف .

(٢) المرجع السابق : ٢١٣ .

السلطان سليمان والمعمار سنان - بأني ذلك المسجد - فهل في قائمة اسماء الثوريين شخص يشبههم ؟ طبعاً لا ، وماذا فيكم ؟ الكلام الكثير فقط . وأنا غني عن الحاجة إليه . بل اسكتوا لأنني لا أريد سماعكم . . (١) .

وقد انتشرت كلمة " الرجعية " أيام عاكف ، واتهموا المسلمين المخلصين بها . وعن ذلك تكلم عاكف على لسان احد العلماء في عصره حينما قيل له : أيها الإمام أنت رجعي فأجاب قائلاً : الحمد لله أنا رجعي . . ، احمد الله على ذلك لان الحمد في موضعه " وذكر مثالا من تاريخ الإسلام وقال : " قيل في أيام الإمام الشافعي ، يعتبر حب اولاد الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات الرافضة ، قال الامام : إن كان حبهم من صفات الرافضة فأنا أحبهم ولواتهمني بها أهل الأرض والسما جميعاً " ، ثم يقول عاكف : " إنني لا استطيع الثناء على بلادى الخربة ، أين البلاد المعنورة ، لماذا اكتب دائما عن الخراب ؟ إن الملة تطلب تطبيق العدالة وتسألها كالمسائل الذي يتكف الناس وفي مثل هذه الظروف لن استريح أبداً ، ينبغي علينا أن نكون واقعيين إن التصريح بكلمة " يعيش " لن يحل شيئاً من المشكلات ولن يداوى شيئاً من الأمراض ، لافائدة من هذه الدعايات ولو وصل عددها إلى آلاف ، وقد تستمر خطب الخطباء ساعات طويلة ، نستمتع ثلاث ساعات بلا تعب وجميع الافكار تدور حول كلمة " يعيش " كعلاج في جميع المسائل والخطيب كالطير السكران يتكلم دائما بلا توقف (٢) .

وطالبوا من عاكف أن يطيع سلطة الاتحاديين وجميع مبادئهم . فرد عليهم بأنه لافائدة من الدعايات الفارغة وقال - على سبيل التمثيل - : لو كان الإنسان يتذوق طعم العسل بترديد كلمة عسل ، لما كنا نهتم بوجود النحل أو عدم وجوده ، ولكن أولاد الملة يبكون من شدة الألم وأنتم تفرحون وتتغنون باعلان الحرية . أنا لا أحب الظلم ، ولا أحب الظالم أبداً . ولن اهاجم السلف (٣) من أجل خاطر الخلف (٤) . . ، ولن أكون وراء قلة قليلة من عديمي النسب ككلب الصيد . ولن اعبد الظلم تحت اسم الحق أبداً ولو كانت نتيجة ذلك الموت وأنا عاشق الاستقلال من يومو لادتي ، ولم يستعبدني احد بسلسلة من الذهب يطوق بها عنقي صحيح أنني حلیم الأخلاق ، ولكن من قال لكم أنني ضعيف

(١) ديوان الصفحات : ٣٣٠ . (٢) المرجع السابق : ٣٣٠ .

(٣) يقصد من السلف السلطان عبد الحميد .

(٤) هم الاتحاديون من الزعماء والقادة .

العقل ارضى أن أساق كالغنم ؟ من الممكن أن يقطع عنقى ، ولكن لن يمكن اطالته ابدا . حينما ارى جرحا ينزف بالدم ارحم صاحبه من اعماق ضميري ، واجاهد لمنع النزيف وفى هذا السبيل قد أضرب فأتحمل ضربات السوط أو الركل بالاقدام ، ولا اقول لنفسى لا يهكم هذا ، اتركه وامضى فى طريقك ، بل اهتم بالمجروحين . انتصر أحيانا ، وافشل أحيانا ، ولكن فى النهاية ارفع الحق إلى مكانه العالى ولا اتركه ضائعا ، أنا عدو الظالم وفى نفس الوقت أحب المظلوم هل كل ذلك من ضمن " الرجعية " فى لغتكم ؟ ، إن كانت هذه الرجعية فأننا رجعى ، ولا أخاف أن يسمع العالم كله كلامى هذا ، بل اكثر من ذلك أنا رأس الرجعيين موتوا بغیظكم ومزقوا انفسكم من الغضب هيا فليعجل قانونكم بإعدامى شنقا (١) . . ، وبهذا الاسلوب رفض عاكف اعمال الاتحاديين .

ويقول عاكف على اسلوب الحوار مع احد الاساتذة : لقد اصبحت الآن من جيل المستبد وتدافع عنه كأنك من نسله ؛ أما نُفيت إلى أماكن بعيدة قبل ذلك لكونك من بين المدافعين عن الحرية ؟ أما الآن فقد اصبحت من مخالفي الحرية (٢) . . ، وتحدث عاكف عن قول الاتحاديين بأنهم تسلموا حينما وصلوا إلى السلطنة بلادا ضائعة . ودولة تشبه مركب البحر القديم يبحث عن الساحل ليصطدم به ، ولا يمكن السفر به لأنه معرض للغرق . . ، ثم يجيب عاكف على لسان أحد العلماء على كلامهم قائلا : هل بقى مكان لم يفرق ؟ تنتقدون الادارة ، السابقة (أيام السلطان عبد الحميد) إن كنت تستطيع احياء تلك الأيام فلا تتردد فى ارجاعها ، مرحبا بتلك الأيام من جديد فلتبعثها مرة أخرى إن كنت قادرا على بعثها ، لقد ساءت اليوم أحوال البلاد ، فاكثر افراد الأمة لا يملكون فى جيوبهم خمس هللات يتجولون فى النهار جوعانين بلا عمل وفى الليل يتجولون بين المنازل للحصول على لقمة عيش . المسئولون يعملون خبزا من الشعير المخلوط بالقمح ثم يقدمونه أمام الشعب كخبز من النوع الممتاز وعملوا دعايات عن طريق خطبائهم فى الثناء عليهم . انتشرت الأمراض ، والقمل والفقر وأنتم تقفون موقف المتفرج ولا تقومون بمعالجتها ، وتحتجون بأن الأيام أيام حرب ، لم يكن الإنسان يموت فى ذلة هكذا فى الادارة السابقة . أما الآن فالأحياء يستلقون فى ذلة فى جانب والاموات فى جانب آخر وهم متروكون لم يدفنهم أحد . ولقد نفيت فى السابق من أجل المطالبة بالحرية . . ، ولكن

الحرية التي كنت انتظرها غير هذه الحرية الحالية " ، ثم صور عاكف بعض اعمال
الشيوريين وتحدث عن كبار رجال الاتحاديين الذين يعتبرون دهاة الحزب
عندهم وبين أنهم عصاة قليلة لا يزيدون عن الثلاثة . أحدهم اجتماعي وثانيهم
سياسي عظيم في زعمهم ، والآخراقتصادي يعتبرونه جامع العلوم وليس هناك
شخص آخر غير هو^١ ، ولن تحصل على فيهم ولو بحثت بحثا دقيقا . وبقيّة
المجالات كلها شاغرة ، وهكذا اعتبرهم عاكف قلة قليلة من الجهال وصلوا إلى
السلطة (١) .

ومعنى ذلك أن عاكفا لم يتخذ منهج الاتحاديين منهاجا لنفسه ، ورفض
جميع اعمالهم من القتل والشقاق والتفاق وسوء الأخلاق ، وتعامل معهم في فترة
معينة من حياته في مجال الثقافة بالقاء الدروس والمحاضرات في ناديهم
الثقافي ، وقيل إن عاكفا سجل اسمه عندهم تحت الضغط ، لأن بعض اصحابه
نهبوه قائلين " إن اردت الحياة في الدنيا فسجل نفسك في الحزب ، وإلا فسوف
يقتلونك " وظاهر ما ذكرنا انه تركهم ، ولكن بعد فوات الأوان ، بعد أن قاموا
بتضييع البلاد .

كما أنه يظهر ما ذكرنا أن الجمعية اعلنت مبادئها ، وبدأت تسجيل
الاعضاء بعد اعلان المشروطية ، ووعدت بالحرية في حدود الشريعة وبخلاص
الوطن من الضياع كما وعدت بالاصلاحات في جميع المجالات . وأمام هذه
الدعايات ايدها كثير من المثقفين والعلماء ومشايخ الطرق الصوفية وكانوا
يأملون خلاص البلاد عن طريقهم رغم عدم صراحة نياتها وزعمائها الحقيقيين .
ولم يهتم عاكف بهذه الجمعية قبل ثورتها . ويقال إنه كان يحضر دروس عاكف
في نادي الجمعية اكثر من مائتي تلميذ (٢) ، ولم يشاركهم عاكف في افكارهم من
التفريب والطورانية ، ولم يشارك حركتهم الثورية بل اعلن معارضته الشديدة
لهم . وحينما وصل حزب الاتحاد والترقي إلى السلطة أبعده عن عمله في كلية
الآداب باستانبول بسبب مخالفته لآراء الحزب ، ولم يفسحوا له مجالا لطبع
مجلته بل منعوا عنه أوراق الطبع ، ومنعوا المجلة من الصدور عدة مرات ، واستمر
منعها عن الصدور في احدى المرات ثلاثة وعشرين شهرا (٤) . ومنعوا نشر

(١) انظر ديوان الصفحات : ٣٣٨-٣٣٩ .

(٢) محمد عاكف لأشرف اديب : ٦٠٣/١ (٢) المرجع السابق : ٥٩١/١-٥٩٢

(٤) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ٢٦٨ ، ٤٦/١ ، عاكف نامه : ٥١ ، محمد

عاكف لمدحت جمال : ٧٤-٧٥

مقالاته ، وبعد منعهم مجلته عن الصدور نشر عاكف مقالاته بعنوان آخر للمجلة وهو " سبيل النجاة " .

وفي الواقع كان هناك خلاف بين الاتحاديين وبين عاكف من بداية انقلا بهم ، وقد ظهر هذا الخلاف أولاً في معارضته لنص القسم لأن من اراد أن يدخل الجمعية كان ينبغي عليه في نظرهم أن يحلف مربوط العينين على القرآن والسيف . ويعتبرونه يمين الصداقة (١) . ويعلنون بلسانهم الطاعة المطلقة لأمر الحزب ومبادئه . ورفض عاكف كما ذكرنا هذا القسم ، فغيروا صيغة القسم : ويلاحظ أن عاكفا ومعظم العلماء دخلوا في هذا الحزب من مبدأ الأمر ثم خرجوا منه حين أدركوا حقيقته وليس عاكفا ولا غيره من العلماء ماسونياً ، وهذا أمر واضح من آثاره وأعماله واتجاهه وسلوكه .

(٣) موقفه من حركة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده :

قدم جمال الدين الافغانى استانبول للمرة الأولى فى اواخر عهد السلطان عبد العزيز . والقى محاضراته . ويذكر محمد باشا المخزومى تفصيل اعمال الافغانى من أن له ملاقة مع الصدر الاعظم على باشا والأمراء والوزراء وفى رمضان عام ١٨٧١ رغب إليه مدير دار الفنون تحسين افندى أن يلقى فى الجامعة خطاباً للبحث على الصناعات ، ثم انشأ الافغانى خطاباً ، فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس إلى دار الفنون وحضر الحفل جم غفير من رجال الحكومة واعيان أهل العلم وارباب الجرائد . وحضر فى الجمع معظم الوزراء . والقى جمال الدين ما كان اعده . . ، واشاع شيخ الإسلام حسن فهمى افندى أن جمال الدين زعم ان النبوة صناعة لأنه ذكر النبوة فى خطاب يتعلق بالصناعة" واصر الصدر الاعظم امره إلى جمال الدين مكرها بالجلالة عن استانبول . واضطر أن يبارحها متفياً إلى مصر فى أول محرم سنة ١٢٨٨ ، ١٨٧١م (٢) .

وكتبت جريدة " الوطن الصادرة فى استانبول بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٩٢٤ مايلى : رائد اليقظة الافغانية الحديثة وداعية الشرق الشيخ جمال الدين

(١) اثر السنين : ٢٦ .

(٢) انظر خاطرات جمال الدين الافغانى : ١٢-١٦

الأفغانى - نبذة من حياته فى تركيا - (صديقه القديم برهان قليج خان)
 الشيخ جمال الدين من المجاهدين الذين كرسوا حياتهم لخدمة شعوب الشرق
 المظلومة فى ميادين التجديد والديمقراطية ، وكان جمال الدين من جلمة
 العلماء والساسة الذين يهدفون إلى التوفيق بين الشريعة الاسلاميه والحضارة
 الغربية ، وكان قد اختير - إبان اقامته فى استانبول - عضوا فى مجلس المعارف
 الأعلى .. ، وكان يلقي دائما الخطب والأحاديث الموقظة المنيرة لأذهان اخوانه
 من الترك والاجانب فى مجلس المعارف كما كان يفعل ذلك فى أماكن أخرى مثل
 (جامع الفاتح الكبير) فى مجلس حضره بعض رجال الدولة والعلماء وكسبوا
 المسلمين ، وانشد هذين البيتين للمولوى ثم ترجمهما : (بيتان فارسىان فى
 الاصل ترجمتهما) : " علم الحق مندمج فى علم الصوفية ، ولكن كيف يصدق الناس
 هذا الكلام ؟ " وكان الاستاذ يونس وهبى افندى - الذى كان من الصدور - ممن
 حضروا تلك الندوة العلمية فنقل ماسمعه سرا إلى شيخ الإسلام حسن فهمى
 افندى فى عبارات مغرضة مما حمل شيخ الإسلام على أن يوعز إلى السلطان
 عبدالعزيز باصدار الأمر بنفى العلامة الشهير (ويحكى ان الاستاذ يونس قد
 ندم على ما ارتكبه واستغفر لذنبه) (١) ويبدو مما ذكرنا أن الأفغانى فى أثناء
 مقامه فى استانبول أخذ يتقرب إلى الخليفة وإلى عدد من الشخصيات
 السياسية وظهر خلاف بينه وبين الشخصيات الإسلامية من العلماء وعلى رأسهم
 شيخ الإسلام ودافع عنه بعض المفكرين فى تلك الأيام ، والبعض الآخر بعد وفاة
 الافغانى بفترة طويلة .

وكتب محمد عاكف مقالين فى الدفاع عن جمال الدين الأفغانى ونشرهما
 فى مجلة الصراط المستقيم العدد : ٩٠ بتاريخ ٢٦ / ٥ / ١٩١٠ والعدد : ١
 ٢ / ٦ / ١٩١٠ ، بعنوان : " جمال الدين الافغانى " و " المحادثة " . ودافع
 فيهما عن الأفغانى واعتبره من اكبر علماء الشرق ، وأشار إلى عدم صحة قول
 التائل بأن الأفغانى ملحد ومنكر للنبوته . يقول عاكف فى مقاله بعنوان " جمال
 الدين الأفغانى : اريد أن احدثكم اليوم بكلمات قصيرة عن المرحوم جمال الدين
 الأفغانى الذى إن لم يكن اكبر شخصية نشأت فى الشرق فلا شك فى كونه
 من اكبر الشخصيات لم يره كثير من الناس فى مجتمعنا ولكن فى نظرى ليس
 هناك شخص من بيننا لم يسمع أخباره ولم يعرفه . ومن المحتمل أن يظن

فرائى الكرام أنهم سيجدون فى هذه السطور معلومات عن جمال الدين من نواحى حياته الشخصية والعلمية والسياسية وسوف نكتب فى المستقبل إن شاء الله عن حياته مفصلاً (١). اما ما اردت كتابته اليوم فهو إزالة الشائبة التى اتهموه بها ، وبيان حقيقة الفرية الصادرة فى حقه ومكان صدورها . ولجمال الدين آثار كثيرة بين المطبوع وغير المطبوع من الرسائل والمقالات والخطابات ولكن اعظم آثاره وانفعها فى نظرى هو مفتى مصر الشيخ محمد عبده ، ومثال ذلك أن الشاعر التركى شناسى قد ادى خدمة عظيمة لملته بالأثر الذى تركه ، وهذا الأثر هو الشاعر التركى نامق كمال الذى نشأ نتيجة مجهودات استاذه . وكذلك ترك جمال الدين هدية قيمة للعالم الإسلامى وهى المفتى المرحوم . ومن أين للشيوخ محمد عبده هذه الافكار ، ومن أى مصدر كان يأخذ الفيض المتحمس والبيان السحرى الذى كان ينفخ روح العمل والشهامة فى الارواح ، العاطلة ؟ لا شك انه كان يأخذها من افكار استاذه الكبير جمال الدين . وقد صادف قدوم جمال الدين إلى استانبول لأول مرة أيام كون على باشا الصدر الاعظم . وكان المرحوم يأتى مجلس على باشا فى الزى المحبوب الخاص للأفغانيين . وعرف له فضله واعتلى إلى اعلا مقام الشرف فى المجلس واحترموه بما لم يسبق لمثله من الحاضرين فى المجلس ، ولم يكن على باشا وحده هو الذى يقدر قيمة جمال الدين ، بل اعجب به فى استانبول فى تلك الأيام الأمراء والوزراء وكبار الرجال خصوصا من ناحية علمه ودرايته وكرمه . وذلك رغم كون الرجل غريبا بينهم بعاداته ولباسه ولغته ، وبعد مضى ستة اشهر من قدومه إلى استانبول عينوه عضوا فى مجلس المعارف . وبين افكاره فى تعميم المعارف خلال هذا العمل بوسائل مختلفة بلا خوف رغم عدم موافقة الاعضاء الآخرين لرأيه فى هذا المجال . ورأى شيخ الإسلام فى ذلك الوقت أن افكار جمال الدين مخالفة لمنافعه الشخصية . لذا غضب عليه وبحث عن وسيلة لتحقير جمال الدين . وفى رمضان سنة ١٢٨٧ طلب مدير الجامعة تحسين افندى (الشهير بموسيو تحسين) من الشيخ المرحوم أن يلقي محاضرة فى الحث على الفنون والصناعات ، واعتذر جمال الدين إليه بضعفه فى اللغة التركية ولكن ألح عليه تحسين افندى ، وعلى ذلك أنشأ خطابا مفصلا ، ثم استشار كبار رجال الدولة ليعرف ظروف البلاد ، وبمناسبة افتتاح الجامعة حضر فى يوم محاضرة جمال الدين

(١) بيدو انه لم يكتب غير مقالين فى هذا الموضوع ، ولم يتكلم عنه غير ذلك مدحا او ذما إلا مرة واحدة فى ديوانه فى الجزء السادس .

كثير من الأمراء والعلماء والأشرف في استانبول واستمعوا إليه وحضر شيخ الإسلام في المحاضرة . وحينما بدأ جمال الدين كلامه على الكرسي ، تابع شيخ الإسلام كلامه بالدقة ليجد كلمة يمكن تأويلها على غير مقصود صاحبها قال جمال الدين أثناء كلامه : تشبه المعيشة الانسانية البدن الحى ، وكل صناعة من الفنون ، بمنزلة عضو من ذلك البدن . فهى تأتى من المنفعة فى المعيشة ما يؤدى به العضو فى البدن . فمثلا : الملك كالدماع الذى هو مركز التدبير والارادة ، والحدادة تشبه الذراع (العضد) والزراعة كالكبد ، والملاحة كالاقدام . . . ، ومضى جمال الدين فى سائر الفنون والأعضاء حتى اتى على جميعها بالتشبيهات البسيطة ، وقال فى النتيجة : هكذا تتألف بنية السعادة الانسانية كما يتكون جسم الإنسان . ولا حياة للجسم إلا بالروح وروح هذا الجسم أى روح سعادة البشرية إما بالنبوة وإما بالحكمة ولكنهما أمران مختلفان النبوة عطاء إلهى لاتنالها يد الكاسب بل يختص الله بها من يشاء من خلقه ويجعله اهلا لهذه الفيوضات (الله اعلم حيث يجعل رسالته) (١) أما الحكمة فمما يكتسب بالفكر واكتساب المعلومات . والنبي معصوم من الخطأ والحكيم يقع فى الخطأ واحكام النبوة آتية على ما فى علم الله تعالى ، لا يأتيتها الباطل من بين ايديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الإيمان واساسه ، أما آراء الحكماء فليس الاتباع عليها من الأمور الحتمية وتقبل آراؤهم حين لاتكون مخالفة للشرع وموافقة للعقل .

هذا هو ما ذكره جمال الدين متعلقا بالنبوة وهو موافق تماما لما اجمع عليه علماء الإسلام من الحقائق الثابتة . إلا أن شيخ الإسلام اشاع القول : بأن جمال الدين يزعم أن النبوة نوع من الفنون ، وعمل ذلك شيخ الإسلام لينتقم منه . واحتج لتثبيت اشاعته قائلا : انه ذكر النبوة فى خطاب له يتعلق بالصناعات . ثم أمر الوعاظ فى المساجد بالهجوم على الشيخ - جمال الدين وحاول جمال الدين الغريب اثبات براءته مما رُمى به . ورأى أن ذلك لا يكون إلا بمحاكمة شيخ الإسلام وذلك لظهور الحقيقة ولكن لم يسمعه أحد ، وكتبت المسألة فى الجرائد ومنها من يقف فى صف شيخ الإسلام . ومنها أعوان لجمال الدين . وأشار بعض محبى جمال الدين عليه أن يلزم السكون والصبر ويغض على الكريهة ، وأن طول الزمن يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها .

ويظهر الحق ، ولم يقبل جمال الدين . ولم يصبر لأن غيرته الدينية كانت عالية مثل علمه . والح في طلب المخاصمة . وصدر القرار السامى باجلائه عن استانبول حتى تسكن الخواطر ثم يعود إن شاء . واضطر جمال الدين الغريب أن يترك استانبول وهو مظلوم بجميع معانى الكلمة وذهب إلى مصر . وحينما يأتى دور الحديث عن جمال الدين فى المجالس يقال : كان عالما فاضلا سياسيا ولكن مع الاسف الشديد كان ملحدا . لأنه كان ينكر " النبوة " تقال هذه الكلمات بلا فهم للحقيقة أو ادراك لمعانيها ، هذه هى عاقبة الشائعات إن خاصتين تميزان بين الحق والباطل ، أولهما تدقيق الخبر والثانى تعميق النظر (١) ، وكتب عاكف مقالة أخرى بعنوان " المحادثة " وقال فيها : " كتبت بعض الكلمات عن جمال الدين الأفغانى فى الاسبوع الماضى وكان غرضى من نشر تلك المقالة . التعبير عن عدم جواز نسبة الإلحاد إليه . . . وقد أصبح من أخلاق افراد مجتمعنا المصادقة على جميع الأقوال الصادرة فى ذم الافراد إذا قيل مثلا فى شخص صحيح العقيدة - بدون خوف من الله تعالى - انه انسان طيب ولكنه ملحد . . . يصدق الجميع على هذا الكلام ويعرفونه بينهم بالإلحاد ولا يفكر أحد فى سبب وصفه بالإلحاد ولا فى كلماته أو اعماله التى ادت به إلى الإلحاد . ولا يتذكر أحد هذا الجانب وفى الحقيقة فإن من اصعب الأمور فى الإسلام نسبة الكفر إلى الاشخاص ، ورغم ذلك ، أصبح هذا الأمر فى مجتمعنا من اسهل المسائل خصوصا فى نسبة الإلحاد إلى الاشخاص المعروفين بفضائلهم وعلمهم ، ويعم هذا الوصف فى الاشخاص الذين يحسد هم الناس أو يرو نههم مخالفين لفكرهم وسلوكهم . فان قولنا عن انسان إن كلامه يؤدى إلى الكفر شىء والكفر الصريح شىء آخر . وكان يجب علينا أن لانتهم أحدا بالكفر ولو كان احتمال كفره ٩٩٪ واحتمال إيمانه ١٪ ، أما نحن فنعمل دائما عكس ذلك فى التطبيق ، ونتهم الناس بالكفر ولو كان احتمال كفرهم بنسبة واحد من ألف ونترك نسبة (٩٩٩) احتمالا من احتمالات إيمان الشخص . نذكر هنا مثلا : يتهمون الناس فى بلاد تركستان بالماسونية وفى بلاد الفرس بالبابية وهى تهمة غريبة ، فإن الشخصيات المتهمة بتلك التهم أو معظمهم فى العالم الإسلامى ، هم الذين بذلوا حياتهم فى الدفاع عن الإسلام . وأنهم كبار الأمة ومجاهدوها . لو دخل احد من الأجانب بيننا فقال : أيها المسلمون إن هؤلاء المتهمين من بينكم هم اكثركم عقلا وعلما وفضلا . وانهم يعملون لسعادتكُم

وانهم اكرمكم اخلاقا وسلوكا ولكنكم تتهمونهم بالماسونية و . . . ، فمعنى ذلك ، ان دينكم مخالف للعقل والعلم والفضائل فيماذا نجيب إزاء هذه الاقوال الصادرة منه ؟ . . .

إن أصحاب الأقلام الذين يدافعون عن الإسلام في بلاد مصر اليوم كلهم نشئوا في تربية جمال الدين ، وهو الذى اهدى إلى عالم التوحيد آلافا من المحررين والمتفكرين . . . ، لم يتركوه على راحته لافى بلاد الافغان ولا فى بلاد الهند ولا فى أوروبا ولا فى أراضى الدولة العثمانية . ولم يعطوه فرصة الاقامة فى أى مكان لو كان يتوقف عن حركته فى ايقاظ المسلمين أو يقلل نشاطاته أو يتوقف فترة عن سياسته المعلنة لكان له امكانية الاقامة فى الرفاهية كما يشاء فى المكان الذى يختاره هو . ولكن هذا الرجل العظيم واجه جميع الصعوبات فى عصره لتحقيق غايته وتحمل الفقر والمشاكل بعزيمة صادقة وفى الواقع لا يصبر غيره أمام تلك الظروف إلا تحت الاكراه كأنه شهيد وفى نفس الوقت ذو حياة فى الدنيا .

وقد اتهم الشيخ محمد عبده بما اتهم به جمال الدين ، وأنتم تقروءون آثاره المنشورة على حلقات من سنتين بين صفحات مجلة الصراط المستقيم ، أخبرونا بالله هل وجدتم جملة أو مقالا يويد الاتهامات الموجهة إليه ؟ يقول البعض : لم يكن زهد الشيخ - محمد عبده - فى مستوى علمه . يمكن التصديق على هذا القول ، ولكن لو قضى الشيخ حياته كلها فى الاعتكاف والاشتغال بالنوافل من العبادات ، فهل يكون هذا العمل انفع للعالم الإسلامى ؟ وفى رأى ان ثواب الدفاع عن حقوق المسلمين فى المغرب ضد " موسيو هانوتو " أكثر من اجر نوافل العبادات التى يستمر صاحبها عليها خلال عصور . أما تعرفون أن عمر رضى الله عنه قال لأبى قلابة من التابعين " خير لى أن اراك فى كسب نفقات اولادك من أن اراك معتكفا فى ركن من اركان المسجد ، او كما قال - نفكر الآن : كان ابو قلابة سيكتسب معيشة الاسرته المكونة من ثلاثة أو خمسة اشخاص ، ولكن الشيخ عبده كان مضطرا للعمل لحياة ثلاثائة مليون مسلم كاسرة واحدة .

لا يوجد اليوم جمال الدين ولا محمد عبده ، وليس للعالم الإسلامى

صاحب، وأصبح غريبا جدا، وعلينا ان نذكرهم وامثالهم من كبار الأمة بالرحمة والاحترام وذلك لكيلا يتوقف الناشئون من الشباب عن جهادهم في حياتهم ولنشر الذكريات الطيبة والآمال الجميلة فيهم وقد قال لى احد الأوربيين قبل ثلاث. أو خمس سنين : " أنتم لا تقدرون قيمة أصحاب الفنون والصناعات وأنتم معذورون فى ذلك، ولكنكم لا تقدرون قيمة أصحاب العمل والخدمات وهذا خطأ كبير جدا، ولاعذر لكم فيه " ، قال تعالى : (فاعتبروا يا أولئى الالباب) (١) الآية (٢) . ونفهم من المقالين المذكورين لعاكف ، انه كان يحسب جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ويطلب من الأمة الإسلامية أن تقدروهما وتحترمهما ونذكر هنا بعض الكلمات لبيان حقيقة هذين الشخصين ، ونبدأ بكلمات السلطان عبد الحميد من معاصرى عاكف والأفغانى ومحمد عبده . يقول السلطان : " وقعت فى يدى خطة أعدها فى وزارة الخارجية الانجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغانى وإنجليزى يدعى بلند ، قالافيهما بإقصاء الخلافة عن الأتراك ، واقترحا على الإنجليز اعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين وكنت اعرف جمال الدين الأفغانى عن قرب . كان فى مصر ، وكان رجلا خطرا اقترح علىّ ذات مرة - وهو يدعى المهديّة - أن يثير جميع مسلمى آسيا الوسطى . وكنت اعرف أنه غير قادر على هذا ، وكان رجل الإنجليز ، ومن المحتمل جدا أن يكون الإنجليز قد اعدوا هذا الرجل لاختبارى . ورفضت فوراً ، فاتحد مع بلند . استدعيته إلى استانبول عن طريق أبى الهدى الصيادى الحلبى ، الذى كان يلقي الاحترام فى كل البلاد العربية قام بالتوسط فى هذا كل من منيف باشا ، حامى الأفغانى القديم ، وعبد الحق عامد ، جاء إلى استانبول . ولم اسمح له مرّة أخرى بالخروج منها" (٣) لكن الإنجليز بدؤوا يأخذون على عاتقهم التحرش بمسألة الخلافة . متخذين من جمال الدين الأفغانى وسيلة لمآربهم كانوا يريدون الوصول إلى غايتهم باحتواء أمير الحجاز (٤) . هذا هو الفرق بين نظر عاكف إلى الأفغانى من ناحية علمه وفضله وزيه . ونظر خليفة المسلمين ابعده واعمق من نظر غيره من الناس ، وهناك وثيقة من الوثائق المكتوبة بخط جمال الدين وهى خطاب منه إلى ارباب المجمع الماسونى يرجو فيه قبوله عضوا فى هذا المجمع والخطاب

(١) سورة الحشر: ٢ . (٢) مقالات محمد عاكف : ٣١-٣٤ .

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب : ٦٧-٦٨ .

(٤) المرجع السابق : ٧٢ .

باللغة العربية ، وفيما نصه : " يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسنة جمال الدين الكابلي الذي مضى من عمره سبع وثلاثون سنة بأني ارجو من اخوان الصفا واستدعى من خلال الوفا أعنى أرباب المجمع المقدس الماسونون الذي هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا على ويتفضلوا إلى بقبولى فى ذلك المجمع المطهر، وادخالى فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل . سنة ١٢٩٢ هـ ربيع الثانى ، يوم الخميس ، ٢٣ توقيع : جمال الدين الكابلي (١) . وهذا الخطاب مكتوب فى عام ١٨٧٥ م فى اثناء زيارة جمال الدين الأولى لمصر . وهكذا انضم إلى الماسونية . . . ولا يعقل أن رجلا فى مثل سنه فى ذلك الوقت، وفى مثل ثقافته يجهل أهداف الماسونية ، وقد جاءه الرد التالى من كاتب سر المجمع يخبره فيه بقبوله عضوا فقال فيه : " لسوج كوكب الشرق فى ١٣٥٥ ، فى القاهرة بمصر و ٧ جنايو ١٨٧٨ / ٥٨٧٨ إلى الأخ جمال الدين محترم : إنه لمعلوم لديكم بأن فى جلسة ٢٨ الماضى وبأغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام . ولذا قد نهينى ونهينى ذواتنا على هذا الحظ العظيم ، وعن أمر الرئيس محترم الحالى أدعو اخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجارى الساعة ٢ عربى بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج ، لأجل استلامكم لقادوم ، بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادى ثم سيصير يوم الخميس (١٠) الجارى الساعة (٦) فرنجى مساءً تكريز رئيس محترم لوج كونكورديا فالرجاء حضوركم فى اليوم المذكور ، للاشتراك فى الأشغال وفى الحاليتين ملبسكم تكون سوداء ورياضة الرقبة والكفوف بيضاء واقبلوا منا العناق الأخوى ، كاتب سر نقولا سكبروج (٢) .

(٣)

وإذا كان جمال الدين قد قبل عضوا فى المجمع الماسونى فى عام ١٨٧٥ م ثم انتخب رئيسا لفرع الماسونية فى القاهرة فى عام ١٨٧٨ م ، فمعنى

(١) شهادات ماسونية لحسن عمر حماد : ٧٩ ، نقلا عن مجلة الاخاء الإيرانية العدد : ٤٥ ، السنة : ١٦ ، ١٨ ، ٩ / ١٩٧٦ ، مذكرات السلطان عبد الحميد الثانى ترجمة محمد حرب : ٢٠٧ - ٢٠٨ ، دعوة جمال الدين الأفغانى فى ميزان الإسلام : ١٧١ - ١٧٢ ، جمال الدين الأفغانى لعلى عبد الحليم محمود : ١٥٠ - ١٥١ ، جمال الدين الأفغانى لمحمود أبوريه : ٩٢ ، الاتجاهات الوطنية : ٣٢٨ / ١ ، صحوة الرجل المريض : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) يرى المناقش الاول لهذه الرسالة الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار : أن ادلة تكفير جمال الدين الافغانى و محمد عبده غير كافية والواجب هنا عدم الحكم عليهما بالكفر الا اذا ثبت ادلة يقينية تنجس من تبعة الشهادة يوم القيامة . وقد كتبت هذه الملاحظة بناء على طلبه .

ذلك أنه كان من الاعضاء البارزين ، وفى رأى عبد النعيم حسنين : أنه ممن المرجح أن جمال الدين لم يكن يجهل حقيقة الماسونية واهدافها فانضمامه إليها ، وظهوره فيها ، وتولييه رئاسة شعبة من شعبها لم يكن عن عدم وعى ، وإنما كان برغبة صادقة ، وتلهف عجيب على الانضمام إلى الماسونية (١) . وكان صديقا للإنجليز وبخاصة المسئولين فى حزب المحافظين . . . ، وكان يتردد على العاصمتين الإنجليزية والفرنسية ويقوم فى كل منهما غير أنه كان أكثر صلوة بالإنجليز (٢) ، ويقول مصطفى فوزى بن عبد اللطيف غزال فى بعض الأمور التى تتعلق بشخص جمال الدين : انه يدعو من خلال مخططات مرسومة من قبل الماسونية العالمية . فهو ما سونى قلبا وقالبا ولا يتحرك إلا بأمرها ، ولهذا كانت ترجمات الكثيرين متعشرة وادعاءاتهم باطلة . . . ، ومن صفاته : انه ماسونى عريق فى ماسونيته ولم يكن سطحيا أو هامشيا (٣) . ويقول محمد سلام مذكور : " عمل جمال الدين فى الجمعية الماسونية حتى تقدم فيها ونال درجة كبيرة وصار من الروساة ثم انشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنسى ، ودعا مردييه من العلماء والوجهاء إلى الانضمام إلى محفله (٤) ، ويقول محمد باشا المخزومى : كان جمال الدين قد انتظم فى سلك الجمعية الماسونية وتبنى فى المحفل الاسكتلندى وقال الافغانى فى ذلك المحفل : أما نحن معاشر الماسون فىوئلمنى أننى للآن ما عرفت لنفسى بصفتى ما سونيا ، ولا لمطلق الماسونية تعريفا يجعل لها صورة فى الذهن ، أول ماشوقنى للعمل فى بناية الاحرار عنوان كبير خطير - حرية مساواة إخاء (٥) .

وعمل فترة ثم : علم جمال الدين أنه لا يمكنه العمل مع أولئك الاخوان وهم على ذلك الخمول والتخوف أو الجبن ، فأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنساوى وفى برهة وجيزة بلغ عدد اعضائه العاملين أكثر من ثلاثمائة ممن نخبة المفكرين والناهضين من المصريين من مریدی جمال الدين من العلماء

-
- (١) حقيقة جمال الدين الافغانى : ٤٨ / ٢ .
 (٢) انظر حقيقة جمال الدين الأفغانى : ٢٩ / ٢ .
 (٣) دعوة جمال الدين الأفغانى : ١٩٨ - ١٩٩ .
 (٤) جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق : ١١٠ - ١١١ .
 (٥) انظر خاطرات جمال الدين : ٤١ - ٥٠ ، شهادات ماسونية : ٨٠ - ٨١ .

والوجهاء، وتكرس جمال الدين محترماً لمحفظه "، ومن الناحية السياسية تبع محمد عبده استاذة جمال الدين الأفغانى ، دخل معه المحفل الماسونى البريطانى ، ثم غادره إلى المحفل الشرقى الفرنساوى ، ثم ساهم مع استاذة فى تكوين الحزب الوطنى الحر الذى كان واجهة للمحفل الماسونى ، وبهذا فإن الاستاذ محمد عبده كان ماسونياً كبيراً . ويروى الشيخ بخبت مفتى الديار المصرية أنه استفسر الشيخ محمد عبده ذات يوم من اخريات أيامه عن الماسونية فنهره بشدة وتحذير تنمان على التأسف والتندم على ماسبق له من الانتساب إليها " (١) ، وفى سنة ١٨٤٥ أنشئ فى الاسكندرية (محفل القاهرة) تحت رعاية الشرق الاعظم الافرنسى والتحق به عدد عظيم من كبار العظماء ورجال البلاد الممتازين على اختلاف مهنتهم ومناصبهم وكان بين اعضائه الاستاذ الإمام محمد عبده " (٢) .

ومن ناحية أخرى : هناك أدلة على كون جمال الدين إيرانياً شيعياً . ذكرها عبدالنعيم حسنين ، وقال فى سبب نسبه إلى بلاد الأفغان وحرصه على هذا الانتساب : . . . وقد ادرك جمال الدين بفطنته ان انتسابه إلى بلاد الأفغان السنية المذهب يبسر مهمته فى دول العالم الإسلامى السنية المذهب وبخاصة تركيا ومصر ، لأن هذا الانتساب يضىف عليه صفة العالم الدينى السنى ويمكنه من دخول الدول السنية المختلفة معززاً مكرماً . ويفتح لدعوته آذان الناس وقلوبهم فى هذه الدول . . . وكان يكفى أن يعرف المسلمون فى العالم السنى أن جمال الدين إيرانى شيعى فلا يلتفت أحد إليه ، ولا يضىف لدعوته الإصلاحية مهما أوتى من علم ومنطق وبيان واضح . لهذا فضل جمال الدين الانتساب إلى بلاد الأفغان لأمر يتعلق بدعوته الإصلاحية فقد خشى أن يوءد كونه إيرانياً شيعياً إلى وضع العراقيل فى طريقه ويحول دون نشر دعوته وبلوغها الهدف المنشود " (٣) . " انه إيرانى الاصل شيعى المذهب وأنه كان يختفى فى ثوب أفغانى ويتخذ المذهب السنى ستاراً يحتمى به فى اثناء اقامته فى ديار الدولة العثمانية السنية (٤) . وحينما سئل :

(١) شهادات ماسونية : ٨٢-٨٣ ، راجع الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده : ٣٥

(٢) دعوة جمال الدين الأفغانى : ١٧٠ نقلا عن عشر سنوات حول العالم

١٣٧/١

(٣) انظر حقيقة جمال الدين الأفغانى : ١٢/١

(٤) المرجع السابق : ٢٥/١ ، انظر : ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ٥٦ ، ٥٧

من أى المذهب أنت ؟ أجاب قائلاً : إنى لم اعرف فى أئمة المذاهب شخصاً اعظم منى ، حتى اسلك طريقه " (١) .

وهذه اقوال بعض الكتاب فى علاقة محمد عاكف بجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : يقول حسين مجيب المصرى : " محمد عاكف مرید للشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغانى . وقد ترجم إلى التركية تلك الرسالة التى ردها رداً منيفاً على هانوتو ذلك الوزير الفرنسى الذى انتقد الدين الحنيف كما ترجم عن الاستاذ الإمام سورة العصر (٢) . ويقول محمد رجب البيومى : ولنا أن نوضح الآن نصيب عاكف فى معركة الاصلاح الدينى ، فنذكر أنه كان زعيم الحركة الإصلاحية التى ترى قيام الاصلاح السياسى والاجتماعى على سنن من هدى الدين الخالص . بعيداً عما اضافته الاجيال المتعاقبة من قيود مذهبية تكبل حركة التطور الفقهى ، وتقفل باب الاجتهاد استناداً إلى ما عـرف بالاجماع دون نظر إلى ما فى اصول الشرع من مرونة واتساع تجعل دين الإسلام صالحاً للزمان والمكان على تناسل الاحقاب . . " ، وفى الواقع ليست هذه من افكار عاكف ، فهو لم يكن فقيهاً ولم يشتغل كثيراً بالفقه واصول الفقه ولم يكتب عما ذكره صاحب المقال فيما نعلم . ويضيف محمد رجب البيومى قائلاً : وقد كان مذهب عاكف يعارض مذهبين مختلفين فى تركيا . مذهب الرجعيين من رجال القصر والمنتفعين بغنائم الحكم . . ، أما المذهب الثانى فمذهب الاصلاح القومى . وقد تزعمه ضيا كوك الب . . ، ومن اجل التطرف فى آراء ضيا كوك الب كانت حركة مذهب الاصلاح الدينى التى تزعمها محمد عاكف ذات صدى رنان فى توضيح مبادئ الإسلام ومثله . . ، لقد كتب ريشارد هرتمان الألمانى رسالة عما سماه ازمة اسلامية تشمل عرضاً لدعوات التجديد فى الحجاز والهند ومصر وتركيا . فكان من الطبيعى أن يبرز دور عاكف ويتعرض للموازنة بينه وبين أنصار المذهب القومى فيما ترجمه د . على حسن عبد القادر ، وقد تحدث هرتمان عن مذهب عاكف بقوله : فهو مع احاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الاصلاحية فى الدين وما يعنيه من الرجوع إلى الإسلام يعنى به الرجوع إلى الإسلام القديم لا بعباد الأمور التى غيرت منه اثناء تطوره التاريخى فحسب بل أيضاً وقبل كل شىء يريد الوقوف ضد هؤلاء

(١) انظر حقيقة جمال الدين الافغانى : ١ / ١٢٨ .

(٢) تاريخ الأدب التركى : ٥١٨ .

العصريين المندفعين في تيار الغرب، وضد دعاة المذهب القومي فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة المدنية من غير اضرار بحركة الفرد" هذا هو عاكف العظيم وتلك اضاؤه تشير إلى بعض مواقفه (١) هكذا نقل البيومي رأى المستشرق الألماني في عاكف . ثم ينتقل إلى تأثر عاكف بالأفغانى ويقول : كان هناك رجلان طغيا على تفكيره في صدر شبابه ، فأثر كلاهما بشخصيته تأثيرا قويا في نفس عاكف، أما الرجل الأول فجمال الدين الأفغانى، وآراء الأفغانى قد لمست من قلب عاكف وترا حساسا فهم بها واعتنقها واصر جريدتين كبيرتين للدعاية لها ، ورسم طريقه في الاصلاح على نهجها، منجذبا إلى تلاميذ جمال الدين ممن يجتمعون معه في السراى والاتجاه (٢). فترجم كثيرا من آراء محمد عبده إلى اللغة التركية لاسيما رده المضم على هانوتو ، وبعض تفسيراته العصرية لآيات من كتاب الله (٣). وفي الواقع هذا الحكم غير صحيح لأن عاكفا لم يترجم شيئا من تأويلاته التي يعبر عنها صاحب المقال بتفسيراته العصرية .

ونشأ عاكف تحت تأثير الثقافة الإسلامية في اسرته - كما تحدثنا في الفصل الأول من هذا الباب - وهي المصدر الأول لثقافته . وفي رأى محمد عبد اللطيف هريدى : كان المصدر الثانى لثقافته ، اعمال المصلحين الإسلاميين آنذاك وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ) فاعتبره استاذه وأطلق عليه " الاستاذ الأعظم " (٤) وبدأ حياته الأدبية بترجمة اعمال محمد عبده عن العربية ونشرها في مجلة " الصراط المستقيم " التي ترأس تحريرها عام ١٩٠٨ م واستقى من محمد عبده افكاره الاصلاحية التي كانت تدور حول تصفية عقيدة المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية ، ثم توحيد صفوفهم أمام الاستعمار

-
- (١) انظر المقال بعنوان " محمد عاكف شاعر الإسلام في تركيا " لمحمد رجب البيومي ، مجلة الحج العدد : ٤ السنة : ١٩ ، ص : ٣٣١-٣٣٢ ، شوال ١٣٨٤ ، فبراير : ١٩٦٥ .
- (٢) لم يعتنق عاكف معظم آراء الأفغانى كما سنذكر في الصفحات القادمة ولم يصدر عاكف جريدتين بل اصدر مجلتين ليس للدعاية عن آراء الأفغانى بل للدفاع عن الإسلام .
- (٣) مجلة الحج : العدد : ٣ ، السنة ١٩ رمضان ١٣٨٤ يناير ١٩٦٥ ص ١٦١-١٦٣ .
- (٤) بل أطلق عليه " الاستاذ الاعظم لمصر (انظر ديوان الصفحات : ٣٦٨)

الغربي و حكام الشرق المستبدين . ولا شك ان انتقاء عاكف و اختياره لما يترجمه يكشف لنا عن الجانب
الفكري و الثقافي لهذا الشاعر ، فاذا استعرضنا قائمة المؤلفات التي ترجمها محمد عاكف نجد هـا
تبحث مشكلات المسلم التي يواجهها في حياته اليومية ووهي دفاع عن الاسلام ضد افتراء استنسا
الستشقيين ، ان ترجم لمحمد عبده " الرد على هانتوتو" (١)

يقول جمال الدين الافغاني في ما يسمى بهزامة الاديان : . . . وجد شيعد كل بحث و تنقيت
وامعان ان اديان التوحيد الثلاث على تمام الاتقان في السبب " و الفاية و اذا نقص في واحد منها
شي من اوامر الخير السطوق استكله الثاني (٢) . . . و على هذا لاح لي بارق أمل كبير ان تتعبد
اهل الاديان الثلاثة مظاما اتعدت الاديان في جوهرها و اصلها و غايتها و ان بهذا الاتحاد
يكون البشيرة في خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة و اخذت اضع لنظريتي هذه
خططا و اخط اسطرا و احبر رسائل للدعوة كل ذلك و انا لم اخالط اهل الاديان كلهم عن قسرب
و كشب ولا تعنتت في اسباب اختلاف اهل الدين الواحد و تفرقهم فرقا وشيعا و طوائف (٣)

انظر للتفصيل : اهمية الجهاد في نشر الدعوة الاسلامية / د . علي العلياني ، ص : ٤٥٠ - ٤٥١
القلمانية نشأ تها و تطورها في الحياة الاسلامية المعاصرة / د . سفرين عبد الرحمان السحوالي
الولاء و البراء في الاسلام / د . محمد سعيد بن سالم القحطاني ، ص : ٣٤٨ . و انظر لتفصيل آرائه :
الشيخ محمد عبده و آراؤه في العقيدة الاسلامية عرض و نقد و رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة
اعداد : حافظ محمد حيدر الجعبري ، ص ١ / ٨٣ ، ٨٩ .

محمد عبده / لصطفى عبد الرازق ص : ٥٥ ، ١١٩٤

تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده : ١ / ٤٦ ، لرشيد رضا

قادة الفكر الاسلامي عبر القرون عهد الله بن سعيد الرويشد

جمال الدين الافغاني ذكريات و احاديث و لعبد القادر المغربي ، ص : ٩ - ٨ ، ١٠ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٣٢٤

محمد عبده / لعثمان أمين ص : ٣٤

البركان الثائر جمال الدين الافغاني / لفتحى الرطبي ، ص : ٧١

دروس للشباب في سيرة الاستاذ الامام / د . عثمان أمين ، ص : ٨٩

رشيد رضا صاحب المنار عصره و حياته / لأحمد الشرباصي ، ص : ٢٥٥

جمال الدين الافغاني / لعلى عبد الحليم محمود ، ص : ١٣٩

جمال الدين الافغاني حكيم الشرق / لقدري قلجبي ، ص : ٤٨ ، ١٢ ، ٢٥٤ ، ٤١ ، ٤٦

جمال الدين الافغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق / لمحمد سلام مذكور ، ص : ١٠٨

عبقرية الاصلاح و التعليم الاستاذ الامام محمد عبده ، لعباس محمود العقاد ، ص : ١١١

الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني / لمحمد عمارة ، ص : ٤١ ، ٨٢ ، ١١٧ ، ١٢٥

(١) انظر الادب التركي الاسلامي : ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : ١٤ ، انظر ص : ١٥٨ - (و يبقى هذا الحكم موضع

احتمال حتى يثبت من كتابات جمال الدين انه قاله . كما يرى الدكتور بركات عبد الفتاح

دويدار المناقش الاول لهذه الرسالة .)

(١) وسراج آخرى كثيرة.. وبسبب شهرة محمد عبده في اسطنبول/تركيا وصلت كتاباته من المقالات والمؤلفات إلى أيدي الناشئين في اسطنبول ومنهم محمد عاكف. ويقول محمد محمد حسين : اتجه محمد عبده بعد عودته من المنفى إلى التغريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية^(٢). ولكن عاكف ظن أنه عالم كبير ومصلح عظيم ورجل حركة ينبغي ترجمة كتبه إلى اللغة التركية وهذا بعض كلمات أشرف اديب في بيان موقف عاكف من الأفغانى ومحمد عبده : "وقد اشتهر الأفغانى ومحمد عبده كأصحاب حركة اليقظة وزعمائها ورجال الاصلاح فى العالم الإسلامى ، ولم نسمع كما لم نقرأ عن عاكف أبدا انه دعا إلى احداث اصلاحات فى اساس الدين ولم يصدر منه شىء يدعو إلى أى تغيير فى بنىة الدين^(٣) وقد ترجم عاكف مقالات اجتماعية وفلسفية من محمد عبده ونشرها فى صفحات مجلة الصراط المستقيم وتلك المقالات وجهت انظار كتلة كبيرة إلى السىة المجلة و" تأثر عاكف بمحمد عبده ، وكان يحبه ويثنى عليه وعلى شيخه الأفغانى وكان يعجب بافكار محمد عبده ومقالاته ولذا ترجم معظم مقالاته وكان يثق مسن أن تلك المقالات سوف تكون سببا فى يقظة لعالم الإسلامى"^(٤). وكان عاكف على شاكلة الأفغانى ومحمد عبده فى شخصيته ، ومع ذلك لم يكن ثوريا ولا سياسيا بارزا . ولم يرد احداث تغيير فى اصل الدين^(٥) و" عبر عن ضياع المسلمين وخسرانهم فى عصره ، وتأثر بعلماء مصر عموما ومحمد عبده خصوصا ولكن وسع هذه الموضوعات بثقافته الواسعة وعرضها بشكل أثار اعجاب الجميع، وركز على مشاكل المسلمين وكوارثهم^(٦) .

وقد تحدث عاكف فى ديوانه عن الأفغانى ومحمد عبده مرة واحدة ونشر قصيدة فى ١٩٢٤/٨/٢١ فى مجلة سبيل الرشاد بعنوان جانبى هو " الانقلاب الحقيقى هو انقلاب العلوم والمعارف" وذكر محمد عبداللطيف هريدى شيئا من مبادئ الأفغانى ومحمد عبده ثم قال : " وقد عبر عاكف عن هذه المبادئ فى حوار تخيله بين محمد عبده واستاذة جمال الدين الأفغانى^(٧)

- (١) موقف العقل : ٥٧/١ . (٢) الاتجاهات الوطنية : ٣٣٧ .
 (٣) محمد عاكف لأشرف اديب : ١/٨١-٨٢ . (٤) المرجع السابق : ١/٢٥ .
 (٥) المرجع السابق : ١/٣٧٢ . (٦) المرجع السابق : ١/٤٩٨-٤٩٩ .
 (٧) الادب التركى الإسلامى : ٢٠٥ .

ويبدأ عاكف كلامه في أسلوب حديث مع الشاب المسلم ويقول: " يا عاصم أتترك الآن موضوع الأدب جانبا . لأن أماننا عملا جديا أهم منه فلنتحدث عن هذا العمل لأننى لم أتحدث عنه في السابق أبدا حينما كان يتحدث محمد عبده اعظم استاذ في مصر مع جمال الدين عن أى موضوع، كان الأفغانى يقول لتلميذه : اسمع يا محمد . أطلب انقلابا سريعا لاشىء غير ذلك (١) ، إن لم تكن فى المقدمة كالزعماء ، ولم ترتفع بالإسلام ، فلا تظن حصول شىء بالتظريات فقط، ولا تحاول بعد ذلك ذكر البراهين لأنه ليس لديك استعداد للشورة" فاجابه محمد عبده بقوله : لاشك ان سماحة الاستاذ على الحق فى رأيه ولكن اقترح أن نذهب إلى أى مكان وليكن سودانا ، ونفتح هناك مدرسة جديدة للعربان ، ونصحب معنا ثلاثة أو خمسة مجاهدين آخرين من الفضلاء ، ونعمل على تهذيب الجيل وسموه وخلاصة القول يا شيخى نبعث الخريجين من تلك المدرسة من أبناء الجيل الجديد امثال جمال الدين إلى العالم الإسلامى .

(يرد عليه جمال الدين قائلا) هذا الأمر ليس سهلا بل يحتاج إلى عشرين عاما . انظر إلى العمل الذى ننتهى منه خلال عشرين يوما !
يجيب محمد عبده قائلا : لا تؤاخذنى ياسيدى . لست معكم فى هذا
الرأى .

يقول عاكف خطابا للشباب المسلم : يا عاصم مارأيك؟ هل تأخذ من هذه القصة عبرة؟ فى الحقيقة أنت تفهم جيدا ، ولكن هكذا نتفاهم اكثر ، ولا مانع فى ذلك اننى اطلب الانقلاب ولكن مثل ما اقترحه محمد عبده والإفلا رغبة لى فى الانقلاب بتكوين العصابات المسلحة بأسلحة ضعيفة وبال هجوم على مقر الحكومة ، وبالحكم على الرجال بالاعدام شنقا " هكذا انتقد عاكف منهج الأفغانى فى الانقلاب السريع العاجل ولم يوافق . وعبر عن تأييده لرأى محمد عبده فى مجال تكوين الرجال عن طريق المدارس الحديثة فى أيدي العلماء الافاضل ثم ينصح الشاب المسلم قائلا : يا بنى : امنع اخوانك عن الاعمال الانقلابية وحذر نفسك أنت لاتجولوا فى الميادين بل كونوا فى اماكن بعيدة عن الفوضى . إن كان عندكم الامكانيات عودوا غدا إلى أوروبا

(١) وقف محمد حرب فى نقله عن عاكف عند هذه النقطة وظن أن عاكفا اعجب بفكر الأفغانى (العثمانيون فى التاريخ والحضارة : ٢٨٣) والصحيح ماقلناه .

مرة أخرى - لاكمال دراستكم - لاتعترض على هذه الفكرة فلن نستمع إلى اعتراضاتك ، أنت تقف وحدك بينما نحن مجموعة مكونة مني ومن أبيك واختك . . . ولن تستطيع التغلب علينا هيا اكمل دراستك هناك . ويابني ينبغي لترقى الأمة قوتان مهمتان هما : المعارف والفضائل^(١) . ثم تحدث عاكف عن مكانة العلوم والأخلاق والماضي المجيد . وعن ارسال البعثات التعليمية إلى أوروبا^(٢) وكان ينوي كتابة " عاصم الثاني " في جزء مستقل وكان بوده اكمال هذه الفكرة بعودة هؤلاء الشباب من أوروبا إلى العالم الإسلامي مشبعين بالعلوم التطبيقية . ثم يتوقع عاكف تقدم العالم الإسلامي بأيديهم ولكن لم تتحقق هذه الامنية . ويبدو مما ذكرنا من اشعاره انه لم يوافق على افكار الأفغانى الثورية وكان يؤيد أفكار محمد عبده في مجال المعارف والاصلاحات عن طريق التعليم .

وقد ذكرنا أن عاكفا ترجم إلى اللغة التركية بعض آثار محمد عبده منها مقالاته المنشورة في " العروة الوثقى " وهذه عناوين بعضها^(٣) : الجنسية والديانة الإسلامية . ماضى الأمة وحاضرها وعلاج عللها ، النصرانية والإسلام واهلهما ، انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك ، سيات من له حق . . . وحراك من لاحق له ، التعصب ، القضاء والقدر ، الفضائل والرزائل ، الوحدة الإسلامية ، الوحدة والسيادة أو الوفاق والغلب ، الأمل وطلب المجد ، اسباب حفظ الملك ، سنن الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين . . . الخ من مقالاته . ونشر عاكف هذه المقالات في مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد أما الآثار المترجمة مثل الرد على هانتوتو ، فكان ينشرها بعد ترجمتها على حلقات ثم جمعها في كتاب ونشرها في مجلد واحد ، وفي مجال التفسير اختار عاكف من محمد عبده تفسير سورة العصر ونشره في المجلة المذكورة ومعنى هذا انه كان يختار ما اعجب به من آثار محمد عبده ولا يأخذ جميع انتاجه فلم يأخذ مثلاً تفسير محمد عبده لسورة الغيل وافكاره الشاذة في " الابابيل " .

ويصور محمد عبد اللطيف هريدى رأى عاكف فيما كتبه تحت عنوان :
" الاسرة المسلمة " فيقول : ولاشك أن أى اصلاح اجتماعى إنما يبدأ بالاسرة

(١) انظر ديوان الصفحات : ٣٦٨ - ٣٦٩ . (٢) المرجع السابق : ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٣) انظر العروة الوثقى : ٤٩ - ١٨٢ ، وبعد نشرها في مجلة الصراط المستقيم

وسبيل الرشاد جمعت نماذج من هذه المقالات من ترجمات عاكف في

كتاب مستقل بعنوان " الحداثة أم الاستسلام : ١١٢ - ٤٣٢ .

ولم يكن اهتمام عاكف بالأسرة قليلا (١) ومن دلائل اهتمامه بالأسرة اشفاقه على الطفولة المعذبة فى قصيدة " الزنبيل " وهى تصور لنا طفلا فى عمر الزهور يعيش فى احدا حيا استانبول الفقيرة ، لم يرث عن والده إلا الزنبيل الذى يحمله على ظهره ، فهو ابن حمال ، يكاد الطفل لا يرى تحت زنبيله (٢) ويهاجم عاكف الرجال الذين يستثمرون مواد الشريعة فى اشباع نزواتهم فهم يستغلون ما اعطته الشريعة من حق فى الطلاق او تعدد الزوجات ، ويتصرفون احيانا بما يخالف الشريعة ذاتها ، وفى قصيدة الإمام الأجرد يعرض عاكف تفاصيل مأساة اجتماعية سببها الرجل الذى أساء استعمال الحقوق التى منحه الشرع إياها : فهو لا يبرح يضرب زوجه ليلا ونهارا وفى النهاية طلقها ومع ذلك عاود ضربه لها حتى بعد الطلاق ، وسبب ثورته عليها " انها قالت له لا تتزوج بأخسرى " ويتخذ من الشريعة ذريعة ، ولكن الإمام يشرح له ما يسمح به الدين وما لا يسمح ويكشف له عن سوء سلوكه ، فهو لا يصلى ولا يبرح الحانة ومع ذلك لا يعرف أمور دينه إلا ما يتصل بأمور الزواج والطلاق (٣) ، يقول عاكف : أى سيئة لم تكتب فى دفتر اعمالك ، هل ثمة من رآك يقظا غير سكران ، هل أمرت الشريعة بذلك أيضا . نتزوج لنطلق . هلهو أمر بسيط ، أما سمعت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطلاق بدون اسباب شرعية ؟ ، ثم يشرح له الإمام شروط الزواج ، وكيف يجب : أن يكون قادرا على الانفاق على اثنتين معا ، وأن يكون عادلا ، وقادرا على معاشرتهما ، ثم يبين له كيف يدعو الدين إلى الرحمة بالمرأة والشفقة عليها ومعاملتها بالمعروف (٤) . وهكذا يمضى عاكف فى ابراز العيوب الاجتماعية ويدعو إلى التخلّى عنها فى مؤلفاته .

وذكر قدرى قلعجى فى كتابه المسمى " جمال الدين الأفغانى حكيم

الشرق " حديثا لجمال الدين فى مجلس باستانبول دار حول مساواة المرأة بالرجل ، والسفور والحجاب قال فيه : إن المرأة تساوى الرجل فى تكوينها

-
- (١) انظر ماساقه مثلا من خلال شعره فى بيان مأساة " المقهى " و " الحانة " (ديوان الصفحات : ٣١ ، ٩٤) .
- (٢) وعمل عاكف مقارنة بين هذا الشاب وطلاب العلم وحث على التعليم واكمال الدراسة .
- (٣) وقد اتخذ عاكف هذا الاسلوب منهاجا لنفسه ومشى عليه فى كثير من آثاره . وخلاصة هذا المنهج هو اصلاح الاحوال الاجتماعية على لسان العلماء فى المساجد أو فى المنازل . .
- (٤) انظر ديوان الصفحات : ١٨ الأدب التركى الإسلامى : ٢١٥ - ٢١٦ .

والتفاوت الذى بينهما لم يأت إلا من باب التربية واطلاق السراح للرجل وتقييد المرأة للبيت ولتربية الجيل ومهمتها فى هذا أهم وأسمى مما يقوم به الرجل فى كثير من الصناعات ويخطىء من يطلب مساواة الرجل والمرأة فى كل شىء فلكل وظيفته وعلى تعاونهما ، كل فى عمله ، يقوم المجتمع ، ولا مانع من أن تعمل المرأة فى الخارج إذا فقدت عائلتها أو اضطرتها ظروفها إلى ذلك ، ولكن بنية صالحة ، وذيل طاهر ، ثم قال : وعندى ان لا مانع من السفر ، إذا لم يتخذ مطية للفجور . ولم نقف على اثر آخر له أو عنه فيه ذكر للمرأة (١) وحينما نقارن بين رأى عاكف ورأى الأفغانى نرى معارضة عاكف آراء الأفغانى فى هذا المجال .

والمأخوذ على عاكف أنه لم يقل كلماته فى الثناء على الأفغانى (١٨٣٩-١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) إلا بعد وفاتهما وبعد خلع السلطان عبد الحميد وبعد أن شاع فى الاوساط التركية ان جمال الدين مفسد وليس بمصلح . وكتب ثناءه عليهما بعد سقوط الدولة العثمانية على يد المرتدين . وكان الأفغانى يستقبل فى اسفاره للعالم الإسلامى بالحفاوة والتكريم ثم لا يلبث أن يخرج مطرودا مشيعا باللعنات وأخيرا دعاه السلطان عبد الحميد من لندن إلى استانبول وتوفى فى ١٠/٥/١٣١٤ هـ ، المصادف ٩/٥/١٨٩٨ . (٢) والمعروف : انه فى زمن عاكف لم تكن التحقيقات والوثائق التى تكشف حقيقة الأفغانى قد نشرت كما هى منشورة اليوم لذا كانت أدلة عاكف فى الثناء على الأفغانى ومحمد عبده غير واقعية ولا تعتمد على حقائق واضحة .

واختلف الكتاب فى الأفغانى : منهم من رآه مصلحا عالما فاضلا وايدى عاكف هذا الرأى واثنى عليه ومنهم من رآه منحرفا فشكك فى دينه واخلاقه وايدت الدراسات والوثائق هذا الرأى الأخير . وبالمعنى بعض الكتاب فى تأثر عاكف بافكار الأفغانى وقالوا : نجد جميع افكار الافغانى ومحمد عبده فى كتب عاكف (٣) وقد مشى على طريقهما (٤) ، وفى الواقع ليس لدينا دليل على لقاء عاكف بالافغانى ومحمد عبده ، ولم يذكر احد شيئا عن لقاءهما . بل اعترف الشاعر التركى محمد امين - القومى الطورانى - ان الافغانى لقنه القومية

-
- (١) اعلام الحرية (٥) ص : ٩٥ .
 (٢) جمال الدين الأفغانى المصلح المفترى عليه : ٢٩ تاريخ الاستاذ الامام ٥٥/١ ، جمال الدين الأفغانى للرافعى : ١٣٧ .
 (٣) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٥٣ . (٤) المرجع السابق : ١٠ .

التركية ، وفي اثناء اقامته باستانبول التقى به محمد امين فأوصاه الأفغانى ان يكتب بلغة الشعب وبوزنه ، وفي حب القومية التركية ، وهو ايقظ فى جماعة تركيا الفتاة حماسة القومية (١) ومن جملة الاشخاص الذين كانوا يحضرون - دوما - مجالس الأفغانى فى استانبول الشاعر محمد امين (٢) ولكن لم نعرف شيئا عن علاقة عاكف به وعن حضور مجالسه . لذا نرجح عدم لقائه به وعدم حضور مجالسه .

وجاء الأفغانى الى استانبول فى عام ١٨٩٢ بدعوة من السلطان عبد الحميد وعاش فيها الى يوم وفاته وخصص له السلطان قصرا وسمح له أن يعيش فيه وافسح له مجال الزيارات واللقاءات . وكان عاكف فى تلك السنوات فى استانبول ولكن لم يذكر شيئا عن لقائه معه ، ولم يكتب أحد عن لقاء عاكف بالأفغانى ، ومن ناحية أخرى . يقال : كان الأفغانى ينشر افكاره الليبرالية التى تدعو الى الحرية فى محاضراته (٣) . واشتهر عاكف بدفاعه عن الإسلام واعترف الجميع بهذا الجانب وسموه " شاعر الإسلام " و " شاعر الإيمان " .

(١) انظر مخربو الدين : ٥٩ .
 (٢) حقيقة جمال الدين الأفغانى : ١ / ١٠٤ .
 (٣) محمد عاكف لفوزية عيد الله : ٥٠ - ٥١ .

الفصل الخامس

موقفه من الحضارة الغربية

عند الغربيين حضارة متميزة بخصائص معينة ، ولكنها تتسم بالروح الصليبية تجاه المسلمين . ولا بد لنا أن نتخذ موقفا محددًا : فماذا نأخذ منها ؟ وماذا ندع ؟ وإذا أخذنا منها شيئًا فما هو الطريق والشكل والاسلوب ؟ وإذا وافقنا على الدراسة في الغرب كما يرى محمد عاكف فما هو موقف المسلمين تجاه التأثير بطرق التدريس ومناهج التعليم في الغرب الصليبي ؟ وكيف نقل العلوم والتقنية من الغرب إلى العالم الإسلامي ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة .

وقد حث عاكف المسلمين من خلال كتاباته ومواعظه على اقتباس علوم الغرب وفنونه . والمقصود من علوم الغرب ، العلوم التطبيقية والمقصود من فنونهم التقنية المتطورة عندهم . وكان عاكف يرى هذا الاقتباس ضروريا ليقف المسلمون أمام الغرب وجها لوجه . إن العمل الذي أداه عاكف في مجال الرد على الحضارة الغربية الصليبية له قيمة كبرى . فقد أعلن حربا لا هوادة فيها ضد حضارة الغرب المادى الصليبي ، وعبر عن عداوته في التشديد الوطنى التركى بقوله : إن يكن الغرب محاطة أفاقه بأسوار مدرعة من فولاذ ، فإن لى حمى كفتى الزاخر بالإيمان إنه نعم الملاذ ، لاتجزعن ، اتقضى على هذا الإيمان حضارة عاوية تضارع غولا تساقطت اسنانه غير واحدة خاوية ؟ " .

وقد حذر عاكف صراحة من اتجاه المسلمين روحيا نحو الغرب ، وكان يخشى أن يؤخذ المسلمون بالمظهر الخارجى البراق للحضارة الأوروبية ويعجزوا عن ادراك كنهها وحقيقتها . ووقعت حركة التغريب على الصورة التى كان يخشاها عاكف ، وهى الانبهار بالمظهر الخارجى للحضارة الغربية الصليبية .

وقد أشرنا فى اثناء حديثنا عن حياته ، أنه تعلم العلوم الاسلاميية اعتبارا من صغره . ودرس فى المستوى الجامعى العلوم التطبيقية خصوصا الطب البيطرى . واستمر بعد تخرجه من الجامعة فى متابعة التطورات العلمية فى الغرب ، خصوصا أيام تدريسه فى الكليات باستانبول . ومن ناحية أخرى كان يجيد اللغة الفرنسية . ولذا اطلع على الكتب المؤلفة بهذه اللغة . واطلع

على الحضارة الغربية عن طريقها ووجد فرصة للسفر إلى ألمانيا (برلين) أيام الحرب العالمية الأولى كمنسوب من الدولة العثمانية . وفي تلك الفترة وما بعدها كان المسلمون قد انحرفوا عن تطبيق شرع الله في واقع حياتهم ، وبدأت الأمة الإسلامية تفقد ذاتيتها وتحس بالضعف والانهيار أمام الغرب والانهيار التام بحضارته ، وتستمد كل مقومات حياتها من حضارة الغرب ومناهجه وقيمه بلا وعي ، وبدأت تتردد على مقومات حياتها الأصلية بالنقد أحيانا والتجريح أحيانا أخرى ، إرضاءً للغرب ، وبدأ أبناء هذه الأمة ينقل جرائم الغزو الفكري لبلادهم . وبدأت أساليب الغرب تظهر في حياة المسلمين بصور شتى وغرسوا في نفوس المسلمين أن ما عند الغرب هو الحضارة وزعم البعض أن كل ما يصدر عن الغرب إنما هو الحقيقة والعلم الصحيح ، وأنه لا يمكن لمجتمعاتنا أن ترقى إلى درجة الغربيين في الفكر والعلم . . الخ . وهذا الشعور جعل الكثير من المثقفين المستغربين من أبناء المسلمين في تركيا ، يدعون إلى ضرورة استيراد الحضارة الغربية المادية والسير في فلكها والتعلق بأهدافها والتمسك بأفكارها ومناهجها ، ودعوا إلى التخلي عن الإسلام وكل ما يتصل بالشرق والالتحاق بالغرب .

والظاهر من آثار عاكف أنه انتقد الحضارة الغربية من عدة أوجه وبين أنها غير كاملة ، وأن تقدمهم في العلوم والصناعات لا يدل على كمال حضارتهم . فإن تقدمهم في التقنية لا يبرر أعمالهم السيئة المنافية للإنسانية ، فينبغي علينا أن نأخذ علومهم ولكن لانتق بهم . . . ، وقد اختار عاكف الجانب المفيد مثل العلوم وترك الجانب المضر . لذا كان موقفه بارزا سلبيا وإيجابيا .

وهذه بعض الجوانب التي كان يعجب بها عاكف ويعتبرها جوانب إيجابية لدى الغربيين (١) فمنها : تقدمهم في العلوم والفنون والمعارف ومنها نشاطهم المستمر وعملهم الدائم للحاضر والمستقبل بلا يأس ولا انقطاع آمال ،

(١) انظر مقالات محمد عاكف : ٦-٧ ، ٢٩-٣٢ ، ٨٠-٢٠٨ ، مواعظ محمد عاكف : ٥٦ وما بعدها . تفاسير محمد عاكف : ١٤٦ ، آيات من القرآن الكريم : ١٠١ ،

ومنها تقديرهم قيمة الوقت وفي رأى عاكف أنهم ينشئون تصورات للمستقبل البعيد ويعملون لتحقيقها . وقد حث عاكف المسلمين على العمل فى قصيدة له بعنوان " لا بد من بذل الجهود " . وذكر امثلة من الغرب ، وبين أن سبب تخلف المسلمين هو ما أصابهم من الكسل والبطالة . الخ . وأنه فى الوقت الذى ظهر فيه نشاط الغرب أصاب المسلمين التواكل وعدم الحركة . وكتب قصيدة بعنوان " الانسان " وبين فيها لزوم العمل والحركة . واختار شخصية من الشخصيات التى فيها حركة ونشاط وسماه " عاصم " وكان عاكف يرى أنه ينبغى على المسلمين أن يجمعوا بين علوم الغرب وفضائل الإسلام .

أما سلبيات الغرب فى رأيه ، فهى كثيرة جدا ، منها : أن الغرب مستعمر ومحتل ، وفى الواقع كان العثمانيون فى القرن الأخير فى تناقض بارز أمام الحضارة الغربية لأنهم كانوا ينتهجون سياسة التفرير ، وينقلون مؤسسات الغرب خصوصا فى المجال العسكرى إلى دولتهم وفى نفس الوقت كانوا يحاربون دول الغرب ، ونرى نفس المنهج فى آثار عاكف^(١) ، انه يعلن بصراحة عداوته تجاه الغرب ، ويذكر امثلة من الحروب مع الغرب مثل حرب البلقان والحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال ، وفى نفس الوقت يريد نقل علوم الغرب إلى بلاده ، ولم يكن هذا الأمر سهلا كما تصوره هو ، لأن الغرب بعد الثورة الصناعية ركز على استعمار العالم الإسلامى ، وتمزيق الدولة العثمانية ونشروا مبادئ براقة مثل الحرية والمساواة والاخاء وافسدوا البعثات التعليمية . وهكذا لم تتحقق آمال عاكف فى نقل علوم الغرب ، لأن الشباب لم يشتغلوا بالعلم ، بل فشلوا أمام الدعاية البراقة ، واسسوا جمعيات سياسية ضد دولتهم واصبحوا لعبة فى يد الماسونيين واليهود والنصارى ولم يسمعوا نواحي عاكف .

وقد ذكر عاكف عدة امثلة فى نقل علوم الغرب ، منها : اعمال اليابانيين ونجاحهم فى هذا المجال^(٢) وبين أن المسلمين فى بلاد الهند لهم نشاطات فى مجال نقل علوم الغرب إلى بلادهم^(٣) وأشار عاكف إلى فشل الدولة العثمانية ومسلمى بلاد تركستان فى هذا المجال^(٤) .

(١) انظرايات من القرآن : ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : ٦٥-٦٦ .

(٢) انظر ديوان الصفحات : ١٤٤-١٥٩ . (٣) المرجع السابق : ١٤٥-١٤٧

(٤) المرجع السابق : ١٣٩-١٤٣ .

ومن اعمال الحضارة الغربية فى العالم الإسلامى ، العنصرية والفرقة .
فقد عمل الغرب على تفرقة العناصر والاقوام والاديان و المذاهب والطوائف
.. الخ . ونتيجة نشاطات الغربيين انتشرت القوميات (١) ومن ناحية أخرى
لم يأبه الغرب لكوارث المسلمين وآلامهم وفى الظاهر كانوا يدافعون عن حقوق
الإنسان وفى الواقع كانت معاملاتهم تجاه المسلمين فوق التصور فى الوحشية
بغير ذنب إلا انتسابهم إلى الإسلام . وقد دافع الغرب دائما عن الاقليات
النصرانية فى الدولة العثمانية وعن حقوقهم وحررياتهم . . ، أما معاملتهم
للمسلمين فقد بلغت مبلغها من القسوة والسوء ، وقد ذكر عاكف عديدا من
الأمثلة من اعمالهم البشعة . ويّين أن المسلمين أيام وحدتهم كانوا اقويا . وقد
بث اعداؤهم افكارا لتفريقهم وتمزيقهم واضعافهم .

وإدى عاكف خدمة كبيرة فى بيان حقيقة الغرب ، والحضارة الغربية
كماهى فى الواقع ، ومع اعترافه بتقدم الغرب فى العلوم التطبيقية والتقنية ، فقد
انتقد اعمالهم انتقادا شديدا ، وليس هناك شخص من المفكرين فى عصره فى
الدولة العثمانية صور واقع الحضارة الغربية مثل تصوير عاكف . ولم يعبر احد
منه من معاصريه عن وحشية شعوب الغرب وحقدهم الصليبي وحقيقة تأمرهم ،
ونواياهم ومقاصدهم فى الماضى والحاضر والمستقبل . ونرى أن خدمات عاكف
فى هذه النقطة جلية وظاهرة ، وموقفه البين تجاه الحضارة الغربية ادى اكبر
خدمة فى تنبيه المسلمين لمواقف الغرب ، ولكن بعد فوات الأوان .

زار عاكف الاقصر فى مصر وكتب قصيدة عبر فيها عن الشرق والحضارة
الشرقية ثم بين قوة الغرب وجبروته ، ويقول : " هناك تبتسم مبانى الفنادق ، وقد
القت ظلالها على النيل وعليها سيماء المن والجلال . . ، يبتسم الفلاح الذى
يفرغ الماء بالقرب ، ويبتسم السائح الذى لم ير هذا المنظر فى حياته . . ، إن
التماثيل التى رأيتها حينما طفت صباحا ، والتى قد نصبها غرام البشر بالخلود
ذلك الغرام المجنون الذى اوحى إلى الطغاة أن ينحتوا فى جبهة الفضاء
ظلمهم الذى لا كرامة له بدل أن ينقشوا فى القلوب ذكرى رحمتهم . نعم قاموا
باستعباد آلاف المساكين ، حتى صار كل حجر من احجار هذه التماثيل مقبرة
لهم ورمزا لغنائمهم . وكان أملمهم الوحيد أن تهتز السماء لأسرة جباهها^(٢) ،

(١) ديوان الصفحات : ٢٨٢-٢٨٣ . (٢) اى طية ، ثنية ، منعطف .

وتخر الأرض ساجدة ، ولكن الزمان - وهو يد الكبرياء المهيبة - قد أدب هؤلاء الجبابرة تأديبا ، فجدع أنوف تماثيلهم وحطم أذرعتها وصيرها انقضا مبعثرة ! فلا ترى في الجباه مهابة ، ولا في الوجوه جلالات ! وهاهى أسرتها الطامسة قد علاها الوهن والفتور ! إن ظهور العدالة بهذه الصورة القاسية قد يبعث في الزائر شعور المرحة . نعم ، كانت مقبرة تلك التماثيل حينذاك بعيدة عني ، ولكني كلما سرحت نظري نحوها خيل إلى أنها تبتسم . عن بعد أطلال معبد وبيتسم الكرنك (١) ، كلما تلفت يمينا ! تبتسم الأعمدة التي تعبت الأمواج بظلالها المرتعشة الغارقة في النيل ! وبيتسم النخيل من الشاطئ ، وعلى رؤوسه الشعثاء تيجان من ذهب الأصيل ، وبيتمايل كأنه ريشة مصور ترسم في الفضاء !

وقد ذكر عاكف كل ذلك ليقارن بين الشرق والغرب . وفي هذه القصيدة عبر عن احوال الشرق وقصد العالم الإسلامي وصوره بكل ما فيه من التاريخ والآثار القديمة وحياة الافراد والجماعات ومعاملاتهم . و اراد أن ينتقل من هذا إلى بيان اعمال الصليبيين . والغريب هنا رغم كون عاكف ضد الطغاة والظغيان جعل في هذه القصيدة ان التماثيل تبتسم ، وفي الحقيقة ليس هذا دفاعا عن اصنام الشرق ، بل عبر عن حقه ضد الصليبيين والحضارة الصليبية بهذا الاسلوب . وفي رأينا أنه لا ينبغي للمسلم أن يذكر شيئا من تلك الاصنام إلا في مقام الرد والرفض الشديد .

وذكر عاكف أهل الصليب قائلا : " . . قمت من ذلك السطح المائل الهادئ الذي كنت جالسا فيه لأرى مظلة قائمة على مقربة مني ، وما احسن ما فعلت ! رأيت أمامي نحو ثلاثة عشر نفرا من السائحين مابين فرنسيين وانجليز وألمان مجتمعين زرافات ووحدا ، وللكويس بينهم رنين . فالفرنسيون يبتسمون لأن كيسهم المملوء يهز الدنيا المدينة لهم هزا عنيفا ، وليس في العالم ما يحزنهم إلا هزيمة " سيدان " (٢) ومع ذلك فالرفاهية تنسى الإنسان أنكى الجروح والإنجليز يبتسمون - والابتسامة حق لهم - لأن الدنيا كلها رهن اشارتهم ، إن أمروها أن تموت فستموت ، وهم يسلطون كل أقوام البشر بعضهم على بعض ،

(١) موقع في الأقصر اشتهر بآثاره القديمة .
 (٢) هذه الموقعة كانت بين الفرنسيين من ناحية والألمان من ناحية أخرى هزم الجيش الفرنسي هزيمة فادحة في سيدان هذه سنة ١٨٧٠ .

وينظرون عن بعد فرحين ، فبينما يصطدم الحجر والفولاذ يشعلون غليونهم و الألمان يبتسمون لأن قوة عضدهم كقيلة بأن يصدق العالم جميع ما يقولون^(١)، وما دام البشر لا يعطون القوة للحق فما الحيلة فى الحصول على الحق بغير القوة ؟ هل أنت ضعيف ؟ ليس لك حق اذن سوى البكاء .

نعم فى هذه الساحة من الهياج ، هياج السرور و جلبة الحبور ، أنا وحدى المسكين الذى لا يبتسم ، قد جلست أبكى ، وحق لى البكاء لأننى غريب فى ديار دينى . لا فى تراب هذه الديار ولا فى نهرها أثر صديق ولا صوت خليل ! أيها الشرق العظيم . أيها العالم المترامى الأطراف ! ليت شعبرى فى أى بقعة من بقاعك نجد أبنائك المتمتعين بالطمأنينة ؟ ان رأسك^(٢) تزرع تحت الشدائد . وعضدك واه ، وذراعيك مغلولتان ! ولما يهب نسيم الاستقلال على قلبك بعد . قد طفت فى أرجائك كلها لأرى أمامى دار الإسلام فكنت قدماى ، وكلما سمعت أصوات الأجانب من كل صوب لم تغض عن روحى الباكيسة إلا خيبة الأمل . فهل كان نصيبى أن أكون غريبا فى صميم الإسلام ؟ إن هذه العاقبة لأدهى انتقام لأيام . والآن قد تقدمت بى السنون وضعف عضدى ، فعلى أولادى أن يجاهدوا ويأخذوا ثأرى"^(٣) .

لقد تبين لعاكف أن الحضارة الغربية حضارة استعمارية ، وأن الاستعمار من ابرز اعمال اصحاب تلك الحضارة . فعبر عن هذا الأمر على شكل حوار مع البليل^(٤) وبين اعمال الصليبيين . كما تحدثنا فى الفصل الثانى ، وصور معركة الدردنيل فى قصيدة بعنوان " إلى شهداء جنائق قلعة (٥) تناول فيها وصف الحضارة الغربية واعمال اهلها الصليبيين . وكتب قصيدة بعنوان " الشرق " (٦) عبر فيها عن موقف الشرق تجاه الحضارة الغربية . وهذه بعض كلمات عاكف فى تصوير احوال المسلمين : . . . هل اتعظ الشرق بما مر به من المواقظ والعبر ؟ لقد مرت به الكوارث تترى واهله فى خيبة يعمهون ، أيتها الأمة

(١) قيلت هذه القصيدة قبل الحرب العظمى أيام أن كانت ألمانيا فى اوج عظمتها البرية والبحرية .

(٢) يشبه الإنجليز الشرق الإسلامى بإنسان رأسه العفكر مصر ، ويده الباطشة

تركيا ، وقلبه الشاعر الهند ، (انظر ديوان الصفحات : ٢٨٢) .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ٢٦٠-٢٦٢ ترجمة عبد الحميد الداخلى .

(٤) المرجع السابق : ٣٩٦-٣٩٧ . (٥) المرجع السابق : ٣٥٤-٣٥٦ .

(٦) المرجع السابق : ٣٧٧-٣٧٩ .

الميتة ، لقد غربت الشمس ألا تستيقظين . . " (١) قالها عاكف فى نهاية الحرب العالمية الأولى . وفى أيام حرب استقلال تركيا نشر قصيدة قال فيها . . . " ولو هاجم الإسلام اربعون جيشا من الصليبيين ، فكن مطمئنا ، إن أربعمائة مليون من المحال أن يوءسروا " (٢) . ولكن الاوضاع السياسية و العسكرية جعلته يقول: فى ٧ / ٥ / ١٩٢١ " ما أنا اليوم إلا مشرد عديم الدار فى قلب وطنى ! يالها من خسارة . أنا ابن الشرق الجبان ، وقد تركت مئوى اجدادى يدوسه الغرب من اقصاه إلى اقصاه وقد هاجت افكارى حينما مرت بها أشباح أوطان صلاح الدين ومحمد الفاتح . يالها من مذلة ! ان الناقدوس بيرن على ضريح السلطان عثمان " (٣) ، ويقول عاكف فى قصيدة بعنوان " ليلى " كتبها فى عام ١٩٢٢ : " رياه . ألا يشرق على الآفاق نور ليدنى من الغد ؟ ما أطول هذه الليلة كيف مرت رواقها على هذا الشرق ؟ لقد مضت الاجيال وتصرفت العهود ولم يزل كابوسها يسحق جماهير المؤمنين . وتغرق دوامتها فى كل دورة من دوراتها ثروات لا تحصى ، إن وطن الإسلام الذى تهان كرامته كل يوم ، لا يزال ينتظر الغد الموعود ، وقصد مضت عليه القرون لاجاء ذلك الغد ، ولست اريد ابدا إشراقه إذا كان هو غد الحشر . هذا وإذا كان المؤمنون قد بشروا بكيان قوى ، فما لهذه الحجب المتضاعفة لا ترفع عن سبيلهم ؟ وما لهذه الآفاق لا تنشر نورا وضياء ؟ للششرق ذلك المجنون البائس المنكر ذاته ليلى واحدة فى الدنيا كلها : هى مستقبل الإسلام . ولا يعرف سواها وقد تغانى فى حبها . " (٤)

ونظم عاكف " خاطرات برلين " اثناء اقامته فى برلين فى السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى . ويظهر فى هذه القصيدة نقده الاجتماعى بأسلوب الاستهزاء والسخرية وعرض المأساة التى يعيشها المسلمون ، والتناقض الكبير بين تقدم الغرب وخمول الشرق بمؤسساته الاجتماعية ، واختار بعض المؤسسات فى الدولة العثمانية ليصورها كما رآها منها : الفنادق والقطارات ، والأزقة وأشار إلى الفقر وعدم الاهتمام بالنظافة فى هذه المؤسسات وبين أن بعض تلك المؤسسات كالقطارات مثلا فى ايدى غير المسلمين خصوصا النصارى . ثم أشار إلى المؤسسات نفسها فى الغرب وكتب عن نظافة الفنادق ، وتطور القطارات فى الحداثة والسرعة . . الخ . وبين جمال الشوارع ، ثم قارن بين المقاهى

(١) المرجع السابق : ٣٨٧ ، ترجمة الظلال : ٤٤ .

(٢) المرجع السابق : ٣٩٥ ، ترجمة الظلال : ٥٤ (٣) ديوان الصفحات :

(٤) ديوان الصفحات : ٣٩٩ ، الظلال : ٥٩ .

فى الغرب والمقاهى فى الدولة العثمانية ، وأشار إلى أنها أماكن الفساد عند المسلمين ومؤسسات الراحة فى الغرب (١) . ثم تحوى القصيدة حديثاً بين عاكف وبين صديقه العقدم عمر لطفى - احد ضباط الجيش العثمانى ومدير معهد الصناعات العسكرية - تداولاه فى احدى مقاهى برلين يصف فيه الروح الالمانية، واصرارهم على الحياة الكريمة . ثم تأتى اسرة المانية تضم رجلاً ذا لحية سوداء تصحبه زوجته مرتدية السواد علامة الحزن ترافقهما ابنتهما البالغة من العمر خمس أو ست سنوات فيجلسون جميعهم فى مواجهة عاكف . وكان الرجل صامتاً والابنة الصغيرة لاهية تنظر يمناً ويسرة فى براءة الطفولة وصفاء عين الديك ، ثم تبكى المرأة فجأة بدموع سخية عندما رأت شيئاً أو شخصاً ما ، أو ربما طفاف بخيالها حادثة معينة - مثل موت ابنها فى الحرب - و اخرجت مندليها تمسح دموعها المنهمرة والجميع فى سكوت وصمت تامين . . . ، وصور عاكف الحزن الدفين عند الغربيين أيام الحرب العالمية الأولى فى شخصها بقوله : ايتها المرأة المسكينة لماذا تبكين ؟ هل من الخجل ما اصابك من المصائب؟ مادام أنك ام واستشهد ابنك ، ان فعلك اثم ، عليك أن لاتحسبى تلك الدموع، اتركها تسبح على خديك . . . ابكى كثيراً ، بل اسكى طوفانا على روحك المضطربة . . . هل تتصورين أننى ورفيقى انعدمت رحمتنا ، بعد أن علمنا بهذا البلاء؟ .

يقول عبد السلام فهمى : " وبعد أن صور شاعرنا الفحش والزنا والانحلال الخلقى فى لوحته الأدبية تلك ، وما يتبعه من نتاج أبناء غير شرعيين والذين يشبههم الشاعر بأنهم اصحاب وجوه كالحة واشكال تنطق عن قساذرة فعل الآباء والأمهات . ثم يكون انساناً غير طبيعى وصاحب روح مضطربة ونفسية خربة ، ثم هو يجدد مافعله أبوه من قبل وينتقم من حياته ولا يكون همه سوى هتك الاعراض والزنا . . . ، بعد ذلك يعظ محمد عاكف المسلمين كافة (٢) وهذا غير موجود فى كتاب عاكف ، بل نسيه عبد السلام فهمى من عنده إلى عاكف . وقد عبر عاكف أولاً عن احزان الغرب أيام الحرب العالمية الأولى . وبين الأم الأسر التى توفيت ابناؤها فى الحروب ، ثم انتقل إلى آلام المسلمين وبين أن أبناء الغرب منحوا ارواحهم لوطنهم . أما المسلمون فيحاربون باسم الصليبيين ويحاربون المسلمين . يقول عاكف : هل تعلمين ايتها المرأة - الألمانية - كم من الامهات اليوم فى البكاء فى تونس والجزائر والقوقاز؟ . . . إن الرجال مكبلون

(١) انظر ديوان الصفحات : ٢٦٥-٢٧١ .

(٢) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٢٠ .

بالأغلال ويساقون بالحديد والنار، ليس للدفاع عن وطن المسلمين بل إن هوءلاً المسلمين انخرطوا فى جيوش فرنسا - مثلاً - يحاربون باسمها ويدافعون عنها يحاربون اخوانهم المسلمين ، أرسلوا إلى ميادين القتال فى صفوف الصليبيين حيث القتلى من المسلمين بالآلاف والمعوقون بمئات الألوف والاحصائيات تقول إن مائة و خمسين الف امرأة فى شمال افريقيا أرامل لا عائل لهن . مات ابناؤهم وأزواجهم فى الصف الأول فى القتال فى سبيل فرنسا . ثم خاطب عاكف فى شخصية المرأة الألمانية جميع الصليبيين وتحدث عن بلاد الهند الواقعة تحت السيطرة البريطانية ، وعبر عن مظالم الحكام تجاه المسلمين من قتل وتشريد وهتك لأعراض المسلمين . والضحية هم ابناء المسلمين . ويتفق ضد هم جميع الجاهليات من الصليبيين الانجليز والوثنيين من الاديان المختلفة فى الهند (١) . ثم انتقل عاكف إلى المستعمر الروسى وذكر ان المسلمين يئنون تحت نير السيطرة الروسية ولا هدف للروس إلا إزالة الإسلام والمسلمين . وعبر عما تقاسيه الشعوب الإسلامية الواقعة تحت نير بطش الروس وما هم فيه من ذل وفقر وضياح . ثم يعود عاكف فيخاطب المرأة الألمانية ويطلب منها أن تشترك بدموعها السخية المسلمين فى آلامهم ومصائبهم قائلاً لها : إن نظرتك المليئة بالحنان تجاه الشرق وأهله وهم فى بؤس وتعاسة تعتبر فجراً جديداً يطل على بلادنا . . . ، إن آذان وجدان الغرب واحاسيسه صماء ، لا تسمع شيئاً من صيحات اولئك المسلمين التعساء . . . بل ان البشرية تستغيث وتبتهل إلى الله ، أن يرحمها من هوءلاً القساة الذين يسوقون العلابين نحو الموت ان مافعله الغرب تجاه المسلمين فظيع ، لقد اتحد على تدمير البلاد الإسلامية ومحوها من الوجود " وكان عاكف يحس بما يدبره الإنجليز واعوانهم الحلفاء للاستيلاء على مركز الخلافة (استانبول) ثم يسرح بخياله نحوها وهو فى برلين كأنه يرى الجنود البواسل يدافعون عن المسلمين وكأنه احس بالكارثة قبل وقوعها فيقول : أنكم امل ثلاثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين . يالها من كارثة محققة إذا انهزم هوءلاً البواسل . ستهدم المآذن من صدر الفضاء ولن نسمع صوت " الله اكبر " مرة أخرى" (٢) ، هذه هى الحضارة الغربية فى تصوير عاكف . وهذا هو موقف اهل الصليب من الحضارة الاسلامية .

الحضارة الغربية فى نظر عاكف حضارة متهاوية وإن كان لها دوى

(١) ديوان الصفحات : ٢٧٣-٢٧٤ .

(٢) المرجع السابق : ٢٨٥ .

ضخم، فهو يقول عنها في النشيد الوطني التركي كما أشرنا من قبل : إن يكن الغرب محاطة آفاقه بأسوار مدرعة من فولاذ ، فإن لى حمى كقلبي الزاخر بالإيمان ، إنه نعم الملاذ . لاتجزعن . اتقضى على هذا الإيمان حضارة عاوية تضارع غولا تساقطت أسنانه غير واحدة خاوية ؟" ثم يضيف داعيا الله تعالى : إلهى ، إليك تضرعت روحى تبتغى الأمل الفريد ، لاتدنس صدر معبدي يداجنى مرید ، وأن يتعالى على أرض وطنى الرشيد هدير الأذان شهادته أساس الإيمان المجيد" (١) .

هكذا عبر عاكف تعبيرا صادقا عن شعوره وشعور المسلمين فهو يرى أنه إن كان قد أحاط بآفاق الغرب - أى جميع العالم الصليبي - سور مدرع بالفولاذ وبانواع القوة المادية ، محدود وطن المسلمين محاطة بالصردور المملوءة بالإيمان . إن الوحش الذى نسميه المدنية لم يبق فى فه سوى سن واحدة ، فدعه يعوى ولا تخف ، كيف يخلق إيماننا كهذا ؟ أى لن تتغلب قوة المادة على قوة الإيمان . يشبه عاكف الحلفاء الاوروبيين الصليبيين بوحش قد سقطت أنيابه ولم يبق منه إلا ناب واحد هو اليونان الذين حاربوا الأتراك ولم يقدر لهم إلا الفشل والخذلان . أولم يبق منه إلا ناب واحد هو قوتهم المادية فقط . وفقدوا جميع مظاهر الحضارة وبقيت لديهم القوة المادية . ولن تتغلب هذه المادة الصليبية على المسلمين المخلصين اصحاب الإيمان القوى ولا يصب عاكف هجومه فقط على المطالبين باقتباس حضارة الغرب ، بل يصبه على حضارة الغرب ذاتها ويزرى بها . وكان حريصا على أن يسان الإسلام من كل صور الانحراف التى قد تتعرض له حضارته فكما هاجم الغرب ونبه إلى خطره هاجم العناصر المدمرة داخل العالم الإسلامى ونبه إلى خطرها . وهاجم تقاعس المسلمين وعده اشد الأخطار جسامة .

فقد هاجم أهل الصليب اصحاب الحضارة الغربية بسبب غزوهم مركز الخلافة الاسلامية فقال فى قصيدة له بعنوان " خسران " : ما كان هواى أن أقف هكذا معقول اللسان ، بل كان هواى أن اصرخ كى أوقف الإسلام فإنما يجيش صاحب العاطفة القوية والإيمان الغياض ، أما أنا فقد كنت عاجزا حتى عن التمدادى فى التفكير . ، ولكن بمن أنادى ؟ ولقد تولى أصحاب الوطن . نظرت

ذات اليمن وذات الشمال فإذا الأجنب قد احتلوا كل ناحية ، فما كان معنى إلا أن خنقت صراخى ثم أخذت جثمانه . وقطعته إربا إربا ثم دفنته فى شعرى ، هيهات ، أن يغمر أنينى صفحات الوادى كأنه السيول . فكأنى انحدرت بدون خريبر مثل الدمع المنهمر ، فلا اثر لألمى تحت هذه القبة الصماء ، كما أن خبيتى تنن فى - ديوان - صفحاتى بدون عوبل" (١) وينصح المسلمين بقوله : " ولكن المأتم وحده ليس ينقذ الوطن المحاط بالنيران ، فالأمة فى حاجة إلى النهضة وهى لا تستيقظ بالعبرات الخافتة ، فالسعى ولاشى" الا السعى فليس ثمة سبيل آخر إلا الجود بأرواحنا وانفسنا . فسوف تنزل الرحمة الموعودة حين ما يندى الجهد الجباه ، وكيف تخسر الأمة التى تقول : إن من حقى الفوز؟ رباه أليست هناك يد كريمة تمدها بروح من عندك ، حتى تأخذ بيد الشرق الضال ، وتخرجه من الظلمات إلى الفجر المنشود؟" (٢) ، هذا هو الطريق أمام المسلمين للوقوف ضد الحضارة الغربية ، وفى نفس الوقت يطلب عاكف ضرورة توحيد العمل ويقول : " ما قيمة العرق المتقطر من ثلاث نواصي أو اربع فلتنضج العرق ناصية الوطن بأسره (٣) - أى جميع افراد الأمة الإسلامية .

أما البعثات التعليمية من المسلمين إلى الغرب ومدى تأثرهم بالحضارة الغربية : فيقول السلطان عبد الحميد : " بعض الشباب الذى كان يذهب إلى أوروبا ، كان يرى - قبل أن يرى ما يحدث فى المختبرات العلمية هناك أو حتى قبل أن يدبر رأسه إليها - كان يرى السيدات تراقص الرجال وكان هذا الشباب يعجب بالاوروبيين وهم يشربون الخمر أيضا وفى عودتهم إلى بلادهم كانوا يعملون على التوصية بكل ذلك مدعين أن قمة الحضارة الأوروبية تتمثل فى مثل هذه الأمور . وكنت أقول إن هذا خطأ فكانوا يتهمون تفكيرى بأنه عنكبوتى" (٤) .

ويعترف هيربرت فشر بتأثر الأتراك بالغرب ويقول : ان هذه الأمة الاسيوية البدوية (٥) - أى الأتراك - لم تبق جامدة غير متأثرة (٦) على الاطلاق باختلاطها الطويل بثقافة الغرب . فقد تضافرت الارساليات الأمريكية والروايات

(١) ديوان الصفحات : ٣٧٥ ، الظلال : ٣١-٣٢ .

(٢) ديوان الصفحات : ٣٨٤ ، الظلال : ٤١ .

(٣) ديوان الصفحات : ٣٨٢ ، الظلال : ٣٨ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب : ٨٩ .

(٥) استعمل هذا التعبير لتحقير المسلمين الأتراك .

(٦) يقصد بالجمود تمسكهم بالإسلام .

الفرنسية ، وجامعتا باريس وبرلين على اعطاء العناصر الميسورة الحال من الأمة التركية وجهة نظر جديدة فى شوون العالم" (١) . واصبح الشباب يدافع عن الغرب والحضارة الغربية . ويعبر هـ . أ . ب . جيب عن روحه الصليبي حيث يقول : " وصحيح أن الكتلة الإسلامية لم تعرف أثر الغرب بنفس المعدل الذى كل مكان فهناك اقطار اسلامية اكثر انفتاحا من اقطار اخرى كمصر والهند ودع عنك تركيا (حيث العلمانية هى سهم من سهام الكمالية السبعة (٢) فضلا عن أن تركيا تعيش فى معزل عن المناقشات الدينية) إلى هذين المعقلين على خريطة الاسلام الروحية" (٣) .

وقد حاول المستغربون أيام عاكف احلال مايسمى بالحضارة الغربية مكان حضارة الإسلام . وبذلوا جهدهم لتحقيق اهدافهم عن طريق النشر والتعليم واستعمال قوة السلطة والمناصب الرسمية . ، والفوا كتباً فى مدح الحضارة الغربية واتهموا الإسلام بكونه حضارة القرون الماضية التى مضى أوانها . ورد الاسلاميون مزاعم هو"لا" فى المجلات الإسلامية (٤) . يقول حسين مجيب المصرى : " وفى رأى عاكف أن للمسلم عالمه الخاص ، وكل ما فى الخارج غريب عن تقاليد وروحه معادله . ثم يقرب أن كل العلوم والفنون من هذا العالم المتحضر إلا أن الذاهبين إليه لا يعودون إلى وطنهم بهذا الخير بل بكل الشرور . ثم يقول : إن الاخذ بالمدنية الأوروبية هو السبب فى هذا الانحلال الخلقى والشقاق العائلى والتقليد الاعمى للغربيين ، فلا خلاص من هذا الشر المستطير إلا باحترام التقاليد وتقويم الخلق واصلاح المؤسسات الدينية على الخصوص (٥) " لقد كان الانهار والاعجاب الشديد بحضارة الغرب المادية نتيجة حتمية للظروف والاحوال السابقة التى عاشها المسلمون فى العهود الاخيرة . فالبعد عن حقيقة الإسلام وسوء فهمه والتخلف الشامل فى مختلف نواحي الحياة والغزو الأوروبى وما ترتب عليه من آثار ومفاسد مادية ومعنوية كان اعظمها قطع صلة المسلمين بدينهم وزعزعة ثقتهم به ، كل هذا وغيره ادى تلقائيا إلى تعلق المسلمين بحضارة أوروبا المادية وتقليد الاوروبيين فى مظاهر حضارتهم وشكلياتها ، وشعورهم بضرورة التمسك بها والمحافظة عليها إذا هم أرادوا أن يتخلصوا من الواقع المتأخر الذى يعيشونه

- (١) تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ٤٤٨ .
 (٢) الصحيح السهام الستة وهى : الشعبية الديمقراطية العصرية المساوات ، والعلمانية والثورية .
 (٣) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ، ترجمة هاشم الحسينى : ٩
 (٤) انظر من الشريعة إلى العلمانية : ٢٢ (٥) تاريخ الادب التركى : ٥١٥-٥١٦

ويلتحقوا بركب الحضارة والتقدم . . ، إن أوروبا قد تغلبت على العالم الإسلامى وتقاسمته فيما بينها وفاجأتها بالتقدم الهائل والتطور العلمى الواسع، والمظاهر الحضارية الأخاذة والفاخرة وعندها شعر المسلمون بالضعف والانهازمة وخارت قواهم فذلوا واستكانوا أمام قوة الغالب، فانقادوا له وبدأت دورة التقليد والمحاكاة والتقمص فى كثير من العادات والمظاهر البراقة والانكباب على أشكال الحياة الأوروبية من غير وعى ولا تفكير أو ادراك (١) . والحكم بذلك المغلوب أمام قوة الغالب صحيح بالنسبة لبعض البلاد الإسلامية ولكن غير صحيح لتركيا . لأنها رضيت الذلة رغم كونها هى القوة الغالبة أمام الحلفاء ومنهم اليونان . فقد تغلب الأتراك على اليونان فى حرب الاستقلال وكان وراء اليونان القوى الأوروبية الصليبية عموما والإنجليز خصوصا بمساعدتها وتوجيهاتها واقتتل اليونانيون والأتراك لمدة ثلاثة اعوام فى آسيا الصغرى ، وهزم الجيش اليونانى ، مما أزعج الدول العظمى التى كانت تخشى خطر حرب جديدة (٢) .

يقول محمد عبد اللطيف هريدى : يمضى عاكف فى ابراز العيوب الاجتماعية ويدعو إلى التخلّى عنها ومن ذلك انتقاده للمتفرنجين الذين عادوا من أوروبا بأفكار لا تقدم ولا تؤخر فى طريق الحضارة ، فضلا عن مخالفتها للعقل والدين ، وقد صور عاكف شخصية شاب عاد بعد التعليم فى أوروبا ، فهذا الدائد من أوروبا لم يفكر إلا فى ضرورة سفور المرأة وتحريرها مما يسميه بالأسر ، وفى النهاية يقول عنه عاكف : " انظر إلى هذا الوضع الذى سيتحمّل مسئولية الأمة والدين ، سيهدم الدين ويبرّس الأمة (يجعلها روسية) (٣) ويناقش عاكف فى قصيدة " عودة إلى استانبول " (٤) ، من يريدون تقليد الغرب فى كل شئ ويسمون انفسهم (مفكرين) فيخاطبهم قائلا : ان ماتفعلونه سوف يتسبب فى اتساع الهوة بين الأمة ومثقفها أو مفكرها ، فإن الناس يرفضون تماما الأفكار والتقاليد الغربية خاصة ما يمس منها دينهم وتقاليدهم ، ونتيجة لذلك يزداد نفور الناس ، ثم يتحول النفور إلى صراع و نزاع ، وينصح عاكف اولئك المفكرين بأن

-
- (١) الوثنية الحديثة : ٣٦٧ .
 (٢) الدولة العثمانية والمسألة الشرقية : ٤٠٥ .
 (٣) وفى الواقع صور عاكف هنا شباب مسلمى روسيا بعد عودتهم من الدراسة فى أوروبا .
 (٤) ليس هذا اسم القصيدة ، بل اسم لجزء من اجزاء المنظومة ، أما المنظومة ، ذاتها فليس لها عنوان خاص .

يفهموا حقيقة الشعب وروحه العامة أولا ، وهى الدين ، فالتطور تسلسل وليس طفرة واحدة : على الصفة أن تقدر هذه الحقيقة أولا ، ثم تنير الأذهان ، وما إن تمسك الصفة بذلك المصباح الإلهى ، حتى تجد الجماعة تسير من خلفها إلى الأمام " (١) ويتدرج عاكف حتى يصل إلى الفكرة التى يريد إيصالها إلى الأذهان وهى أن الدين ليس عائقا أمام التطور والتقدم بل العكس ، فالتمسك بالدين وتعاليمه الأولى هو السبيل إلى التقدم (٢) .

يقول عبد السلام فهمى : كان حقى الاسبرطائى - والذى كان استاذ محمد عاكف للآداب الغربية - يثبط همته فى نظم الشعر ، ظنا منه أنه سوف يترك الآداب الشرقية ويوليها ظهره عندما يتذوق الآداب الغربية بعامة والأدب الفرنسى بخاصة ، كما فعل غيره من أدباء الترك . بل ويعيش فى عالم الماديات والتحرر الخلقى على الطريقة الأوروبية التى يمارسها الكثير من أقدام الغرب وعاد إلى وطنه محملا بأخلاق من كان بينهم لكنه كان ذا شخصية تختلف عن بقية الشخصيات التى درست الآداب الغربية ، كان حافظا لكتاب الله العزيز ذا اطلاع عميق فى الآداب الشرقية العربية والفارسية والتركية ذا تقوى وخلق إسلامى سليم ، ثم درس الحضارة والآداب الغربية فزادته عمقا وادراكا للحياة الأوروبية وتنظيما لمعلوماته ، واعطته اسلوبا جديدا فى البحث والدراسة " (٣) ، واختلف عاكف فى ذلك مع كثير من معاصريه الذين قل فيهم الروح الإسلامى يوما بعد يوم ففسدوا وافسدوا ومنهم توفيق فكرت الذى دافع عن التغريب فى جميع المجالات بلا تفريق وقال : ابحت وسافر فى العالم وحينما تحصل على شىء من الفن والثقة والترقى والجرأة ، والآمال . . . الخ وكلها مما ينبغى لنا وكلها مفيد ، فلا تتردد فى استيرادها " (٤) وفى رأى عاكف أنها لا تنبغى لنا كلها . بل ينبغى لترقى الأمم شيئا من العلوم والأخلاق ، وكنا نمك فى السابق كليهما ، ولكن اليوم فقدنا العلوم وبدأت الأخلاق تزول ويجب أن نعود إلى أخلاقنا وفضائلنا من جديد يقول عاكف فى مقال له : ارى ان الذين يدافعون عن الشرق وينكرون غيره ، لا يعرفون الغرب كما لا يعرفون الشرق

-
- (١) ديوان الصفحات : ١٤٢ .
 (٢) الادب التركى الإسلامى : ٢١٧ - ٢١٨ .
 (٣) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ٥٨ - ٥٩ .
 (٤) محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : ٧٩ .

والذين يدافعون عن الحضارة الغربية وينكرون غير الغرب لا يعرفون الشرق كما لا يعرفون الغرب. (١) .

وفي رأى عاكف ان القشرة الظاهرية المزيفة للحضارة الغربية لا تلبث أن تسقط أمام أى اختيار حقيقى . وذكر بعض تجاربه ومشاهداته أيام اقامته فى برلين وبين أن غياب التربية الاسلامية والخلق الاسلامى والنظرة الاسلامية للعلاقات والأمر سبب مهم جدا من اسباب انتشار الحضارة الغربية بين ابناء المسلمين . يصور الانسان الغربى الذى جربناه فى الحروب انه مستعمر، فقد كل القيم والاخلاق وتظهر منه فى كل المناسبات الروح الصليبية الموروثة والاحقاد الدفينة القديمة . وشاهد عاكف اعمال الصليبيين تجاه المسلمين فى أوروبا وان رياحا صليبية بدأت تهب من جديد فى أوروبا ضد الإسلام والمسلمين . وربما تكون هناك اصابع يهودية وراء بعض الاحداث، وحاول الغرب تذويب المسلمين فى المجتمع الاوروبى وتقويض كل القيم والتقاليد والدين والاخلاق لدى الأتراك الموجودين فى الغرب من الطلبة والموظفين وضغطوا على المسلمين رغم اظهارهم الفكرة الانسانية وغيرها من المبادئ البراقة ومعنى ذلك ان ديمقراطية الغرب مزعومة والانسانية المعلنة عندهم كفكرة عالمية ، هى فكرة موهومة بالنسبة للانسان المسلم والاسلام . وقد انحرف الشباب من البلاد الاسلامية أيام دراستهم فى الغرب ، وعادوا إلى بلادهم ومنها الدولة العثمانية بغير شىء من العلم ، بل انهم اخذوا برامج حاقدة على الإسلام والمسلمين ، وترجموا كتب الغرب . وقد بين عاكف ان اضرارا جسيمة اصابست العالم الإسلامى من أدب الغرب، فإذا استثنينا بضع ترجمات فإن جميع ما نقلوه عن الأدب الغربى بعيد عن الفائدة ، فنحن نحتاج اليوم إلى أدب يوقظ مجتمعنا ويرفع احساسنا ويثير الحمية ويهذب الأخلاق . فإن الحضارة الشرقية فقدت اصلها وقيمتها الحقيقية ، وان الحضارة الغربية مليئة بالنقائص لذا ينبغى على المسلمين ان يجمعوا بين القيم الحقيقية للإسلام وبين علوم وتقنية الغرب (٢) وهاجم عاكف فى كثير من آثاره أولئك الذين اتخذوا الحضارة الغربية أو النموذج الأوروبى رائدا لهم . وتتعرض فى كتابات عاكف حقيقة الحضارة الغربية وتتكشف كما هى فى الواقع بوحشيتها واستعمارها وروحها الصليبية

(١) انظر آيات من القرآن الكريم : ٣١٥ .

(٢) آيات من القرآن الكريم : ٣١٥ ، محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عاما على

ولقد حث المسلمين على معرفة حقيقتها وطرح عاكف هذه الفكرة في قصيدته التي يقول فيها : " لم يفهم المفكرون عندنا ، كنه الدين بل لم يدركوا روح الإسلام فظنوا أنها لا تحتمل التقدم ولا تتلاءم مع الحياة العصرية ، لا يعرفون ان الإسلام هو خميرة العلوم وانه المرتبة التي سيرتقى اليها البشريوما ما " (١) .

بعد ذلك يقرر عاكف حقيقة واقعة وهي تخلف المسلمين عن غيرهم من الأمم ، ولكن ليس السبب في الإسلام بل في الابتعاد عنه فلنعد إذا إلى الإسلام في أول عهده لنرى اثره في نفوس المسلمين الأوائل وكيف اصبح المسلمون في ثلاثين عاما يتمثلون حضارات يربو عمرها على ثلاثين الف سنة ، وكيف هذب الإسلام النفوس فجعل من ابي بكر بحرا من المعرفة والفضيلة ، وجعل من عمر مثالا للعدل لم يصل إليه أحد من بعده " ثم يتساءل مستنكرا : إذا كان الشرع المبين حائلا دون التقدم فهل كان من الممكن أن تنشأ أعظم حضارة بقدوم العهد الميمون والعصر المختار ، لو لم يكن (الترقسى) مندمجا في روحه اللانهائية " (٢) وكان عاكف يرى الغرب كأفعى تريد بكل إمكانياتها تسميم الشرق الإسلامى وقتله (٣) ، وقد اتهمه بعض المستغربين بكونه عدوا للحضارة واتهموه بالرجعية وبالتعصب : وفي الواقع كان عاكف يريد ابعاد المسلمين عن التغريب والتقليد الشكلى أو المظهرى ولم يكن عسدا وروح التقدم (٤) ، فقد توهم الناس ان كل ما فى الحضارة الغربية خير . ورفض عاكف هذه الفكرة ، ولم يثبت لتيارها إلا القليل ولم يقدر على مقاومتها إلا من عصم الله ، ولم يتبين حقها من باطلها وشرها من خيرها إلا الاثبات من أولى العلم والفكر . ويرى عاكف : ان على علماء المسلمين أن يعنوا كل العناية بالمسلمين وينظروا فيما ينجيهم من هذا الاضطراب . وعليهم أن يحرصوا بمزيد عناية شباب المسلمين الذين ينشأون فى تأثير الحضارة الغربية .

واعلن عاكف فى آثاره من شعر ومقالة (٥) ومواعظ (٦) أن هذه الحروب التي يشنها الغرب على المسلمين فى كل مكان - فى حرب ليبيا وحرب البلقان

-
- (١) ديوان الصفحات : ١٨٥ .
 (٢) ديوان الصفحات : ١٨٦ ، الادب التركى الاسلامى : ٢١٨ .
 (٣) محمد عاكف لاشرف اديب : ١ / ٢٢٤ (٤) المرجع السابق : ٢ / ٧٩ .
 (٥) انظر مقالات محمد عاكف : ٢٩-٣٢ ، ١٨١٠ .
 (٦) انظر مواعظ محمد عاكف : ٥-٦ .

والحرب العالمية الأولى . . . إنما يبتغى منها القضاء على الإسلام و تدمير المسلمين . وسخر عاكف من الغرب ومن حضارته وهو يشن هذه الحرب الجائرة في الحرب العالمية الأولى ، وتباهى بالإسلام والحضارة الإسلامية ، وسخر من الحلفاء وأظهر الشماته بهم بعد أن منوا بالهزيمة في جنائق قلعة ، وتوعده الإنجليز . ودعاهم أن يكفوا عن غيهم ويتركوا المسلمين وشأنهم ، وحذرهم من ان يمسوا الحضارة الاسلامية بسوء . وندد بأعمال الصليبيين الذين كمموا الأفواه وسجنوا الأحرار وجلدوهم وشردوهم . حتى خيم الحزن على أرض المسلمين .

ويقول عاكف : إن الجسد في الحضارة الغربية انحل من كل القيود وهو الآن كالوحش الكاسر يدمر كل شيء وان الروح هي القوة الوحيدة التي تحول بينه وبين تدمير الآخرين ، والوجود في الحضارة الغربية هو من نصيب الجسد ، ولا بد من توازن بين القوتين قوة الروح وقوة الجسد ليعيش الانسان في سلام . ويقول في قصيدته بعنوان " الوحدة " إن الشرق قدملى ماضى كماله بالمفاخر ، أما الآن فخيالها من قرحة لا تلتئم يارب ! كأن عقد الإيمان قد انتشرت حباته لتترنج على الأرض متقطعة ومتداعية لقد كانت الوحدة شعاره . انظروا الآن ، لقد تقطعت اوصال العالم الإسلامى ، واصبحت لعبة في يد الأيام . ايتها الأمة الضالة بسم التفرقة . بينا وعد تاريخك من الأزل بالخلود ، فهل لاتزالين فى الطريق تودى إلى الزوال ؟ لاحول ولا قوة الا بالله " (١) .

وتوجه عاكف فى كثير من قصائده للشرق المسلم يستنهض هم أبناءه ويدعوهم إلى الوثام ويذكرهم بأيام العز وليالى المجد . ونعى على المسلمين حالتهم التي وصلوا إليها بسبب الجهل المتفشى فى عصره . وأشار إلى اطماع الاعداء فى هدم الحضارة الإسلامية . وافتخر عاكف بها وسخر من الحضارة الغربية وعرض صوراً من ظلم الصليبيين وتسلطهم فى البلاد الاسلامية . وسرقتهم الكتب والمخطوطات والوثائق القيمة من آثار الحضارة الإسلامية . وأشاد بجهاد العثمانيين واستبسالهم فى الدفاع عنها . ووازن بين الماضى الزاهر والحاضر البائس لهذه الأمة . ولكن رغم كل محاولات عاكف لمنع تأثر المفاهيم فقد ظلت توجه حياة المسلمين إلى أن عظم الاعجاب وقوى الانبهار بالحضارة الغربية وأفكارها العلمانية ، واشتدت العبودية الفكرية للغرب فى عصره .

الفصل السادس

موقفه من الحركات الانفصالية

- (أ) نماذج من الحركات الانفصالية .
 (ب) اعمال محمد عاكف ضد الحركات الانفصالية .

تمهيد :

عملت الدول الاستعمارية على تفريق شمل المسلمين ، وشق صفوفهم وايقاد نار الفتنة بينهم واثاروا في البلدان الأوروبية التابعة للدولة العثمانية النعرة القومية والنزعة الاستقلالية وحركوا أهل البلاد المطيعين على الدولة الإسلامية . وأخذوا يمدونهم بالسلاح والمال للثورة عليها ، واثروا بها على البلقان حتى اوجدوا فيه القلاقل والاضطرابات ، مما ادى إلى سلخ كثير من اجزائه عن الدولة العثمانية . ونجحت المحاولات التي قامت بها الدول الأوروبية الصليبية في أوروبا مثل الصرب والمجر وبلغاريا واليونان وغيرها ، لأنها سارت فيها عن طريق اثاره النعرات القومية والنزعات الانفصالية التي يسمونها الاستقلال . وبذلت روسيا جهودا ضخمة من أجل قيام تحالف بين دول البلقان وساعدها على ذلك ان ثوار تركيا الفتاة الذين استولوا على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية لم يكونوا محبوبين بين شعوب البلقان . واتباع حزب الاتحاد والترقى لسياسة التتريك ادى إلى قيام تحالف بلقاني في ١٩١٢ ، ولعبت روسيا دورا اساسيا في قيام ذلك التحالف البلقاني وشاركت بريطانيا وفرنسا في تشجيع اقامة ذلك التحالف .

وحاولت مقدونيا أن تستقل ، وضمت النمسا البوسنة والهرسك ، وقام سكان البانيا بثورة ضد الدولة العثمانية . وأعلنت امارة الجبل الاسود الحرب على الدولة في ٨ / ١٠ / ١٩١٢ وبعد عشرة أيام وبناءً على اتفاق مسبق انضمت إلى الجبل الاسود ، الصرب وبلغاريا وبلاد اليونان ، ودخلت الدول الاربع الحرب ضد الدولة العثمانية . ولم يجروء العثمانيون على اضعاف جبهتهم في آسيا بسحب بعض الجيوش منها خشية أن تهاجم روسيا القوقاز وأن تقوم

ثورة ضد الدولة فى أية ولاية عربية (١) ، ونجحت دول البلقان رغم ما بينهما من خلافات فى الوصول إلى التخلص من السيادة العثمانية وأصبحت الدولة العثمانية لا تملك فى أوروبا سوى مدن أربع هى استانبول وأدرنة وتكرداغ، وقرقلرالى .

وهكذا اندلعت الثورات فى البلقان ونجحت الدول الصليبية فى فصل الولايات الأوروبية عن الدولة العثمانية . وللمنظمات السرية النصرانية دور كبير فى الحركات الانفصالية فى تلك الولايات (٢) ، وحينما اتجه الاتحاديون إلى العصبية الطورانية ، تباينت آراء الناس ، فمنهم من نادى بالانفصال عن الدولة . دعا إلى القومية ومنهم من دعا إلى اصلاح جهاز الدولة . الخ .

ودب الخلاف والشقاق بين ابناء الأمة الاسلامية نتيجة اعمال الدول الاستعمارية الصليبية فى اجزاء الدولة العثمانية الواسعة . وهناك دور كبير للاتحاديين ومن اتى بعدهم من تلاميذهم فى بث السموم القومية العنصرية الانفصالية فى صفوف الأمة الإسلامية وكل منجزاتهم فى آخر الأمر كانت زوال دولة الخلافة وبث العداوة للإسلام ومحاولة محوه من قلوب الشعب المسلم ولم تفلح جميع منجزات تلاميذ الاتحاديين فى ابعاد الأتراك عن الإسلام وكانوا ممن ارادوا أن يطفئوا نور الله - الإسلام - ولكن الله سيم نوره رغما عن انوف اعدائه .

أ) نماذج من الحركات الانفصالية :

كان لدولة الخلافة العثمانية قبل الاتحاديين وتلاميذهم سلطان روحى على البلاد الإسلامية والمسلمين فى كل بقاع الأرض ولم يكن أحد يفكر فى التمرد عليها أو الانتقاص من قدرتها حين كانت فى عصور ازدهارها ، اللهم إلا بعض القلائل التى كانت تظهر هنا وهناك فى ربوع الدولة الواسعة ، ثم لاتبث أن تتلاشى من تلقاء نفسها ، أو تقضى عليها القوات العثمانية قبل أن تحقق شيئاً من غاياتها . وظلت طوال هذه المدة توالى فتوحاتها فى أوروبا

(١) انظر الدولة العثمانية والمسألة الشرقية : ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٢) انظر التشكيلات المخصوصة : ٢٣ - ٢٧ .

لتصبح كثير من بلادها تحت سيطرتها وفي مطلع القرن الثامن عشر بدأت هزائم الدولة وكان من نتيجة ذلك ضياع كثير من الممالك التي كانت تحت سلطان العثمانيين ، وساعد هذا على تمرد الفرس عليهم . وقد استمر الخلاف بين اهل السنة والشيعة بدون انقطاع . واستطاع الروس أن يستولوا على اعظم قلاع البحر الاسود ومعظم القوقاز ، واستقل التتار في شبه جزيرة القرم . وتنازل السلطان لروسيا عنها نهائيا . وظلت هذه الهزائم العسكرية تنتقص من قدر دولة الخلافة وهيبتها في أوروبا وفي الشرق . واشتدت النزعة الاستقلالية في أوروبا عند الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية وفقدت نهائيا ، وهي أغلى ولاياتها واصبحت كلها دولا مستقلة (١) وتبنت الدول الأوروبية أسلوب اثاره النعرات القومية والانفصالية في جميع البلاد التي تظللها الراية الإسلامية وتحكم من قبل خليفة المسلمين وركزت في ذلك على العرب بشكل خاص (٢) وبدأت السفارات الإنجليزية والفرنسية ، في البلدان الإسلامية تثير النعرات والنزاعات المذكورة وبذل السلطان عبد الحميد جهوده في منع هؤلاء رغبة في حماية وحدة البلاد واستقرارها (٣) ، ويرى بعض الكتاب أن الحركات الانفصالية حركات سياسية عسكرية قام بها افراد طموحون ذوو عصبية في الولايات العربية ولم تكن هذه الحركات تبغى الانفصال عن الدولة ولكن كان يبغى القائمون بها الافراد بحكم الولاية أو بقسم منها داخل نطاق الدولة العثمانية مع الاعتراف بالسيادة العثمانية وما يتبعها من سك العملة باسم السلطان العثماني الحاكم والدعاء له على منابر المساجد في صلاة الجمعة والعيدين (٤) ، ولكن ادى هذا العمل إلى الانفصال وعين محمد على واليا على مصر في ١٨٠٥/٧/٩ واصبحت مصر منذ ذلك التاريخ مستقلة استقلالاً داخليا وكانت أول بلد عربي يستقل عن الدولة العثمانية (٥) .

وقد ذكرنا في الباب الأول أسماء الجمعيات السرية وبعض أعمالها

-
- (١) انظر دولة الخلافة لعبد الرشيد سالم : ٩ - ١٠ .
(٢) انظر كيف هدمت الخلافة : ١٨ .
(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب : ٩٠ .
(٤) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها : ٢ / ٩٦٣ .
(٥) تاريخ العرب الحديث : ٣٣٩ .

ونذكر هنا خلاصة عن الثورة العربية : وقد تبادل السير مكماهون المنسوب السامى البريطانى فى مصر الرسائل مع الشريف حسين وكانت اهم تلك الرسائل التى كتبها مكماهون فى ٢٤ / ١٠ / ١٩١٥ وبعث بها إلى الشريف حسين ومما قاله فيها : " إن حكومته قد فوضته فى أن يعلن للعرب استعداد بريطانيا للاعتراف باستقلال البلاد العربية ، وضمان هذا الاستقلال فى الحدود التى ذكرها الشريف بالتحفظات الآتية : أن تستبعد "مرسين" و "أضنة" لأنها يقعان فى منطقة تركية غير عربية . أن المنطقسة الواقعة غربى دمشق وحمص وحلب وحماة يسكنها اقوام ليسوا من العرب ولحليفتها فرنسا مصلحة فيها . أن الإمارات والمشيخات العربية التى تربطها مع بريطانيا معاهدات سياسية تبقى على حالها . أن الجزء الجنوبى من العراق يبقى لأهميته الاستراتيجية تحت الادارة البريطانية . أما عن رغبة الشريف حسين فى اعلان نفسه خليفة فان بريطانيا على استعداد لتأييده " واستمرت المراسلات بين مكماهون والشريف حسين بشأن بعض المشاكل الفرعية وأخذ الشريف حسين يعد العدة للثورة على الدولة العثمانية وساعد على ذلك أن جمال باشا الوالى فى الشام ، كان قد شكل محاكم عسكرية حكمت بالاعدام على العشرات من دعاة التحرير على أساس تدبيرهم للثورة ضد الدولة العثمانية (١) .

وفى ٥ / ٦ / ١٩١٦ اعلنت الثورة فى الحجاز ، واطلق الشريف حسين بنفسه الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك فى مكة المكرمة ايدانا ببدء الثورة واعلن نفسه ملكا ثم زحف الجيش العربى إلى العقبة بقيادة فيصل اصغر ابنا حسين . وبدخول فيصل إلى العقبة اصبح الجيش العربى يكون الجناح الأيمن لجيش الغزو الانجليزى القادم من مصر إلى بلاد الشام . وأرسل فيصل رساله إلى بلاد الشام ونجحت دعايته فى اثاره العرب ضد الدولة العثمانية . وكانت تلك الدعاية تعتمد اساسا على أن استقلال العرب رهن بانتصار الحلفاء وكان لذلك اثره الواضح فى جماهير الشعب العربى فى بلاد الشام مما مكن الانجليز من التقدم بجيشهم فى فلسطين بقيادة اللنبى وبمساعدة عرب فلسطين دخلت الجيوش البريطانية بيت المقدس وتمكن الجيش العربى من دخول دمشق وبقية المدن السورية وتقهقر الجيش العثمانى من الشام وسقطت بلاد الشام فى يد القوات العربية وغنم العرب كمية هائلة من الاسلحة

(١) كان جمال باشا ماسونيا وقد قام بهذه المذابح بالاتفاق مع الماسونيين لتسهيل العرب ضد الدولة العثمانية تمهيدا لفصل العالم العربى عن الدولة ، واثاحة الفرصة لليهود لإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

وآلاف الأسرى ، وقطعت القوات العربية المواصلات العثمانية بين شمال البلاد العرب وجنوبها ، كما سدت منافذ البحر الأحمر والمحيط الهندي وبذلك قطع اتصال العثمانيين باليمن ^(١) . وانطلق لورنس ومجموعته من رجال الاستخبارات البريطانية لذكاء نار الثورة العربية وتوجيهها ضد الدولة العثمانية ورسموا للثوار اهدافهم ودفعوهم إلى تحقيقها وكانت لهم ادوار سرية دقيقة يوءدونها مع أعوان سريين دربوا على خدمة العلم البريطاني تدريبا رفيعا بالروح الصليبية التي لاتنساها أوروبا أبدا . نطق باسمها المارشال (اللبني) وهو يدخل بيت المقدس قائلا : الآن انتهت الحروب الصليبية " . والتي ينطق باسمها الجنرال (كاترو) في دمشق فيقول : نحن احفاد الصليبيين ، فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل . (٢)

ولما رفض السلطان عبد الحميد انشاء وطن يهودى فى فلسطين ومشيحي فى لبنان حورب حربا ضروسا بوساطة اليهود والنصارى وبعض ضعاف الإيمان الذين خدعوا بالدعايات ضده ، وكان للمسيحيين فى لبنان ومصر دور بارز فى الهجوم عليه والتشنيغ به ، ويكفى دليلا فى ذلك أن يهوديا كان على رأس الوفد الذى اعلنه بخلعه . وأن الذين نادوا بالقومية العربية اصلهم نصارى وانهم استهدفوا مع اليهود تفتيت شمل الأمة الإسلامية ، والقضاء على النظام السياسى للإسلام وهو نظام الخلافة ^(٣) ، أما المسلمون فقد تسابقوا فى الفرقة والتمزق وكان الانجليز يشجعون القومية العربية فى كل المناسبات احيانا فى الجهر وحيانا فى السر ^(٤) وفى نفس الوقت شجع اليهود الاتحاديين فى العصبية الطورانية حتى سقطت الدولة العثمانية وقد ادى هذا الخلاف بين الشعبين المسلمين العربى والتركى إلى أن قام عدد من الشعراء يحضونهما على الوئام ويحذرونهما من الخصام .

ونظر عاكف إلى العرب والترك بمنظار الإسلام . وغلبت عليه من بين المفكرين النزعة الإسلامية ، فحين هاجم الحركة الانفصالية فى البلقان والبلاد العربية افتخر بالمسلمين أيام كانوا سادة الدنيا والإسلام يظللهم والعالم يدين لهم بالولاء والطاعة . وابدى ألمه على حالة المسلمين بعد انفصالهم عن الدولة

(١) انظر الدولة العثمانية والمسألة الشرقية : ٣٩٨-٤٠١ بتصرف .

(٢) انظر التاريخ فكرة ومنهاج : ٦٤-٦٥ .

(٣) انظر دولة الخلافة : ٢٥ (هامش) .

(٤) انظر شعر الوحدة الإسلامية : ٥٥/١-٥٧ .

العثمانية . ودعا إلى الوفاق بين اركان الأمة الاسلامية وحذر من الفرقة ، ومزج في قصائده (١) ومواعظه (٢) بين الشعوب الاسلامية خصوصا أيام الحروب ونصحهم بأن لا يفتحوا أبواب الخلاف ، ودعاهم إلى الاتفاق وعجب من اختلافهم وتمنى أن يخرج بين المسلمين جيل جديد يقود المسلمين في طريق الحق والخير وينتقم من اعداء الإسلام والمسلمين .

وكان يدعو إلى وحدة العالم الإسلامي في ظل الراية العثمانية وبهاجم الخارجين عليها . وعرض نماذج للعبارة والعظة من نتائج التفرقة ومن واقع الحركات الانفصالية وواقع حياة المسلمين الذي انتهى إلى الذل والضياع واثارت الحروب حماسا عاكف . ودعا المسلمين إلى الالتفاف حول الدولة العثمانية على الرغم من العنصرية التي انتهجها الاتحاديون . وذلك لأنها مقر الخلافة ولأن وشائج الدين تربطهم بها . ولأن مناصرة الدولة كانت تعنى مقاومة الاحتلال الاجنبى الصليبي ، ومن تلك الحروب حرب طربلس التي شنت سنة ١٩١١ ، وحرب البلقان التي اندلعت سنة ١٩١٢ (٣) ثم الحرب العالمية الأولى التي مزقت الدولة بين سنتي ١٩١٤-١٩١٨ (٤) . فقد هجمت بعض الدول الاستعمارية على اجزاء من الدولة العثمانية أولا ثم على مركزها وارهقت تلك الحروب الدولة وتمكنت الدول الاستعمارية من تنفيذ اطماعها وتحقيق مطالبها ورغباتها التي عجزت عن تنفيذها خلال حكم السلطان عبدالحميد ونفذتها حين تولى الاتحاديون مقاليد الحكم ومن اسباب الحركات الانفصالية : أن الاعداء خافوا من صحة الدولة العثمانية " الرجل المريض" في نظرهم . فبدأوا يستخدمون الرسائل التبشيرية ويثيرون الصراعات الطائفية والمذهبية العرقية ويتكئون على " الامتيازات الأجنبية" واصبح الانجليز والفرنسيون وفيما بعد الروس يستغلون هذه الامتيازات لاثارة النعرات الطائفية وحماية عملائهم من بين تلك الاقليات وتغطية نشاطاتهم التخريبية الهادفة لاسقاط الخلافة العثمانية (٥) . يقول السلطان عبدالحميد أوضح التقرير الذى بعث به مندوبنا السامى فى صوفيا النوايا السيئة التى تضمهرها

- (١) صور عاكف اخوة المسلمين فى قصيدة طويلة بعنوان "من صحارى نجد إلى المدينة (ديوان الصفحات : ٢٨٦-٢٩٢) وتحدث عن مسلمى العالم ككل (المرجع السابق : ٢٢٩) .
- (٢) مواعظ محمد عاكف : ١-٧ ، ٨٧ . (٣) انظر ديوان الصفحات : ٢٤٦-٢٨٠ .
- (٤) المرجع السابق : ٣٥٤ . (٥) انظر صحوة الرجل المريض : ٧٥ .

الحكومة البلغارية ، ونداءات الثورة على حكمنا تشتد يوما بعد يوم أما الكلمات التي القاها بعض قادة المنظمات البلغارية في صوفيا فكانت في غاية العنف. وقد سرد الحلفاء حوادث الظلم في ولاياتنا الاوروبية . وادعوا بأننا اعلمنا السيف في رقاب الناس في مقدونيا ثم اعلنوا ألا مكان للعثمانيين في أوروبا المتحضرة أنهم يريدون أن يظهروا أنفسهم بمظهر الخراف بأيدي الجزائريين . إن حماية شعبنا من المنظمات الارهابية البلغارية هي حقنا بل هي واجبة علينا (١). وصور عاكف في شعره ومواعظه اعمال الحكومة البلغارية من انواع الارهاب ضد المسلمين (٢) ، وبذلت أوروبا جهودها لتغذية النعرات المختلفة داخل الدولة العثمانية ومنها الأرمنية، وقد وقف الجيش السرى الأرمنى وراء العمليات الارهابية بعد تأسيس منظمات سرية ، وعملوا في الداخل والخارج . واستندوا إلى عوامل عرقية ودينية لظهار الشعور الوطنى على تراب المسلمين ولقد كانت العمليات التي تقوم بها الجماعات الارمنية المسلحة جزءاً من الحقد الصليبي الكامن فى نفوسهم . وكانت نتيجتها استشهاد عدد كبير من المسلمين وكانوا يأملون فى احياء فكرة وطن قومى لهم فى اراضى الأناضول . واستفادت المنظمات الارمنية فى عملياتها من الصراعات العرقية وتحالفوا مع اعداء الدولة العثمانية ولقوا التأييد فى هجماتهم على المسلمين من كل الاطراف التي تقف من المسلمين موقف العداة ، خاصة من الحركات الانفصالية المماثلة وساعدتهم روسيا لإعلان الثورة والانفصال (٣) . وإن كانوا فى النهاية لم يصلوا إلى هدفهم .

وتعاون اليهود العثمانيون فى هذه الفترة مع المنظمات اليهودية والاغنياة اليهود ، والحاخامات من كبار رجال الدين اليهودى لتحقيق اهدافهم أما فتنة الاروام المقيمين فى تركيا ، فقد ارادوا الانفصال عن الدولة العثمانية على الرغم من قلتهم وضآلة عددهم ولم يرضوا إلا أن يكونوا دولة مستقلة منفصلة عن سواهم فى كل امر . وتعاونوا مع اليونان . ومن ناحية أخرى ادت الدسائس المبتوثة داخل البلاد إلى تشيع الطائفة العلوية بروح العداة والثورة على الدولة العثمانية (٤) . ونظم بعض أمراء الأكراد الثورات ضد الدولة ونادى

-
- (١) السلطان عبد الحميد مذكراتى السياسية : ١٤٨ .
(٢) تحدث عاكف عن اعمالهم من القتل والتشريد والتنصير (انظر ديوان الصفحات : ٢٣٦-٢٣٧) .
(٣) انظر صحوة الرجل المريض : ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٨ .
(٤) انظر رسائل انقره : ٩١ .

بعضهم باستقلال الاكراد ، وبدأت الدعوة القومية الكردية فى نفس الفترة التى ظهرت فيها النزعة الطورانية والدعوة للقومية العربية . وشكلوا عدة جمعيات سرية واسسوا ناديا واصدروا صحيفة ومجلة . . . واعترفت معاهدة سيفر . ١٩٢٠ بحقوق الارمن والاكرد فى اقامة دولة مستقلة لكل منهما تنفيذا لسياسة الحلفاء فى تمزيق الدولة العثمانية إلا أن معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ قضت على احلام دعاة القومية الكردية (١) .

ب) اعمال محمد عاكف ضد الحركات الانفصالية :

أشار عاكف إلى شرك اليهود كما اخبر سبحانه وتعالى بقوله (وقالت اليهود عزيز ابن الله) (٢) وعمل مقارنة بين السابق والحاضر (٣) وبين مظالم اليونانيين واعمالهم الوحشية ضد المسلمين رغم أنهم من العثمانيين فى الجنسية والظاهر ، ولكنهم يونانيون أى صليبيون من حيث الإيمان والسلوك والأعمال (٤) هذا بالنسبة لأعمال الرجال أما اعمال الروميات من النساء المسيحيات فلا تقل عن نشاطات الرجال فى افساد المجتمع العثمانى (٥) . كما بين عاكف فى آثاره بالأمثلة التى ضربها من الواقع فى حياة الناس فى عصره . ووقف عاكف ضد المنظمات والحركات الانفصالية من القومية الالبانية والتركية واللازية والكردية والفارسية وغيرها من القوميات (٦) ، وبين عدم جواز تلك الحركات فى شريعة الله .

وقد اورد عاكف الأحداث المؤلمة التى ارتكبها الثوار الالبان عند طلبهم الاستقلال والانسلاخ عن الدولة العثمانية مؤيدين من اعدائهم الصليبيين فبتحريك الغرب ودسائسه انقلبت البلاد الالبانية على الدولة التى تنتمى اليها ، وكان الصراع أليما والقتال شديدا ، راح ضحيته الآلاف المؤلفة من المسلمين ونهى عاكف عن القوميات واسف على ما حدث وعبر عن اسفه فى شعره

- (١) انظر صحوة الرجل المريض : ٩٩ . (٢) سورة التوبة : ٣٠ .
 (٣) انظر ديوان الصفحات : ٢١٦ . (٤) المرجع السابق : ٢٤٠ .
 (٥) انظر نشاطات الروميات فى افساد المجتمع المسلم العثمانى بانواع الفساد (المرجع السابق : ٣٠٥-٣٠٩) وانظر نشاطات الارمنيين فى المجتمع العثمانى (المرجع السابق : ٣١-٣٤ .
 (٦) انظر المرجع السابق : ١٢٣ ، ٢٢٧ ، وتفاسير محمد عاكف : ٤٨-٤٩ ، ١٤٨

ومواعظه وعن عداوته تجاه كل الحركات الانفصالية والمنظمات العاملة لضعف الدولة العثمانية وتمزيق وحدة المسلمين (١) ، وسارع بعض المسلمين إلى الالتفاف حول الرابطة الإسلامية ومنهم عاكف . وايد الدولة في حروبها . وكانت تلك الحروب ، في نظره مدعاة للالتفاف حول فكرة الجامعة الإسلامية أو الدولة العثمانية فجعل يدعو إلى وحدة الصف تحت رايتها وتغنى بالخلافة الإسلامية ومجسد البطولات وهاجم المستعمرين وندد بكل خارج على الدولة وكان يدفعه إلى ذلك كله الشعور الديني والخوف من بعثرة القوى وتفريق الشمل والخشية من الدول الصليبية التي باتت تهدد اراضي المسلمين بالاحتلال والتقسيم وفي أيام حرب الاستقلال فرح بالجهاد وصار يمجّد بطولات المجاهدين .

وحيا المسلمين وعجب من اختلافهم والاعداه يتكاتفون عليهم وحذرهم من الاختلاف وحض على الاتحاد الإسلامي وبين أنه لا فوارق بين عناصر الأمة الإسلامية حتى يقع الانقسام بينهم وأهاب العناصر المسلمة أن يكونوا صفا واحدا وخوفهم من مغبة الفرقة والعدوان (٢) وذم النعرات القومية التي نادى بها بعض المثقفين وزعموا وجودها في الإسلام . وذكر أن المسلمين سواسية في نظر الإسلام مهما اختلفت أجناسهم لافضل لاحدهم على الآخر إلا بالتقوى وحذر من اعمسالات الانفصاليين ومن المنظمات الانفصالية وهاجمها ومدح المطيعين . وكان يوقن بأن هذه الحروب إنما هي حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين وذكرهم بضعفهم

(١) كتب عاكف عن الثورة اللبنانية ابياتاً ضمن قصيدة له نشرها في ١٤ / ٩ / ١٩٠٩ (ديوان الصفحات : ٧٢) ثم كتب عن القومية اللبنانية ، ووقف ضد هاوعبر عن اضرارها (المرجع السابق : ١٥٢) وبعد ذلك تحدث عن الحريق في البانيا وعبر عن خطورة الثورات فيها ، وعن اسفه الشديد على ما حصل في بلاد آباءه واجداده (المرجع السابق : ١٧١) ثم سأل عن حكم الخروج على دولة الخلافة وعن فكرة اللبنانية في الشريعة الإسلامية وبين حرمتها في الإسلام (المرجع السابق : ١٧٣) وبين كون البانيا عبرة امام الاعين لمن يعتبر (المرجع السابق : ١٧٤) وتحدث عن خطورة ثورتهم بالنسبة للمسلمين (المرجع السابق : ٢٢٧) وأشار إلى إيمانهم وطاعتهم في السابق (المرجع السابق : ٢٣٩) .

(٢) انظر اقواله في هذا المجال ، (ديوان الصفحات : ١٠٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ،

١٧٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٢ ، ٣٣٩ ، مواعظ حرب الاستقلال : ٤٦٣ ، ٤٦٥ ،

٤٧٣ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ .

إذا تفرقوا وطمع الأعداء فيهم . ونعى على الانجليز ايقادهم نار الفرقة بسين الشعوب المتآخية حسب سياستهم المعروفة " فرق تسد" . وتناول المسألة اثبلاقانية وما لقيه المسلمون هناك من ذل ودمار لبلادهم . واشتعلت عواطف عاكف حين رأى الثوار يعلنون الثورة على الدولة ويتحالف رجال الثورات مع الأعداء ومنهم الانجليز ، بعد أن خدعوا من قبلهم . وكان يعتقد أن حروب الدولة العثمانية ليست إلا دفاعا عن الإسلام ووقوفا في وجه أوروبا الكافرة التي تريد القضاء على المسلمين واحتلال بلادهم . ووصف المجاهدين بأنهم حماة الإسلام في الشدة والرخاء وقرن انتصاراتهم بانتصارات المسلمين السابقين وحذر الانفصاليين من بريطانيا وغدرها (١) . وتألم من حالة القطيعة التي كانت يعيشها المسلمون في عصره فيما بينهم . وتساءل عن الدواء الشافى من هذه الفرقة .

وهاجم عاكف الرعماء الذين تولوا أمور المسلمين واعلنوا الحرية المزيفة وخالفوا في الحكم المنهج الريانى ، وتألم حين رأى بعض قادة البلاد الإسلامية في لهو ومجون وغفلة وكأنهم لا يشعرون بما حولهم ، ولا يدركون اطماع القسوى العالمية في بلادهم ويضرب المثل لأولئك اللاهين العابثين بنكبة الاندلس (٢) . فحين عمت الفوضى تلك البلاد واجتاحها الشقاق وسادها اللهو فقدت وضاعت ، وكأن التاريخ يعيد نفسه . وبكى حالة المسلمين وتحسر عليهم فاندلس الامس تعود اليوم كرة أخرى . وحين يبلغ الحزن منه مبلغه على ضياع الدولة العثمانية يلجأ فى قصائده ومواعظه إلى الله تعالى يدعوه ويسأله الرحمة بالمسلمين والنقمة على الكافرين (٣) وحينما وصلت الاخبار إليه عن انتصار المجاهدين فى جبهة جناق قلعة شكر ربه ودعاه قائلاً : اللهم لا تقبض روحى قبل كتابتى قسيده

(١) تحدث عاكف عن الانجليز فى ديوان صفحاته بمناسبة منها الدراسة فى الغرب (ص: ١٤٦-١٤٧) ومنها التقليد والتغريب (ص: ١٩٧) ، وذكرهم احيانا مع الغربيين الآخرين وصور مكرهم بالإسلام والمسلمين (ص: ٢٦١) وصور سعيهم لتمزيق المسلمين (ص: ٢٧٣) وبيّن أنهم أرادوا بالمسلمين سوءاً (ص: ٢٨٢) وقال : إن الانجليز خونة (ص: ٣٠٣) ثم أشار إلى أن المسلمين (دنسوا بلادهم بالكفار من الغربيين (ص: ٣٢٦) .

(٢) انظر ديوان الصفحات : ١٥٤ .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ٢٤٠-٢٤١ ، مواعظ محمد عاكف : ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٥ ،

الثناء على هؤلاء المجاهدين . وقال لاصحابه : هيا نذبح شكرا لله ، ولكن كانوا لا يملكون ما يقدمونه للذبح (١). ويكى عاكف حالة المسلمين فى العالم كله وما حل بهم من الفرقة والانقسام بعد الوحدة والاتفاق ، وشكى أساه فى قصيدة له للطائر " البلبيل " (٢) ودعا فيها ذلك البلبيل إلى مشاركته فى الحزن والألم على ذلك الملك الضائع والمجد الزائل ، والشعب المشرذم ، وتألم عاكف من الحقد الذى وحد الأعداء ، وتضجر من الخلاف والعداء اللذين سرىا بين المسلمين سريان النار فى الهشيم ، فضاعت الممالك الإسلامية من فينا غربا إلى الصين شرقا ، واصبحت شتاتا لا رابطة بينها . وفى بعض ابياته يخاطب عاكف صلاح الدين الايوبي (٣) قاهر الصليبيين (١١٣٨-١١٩٣ م) ويشكو له حالة المسلمين وجرائم الصليبيين الذين انتهكوا الحمى وعاثوا فى الأرض فسادا وهددوا عرش الخلافة وارتكبوا الجرائم ، ونظم عاكف معظم قصائده للتعبير عن احزان العالم الإسلامى والحالة السيئة التى وصل إليها حين ساد الارهاب فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، والزعماء مشردون والخلافة مهددة ، والفظائع على قدم وساق وكان العالم الإسلامى كله غرقا فى بحر من دمه ودموعه . وخاطب عاكف فى قصيدة له بعنوان " الشرق " ، المسلمين عامة باسم الشرق ، وذكرهم بملكهم الذى عبث به الاعداء ودعاهم إلى اليقظة ، وذكرهم بماضيهم حين كانوا قادة الدنيا . وصور حاضرهم حيث غدوا عبيدا . ثم تساءل عن الوحدة الضائعة والقوة المنهارة وندد بأولئك الذين احسنوا الظن فيمن لا يستحقونه ، ثم يعود كرة فيستثير الهمم ويذكر المسلمين بالجرائم والويلات التى ترتكب فى الاناضول فالدور هدمت والاعراض هتكت والشيوخ قتلت والغيد شردت ، والخلافة هانت بعد المنعنة وذلت بعد العز . ودعا المسلمين إلى العمل على استعادة ماضيهم المشرق واكد أن كابوس الظلم لن يطول ، وحض المسلمين على الثأر وحماية الإسلام . يقول عاكف : " يسألوننى إنك طففت بالشرق فماذا رأيت فيه ؟ رأيت بلادا خربة وأسرا منكوبة وأما بلا رأس وجسورا متهدمة وقنوات معطلة وطرقا من غير سابلة ، ووجوها

(١) محمد عاكف لأشرف اديب : ٢ / ٢١٦ .

(٢) انظر قصيدته بهذا العنوان ديوان الصفحات : ٣٩٦-٣٩٧ ، وكتب

عن البلبيل ايضا انظر المرجع نفسه ص : ٤٢-٤٣ .

(٣) المرجع السابق : ٣٥٦ ، ٣٩٧ .

مجعدة وجباها لاتندى بعرق وسواعد عاطلة وظهورا مقوسة ورقابا نحيلة ودماء منطفئة الحمية وروء وسا غير مفكرة وقلوبا غير آبهة وضامئ صدئة وضروباً من نفى وأسرو جبروت وذل ورياء وعلل وأمراض وبيئة . . . ، ومداخن لا يرتفع من فوهاتنا الدخان فاتخذها العنكبوت بيتا ، وغابات محترقة ومزارع جرداء وبيوتا علتها الحشائش ، وبيادر متسنهة ، وأئمة بدون جماعة ووجوها قدرة وروء وسا لم تعرف السجود ، واخوانا فى الدين يقتتلون باسم الجهاد ، وأمكئة غير معمورة وقرى بلا سكان وسقوفا متداعية وأياما حرمت السعى وليالى لاتعرف فكرة الغد . ، مضيت باكيا حينما مضيت ووقفت باكيا حينما وقفت ، ولقد طرقت كثيرا من الأوطان المكتئبة فما من سميع ولا مجيب ، وليس أمامك إلا المقابر وعوالم الآخرة تعلو وتمتد ما فى الأرض وجه باسم ولا يهبط من السماء نور ضاحك ، وإنما تفرع سمعك أنات آلام لا حصر لها تأتى من الأعماق أما الآفاق فهى طوق أحمر فى عنق الإسلام المطررق ، والصدور تختنق بحشجة الموت والسلاسل تضيق ، وثلاثمائة وخمسون مليوناً من الأرواح تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة . . . ، (١)

وخوف عاكف المسلمين من الفتنة التى توشك أن تقع فى الخلافة حين يتنافس الزعماء على ذلك المنصب ويتنازعون عليه . وكان يرى أن الخلافة (٢) رمز الوحدة الإسلامية والخليفة هو الجامع لكلمة المسلمين الموحد لصفوفهم وأن حروبه ليست إلا دفاعا عن الإسلام والمسلمين فى العالم . وعبر عاكف عن ولاء المسلمين للخليفة . واشاد بالمجاهدين الذين صانوا الخلافة وبين أن آلام المسلمين واحدة ودينهم واحد ، والشهادة تجمع القلوب . وحث عاكف المسلمين على التمسك بالخلافة العثمانية . وأن يؤيدوها فى جهادها . وتحدث عن الرابطة الإسلامية الراسخة والأخوة الإيمانية الثابتة فى أصحاب رسول الله صلى

(١) ديوان الصفحات : ٣٧٧ ، الظلال : ٣٣-٣٤ .

(٢) وقد ذكر عاكف كلمة الخليفة و الخلافة عدة مرات بمناسبات عديدة فى الطبعة الأولى من ديوان صفحاته وغيروا تلك الكلمات بعد إلغاء الخلافة وبدلوها بكلمات أخرى منها : القدرة والحكومة بدلا من الخلافة (ديوان الصفحات : ٢٢٩ ، ٢٣٢) الحكومة بدلا من الخليفة (ص : ٢٣٩) البلاد المسكنة بدلا من بلاد الخلافة (ص : ٢٨٢) الجيش المعظم بدلا من جيش الخليفة (ص : ٢٨٣) أصحاب الجلالة بدلا من آل عثمان (ص : ٣٤٦) .

الله عليه وسلم ونشرفى ١/٢٢ ١٩٢٥ قصيدة بعنوان " الوحدة " أخذ موضوعها من حياة الصحابة . يقول عاكف : قال حذيفة العدوى (١) : حميت المعركة فى حرب اليرموك وكان يوماً شديداً الحر، وكاد يهدأ وطيس القتال وقت العصر فالقيت السلاح وبادرت إلى الماء أحمله لأمداد المجاهدين ممن جرحوا جروحاً خطيرة فى النواحي البعيدة . . ، يالها من معركة . ، كان صدر الأرض بأسره مضرجا بالدم سرت أحدث نفسى : ما أكثر هوء لا الشهداء الذين رقدوا وتفتحت قلوبهم لرحمة الله . أما منهم من غاز لا يزال على قيد الحياة؟ إذا بى اسمع أنينا عميقا ولكن من أين هذا الصوت ؟ فإن الصدور التى تحسستها قد فارقت الحياة . . ، وإذا الجريح الذى يئن هو ابن عمى ! قلت هذا الماء ، فهل لك فى شىء منه ؟ كاد يقول لى هات . . وإذا بى أسمع أنينا من الخلف فرأيت فى عينه الرحمة ، وكأنها تقول : " إذهب إليه " مشيراً إلى مصدر الأنين ! ألححت عليه فلم يشرب ، وعبثاً كان اصرارى ، فاسرعت نحو الصوت الذى ارتفع فإذا به : هشام ابن العاص . ما رأى ظلى حتى انقطع أنينه فجأة ، كان نظر المسكين يدور طالبا ماء ، انحنيت لأسقيه وإذا بأهة ثالثة قصيرة تنطلق بحشجة من الأمام بغتة ، هذا هشام يشير إلى بحاجبيه ، وهو بين الحياة والموت قائلاً : لا أريد إذهب واسق المستغيث ! بحثت برهة عن المحتضر الذى يتأوه . وأدركته أوامه . لقد شخص نظره إلى بارئه ، قلت ليتنى أدركت هشاماً حياً فرجعت وإذا الموت كان أسرع منى إلى فريسته ، لم يبق لى أمل إلا فى ابن عمى ، وعدوت فلما بلغته كان هو أيضاً شهيداً .

إن الشرق الذى قد ملئ ماضى كماله بالمفاخر ، يالها من قرحة الآن لا تلتئم يارب ! كأن عقد الإيمان قد انتشرت حباته ، لتترنج على الأرض متقطعة ومتداعية ، هل كانت الوحدة شعاره ؟ انظروا الآن ، كل قطعة منها أصبحت لعبة فى يد الأيام . ، أيتها الأمة الضالة بسم التفرقة . بينا وعد تاريخك من الأزل بالخلود ، فهل لاتزالين فى الطريق التى تؤدى إلى الزوال ؟ لاحول ولا قوة الا بالله " (٢) ، ويرى عاكف أن السبب الاصلى فى احتلال الصليبيين العالم الإسلامى هو عدم الوحدة بين المسلمين . يقول فى بيان مدى خطورة التفرقة :

(١) هو حذافة العدوى : انظر الاصابة فى تمييز الصحابة : ٣٣١ / ١ .

(٢) ديوان الصفحات : ٤٠٨ - ٤٠٩ ، الظلال : ٢٣ - ٢٥ .

"أجل ان التفرقة شنت شمل الإسلام وقتل الأخ أخاه عن قصد أو على غير هدى" ويقول فى بيان نتيجة التفرقة والخصومات : ذهبت الروح وذهب الوطن وانقضت السكين على الدين " ثم عاد وفرح بنصر المجاهدين وتهكم بالاعداء ودعا إلى ضرورة عدم الغفلة عن رعاية شئون المسلمين فى العالم (١) . واستدل فى ذم النزاع فى قصيدة بعنوان " الى متى النزاع " بقوله تعالى (. . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (٢) ، يقول عاكف : دع الألسنة تقول : أنا أنت ، وفرق وحدة الجماعة . فيومئذ تقوم القيامة التى تغنى الأمم . غص فى الماضى وطسف بمحتشد تلك العهود الخوالى ، فلن ترى لسنة الله تبديلا ، إن التاريخ وهو تلك الخبرة الدامية التى تحفرها تخبيء لحدود لا حد لها وآثارا لا عدد لها وهذه الأمة تفرقت فرقا عديدة وما نزاعها إلا من الحرص على الجاه ، إلى متى النزاع ؟ ياللغفلة ويا للفضيحة (٣) . وعبر عاكف عن مأتمه و حزنه على احوال البلاد الإسلامية فقال : بقيت فى البكاء كالبومة على الأماكن الخبرة رأيت هذا الوطن الحبيب فى فصل الخريف - أيام الحزن - لو عرفته فى أيامه الوردية لكنت بلبسه أصور سروره ، آه لو كنت خلقتنى يارب قبل هذه الأيام ، فى أيام سرور بلادى (٤) .

اسباب انتشار الحركات الانفصالية فى رأى عاكف :

انتشار الجهل وضعف الدولة : يقول فى احدى مواغظه فى مسجـد السليمانية أيام حرب البلقان : " رعاة الأمس فى البلقان اصبحوا اليوم من كبار الرجال هناك ، وانتصروا على الدولة العثمانية كانوا قبل ثلاثين سنة لا يعرفون الحسـاب ولا يعرفون من الاعداد اكثر من ثلاثين إلا بالعد على أصابعهم . وكان معظمهم عاجزا عن التعداد إلى مائة . أما اليوم فقد انتصر جيشهم على جيوشنا وتفوق ساستهم على ساستنا ، ونشاط اساتذتهم اكثر من نشاط اساتذتنا وليس انتصارهم فى المجال العسكرى فقط ، بل الاعداء متفوقون على الدولـة العثمانية فى جميع المجالات ووصلوا إلى هذا المستوى خلال ثلاثين سنة كانوا بالامس ولاية اصبحوا اليوم مملكة . وانتصروا على سيدهم السابق وتفوقوا عليه

(١) انظر ديوان الصفحات : ٣٩٥ ، الظلال : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) سورة الانفال : ٤٦ .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ٣٨٧ ، الظلال : ٤٥ .

(٤) المرجع السابق : ٥٦٨ (طبع دار الانقلاب) .

لأنهم عملوا وكتب لهم النجاح . أما نحن فلم ننظر حولنا للعبرة ، وبقينا فى النوم العميق ، لذا كان نصيبنا الفشل ، ونحن لم نشعر بأهمية الوظيفة الملقاة على عاتقنا ، أما هو^١ فقد ادوا دائما ما عليهم من الواجبات وعلاوة على ذلك كانوا فدائيين " وعلاج جميع هذه الامراض فى نظر عاكف هو نشر المعارف على جميع المستويات (١) ، لأن الشعب لم يستطع التفريق بين الخير والشر لأنه جاهل والمثقفون يوجهونه توجيهها غير سليم إلى طرق غير صحيحة . ما سبب حركات الخروج من اربع سنوات ؟ وما هو سبب الكوارث الأخيرة ؟ السبب هو جهل الشعب ، حشهم بعضهم على الخروج على الدولة والشعب طبق المطلوب منه ولم يستطيعوا تمييز الأمور واتباع الحقيقة بل مشوا على طريق الفساد — هذه بلاد ألبانيا : انظروا حولكم لتعرفوا ذلتكم . فانهم وقفوا ضد الدولة العثمانية واصابتها اضرار جسيمة بفعل ايديهم ، وهذا طبيعى ، لأننا نستمر على اخطائنا . سوف تنتقل حركات الخروج إلى الاقوام الأخرى — لا قدر الله — وسوف تصيبنا مصائب مؤلمة ، فكروا فى النتائج من الآن واعملوا حسابا دقيقا يجب علينا ان ندفن جميع انواع النفاق والشقاق وينبغى نسيان ما وقع فى السابق وعدم فتح ابواب الفتن من جديد ، كما أننا لم نقطع الآمال من المستقبل فلا تكونسوا يائسين ، لأن اليأس حرام ، لأن اليأس موت نهائى" (٢) .

وقد ألقى عاكف أيام حرب البلقان درسا آخر فى أحد المساجد استانبول وتحدث فيه عن الوحدة والاتحاديين المسلمين . وعدم التفرقة واستشهد بقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . .) (٣) ثم تحدث عن الاحزاب وقال : هناك احزاب فى كل ملة من الملل ، رغم ذلك تفوقوا وتقدموا فى امور دنياهم ولم تكن هذه الاحزاب سببا فى ضياع الملل ولكنهم لا يفهمون الحزب بمعنى التفرقة بل يفهمونه كمفهوم المذاهب عندنا أنا حنفى أنت شافعى ، فهل اعترض عليك ؟ كلنا نعيد إليها واحدا ، وكتابنا واحد ونبينا واحد . . ، وكذلك ينظرون إلى غيرهم من الاحزاب بهذه النظرة هل الحال بيننا هكذا ؟ هيئات . فإن الاحزاب فى مجتمعنا من اسباب التفرقة واصبح بعضنا عدوا للبعض الآخر . لأن أحد الاحزاب مثلا يرى أن جميع

(١) انظر مواعظ حرب الاستقلال : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٢) المرجع السابق : ٤٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .

الاحزاب من اعداء الوطن . وينظر إليها بهذه النظرة والجميع يرى السلامة فى حزبه فقط . وكل حزب بما لديهم فرحون . ولذا ظهرت انواع من التفرقات واصبحت الدولة على شفا حفرة من الضياع . إن لم ننتبه من الغفلة فى هذه اللحظة والدولة تلفظ أنفاسها - لا قدر الله - فسوف تنقطع جميع الآمال من خلاصها . ايها المسلمون افتحوا اعينكم وانتهوا من الآن . . . فى الواقع نحن نسوء دى العبادات الاسلامية ولكن يفوتنا ادراك حقيقة تلك العبادات ، فمثلا نحن اجتمعنا فى هذا المسجد تحت قبة واحدة وصلينا خلف إمام واحد ، ولكن حين نخرج من المسجد لايهتم بعضنا ببعض ماهو القصد من صلاة الجماعة ياترى؟ القصد هو التعارف بين المسلمين . وتكوين جماعة ومجتمع من المسلمين لأن الدين قائم بالجماعة لاتستمر حياة الدين بلا جماعة ، ربما تعيش جماعة بلا دين . ولكن لا يعيش الدين بلا جماعة . نحن اليوم غير واعين لما حدث لنا . فلقد اصبحنا اكثر الملل تشتتا ، إن نظرت إلى احوالهم الظاهرة فالمسلمون كتلة واحدة ولكن فى الحقيقة قلوبهم متباعدة ينطبق على واقعهم قوله تعالى : (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) (١) ومن الاسباب الرئيسية للمصائب ، اشتغالنا بالكلام الكثير بدون عمل جدى فى واقع الحياة (٢) ثم يستمر عاكف قائلًا : فلنترك الفرقة من الآن . لأن نتائجها السيئة معروفة لدى الجميع ، ولكل واحد منا بلا استثناء سهم من المسؤولية فى الكوارث الحالية . ولا ينبغى أن نجعل انفسنا خارج المسؤولية بل يجب أن نحس فى ضمائرنا مسؤولية هذه المصائب الحاضرة ، أما علاج المرض الحالى فهو أن نكون يدا واحدة ، الحكومة والملة والجيش كلها تنتظر منا روح الفداء وينبغى أن نفدى ديننا بكل ما نملك وينبغى التضحية من اجل الوطن ومن اجل الحفاظ على الارواح . سيجاهد العلماء بعلمهم والاغنياء بشرواتهم والفقراء على قدر امكانياتهم ، والذين يقدررون على حمل السلاح ضد العدو يجاهدون بقوتهم وطاقتهم ، هذا دين علينا يجب أن نؤديه والتخلف عن هذا العمل حرام وخيانة للدين ولا ينبغى أن ننتظر من الحكومة أن تعمل كل شىء لم يبقى للمسلمين أمل إلا فى هذه الحكومة وهى على وشك أن تودع الحياة والعدو يرصدنا على بعد ساعات من مركز الخلافة . إنهم يعملون بجهد ونحن لانيالى ولا نهتم بالخطر . كما يعرف الجميع لم تنقطع جميع الآمال ، والإسلام مازال موجودا فى واقع حياتنا . ومن واجباتنا أن نتعاون مع الحكومة والجيش لنقويهما (٣).

(١) سورة الحشر : ١٤ .

(٢) مواعظ حرب الاستقلال : ٤٥١ وما بعدها . (٣) المرجع السابق : ٤٥٥-٤٥٦

هكذا عمل عاكف أيام الحرب فى البلقان . وخشى من أن يطمع ببلاد المسلمين طامع وبين الاسباب التى تؤدى إلى القوة والنصر . فإن قوة الخليفة هى التى حمت الإسلام وصانت ذمار الدين وملك المسلمين . وشدت من أزر الخلافة حتى هابتها ضمائر الأعداء ولولا الخلافة ووحدة المسلمين ما استقرت الدولة ولاقرت عيننا . ويرى عاكف ان الخلافة مصدر العز للمسلمين ويعتقد ان الدفاع عنها والذود عن حماها واجب وفى رأيه أن الخليفة صان شمل المسلمين من أن يتفرق وحفظ دينهم من أن يتمزق . وأشاد بالخليفة ومواقفه ودافع عنه . وكان يدفعه إلى ذلك تعلقه بالوحدة الإسلامية وحرصه على جمع كلمة المسلمين تحت لواء واحد . وعبر عن ذلك فى تفسير قوله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..) (١) الآية (٢) وقوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٣) الآية (٤) . وبعد إلغاء الخلافة اخفقت الجهود المبذولة لوحدة المسلمين . وشعر عاكف بالنكبة التى حلت بهم وكانت الخلافة احسن علاقة جامعة للمسلمين . وكان عدد دم فى تلك الأيام اربعمائة مليون مسلم فى العالم يوالون الدولة العثمانية على اساس أنها دولة الخلافة وبعد اعلان الغائها قطعت تلك العلاقات بين تركيا (أى الجمهورية التركية) والعالم الإسلامى . ورثى عاكف الوحدة الإسلامية ابلغ رثاء ، ودعا المسلمين إلى اليقظة كما دعا العلماء والمفكرين إلى اسداء النصيحة للقادة والزعماء بعد أن اضلهم الغرور ، وظل مخلصا للوحدة الإسلامية ومحبا للخلافة الإسلامية طسول حياته ولذا دخل حرب الاستقلال ودافع عن تركيا حين ظن بالقادة الجدد خيرا للوحدة الإسلامية . ولما رأى انحرافهم ترك بلاده وهاجر إلى مصر ونعى فى قصائده الاخيرة الخلافة وايدى حزنه عليها وحض المسلمين على اعادة الوحدة فملأها بمشاعره ووجهات نظره كسلم وتحدث عن صلتهم بها (٥) . يقول محمد عبد اللطيف هريدى : بعد الهزيمة فى حرب البلقان كانت الأمة الإسلامية فى حاجة إلى أن تتمالك نفسها وتجمع شتاتها ، فاصدر عاكف الجزء الثانى من ديوانه وهو دعوة إلى الوحدة الفكرية وسد الفجوة بين المفكرين وامتهم ، تلك الفجوة التى تنجم عن الانفصال بين الفكرة والشعور ، فإذا اتفق الفكر مع الشعور تستطيع الأمة أن تهضم الفكرة التى يدعو إليها المثقفون . وفى العام

(١) سورة الحجرات : ١٣ . (٢) تفاسير محمد عاكف : ٣٣ .

(٣) سورة الانفال : ٦٠ . (٤) تفاسير محمد عاكف : ٤٣-٤٤ .

(٥) انظر مواعظ حرب الاستقلال : ٤٦٣-٤٦٥ .

التالى اصدر الكتاب الثالث من الصفحات بعنوان " اصوات الحق " وقد ضمنه الآيات القرآنية التى تحض المسلمين على الوحدة وتدعوهم لترك اليأس وتجاوز الهزيمة ، ولا شك أن ذلك كان انعكاسا لهزيمة البلقان وقلق عاكف ازاء النزعات الانفصالية التى كانت قد بدت بوادرها سواء فى الجانب العربى أو التركى وواصل دعوته من خلال الكتاب الرابع " على منبر الفاتح " الذى ضمنه معظم الأفكار الاصلاحية ذات الأسس الإسلامية ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى وهزمت تركيا وحاربت بدون الأمة العربية لأول مرة . رغم ذلك لم يفقد عاكف الأمل وانضم إلى صفوف المقاتلين فى حرب الاستقلال . وكان يرى فى هذه الحرب الأمل الأخير لا نتصار الأتراك المسلمين وعودة الإسلام قويا فى تركيا . واشتعل فى نفس عاكف حماس المجاهد ، فظل يطوف مدن الأناضول واعظا فى المساجد واصدر مجلة سبيل الرشاد وترجم كتبا وانشد " نشيد الاستقلال " الذى لا يزال النشيد القومى لتركيا حتى الآن ، يرددده كل طفل وشيخ وعن هذه الحرب أيضا نظم قصيدته المشهورة " عاصم " وهى الكتاب السادس من " الصفحات " (١) .

ويقول عبد السلام فهمى : وفى الظلال أيضا ثلاث قصائد اسلامية نظمها عاكف بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة العثمانيين وتفكك العالم الإسلامى آنئذ ، وبدأ كل أمير أو زعيم يطمع فى الاستقلال بما فى يده ولو أدى به الأمر أن ينحاز للانجليز واشياعهم بغية مساعدته وتأييده ولا بأس عند هؤلاء طالما يتم كل ذلك ضد الدولة العثمانية وتحت بصرهم وإشرافهم . فجاءت تلك القصائد حزينه باكية فيها عظة وعبرة ، وفيها دعوة إلى الاتحاد والتماسك ونبذ الخلافات وعدم التفرقة بين شعوب الأمة الإسلامية . وعدم الاستسلام والقنوط والخنوع والسكوت على العبودية ، ويوقظ فيهم الهم لكن الأمر قد افلت من الجميع وبدأ كل أمير يعمل لنفسه ويخطط لمستقبله ولو تحالف مع الشيطان . فجاءت صيحات عاكف هذه المرة خافتة لاتصل لأسماع أحد حيث أن الهزيمة نزلت على الجميع كالصاعقة وشلت العقول والأيدى (٢) ، واعلن عاكف أن ضياع الوحدة أمر لاترضاه الشعوب الإسلامية من الانفصاليين وتساءل عما حل بديار المسلمين من الاحداث لتمزيق صفوفهم بعد أن استولى عليها الاجنبى المستعمر واستنهض الهم لانقاذها . وتحدث عن التفرقة وقال : لو بحثتم عن اسباب التفرقة لادركتم حقيقتها يا عباد الله . أنتم تقفون فى الصلوات

(١) الأدب التركى الإسلامى : ٢١٠ .

(٢) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٣٩ .

امام رب العالمين كجماعة ، وينبغي عليكم أن تجتنبوا الفرقة لأنها اثم ، وعيب عليكم أن تسلكوا سبيلها . بسبب حرصكم على التفرقة سفكت الدماء أما تنبض قلوبكم إلا للشقاق فقط ؟ ولماذا تنحصر اخوتكم فى الصلاة فقط ؟ ولماذا يهاجم بعضكم اعناق بعض ليقبله بعد اداء الصلاة مباشرة ؟ هل هذا ماتفهمونه عن الإسلام ؟ وما حكم فعلكم هذا فى الإسلام ؟ ليس هذا الطريق طريق الخلاص بل انتم سلكتم طريقا خطرا . حينما ترون انسانا يلبس الطربوش تهمون بالهجوم عليه بالسكين لقتله . وعندما ترون لابس القبعة (يقصد الاوروبيين) تتسوارون وتغيرون طريقكم الذى تمشون عليه . لماذا اختلفت القلوب رغم وحدة الصدور؟ فهذه كلها من علامات النفاق ، يقول تعالى (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) (١) لماذا هذه التفرقة تضع البلاد بسبب اشعال نارفتنة التفرقة ان لم تطفأ النار قبل انتشارها فسوف يحترق الرطب مع اليابس (٢) ، وأشار الى حالة الفرقة التى حلت بالمسلمين فى أيامه وقال : " هل احب الناس الفرقة وثلبوا الانفصال فى الماضى المجيد مثل ما حصل فى الوقت الحاضر؟ لقد اصبحت الأمة كأجزاء مصحف قطع الحبل الذى يربطه فى مجلد واحد فتمزق وتبعثر فى كل اتجاه هل كان الإنسان يتوقع التمزيق فى هذه الأمة بهذه الصورة وهل فسدت روح الأمة وضميرها قبل ذلك بمثل ما حصل اليوم ؟ وهل كان يقتل الشقيق شقيقه ؟ وهل كان من التقاليد أن يأكل الإنسان لحم أخيه الميت بلا خوف ؟ هتكت الاعراض وذبح الاولاد ، ياعديم الحياء : إن كنت لم تبك فاحذر من الضحك . لو كان فى الشعب قليل من الاحساس لما ارتفعت اصوات السكارى فى العاصمة " . ويذكر عاكف مثالا للتعبير عن غفلة المسلمين ويقول : كان حمار يأكل من عشب الأرض ، ورآه ذئب من بعيد فهجم عليه كالسهم الخارج من القوس ولكن الحمار لم يهتم به بل استمر فى أكل العشب ، كأن الهاجم عليه ارنب أو حيوان الخلد الضعيف وكان الحمار يعتبر أكل لقمة واحدة كسبا يحرص عليه ولكن عدوه هجم عليه ليمزقه قبل أن يبتلع آخر لقمة فى فمه إن واقعنا اليوم مثل وضع الحمار والذئب المذكور فى القصة بدون تفريق فإن عدونا قبض على رأسنا ونحن مشغولون باللقمة انظروا واقعنا ! نحن اليوم مشغولون بانواع الحرص الشخصى ، ولانستحي من هذه الأخلاق السيئة ، تحركوا قبل أن يبدق الناقد لاعلان نهايتكم . لاتستغرقوا فى الشهوات ولا تضعوا اوقاتكم فى البكاء

على مافات ، اعلموا لأن العالم بأجمعه يضحك علينا حرام على أمة أن تقف فى ذل وتستلقى على الأرض كالميت أما يجرى فى عروقكم شىء من دم اجدادكم الشجعان ؟ إن لم تتحلوا بهذه الشجاعة فمستقبلكم محفوف بأشد الاخطار (١) وقد كتب عاكف هذه القصيدة فى عام ١٩١٣ .

ومن اسباب الحركات الانفصالية فى رأيه : عدم تحقيق معنى الاخوة الاسلامية كما ينبغى وقد اهل المسلمون اخوانهم فى العالم ولم يهتموا بأموهم وحينما يحتاجون إلى معرفة بعضهم بعضا يراجعون المراجع الاجنبية وعن طريقها يتعارفون على اخوانهم (٢). وهذه بعض كلماته من درسه فى ١٩/١١/١٩٢٠ فى مسجد نصر الله " بمدينة قسطنطينية . يقول عاكف : ايها المسلمون ، لا تنهار الملل بقوة المدافع أو البنادق والجيش المدرعة والطائرات ولن تسقط بهما ولكن تضع الامم حين تنقطع الروابط بين الافراد ويشتغل كل انسان بامور نفسه ومصالحه الشخصية . يقال فى المثل " القلعة تفتح من داخلها " وقد سقطت الحكومات فى تاريخ الإسلام دائما بسبب الفرقة والفتن والفساد والنفاق والشقاق وفقدوا استقلالهم ودخلوا كالأسرى تحت حكم ملل أخرى ونتيجة التفرقة وسلبوك الافراد طريقها ضاع الامويون والعباسيون والفاطميون والمغاربة والایرانيون والتونسيون والجزائريون وفقدوا سلطتهم . ونحن مسلمى تركيا كنا نحكم ثلاث قارات من العالم . وكانت البحار مثل البحر الابيض الكبير والبحر الاسود على اتساعها كالبحيرات فى وسط البلاد التى كنا نحكمها . وكانت جيوشنا تتجول أمام " النمسا " واسطولنا فى المحيط الهندى . ورابطة الإسلام تربط اقواما كثيرة من مختلف البلاد والاقاليم واللغات والعادات والأخلاق . الخ . ولكن الإسلام وحدهم وربط بينهم برباطه وقد تخلى البوشناق عن سلاقيته والالبانى عن البانيته والبوماق عن بلغاريتهم . الخ . وخلاصة القول ترك الاقوام قوميتهم تماما واجتمعوا حول " الجامعة الاسلامية " وفدى كل واحد كلمة الله بروحه ودمه وبكل مايملك . وكانوا يهجمون بهذا الروح على العدو وهم يضحكون ، ولكن فى الآونة الأخيرة دخل بيننا الاوروبيون وبثوا بيننا بذور الفتنة والتفرقة والفساد بأشكال مختلفة تحت اسماء متنوعة واصبحت البذرة برعما ثم تفرع وتشعب ونحن فى غفلة عن ذلك وضعفت الروابط المذكورة ولم تبق القوة السابقة والسلطة الماضية وحينما رأى الاعداء اهتزاز القلعة من داخلها اتفقوا بينهم وقد أمرنا نحن

(١) انظر ديوان الصفحات : ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) انظر مواعظ حرب الاستقلال : ٤٦٣ .

بالاتفاق ولكن لم نعمل به وحققه أعداؤنا فاتحدوا وهاجمونا متحدين فأخذ كل منهم قطعة كبيرة من اراضيها واصبحنا عاجزين عن الاستمرار في الحياة على قطعة صغيرة من قارة آسيا بسبب الفساد الذى نشره فينا . عندما كنت فى مصر سألت احد اصحابى وقلت : إني أعجب من عدد الجنود الغازية فى مصر انهم قليلون جدا كيف يحكمون على خمسة عشر مليون نسمة ؟ أجاب صاحبي قائلا : سألت احد رجال الدولة الانجليزية ذات يوم : لو أرسلت الدولة العثمانية فى يوم من الأيام قوة عسكرية قدرها اربعون أو خمسون ألف جندي مسلح للهجوم عليكم فى مصر فماذا تفعلون ؟ اجابنى الانجليزى قائلا : لن نعمل شيئا بل نخرج من مصر لأننا نكون يومئذ عاجزين عن الدفاع عن انفسنا ولكن يجب عليكم أن تعرفوا معرفة جيدة ، أننا لن نعطي فرصة للعثمانيين ليجهزوا اربعين الف جندي بل أربعين جنديا للتوجيه إلى مصر . ، بل تشتت شملهم ونعمل فى بلادهم مشاكل لا تنتهى، ونشغلهم بأنفسهم ولن تجدوا فرصة للاشتغال بامور مصر.

أيها المسلمون : انتبهوا واعتبروا ، فإن المشاكل الداخلية لم تترك فينا قوة ابدا . منها مشكلة الولايات الشرقية ، واليمن ، والشام والباينا . الخ . كل هذه المشاكل وماشابهها قد ظهرت بتدخل من الاعداء وكما حدث فى السابق من انفصال الولايات العثمانية ظهرت اليوم الحركات الانفصالية فى تركيا ذاتها فى مدن أديازارى ودوزجه ويوزقات ويوزقير وبيغا وقونية . الخ . وكل حركات الخروج هى من اعمال العدو والملعون . وينبغى أن يدرك الجميع هذه الأمور : من نخدم بهذه الحركات ولحساب من يقتل بعضنا بعضا ؟ أنا ارى أنه قد جاء وقت ادراك هذه المسائل . انتبهوا بالله . إن عملنا لنجاح العدو فسوف نفقد آخر الاراضى الباقية فى ايدينا . ولن تكون لنا أرض أخرى لنهاجر إليها . إن مسلمى الأماكن الضائعة قد وجدوا حتى الآن أرضا للهجرة إليها . أما إن قدر لنا نفس المصير فلن يكون لنا مكان حتى فى جوف صخرة لناوى إليه . (١)

سألت خالدة أديب وهى شاعرة وادبية تركية من اصل يهودى - كمال أتاتورك بعد توقيع معاهدة لوزان : ماذا ستفعل الآن وقد انتهى الخطر الاجنبى وزال أثره من البلاد بعد توقيع معاهدة لوزان ؟ اجابها مصطفى كمال بعد تفكير طويل : اعتقد أننا بعد اليوم سنبدأ افتراس بعضنا بعضا (٢) .

(١) انظر مواعظ حرب الاستقلال : ٥٠٢ - ٥٠٣ ، انظر تفصيل آراء محمد عاكف

فى هذا المجال (تفاسير محمد عاكف : ٤٨ - ٤٩ ، ١٤٨٠ .

(٢) اتاترك وخلفاؤه - لمصطفى الزين : ١٨٤ - ١٨٥ .

الباب الثالث

جهوده في الدعوة الإسلامية

الفصل الأول : مواعظه وإرشاداته

الفصل الثاني : تحريره مجلتي "الصرح المستقيم" و"سبيل الرشاد"

الفصل الثالث : دفاعه عن الإسلام بأعماله وآثاره

الفصل الرابع : دفاعه عن الحضارة الإسلامية

الفصل الخامس : جهوده في تصحيح بعض المفاهيم الإسلامية

الفصل السادس : آراؤه في مستقبل أمة الإسلام

الخاتمة

الفصل الأول

مواعظه وارشاداته

- (١) منهجه في مواعظه وارشاداته
- (٢) نماذج مختارة من مواعظه

(١) منهجه في مواعظه وارشاداته

كان لعاكف منهج في الدعوة والارشاد كما هو ظاهر في خطبه وواعظه وهبه الله ملكة في الأداء جذبت إليه الجماهير حتى ازدحموا عليه في دروسه بالمساجد . كما وهبه الله حسن المنطق في الكلام مما جعل الناس يتأثرون بما يسمعون منه . ويثنون عليه . وكانت الجماهير أيام الجهاد تزدهم عليه في اوقات إلقاءه الدرس في اماكن مختلفة لحنه على الجهاد والعمل .

وقد تجول عاكف أيام الحروب في مناطق مختلفة ودعا المسلمين إلى تأييد المجاهدين في جهادهم . ونشر بعض هذه الدروس في مجلتي الصراط المستقيم وسبيل الرشاد كما سنذكر امثلة منها في المبحث القادم . ولاشك أن له دروسا أخرى غير مسجلة ، ولم ينشر منها شيء ، ونفهم من مواعظه المنشورة ، أن له مواعظ أيام اقامته باستانبول ألقاها في مساجدها أيام حرب البلقان بين سنين ١٩١٢-١٩١٣ ، وفي أيام الحرب العالمية الأولى ترك اولاده وجميع افراد أسرته باستانبول وسافر إلى بلاد مختلفة واشتغل بالوعظ والإرشاد خصوصا في برلين بين أسرى المسلمين وبعد احتلال الاعداء مركز الخلافة (استانبول) ذهب خفية من الاعداء إلى مدينة بالي كثير ودعا إلى الجهاد فيها وضواحيها . وحث المسلمين على الوقوف ضد الاعداء والاستعمار . وبسبب نشاطاته هذه فصل من عمله الرسمي باستانبول . وترك كل ما يملكه من الاموال بها وسافر إلى انقرة ، ومنها إلى مدن أخرى منها : قسطنطينية ، واشتغل فيها بالدعوة والإرشاد . ونشر بعض مواعظه في مجلة سبيل الرشاد . وحاول ايقاظ المسلمين من الغفلة واصبح له دور كبير في ايقاظ روح الجهاد ، ونتيجة نشاطاته اشتعل حب الجهاد والاستشهاد في مشاعرهم .

ومن أهم موضوعاته في مواعظه ومحاضراته ، الوحدة الإسلامية ، والصمود في وجه الاعداء . وشارك عاكف في حركة الجهاد بإخلاص القلب ، لا يقيم في مكان

معين بل اختار اسلوب التحرك بين القرى والمدن لأداء واجبه فى الدعوة إلى الجهاد ، وأثرت مواعظه فى قلوب المسلمين . والتحق كثير منهم بصفوف المجاهدين بعد استماعهم لمواعظه أو الاطلاع على ماكتبه فى المجلات (١) .

- خصائص مواظبه :

- ١- كما سيظهر فى الصفحات القادمة لم تكن مواظب عاكف من النوع المألوف ، بل لها مستواها العلمى .
- ٢- وقد بين فيها واقع المسلمين وحقيقة الأعداء ونواياهم الخفية والحق الصليبي عندهم مع إذكاء روح الجهاد لاعلاء كلمة الله عند المسلمين .
- ٣- له اساليب فى الدعوة والإرشاد وله منهج واقعى فى اختيار الموضوعات للخطابة والحديث . يقول فى تفسير قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) (٢) لاشك أن الخطاب هنا يشمل النبى صلى الله عليه وسلم وأُمَّته والسبيل المذكور فى الآية هو الإسلام الذى يحتوى جميع الحقائق والفضائل . الإسلام دين الفطرة بل هو الفطرة نفسها . هناك اناس لم يريدوا الاطلاع على حقائق الإسلام ، فلم يعرفوا روحه . . . ، ولم يطلعوا عليه ولكن انكروه لأسباب شخصية ذاتية . ومع ذلك لافائدة من التشديد عليهم فى الخطاب . إذ الشدة معهم تودى إلى عكس المطلوب وهناك اناس لم يفهموا الإسلام ، ولذا يقفون ضد مبادئه ، ويصبحون أمام التشدد معهم اكثر عداوة للإسلام ، فيعلنون الحرب على الدين وأهله وفى الحقيقة الغضب والشدة والتضييق والجبر من جانب الواعظ من علامات العجز ولا يرضى البشر بهذا الاسلوب وإن أظهروا الموافقة فإنهم لا يحبونه والانسان يرغب فى الاسلوب الهادى ، والمعاملة الحسنة ويحب اسلوب الاقناع والاستدلال والحكمة ويحسب أن يسمعه من فم إنسان حلیم .

وكان من الممكن أن يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقصى الشدة فى دعوته لو أن الله أمره بذلك ولكن الله أمره فى الآية المذكورة أن يختار الطريق المذكور منهجا له فى الدعوة إلى الهدى ، فإن الفكر لا يعالج إلا بالفكر ، ومن لم تكن له قدرة على التصدى للأفكار الباطلة ، ولا جهود مبذولة للوصول إلى طريق الحق فلا ينبغى له أن يضل عباد الله بالتعرض للإرشاد والدعوة

(١) انظر المجاهدون المعممون : ٣٣٢ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

فإن من أصعب الأعمال عمل الواعظين والناصحين والمرشدين . وهناك من الواعظين من لا يرغب الناس في الاستماع إلى كلامهم ، ولا يستطيعون اقناع الناس وتوجيههم ، ومع ذلك يتهمون الجماهير بالجهل وعدم الفهم ، وفي الواقع هم العاجزون الذين لا يملكون القدرة لاداء هذا العمل ، وهناك نوع آخر من الواعظين لم يدرسوا في المدارس ، ومعلوماتهم لا تزيد على عدة احاديث قد تكون ضعيفة أو موضوعة . ويحفظون بضعا من القصص ، ثم يصعدون إلى كرسى الوعظ فيكون عملهم كله فسادا ، وبعد استماع كلامهم يبدأ الناس يتصورون الدين على أنه خرافات ويتصورون الرسول صلى الله عليه وسلم - حاشا - كأحد رؤساء جنود الانكشارية . وهكذا تزول صورة الإسلام الحقيقية من أذهان الناس .

هل يمكن إرشاد الملحدين بالتخويف بعذاب النار أو الترغيب بنعيم الجنة التي صورها هؤلاء باساليب ساذجة ؟ والغريب أننا في بلادنا نطالب الأئمة بالحصول على شهادة معينة ونختبرهم اختبارات شديدة . ولكن لا نطالب الواعظ الذي يعظ الناس بأي شيء يثبت اهليته لهذا العمل . وفي الحقيقة ينبغي عكس ذلك فإن الاستاذ الذي لا يعرف الموضوع الذي يلقي عنه محاضرتيه لا يجروا على إلقاء درسه لأن الطالب القادر على التمييز لا يصبر أمام عجز استاذه ولو نصف ساعة . أما الواعظ فهو مغاير لذلك تماما لأن معظم الحاضرين يستمعون إلى جميع المواعظ التي يلقيها عليهم باسم الدين . يقول الأديب والعالم النفاضل " ضيا باشا " : " هناك إعلان رغم اهميتهما تركهما بلا تفكير في أيدي من لا يستحقونهما " . الأول : منصب مدير الإقليم . والثاني : منصب مربى الطفل " ونحن نضيف إلى ذلك بلا تردد عملا ثالثا وهو : منصب الواعظ . إنه لا يكفي للواعظ أن يعرف طريق الحق ، بل ينبغي عليه أن يعرف أسباب ضلال الإنسان وطرق ضلاله ولا يكفي أن تقول للضال : " أنت في ضلالة " ، والطريق السليم في الإرشاد هو البحث أولا عن سبب ضلالته . وسبل الخلاص منها . . ثم علينا أن نملك بيد هذا الضائع لنعينه على الخلاص ، ولا ينبغي أن نستعمل معه سلاح التكفير والتهديد لأن قلبه لن يستجيب له ولن يعيده اهتماما . ومهما رفعت الصوت له بقولك : " لقد اصبحت كافرا " فلن يستمع لما تقول " (١) .

وذكر عاكف مثلا من الخرافات على لسان واعظ يعظ في المساجد فقال :

(١) انظر تفسير محمد عاكف : ٦٧-٧٠ ، آيات من القرآن الكريم : ٧١-٧٣ .

... هناك اناس يعتبرون انفسهم من الواعظين للجماهير رغم كونهم من الجهال وحالهم يوجب السخرية. ضرب واحد منهم اثنا وعظه بجمع كفه على الكرسي قائلا : اسمع يا ابله هل تدري على أى شىء تستقر الدنيا ؟ إن هناك تحت الأرض ثورا وتحت سمكا ، وتحت السمك بحرا كبيرا فيه صخور . قال احد السامعين ، يا استاذ ! أصحيح ماتقوله ؟ يجيب الأستاذ قائلا : يا جاهل . أتسأل عن صحة ذلك ؟ إن كل ما اقله ليس فى كتاب مطبوع بل فى مخطوط . ومن لم يؤمن به فهو كافر أشد الكفر. صدق هذه الحقيقة كماهى ، فيقول صاحب السوءال : إن كان هذا صحيحا فلن استريح بعد اليوم فى حياتى . والأفضل لى أن اموت من الآن وادفن فى قبرى . كنت فى السابق اعتقد فى متانة الأرض التى نعيش فوقها . وقد ادركت اليوم عدم تماسكها هذا هو حظى السيء من الدنيا نفرض جدلا ان الثور سيجد الهدوء ، ولكن السمك لا يستقر ، ولو فرضنا ان السمك استقر بسبب حصوله على لقمة العيش ، ولكن كيف يستقر البحر وهو دائم الحركة ؟ إذا ليس لهذا الأساس . أسبل على غطائى لكى اموت " (١) . وهكذا يضحك عاكف على هؤلاء الوعاظ واقاصيصهم الخرافية . وعبر فى إحدى مقالاته عن رأيه فى الوعظ والإرشاد . قائلا : " كنت امشى وقت العصر فى ميدان مسجد أيا صوفيا ، وقد بدأ يخرج الناس من المسجد فمرت على خاطرى ذكريات وخیالات وتمنيات وآمال ، منها ما حكاها لى أحد اصحابى قال : ان السيد كمال أثناء (٢) حوارته مع السيد نورى رأى الناس خارجين من المسجد فقال : ياسيدى : هل تدري متى يكون خلاص هذه الأمة ؟ حين يخرج كبار الرجال والمثقفون من امثالنا من المسجد مع الحمالين والخدم . يقول عاكف - هذا الكلام صحيح وله معان عظيمة فإن السيد كمال لم يرد بالطبع التقليل من عبادة الناس من العوام . بل كان يتمنى وجود المرشدين بين هؤلاء الجهال الذين لم يتعلموا كيفية اداء ، العبادة على وجهها الصحيح ولم يعرفوا دقائقها وحكمة اداؤها مع الجماعة ، فإن المساجد انصب الاماكن لتنوير افكار الأمة . إذا تكلم خطيب عالم واستدل بالآيات والاحاديث فإنه يستطيع توضيح الحقائق فى أذهان الناس ، ولماذا لم نعد نستفيد من هذه الآلاف المولفة من جماهير الناس الحاضرين فى المساجد . وقد قدم هؤلاء إليها بعد تركهم معظم شواغلهم فى خارجها ليدخلوا بيوت الله بقلب سليم . فلماذا لانحاول أن نجعلهم عناصر مفيدة للمجتمع الإسلامى ؟ وأسفاه ! لم ندرك طرق الاستفادة من النعم والوسائل الموجودة فى ايدينا

(١) ديوان الصفحات : ٣٣٩ .

(٢-٣) هما من اصحاب محمد عاكف ، لم نعر على المعلومات فيها

بل نسد جميع الابواب إما عالمين وإما جاهلين . اصبحت عبادتنا كالبدع . فإن صلاة الجمعة في المساجد الكبيرة باستانبول تستمر اكثر من الساعة . ولا فائدة من الاوقات الضائعة هناك إلا قراءة القرآن والصلاة نفسها ومافائدة تلك الابيات العربية و الفارسية التي تقرأ كأناشيد دينية ؟ ومن أحدثها أول مرة - للقراءة في المساجد - ؟ لافائدة منها وانها تسئم الناس وتنوم الحاضرين .

ثم يقول عاكف : ينبغي أن يقرأ الحفاظ القرآن شيئاً من كتاب الله وحينما يأتي وقت الصلاة بعد أداء السنة يخطب الخطيب خطبة لها معان عالية وفيما يتعلق بمنع البدع الموجودة يأخذ الخطيب الواعظ وقتاً طويلاً ليبين للناس فسادها وبعدها عن الدين ولكن إن كان الواعظ يريد اختيار موضوع درسه من الاسرائيليات كما هو المعتاد في عرف الواعظين فنحن لانرضى عن درسه بل نحن مستغنون عنه . إن المسلمين يحتاجون إلى الموضوعات الاجتماعية وانهم في جميع انحاء العالم في ذل وفقر وأسر ، ولا مجال لنشاط الدين في أمة أفرادها أذلاء وإن لم يدرك الواعظ هذه الأمور فينبغي علينا أن نمنعه من إلقاء درسه . ويجب على الواعظ أن يعرف ماضي الأمة وواقعها الحالي وبعدها للمستقبل ومن ناحية أخرى فإن اساتذتنا الكرام يحجمون عن ارتياد منابر الخطابة . وسوف تشهدون في شهر رمضان القادم أنه سيبرز بعض الجهال من هنا وهناك ممن الأميين الذين لم يتعلموا في المدارس ، ومع ذلك يسمون انفسهم بـ " العلماء " سيشغلون مقام الإرشاد ، نرجو من استاذنا الكريم خالص افندي أن يعين للإرشاد من يصلح له ويتقن الخطابة وإلا فترجو منه أن يمنع هؤلاء الجهال من إلقاء الدروس في المساجد . حينما استمعت إلى اقوال هؤلاء بدأت افهم جيداً اسباب انتشار الإلحاد بين الشباب . ولو كنت تعلمت معنى الدين من هؤلاء ، لكنت اكبر عدو للإسلام . وإن مقترحاتنا لإصلاح اساليب الإرشاد في المساجد لتنسحب على الحج والحجاج أيضاً . ففي الحج يجتمع المسلمون من جميع انحاء العالم ، وتتكون جماعة عظيمة من المسلمين وليس في الأمم الأخرى مؤتمر مثمل هذا ، وينبغي علينا أن نستفيد من هذا المؤتمر العظيم .، ولا فائدة من مهاجمة سياسه السلطان عبد الحميد أو سياسة الاتحاديين أو الجهات الأخرى بأغلف الكلمات ، إنما العمل المطلوب منا هو بذل الجهود لإرشاد الحجاج الذين أتوا من البلاد البعيدة لأداء فريضة الحج ، وعلى اقل تقدير ينبغي توضيح أهداف الحج ويحصل التعارف فيما بين الحجاج ، وليس هذا أمراً هيناً فهناك

حجاج وصل جهلهم بالله إلى حد قولهم " الله سبحانه وتعالى في داخل الكعبة... " ، و اسفاه على هذا الجهل ، وقد ترك بعض الاغنيا " اداء " فريضة الحج والبعض الآخر يبعث وكيلا عن نفسه لأداء الحج وبعضهم يحج مع مجموعة من عشرة أو خمسة عشر شخصا ويتحمل جميع تكاليفهم . ولكن هؤلاء الذين صرفت لهم مبالغ كبيرة هم : حارس الحى المسن ، والعمدة المتقاعد ، واصحاب حرف من المسنين فى أرذل العمر . فهو هؤلاء لم يدركوا معنى الحج على الإطلاق . أيها الحاج المسلم ، كان عليك أن تأخذ معك مكان هؤلاء المسنين اشخاصا من الممتازين ليحصل التعارف والوحدة بين المسلمين . وهناك فائدة عظيمة من القاء المحاضرات والخطب باللغات المختلفة مثل اللغة العربية و الفارسية والروسية والتترية فيتعارف المسلمون من جميع انحاء العالم ، ويتحدث الخطباء عن الامراض الاجتماعية وعن طرق علاجها ، اخذت الحكومة التدابير اللازمة فى هذا المجال وارسلت رجالها ولكن ينبغي على الاغنيا أن يودوا ما عليهم من الواجبات . ولا ينتهى الواجب بأرسال الحارس المسن إلى الحج احتجاجا بأنه يودى الصلوات ، وانه من المتقين ودليل تقواه انه لا يدخن ! مادام هناك تبرع بالمال من قبل الاغنيا ، فينبغى عليهم أن يسلكوا الطريق المفيد وأن يبحثوا عن الاشخاص الصالحين لهذه المهمة وقد اخبرنا السيد عبدالرشيد ابراهيم قائلا : الحج فى هذه السنة كان انفع مما سبق . نأمل أن يتحسن كل سنة اكثر واكثر ويمكن تحقيق المطلوب بأرسال اشخاص ممتازين لأداء هذا الواجب (١)

(٢) نماذج مختارة من مواعظه

- مواعظه أيام حرب البلقان :

تحدث عاكف فى مواعظته التى القاها فى نادى الاتحاد ونشرت فى مجلة الصراط المستقيم عن اهمية الاتحاد بين المسلمين و الأخوة الاسلامية ودعا إلى التجمع حول فكرة الجامعة الإسلامية ودم التفرقة (٢) .

وألقي درسا فى عام ١٩١٢ أيام حرب البلقان فى مسجد بايزيد ونشره فى ١٣٣١/٢/٢٩ هـ فى مجلة سبيل الرشاد تحت عنوان " الخطب والمواعظ " بعنوان فرعى " موعظة على كرسى مسجد بايزيد " وبدأ عاكف درسه بتلاوة قوله

(١) مقالات محمد عاكف : ٥٠-٥٤ . (٢) انظر مواعظ محمد عاكف : ١-٧ .

تعالى (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ..) (١) ثم أخذ في تفسير الآية وهذا بعض ما قاله : " ان في كل ما امر الله به حياة حياة مادية ومعنوية . . . ، وفي الحقيقة لا تفريق بين كلا الحياتين . لا روح بلا بدن ولا بدن بلا روح . . . ، وفي جميع الأوامر الإلهية حياة لنا ، وفي مخالفتها هلاك قطعى ، ودليل ذلك الكوارث النازلة على العالم الإسلامى فى الآونة الأخيرة وقد هلكت الاقوام فى الماضى بسبب مخالفتها الاحكام الالهية ، فاستحقت غلبة الأعداء عليها والوقوع فى الذل والأسر أولا ثم يأتى دور الضياع والهلاك " ثم تحدث عاكف عن سنن الله فى الكون والحياة وقال : " اقرؤا تاريخ الأمم الماضية قبلكم فسترون أنهم جميعا تقدموا تحت نفس الأسباب والشرائط . واهلكوا بنفس الأسباب والشرائط ، لأن الأسباب نفسها تنتج نفس النتائج . هناك بعض العبادات يظن الانسان فى بداية الأمر ان نفعها خاص بالآخرة وحين نبحث جيدا نرى ان لكل من تلك العبادات فوائد دنيوية كثيرة فمثلا : الصلاة فرض على المسلمين يجدد الانسان الرابطة بينه وبين خالقه خلال اليوم الواحد خمس مرات ، ولها جوانب دنيوية كذلك . انها تمنع الناس عن المنكرات ، وتجمع الملايين من البشر المنضوين تحت لواء هذا الدين فى نفس الوقت متوجهين إلى الكعبة المشرفة ، إلى قبلة واحدة ، والإسلام دين التوحيد ، وهو أكمل الأديان وليس هناك دين آخر وحد عباد الله وجعل بينهم المحبة مثل الإسلام " ، ثم تحدث عن القتال بين الأوس والخزرج وقال كانت منطقة الحجاز كالمجزرة ، جاء الإسلام وأزال النفاق والشقاق . . . ، ونحن ماذا عملنا ؟ وقد مضت سنوات طويلة فى البطالة والكلام بدون حركة ونشاط ، كأن بدن الأمة توفى وبقي لسانها للحركة والكلام فقط . وبمثل هذه الاوضاع لن تعيش هذه الأمة . وينبغى علينا أن نعرف معرفة جيدة أنه " لا توقف فى حياة الأمم " بل هناك تقدم وتشرق إلى مستوى عال . والتوقف ينتج الهلاك ، والبشرية كالسيل الجارى باسرع سرعة تترقى للوصول إلى محيط التقدم ، وتعمل فى هذا السبيل باسرع ما يمكن ولا يمكن الوقوف أمام هذا السيل السريع ، وليس أمامنا إلا الغرق فى هذا السيل أو المشى معه ، فإن اقوام البشرية فى تقدم ونحن نتوقف ، ولم نلق بالآلى الذين أذرونا بهذه الكارثة . ويجب العمل الآن لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حياة الأمة (٢) .

- مواعظه أيام الحرب العالمية الأولى :

وبعد فترة جاء وقت الحرب العالمية الأولى وصعد عاكف مرة أخرى على كرسى النصح والإرشاد. (١)

ألقي عاكف درسا في مسجد السليمانية بعد هزائم الدولة العثمانية في حرب البلقان ، فبدأ خطابه بتلاوة قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (٢) وفسر الآية ثم قال : إن عدد المسلمين في جميع انحاء العالم ثلاثمائة وخمسون مليون أو اربعمائة مليون مسلم ولكن كلهم يعيشون في احوال سيئة . . . ، وقد بعض المسلمين آمالهم أمام تلك المصائب ، وفي الواقع نحن اهملنا اخواننا المسلمين في العالم ، ولم ندر عنهم شيئا ، وتعرف احيانا من كتب اعدائنا معلومات عن وجود مسلمين في بعض البلاد وهذا يدل على درجة اهمالنا لهم . وقد انتشر الكسل والقعود عن العمل ومع ذلك نطلب من الله التوفيق بدون استحياء أو خجل ، هل نحن محقون في طلبنا هذا ؟ نقول دائما : مادمننا نحن المسلمين فسيوقفنا الله ، ومعنى ذلك انك تريد أن تمن على ربك بإسلامك ، هذه جرأة وحماسة منك . . . ، انظر ماذا يقول الله تعالى : (يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين) (٣) هل المنعم إلى غيره يكون تحت المنة أم من ينال النعمة ؟ من منا عمل عملا جديا ؟ عمل الاعداء ليل نهار ونحن تركنا العمل والجهاد ، وجميع الملل يعملون ويتقدمون ، أما نحن ففي غفلة ونسوم وبطالة . هل كانت هذه المصائب غير متوقعة من قبل ؟ والله كنا نتوقعها ، رفعنا اصواتنا مرارا قائلين : سوف يضيع الدين والوطن ، فهل من مستمع ؟ هل تمسكنا بالدين لكي لا يضيع ؟ كلا ، وكلنا مسئولون عن الكارثة الحاضرة عند الله وعند الناس ، وليس هناك فرد خارج عن هذه المسئولية ، ولا يمكن خلاص انفسنا بمواخذة غيرنا ، لو عمل كل واحد منا كما ينبغي وأدى وظيفته بدقة تامة ، لما أصبح الوطن في أسوأ الاحوال مثل أيامنا . كنا نرفض اوامر العقل والشرع ، وفي الحقيقة ليس الدين والعقل شيئين متناقضين بل يتفقان حتى في المبادئ الأساسية ليست افعال التكليف خاصة بالعاقل البالغ والتكاليف الالهية وجهت إلى العقلاء بأجمعهم ، إذا لماذا يقدسون العقل ويتركون الدين ؟ ، وهناك شيء آخر فإننا آما كما تعلمنا في صغرنا ، والتزمنا بالدين كما تلقيناه من المجتمع ولكن هناك

(١) انظر مواعظ محمد عاكف : ١-٤٤ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ . (٣) سورة الحجرات : ١٧ .

أشخاصاً يدور في أذهانهم عديد من الشبهات، فيناقشونها ويتغلبون عليها — فدرجاتهم عند الله يوم القيامة أعلى منا. اذكر مثلاً هل يستوى إيماني وإيمان الإمام الغزالي؟ طبعاً لا، لأنني آمنت كما أخذت من آبائي، ولكنه قضى عمره في الحوار والتفكير، ثم تكلم عاكف عن ضرورة نشر التعليم والمعارف وعن شمول الإسلام وبقائه إلى قيام الساعة. وضرورة فهم التراث وإضافة إنتاج جديد عليه (١).

يقال ان الأوروبيين والامريكيين ملاحدة (لا يدينون بدين من الأديان) هل اخبركم بحقيقة الواقع؟ إن كان في العالم بلد لا يتقيد بتعاليم الدين إلا قليلاً جداً فهو بلادنا.

وقد بعث أحد الاغنياء ابنه إلى امريكا لدراسة الزراعة. وسمعت هذا الشاب وهو يقول. كنت في أمريكا وأنا غريب عن البلاد لا أعرف لغتها جيداً اسكن في أحد الفنادق بنيويورك اصابني قلق في اثناء الليل، ووجدت في غرفتي البيانو (آلة موسيقية) بدأت اعزف عليها وبعد دقيقتين أو ثلاث دقائق مباشرة ضربوا على باب غرفتي بقوة حينما فتحت الباب رأيت صاحبة الفندق غاضبة تشتمني وتتهمني بأنني وحشي، ولا احترم مشاعر الآخرين، وانني صاحب أخلاق سوء، ولم تترك كلمة سيئة إلا ذكرتها، أما سبب ذلك: فهو ان تلك الليلة من ليالى أحد اعزاء النصارى، لذا ينبغي قضاء الليلة بالعبادة، ويعتبر العزف على البيانو في تلك الليلة جريمة في درجة الكفر، اخبرت المرأة وقلت: انني غريب عن البلاد وصدر مني هذا العمل بالخطأ وليس بنوايا أخرى. أيها المسلمون: اظن انه ليس من الوقائع النادرة في بلادنا ان نسمع وقت اداء صلاة الجمعة جلبة العاب العيسر بانواعها وصرخات السكارى. كما ادركتم ان الغربيين متمسكون بدينهم ومتعصبون له كثيراً، والغربيون يربون أولادهم من صغرهم تربية دينية ووطنية...، وفي كل فرصة يلقنونهم خصومة المسلمين ويبثون فيهم روح العداوة تجاههم. ويرسخون في أذهانهم هذه الكلمات " من ليس من جنسهم ودينهم ولونهم لا يعتبر إنساناً" لذا لا يحبون الشرقيين والمسلمين خاصة وهذه الخصومة والعداوة ظاهرة في صور رساميهم من الآثار واللوحات المتنوعة وفي أشعار شعرائهم، وقصص كتبهم وروايات مؤلفيهم التي يكتبونها بمهارة، وفي اعمال

السياسيين والصحفيين . الخ . وكل واحد منهم يحاول احياؤه هذا الشعور دائما . ومعنى ذلك أن هناك فرقا كبيرا بين نشأة أبنائهم وأبنائنا . ولكن يجب أن نحدد افكارنا تجاههم ، فمثلا لانكون ضد علومهم وفنونهم لأننا نحتاج إلى هذا الجانب فقط من حضارتهم لبقائه حياتنا وحياة أمتنا ، نحن المسلمين تركنا العمل اعتبارا من سنة ألف ، أصبحنا كسالى ، وعلى أخلاق سيئة ، ونشيط الاوروبيون وتقدموا ، كما ترون تسبح سفنهم تحت أعماق البحار ، وينقلون الجيوش فى السماء ، مادام الدفاع عن وطن المسلمين فرض عين وتحصيل الاسباب المترتبة على هذا الفرض فرضا أيضا . إذا فالعمل للوصول إلى كل ما هو فى أيديهم من ألوان القوة فرض عين أيضا . يقول تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (١) فهذا أمر ربانى صريح ولا مجال للشك والتفكير الطويل فيه ، ومن واجباتنا ترك الفتن الداخلية والفساد ، والدفاع عن الاحزاب والجمعيات السرية الهدامة وغيرها من أسباب الفرقة ونكون يدا واحدة فى الفكر والعمل المشترك .

وقد عمل الاعداء وتقدموا عن طريق شركاتهم وجمعياتهم ليجعلوا نصف بليون مسلم أسيرا فى ايدى الغربيين الذين لا يتجاوز عددهم عدة ملايين ومعنى ذلك أنه لانه لاجاة للمسلمين فى الدنيا والآخرة إلا إذا تمسكوا بالوحدة والجماعة كما أمر الله تعالى فى كتابه ورسوله . الله صلى الله عليه وسلم فى سنته . ثم ذكر عاكف تعامل المسلمين مع الاوروبيين . ثم قال : نحن مع الأسف نثق باقوال اعدائنا فى الداخل والخارج ولا يثق بعضنا ببعض نأخذ اقوال اعدائنا ونحكم بها على اخواننا يقول تعالى : (انما المؤمنون اخوة) (٢) والاسفاه نحن ابتعدنا عن هذه الأخوة كثيرا نصلى مع الجماعة ربما مرة واحدة خلال شهر كامل ، ونكون بعد الصلاة اعداء متخاصمين أو لا نبالى باخواننا هناك آيات واحاديث كثيرة توجب على المسلم أن ينظر إلى أخيه فى الدين كشقيقه فى النسب ، لأن المسلم لا يكون مسلما حقا حتى يسر بسرور أخيه ويتألم بآلام أخيه وإن كمال الإيمان قائم بالتزام جماعة المسلمين التزاما كاملا ، ثم ذكر عاكف النصوص المتعلقة بهذا الموضوع وامثلة عن اخوة الصحابة وترايطهم ثم قال : والاسفاه نحن محرومون من اكبر خصال الإسلام ومزاياه . لم نترك شيئا من انواع المداهنة إلا أظهرناه أثناء تعاملنا مع غير المسلمين اما تعاملنا مع المسلمين فعكس ذلك كأننا نريد قتلهم غرقا فى الماء ولو كان ملء ملعقة . يقول تعالى : (بأسهم بينهم

شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) (١) هذه الآية في وصف المنافقين اصبحت اليوم تشير الى احوالنا تماما . ينبغي أن نستحي من واقعنا .

ثم انتقل عاكف إلى شرح معاهدة سيفر وعبر عن مقاصد الأعداء قائلا : إن شروط معاهدة الصلح التي نظمها الأعداء لاترك لنا حق الحياة في الدنيا سافرت فسي هذه المرة في كثير من مناطق الأناضول واستفسرت عن افكار الناس وايقنت بعدم علمهم للحقائق . وخواص الناس يعترفون بثقل الشروط ولكن علمهم اجمالى تماما . يظن العوام اننا سنفقد بعض الأماكن من جوانب البلاد مثل الحجاز وبغداد وينتهى الأمر . وستبقى جميع المناطق الأخرى في ايدينا ويستمر كل واحد في عمله المعتاد ، هيهات ! فإن أعداءنا يعملون لإزالتنا ليل نهار ونحن مشغولون بالتسلية والخيالات ! اقرؤا بالله عليكم ولو المواد المتعلقة بنا من هذه المعاهدة وإن لم تعرفوا القراءة فليقرأ لكم قارى . إن وافقنا عليها فستضيع منطقة روملى كلها والجهة الغربية من بحر مرمرة وسيتركون باستانبول خليفة رمزيا وحين نترك روملى واستانبول وولاية آيدين في ادارة اليونان . لن يبقى مسلم واحد في هذه المناطق بعد فترة من الزمن لقد كان سكان اليونان والمورة يتكونون من عنصرين نصفهم من الروم النصارى والنصف الآخر من المسلمين والآن لم يبق مسلم واحد في تلك المناطق وبموجب هذه المعاهدة ، لن يبقى مسلم في الاراضى التي سنتخلى عنها ، وسوف تظهر نفس النتائج في هذه المناطق ويهدد الأعداء المسلمين بالقتل الجماعى والهجرة الاجبارية ، فإن من مقاصد هذه المعاهدة افناء اكبر عدد من المسلمين والحفاظ على ارواح جنود الأعداء ولتحقيق ذلك اسسوا عصابات مسلحة من الروم والأرمن . ووزعوا عليهم مبالغ من المال والاسلحة وطلبوا منهم أن يقتلوا اكبر عدد من الأتراك قتلا جماعيا ، وسيتبعهم بعض الأتراك وغيرهم من المسلمين باغواء منهم وبغفلة . كما يشتررون بعض النفوس الضعيفة وكل ذلك لإثارة العداوة والقتال بيننا ويحصل هكذا دائما ، ثم شرح عاكف مسوود المعاهدة المتعلقة بالنواحى العسكرية والاقتصادية . الخ . مثل الجمارك والميزانية والامتيازات ودور الروم والأرمن واليهود فى الغناء الضرائب عنهم ... ، وبين عاكف سلطة الأعداء فى تلك المجالات . وأشار إلى مخططاتهم فى إزالة المسلمين وتعاونهم مع غير المسلمين المقيمين فى البلاد ، والأعداء اتهمونا بأننا نحارب ضد استقلال الشعوب ، ولكن حينما بدأت حركات الخروج ضد هم فى مصر وبلاد الهند ، أسكتوهم بأساليب وحشية مما يتبعه الإنجليز خاصة ثم ذكر عاكف

مأمله الاعداء في إيران من مدّ نير الحماية إليها ، ثم قال : كنا نحارب على رأس العالم الإسلامي ضد أهل الصليب خلال عصور مديدة . ويتخذنا المسلمون قدوة من أجل سلامة العالم الإسلامي كله ، لا تقولوا ما قيمة مائة مليون مسلم بالنسبة إلينا لأن هذا العدد القليل من المسلمين له موقع كبير واعتبار عظيم بينهم ويـدرك المسلمون ان ضياع الأتراك سوف يهز إيمان مسلمي العالم ويحدث خسارة في البلاد الإسلامية كخسائر الزلزال الشديد ، وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة حركات ومظاهرات لتأييدنا . ونفهم منها أن المسلمين في تركيا ليسوا مجموعة منقطعة عن العالم الإسلامي وفي الوقت ذاته فإن لنا أعداء يعملون للقضاء علينا قضاء مبرما لتحقيق اهدافهم ومنافعهم ، والمحتلون المجرمون لا يطالبون منا اليوم ولاية من الولايات العثمانية أو مقاطعة من أراضيها بل يريدون رؤوسنا واعناقنا وحياتنا ، ودولتنا وديننا وإيماننا ولكن إن جاهدنا وصبرنا على دفاعنا المشروع عن حياتنا ، صدقوني سوف يتخلون عن مطالبهم ويتركوننا ويعودون إلى بلادهم .

إن أعداءنا الذين نظن أنهم اقوياء يرون أن أمامهم قوتين خطرتهما عظيمتين إحداهما على حد تعبيرهم خطر الإسلام والأخرى خطر الشيوعية . وقد عرفوا الإسلام وخططوا له من وقت طويل جدا ولكن الحرب العالمية الأولى قلبت حساباتهم والأعداء ليسوا مطمئنين اليوم إلى الناس الذين يعيشون تحت سلطتهم في المستعمرات ، لأن الناس استيقظوا من نومهم ورأى المحكومون أنهم قوة كبيرة رغم كونهم في قبضة المستعمرين . وادركوا أنهم بذلوا دماء هم وارواحهم لصالح اعدائهم . حضروا في صفوفهم وعرفوا معنى الهجوم والدفاع واستعمال الاسلحة عمليا بمعظم انواعها . وشعروا أن اوروبا تكذب عليهم . ولا تبالي بعودها التي بذلتها اثناء سوقهم إلى الحروب ولن يتحقق وعد من الوعود إلى يوم القيامة لاحرية ولا رفاهية ولا راحة . . الخ . وابقنوا تماما ان اوروبا مخادعة مأكرة . . ، والعالم اليوم مختلف عن سابقه . هناك بقظة كبيرة في صفوف المسلمين فإن إخواننا المسلمين في شمال آسيا تقريبا كلهم مسلحون وبقيتهم على طريقهم ، استيقظت فكرة الاستقلال في كل مكان . فهذه الحركات كلها تخوف أعداءنا من خطر الاسلام . ثم تحدث عاكف عن فساد الحضارة الغربية وذكر امثلة من بلاد الاندلس ثم قال : فلنترك اليأس والعجز ، ونتحد اتحادا تاما . والله مع الذين يجاهدون في سبيله بالعزم والإيمان " .

وقد طبع هذا الخطاب ووزع في جميع انحاء البلاد وهناك وثيقة توضح

اهمية خطاب عاكف : وهى برقية من نهاد باشا قائد القوات بجبهة الجزيرة إلى محمد عاكف يقول فيها : " وقد حصلنا على نسخة واحدة من مجلتكم التى تحتوى درسم الذى ألقيتوه فى " مسجد نصر الله " بمدينة قسطنطينية ، وقرأت موعظتكم بالجامع الكبير بمدينة ديار بكر بعد صلاة الجمعة . واستفاد المسلمون الحاضرون مما جاء فيها من المعلومات القيمة وتحمسوا لها حماساً بالغة ، ولكن ظلّت الفائدة محصورة فى حدود ضيقة . فرأينا أنه ينبغى أن يستفيد بها الناس فى جميع جهاتنا وفى ولاية العزيز وديار بكر وبتليس وآن والمتصرفات المستقلة المجاورة لنا . لذا طبعنا من مجلتكم فى مطبعة ديار بكر طبعة ثانية ، حقوقها محفوظة لكم . ووزعناها فى جميع الجهات ليستفيد سكان هذه المناطق وليأخذوا نصيبهم من التنوير ، وأتمنى من الله تعالى أن يجعل سعيتكم دائماً فى سبيل الدين وحب الوطن مشكوراً واقدم لكم احترامى ، ١٠ / ٢ / ١٩٢١ قائد الجزيرة نهاد " وقد نشرت مجلة سبيل الرشاد نص البرقية فى العدد : ٦٨ ، ونشرت جواب محمد عاكف كما يلى : إلى قائد الجزيرة بديار بكر ، حضرة نهاد باشا : أشكر لكم باخلاص قلبى ما وجهتموه من كلمات إلى شخصى العاجز ، وأشعر بامتنان عظيم لما قمتم به من جهد فى توزيع الموعظة على كرسى مسجد نصر الله فى منطقتكم وجبهاتكم ليستفيد اخواننا هناك ، إنكم تحافظون على ركن من اركان جيشنا البطل فالله سبحانه وتعالى ينصركم فى جميع المعارك وينقلكم من نصر إلى نصر ونرجو من الله أن يبارك الصحوة الجديدة فى الأمة الإسلامية . أمين ١٦ / ٢ / ١٩٢١ محمد عاكف . ونشرت مجلة سبيل الرشاد الصادرة بانقصة الخبر التالى : طبعت نسختنا الحالية " موعظة على كرسى نصر الله " مرة ثانية وارسلت أعداد كبيرة منها إلى " جيش الغرب " - أى القوات المسلحة الكائنة فى غرب تركيا - ولذا نفذت الطبعة الثانية أيضاً . وفى فرصة أخرى سنطبع النسخة المذكورة مرة ثالثة ^(١) . ونستدل بهذه الكلمات على أن أفكار عاكف انتشرت بين افراد الجنود وضباط الجيوش كما انتشرت بين افراد الأمة . فقد قرأوا أفكاره واستحسنوها ووافقوا عليها واصبح عاكف شخصية مؤثرة فى المجتمع التركى بروحه الجهادى لذا طبعت الموعظة عدة مرات ونشرت .

(١) انظر موعظ حرب الاستقلال : ٤٨٨ - ٥١٩ ، الإسلاميون فى تركيا :

الفصل الثاني

تحريره مجلة " الصراط المستقيم " ثم " سبيل الرشاد "

- (١) اسباب واهداف اصدار مجلة " الصراط المستقيم " .
- (٢) الاثر الذي ترتب على مشاركة عاكف في تحريرها .
- (٣) أهم موضوعاتها وكتابها .
- (٤) مدى انتشارها .
- (٥) موقف الدولة منها .

(١) اسباب واهداف اصدار مجلة " الصراط المستقيم "

صدر العدد الأول من مجلة " الصراط المستقيم " في ٢٧ / ٨ / ١٩٠٨ م من قبل صاحبها أبي العلاء زين العابدين ماردین (١٨٨١ - ١٩٥٧) استاذ الحقوق في جامعة استانبول ، وأشرف اديب (١٨٨٣ - ١٩٧١) وأسندت رئاسة التحرير إلى محمد عاكف ، واجتمع حولها الكتاب الإسلاميون . ثم انفصل عنها ابو العلاء واصبح اشرف اديب مالكا لها وحده اعتبارا من العدد ١٨٣ في ٨ / ٣ / ١٩١٢ ، واستمر عاكف في عمله بلا انقطاع رئيسا للتحرير . وتغير اسمها بعد المجلد الثامن واصبح عنوانها " سبيل الرشاد " وهي امتداد لمجلة " الصراط المستقيم " واقتبس المسئولون اسمها الأول من قوله تعالى (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (١) والاسم الثاني من قوله تعالى (اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) (٢) وجعلوها مجلة اسلامية اسبوعية .

وعندما نبحث عن الحياة الفكرية في أيام نشر مجلة الصراط المستقيم نرى أن لها دورا كبيرا في الحياة الفكرية في الدولة العثمانية ، ولها مكانة عظيمة ضد التيارات المعادية للإسلام . وقد كثرت عدد الصحف والمجلات انواعا اشكالا وافكارا بعد عام ١٩٠٨ بمناسبة اعلان الحرية ورفع القيود ، ونشرت الاحزاب والمنظمات افكارها عن طريق الصحف والمجلات وتصادف بداية نشر مجلة الصراط المستقيم أيام الفوضى الاجتماعية وتصادم التيارات الفكرية المتعادية ودافعت المجلة عن الوحدة وعملت بكل امكانياتها لتأسيسها .

ومن اسباب اصدار المجلة كذلك أن عاكفا واصحابه رأوا أن الإسلام فسى خطر عظيم بسبب الفساد الخلقى المتفشى فى المجتمع، أما فساد الدولة فقد بدأ بإعلان التنظيمات قبل عصر عاكف، وأمام الفساد السلوكى فقد رأى هـ "و" لا" الاسلاميون أن سببه هو البعد عن الإسلام، وأن علاج تلك الأمراض لا يمكن أن يكون إلا بالعودة إلى الإسلام من جديد. لذا حاولت هيئة تحرير مجلة الصراط المستقيم بيان طريق الخلاص والنجاة من المصائب (١)، ووقف عاكف فى وجه من يحرفون الكلم عن مواضعه من الملحدين ويريدون أن يطفئوا نور الله باقلامهم المغرضة وتصدى لمقاومة جميع حركات الهدم الماكرة فى عصره. واحسن فى مناقشة الافكار المنتشرة ووضحها بالمنطق الفاضل وكشف عن بواعثها الدفينة وهى العداوة الصليبية ضد الإسلام. والبديع فى نقد عاكف: انه يأتى بالدليل الحاسم فى قوة وكانت بحوثه تعتمد على ثمره فكر عاقل، يورد الادلة من واقع الحياة ويحاول اقناع معارضية.

وقد تحدث اشرف اديب عن بداية اصدار المجلة فقال: قررنا بعد اعلان الحرية عام ١٩٠٨ اصدار مجلة اسبوعية بعنوان "الصراط المستقيم" وانتهينا بسرعة من الاجراءات اللازمة وجعلنا رئيس تحريرها الاستاذ محمد عاكف وفسى هيئة تحريرها من العلماء الأفاضل: احمد نعيم، اسماعيل حقى، طاهر المولوى، وآخرون، وكان توجه الناس إلى المجلة اكبر مما نتوقع وملأت نسخها شوارع استانبول، ونشر عاكف قصائده، وتلقينا من جم غفير التهاني بالرسائل والبرقيات خطابا إليه، وكنا نطبع من المجلة عشرة آلاف أو عشرين الف نسخة ولكن الطلبات كانت اكثر مما نطبع.

(٢) الأثر الذى ترتب على مشاركة عاكف فى تحريرها

نشر عاكف فى كل عدد من اعدادها قصيدة من قصائده التى كان قد كتبها قبل ذلك وفى نفس الوقت بدأ ترجماته خصوصا فى المسائل الاجتماعية من بعض العلماء من اللغة العربية ونشرها وتوجه الناس اليها لكونها تنشر لأول مرة مقالات اجتماعية من علماء مصر مترجمة بقلم مفكر اسلامى وهو محمد عاكف.

ومن بينها المرأة المسلمة لفريد وجدى وقد استمرت سبع عشرة حلقة وترجم مقالين من مقالات محمد عبده، ونشر أول مقالة لنفسه بعنوان "بشارة لطلاب

الجامعة" وفي عام ١٩٠٩ استمر في نشر قصائده وترجم بعض مقالات محمد عبده وكتابه " الرد على هانوتو" الذي استمر نشره خمس عشرة حلقة، واستمر نشر ترجمة الحديقة الفكرية لفريد وجدى احدى وعشرين حلقة ومقالة بمناسبة خلوع السلطان عبد الحميد (١) ، ومقالة لنفسه بعنوان " لم نتقن حتى التقليد" ، وفى عام ١٩١٠ نشر قصائده وترجم بعض مقالات من محمد عبده وعزم زاده رفيق وتفسير سورة العصر، ونشر مقالاته التى وصل عددها إلى خمس وعشرين مقالة (٢) ، وفى عام ١٩١١ نشر ثلاث قصائد ، واحدة منها بتوقيع " سعدى" ، وثلاث مقالات وترجمة طويلة من فريد وجدى بعنوان " الإسلام والحضارة " استمرت إحدى وثلاثين حلقة وطبع الجزء الأول من ديوان صفحاته ، وبذلك المناسبة ارسل المقدم عمر لطفى إلى مجلة سبيل الرشاد رسالة هذه بعض كلماتها : " . . إن الأشعار المنشور لعاكف ليست تعبيراً عن عجز ناظمها (كما زعم صاحبها تواضعاً منه) بل هى نتيجة من نتائج احساسه الدقيقة ، وثمار من ثمرات قلبه الرقيق ، وتلك القصائد تبكى صاحبها وقارئها . " ، ونشر حقى اسبارطاوى مقالا فى الثناء على عاكف بعنوان " عاكف والصفحات " ونشر مدحت جمال (١٨٨٥ - ١٩٥٦) خمس مقالات بعنوان " مذكرات فى الصفحات " واثنى فيها على قصائد عاكف وكتب حمد الله سبحانه فى مقالات فى الثناء على قصائد عاكف ، واشتدت المعارضة بينه وبين جلال ساهر (١٨٨٢ - ١٩٣٥) الذى كان يرى ان قصائد عاكف مخالفة تماما لمفاهيم ومبادئ جماعة ثروة الفنون ، واستمرت المناقشات ست حلقات . وفى عام ١٩١٢ نشر عاكف الجزء الثانى من ديوانه على تسع حلقات ، وكان يحتوى واحدا وخمسائة بيت من الشعر ، ونشر قصائد أخرى غيره وعشر مقالات . وترجم رد الشيخ شبلى النعمانى على جرجى زيدان بعنوان " اخطاء كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية ونشرها على عشر حلقات ، كما نشر اثنى وثلاثين بحثا بعنوان " التفسير الشريف " فى تفسير بعض الآيات والسور ، وفى عام ١٩١٣ عمل تفسيرا منظوما لعشر آيات ، ونشرا لخمس آيات أخرى . وجمع عمله هذا فى " اصوات الحق " و" خواطر " من ديوانه . ونشر خمس مقالات ، كما بدأ نشر الجزء المسمى " على كرسى مسجد الفاتح " فنشر منه ست عشرة حلقة ، وألقى مواعظ فى مسجد بايزيد والسلطان الفاتح والسليمانية ونشرها وكتب على اكرم ابن نافع كمال (١٨٦٧ - ١٩٣٧) تحليلاته فى

(١) دافعت الصحف الهندية عن السلطان ورد عليها فريد وجدى ونشره فى الصحف المصرية . وترجم عاكف هذا الرد ونشره .
 (٢) انظر مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٢٧ - ٢٩ .

"الصفحات الأولى" ، ونشر عاكف قصيدة ضد القومية تتألف من خمسين بيتا تبدأ بقوله : " يضيع ثلاثة ملايين من الشعب بسبب ثلاثة من المجانين". ونشر الأستاذ فريد كام (١٨٦٤-١٩٤٤) رسالة موجهة إلى عاكف واثني عليه . ونشر عاكف كتابه بعنوان " القواعد الادبية " وهو المجموعة الأولى من دروسه في الجامعة .

وفي عام ١٩١٤ نشر ماتبقى من " على كرسى الفاتح " وقام بترجمات من فريد وجدى وعمل تفسيرات لست آيات . وفي عام ١٩١٥ نشر قصائد بعنوان " تأديب من الله تعالى " و " استيقظ " و " الأقصر " وقام بترجمتين من عبد العزيز جاويش استغرقتا ست حلقات . وبدأ نشر ذكريات برلين . نشر منها ست حلقات في عام ١٩١٥ وحلقة أخرى منها في عام ١٩١٦ . وقد اصدرت مجلة سبيل الرشاد ثمانية أعداد فقط . نشر فيها قسما من ترجماته ولم تصدر المجلة في عام ١٩١٧ اذ منعت الحكومة اصدارها مع ذلك نشر عاكف في تلك السنة الطبعة الثانية من كتابه " خواطر " وفي عام ١٩١٨ نشر القسم المتعلق بالإلحاد من ذكريات برلين وقصيدته المسماة " من فيافي نجد إلى المدينة " وترجمته من فريد وجدى ومن سعيد حليم باشا .

وبدأ نشر اعظم واهم انتاج له وهو " عاصم " اعتبارا من ١٩١٩ فنشر منه في تلك السنة عشر حلقات واستمر في نشره على فترات إلى عام ١٩٢٤ . وكان الاستاذ محمد شوكت قد بدأ ترجمة " اسرار القرآن " لعبد العزيز جاويش ثم توقف فأكمل عاكف العمل من الموضوع الذى توقف عنده ، واستمر إلى عام ١٩٢٤ على مائة وعشرين حلقة منها خمس وخمسون لعاكف وكان عام ١٩٢٠ بداية الجهاد من جديد اذ وقف المجاهدون ضد اليونان وعلى ذلك ذهب عاكف إلى مدينة بالسى كثير والقى موعظة في مسجد زاغنوس باشا وحث المسلمين على الجهاد والتعاون مع المجاهدين ونشر نص الموعظة والتقى بكبار السرجال كما التقى بالشباب فى كلية " دار المعلمين " حين سألوه عن الأدب قال : " ماتت فكرة الفن للفن ، لمن يعيش الفن الذى لا يستفاد منه فى المجتمع وواقع الحياة . ومن اعمال المجلة أنها فتحت مدرسة اسمها : " مدرسة سبيل الرشاد الابتدائية " باستانبول ، وفى أيام حرب الاستقلال تعاونت مع المجاهدين والقادة فى انقره بعد الاحتلال الصليبي لاستانبول وضواحيها ووزعت مواعظ عاكف من قبل الدولة واقتبست الصحف والمجلات التركية عن مجلة سبيل الرشاد وقرأت خطبه فى المدارس والمساجد والبياديين وحينما سافر عاكف إلى الأناضول انتقلت المجلة من استانبول

الى مدينة قسطنطينية . يقول اشرف اديب : نصحنى عاكف وقت سفره إلى انقره بأن ادبر أمور ادارة مجلة سبيل الرشاد ، وأن أعادرا استانبول إلى الأناضول واخذت معى كليشة (أختام) المجلة والرخص الخاصة بها وسافرت إلى قسطنطينية واخبرت عاكف بذلك ، ووصل هو نفسه بعد مدة من انقره إليها ونشرت الجريدة المحلية أجيق سوز (القول الواضح) الخبر التالي بهذه المناسبة : " وصل الشاعر الإسلامى الكبير والاديب العظيم محمد عاكف إلى مدينتنا قبل يومين ، وهو الشاعر المتفرد فى العالم الإسلامى بكتاباتة فى مجلة سبيل الرشاد ، وبآثاره القيمة الأخرى ، ونحن نحيبه باسم جريدتنا ونقول له : " اهلا وسهلا " وبعده فترة وجيزة بدأ عاكف نشاطاته فأخذ يصدرها فى قسطنطينية ، وقبل يومين من صدور نشر الخبر التالي على صفحات جريدة القول الواضح : " سوف تصدر سبيل الرشاد - المجلة الإسلامية أول عدد لها فى مدينتنا ، ووصلت إليها الأخبار بانها ستصدر فيها مدة اقامة رئيس تحريرها فى قسطنطينية ، وله تأثير دينى فى جميع العالم الإسلامى وسوف يجاهد هو ومديرها من هنا ونرجو دوام انتشار هذه المجلة التى يعجب بها كل مسلم غيور " ، واعلنت هى خبر انتقالها قسطنطينية بالكلمات التالية : استولى الانجليز على استانبول وازدادوا فى ظلمهم ومضايقتهم ، وسلبوا جميع انواع الحريات المادية والمعنوية ، وجعلوا جميع الامور تحت حكمهم وارادتهم ، ولذا لم تبق المجلة سبيل الرشاد امكانية الصدور فى استانبول . وفى الواقع دافعت المجلة عن حقوق المسلمين ولم تتأثر بالضغوط التى تعرضت لها من جهات مختلفة ، بل حافظت على افكارها المستقلة الذاتية ، لذا نبدأ إصدارها من هنا بعون الله تعالى فى الأناضول ، وستصدرها من هنا مدة اقامتنا فى هذه المدينة وسنستمر فى ارسالها إلى المناطق التى لم تسقط فى ايدى سلطات الأعداء (١) .

وهكذا انتشرت افكار عاكف فى تلك المناطق وجميع الأناضول ، خصوصا عن طريق المواعظ التى القاها فى مساجدها ، نشر العدد ٤٦٤ موعظة عاكف فى مسجد نصر الله فى إحدى عشرة صفحة ، أما العددان رقم : ٤٦٥ ، ٤٦٦ فقد تضمننا خلاصة مواعظه فى مساجد ضواحي قسطنطينية ، ومع المواعظ نشر بعض الاقسام من الجزء السادس من صفحاته بعنوان " عاصم " ، ونشر فى العدد : ٤٦٤ الخبر التالي : " ارسلت من أول عدد صدر فى قسطنطينية من سبيل الرشاد نسخ

(١) محمد عاكف بمناسبة مرور خمسين عام على وفاته : ٢٠ - ٢١ ، سبيل الرشاد العدد : ٤٦٤ ١٠ / ٢٥ / ١٩٢٠ ، ص : ٢٦٤ .

بقدر كاف إلى جميع المناطق ، ونشرت موعظة الشاعر الاكبر للمسلمين واستاذنا المحترم محمد عاكف التي ألقاها في مسجد نصر الله ، وهي موعظة مهمة جدا ، ونرجو من اصحاب المناصب والشخصيات المحترمين أن يهتموا بقراءتها بصوت عال في جميع مساجد الأناضول وجميع الأماكن التي تقام فيها اجتماعات لسمعها جميع المسلمين في مناطقهم ، ونرجو من اصحاب الصحف والمجلات أن ينقلوها في صحفهم ومجلاتهم ويقتبسوا منها ونحن نخاطب بذلك اصحاب الغيرة ، علما بأن هذا واجب ديني " ، وانتشرت الاعداد التي فيها مواعظ لعاكف اكثر من غيرها ، وأرسلت نسخ منها إلى كثير من مدن وقرى الأناضول وإلى الوحدات العسكرية وتليت في المقاهي ، وطبعت على شكل رسائل أو كتيبات (١) .

ونشر عاكف بعض قصائده في الجريدة المحلية " القول الواضح " منها قصيدته المسماة " يامسلم " ونشر الاعلان التالي في نفس الصحيفة : نحن ذاهبون إلى انقره ، وسوف تصدر مجلة سبيل الرشاد فيها بعد وصولنا إليها مع استاذنا المحترم محمد عاكف باسبوعين تقريبا ووصلوا إليها بصعوبة وبدأ اصدار سبيل الرشاد فيها اعتبارا من العدد : ٤٦٧ في ٣ / ٢ / ١٩٢١ (٢) ، واستمرت إلى العدد : ٥٢٧ إلا العدد الذي طبع في مدينة قيصري وهو العدد : ٤٩٠ ، ونشر في العدد : ٤٦٧ خلاصة من نصائحه في قصطاموني ، وفي العدد : ٤٦٨ ، النشيد الوطني له ، كما نشر في تلك السنة بعض قصائده واستمر في نشر " اسرار القرآن " ومقالة رد فيها على الشيوعية (٣) . وانتشرت في تلك الأيام فكرة نقل المجلس الوطني إلى مدينة قيصري بسبب اقتراب جنود اليونان من انقره . ولكن عاكفا ابدى معارضة شديدة لهذه الفكرة وكان له تأثير في ابقاء المجلس بانقره ولكن ارسلت أسر النواب وبعض المؤسسات إليها ، لذا ارسل عاكف افراد أسرته مع اسرة شهيد الخلافة على شكرى إلى قيصري واخذ ابنه امين معه إلى انقره وقال : ليكن ابني معي وليمت في المكان الذي سوف اقتل فيه شهيدا . وقال مخاطبا صاحبه اشرف اديب : خذ معك معدات مجلة سبيل الرشاد واذهب إلى قيصري وانشرها فيها فالمسلم لا يياس وستكون صقريا مقبرة لليونان " وعلى ذلك جمع اشرف اديب اوراق المجلة وذهب إلى قيصري ونشر عددا واحدا منها في ٢٤ / ٩ / ١٩٢١ ، وبعد توقف الحرب عاد إلى انقره مرة أخرى ، واستمروا ، يصدرونها فيها كما نشرها هذا الخبر : بسبب السفر إلى قيصري تأخر صدور

(١) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١٤٨ . (٢) المرجع السابق : ١٥١

(٣) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٦١

سبيل الرشاد لفترة قصيرة ، وليكون ذكرى اصدرا عددا واحدا منها في قيصري وسوف تصدرها خلال اسابيع في انقرة مرة أخرى إن شاء الله " (١) .

وفي عام ١٩٢٢ نشر عاكف ترجمة كتاب " المنظمات السياسية في الإسلام " من تأليف سعيد حليم باشا واستمر ثمانى حلقات ، وصادف هذا النشر أيام البحث عن النظام الجديد للدولة من قبل اصحاب السلطة الجدد ، ونشر قصيدته المسماة " ليلي " فى ٨/٤/١٩٢٢ وعبر فيها عن الاهداف العالمية للإسلام وعن خلاص المسلمين ونشر قسما من " عاصم " وبعد التصريح على اليونان ألغى المجلس الوطنى وهكذا انتهى عمل عاكف فيه ، ورأى أنه محاط بأشخاص يخالفونه فى الفكر وحدت اعمال لا يرضى عنها عاكف ولا يصبر عليها فعاد إلى استانبول ومعه الأدوات المتعلقة بالمجلة وظل يصدرها ابتداءً من العدد ٥٢٨ فى ١٦/٥/١٩٢٣ حتى يوم توقفها عن الصدور (٢) . ونشر فيها ترجماته عن عبده العزيز جاويش التى استمرت إلى عام ١٩٢٤ ونشر قصائده المسماة " إلى شهداء جناق قلعة " و " مع فرعون وجها لوجه " و " الليلة " و " الوحدة " وهى آخر ما نشر من قصائده ، لأن حكومة انقرة بعد خروج الشيخ سعيد الكردى عليها فى ١٣/٢/١٩٢٥ اصدرت قانونا اوقفت به صدور بعض الصحف ، وقبض على كثير من الصحفيين وسجنوا وكانت سبيل الرشاد من بين المجلات التى توقف صدورها بقرار من مجلس الوزراء فى ٦/٣/١٩٢٥ ، وهكذا استمرت المجلة تصدر من ١٩٠٨ إلى ١٩٢٥ (العدد : ٦٤١) وبعد وفاة عاكف بدأت المجلة تصدر فى ١٩٤٨ واستمرت إلى ١٩٦٦ تحت اشراف اشرف اديب (٣) ولكن هذا خارج عن موضوعنا .

(٣) اهم موضوعاتها وكتابها

من اهم موضوعاتها تفسير بعض الآيات والسور ، شرح بعض الاحاديث ، السيرة النبوية ، حياة الانبياء عليهم السلام ، والثقافة الإسلامية ، والعقيدة والفلسفة ، والحضارة ، والسياسة والجهاد والفقہ والرد على بعض الافكار والحضارة الإسلامية ، والسياسة ، والبدع والباطيل ، والأخلاق ، والاسرة ، والمرأة والفوضى الاجتماعية ومفاسد السينما والمسارح والرقص والبالية والسفور ، التعليم والمدارس الاجنبية ، التجارة والصحة والفنون ، والخلافة ، تربية الاطفال ،

(١) مجلة سبيل الرشاد العدد : ٤٩٠ فى ٢٤/٩/١٩٢١ ص : ٢٤٦ .

(٢) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١٨٥ .

(٣) مقدمه ديوان الصفحات لدوزداغ : ٦٨ .

الحروف اللاتينية ، العالم الإسلامى ، الخطب والمواعظ ، المطبوعات الموهبتات يقول عاكف : سوف نكتب فى جميع الموضوعات التى نرى فى كتابتها فائدة ، ولن نستحي من ذكر أمراضنا الاجتماعية ومشاكلنا الواقعية ، وليس الغرض من هذا العمل كما يظن البعض إبراز جوانب ضعف الأمة أمام الأعداء ، وليس الهدف أن نخجل أنفسنا ، بل نبرز سيئاتنا التى أصبحت عادية فى حياتنا ، نعملها كل يوم بلا حياة ، نهدف إلى ترك المعاصى والسيئات جميعا ، ونخطو خطوة كجماعة مسلمة ونتحرك ولو رويدا رويدا . . . ونرجو من أبناء البلاد العقلاء ألا يعارضونا ، ونرجو منهم أن يتعاونوا معنا ، وسنكتب بأسلوب سهل ، ولكن مع ذلك لن نستعمل كلمة تركية من كلمات القرون الماضية وسوف نحافظ على اساليب لغتنا ، ولن نفكر بالعربية أو الفارسية كالسابقين . ولن نفكر بالألمانية أو الفرنسية كالجديد من الكتاب ، بل نصور ونفكر بمنطق اللغة التركية ونكتب بها . (١)

وقد نشرت فى المجلة موضوعات كثيرة ، وكان اهتمام عاكف ببعض الجوانب أكثر ، لذا نختار بعض الموضوعات التى كتب فيها عاكف ونشرها نظما أو نثرا : تفسير بعض الآيات و السور : كثر الكتاب فى هيئة التحرير وتنوعت الموضوعات بعد العدد ١٨٣ ، ووزع عاكف المباحث بينهم على حسب التخصصات وحينما اتى دور التفسير قال حلیم ثابت من الكتاب : أقترح أن يقوم الاستاذ عاكف بكتابة هذا القسم ، ولكنه تواضع واعترض قائلا : ليس هذا المجال من تخصصى فلا تحملونى هذا العمل فإن له قواعد واساليب لم أتمرس بها . فأجاب حلیم ثابت نحن نريد هكذا ، لا تشغل بالقواعد ونقل النصوص ، بل تكتب ماتفهمة وتدرکه من القرآن مباشرة ، فان احسن التفاسير عندنا ماتلهمه الآيات فى قلبك : فقال عاكف : لا ادرى هل استطيع؟ ولكن ابذل جهدى إن شاء الله ، ويقول حلیم ثابت : سررنا بقبول عاكف هذا الاقتراح ، لأننا لانشك فى توفيقه فى هذا المجال على أحسن صورة ، فقد كان يعرف الأدب العربى ، وله قدرة فى الترجمة ويسهل عليه اختيار الكلمات المترادفة فى اللغات المختلفة ويصوغ الكلمات فى الجمل بأسلوب شعرى كل ذلك كان معلوما لدينا . وكنا نرجو منه من فترة طويلة أن يقوم بترجمة معانى القرآن إلى اللغة التركية وكان يرفض هذا العمل ، ولكنه الآن يترجم عدّة آيات كل اسبوع ثم يكتب عن الحقائق المستقاة من هذه الآيات . وسيكون هذا عملا ممتازا . وبدأ عاكف ينشر ترجمته وتفسيره وعبر عن بلاغة القرآن وروحه وعظمته بأسلوب سهل وواضح ، وأعجب الناس

بهذا النجاح (١) . وكان يختار لتفسيره الوجيز موضوعات لحل مشاكل عصره ، ويركز على القضايا المتعلقة بأيامه ومضى على نفس المنهج فى شرح الاحاديث النبوية .

اما القضايا الاجتماعية ، فقد كتب عاكف عنها واهرز الفساد كما هو موجود فى المجتمع ، وقدم اقتراحاته لعلاج الأمراض ، ويظهر هذا واضحا من أول عدد فى مجلة الصراط المستقيم إلى آخر عدد من مجلة سبيل الرشاد ، فقد عبر عن مواقفه تجاه قضايا أيامه بعيدا عن المداهنة والنفاق ، واقترح تعميم التعليم اعتبارا من الابتدائية ، وازالة الجهل والبطالة من المجتمع واصلاح الافراد والأسر ، وحث على اليقظة والبعد عن الغفلة ، وذكر امثلة من أحوال الدول العثمانية وعبر فى أحد مقالاته عن المسئولية بقوله : ينبغي أن يتحمل كل فرد فى المجتمع نصيبه من المسئولية ، ولكن البعض حينما ينتقد بعض الجوانب من الاخطاء فى كلمات أو صفحات يظن انه ادى جميع ما عليه من الواجبات ، إن كل فرد منا مسئول عن الفساد المنتشر فى المجتمع ولا يقصر احد منا فى محاولة الحصول على اكبر نصيب من الشرف والعظمة ، اما السيئات فلا يقبل أحد تحمل مسئولياتها ننتظر التضحية من غيرنا ونترك الشهادة للآخرين ونختار لأنفسنا القعود والتخلف عن الجهاد" (٢)

ومن الموضوعات التى اختارها عاكف للكتابة عنها ، التعريف والتوصية بالكتب مثل ما كتبه فى الثناء على كتاب " من الظلمة إلى النور " لمحمد شمس الدين (٣) و " العالم الإسلامى " لعبد الرشيد ابراهيم ، ومقالة فى التحذير من كتابة الكتب المضرة ، ومقالة فى القوامس العربية وترجمتها إلى اللغة التركية وفى كتاب " المبادئ الاساسية فى العلوم الدينية " لحليم ثابت ، و " بستان " لسعدى واهمية قراءته ، و " الدفاع عن الإسلام " لسعيد حليم . و " محصلة الكلام والحكمة " لاسماعيل حقى ، و " القيمة العلمية للمجددين الجدد " لمصطفى صبرى .

وقد كتب مجموعة من العلماء والمفكرين على صفحات مجلة " الصراط المستقيم " ثم " سبيل الرشاد " ، منهم الاتراك ومنهم علماء من مسلمى روسيا ومنهم من نشرت آثاره من علماء العرب بعد ترجمتها إلى اللغة التركية ومن بين هؤلاء الكتاب : عبد الرشيد ابراهيم ، احمد نعيم ، احمد حمدى ، حسن بصرى ، محمد شوكت ، محمد على عيني ، محمد فاطن ، مصطفى صبرى ، عمير نصوحى ، عمر رضا ، طاهر المولوى ، وهناك أسماء أخرى نشرت بيانات بتوقيعهم

(١) محمد عاكف لاشرف اديب : ٢٧ / ١ - ٢٨ .

(٢) محمد عاكف لوهبى وقاص اغلو : ٢٧٠ - ٢٧١ . (٣) مقالا تمحمد عاكف : ١٨٤

وهناك علماء ترجمت آثارهم كما ذكرنا ونضيف هنا شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية لأن بعض آثاره نشرت بعد الترجمة .

(٤) مدى انتشارها

نشر عاكف معظم آثاره من النظم والنثر في مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ، ونشر بعض آثاره بدون توقيع أو بتوقيع " سعدى " وهناك مقالات نشرت بدون توقيع ويحتمل أن يكون عاكف قد كتبها بوصفه رئيس تحريرها . واشتهر عاكف بقصائده ، وتفسيره ومقالاته . وتوجه الناس إلى المجلتين في داخل الدولة العثمانية وخارجها من جميع العالم الإسلامي خصوصا بين مسلمي روسيا (١) فأسهم عاكف بذلك في توثيق العلاقة بين مركز الخلافة والعالم الخارجى ونتيجة هذه الجهود المبدولة أصبح عاكف يعرف في جغرافية إسلامية واسعة ، كان الناس من الشرق إلى الغرب ، يقرأون ما ينشره عاكف من إنتاجه المتنوع يقول مدحت جمال : بدأ الناس في استانبول ينفقون المجلة من جوانب مختلفة ، نقدها بعض العلماء بقولهم : لماذا نشرت المجلة قول موسى كاظم بجواز لقاء النساء محاضرات ، ونقدها المستغربون قائلين : هل كان ينبغي على المجلة أن تنشر قول القائل : إن ضاع الدين تضيع الدنيا وفى نظرى كانت المجلة عبارة عن الصفحات التى تنشر فيها قصائد عاكف ، ورغم ما قيل من جميع أنواع الانتقاد كانت المجلة رائعة اعجب بها الناس فى العالم الإسلامى بكل جوانبها وخدماتها . وقد جمع أحمد أغا أغلو حول المجلة اعتبارا من الأعداد الأولى العلماء الاجلاء فى مدينة باكو (روسيا) وكان يتوجه إليهم بخطابه : انظروا ، كيف فهم المسلمون حقيقة الإسلام فى استانبول ، كما تشاهدون على صفحات هذه المجلة فى احسن صورة يقول مدحت جمال : عملت حوارا معه حين قدم إلى استانبول واستفسرت عن عاكف والمجلة فاجابنى بقوله : بدأت الجرائد الصادرة باستانبول تصل إلينا اعتبارا من عام ١٩٠٨ ، ومن بينها مجلة الصراط المستقيم ، كمجلة علمية ، ومن اكبر المشاكل فى منطقتنا وبين مسلمى روسيا ، مشكلة الخلافات بين أهل السنة والشيعة وحاولنا إزالة الخصومة بين الطرفين ، واستفدنا فى تحقيق ذلك كثيرا من مجلة الصراط المستقيم ، وكان هناك رباط معنوى بيننا وبينها ، لذا حينما قدمت إلى استانبول بهذا الاحساس

زرت مباشرة مركزها والتقيت باشرف اديب، ثم حصل اللقاء بيني وبين عاكف فى جامعة استانبول وفى نظرى أنه ليس شاعرا فقط بل مفكر، عبّر عن فلسفة الإسلام ويضيف مدحت جمال قائلا : يأتى المفكرون من مسلمى روسيا إلى استانبول كثيرا وكانوا يزورون ادارة المجلة ويبحثون عن عاكف يريدون اللقاء معه (١) . وكانت لها اعمال ممتازة . وقد خشيت حكومة روسيا القيصرية من انتشارها فى روسيا لـذا منعت ادخالها إلى بلادها . ومن جهة أخرى بدأ بعض المسلمين فى بلاد الهند ومصر يؤيدون قيام الاتحاديين بالثورة ضد السلطان عبد الحميد ، فبذلت المجلة جهودا فى إزالة ظنونهم واخطائهم ، وبيّنت أمام الجميع الواقع الصحيح . ودافعت بعض الجرائد المنشورة فى استانبول بعد الحرب العالمية الأولى عن حماية امريكا ، وعبر بعض الكتاب عن رضاهم عن حمايتها ، وأمام هذا الوضع دافعت المجلة عن الاستقلال وصرخت لتحقيقه . وادى عاكف اعمالا جليلة كما هو اهل لها ، للدفاع عن حقوق المسلمين وعدم الرضى عن الاستعمار . وعملت المجلة لتحقيق وحدة المسلمين وابقاظهم من غفلتهم واتصلت بالمسلمين فى العالم ، وحاولت تحقيق الوصول إلى أماكن بعيدة ، ولها قراء كثيرون ينتظرون الاعداد الصادرة دائما للاطلاع على معلوماتها القيمة .

وكان عاكف يجتمع مع سفراء أو مندوبى الدول الإسلامية فى انقرة فى مقر المجلة واستمرت اتصالاته معهم وقرروا جمع المؤتمر الإسلامى ، ولكن لم يتحقق هذا الأمل . ونقلت مجلة المنار هذا الخبر من مقالة روسية : . . " لا ريب فى أن فكرة الجامعة الإسلامية قد انتشرت بين كثير من المستنيرين فى تركستان . والعلوم والمعارف فى تركستان ضئيلة جدا ومع ذلك ترى القراء يشتركون فى الجرائد التركية وخصوصا التى تتكلم فى الاتحاد الإسلامى مثل " الصراط المستقيم " و " تعارف مسلمين " وأهالى تركستان مولعون جدا بنشر الاخبار بينهم ولو كانت تافهة لا يوبه بها " (٢) ، وكان المسلمون خصوصا فى البلقان وبلاد الهند وغيرهما يقرءون " الصراط المستقيم " ويأخذون الاخبار من استانبول . يقول اشرف اديب لاشك أن سبب اشتهار المجلة فى داخل الدولة العثمانية وخارجها فى العالم الإسلامى هو الكتابات القيمة لعاكف وقصائده الرائعة وكنا نرسل آلاف النسخ إلى روسيا . وتأتى الرسائل إلى عاكف من ابعدها مناطق آسيا ، وكانوا يقصدون عاكف ويعبرون عن إعجابهم بقصائده ومقالاته . وسرعان من هذا الاقبال من قبل المسلمين عموما والأتراك خصوصا سرورا كثيرا وقال : أيها الاخوة كما تشاهدون

(١) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ٤١٢-٤١٤ .

(٢) المنار : ج : ٤٤ م : ١٥ ص : ٢٥٨ .

هناك حاجة ماسة للعمل ، ينبغي على العلماء والكتاب والشعراء ، كلهم أن يتركوا المناقشات السياسية ، وأن يشتغلوا بأمر مفيدة في كتاباتهم لإرشاد الأمة لأن الفوضى السياسية كثرت في تلك الأيام. وكان عاكف لا يحبها ويأسف لها ، لذا لم تنشر مجلة الصراط المستقيم في فترة اشرافه على تحريرها المناقشات السياسية لأنه كان يرى : أن الأمة لا تستفيد من تلك المناقشات بل تزداد تذبذبا وتشتتسا . ويقول : اخاف من ظهور فتنة عظيمة في المستقبل" وفعلا ظهرت فتنة ثـمـورة الاتحاديين ، وتوقفت المجلة عن النشر ، وبعد عودة الاستقرار نشرت مرة ثانية (١) .

ورغم كل الموانع انتشرت شهرة عاكف في روسيا واسست علاقات وثيقة بينه وبين ادباء ومحرفى مسلمى روسيا ، وروابط معنوية قوية ، وحين كان يأتى أحد منهم إلى استانبول يلتقى به ويتباحث معه ، ونشرت مقالات لهؤلاء المحرفين فى المجلة خصوصا فى موضوع حياة المسلمين فى روسيا . منهم احمد اغا اغلو أتى إلى استانبول من روسيا وعمل مع عاكف ، يقول فى ذلك : كانت مجلة الصراط المستقيم تقرا كثيرا فى بلادى آذربيجان ، وتوجه الناس إليها ، نشرنا مع حسين زاده على اعتبارا من عام ١٩١٣ جريدة فى بلادنا . وكانت هذه أول جريدة يومية باللغة التركية المنتشرة فى روسيا . وبعد عام ١٩٠٨ اثرت مطبوعات استانبول على الافكار فى ازربيجان تأثيرا كبيرا . وفى مثل هذه الظروف انتهنا إلى ماكانت تنشره " الصراط المستقيم" حول الروابط بين مسلمى تركيا والمسلمين فى خارجها ، وكانت الكتابات جيدة وبأقلام الكتاب الممتازين الجادين ، كنا نهتم بالمجلة وخصوصا مقالات محمد عبده ، نقرأ جميع ما تنشره بدقة ونقتبس بعض محتوياتها . وهكذا اشتهرت المجلة فى تلك المناطق حين قدمت إلى استانبول تقابلت مع عاكف ، وعملت معه فترة وكان يوسف اقجورا معنا أيضا ، نكتب مقالات سياسية وننشرها كان عاكف مع خشونته اليسيرة صادقا أميناً صاحب خلق عظيم وشاعرا قويا ، ومن اسباب اعجاب مسلمى روسيا بكتابات عاكف بمعانيها الرفيعة كونها مكتوبة بلغة سهلة براءة ، لذا فهمها اقوام مختلفون من الأتراك فى روسيا (٢) .

أما فائدة المقالات المترجمة ، فقد اطلع الأتراك عن طريقها على افكار العلماء من العالم الإسلامى ، وفى رأى عاكف أن من اكبر جوانب ضعف المسلمين ، عدم معرفة بعضهم بعضا ، وعدم إمامهم بمشاكل كل منهم ، وقد أشار إلى ذلك واراد التقريب بين المسلمين فى العالم ، ولتحقيق هذا الهدف اقترح التقريب

(١) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١/٨-٩ .

(٢) انظر محمد عاكف لأشرف اديب : ١٠-١٢ .

بين لغة الأتراك في الدولة العثمانية وبين الأتراك في خارجها مثل التتار في القرم ، ولذا انتشرت مجلته في مناطق مختلفة من روسيا . وعن طريق ترجماته عن العلماء من العالم الإسلامي قام التعارف بين قراء مجلته من العلماء والمثقفين وبين العلماء الاجلاء في العالم . فمثلا حين ترجم عن الشيخ شبلى من علماء الهند ، عرف الأتراك جهود اخوانهم في الهند في الدفاع عن الإسلام ضد المستشرقين ، يقول د . عبد السلام فهمي : " . . على صفحات هذه المجلة ظهرت اشعاره الدينية و السياسية وبدأ نجمه يلعب باعتباره مصلحا سياسيا وموجها إسلاميا حتى لقب بشاعر الإسلام ، واحتفظ بمنصبه في رئاسة تحرير مجلة " سبيل الرشاد " حتى الأيام التي خرجت تركيا فيها مهزومة في الحرب العالمية الأولى وكانت مدة هذه الرئاسة قصيرة" (١) والصحيح ان عاكفا استمر في عمله هذا حتى توقف نشر " سبيل الرشاد " عام ١٩٢٥ من قبل حكومة الجمهورية التركية .

بعد هذه الايجابيات المذكورة ذكر مدحت جمال بعض السلبيات للمجلة منها اوصاف بعض كتابها ، كان بعضهم من تلاميذ المستشرقين ، وكان منهم الماسونيون ، ودافع بعضهم عن التجديد في الإسلام ، وهناك كتاب لم يعرفوا حقيقة الإسلام ، ومع ذلك كتبوا جميعهم على صفحات المجلة (٢) . ولا شك أنه على الرغم من هذا فقد اجتمع العلماء الاجلاء والمفكرون الإسلاميون المخلصون حولها وتابعها العلماء وشاركوا في نشاطاتها واشتروها .

(٥) موقف الدولة منها

صدرت مجلة الصراط المستقيم أول مرة في أواخر أيام السلطان عبد الحميد وقد سمح السلطان باصدارها ، وبعد فترة قصيرة من صدورها خلع السلطان واصبح الاتحاديون أصحاب السلطة واستمرت المجلة في الصدور ولكن منعست اعتبارا من ١٣ / ٤ / ١٩٠٩ لمدة (٢٥) يوما . ومزقت العصابات الثورية مقالاتها وحينما صدرت مرة أخرى عبر عاكف عن اسفه تجاه تلك الاعمال في العدد الأول بعد السماح بصدورها . ووقف ضد تلك الحركات السياسية الثورية المتمردة واصحابها من رجال العصابات . وكتب الاستاذ حقي اسبارطاوى مقالة في شهر مايو من عام ١٩١١ ونقل فيها بعض قصائد عاكف ومنها قصيدته بعنوان " الاستبداد "

(١) شاعر الاسلام محمد عاكف : ٢١ .

(٢) انظر محمد عاكف لمدحت جمال : ٤١٤ .

وكان عاكف يصور فيها أحد الضباط العثمانيين في أيام كتابتها ووصفه بالظلم والاستبداد والقبض على الرجال وابقاء افراد الأسرة دون عائل ، واطلع رجال السلطة على المقالة وما فيها من اقوال عاكف ، وظنوا أن المقصود من هذا الضابط المذكور هو الزعيم الاتحادي محمود شوكت باشا - قائد جيش الثورة وزعيم الادارة العسكرية ووزير الحرب - وعلى ذلك اوقفتها الحكومة العسكرية عن الصدور بتاتاً بدون تحديد مدة معينة . ولكن بعد فترة ادركوا أن المقصود من كلام عاكف ليس قائدهم . وبعد توضيح الحقيقة سمحوا باصدارها مرة أخرى . ولكن منعوها من الصدور بعد العدد : ٢٩٩ ، في ٤ / ٦ / ١٩١٤ واستمرت المجلة في الصدور بتغيير اسمها من " سبيل الرشاد " إلى " سبيل النجاة " (الاعداد : ٣٠٠ ، ٣٠١) وعادت إلى عنوانها السابق " سبيل الرشاد " اعتباراً من العدد : ٣٠٢ ، يقول ارطغرول دوزداغ : نظن ان سبب ايقاف المجلة هو قصيدة لعاكف تتكون من ثلاثين بيتاً نشرها في العدد : ٢٩٩ تحدث فيها عن أهل الفسق ، العملاء الذين اشتهروا بعد اوتهم للدين ، يشربون المسكرات وضلوا عن سواء السبيل فهاجمهم عاكف ، ولذا اوقفوا صدور المجلة عدة مرات ولكنها حاولت الاستمرار في الصدور في كل الظروف والاحوال (١) . وفي عام ١٩١٦ نشر عاكف قصائد هاجم فيها الملحدون ومن بينهم توفيق فكرت ، ولذا اوقفت الحكومة نشر المجلة بين عامي ١٩١٦-١٩١٨ ، ثم استمرت في الصدور اعتباراً من عام ١٩١٨ ونشر عاكف قصائده بجرأة وبدون خوف من الاتحاديين . وكان عام ١٩١٦ عام ضيق للمجلة وكتابها . لأنها توقفت عن الصدور بعد ٢٥ / ١١ / ١٩١٥ العدد : ٣٥٢ إلى ١١ / ٥ / ١٩١٦ لمدة ستة اشهر ونسبت المجلة سبب توقفها إلى الضعف المالي وعدم وجود اوراق الطبع ، وبدأت تتناقص صفحاتها من (١٦) صفحة حتى نزلت إلى ثمانى صفحات ، واصبحت تصدر على فترات مختلفة ، ثم بدأت تصدر اسبوعياً ولكن توقفت تماماً اعتباراً من العدد : ٣٦٠ في ٢٦ / ١٠ / ١٩١٦ حتى ٤ / ٧ / ١٩١٨ . لمدة عشرين شهراً ، وحينما بدأت تصدر مرة أخرى لم تصرح عن سبب الانقطاع ولكن كانت الحكومة قد امرت بوقفها عن الصدور ، ومن الناحية الفكرية كان ضيا كوك الب من هيئة ادارة حزب الاتحاد والترقي ، ينشر افكاره الطورانية مع بعض اصحابه وايدته الحكومة الاتحادية وتبنت افكاره . وكان معارضة عاكف واصحابه تجاههم شديدة . ولم ترض السلطة الاتحادية من نشاطات مجلة سبيل الرشاد ، ونذكر بعض الامثلة من موقف عاكف من الحكومة وموقفها منه .

كان عاكف يجلس مع احد اصحابه فى ادارة المجلة وقت الغداء ويأكل طبقا من الفاصوليا أيام الحرب العالمية الأولى ، فقدم إليه أحد المسئولين من وزارة الداخلية واخبره أن الوزير يسلم عليه ويطلب منه أن لا يشتد فى معارضته للحكومة الاتحادية ، فرد عليه عاكف بهذا الجواب : " قل لوزيرك ، يجب عليهم أن يصلحوا انفسهم أما إن استمروا على حالهم فلن يستطيعوا اسكاتنا ، وعندما ارضى من الطعام بطبق من الفاصوليا فلن اخاف من احدا بدا " هكذا رد عليهم فى أيام سلطتهم وقسوتهم وشدتهم . ولم يكن عاكف يرضى عن المناقشات المفتوحة بين الإسلاميين وبين الطورانيين خصوصا أيام الحروب والفوضى والكوارث لذا اقترح الاجتماع بين الطرفين فى قاعة كبيرة لمناقشة فكرية مع تسجيل الكلمات الصادرة فى الجلسة وكتب طلبا أرسله إلى ضيا كوك الب بعد توقيعه من بعض كتاب سبيل الرشاد ، ولكن لم يرد عليه ابدا . وبعد توقف المجلة عن الصدور بيوم دعا طلعت باشا إلى الصدارة - رئاسة الوزراء - كلا من اشرف اديب ومحمد عاكف وتحدث قائلا : يا عاكف بك أما يكون مناسبا أن تتفاهموا مع رجال المركز العام للحزب ؟ وأشار إلى ضيا كوك الب والآخرين من الحاضرين فى الجلسة وحين استمع عاكف إلى هذا الاقتراح قام من مكانه بسرعة ، وضرب بيده على منضدة الصدر الاعظم - رئيس الوزراء - وقال : ألهذا دعوتنا إلى هنا؟ ما معنى التفاهم ؟ هل لنا آمال وغايات شخصية؟ هل نحن فى ظنك وسطاء؟ هذا أمر مؤسف جدا ، عار عليك " وخرج عاكف من الغرفة بدون اداء السلام على رئيس الوزراء ولا على الحاضرين . يقول اشرف اديب : بقى طلعت باشا مبهوتا ، ولم يستطع أن يعمل شيئا . وبعد فترة من هذا الحادث تحدث اشرف اديب فى عام ١٩٢٤ عن اسباب توقف المجلة أيام الاتحاديين فقال : وصلت الاخبار إلينا عن نوايا الاتحاديين المثقفين الثوريين وأنهم يطالبون بتحديد مجال الدين ويتكلمون فيه فى اجتماعاتهم . ولكن لم يظهروا علنا هذه النوايا . كنا نسمع عن تلك الاخبار ولكن ظروف تلك الأيام كانت تمنعنا من الكتابة فى هذه الموضوعات من وجهة نظرنا وكانوا يقولون : لا حديث عن الدين فى القرن العشرين ، لذا إوقفوا مجلتنا عن الصدور قرابة سنتين " وبعد تلك الفترة الطويلة صدر العدد ٣٦١ فى يوم جلوس السلطان وحيد الدين على عرش الخلافة فى ٤/٧/١٩١٨ ، لأن سلطة الاتحاديين كانت قد ضعفت ولم يبق لهم نفوذ ، ولذا اضطروا إلى رفع بعض الموانع بتلك المناسبة (١) وفى عام ١٩١٩ كانت مدينة استانبول تحت

احتلال الاعداء . وكان عام حزن لعاكف والمسلمين . عاشوا في الظلم تحت سلطة الاعداء وحثت مجلة سبيل الرشاد المسلمين على الصبر والمصابرة والجسرة وعدم قطع الآمال ، لذا كانت المجلة تخضع لمراقبة سلطات الاعداء وكانت تصدر احيانا بعد المراقبة وازالة نصف صفحاتها واصبحت ادارة المجلة اعتبارا من عام ١٩٢٠ مركز الاتصال بين الذين تركوا استانبول وذهبوا الى انقرة وبين أسرهم واقاربهم المقيمين في استانبول ، ومركزا مهما للاتصالات الأخرى لصالح المجاهدين ضد الاعداء . ووزعت عن طريق المجلة بعض الجرائد والرسائل الشخصية في استانبول وارسلت عن طريقها أيضا الى انقرة . وطبعت بعض الكتب المؤيدة للجهاد في مطابع سبيل الرشاد وأرسلت الى الأناضول ، ومن بين هذه المنشورات " . . المجاهدون دفاعا عن الاسلام " و " مستقبل الدولة التركية الإسلامية " ، وغادر عاكف استانبول متجها الى انقرة . يقول ارطغرول دوزداغ: تدل كلمات عاكف بهذه المناسبة على أنه سافر الى انقرة بدعوة من قادة الجهاد ولحاجتهم اليه يقول عاكف : " ليس الوقت توقيت الإقامة في استانبول ، يجب أن نذهب لنعمل ، لأن القادة يقولون انهم بحاجة ماسة الينا في عملية تنوير الشعب من قبلنا ، يدعوننا الى انقرة . لا بد أن نذهب " واخبر بهذا السفر صاحبه اشرف اديب وقال : انا اسافر غدا إليها ، لا تخبر أحدا ، دبر امور المجلة وخذ آدواتها وخصصها وتعال بعدى الى هناك " ويقول امين ابن عاكف: بعدما وصلنا الى انقرة ذهبنا فورا الى المجلس الوطني والتقينا أمام مبنى المجلس بمصطفى كمال وحينما رأى والدى قال له : ياسيدى كنت فى انتظاركم ، جئتم فى الوقت المناسب . ليس لى وقت للقائكم الآن سأزوركم فى فرصة أخرى ، وكان من عادة عاكف أن لا يتحدث بدون فائدة ، أما مصطفى كمال فلم يتكلم بكلمة واحدة عن عاكف فى كتابه المسمى " النطق - اى الخطاب " ولا يعرف حتى الآن المقصود من الكلمات المذكورة مثل " الحاجة ماسة الى عاكف " وسبب دعوتهم له الى انقرة ولكن حين وصل إليها بدأ مواعظه فورا من يوم الجمعة فى ٣٠ / ٤ / ١٩٢٠ فى مسجد الحاج بيرام ولى ، ثم تجول فى المدن التى يرجى منها التعاون مع المجاهدين ، وحينما ننظر فى اعمال عاكف وما ألقاه من المواعظ ليحث الناس على الجهاد لخلص الخليفة ووطن المسلمين ولمنع حركات الخروج على الدولة نفهم جيدا دوره فى تلك الأيام ، ونفهم معنى الحاجة الماسة إليه من قبل رجال السلطة . ولا ينكر أحد دور عاكف فى احراز النصر بمواعظه ومنشوراته وركز على مدينة قسطنطينية وضواحيها ثم عاد منها الى انقرة فى نهاية عام ١٩٢٠ كما تحدث

اشرف اديب : ان مصطفى كمال دعا كلا منهما بعد عودتهما من قصطامونى وتكلم
معهما وشكر لهما خدماتهما وأثنى على موعظة عاكف فى تلك المدينة قائلا : لم
تنشر صحيفة من الصحف مثل ما نشرت مجلة سبيل الرشاد فى بيان سيئات معاهدة
سيفر ، وبين أنها حكم الاعدام والضياع للبلاد . ولسبيل الرشاد خدمات جليسة
فرد تقوية جبهاتنا المعنوية لذلك أقدم لكما شكرا خاصا " واثنا اللقاء بين مصطفى
كمال واشرف اديب وصاحبه عاكف ، لم يتكلم عاكف تقريبا وحاول مصطفى كمال أن يجره
إلى الكلام بتوجيه الأسئلة إليه . وبعد انتهاء اللقاء غضب عاكف على اشرف اديب
وقال له : " لماذا اكثرث الكلام " (١) وفى عام ١٩٢١ اقترحت المجلة فكسرة
" المؤتمر الإسلامى " فى الأناضول وتبنت الحكومة هذه الفكرة ، وتكونت اللجنة
التحضيرية بطلب من مصطفى كمال ، وكانت تتألف من مصطفى فهمى (وزير الاوقاف
والشريعة) ومحمد عاكف واشرف اديب ورجب بكر (الأمين العام) وأعدوا بيانا
موجها إلى العالم الإسلامى ، ولكن بعد فشل الأتراك فى جبهة أسكى شهر
توقفت تلك المحاولات . وفى عام ١٩٢٢ بدأ رجال السلطة يتكلمون فى النظام
الجديد للدولة بعد انتهاء الحرب وحين اطلع عاكف على ذلك نشر ما ترجمه
من سعيد حليم باشا بعنوان " المنظمات السياسية فى الإسلام " مينا فيه
نظام الحكم الإسلامى والاسس الاسلامية لادارة الدولة وبين ١ الى ١٦ / ٨ / ١٩٢٢
تجول مع هيئة النواب فى رئاسة على فواد باشا فى الجبهات وخطب الجنود
وحثهم على الاستعداد للهجوم الذى كان مقررا القيام به فى تلك الأيام ، وبعد
انتصار المجاهدين لم يستطع عاكف أن يقعد فى انقرة يستمتع بالراحة بل اخذ
معه ابنه أمين وذهب إلى ساحات القتال ، واطلع على احوال الجرحى وساعد
العاملين فى اطفاء الحرائق التى اشعلتها جنود اليونان . وحينما قتل شهيد
الخلافة على شكرى فى مؤامرة دبرت له أسف عاكف على ما حصل له هذه
الشخصية العظيمة من اصدقائه وصار هذا الحادث سببا فى فتور العلاقات بين
عاكف وبين المجلس الوطنى ثم قرر المجلس حل نفسه وعمل انتخابات جديدة لم
يدخلها عاكف وعاد إلى استانبول ثم ذهب إلى مصر بدعوة من عباس حليم باشا (٢)

أما مجلة سبيل الرشاد ، فقدادت خدمات جليسة ثم منعت من الصدور
اعتبارا من ١٩٢٥ / ٣ / ٥ فى الفترة التى توالى فيها اعمال العنف من قبل
مصطفى كمال ، بعد اعلان ادارة جديدة بقانون " اقرار السكون " - اى منع

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ص : ٦٥ - ٦٦ .

النشاطات السياسية المخالفة للحكومة - الصادر في ٤/٣/١٩٢٥ ، ثم بقرار من مجلس الوزراء في ٦/٣/١٩٢٥ ، وحينما عاد عاكف إلى استانبول في عام ١٩٢٥ في شهر مايو رأى أنه قد قبض على صاحبه اشرف اديب وبعد محاكمته والافراج عنه في محاكم الاستقلال بانقرة ، حول إلى محاكم الاستقلال - أي أمن الدولة - بمدينة ديار بكر بتهمة أن الشيخ سعيد النقشبندى زعيم الثورة فى شرق تركيا كان يقرأ أحيانا مجلة سبيل الرشاد ! ومعنى هذا أن المجلة هى السبب الاصلى فى هذه الحركة الثورية . وحكم عليه بالإعدام ولكن صدر قرار بالعفو عنه فى ١٣/٩/١٩٢٥ ، وحين شاهد عاكف توقف المجلة ومحاكمة زميليه والحكم عليه بالإعدام فكر فى عاقبته هو وفيما يمكن أن يحكم عليه به .

لقد جاهد الأتراك فى الحروب الشديدة القاسية وانتصروا على الصليبيين الجدد وعلنوا استقلالهم ولكن لاشك أن هذا لم يكن الاستقلال الذى كان يأمله عاكف ، فقد جاهد لخلاص تركيا المسلمة ، ولتخليص العالم الإسلامى من الأسر ، ولم يكن هناك تفاهم بينه وبين النظام الجديد الذى اتجه إلى الغرب تماما . وكان من اخلاقه انه لا يثنى على الشئ الذى لا يعجبه ولا يوءمن به ، ولم يكن من امكانه تغيير الواقع ، فلم يبق أمامه إلا الابتعاد عن بلاده تماما ليحافظ على إيمانه وافكاره وليحافظ على نفسه من خيانة دينه . ولذا صبر على الآلام المادية والمعنوية والشدائد غريبا عن بلاده وقد سأله نوزاد أياس قبل وفاته بأيام : هل حصل تغير فى افكارك ؟ فاجاب عاكف دون تردد : لا أبدا . وعبر عن إيمانه العميق بصراحة وكتب عاكف رسالة فى عام ١٩٣١ الى صديقه اشرف قوشجى باشى المقيم فى جزيرة كريت . وعبر فيها عن إيمانه وعزمه وصبره قائلا : " حينما كنا نصدر سبيل الرشاد كنا نتجول هنا وهناك ونجد سلوتنا فى ذلك وكنت اعمل ما يمليه على الواجب واقول : الانسان مكلف بالعمل وليس بالتوفيق ، ولكن اصبحت الآن اقعد مقيد اليدين والرجلين . ولذا اتأسف كثيرا يسألنى سائل أحيانا : لو أصدرت مجلتك سبيل الرشاد ونشرت فيها قصائدك كل اسبوع وكتبته المقالات ولو صرخت بكل قوتك ، فهل تستطيع تغيير اتجاه الافكار ؟ أو هل تقلل من شدتها ؟ والسائل على حق ولكننى لم استرح إلى هذه البطالة أبدا ولم ابررها قطعيا .

واصبح عاكف اكثر الناس ذكرا على السنة الناس يحبه الشباب ويقرأون كتبه دون الزام رسمى .

الفصل الثالث

دفاعه من الإسلام بأعماله وآثاره

- (١) دفاعه عن العقيدة الصحيحة .
- (٢) معارضته البدع والخرافات والانحرافات .
- (٣) دفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية .
- (٤) دفاعه عن الإسلام في المؤسسات والمنظمات الإسلامية .
- (٥) تأليفه نشيد الاستقلال وإشادته فيه بالإسلام .
- (٦) أساليبه في الدعوة إلى الإسلام .

تمهيد :

يقول عاكف في بيتين من شعره بعنوان " لأجل الصفحات " تعيش بعدى وتذكرنى بالخير . . ، هكذا كنت أقول كلما نظرت إليك ياديوانى المسكين من كان يعتقد أنك ستقضى ويبقى بعدك عمرى الخرب الذى أفنيت فى سبيك (١) . نظمها عاكف عندما قرر مصطفى كمال تبديل الحروف التركية الإسلامية إلى الحروف اللاتينية . وكان الشاعر ينعى ديوانه " الصفحات " الذى نكب ، كما نكب صاحبه من قبل (٢) وكان عاكف قد ألف ونشر بالحروف التركية الإسلامية وحينما أدرك أن الجيل القادم لن يفهم من كلامه شيئاً أسف على ذلك (٣) .

يقول محمد عبد اللطيف هريدى : يمثل شعر عاكف شعر الدعوة الإسلامية بكل خصائصه ، فصاحبه داعية آمن بمبدأ ، وتملكته فكرة ظل طوال حياته مخلصاً لهما . مكافحاً فى سبيلهما ، وقد كان مبدؤه العودة إلى مبادئ الإسلام الأولى حتى تستقيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية وتوحيد صفوف المسلمين حتى يجابهوا الحروب الصليبية الحديثة . أضف إلى ذلك عاطفة دينية جياشة وثقافة إسلامية واسعة ، صدرها الكتاب والسنة . ولذلك كله اختلف شعر عاكف عن الشعر الدينى لأسلافه من الشعراء الترك ويتمثل هذا الاختلاف فيما حمله من أفكار إسلامية ، تدعو لتنقية عقيدة المسلمين وتخليصها مما علاها من

(١) ديوان الصفحات : ٤١٩ .

(٢) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٤ .

(٣) انظر جسر الثقافة لنهاد سامى بانارلى : ٢٩٠ .

من غبار وشواغب على مر العصور^(١) وكان عاكف يرى أن أسباب الأزمة التي يعيشها المجتمع التركي تكمن في ابتعاده عن الإسلام . وافتقاده للوحدة الشعورية التي نجمت عن فقدان الصلة بتراث الإسلام وتاريخه ومن هذا المنطلق بدأ محاولاته التي تمثلت في القاء الدروس والمحاضرات واصدار الكتب ونشر آرائه في الفكر والدعوة والحضارة . . الخ . على صفحات المجلات الإسلامية واصبحت دار نشر سبيل الرشاد مدرسة فكرية وعرض عاكف افكاره . ونشر مؤلفاته ودعا إلى الإسلام . وكان يرى ان كل ما يصيب الأمة الإسلامية من خير وعزة يصيبها حين تتمسك بالإسلام . وأن كل ما يحل بها من هوان يحل بها حين يضعف تمسكها بدين الله تعالى ، وأن الإسلام والتمسك به هو سر عظمة هذه الأمة . وكثير من المنحرفين اتهموا الدولة العثمانية بكل باطل والصفوا بها صورة التخلف الدائم وربطوا في غمرة حقد هم بين ذلك التخلف وبين الإسلام . أما عاكف فقد أرجع الأمر إلى ابتعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح . وكان جم النشاط قوى الإيمان دافع عن المسلمين في كل المناسبات والظروف وله مواقف مع الحكومات أيام العثمانيين وأيام الجمهورية التركية .

وتوجهت جهوده أساسا للوقوف في وجه التحديات والافكار المعادية للإسلام مثل القوى الاستعمارية والهجمات الصليبية والإلحاد والتغريب . كما بينا في الباب الثاني . وبين عاكف أن الإسلام منهج حياة متكامل ، يقدم الهداية في كل جانب من جوانب الحياة البشرية . ووضح وجوب تقديم الدعوة الإسلامية من خلال الكلمة والعمل على المستويات الفردية والاجتماعية . ونظم قصائده تغاؤلا بغد إسلامي مشرق ، ولم يترك له دعاة الفكر الغربي وقتا للراحة ورغم كل الظروف الصعبة التي مر بها هو واسرته في بلاده أو في مهجره - مصر - كان يناضل بما يؤمن به ضد مختلف التيارات الفكرية . وقف ضد حركة التغريب لذلك عاداه انصار التغريب وهم كثرة في موقع السلطة . كان يجاهد بآرائه داعيا لفكره عمليا وينادي به في كل فرصة ، وتصدى لدعاة الوقيعة بين العرب وبين الترك . . ، وتصدى لحملة شنها دعاة الفكر الغربي عندما نادوا بسفور المرأة ، وحياته مليئة بالدفاع عن الفكر الإسلامي في الحكم والحياة .

(١) دفاعه عن العقيدة الصحيحة

كان عاكف يتمسك بالكتاب والسنة في جميع اعماله . يبذل جهده

للفهم الصحيح للإسلام وللوصول إلى فكرة إسلامية شاملة . ويدعو إلى العمل وينادى بالجهاد . . لذا يحتل مقام المفكر الإسلامي الرائد في هذا القرن في تركيا .

نشأ عاكف في وسط إسلامي ونشر أول شعره المسمى " حديث إلى القرآن " قال فيه :... ياناسخ اسم المنكرين ، ياشعلة الحكمة الالهية وملتقى الفيض السرمدي ، أنت الجمال والحق ، أنت حقيق بأن تكون مرآة الحق " ويواصل تبجيله للقرآن فيقول : " فهو الفرقان بين الحق والباطل وهو المعجزة الالهية التي ميزت الرسالة المحمدية . والمصباح الهادي للمؤمنين " ، ثم يختم ذلك بقوله : " أنت رفيقي وملتقى في الدنيا ومعينى ومستعانى فى الآخرة " (١) . هكذا تفتحت عيناه على القرآن الكريم ، فوجد فيه نبراسا للحياة ، بينما المسلمون من حوله يبحثون فى الغرب عن قانون ينظم حياتهم ، ووجد فيه دعوة للمسلمين أن يلحقوا بركب الحضارة ودعوة للعلم والرقى ، ووجد فيه دعوة إلى السعى والاتحاد لمجابهة الخطر " (٢) ، بل وجد فيه طريق الخلاص للجميع واستخدم عبقريته الشعرية ومواهبه الادبية فى الدفاع عن الإسلام والعقيدة الصحيحة والدعوة إلى الإسلام . وكان خير مثال للشاعر المؤمن والعالم المخلص فى دعوته وحدث عاكف هزة فى تركيا فى الافكار والآداب وتجاوز تأثيره إلى خارج بلاده . وكانت له وقفات من هذه الأمة وقضاياها . وقضى حياته فى سبيل العقيدة والرسالة التى آمن بها . يقول سليمان نظيف : إن عاكفا عشق الحق سبحانه وتعالى وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وسار على هدى هو " لا " جميعا . واتخذ افعالهم مشاعل لطريقه ، وأخيرا احب الأمة الإسلامية واخلص لها وقدم لها كل ما استطاع أن يقدمه (٣) وتتبين عقيدته من كتبه فهو سلفى المذهب ، كان من أهل السنة والجماعة عقيدة ومنهجا ، وكان يدعو للتمسك بهما واتفق الكتاب على انه من أهل القرآن امضى حياته فى خدمته والدعوة إليه اذ ترجمه السى التركية ودعا الناس فى آثاره لنبذ كل عقيدة مخالفة للكتاب والسنة ودعا إلى العودة إلى صدر الإسلام واحياء عصر السعادة من جديد .

يقول مدحت جمال : كان عاكف يدافع عن العودة إلى صدر الإسلام إلى ما كان قبل أربعة عشر قرنا وكان يقول : " إن أراد المسلمون الخلاص من الضياع

(١) ديوان الصفحات : ٥٢٩ .

(٢) الأدب التركى الإسلامى : ٢٠٣-٢٠٤ .

(٣) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٦ .

أمام سيول الأيام فينبغي عليهم الرجوع إلى صدر الإسلام من جديد* . وكنا نقول له لن نستطيع العودة إلى الماضي أربع عشرة ساعة فضلا عن اربعة عشر قرناً (١) واشتهر عاكف بين اصحابه بتمسكه بالإسلام (٢) . واصبح بآثاره نموذجا ومنبعاً للإيمان الصحيح السليم لشباب الأتراك (٣) ، يقول حسين مجيب المصري: وإذا ، تجاوزناه في عهد التكوين ، ونظرنا إليه في عهد الكمال وجدنا الترك يسمونه شاعر الإسلام (٤) . ويقول عبد السلام فهمي : يعالج عاكف في ديوانه مشاكل الشعوب الإسلامية . . . ، كما يظهر علمه الغزير في شتى الفنون وحرصه على الوحدة الإسلامية والدعوة إلى السلفية ، وتشجيعه الجيل الجديد على تعلم العلوم الغربية مع التمسك بأهداب الدين ، ووعظه الكبار ليمتنعوا عن المحرمات (٥) ، وعرف بشاعر الإسلام واستحق هو هذا الاسم ، لأنه دافع عن الإيمان والعقيدة الصحيحة واعطى كل مجهوده للدعوة إلى الله وإلى الجهاد في سبيل الله .

(٢) معارضته البدع والخرافات والانحرافات :

كان عاكف يدعو لنبذ البدع ، والغلو الموهدي إلى الانحرافات في العقيدة والسلوك ، وكانت له مواقف صلبة مع أهل البدع والخرافات والانحرافات دعاهم إلى حقيقة الإسلام ونصحهم وارشدهم إلى الطريق الصحيح ، واستقام بعضهم ، وحاول إزالة الاوهام المنتشرة واعمال المنحرفين في المجتمع .

ونذكر هنا بعض البدع التي حاربها . فعن البدع في المساجد يقول عاكف : اصبحت عباداتنا تقريبا تتخذ شكل البدع . خذ مثلا صلاة الجمعة ففي المساجد الكبيرة ، فإن الوقت الذي يضيع بدون سماع القرآن والصلاة هباء . هناك كلمات تقرأ من القصائد ، تبدأ بـ " طيب الله انفسهم " فيها شيء من اللغة العربية والفارسية يقرأونها بأداء مخصوص وهي ابيات مختارة من الشعر . . . ، يقرؤها خدام المساجد بصوت عال . من احدث هذا ؟ اخيرونى بالله ما فائدة هذه الابيات ، غير الازعاج وتنويم المصلين ؟ ينبغى اعطاء وقت اطول للموعظة ولكن نحن مستغنون عن سماع الاسرائيليات (٦) .

وقد كتب عاكف عدة مقالات في ذم البدع والخرافات نستعرض هنا واحدا

-
- (١) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٨٨ . (٢) محمد عاكف لجميل سنا : ١٩ .
(٣) انظر الحركات المليية في تركيا : ٨٦ (٤) انظر تاريخ الأدب التركي : ٥١٨ .
(٥) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٣٦
(٦) العصرانية أم الاستسلام : ٥٥ - ٥٦ .

منها : فسرفى هذه المقالة بعض الآيات من سورة البقرة مثل قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (١) وهناك آيات أخرى تشير إلى المعنى نفسه مثل قوله تعالى : (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مسترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) (٢) ، وقوله تعالى : (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) (٣) إذا نظرنا إلى اسلوب الآية الأولى نرى أن الله تعالى بين احوال هؤلاء باسلوب القصة بسبب عدم اهليتهم ليكونوا مخاطبين ولوغى العتاب، لأنهم يقلدون غيرهم بلا انتباه، ويتبعون التقاليد (اى مجموعة المعتقدات الباطلة) ويغمضون اعينهم أمام الحقائق التى بلغتنا على لسان الشريعة والفطرة ، ويعطون أذنا صماء لذلك لم يجعلهم الله تعالى أهلا للخطاب وليس هناك عبرة اكبر من ذلك لمن يفهم وليس عتاب اكبر من ذلك لأهل التقاليد وفى حقيقة الأمر : هل يمكن تصور شىء اقبح من عدم طاعة الإنسان الأوامر الالهية المتعلقة بأمر الدين والدنيا . ومن ابطال الانسان مطالب ضميره وعقله واتباع اوهام الآخرين . ومن النتائج السيئة لذلك الأمر أن يتلقى الانسان أمور دينه من غير المصدر الصحيح ، ينقل التقاليد وتنتقل البدع والخرافات من جيل إلى جيل ، وهكذا تتوارثها الاجيال حتى تصبح عقائدنا وعباداتنا ومعاملاتنا مجموعة من الخرافات أو البدع ولا نستطيع بعد ذلك أن نتذكر الشكل الاصلى للدين ، وإذا حاولنا إزالة البدع . ، يعتبر الناس هذا العمل ضياع ركن من اركان الدين ويبلغ الغضب عندهم اشده . وقد خربت التقاليد ديننا ودنيانا . وفى الحقيقة لا تفريق بين الدين والدنيا فى نظر الإسلام . والتاريخ شاهد واضح على ذلك . كانت الأمة الإسلامية معمورة الدين والدنيا حين حافظت على اصل الشريعة صافيا ونقيا . وحين ادخلت مجموعة من البدع على اصلها أصبحت فى خسران مبین .

ويستغرب الانسان حينما يشاهد ان عوام الشعوب يرفعون الشعار القائل " هكذا رأينا من آباءنا الأقدمين " انتشر هذا فى كل انحاء العالم ، يقفون ضد كل حركات الاصلاح وقفة قوية بكل امكانياتهم كالقلعة المرتفعة . أما الخصوص المثقفون كما كنا نتوقع فقد حاولوا طمس حسنات آباءهم وتغيير القيم ومسح

(٢) سورة الزخرف : ٢٢-٢٣ .

(١) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٣) سورة الاعراف : ٣ .

شخصياتهم جميعا ، ولم يفكر أحد في نقل العلوم والاختراعات النافعة لحاجة الأمة إليها ، وترك ما ثبت سيئاته من القديم ، فإن الأمة وقعت في التقليد فأصبح دينها تقليدا ودنياها تقليدا وعاداتها تقليدا وزيتها تقليدا وسلامها تقليدا وكلامها تقليدا ، وخلاصة القول أصبح كل شيء في حياتها تقليدا ، إن أفراد هذا المجتمع تقليد للإنسان ! ولن تتكون من هو " لا " هيئة اجتماعية ممتازة لذا فإن الأمة لاتحيا حياة شريفة" (١) ، وكما يبدو من هذه الكلمات فإن عاكفا حسين رأى الانحرافات عن روح الإسلام في مجتمعه وقف ضدها وراح يدافع عن حقيقة الإسلام وله جهود بآثاره ومواعظه في اصلاح حال المسلمين . وإن الله تعالى يسخر في كل عصر مفكرين وادباء وشعراء وكتابا ينادون بالإسلام الصحيح ويدعون الناس إليه . وجل آمالهم اعلاء كلمة الله تحت راية التوحيد وقد كان منهم في هذا العصر في تركيا محمد عاكف .

أما الخرافات المنتشرة في عصره ، فقد ذكر عاكف عديدا منها ياسلوبه الخاص ووقف ضدها ونذكر بعض الأمثلة لذلك ، يحكى حوارا بين البائع والمشتري في دكان العطار ويقول : قالت عجوز وهي تخاطب صاحب دكان العطار : يا بنى أعطني ترياقا (دواء يدفع السموم) وليكن من النوع المقروء (المنفوث) عليه لأن مرض الحمرة (الالتهاب الجلدى) اصاب ولدنا واصبح وجهه الجميل شيئا كريها . وأجابها صاحب دكان العطار قائلا : تتحسن صحته ولكن لا بد من النفث على المريض تقول العجوز : هل هذا صحيح ؟ هل تتحسن صحته ؟ الجواب : إن شاء الله ، ويدل هذا على أن ذلك كان منتشرا بين المسنين في المجتمع ، كما يدل على اكتفائهم بشراء الاعشاب المقروء والمنفوث عليها بدلا من معالجة المريض على يد طبيب متخصص .

ويصور لنا عاكف اعمال الذين ينشرون الخرافات في المجتمع ويشير إلى أضرارهم بقوله : " رغم ما تأمر به الشريعة من ضرورة العمل فإنك لم تعمل ، بسلت قعدت عن العمل واحداثت كثيرا من الخرافات وزعمت أنها من الدين ، واضفت في نهاية الأمر على ذلك توكلا مزعوما وهكذا جعلت هذا الدين شيئا مضحكا" (٢) هكذا يشير عاكف إلى ضرورة فهم التوكل فهما صحيحا مع العمل والسعى كما أمر الله تعالى وإلا فسنبصيح بعيدين عن حقيقة الإسلام ويقول عاكف : في مناسبة أخرى : انتشرت الخرافات والنفخة (النفث لغرض الشفاء . .) وربط الحبل

(لتحقيق بعض الرغبات) والذهاب إلى القبور بأمل الشفاء من الامراض، وكسل ذلك بقية من بقايا البطالة الملوثة^(١)، فهذه الأمور وغيرها كانت موجودة في عصر عاكف اضافة إلى الفقر والضعف والتخلف والبعد عن روح الإسلام وحقيقته. وفي ذلك يقول: "انظروا ماذا فعل جهلنا بالدين، أحاطت الخرافات بأطهر منابع الإسلام فضلا عن حقائق الشرع، فإن الهديات لم تعد تقرر اليوم بلا نقاش هيهات ألعيننا - حاشا - بأيدينا الكتاب والسنة والاجماع من التطبيق في واقعنا، وجعلنا الخواص يضحكون منا وخذعنا العوام"^(٢). هكذا حاول عاكف تصوير الخرافات المنتشرة في عصره وبعد ذلك ذكر مثلا من الخرافات السائدة في بلاد تركستان - فصور أولا تلك البلاد على لسان سائح مسلم ثم قال: بخارى! أرض مباركة عظيمة ولكن اليوم هي في ذلة، استغرقت في البطالة والنوم بلا انقطاع، وقد نشأ في الماضي من هذه المناطق مئات من العلماء الأجلة منهم ابن سينا، وفي هذه السنوات الأخيرة لم يظهر أحد من شباب هذه البلاد ليصبح عالما، هذا شئ مؤسف جدا وكانت سمرقند في الماضي مرصد العالم والان اغرقت في الخرافات رغم ماضيها المجيد فحين ينخسف القمر يجتمع آلاف من النساء والبنات والرجال بغرض طرد الشيطان فيضربون على طبلة صغيرة^(٣). وهكذا يتركون اقامة الصلاة بهذه المناسبة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتمسكون بخرافة مسن عادات جاهليتهم، يشترك فيها كثير من افراد المجتمع، لطرد الشيطان باصوات حادة تنبعث من الطبول والدفوف، ثم تحدث عن نوع آخر من الخرافة فصور لنا مكانا خاصا في استانبول يجتمع فيه أهل البيع والشراء. ثم قدم لنا بائعا يبيع بعض المأكولات ومن بينها "المعجون" - وهو نوع من الحلويات - فينادى قائلا: في معجوني شفاء^(٤). ويعتقد المشتري أن فيه شفاء من الأمراض فيشتري هذا المعجون ويقدمه للمرضى لفرض الشفاء من كثير من الامراض، وحينما تكلم عاكف ضد الخرافات والمعتقدات الباطلة في عصره تعرض للنقد من أهل هذه المعتقدات في أيامه^(٥) أما تحضير الارواح في عصره. فيقول مدحت جمال: كان موسى كاظم^(٦) يحضر الأرواح ويتكلم معها ويقول لها: ياروح تبعدين الظالم عنا (أي متى تبعدين السلطان عبد الحميد الثاني عن الخلافة) وكانت الروح تعرف الشخص المقصود وتقول في كل مرة ليس الآن، سوف نخلعه في الاسبوع

(١) ديوان الصفحات: ٢٦٥ (٢) المرجع السابق: ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق: ١٦٨ (٤) المرجع السابق: ٥١.

(٥) انظر مجلة الدعوة الى الفكر المطلق: ١٠.

(٦) ارتقى إلى مقام "شيخ الإسلام" أيام سلطة الاتحاد والترقي.

القادم " وقد كنا معه مرة وقال عاكف ساخرا من موسى كاظم : ستخلعه خلال خمس دقائق . وقام وخرج من منزل موسى كاظم وقرر أن لا يذهب إلى بيته إذا استمر في تحضير الأرواح واشتغل موسى كاظم بهذه الأمور حتى مات الشاب الذي كان يساعده في تحضير الأرواح . وبعد موته لم يستطع الاستمرار في هذه الأعمال البدعية^(١) وهكذا انتشر الالتجاء إلى الأرواح ، واشتغل اصحاب المناصب العالية في الدولة بالخرافات والبدع . وكيف يكون حال العامة وبقية العلماء إذا كان شيخ الإسلام يقوم بهذه الأعمال ؟

وقد أكد عاكف أن الإسلام منع من التعلق بالآهوام والخيالات الكاذبة التي ليس لها في واقع الإسلام سند . كما عاب الإسلام على المقلدين تقليد الآباء وتمسكهم بما تناقلت الأجيال من الخرافات وقد كان كثير من المثقفين أيام عاكف يذنبون ان الدين هو سبب ضعف المسلمين وأنهم إن ارادوا التقدم فلا بد لهم من التخلي عن الإسلام ، ورد عليهم عاكف وبين أنهم ابتعدوا عن حقيقة الإسلام وعن فهمه فهما صحيحا وعن الالتزام الدقيق باحكامه وعن العودة إلى منابعه من الكتاب والسنة ، ثم اصابهم الانحراف ، فعزلوا الإسلام عن واقع حياتهم كما فعلت أوروبا عندما هجرت الدين والأخلاق وآثرت العلمانية . بينما البعد عن حقيقة الإسلام وانحراف اتباعه عنه وعدم التزامهم به ، كان هو سبب ضياع المسلمين لذا حارب عاكف المنحرفين ووقف ضد هم . وكان له جهود مرموقة في تصحيح الانحرافات يقول عاكف في تفسير " سورة العصر " فإن من عادة الله في كتابه قسمه بذكر أسماء الأشياء من الكون والمقصود منه : بيان الحكمة الموضوعية في تلك الأشياء (٢)

أما الصوفية : فلم يكن عاكف صوفيا غير أنه من الملاحظ أنه لم يقف ضد الصوفية إلا في بعض القضايا فقد كان يرى إزالة قبور الصوفيين الموجودة على الطرق ، لأن الناس تركوا قبور كبار الصوفيين كما هي في الشوارع أثناء توسعة الطرق ودعا عاكف إلى ازالتها (٣) . ومن ناحية أخرى عبر عاكف عن معارضته للأدب الصوفي المملوء بالرموز والتأويلات خصوصا في القصائد . يذكر الشاعر في قصيدته الخمر ويزعم أنه يقصد العشق والمحبة (٤) وأشار في إحدى مقالاته إلى ضرورة نقدهم

(١) محمد عاكف لمدحت جمال : ٤٢ . (٢) انظر تفاسير محمد عاكف : ٥٨ .

(٣) انظر اقتراحه في إزالة قبر بابا عثمان من الشارع العام في حي بايزيد

- استانبول - مقالات محمد عاكف : ٧٦ - ٧٨

(٤) انظر ديوان الصفحات : ٣٠١ .

عن علم ، لأن معظم الناقدین (فى عصره نقدوا الصوفية بدون علم وبدون اطلاع على كتبها (١) . وقد اخطأ بعض الكتاب بزعمهم بصوفية عاكف : ينقل حسين مجيب المصرى الكلمات التالية : " يابلبل العرفان ، يافتيق اللسان ، لك انغام تحير الوجدان ان هذا الغناء صفة النفس ، فهو محرم فى حريم الروح إن العوالم كلها تحت قدمى ، ويصل إلى اللاهوت خيالى ، والآباء تضيف عن اشواقى ففكرى يسبح فى الفضاء" . ثم يقول : " فهذا شعر صوفى من ذلك النمط القديم الذى اجاد فيه معلم ناجى" (٢) . ويقول العوضى الوكيل : الصوفية العميقة هى الطابع الذى يغلب فى شعره ، قرأت منها قصيدة عنوانها " الوحدة" وقد بلغ الذروة العليا فى تصوير الاحساس وقد استهلها بقوله : من منذ آباد وآباد وإيمانى لنسورك ظامى لم ينهل! وفى شعره موسيقى تمتلك عليك مشاعرك ، وقد اعجبتنى قصيدة له سمعتها بالتركية فافتنتت بها وترجمتها إلى العربية نظما وعنوانها " على قبر شهيد" وهامى ذى :

خليلى إن الأولى يبذلوا	ن نفوسهم فدية للوطن
مسجون تحت سجوف السما	، يحيط بهم دمهم كالكفن
ومثل أولئك عاشوا وماتوا	وهانوا . وأوطانهم لم تهـن
ولا يسكنون الثرى بل لهم	غوادٍ برحمته راحنة
ولا يطلبون إلى عابـر	قراءة شىء سوى الفاتحة .

وقد اعجب رحمه الله بالترجمة لما رآها وشكر لى الدقة التى راعيتها فيها رحم الله الفقيد ، وعوض الأدب عنه خيرا ووفق اخوانه واصدقائه أن يترجموه لنا عربيا حتى نستمتع بأدبه وقوته (٣) . ونفى حسن بصرى صوفية عاكف وقال : لم تدخل الصوفية فى قصائد عاكف إلا فى قصيدته المسماة " التوحيد" فقط (٤) . ويقول مدحت جمال : كان عاكف لا يحب الصوفية النظرية والفلسفية وهو صاحب زهد وتقوى دافع عن الإسلام (٥) . وقد تمسك عاكف بالإسلام الموجود على حقيقته فى المساجد ، وليس إسلاما اعجميا (أى مليئا بالخرافات والاساطير) (٦) .

-
- | | |
|-------|--|
| (١) | انظر مقالات محمد عاكف : ١١٦-١٢١ . |
| (٢) | تاريخ الأدب التركى : ٥١٧ |
| (٣) | مجلة الرسالة السنة : ٥ العدد : ١٨٥ ، ص ١٥٥ . |
| (٤) | عاكف نامة : ١٠٠-١٠١ |
| (٥) | محمد عاكف لمدحت جمال : ١٦٣-٢٦٤ |
| (٦) | المرجع السابق : ٢٥٠-٢٥١ . |

ويبدو لنا أنه لم يدخل طريقة من الطرق الصوفية ولم يكتب أحد من الدارسين له عن دخوله الصوفية. ولكن اعترف هو بعد هجرته إلى مصر في رسالة له: أن ميله يزداد يوماً بعد يوم إلى الدروشة (الصوفية) (١) لأن الهجرة عن بلاده والعزلة عن الناس جعلته غريباً وبدأ يكتب عن موضوعات تتفق مع موضوعات قصائد الصوفية مثل قصيدة الليلة وهجران والسجدة . لذا يقول ابراهيم صبرى : تطراً تعبيرات صوفية على لسانه الذاهل من ناحية اللانهاى الذى استغرق فيه بالتأمل فى أعماق نفسه (٢) . ولم يوافق على فكرة وحدة الوجود ، وظهر ميله إلى الموضوعات الصوفية فى تلك القصائد فى نهاية عمره فى مهجره وغربته (٣) .

(٣) دفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية :

تحدثنا فى الباب الأول عن دعوة السلطان عبدالحميد إلى فكرة الجامعة الإسلامية . والآن نقف مع محمد عاكف لنرى مدى اسهامه فى ذلك ؛ لقد أدى عاكف رسالته واسهم فى الدعوة إلى وحدة العالم الإسلامى .

ولعاكف قصائد يمدح بها لخليفة والخلافة ولم يكن يقدمها له وإنما كان ينشرها فى مجلة الصراط المستقيم وسبيل الرشاد . ويعظم مقام الخلافة ويؤيد الوحدة الإسلامية لأنها عزيزة على المسلمين ناظمة لشملهم قائمة فى وجه عدوهم ويرى بنزعتة الإسلامية ان الخلفاء هم الحافظون لكيان الأمة فى الداخل والخارج وليس هذا الاحترام خاصاً بأشخاصهم ، وإنما هو للمقام الذى يتبوأونه ، ومع تأييده للخليفة كان ينقد ادارته واعمال رجال دولته . وكان متعاطفاً مع الدولة العثمانية ولم تكن حماسته فى قصائده فقط ، وإنما كانت فى جميع كتاباته ومواظبه وأشاد بالروابط الدينية . ومدح الخليفة بأنه خليفة المسلمين الذى نيظت به رعايتهم والقيت على عاتقه حمايتهم من المعتدين . وأشار إلى أن الخلافة حفظت وحدة المسلمين وأن اعمال الخليفة عادت عليهم بالخير . فهو يغزو ويجاهد لأجل دين الله ونصرته والجميع يجيب دعوة الخليفة إذا دعاهم إلى الجهاد وتنطلق جيوشه وترفرق على البلاد رايات النصر . ودعا الشعوب الإسلامية إلى تقوية روابطها فى ظل راية الخلافة ، ونهذ الفتنة ، والجهاد لحماية الإسلام .

وحين نادى السلطان عبدالحميد بالوحدة الإسلامية ايده محمد عاكف

(١) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ٣٨٤ / ١ .

(٢) ترجمة الظلا : ٢٢ . (٣) انظر شاعر المساجد : ٢٦ ، ٣٠ .

وَجِأول جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وبارك جهاد العثمانيين وسخر من اعداء المسلمين . وكان يرى أن الخلافة مصدر عز المسلمين وان الدفاع عنها دفاع عن الإسلام . وان حفظها حفظ لوحدة المسلمين فى العالم . ومع دفاعه عن الخليفة كان له موقف تجاه شخص السلطان عبد الحميد لأن الحاقدين من القوميين وانصارهم من الكتاب شوهوا تاريخ السلطان ونعتوه بالظلم والاستبداد وجاءت الماسونية باعضاء حزب الاتحاد والترقى وازداد الفساد والظلم والتحلل من الدين .

وكان عاكف قبل الغاء الخلافة يدعو المسلمين إلى الوقوف بجانب الدولة ومد يد العون لها . وكانت العاطفة الإسلامية مسيطرة على القلوب مهيمنة على الأذهان . وبعد سقوط الخلافة قويت التيارات القومية فى البلاد وراح كل بلد يفاخر البلاد الأخرى بمجده القومى ، وشغلت الصحف بالكلام عن الكشوف الأثرية الجديدة وما تدل عليه من حضارات البابليين والآشوريين والكلدانيين والفينيقيين والفراعنة (١) ، وكانت الدول الغربية تغذى هذه الاتجاهات القومية وتعمل على تنشيطها حتى تتباعد الشعوب الإسلامية وتتخاصم ويمجد كل منها حضارته القومية التى طواها الإسلام (٢) ، ولكن الله قيض للوحدة الإسلامية دعاة مخلصين وسط هذا الجو منهم محمد عاكف ، اهدى آلامه لحالة المسلمين بعد أن عمست البلوى وبين اسباب تخلف المسلمين فردها إلى تبعية الغرب وعدم العمل وهو يعتبر جميع المسلمين اعضاء فى جسد الأمة الإسلامية يعتز بعزتهم ويتألم بهم وفى رأيه أن الجندى الأناضولى كان يحارب بدافع إسلامى . ولولا جامعة هذا الدين مانصره المسلمون فى العالم . وفكرة الجامعة الإسلامية فى نظره هى الشعور بالوحدة والعمل لتحقيقها . وهى فكرة تجمع جميع المسلمين ويرى وجوب أن تقوم الوحدة الإسلامية . وحرص اشد الحرص عليها ونادى بها فى مواعظه وآثاره ، ولكن تحالفت القوى العالمية ضد هذه الفكرة والدعوى ودأب بعض الكتاب والمؤلفين على تمجيد القومية وجعلوها بديلا عن الإسلام . وكانت المهمة التى قام بها عاكف هى محاولة الحفاظ على الوحدة الإسلامية واخوتها .

وفى نظره أن الأمة الوحيدة الحققة هى " أمة الإسلام " (٣) ، ومن اركان الوحدة الإسلامية : الحج والخلافة الإسلامية ، ووصف الحج بأنه مؤتمر إسلامى

(١) انظر الاتجاهات الوطنية : ١٣٧-١٣٨ .

(٢) انظر شعر الوحدة : ٢٠١ . (٣) محمد عاكف لنور الدين طوبجى : ١٧ .

عظيم له فوائد عظيمة لجميع المسلمين (١) . أما الخلافة : فيرى ضرورة احياء عظمة الخلافة واسترداد ما كان لها من الجلالة والهيبة (٢) . وحض المسلمين على التآزر والتناصر وحذرهم من المخططات الصليبية والصهيونية العالمية ومن انهيار الدولة العثمانية ومن التفرقة والعداء بين المسلمين . وهذه بعض كلمات عاكف في دفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين : " ولو هجرت المعمور وسكنت القفر ، لما اطلقت العيش منفردا فعهدك الحاضر ، عهد الجماعة إذا أبيت الموت ولم تقصد الاضمحلال ، فلا تندد بالإسلام قائلا فلتسقط الوحدة ، وان ابتعدت عن الإيمان فلا تترك الجماعة " ، انظر حولك لترى كيف اتحدت الأمم واحسرتاه أن تتناثر أنقاض التوحيد اليوم ، فتملاً ذلك الإقليم الفيض الذي انبثق نور الانبياء من ارضه ! تخاف الآلاف المولفة من المؤمنين أن ترفع صوتا لدفع ما أخذ يستولى على الأرض من الف منكر (٣) و " هذه أمة تفرقت لا يعدو عدد هـا العشرات ، وما نزاعها إلا من الحرص على الجاه إلى متى النزاع .؟ ياللغفلة وبالفضيحة . قالوا : لقد ظفرنا بالحرية ، صدقنا كلامهم ، ولكن وا اسفاه ، قد خسرنا في هذه اللعبة أيضا ، وسمينا الجماعة فرقة فانتهى ذلك إلى التفرقة وإلى هدم كيان الأمة القوية (٤) . " فانظر اليوم إن الروح والدم له ، والدنيا والدين والوجد له . وتلك الوحدة المنفعة المشتتة ربطتها الأخوة ، وتوثقت عرى تلك الرابطة الأزلية ولو هاجم الإسلام اربعون جيشا من الصليبيين فكن مطمئنا إن أربعمئة مليون من المحال أن يوسروا (٥) ! . وذكر عاكف امثلة من الأخوة القائمة بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين . ورجع إلى الماضي فتحسر على البلاد الإسلامية ومجدها . وسأل الله أن يهب للمسلمين جيلا يعيد للدين امجاده ويجمع لهم شملهم . ويقول : يارب : كأن عقد الإيمان قد انتشرت حباته ، لتترنح على الأرض متقطعة ومتداعية هل كانت الوحدة شعاره ؟ انظروا الآن كل قطعة منها اصبحت لعبة في يد الأيام . ايتها الأمة الضائعة باسم التفرقة . فهل لاتزالين في الطريق التي تودي إلى الزوال ؟ (٦) .

وقد نظم عاكف قصيدة بعنوان " من فيافي نجد إلى المدينة " وتحدث فيها عن وحدة المسلمين ، وفي رأى عبد السلام فهمى : هذه القصيدة تعد من اعظم

(١) انظر مقالات محمد عاكف : ٥٢ .

(٢) انظر مواعظ محمد عاكف : ٢ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٨٤ .

(٣) ديوان الصفحات : ٣٨٢-٣٨٣ . (٤) المرجع السابق : ٣٨٧ .

(٥) المرجع السابق : ٣٩٥ . (٦) المرجع السابق : ٤٠٨ .

المنظومات التي نظمها عاكف، بل من القصائد الخالدة التي يعترف بها الأدب الإسلامي قاطبة، انها تحوى محبة الله سبحانه وتعالى وحب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعشق الدين الإسلامي الحنيف، كما تعتبر من أروع ما نظمته من اشعار دينية، حيث يستمد من زيارته للاماكن المقدسة قبسا من النور المحمدي بثه في شعره فبلغ بهذا الشعر ذروة عبقريته الفنية (١)، وعلق الأديب التركي سليمان نظيف عليها باعتبارها نصا شعريا بليغا وما تحويه من آراء وافكار بقوله: إننى اعترف بكل فخر وتواضع ان اللغات التي أجيدها سواء الشرقية منها او الغربية، وما بها من أدب رفيع سواء على شكل ترجمة او تأليف، فاننى لم استعذب أجمل من هذا الشعر الخالى من العيب والخلل، إن هذا النظم لا يتم الا من شاعر قد يرمثل عاكف في تدينه (٢)، وهاهى ترجمة بعض ابيات منها:

"...هانحن أولاء، قد غصنا فى أغوار الغيا فى النجدية شهرين، غصنا فى اغوارها كالمجانين خائبين خاسرين، نسير ونجرى من بادية إلى بادية، لعلنا نصل إلى خيمة ليلى (٣) يوما. لقد نفذ الصبر، فلا تحمل للانتظار، ولا قوة على السير، فرحمة يا إلهى، وظلا ظليلا نأوى إليه، وإلا خابت الآمال، وعندما هب طوفان من اللهب فى هذه اللحظة، لاح لنا فى الأفق " القبة الخضراء"، مررنا من المناخة ساعة العصر، فما إن ظهر أمامى ذلك المقام النضر، مقام الحبيب حتى نسيت كل شىء وهرعت إلى حرمة الجذاب، وقد اخترقت الصفوف حتى ارتميست بجانب الاعمدة، وما أن استقربى المقام فى ذلك المكان حتى شعرت بالخشوع يستولى على والخشية تملأ قلبى، وكأنما تجمدت ثورة نفسى، إذ انفجرت من روحى رعشة ارتجفت منها كل ذرة منى، أما العالم الممتد أمامى فعالم من السكون مكون من ظلال جامدة. قد تراصت واحتضنت الخشوع، ذلك العالم العظيم، فيه التونسى والأفغانى والترنسقالى، والبخارى والصينى والسودانى والحبشى والحيرى (٤) والكاشغرى والتركى والهرسكى، والسرنديبى والجاوى والمغربى، فيه فروع تلك الشجرة المباركة التى تظلل الغرب وأقصى الشرق وما بينهما من العوالم. وقد ترك هؤلاء الأبناء البررة، هذا المحشر المتلاطم فى سكون متبوع

-
- (١) شاعر الإسلام محمد عاكف: ١٢٣-١٢٤.
- (٢) محمد عاكف لسليمان نظيف: ٤٣.
- (٣) يقصد من " ليلى" النبى صلى الله عليه وسلم، وقصد فى مواضع أخرى " مستقبل الإسلام".
- (٤) دولة تركية فى تركستان عاشت بين (١٣٠٤ - ١٩٢٠) والآن تحت الاستعمار الروسى.

بالاطمئنان يا إلهي من ذلك المنظر، بل ذلك المحشر الصامت الذي هاج من روءيته عالم الملكوت . فجاشت المآذن الخمسة (١) المتولبة دفعة واحدة وأثارت هذه الأفواج الغارقة في بحار الرحمة . فإذا بهذا الحشد الساكن يغور ويموج كأنما المآذن ذلك الصدر، وما أن نطقت المآذن بالشهادة الأولى حتى تسامت الجباه إلى السماء وشعر كل إنسان كأنما الروضة الشريفة تردد تلك الشهادة بصوت هاتفي ، فاتجهت الجباه إلى صاحب المقام ، ثم ماجت موجة الشهادة الثانية كأنما كان قلب الأرض يوحد خالقه . وجاءت الشهادة الثالثة فانتشرت في الأبعاد، صوت هو اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الشهادة . يا إلهي من الولولة التي تلت تلك الشهادة ، أتراها لا تنبه الحبيب من رقدته؟ . هاهم أولاء ، يئنون ويئنون حوله ، ألا يكفي ذلك ، أم تراه لا يقوم من رقدته حتى الحشر . . . ؟ لا ينتبه ذلك الروح الرقيق بأنين هذا العالم العظيم ، ثم وحدت المآذن باري النسمات كرة أخرى ، فاذا بالصفوف المتراسة على الأرض قامت قومة واحدة في حضرة الله ، وانتشرت في الأبعاد أنات ساكنة . والآن أنا بجانب حبيبي وأمتسه المظلومة . وفي عيني سيول الدموع، وفي قلبي جراح وأنين ، لا أنا مالك لا رادتي ، ولا أنا منقاد لنفسى ، لأنى وسط هذه الأمواج من العباد المسبحة بحمد الله ، كأنى قطعة من سفينة تناولتها التيارات ، فهي تصعد بها تارة إلى سطح البحر، وتارة تهبط بها إلى أعماقه، ثم تظهر من بعيد مرة أخرى فتتناولها الأمواج ، تحملها ، وتضربها وتقذفها بعيدا . وقد لبثت على هذا النحو أصعد وأهبط، وأطفو وأسير إلى أن سقطت على أرض العجز هامدا ، وما أن انتهت حتى رأيت تلك السيول والأمواج اللجية المدهشة ، قد سكتت وهدأت كأنما تنتظر شيئا . وعندما ختم الموءذنون الأذان الكريم . فإذا بكل القلوب تصيح : آمين ، آمين . الروءوس خافضة ، والأيدي مرتفعة إلى السماء ، والعيون منخفضة إلى الأرض ، والجماعة كلها تنن وتنن . تلك الأيدي التي تملأ الفضاء تتضرع إلى الله ، وتخرق حجب الظلام لتجد لها متكئا من النور، تلك اللغات المختلفة والأصوات المتباينة . وكلها يرجون نفس الشيء الذي يرجوه كل واحد كيف لا . ! فأنا أشارك ذلك الشيخ السرنديبى الواقف في أول الصفوف وذلك الفقير المغربي المتأخر في موقفه في كل شيء دنيوى وأخروى يرجوه ، وهو متطلع الى سماء الرحمة بجوارحه وأحاسيسه . أجل ! أشارك هذا الجمع المحتشد في كل دعواته ، لأنى شقيق كل فرد من افراده ، ولأن روحى قد ائتلفت مع

(١) عدد المآذن في ذلك الوقت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خمسة .

أرواحهم فى عالم الأزل.. فلا تحسب أن هذه الأرواح تفترق أو أن هذا الاتحاد ينقسم . منبرنا واحد وعرشنا واحد وربنا واحد ، والنور الذى أتطلع إليه إنما هو الغاية التى يجرى وراءها كل واحد.. اللهم ابعث ذلك النور الذى ننتظره منذ قرون ، حتى نصل إلى الصباح المنشود ، وحتى يتخلص الإسلام من الارتطام وسط الظلام ، أنير آفاق الإسلام وانقذنا من الآلام ، وما إن تمت هذه الدعوات حتى صاح صائح : يا رسول الله (١) . وطار طيف أسود وسط الصفوف حتى وصل أمام " باب السلام " . . . ومضت لحظة فى سكون وتلتها شهقة قصيرة ، فإذا بالسودانى تمدد على الأرض وإذا على رأسه رجل سيلانى يبكى ويغمض عينيه بكلتا يديه ، ولما تم التجهيز والتكفين ، شيعت جنازة الشهيد إلى البقيع ، وقرت روحه الأبدية فى الحرم الشريف (٢) وان فقدت القريدة روعتها وورصانتها بترجمتها نثرا تصور شعرا لإيمان من قلب عاكف الرجل المؤمن وتعرفنا بجميع الآراء التى يبثها فى الفكر ، والمعانى التى يلقيها فى القلب يتجسم فيها الإيمان ويتنفس فيها ويسرى منها بكامل قوته ، إنه الإيمان الإنسانى الذى أبدعته الرسالة الإسلامية فكان أعلى مثال لأسمى مشاعر القلب البشرى ، ولأفضل أمانى الروح المتسامى نحو الكمال الإلهى . حقا إن عاكفا هو شاعر الإسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى دون منازع حيث كان يخاطب الأمة الإسلامية برمتها (٣) . وقد كان عاكف ينظر إلى الأدب بمنظر إسلامى ، وقدم نماذج ناجحة ، وكانت مصادره واقع الأمة وعقيدتها وتراثها . وجعل من الأدب الإسلامى أدب أمة . ومن أهم العوامل التى دعت عاكف إلى الكتابة فى هذا الموضوع : الفجائع والنكبات التى حلّت بالمسلمين فى شتى بقاع الأرض . والحروب التى كانت تشن على دولة الخلافة الإسلامية . والخوف من الدول الاستعمارية التى تهدد بلاد المسلمين بالاحتلال والتقسيم . وضعف المسلمين وتمزقهم وتباين آرائهم . وفى آخر الأمر سقوط الخلافة الإسلامية .

أما مواعظ عاكف فمعظم موضوعاتها عن الأخوة والوحدة وفكرة الجامعة الإسلامية مع ذكر الأدلة من الآيات والاحاديث الواردة فى هذا الموضوع ، منها

(١) فى هذه الكلمات يصور عاكف كلام السودانى كما سمعها بدون تدخل منه ، وقصد تصوير الواقع كما هو .

(٢) ديوان الصفحات : ٣٥٨ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٢٥ - ٢٠٠ .

(٣) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٣٢ - ١٣٣ .

ماكتبه في تفسير قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . .) (١) الآية (٢) وفي تفسير قوله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (٣) الآية (٤) .
وقد اتفق الذين كتبوا عن عاكف انه " شاعر الوحدة الاسلامية وادت جهود عاكف الى ايقاظ الشعور (٥) ، وروح الأخوة والتعاطف في ارجاء تركيا .

٤) دفاعه عن الاسلام في المؤسسات والمنظمات الاسلامية :

تحدثنا في الباب الثاني عن اعمال عاكف ووظائفه في مجالات مختلفة في الدولة العثمانية منها عمله كأستاذ للخطبة والأدب واللغة التركية في عديد من الكليات ، وله جهود في الدعوة الإسلامية في تلك المؤسسات العلمية والتعليمية وله آثار وتلاميذ ، ونحدث هنا عن بعض المؤسسات الإسلامية التي أدى عاكف خدمات جليلة لدينه فيها ، وعن طريقها منها (٦) :

الجمعية العلمية البيطرية العثمانية: أسست أول مرة في ١٩٠٩/٧/٢٦ واصبح عنوانها بعد قليل من تأسيسها " جمعية خريجي الكلية البيطرية" . كان عاكف رئيسها . وعمل كعضو في شعبة النشر في " هيئة الدفاع الملى " أيام حرب البلقان . وكان عاكف عضوا بارزا في جمعية التدريس الإسلامي لتعليم الأيتام اعتبارا من عام ١٩١٣ ، وعمل في " التشكيلات المخصصة " للحفاظ على الخلافة الإسلامية . وعمل في " دار الحكمة الإسلامية " التابعة للمشيخة الإسلامية اعتبارا من ١٩١٨/٨/١٢ ، كانت تلك المنظمة هي هيئة المشورة والتبليغ والإرشاد الإسلامي ، وعمل عاكف أولا في وظيفة الكاتب الأول ثم اصبح عضوا بارزا فيها اعتبارا من ١٩٢٠/١/٢٣ مع المحافظة على مقام الكاتب الأول وقد كانت مؤسسة إسلامية تنشر الآثار الإسلامية ، ولها وظيفة علمية ووظيفة عملية . ومن اعمالها ما نشره عاكف بعنوان " الجواب على الكنيسة الانجليكانية " (٨) وكانت للهيئة صلاحيات ، ولجان تابعة لها تصدر القرارات ويصدق عليها السلطان

-
- (١) سورة ال عمران : ١٠٣ .
(٢) انظر تفصيل تفسير الآية : مواظ محمد عاكف : ١-٧ ، ١٥ ، تفاسير محمد عاكف : ٨٧ ، ٩١ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٣) سورة الحجرات : ١٣ (٤) انظر تفاسير محمد عاكف : ٩١-٩٨ .
(٥) انظر مقالات محمد عاكف : ٩-١٠ ، ١٧٣ .
(٦) انظر محمد عاكف لأشرف أديب : ٢/٦٧ ، ١١١ ، ٢٢٢-٢٢٣ .
(٧) انظر اسماء المؤسسات مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٣٠-٦٤ ،
(٨) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ٨٩ .

ويطلب العمل بموجبها (١) .

وعمل عاكف في هيئة القاموس العربي ، التابعة لوزارة المعارف ، وأبدي فيها مهارة فائقة فقد كان يستطيع أن يحدد بسهولة الكلمات التركية المقابلة للكلمات العربية . وكان عضواً في هيئة التدقيقات اللغوية في الجامعة باستانبول في نهاية الحرب العالمية الأولى ، مع بعض أصحابه من العلماء . وعمل عاكف عام ١٩٢٢ عضواً في هيئة التدقيقات والتأليف الإسلامية التابعة للمشيخة الإسلامية ومن أهم أعماله فيها : ما أنتجه من البحوث الإسلامية والتأليف العلمية والترجمات (٢) وعمل في جمعية الدفاع عن الحقوق ، خصوصاً بعد وصوله إلى مدينة قسطنطينية وإزدادت نشاطات الجمعية وحثت الناس على العمل والحركة وتضاعفت حركات الشباب (٣) .

أما عضويته في المجلس الوطني التركي : فلم تمنعه عن القيام بنشاطاته بل سعى لتحقيق الوحدة والنصر ، وأصبحت تلك الفترة سبباً في نشاطات جديدة كما نشر قصائده ومقالاته وترجمته ومواعظه . أعطى اهتمامه لأعمال المجلس التي كانت تستمر أحياناً حتى الصباح وكان له لقاءات بكبار رجال الدولة والمبعوثين وأشرف الشعب . والتقى بالذين غادروا استانبول وقدموا إلى أنقرة للالتحاق بالجهاد ونصحهم وارشدهم ورفع معنوياتهم ولقنهم الإيمان بالنصر . وفي نفس الوقت استمر في دروسه الخاصة مع بعض محبي العلم في حلقات الدرس (٤) . وكان بعيداً عن التكبر ، يقول الأستاذ ماهر آراز : وفي جلسة من جلسات المجلس الوطني كان الموضوع يقتضي دفاع العلماء والمشايخ والاساتذة عنه . ولكنهم سكتوا وتكلم بعض المثقفين للدفاع عنه . وفي المساء جلسنا في المنزل مع عاكف وقلت له : " لا مبرر لسكوت العلماء في مثل هذه المواضع " حينما سمع عاكف كلامي ماجابني بعد تفكير طويل : هو " لا " الذين دافعوا عن القضية مثل عوني بك وصلاح الدين بك هم الرجال ونحن الساكتين عن إبراز الحق شيطان آخرس" يضيف ماهر آراز قائلاً : أنا خجلت أمامه لأنني كنت لم أقصد شخص عاكف بكلامي لأنه كان لا يستحي عن قول الحق حين يأتي أوانه ولم تكن رأيناه خطيباً في الجلسات المفتوحة ، ولكنه أعطى جل اهتمامه للجلسات المغلقة - تكلم فيها ودافع عن الإسلام والمسلمين وكتبه دليل صريح على أعماله (٥) .

(١) انظر من الشريعة إلى العلمانية : ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) انظر محمد عاكف لجميل سنا : ١٦ .

(٣) انظر محمد عاكف لاشرف اديب : ١٩١ / ٢ .

(٤) المرجع السابق : ٧ / ١ . (٥) اثر السنين : ١٢٦ .

٥) تأليفه النشيد الوطني واشادته فيه بالاسلام :

كان عاكف يعد من اكبر شعراء الإسلام في عصره في تركيا وتميز بسين الشعراء برسالة فكرية سامية . لم ينظم الشعر للتكسب، ولم يمدح كبيرا من الزعماء والقادة لأغراض دنيوية ، ولم يتملق مسئولا..، إنما وجه شعره لأمتة الإسلامية فجاء شعره مرآة صافية عكست آراءه وافكاره . ومن تلك القصائد التي دافع فيها عن الإيمان الصحيح وكلمة الشهادة والأذان والعبادات والجهاد والحفاظ على المقدسات " النشيد الوطني" (١) ويدرك القارىء حين يطلع على كلماته أنه كتب النشيد بروح إسلامي . ترك اليأس وايقن بالانتصار وحث المجاهدين على الاستشهاد والوقوف ضد الصليبيين . وعبر عن آماله في المستقبل المشرق للإسلام والمسلمين ، كتبه بإيمانه العميق واخلاصه وصميم قلبه . فيه توجيهات للمسلمين عموما وللمجاهدين في الجبهات خصوصا .

وهذه اقوال بعض الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع في كتاباتهم وبحوثهم . يقول جمال مختار: نظم الشاعر محمد عاكف هذا النشيد الحماسي في عام ١٩٢١ إذ كان الشعب التركي يكافح ويناضل لأجل حرية واستقلاله ضد قوى البغى والعدوان التي احتلت اكثر بقاع البلاد واكثرت فيها الفساد . وكانت حكومة الجمهورية قد فتحت بابا للمسابقة لأحسن نشيد ينظم وخصصت لذلك جائزة قدرها خمسمائة ليرة تركية . فاشترك في المسابقة شعراء كثيرون ، غير أن أية واحدة منها لم تحظ بقبول المجلس الوطني ، ثم طلب من الشاعر الكبير محمد عاكف أن يشترك في هذه المسابقة ، إلا أنه لم يقبل أن ينظم في بادئ الأمر لئلا يظن أنه فعل ذلك طمعا في هذا المبلغ الضخم - وقتذاك - ثم نظم فاجاد . وفي ١٩٢١/٣/١ تلى النشيد في المجلس الوطني من قبل وزير المعارف فقوبل باستحسان عظيم وحماس منقطع النظير ، ثم نوقش في المجلس المذكور نصه . فتم قبوله نشيدا وطنيا للجمهورية التركية في ١٩٢١/٣/١٣ واعيدت قراءته عدة مرات واعضاء المجلس واقفون بخشوع ولايزال هذا النشيد ينشد أو يعزف ملحنا في الأعياد والمناسبات الرسمية . أهدى الشاعر الجائزة النقدية التي فاز بها إلى الجيش التركي (٢) في حين أنه كان معدما وبحاجة إلى معطف يقيه برد الشتاء

(١) انظر عاكف نامه : ٦٢-٧٣ ، محمد عاكف لاشرف اديب : ١/٧٩-٨٤ ، اثر السنين : ١٢٨-١٢٩ ، شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٥ ، مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ٦٠ .

(٢) هناك عدة روايات في الجهة التي أهدى عاكف الجائزة النقدية من المؤسسات الخيرية ويهمننا هنا انه اهدى إلى سبيل من سبل الخير ، رغم حاجته الماسة إليها

القازس فى انقرة . سئل المرحوم محمد عاكف قبيل وفاته : إذا طلب نظم هـذا النشيد من جديد أكان من الممكن أن ينظم أحسن من هذا؟ فرفع المرحوم رأسه وقال بهدوء: " أرجوه تعالى ألا يقدر لهذه الأمة كتابة نشيد وطنى جديد " ، والنشيد الوطنى التركى هذا - كما يبدو - ليس تعبيراً صادقاً عن شعور الشعب التركى فحسب ، بل هو تعبير صادق عن شعور كافة الشعوب الإسلامية المناضلة لأجل استقلالها وكرامتها . شعور منبعث عن إيمان هذه الشعوب بنصر الحق ضد قوى الشر والفساد (١) .

ويقول عبد السلام فهمى : قدم عاكف لأمة فى تلك الفترة التى قضاهـا فى انقرة داعياً ومناضلاً اعز شىء لها وهو " نشيد الاستقلال " الذى يعد نفحة خالدة عبر فيها الشاعر عن روح الشعب وصوته وترينا ما كان عليه شاعرنا من وطنية صادقة ، وشعور فياض وحب جارف لأمة ، نظم نشيد الاستقلال وهو مقيم فى انقرة بتكية تاج الدين ، وتلى على المجلس الوطنى بها وسط صيحات المعجبين حتى لقبوه آنئذ بشاعر نشيد الاستقلال ، النشيد الوطنى التركى ، ثم فى هـذه القصيدة الحماسية آخر الأمر آراء محمد عاكف فى الحرية والحياة الكريمة . وقد فاز النشيد فى مسابقة نظمتها الحكومة ، واشترك فيها أربعة وعشرون وسبعمئة شاعر ، وكان مقرراً لنظم نشيد الاستقلال مكافأة سخية ، وكان للمال فى تلك الفترة أهمية كبرى ، ولكن بالنسبة لمحمد عاكف لم يكن شيئاً يذكر ، فغير المجلس الوطنى المكافأة وسماها " هدية رمزية " نظراً لأن أعضاء المجلس كانوا يعرفون خلق محمد عاكف واخلاقه ، رغم أن الشاعر كان فى حالة مالية سيئة ، بل وفى عسر مالى ، ومع ذلك لم يقبل الهدية الممنوحة ، ولم يدرج هذه القصيدة فى ديوانه الصفحات وكان يقول دائماً : " إن هذا النشيد ليس لى لكنه ملك لهذه الأمة " . نظم عاكف نشيد الاستقلال فى فترة من أحلك فترات الأمة التركية . حيث كان اليأس والاضطراب يخيمان على الجو العام التركى ، فاعاد شاعرنا للأمة التركية عزيمتها وأحيا أملها وجدد نشاطها . حتى هو نفسه رغم أنه لم يفقد الأمل لحظة واحدة ، فقد ازداد إيمانه بأمة وبالثورة التى يسهم فيها . كان عاكف رجلاً عظيماً حقاً قضى عمره فى جانب وطنه وأمة فى محنتها وآلامها واكتوى بنار جهادها حتى توج النصر هامة " (٢) ، ويقول ابراهيم صبرى : اشتهر محمد عاكف بشعاره السياسية الدينية التى نشرها فى مجلة الصراط المستقيم حتى لقب بشاعر الإسلام فى

(١) مقدمة ديوان الصفحات لدوزداغ : ١٢٤-١٢٥ .

(٢) انظر شاعر الإسلام محمد عاكف : ٥٠-٥١ .

الأوساط الدينية ، وتشكلت في انقرة حكومة الثورة ، فالتحق الشاعر بحكومة الثورة وألف لها شعره المعروف باسم نشيد الاستقلال" (١) ، والواقع ان عاكف التحق بالجهاد لخلاص الخليفة وألف نشيده بروح الجهاد. وقد بدأ مصطفى كمال خطواته الثورية بعد انتهاء عمل عاكف في المجلس الوطني الأول ولم يوافق عاكف على آراء الثوريين ولم يؤيدهم. وهناك شعراء شاركوا في المسابقة ونشر بعضهم اشعاره ويظهر في معظم قصائد هم الروح القومي الطوراني فهذه بعض كلمات مختارة من تلك الاشعار :

" هذه الملة من ابناء الترك، وهذه البلاد للأتراك، يعرفنا الجميع بالأتراك. ولنا هذه الديار كلها"، " لن يتغلب أحد على الأتراك، نحن الأتراك اعظم الملل، نحن عبيد لبلادنا فقط على وجه الأرض"، " يا جيشنا التركي امسك الراية وليس للتركي خوف من الموت"، " كنت سعيدا خلال ستة آلاف سنة في العالم، وكان اسمك في جميع انحاء التركي الشجاع . . . الخ (٢) ، وحين نقارن بين هذه الكلمات المقترحة لتكون نشيدا وطنيا للأتراك وبين قصيدة عاكف نراه يدافع عن الأمة الإسلامية والجهاد والتضحية في سبيل الدين والحفاظ على الأعراض، والأذان الذي ترتفع شهادتاه كل يوم على وجه الأرض خمس مرات في دولة نظامها العلمانية والدين خاضع مراقبة الدولة. وقد تحدثنا عن نشيد الاستقلال بكامله في الباب الثاني حين كتبنا عن " موقفه من الغزو العسكري" ونشير هنا إلى بعض كلماته فقط منها قوله : " اوقف العدوان الأثيم سيبرز فجر يوم مشرق بشربه الرحمن الرحيم " إلهي إليك تضرعت ورحي تبتغي الأمل الفريد : ألاتدنس صدر معبدي يد اجنبي مرید وأن يتعالى على أرض وطني الرشيد هدير الأذان ، شهادته اساس الإيمان المجيد ؛ واختتم نشيده بالكلية التالية : والاستقلال من حق أمي العابدة إله الحق الكريم" ولاشك أن دفاع عاكف عن الإسلام والمشاعر الإسلامية والأمة الإسلامية - في وسط القوميين الطورانيين المستغربين - دفاع صادق ، يدل على أنه رجل داعية دافع عن الحق .

(٦) اساليبه في الدعوة إلى الإسلام :

تكونت شخصية عاكف أولا بالتلمذ على العلماء والمفكرين الإسلاميين والتأثر بهم ثم نضجت شخصيته وتكون له اسلوب خاص في الدعوة إلى الإسلام ومنهج فيها. وعاش أيام الكوارث هذه الأمة وصرخ بآلامها وعبر عن واقع المسلمين وامراضهم

وأشار إلى طريق الخلاص كمفكر إسلامي عاش محن الأمة ووقف ضد أعدائها بهويته الإسلامية .

وقد عاش عاكف أيام السلطان عبدالحميد وأيام الاتحاد والترقي وأخيرا أيام الجمهورية التركية . ولكل من هذه الفترات خصوصيات بارزة وظروف مختلفة بعضها عن بعض . ولكل فترة جيل له مميزاته التي يختلف بها عن غيره والشئى الظاهر فى آثار عاكف أنه اتخذ لنفسه أساليب مختلفة فى أداء واجبه فى تقديم الخدمات للإسلام والمسلمين . منها : أسلوب " الحوار " بين شخصين أو أكثر من الشخصيات وظهر هذا الأسلوب فى احسن صورة فى الجزء المسمى " عاصم " من ديوانه . وجعل عاكف حوارا بين الاجيال من الشيوخ والشباب وحاول اظهار الحق وابطال الباطل . وحاول احيانا ابراز شخصيات تاريخية ممتازة فى الادارة والحكم وطلب من رجال الحكم أن يكونوا مثلها . كما صور عدل عمر رضى الله عنه واهتمامه برعيته والفقراء والايتام .

ومنها : أسلوب القصص : يحكى عاكف بعض الحكايات والقصص للعبارة والعظة . ومن بين تلك الحكايات ما نقله عن التاريخ ، ومنه ما ترجمه عن مولانا جلال الدين الرومى وسعدى الشيرازى . وقصد احيانا نقد رجال السلطة وسياستهم واختار الأسلوب القصصى فى انتقاده . ونادى بالتمسك بالأخلاق الإسلامية ، وغضب على المداحين والمداهنين ، وحاول بيان اوضاع المسلمين فى أيامه لذا كان اهتمامه بالحكايات الاجتماعية ، وتشخيصه امراض المسلمين وبيان طرق علاجها اكثر . وكتب عن المقاهى والحانات وصور الكسل وسوء الأخلاق ، ثم أشار إلى ضرورة العمل وترك البطالة . وصور الفقر بصفة خاصة فى الجزء الأول من ديوانه . وقد استدل فى آثاره عموما وفى نصائحه خصوصا بالآيات والاحاديث ، وجعل حياة الصحابة نماذج أمام المسلمين وذكر عدة امثلة من الامويين ومن صلاح الدين الايوبى ، وحذر المسلمين من عاقبة مثل عاقبة دولة المسلمين فى الاندلس ، وحشهم على العمل . وهو الشاعر الوحيد فى تركيا الذى اتخذ لنفسه أسلوب الدرس على منابر المساجد شعرا ونثرا . تحدث احيانا على لسان سائح مسلم يعظ فى المسجد ويعبر عن مشاهداته وتكلم فى عقائد المسلمين واعمالهم كلاما يتجلى فيه سمو الفكر وصفاء القلب والبصر بأسرار الدين والحزن لما اصاب المسلمين . يقول عبدالوهاب عزام : كان انصاره وخصومه مجتمعين على أنه أوتى فى النظم قدرة تأبى على المحاكاة . وكان دعاة الأوزان التركية واعداً العروض العربى يقولون لا يهزم هذا العروض حتى يقتل عاكف . فهو حجة دامغة تفحم كل معارض ، وما ظنك برجل يصف مصارعة فينطق الشعر بحركات المصارعين واقوالهم فى بيان سلس ونظام لا شبة فيه من التكلف (١) .

الفصل الرابع

دفاعه عن الحضارة الإسلامية

تحدثنا في الباب الثاني عن " موقف محمد عاكف من الحضارة الغربية " وتحدث في هذا الفصل عن دفاعه عن الحضارة الإسلامية كما عبر عنه في آثاره. وقد ورث العثمانيون تراثا إسلاميا ضخما من السلجوقيين . وكان السلجوقيون قد ورثوه من أسلافهم من الأمويين والعباسيين . ووصلت الحضارة الإسلامية أيام ازدهار العثمانيين إلى أوج عظمتها. وورثت استانبول كما صور عاكف في آثاره التراث الذي خلفه السلاطين العثمانيون و منهم محمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ، وفي أيام السلطان عبدالحميد طبع كثير من الكتب الإسلامية . وكان السباق الفكري قائما بين الإسلاميين والمستغربين. وقد ازداد هذا السباق أيام سلطة حزب الاتحاد والترقي واستمرت سيطرة المستغربين أيام مصطفى كمال وكان للاضطراب السياسي والضغط الإداري دوره في هجرة العلماء من تركيا إلى خارجها ومن بينهم محمد عاكف، وقد تسبب ذلك في فقد الإنتاج الثقافي والعلمي والحضاري في داخل تركيا، خصوصا في مجال التعليم ومختلف العلوم والفنون .

تعريف الحضارة في المصطلح الإسلامي : " عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني . فيدخل في ذلك الجوانب المادية والتنظيمية وتدخل فيه القيم التي يحملها هذا الدين ، والحضارة هي الجانب المعنوي الذي يحمل القيم والجانب المادي والتنظيمي على حد سواء ، وهناك حضارة إسلامية ذات قيم ثابتة وأشكال مادية تنظيمية نامية ومتغيرة على الدوام (١) . ويرى عاكف أن الحضارة الغربية " حضارة (وحشية) عاوية " (٢) تسعى لاشباع الجوانب الحسية والمادية وتهمل الجوانب المعنوية . يقول عاكف في الغرب : " إن هذه الديار لا تحسب سوى الدولار ، ولا يتعاطف الناس مع العاجز والفقير " (٣) . أما الحضارة الإسلامية فتسعى لاشباع الفطرة مكتملة وتقدم الغذاء لجوانب الإنسان المادية والمعنوية معا ، دون اخلال بالتوازن بينهما. وبين عاكف ان الحضارة الغربية تواجه الدولة العثمانية والحضارة الإسلامية . والمسلمون في تخلف وضياع وينبغي عليهم

(١) انظر واقعنا المعاصر: ١٠١-١٠٢

(٢) ديوان الصفحات : ٤٤١-٤٤٢ .

(٣) ديوان الصفحات ج ٤٣٥ ، ترجمة الظلال : ١١٤ .

أن يواجهوها ، يمثل ماواجه اجدادهم الحضارة البيزنطية فى التاريخ .
وقد ذكر عاكف امثلة لحركة الحضارة الإسلامية أبرز فيها الجانب المادى
مثل المساجد والمدارس الإسلامية السابقة ولكنه جمع إليه الجانب المعنوى وبدأ
ديوانه الصفحات بعد التمهيد والاهداً بتصوير أحد مساجد استانبول فى
قصيدته المسماة " مسجد الفاتح " وقال فيها : " عندما كانت الأفكار السافلة ترقد
بالإلحاد فى الارض ، شق العصور هذا المعبد العظيم المقرب بالتوحيد ، وارتفع
وتنصرم العصور الساحقة كسحب مظلمة من الضلال دون أن تستقر لحظة حوله .
كما أن المستقبل يقبل عليه بضم الحقيقه مثل السحر ، وينشر فوقه آلاف الانوار
السرمدية وفتحت كل مئذنة من مآذنه ذراعها نحو السماء كالعاشق الجريئ ليحتضن
ذلك العالم القدسى . ، وتلك النوافذ هى عيون ارتفعت عنها حجب الأسرار ،
تصوب انظارها فى وجد إلى جمال اختفى عن غيرها من العيون . كأن روح السحر
المنتشى تجسد أو هبط انوار الحق إلى الأرض متجليا تجليه فى الطور . وفوق
هذا المعبد القدسى تتصاعد الأرواح المنيرة زمرا زمرا . كما أن تحت هذه
القبة العالية تفيض امواج النور . وعندما ينعفس الكون فى سباته العميق ، يقف
هذا المعبد ساهرا كأنه قلب الليل النورانى ، بهى هو قلب ، لكنه قلب عاشق
ملتهب يتدفق من داخله دائما وابدأ آلاف الأنين من الازكار وتتلاأفى ناصيته
عظمة صدر الإسلام ، كأن كومة الاحجار هذه ظهرت إلى الوجود من فيض انفاسه
أو كأنها قامت ثم ارتفعت ثم تحولت إلى معبد من النور . وكيف لا تكون هذه الجدران
الياقفة فى سكونها الرهيب تمثالا من النور . انصرفت قرون وهذه الجدران تقف
فى مواجهة الباطل دون أن تسأم ولو مرة واحدة . ان هذا ليس معبدا ، بل هو
عبادة متجسدة ارتفعت إلى المعبود وليس هذا منظرا بل هو موكب الأنظار
الواصل إلى الحق . انه لم ينزل من السماء لكنه سماوى . إذ هو يحتوى على إشراق
فياض للحق الذى لا يحده مكان .

أنا عشق الصباح انه انس روحى ، وانفلاق الصفا (انفجار ضوء الفجر)
هو احسن اوقاتي . لم تكن يد السماء قد رفعت رداً الليل ، ولا ربح الصبا أفاق
من نومه الهادى ، وإذا بصوت الموءذن " الصلاة والسلام عليك يا رسول الله " قد
انعكس إلى فضاء روحى ، وفاضت فى نفسى لجج من العشق ، دون انتظار الأذان
خرجت بكامل الوجد مارا بالشوارع التى احتضنت الظلام ، فبدأ أمامى ميدان
ادركت انى وصلت الفاتح ثم تقدمت قليلا فإذا بى أرى المعبد ينتظرنى ساهرا .
وبدأت اذكر عهد صباى عندما رأيت فى فضاء المعبد المصابيح المشتعلة وقناديل

الضوء المتألقة المنسقة كالنجوم في فضاء السماء ، آه لو علمت الذكريات التي لحقتني في تلك اللحظة " . وذكر عاكف ذهابه إلى مسجد الفاتح في صغره ثم قال : " . . . وبدت الذكريات اللطيفة تنسحب إلى أصلها ويتجلى وجه الحقيقة أمامي ، إذ لم يبق بطبيعة الحال وقت للاشتغال بالخيال ، كل ما على يميني ويسارتي وقد أمي وخلفي كان محاطا بظلال الناس الخاشعين المتضرعين . وإذا بصوت مدو هز ذلك المنظر الهادي من مكانه وحول الأبعاد إلى فضاء المحشر وكانصت الصفوف الواقعة مثل الجبال المتسلسلة المدوية التي يسمع من كل واحد اثنين من التضرع وأثنين من الرجاء الحزين المحرق للنفوس . وذلك الأثنين بدون شك مس قلب الرحمة ، ثم ركعت تلك الجبال في حضور عزة الرب ، ثم شوهدت وهي في أرض الخشية وعندما رفع الله بعنايته كل واحد منها . فتحت كلها أيديها إلى السماء . وفي تلك اللحظة انطلقت صرخة مذهشة على نحو سيذكر روحى تلك الرهبة إلى الأبد انقطع اثنين ذلك الصوت الحزين بهرقة ، ولم ادر ما الذى جرى لتلك الآهات المحترقة المتصاعدة إلى عالم العرش ، والإيمان الفياض الجائش في قلوب المؤمنين أجل ، ان رحمة السبوح قد فاضت وهبطت من القبة إلى جميع القلوب روح ، هو روح الطمأنينة " (١) .

وذكر عاكف نماذج من الذين اهلوا جانبا على حساب جانب آخر فمنهم الذين يتركون المشاعر التعبدية مثل الجهال من القرويين ، والذين يضيعون أوقاتهم في اللهو واللعب من المستغربين ومنهم من يهمل الاشتغال بالعلوم والفنون ومنهم من يعيش في عزلة بعيدا عن واقع حياة المسلمين . اهلوا جانبا أو الجانبين معا (٢) . أما الدولة فقد اتجهت بعد حرب الاستقلال إلى الحضارة الغربية تماما ، ونقلت منها الجانب المادى والتنظيمى . أما الجانب المعنوى فهو عندهم عبارة عن الصليبية . ولم يتنصر الأتراك واقعيا . ولكن بدأ كثير منهم يفكر فى الإدارة والاقتصاد والسياسة والحكم . . . الخ . كأنه شخص غربي وحسدت الخلل فى الحياة . وأما التركيز على الجانب الروحى واهمال الجانب المادى فقد صور عاكف كما هو موجود فى المجتمع ونبه إلى ضرورة العمل لاشباع الجوانب كلها ، وقيام الجانب المادى التنظيمى .

وصور عاكف المآذن والأذان فى قصيدته المسماة " الأذان " : " كأن الأذان من فوقها صور اسرافيل فى الصبح يستيقظ الناس أيام الشتاء بعد ليل طويل قضوه

(١) ديوان الصفحات : ٥-٨ ترجمة على يعقوب ، مجلة الأدب العدد : ٢ ،

السنة : ١ ، إبريل : ١٩٥٦ ص : ٤٢-٤٤ .

(٢) انظر ديوان الصفحات : ٣١ ، ٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ .

فى نوم عميق كالموت ، ويستيقظ العالم " وتستيقظ فى روح عاكف الانوار (١) وسمى
الجزء الثانى من ديوان صفحاته " على كرسى السليمانية " . وبدأ بتصوير جسر قلاطا
باستانبول . ثم انتقل إلى تصوير " المسجد الجديد " وهذه ترجمة بعض ابياته :
" أما تعجب بهذا المعبد المقدس؟ وجه انظارك إليه فهل ترى مثله على شاطئ
البحر فى أى مكان آخر من العالم ؟ هذا المسجد كاللؤلؤ الذى يخرج من البحر
يظهر فيه قمة الفنون ، كأن موجة من البحر ارتفعت إلى السماء فتجمدت كاللؤلؤ
إن كانت انظارك قد تعبت من مشاهدة ابعاد وارتفاعات هذا الجوهر ، فلا
تلوث انظارك بمشاهدة اشياء أخرى على الأرض ، ارفق بعينك ، ووجهها إلى
جهة الغرب منه لتشاهد معبدا آخر - مسجد السليمانية - كأنه جعل العلم سلما
ليصل إلى ربه (أى تحيطه من جوانبه المدارس الإسلامية) وهو رمز الإيمان
كأنه جبل عال ممتد فى الآفاق ، فيه جاذبية . . يطمئن بمشاهدته الذوق الرفيع
وعلىنا أن نسرع فى المشى لمشاهدة هذا المسجد العظيم تشاهد فى داخله
انوارا وليس فيه شىء من الظلام ، فإنه معبد ربانى لم يلوث ولن يلوث جعله
ربه عاليا ، لو طغت سيول القذارة على العالم كله . فلن تضره بشىء لأنه فى
السماء وجوانبه مرتفعة مصونة . ثم يذكر عاكف انواعا من الأذى الذى أتى به
الثوار وحركات الهدم ويقول : رغم كل ذلك فإن الكرسى المهيب لمسجد
السليمانية سوف يبقى وطنا للصدق فى الأرض ، وصور انتشار الإلحاد فى المستقبل
وقال : لن يسقط حجر من احجار هذا البيت من بيوت الله ، ولن يدنسه اعداء
الإنسانية بانحرافاتهم ، وستردد المآذن الاربعة اسم الله المحفوظ فى ذاكرته .
وكأن المآذن السنة مرتبطة بالقلب تردد اسم الله ، فإن وجهه المهيب هذا
لن يزال ولن يرمى فى المقبرة كالميت . أيها القارىء إن كان فى وقتك متسع
فتعال معى وستكون مسرورا من شرحى المفصل للمسجد ، فإن تتعب من التجول
حوله فهلم ندخل فيه . حين تنظر من البعد تراه كأنه هيكل من نور ، وسوف ترى
ظله المديد كأنه غمامة لا تقل إنك شاهدته من قبل . تعال نشاهده هذه المرة
معا . من أين ندخل ؟ من باب خزان المياه ثم صور عاكف داخل المسجد بكل
اقسامه واجزائه وشرحه شرحا وافيا من الناحية المعمارية والفنية . الخ . فى
ابيات كثيرة من قصيدته وأشار إلى عظمة هذا الاثر من كل الجوانب ثم قال :
شاهد عظمة الصانع ولا تشتغل بالمصنوع (٢) .

(١) انظر ديوان الصفحات : ٨٢ - ٨٤ .

(٢) المرجع السابق : ١٣١ - ١٣٦ .

وتحدث عاكف في الجزء الرابع المسمى " على كرسى الفاتح " من ديوانه عن حوار مع صاحبه وهما في طريقهما إلى مسجد الفاتح وموضوع حديثهما الآثار الإسلامية في استانبول ، قال عاكف : " انظر عظمة هذا المسجد الفيض أنظر إليه كثيرا ولكن لا تشيع انظاري منه لا شك أن محبتي تجاهه قد وصلت إلى درجة الهيام " ، يقول صاحبه : " صحيح لا تشيع العيون من مشاهدته لفـسـرطـ جماله ولكن احاطت حوله الا جانب ، وقد قصدوا هدم مقصورة في المسجد ، ولا يهدمه إلا المجانين ، كيف يهدم الإنسان المقصورة أو المداخل في المسجد " ، ثم تحدث عاكف عن البوابات ، وعن الفن والهندسة فيها ، وعن الساعات التي تبين التوقيت المحلي باستانبول بالحساب الزوالى والغروبى (١) وبعد ذلك شاهد على طريقه مسجد السليمانية وقال : إن هذه الآثار العظيمة الباقية من التاريخ نحن عاجزون عن صيانتها فضلا عن بناء مثلها (٢) . وبعد ذلك تحدث عاكف عن مجارى المياه المتروكة والمهدومة ، وعن المدارس التي حُرقت في الحرائق وبقيت انقاضها وهذه بعض كلماته : نعم هذه المدرسة كالقصر العظيم رمز الوحدة وتعبير عن احترام العلم للدين دائما وتظهر سلسلة القبة لهذه المدارس كقافلة الساجدين أمام رب العالمين . ولكن اليوم تغير وضعها . لأننا اصبحنا خلفا سيئا بعد اسلافنا ، وليس لهم ذنب في ذلك ، هل الاسلاف فتحوا هذه المقاهى على بعد خطوات بعضها من بعض لتكون أماكن للبطالة ؟ لا . بل الصحيح أن آباءك كما تشاهد فتحوا المستشفيات وفي جوارها المدارس الطبية وعمارات أخرى كثيرة .. فهذه الكتلة العظيمة هي " دار الطب " (أى كلية الطب) وقد كان للطب مكانة عظيمة عند اجدادنا . أما اولادهم غير الوفيين لذكرى الجيل الكريم ، فتركوا هذه المؤسسات واهملوها . حينما يدخل الإنسان داخل المدرسة السابقة يرى آثارا كثيرة . ويرى الإنسان في كل خطوة انقراض مساعى العصور السابقة تراها تحت اقدامك ، لو نظرت بدقة لرأيت بين المجموعات المتروكة آثار الباحثين والشارحين السابقين هذا شيء محزن ، هذا الرخام الكبير المتروك في الطين كان خوانا . شرح عليه استاذ التشريح درسه واصبحت الآن هذه الآثار نفسها كالميتة (٣) . وهكذا عبر عاكف عن الحركة الحضارية العلمية في مجال الطب عند المسلمين واهتمامهم به وتفردهم في تخصصاته والملاحظ في آثاره أنه يعقد المقارنة بين الاجيال ويشير إلى الجهد المبذول في الاجيال السابقة ، والتوازن

(١) ديوان الصفحات : ١٩٤-١٩٦ . (٢) المرجع السابق : ١٩٨ .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ١٩٩ ، مقالات محمد عاكف : ١٠١-١٠٤ .

بين الجسد والروح ، والدنيا والآخرة والقيم والأخلاق وإلى الكسل والبطالة والضياع وزوال القيم والمبادئ في عصره في كل مجالات الحياة ومنها الحضارة وحينما يتكلم عن المساجد يصورها تصويراً بديعاً وينتقل منها إلى المدارس ويبين أهميتها في الحضارة الإسلامية وتحدث عن أوجه الخلاف بين المدارس السابقة والجديدة في أيامه ويبيّن أن التفرقة سبب ضياع الأمة وقال : حاولنا إزالة الإيمان فترة طويلة ، ثم فصلنا بين الدين والدنيا فاهملنا الشريعة وأصبحت الدنيا هي الغاية ، والبنية على وشك الضياع فهذه مدرسة "أكمكحى أغلو" من المدارس السابقة . ربما ستعيش بصدورها الحديدي عشرة آلاف سنة . لو كان هناك فرد واحد عاقل في هذه الملة العظيمة لما جعل البدن في جهة والروح في جهة أخرى ، ولأدرك أن هذا العمل ليس من أعمال العقلاء ، لقد أصبحت العداوة بين بعض أفراد الأمة تجاه بعض أكثر من عداوة الأعداء" . ويذكر عاكف مثالا آخر عن الحضارة الإسلامية فيقول : حينما دخل العثمانيون مدينة استانبول شاهدوا قلة المياه رغم أهميتها والحاجة الماسة إليها وفكروا في طرق الحصول عليها ثم ابدعوا طريقاً فنياً جديداً . وفي الحقيقة لا فرق بين طريقتهما والطرق الجارية الآن . لأن الضغط ضروري لإسالة المياه وتوزيعها ولم يكن هناك في أيامهم آلات ، لذا استفادوا من وجود المياه في أماكن مرتفعة للحصول على الضغط ، وبنوا لها مباني ، ولم يكتفى بها بل عملوا المقاسم للتوزيع ، وكانت لهم خبرة دقيقة جداً ، فعملوا حسابات دقيقة في التوزيع لتأخذ كل المناطق نصيبها من المياه في وقت واحد . لو لم تخرب هذه العيون والمجاري لكنت تراها بعينيك (١) ، وهكذا عبر عاكف عما بلغته الحضارة الإسلامية في جانبها المادي من روعة في تصويره عديداً من المساجد والمدارس والأوقاف (٢) . وفي رأيه أن الحضارة الإسلامية تفردت بين الحضارات . ويقول في إحدى رسائله : كنت أتمنى السفر إلى مدينة أدرنة فيها مسجد السليمية والجسور والحمامات وعديد من الجوامع والمساجد والعيون وقنوات المياه ، والمباني المعدة لأبناء السبيل ، ويصل عدد آثار المعمار سنان فيها إلى ثلاثمائة اثر عظيم ، فإن نورانية مسجد السليمية تجعل قلب الإنسان يستغرق في العبادة (٣) .

وكان عاكف يرى أن تتلمذ المسلمين على الغرب في ميدان العلوم التطبيقية . ينبغي أن يكون مع كون المسلمين في موقف العزة والاستعلاء ، وحين

(١) انظر ديوان الصفحات ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) محمد عاكف لفوزية عبد الله : ١١٥ .

(٣) محمد عاكف لمدحت جمال : ١٤٧ .

ذهب إلى برلين رأى أن الناس ينظرون إليه ويستغربونه لأنه يلبس ملابس عثمانية وعلى ذلك يسأل عاكف. ماذا كان يلبس ابنا بلادنا المبعوثة إلى هذه البلاد أيام اقامتهم فيها" (١) ، ويرى ان بعضهم فقدوا الاستعلاء بالإيمان والاعتزاز به في نفوسهم وشعروا وهم ينقلون عن الغرب أن العثمانيين اقل من الغرب علوماً وشعروا بالذلة للغربيين لانهم في حاجة إليهم وشعروا أن الغربيين هم الاعلون. اما المسلمون المخلصون وعامة الشعب فيشعرون دائماً انهم اعلون وإن كانوا في حاجة إلى الكفار في بعض المجالات ، لأنهم مسلمون والغربيون هم "الافرنج الكفرة عباد الصليب" (٢) ، لذا لم يفتن المسلمين المخلصون من امثال محمد عاكف ولم ينبهروا بالحضارة الغربية . اخذ عاكف لغتهم واقام بينهم في عزة ولم يأخذ ما رآه مخالفاً لدينه وعقيدته ، لأن موقف الاستعلاء في رأيه يتيح للمسلم أن يتخير وينتقى ، وذكر مثالا عن اليابانيين وبين أنهم اختاروا ما ينفعهم من الغرب (٣) ، ورأى أن المسلمين ضعفوا وأخذوا تحلل الغرب وتقاليد الفاسدة والانهار لا يتيح للمستغربين الفرصة للاختيار ، فيأخذون الغث والسمين . ويأخذون الغث اكثر . وحث عاكف الطلبة في الجانب المادى على اخذ ما وجدوا انفسهم في حاجة إليه من العلوم والفنون دون أن يأخذوا ضلالات الغرب وفساده ، وانحرفه في الافكار والسلوك . وحثهم على أن يكونوا أصلاً لا مقلدين لثلاث ذوب شخصيتهم في حركة نقل العلوم والتقنية . كما حثهم على أن يكونوا اصحاب عقيدة وحذرهم من الحياة الاجتماعية الغربية وفي كثير من آثاره يدافع عن الحضارة الشرقية ضد الحضارة الغربية . ويرى امتداد خط الحضارة الحقيقية في تاريخ الانبياء والرسول . وابرز في قصيدة طويلة له بعنوان " مع فرعون وجها لوجه" (٤) زيف الحضارة الفرعونية وجاهليتها .

وذكر عاكف أسماء من علماء الاجيال الأولى ومن نشاطاتهم في اتجاهات مختلفة وبين أن بخارى كانت مركزاً من مراكز العلم . وكانت عامرة بالاساتذة والطلاب في كل فرع من فروع العلوم مثل الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات الخ . ثم ضاعت تلك البلاد بسبب انتشار الجهل والفساد . وذكر عاكف من النماذج في مختلف التخصصات : ابن سينا في الطب (٥) والغزالي في التربية (٦) ، ومن بين اقتراحاته لنشر الحضارة الإسلامية : ارسال العلماء

- (١) ديوان الصفحات : ٢٧٠ . (٢) المرجع السابق : ٣٢٨-٣٢٩ .
 (٣) المرجع السابق : ١٤٤-١٤٥ . (٤) المرجع السابق : ٤٠-٤٦ .
 (٥) انظر مقالات محمد عاكف : ١٠٣ (٦) ديوان الصفحات : ٣٤٩ .

والدعاة إلى العالم ليحملوا معهم سمات الإسلام ونظافته وأخلاقه و حضارته
 لينتشر عن طريقهم الإسلام في العالم ويهتمنى حدوث ذلك أولاً في بلاد اليابان
 ويعبر عن كسل الدعاة وتأذليلهم بقوله : " هل علماءنا ينتظرون نزول الوحي
 فى أمرهم " وذكر امثلة من نشاطات السائح المسلم عبدالرشيد ابراهيم وأمثلة
 من اعمال المنصرين فى العالم . وحذر عاكف من فساد الأخلاق والعقيدة وغلبة
 الشر ونسيان الآخرة والقيم العليا. وأشار إلى وجوب نشر العقيدة الصحيحة وإخراج
 الناس من الظلمات إلى النور والحكم بالعدل والجهاد فى سبيل الله وإلى جانب
 ذلك تحدث عن المؤسسات الإسلامية ومنها الاوقاف الخيرية التى يوقفها
 السلاطين أو أصحاب الاوقاف على اعمال البر. يقول محمد عبداللطيف هريدى
 استلهم عاكف فكره من واقع الحياة الاجتماعية واعتمد فى التصوير على المشاهدات
 من الحياة اليومية ومن ثم لانبالغ إذا قلنا ان الواقعية الصادقة فى الشعر التركى
 الحديث قد بدأت بمحمد عاكف وكانت هذه الافكار تدور حول محورين أساسيين
 اولاً : يمتلك المجتمع الإسلامى كل مقومات الحضارة فالعالم الإسلامى هو مهد
 الحضارات ، ولكن هناك عوامل وامراض اجتماعية ، يرجع معظمها إلى البعد عن
 تعاليم الإسلام والفهم الخاطى للمبادئ الإسلامية ، ومن ثم يجب العودة بالعقيدة
 الإسلامية إلى صفاتها ونقاها والتمسك بالمبادئ الإسلامية الحقة التى وردت فى
 الكتاب والسنة . ثانياً : لن يتمكن العالم الإسلامى من مواكبة ركب الحضارة الحديث
 إلا بالثقة بالنفس وبأمجاد الإسلام والاتحاد أمام تكتل قوى الاستعمار الحديث
 ولذا تعتبر دعوة عاكف دعوة للاصلاح على نهج السلف الصالح : إذ دعا فيها إلى
 الالتزام بالمبادئ الإسلامية والحرص على تطبيقها كما كانت فى صدر الإسلام
 مع مراعاة متغيرات العصر، والإسلام - فى يقينه - هو دين كل العصور" (١) .

وكتب عاكف قصيدة بعنوان " الإنسان " تحدث فيها عن الفطرة والحياة
 وجوانب الانسان المادية والمعنوية . وبين ضرورة اشباع مايتعلق بالروح والجسد
 معاً . وبين اهمية الإنسان فى بناء الحضارة الإسلامية ، الإنسان صاحب
 الايمان الصحيح الخالص، وهذه بعض كلماته : أيها الإنسان لا علم لديك عن
 نفسك ، تزعم انك مخلوق حقير، ولكن لو تدرك انك اعلى من الملائكة والعوالم
 مخفية فيك . لم تتسع السموات والأرض لفيوض الله ، ولكن تتجلى انوار الله فى
 قلبك صحيح ان جسمك صغير ولكنه غاية فى الإعجاز . ولذا فإن مصيره هو الخلود (٢)
 فإنك كبيت القصيد للشعر فى أدب القدرة وسر من اسرار حاكم الفطرة والطبيعة
 اسيرتك والاشياء مسخرة لك والدنيا منقادة إلى حكمك" وتحدث عاكف عن الإنسان
 من الناحية الروحية والجسدية و عن كونه مخلوقاً عظيماً قال : قف لتفكروا حكم ما واجبك؟
 كيف ينبغي أن تكون اعمالك؟ هذا التفكير ضرورى لئلا تكون اضل من البهائم مع أن قدرك أعز من
 الملائكة .

الفصل الخامس

محاولاته في تصحيح المفاهيم الإسلامية

- (١) مفهوم الإيمان والعبادة
- (٢) مفهوم القضاء والقدر
- (٣) مفهوم الدنيا والآخرة

تمهيد :

حاول محمد عاكف تصحيح المفاهيم الإسلامية بردها إلى صورتها الأولى المستمدة من القرآن الكريم والحديث وسيرة السلف الصالح. وازالة ماعلق بها من انحراف خلال التاريخ . ونجد أنه أكثر في كتبه الحديث عن مفهوم الإيمان والعبادة والقدر والتوكل والعزم واليأس والدنيا والآخرة . . . الخ . فتكلم عن الانحرافات التدريجية المتوالية التي حدثت في فترة الدولة العثمانية وماتلاها من قيام الجمهورية التركية في أيامه وحاول عاكف إبراز انحرافات معينة كان لها اثرها السيء في حياة المسلمين آنذاك وركز على تحول الإسلام في قلوب المسلمين إلى مجموعة من التقاليد المظهرية الخاوية من الروح.

(١) مفهوم الإيمان والعبادة :

تحدث عاكف في مواعظه ومقالاته وقصائده عن ضرورة الإيمان وعن الاهتمام بنواقض الإيمان والتوحيد كما نهتم بنواقض الشعائر التعبدية مثل الوضوء والصلاة والصيام . . . بل ينبغي الاهتمام بقضايا الإيمان أكثر.

يقول عاكف : " يحمل كثير من الناس في قلوبهم أملاً لا معاً كالنجوم ، وهو جوهر الإيمان . اللهم ما اعظمه ، والقلب الذي لم يحمله فهو صدى مع ثقل في البدن . ويصدق المؤمن أن هناك عالماً آخر وراء هذا العالم ، ويصبر على جميع ما أصابه من المصائب في حياته . لأنه يأمل ثواب الله تعالى غداً في الآخرة ، لذا يبذل جهده في تحمل ما أصابه من آلام الدنيا " ثم يصور عاكف الحالة الروحية عند الملحدين ويقول : اللهم انصر المؤمنين برحمتك ، ولكن ارحم الملحدين أكثر بهديك" (١) وبين أن الملحدين بعيدون عن الطمأنينة بسبب بعدهم

(١) انظر ديوان الصفحات : ١٦-١٧

عن الإيمان ، وثواب الآخرة . يقول عاكف في درس ألقاه أمام جماعة : نحن المسلمين لانهم بطاعة الله تعالى ، ونتوهم أن الله سيكرمنا باجابة كل مطالبنا رغم تقاعسنا عن العمل ، ونظن أيضا أن الله سيغير سننه الربانية لأجلنا ، وفي الحقيقة نحن نتضرع دون أن تستجاب تمنياتنا (١) . وعبر عاكف عن مفهوم الإيمان بالله عند المسلمين المتأخرين وأشار إلى أخطائهم ، وبيّن أنهم فهموه فهما خاطئا ، يتركون العمل ويتوقعون التوفيق ، يتركون الأمر بالمعروف وينتظرون الهدى من الله للجميع ، يتركون النهي عن المنكر وينتظرون العذاب العاجل للمجرمين في الدنيا يتركون الجهاد واعداد القوة ويتمنون الانتصار ونزول الملائكة في صفوفهم . الخ . وصور عاكف دفاع الناس عن منافعهم الشخصية ومطالبهم المادية الذاتية وسكوتهم وقت الدفاع عن الدين والمقدسات الإسلامية ودعا المسلمين إلى التزام الأدب مع الله (٢) .

يقول عاكف في تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) (٣) : وفي جميع الأوامر الالهية حياة بكل معاني الكلمة ولم يحصر المفسرون معنى الحياة هنا في الحياة المعنوية بل جعلوها شاملة أيضا للحياة المادية ، وفي الحقيقة لاتنصل المعنويات عن المادية ، فكما أن البدن لا يوجد بلا روح لاتوجد روح بلا بدن ، إذا ففي الأوامر الالهية لنا حياة (٤) ثم تحدث عاكف عن الصلاة وقال : نحن نؤدي المشاعر التعبدية ولكن يفوتنا الانتباه إلى الغاية منها . مثلا نحن اجتمعنا وادينا الصلاة خلف إمام واحد ، ولكن حينما نخرج من المسجد ينسى بعضنا بعضا ، ومن مقاصد الصلاة التعارف بين المسلمين وتكوين جماعة ومجتمع منهم لأن الدين قائم بالجماعة ، والروح الاصلى في جميع احكام الدين يحث على الجماعة والوحدة (٥) . وقد ركز عاكف على تصحيح مفهوم العبادة عند المسلمين خصوصا في مواعظه وخطبه في المساجد ، وارشاد الجماعة إلى المفهوم الصحيح والمنهج الرباني في العبادة بكل انواعها من الاقوال والافعال . يقول : إن الإسلام دين العمل ، دين الجهاد ، وحينما يأمر سبحانه وتعالى بالصلاة في القرآن ، يأمر بعدها مباشرة بالزكاة ، فمن يعطى الزكاة ؟ طبعا اصحاب الثراء ، وطريق الحصول على الثراء هو العمل ، إذا فالعمل لازم لأداء تلك الفريضة . وقد أمرنا الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه بالاتحاد والاتفاق والجهاد ، فكيف وبماذا نؤدي هذه الأوامر ؟ بلا شك بالعمل ، لو انتشرت البطالة تهداية الإسلام مثلا انتشرت بيننا لما تحقق التوفيق وقد عمل

(١) مواعظ محمد عاكف : ٢٣ (٢) انظر ديوان الصفحات : ١٨٢ .

(٣) سورة الانفال : ٢٤ (٤) مواعظ محمد عاكف : ٨ .

(٥) المرجع السابق : ١٤ .

الصحابة وبذلوا جهدهم وانتصروا" (١)

ولاشك أن من الانحرافات التي كانت قائمة في أيام محمد عاكف كما صورها هو: حصر العبادة في الشعائر التعبدية. وإهمال المفهوم الشامل للعبادة، الذى يشمل كل نشاط الانسان المسلم من الاعمال والاقوال والحركات. وقد ظن البعض ان الاعمال المطلوبة من المسلمين هي بعض الشعائر فقط، وانصرفوا إلى ذلك، فرد عليهم عاكف وحاول تصحيح مفهوم العبادة (٢).

(٣)

(٢) مفهوم القضاء والقدر :

من اهم اركان الإيمان فى الإسلام، الإيمان بالقضاء والقدر، وقد فهمت الاجيال المتأخرة فى هذا الأمر فهما غير مافهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. واصبح القدر فى اذهان بعض الناس قوة سلبية، وانحرف هذا المفهوم فى حسهم عن صورته الصحيحة.

وقد اهتم محمد عاكف بهذا الموضوع فى آثاره فكان من بين ما قاله: "أيها المسلم اصبحت اليوم ذليلاً تحت الأقدام؟ هل هذا "قدر"؟ هل يصح نسبة تلك النتيجة إلى القدر؟ لا، ايديا، بل أنت رضيت بالبليّة، وقدرها الله تعالى، هذا هو الصحيح، وبالطبع تظهر النتيجة على حسب العمل، لم تظلمك المشيئة الالهية بل أمر الله بالعمل ولكنك اخترت البطالة على العمل، واحدثت عديداً من الخرافات باسم الشريعة ثم ااضفت على كل ذلك من عندك "توكلا"، وجعلت الدين شيئاً غريباً مثيراً للسخرية. لا ينبغي لك أن تترك العمل، وتصدر الأوامر للتنفيذ، وأنت قاعد عن العمل ولا تتعب. وكأن الله تعالى - حاشا - أجسرك الخاص! تكتب ما عليك من الاعمال المطلوبة منك اثناء خروجك فى الصباح من منزلك وحين تكمل القائمة تطلب تحقيقها جميعها وفى زعمك أن الله تعالى يعمل كل ما تطلبه لأن ذلك - حاشا - من وظائفه. وهكذا تتخفق من ثقل اعمالك، وبعده ذلك تذهب مباشرة إلى المقهى وتقعده فيه. ويظل افراد الاسرة من الاولاد، والنساء فى حالة سيئة وفى ضيق من المعيشة، ولكنك ترى أنه مادام الله تعالى وكيل امورك فلا داعى للتفكير فى هذه الأمور، كأن خزينة إنعام الله تعالى

(١) مواعظ محمد عاكف : ٢٤ .

(٢) انظر تفصيل الموضوع مقالات محمد عاكف : ٥٢ ، تفاسير محمد عاكف : ٥٩ ،

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٢٧٦-٢٧٧ اصل القدر سر الله فى خلقه، لم يطلع

عنى ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان
والذى عليه اهل السنة والجماعة : ان كل شىء بقضاء الله وقدره وان الله خالق افعال العباد .

تحت تصرفك ، تطلب من خزينته جميع ماتحتاج إليهم من التكاليف والمتطلبات ، وهو ينعم بجميع ماتطلبه . وهو أيضا يحمل السلاح تجاه العدو ، وينتظر في الحدود وحين يحدث نقص في المعدات العسكرية فهو يعوضها وهو يتولى أمر الجهاد ضد العدو وبنجوده من الملائكة لخلصك أنت ويهزم الكفار ، وحين تجد صعوبة في حياتك تناديه بصوتك اللطيف " أنجدنى . " فإما يأتى هو سبحانه وإما يرسل الخصر لنصرتك ؛ إن مرض أحد افراد اسرتك فهو يعالجه لأن ذلك من اعماله هو ، ويشفيه من خزائن شفاؤه . ومعنى ذلك كله : ان الله فى نظرك يعمل كل امورك ، يربى اولادك ، وينشئهم ، وهو مسئول عن جميع الخدمات ، وهو وكيل نفقتك ، ومدير خزانتك ، وهو المسئول عن تجارتك وأنت تستلم المتاع ، وفى أيام الحرب فى البحار هو سفينتك وقبطانك ، وإذا احتجت إلى الجنود فهو جيشك وقائدك ، وهو مسئول عن قريتك ، وهو محصل الضرائب فى مدينتك وهو طبيب الاسرة وصيدلانيها وخلاصة القول هو يعمل كل شىء . . .

من أنت وماذا عليك ؟ طبعاً أنت متوكل ! لا يصدق هذا الكلام أحد . يجب عليك التزام الادب مع ربك . ، وما تعلمه فهو من سوء الأدب ، فإن مثل هذا الشخص جعل نفسه فى مقام الألوهية وجعل الخالق فى منزلة العبد ، ولم يستح مما يفعله ويسمى كل اعماله " توكلًا " ماهذه الجرأة ؟ قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، واضاعوا عناصر التوحيد بقولهم هذا وما وقعت فيه أنت من الشرك فهو شرك اكبر ، وليس من الإيمان ، فهل ما ادعيتاه من " التوكل " ؟ بل هذا تألّ على الله تعالى . لم يتفكر هذا الشخص لصالح من انزل القرآن ؟ لو بحثت الأمر لوجدت انه يجعل الخالق مخاطباً بالتكاليف بينما يعلن هذا السفیه الحرب على جميع الأوامر الالهية ، واطافة إلى ذلك يوجه التكليف إلى الله تعالى . إنه لم يتخذ سبباً من الأسباب فى أموره . فهل هذا الاتجاه هو طريق التوفيق فى الأمور ؟ يكفيك هذا القدر من الضلال . لأن حماقتك تعدت حد الاعتدال ، هل هناك حقل لم يزرع فيه شىء وحصد منه الزرع ؟ أبداً . إن القدر على حسب ماتفهمه أنت فرية على الشريعة . أما فهمك فى التوكل . فهو خسران على خسران . نحن نؤمن ان الإيمان بالقدر فرض من فرائض الإيمان ولكن ليس فيه المعنى الذى ضللت به ، القدر هو : " ظهور الممكنات فى الواقع بعد وجود شروطها " ، أما لماذا يقع وكيف يقع . . ؟ فكل ذلك مجهول لنا ونحن مسئولون عن صورة اختيارنا فقط . وليس عليك استكناه أسرار القدر . فسيان وظيفتك الطاعة لكل ما امر به الله تعالى ، لو أخذ القدر الشكل الذى تريده

أنت وقوعه ، لضاعت كل أوامر الشرع فى لحظة ! هل تدرى لماذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين من الخوض فى هذا المبحث ؟ طبعاً لم يمنعه بلا سبب . فماذا كان يفهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يذكر " القدر " اسمع ما يلى ولا تتردد فى تصديق ما سأقوله لأن الواقعة موثوق بها . ارسل عمر رضى الله عنه جنوده بقيادة أبى عبيدة للجهاد ثم أخذ معه مجموعة من الجنود وذهب بعدهم لنصرتهم ، والتحق بهم على طريق الشام وسأل عمر رضى الله عنه عن اخبار جنوده . فاخبره أبو عبيدة ان الطاعون قد تفشى فى المكان . فلم يتحرك عمر مع جنوده بل استشار كبار المهاجرين فى جواز السفر إلى البلاد التى فيها الطاعون أو عدم جوازه ، فاختلفت آراؤهم . ثم استشار الأنصار ورأى اختلافهم أيضاً فى الأمر . فاستشار المسنين من المهاجرين من قريش فاجمعوا أن السفر إلى البلد الذى فيه الطاعون خطأ . وعلى ذلك أمر عمر رضى الله عنه بالعودة إلى المدينة المنورة . وحينما سمع أبو عبيدة هذا الخبر قال لعمر : " أتفر من قدر الله ؟ قال عمر : أفر من قدر الله إلى قدر الله " . . . وفى اثناء كلامه جاء ابن عوف وروى حديث الطاعون قال : (اذا سمعتم بالطاعون يارض فلا تدخلوا عليه . واذا وقع وأنتم يارض فلا تخرجوا منها فراراً منه) وسكت أبو عبيدة بطبيعة الحال بعد سماعه هذا الحديث . هل فهت من هذا ماذا كان يفهم عمر بن الخطاب وهو من كبار رجالات الإسلام ، والمهاجرون من قريش وكبار الأنصار حين يذكر القدر ؟ فلا تتجراً بعد ذلك مرة أخرى لتفتري على الحق سبحانه وتعالى .

ليس معنى التوكل كما تفهمه أنت وا اسفاه لقد قام كثير من الجهال السفهاء بخدعة كبيرة على الدين حتى أوصلوه إلى ما هو عليه اليوم . . . وا اسفاه أصبح وجه الدين ممسوخا واليوم يحيط الاعداء بالإسلام من كل جانب . أيها السفهاء ، اريد أن اعرف كيف نومت افكار لتنشروا مفهوم التوكل على هذه الصورة السيئة ؟ وكيف يبقى وجه الشرع المعصوم أبدا وهذه اللوثة المشثومة تلوث جبينه لقد كان التوكل شعارا عظيما للإيمان . وكان من اكبر الفضائل ، ولكن وا اسفاه بذروا المسكنة فى اعماق روح التوكل ، فأصبح كالجذام ثم خرب البلاد تماماً ، لولا التوكل الصحيح مابقى فى الواقع شىء من الفضائل ، وصور فى خيالك أولاً عصر صدر الإسلام وانظر كيف انتشرت الفيوضات التى لانهاية لها فى وقت قصير لا يتجاوز نصف قرن ؟ ما أقصر هذه المدة بالنسبة لأعمار الأمم . فكيف اتسعت

تلك المدة القصيرة لتحقيق انقلاب كامل ؟ هل ترى من مثيل له فى دنيا الواقع ؟ ان
الإنسان لا يملك نفسه من الدهش والحيرة . وقد ظهر هذا الدين المبين وازال
ظلام الشرك وقامت حياة جديدة على وجه البطحاء . وقبل أن تسمع روح الغرب
خبر هذا الانقلاب . كانت سطوة العرب القليلين قد أحاطت العالم ووصلت حدود
الدولة الإسلامية إلى سد الصين من جهة ومشى جنودها بسرعة السحاب فوق
الأبراج ، ووصلوا إلى قرب اسبانيا من جهة أخرى فكر فى موقع الحجاز وموقع
الصين وبعد المسافة بينهما . وأين موقع جبال البرانات ؟ ما سر هذه الخوارق ؟
كل ذلك كان نتيجة التوكل (على مفهومه الصحيح) ، حين يكون التوكل مقرونا
بالعزم فى القلب يصبح التوفيق مقارنا لهما كاقتران الفراشة بالنور . اسمع ماذا
يقول الله تعالى وهو يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم (فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (١) ومعنى
ذلك أنه : لا بد من التمسك بالعزم قبل كل شىء ، وينبغى أن يقترن العزم بالتوكل
وخلاصة القول أنه إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر بالعزم فماذا عليك أنت
فى هذا الأمر ؟ وللشريعة ركنان عظيمان فمن كان إيمانه ثابتا لم يفرق بينهما بل
يعتبرهما أمرا واحدا ويتمسك بهما معا ويقول أوضح يعزم المؤمن ويتوكل فإذا
لم تفهم هذه الحقيقة جيدا فلن يبقى الدين ولا الدنيا افهموا هذا جيدا وفهموا
للناس ، وإلا فسوف نستلقى على السرير المريح ولا تفكر فى الغد ، ولا تهتم بما
يحصل من حولك ، وحين يصيبك الضجر تقول من تحت لحافك : ننتظر لنرى ماذا
يفعل الله بنا ؟ أما تعرف ماذا يفعل الله بك عندئذ ؟ إن الله ينظر عمل
عبده لكى يجزيه على اعماله . إذن قم من سريرك فوراً ولف لحافك واعمل للتقدم
إلى الامام ثم ذكر عاكف امثلة من عمل الحيوانات فى الغابة كنشاط الأسد
وبطالة الثعلب . ثم يقول : أيها الانسان القاعد عن العمل اعمل مثل الأسد
ولا تقلد الثعلب المسكين . مادمت صاحب قدرة على العمل ، اعلم واكسب
وليستفد من بقايا ما اكلته المساكين . ثم ذكر عاكف نماذج لمفهوم التوكل عند
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : " كان عمر رضى الله عنه أدرى منا بمعنى التوكل
فماذا فعل تجاه الذين قعدوا عن العمل وقالوا : نحن المتوكلون ؟ فرقمهم عمر
بعصاه وامرهم بأن يزرعوا . ومعنى ذلك أن من يتوكل ينبغى عليه أن يعمل قبل
توكله . ويظهر مما سبق أنه ليس من التوكل أكل اموال الناس والتطفل كالذباب
على موائد الناس ، ولكن جهلنا بالدين افسد واقعه بيننا " (٢) .

وقد استدل عاكف بقوله تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) (١) في قصيدته بعنوان " لا يأس " وقال : " أين منى نفخة من الأمل فيك ، أتحسب أنه قد انطفى ؟ آه . . هل كان ينبغي لك أن تقضى عليه ؟ ما كان لفجر الحق الأزلى أن يمحي أيها الظالم . فبعد قليل ترى ما أظلم أيام غدك في الحياة بلا أمل وإن اعتقدت أنك تستطيع أن تمضي بدونك فمن المحال أن لا تخفق ولو انتظرت سنين فلن تبدو لك لمعة ضئيلة ، ولسوف تدوى أمواج الليالي في حنايا رأسك وكلما عدوت فسوف يصطدم خيالك بالدوامة الدائرة . وسوف يحيط الخسران بآفاقك فلن تستطيع أن تحطم سياجه ، ولن تستطيع أن تتبين الشاطئ أهـو امامك أم وراءك ؟ يامن سافرت في ليالي الحياة الطوال ووقفت في الطريق شريداً ليست نجاتك في السموات ولا في الأرض بل في نفسك . اشعل الروح التي استيقنت فناها ، فليرتفع الستار قليلاً عما حولك ! قليلاً ، لأنك كدت تختنق . ويئست من النور الأزلى فبقيت مشدوها مبهوتا ! أيها القلب الموه من الذي حار وهو يعبد الحق ، إن صدرا واحداً فقط يعيش بدون أمل وهو صدر الكافر أيجتمع اليأس والإيمان ؟ حاشا لله . وقد علمت وایقنت انه ضرب من المحال فلماذا اذن أذلت عنقك ووقفت مطرق الرأس ؟ ألا تشفق على ذريتك إن لم تشفق على نفسك ؟ ، وتوكل على الله واعتصم بحبل السعى واخضع للحكمة ، هذا هو الطريق ولا اعرف صراطاً مستقيماً سواه " (٢) .

وفسر عاكف قوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) (٣) في قصيدته بعنوان " التوكل بعد العزم " وقال : " وأما التوكل على الله فقد توكلنا عليه قروناً فإذا كنا قد وقعنا في هذا الخسران وتردينا في النار فليس ذلك إلا به . ألم يك تقديسنا لأسطورة طفولتنا ؟ ألم تبلغ الأمة رشدها بعد ؟ وإذا أردت أن يشرق النور في الآفاق ، فأوقد على الماضي حتى يضيء ويحترق كله ! إنه من حماقة احياء الأفكار البالية ، انظر إلى الدنيا وهي منطلقة يستحثها حسب النهضة حسبي ماسمعته من الأساطير إلى الآن ، فلن اقنع بها اذهب فأقنع بها البله . ، انك لم تتوكل على الله بل توكلت على الاوهام التي تعبدها وإن كنت قد ترديت في النار فليس ذلك إلا لأنك أهل لذلك ! لقد شل فالج إرادى عزيمتك ، فبقيت كالمفلوج ولبثت في ذلك ماشاء الله ، وما دمت لا تجد ولا تجتهد ولا تجاهد ، فمن المحال أن تعيش ولو تجرعت اكسير الحياة ، وإن كان لك حق في أن تحيا

(١) سورة الانفال : ٥٦ .

(٢) ديوان الصفحات : ٣٨٩ - ٣٩٠ ، ترجمة الظلال : ٤٧ - ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

فإن ذلك الحق مقيد بقيد الوجوب ذلك القيد الإلهي الذي تنقاد إليه بلا قيد ،
كل الأبعاد التي تخفق في قلبها الأكوان..، ولو انصفت قليلا لما تصاممت عن نداء
الواجب الذي ينبعث إليك من جوانح الخليقة .

لقد حالفت النوم وزعمت أنك توكلت على الله ، أهذا معنى التوكل أيها
الغر الغافل ؟ لا تظن أن أجدادك انغمسوا في رقدة القرون ، وإلا فأنى لك
هذا الوطن الذي ورثته عنهم ؟ إن آثار دماهم الغزيرة في القارات الثلاث تشهد
أن ذلك الجيل المجاهد لم يعرف الراحة يوما لو كان معنى التوكل هو البطالة
فهل كان ممكنا أن تعيش هذه الأمة بدينها الموروث فحسب؟ كلا . بل كان
ينطفيء مشعل التوحيد في الأرض منذ أمد بعيد ، ولرفع القرآن إلى الله تعالى .

إن العالم يعدو..، كان عليك أن تعدو معه ، هيهات أنت طرحت العزم
كله وراءك ، ومادمت قد تيقظت من رقادك الطويل الأجل ، فتحرك قليلا إن لم
تستطع أكثر من ذلك ! إن الذين يتبعونك يدوسونك كما تداس الجيفة ، وإذن فلن
تبعث حتى ينفخ في الصور! يدوسونك ولا ريب وعلام يباليون بك ؟ اسمع ما أقول:
إن لم تتحرك فستمحي من الوجود ! من السفاهة أن تنام على مدرجة الطريق التي
تعدو فيها الدنيا . ومن أراد الدنيا وجب أن يسعى لها سعيها . احرص على
المستقبل وكن مع الذين يسعون إليه . ولكن إياك أن تهدم الماضي في هذا
السبيل ، وإنني أخشى أن ينقلب الهجوم على السلف هجوما على الخلف . أي مستقبل
لأمة تهدم ماضيها ؟ تيقظ أيها المسافر . وإلا طلع عليك الصبح ، وإذا أنت
بقفر جديب لا نور فيه ولا روضة (١) .

ويقول عاكف : لو انقطعت جميع الآمال عن الحياة في الواقع فلن تيأس
روحي المتواضعة ، إن لم أجد زمانا ولا مكانا معدا في الأرض لألتجئن إلى الله
تعالى (٢) ، ويدعو عاكف بهذه الدعوات : اللهم ارفع عن المسلمين جميع موانع
الوحدة ، واحفظهم من التفرقة التي استمرت عصورا ومزقتهم . واحفظ الأمة من الوقوع
في اليأس واكرمنا بروح جديدة . اكرمنا اللهم بنفحة تأييد منك (٣) . وكتب عاكف
قضية بعنوان " العزم " وبدأ فيها بقصة ترجمها عن سعدى الشيرازي جاء
فيها : ان قافلة من المسافرين حينما جلسوا للاستراحة فقد احدهم ابنه الصغير
في الصحراء ، ولكن لم ييأس ، بل بحث عنه في جميع الأماكن ووجد ابنه في النهاية

(١) ديوان الصفحات : ٣٩١-٣٩٣ ، ترجمة الظلال : ٤٩-٥١ .

(٢) ديوان الصفحات : ٤٤ .

(٣) المرجع السابق (طبعة دار الانقلاب) : ٥٦٦ .

بعد بحث دقيق عنه وصور مشاعره قائلا : بحثت في جميع الجهات والاطراف وأحاطت بي خيالاتي ، ولكنني لم أياس ولم اترك العزم ولا الأمل في العثور عليه وقلت : مادام هو في هذه الدنيا فينبغي علي أن أجد " ووصف ما صادفـه من المصاعب ثم قال : واعانني ربي بتوفيقه ووجدت نور عيني (ابني) أمامي فسي النهاية ، يقول عاكف : إذا فكرنا جيدا ندرک ان سعدى أشار إلى العبرة من القصة : فحينما يسلك الإنسان طريقا ينبغى عليه أن يستحضر العزم أولا ، ومع العزيمة القوية يحصل الإنسان نتيجة عمله كما تمنها قلبه . لأن التوفيق من الله تعالى يأتي في هذا العالم بعد العمل ، ولا ينفصل العزم عن الأمل ، بل يقترن به . وحين يكون الأمل مع العزم والتحرى يتحقق التوفيق ، وكثيرا ما يوهثر عـدم التوفيق في آمال الإنسان فعندئذ يجب على الإنسان أن يتمسك بالعزم والعمل اكثر ، وليس لليأس نهاية فلو وقعت فيه لم تستطع أن تنجو منه بعد ذلك . لو كان الوالد في القصة المذكورة وقع في اليأس في ظلام الليل وترك البحث عن ابنه لضاع الولد تماما . وفقد الوالد حبيب قلبه " (١) . وهكذا حث عاكف على ترك اليأس والتمسك بالعمل ، ويصور في قصيدته بعنوان " الاستغراق " المسافر في الظلام وهو يحتاج إلى ضوء النجوم ، ثم يقول : " فإنني احتاج إلى ضوء الآمال مثل هذا السائح ، لأنني أصبحت في ظلام من جميع الجهات " ، ثم يصور امواج البحار والمسافر أمام خطر الموت والساحل بعيد جدا ، وحين يرى ساحلا يأمل الخلاص رغم جميع المهلكات ، فإنني مثل هذا الشخص والآمال مثل هذا الساحل " (٢) ، ويصور عاكف بائعا مسنا يائسا من الحياة يعيش في غربته ولو وجد فرصة للتفكير لأحيا في نفسه آمالا طيبة ، ولكنه يسعى إلى مجرد المحافظة على حياته ثم يسأل هل للحياة معنى ؟ " (٣)

ويذكر عاكف مثلا عن عمل نملة ويقول : اليأس حس مشئوم انكد ، فلنباعد بينه وبين القلب العامر بالإيمان ، وإذا ما خذل التوفيق إنسانا ومات في سبيل امل يحققه فإن موته حياة أخرى قيل لنملة تسعى إلى أين ؟ قالت إلى الحج ، قيل كيف تخرجين إلى الحج على ضعف سوقك ؟ فقالت إن حال ضعفى بينى وبين بلوغ بيت الله ، فليكن في السبيل إليه موتى ، (٤) ، وصور عاكف واقع المسلمين قائلا : " واتهم الذين يسمون انفسهم بالخواص عوام الناس بالبطالة والجهل والكسل والتوكل على غير فهمه الصحيح ولم يشعروا انهم بالذات يعيشون في يأس تام

(١) ديوان الصفحات : ٥٣ - ٥٤ . (٢) المرجع السابق : ١١٦ - ١١٧

(٣) المرجع السابق : ١٢٧ (٤) انظر تاريخ الادب التركي : ٥٢٣ .

ان فكرنا جيدا فليس هناك ذلة ولا بطالة اكبر من اليأس . وإذا شئنا الصراحة فان اليأس وعدم العزم قد تحولا إلى مرض اجتماعي قتل روح الجماعة في مجتمعنا من فترة . طويلة" (١)

ويقول عاكف في تفسير قوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) (٢) العزم والتوكل ركنان عظيمان من اركان الإسلام ، ومن الخطأ والبطالة ان البعض يدعى أن التوكل من صفات النقص عند المسلمين ، واتهموا المسلمين الحاضرين بهذا النقص . إن التوكل سجية عظيمة ، وقد ابتعد المسلمون عن هذه السجية منذ امد بعيد ، التوكل : هو عدم الفتور على طريق غاية مشروعة ومقصد مشروع ، وهو ثقتنا بالله واستمرارنا على ذلك ، فإن التوكل والبطالة مختلفتان . أيها الاسلاف العظام : إن احفادكم تركوا طريقكم وضلوا واصبحوا شيعا متنازعين ، واصبحوا عاجزين اذلاء" (٣) . يقول عاكف في إحدى مواعظه لقد اخبرنا الله تعالى عن طريق الخير وطريق الشر وترك لنا الخيار واختبرنا في الحياة الدنيا ، وارشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطريق الصحيح وكان لنا قدوة باقواله وافعاله ، واكمل رسالته و ادى الامانة ونصح أمته ثم لقي ربه" (٤) أما التوكل : فهو أمل الإنسان في النجاح نتيجة اعماله ونشاطاته ، قد يصيبه الفشل على طريقه ولكن النعم العظيمة للعاملين في الحياة ، والذلة للذين يفهمون التوكل على غير فهمه الصحيح ، فهذا من قوانين الله . وقد اوضحت الوقائع والحادثات وكتاب الله الكريم الحقائق ، ولكننا لم نننننه ولم نترك المسكنة والبطالة . فإن واقع المسلمين اليوم سمي " جدا ، رغم أن الإسلام دين العمل والجهاد والشرف والشجاعة والمجد والعظمة ولكننا في جميع انحاء العالم ندعى الإسلام وفي نفس الوقت نحن في ذلة وخضوع" (٥) والصبر : هو المواجهة ضد الشدائد ، وعدم ترك الجلد أمام الاعداء والمخاطر ، وليس الصبر : المسكنة والفقر والكسل والذلة والسكوت على السذل والأسر" (٦) .

(٣) مفهوم الدنيا والآخرة :

تحدث عاكف عما افسدته التربية السيئة أو الجهل في هذا المجال ، وكان

- | | | | |
|-------|---|-------|-------------------------|
| (١) | تفاسير محمد عاكف : ١٦٥ . | (٢) | سورة آل عمران : ١٥٩ |
| (٣) | تفاسير محمد عاكف : ١٦٩ | (٤) | مواعظ محمد عاكف : ١ - ٢ |
| (٥) | تفاسير محمد عاكف : ٣٠ . | | |
| (٦) | المرجع السابق : ٦٢ ، انظر ايضا تفسيره آية من سورة الانفال : ٤٦ ، وسورة البقرة : ٢٥ ، وتفسير سورة العصر : ١١ . وما بعدها . ومقالات محمد عاكف : ٢١٥ . | | |

ينبغي التوازن بين الدنيا والآخرة، ورغم عدم انفصالهما فقد انفصلت الدنيا فسى حس بعض الناس عن الآخرة. وذكر عاكف اسبابا عديدة فى هذا المجال مثل استصغارهم شأن الحياة الدنيا واحتقارها ومن ثم ايثار الآخرة على الدنيا. وقال فى تفسير قوله تعالى : (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) (١) وقد ادركت ما ادركت من العمر الغانى فى الدنيا وسوف يصيبك شبيهه كحظ لك فى العمر الثانى فى الآخرة ، ولان انفصال بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وأنت ياطاش تقول : ليس للحياة الدنيا قيمة لأن مدتها قليلة جدا وتظن أن كل آمالك ستتحقق يوم الحشر ، وماذا زرعت قبل الآخرة لتستحق الحصاد فيها ؟ فإن حرك المشروع : خسران فى الدنيا والآخرة لو كانت الحياة عبارة عن الآخرة فقط بدون الدنيا فما الحكمة من ابداع الدنيا من العدم؟ أنت اصبحت مقراً للروح المقسم فى الأزل، ونفخ إليك، إن الروح ابدية ولكن لماذا نفخت فى الابدان ؟ ولماذا لم تأت الجنة والنار مباشرة بعد (ألسنت بريك . .) (٢) ولماذا الاختبار للارواح مرة أخرى فى هذا العالم بعد ذلك الاختبار؟ فى الحقيقة لا ينبغي الاستخفاف بالدنيا، لأن هناك فيوضات دائمة مرتبطة بهذه الحياة الغانية يقولون : " ليس للكون أصل لأنه فان" هذا صحيح ولكن مع فناه فإنه من جهة أخرى حياة دائمة (٣) ، ويقولون : إن الحياة موقوتة (سريعة الزوال . .) فليكن كذلك، فإن ملذاتها وخسرانها دائمتان ، وبهذا الاعتبار تعتبر كل لحظة منها ابدية . والطاقش الذى ينادى بعدم الاهتمام بهذه الدنيا لفنائها . نقول له : إذا يكون الخلق عبثا . ما الغرض من الحياة الدنيا ، هل الغاية هى الموت فقط؟ لماذا لم نسع للاطلاع على الحقيقة؟ ، فالحياة غنيممة اغتنمها قبل فواتها ولا تتوقف ، وإلا ستصرخ انفاسك المعدودة غدا بالنسبة ملايين المرات . مادام هذا العالم ميدان الاختبار للارواح فينبغى العمل . ان تركت السعى فلست إنسانا. لماذا تضع اوقاتك بالدناءة والخيبة ؟ لماذا انقطع عزمك؟ أما توه من بالله ؟ اعمل فى الدنيا وكن إنسانا مادامت الحياة الدنيا معك الان . إن الإنسانية لا تكسب بسهولة ولا تنهب كغنائم فى الدنيا والآخرة . . . ، يا أيها المسلم أنت تذكر الآخرة بلسانك دائما ، ولكن موقفك تجاه الآخرة تمنيات طيبة بدون عمل جدى ، إن تمت بهذا الزعم قبل أن تشفى من اوهامك الجنونية فستصبح صفر اليدين دون الوصول إلى مطالبك ، أيها المحتال : أما يكفى جريك

(١) سورة الاسراء : ٧٢ . (٢) سورة الاعراف : ١٧٢ .

(٣) يقصد مآل الاعمال الدنيوية فى الآخرة .

وراء الخيالات حتى الوقت الحاضر؟ لماذا تغمض عينيك دائما عن روية الحقائق؟ إن ظلت تقول: إن هذا العالم كرويا منامية لا تلبث أن تزول، فسوف تدرك فسي الآخرة أنه حقيقة عظيمة" (١)، وبهذه الكلمات حاول عاكف الرد على كثير من الأفكار والمعتقدات الباطلة، وحاول تصحيح مفهوم الدنيا والآخرة عند المسلمين وبسبب لزوم التوازن بينهما. ووقف ضد فكرة فصل الدنيا عن الآخرة ووضعها في موضع التضاد والتقابل وفي رأيه أن أمر الدين لا يستقيم على هذا النحو، ولا يستقيم حال الأمة كذلك. فقد أصاب العالم الإسلامي الفقر والجهل والمرض والضعف والتخلف في جميع الميادين. وقد اعتبر بعض الناس الدنيا والآخرة معسكرين متقابلين، وعارض عاكف هذا الاتجاه ورد أقوالهم.

يقول عاكف في إحدى مقالاته: "الدنيا ميدان المعركة، وحينما ننظر إلى المجتمعات. نرى المجتمع الذي ترك أفرادها البطالة وتمسكو بالعمل والاجتهاد يترقى دائما على المجتمعات الأخرى ويصبح هو لا* الافراد اصحاب مجد وشرف إذن فالعمل بالجد يوصل افراد الإنسانية إلى الحضارة، ويكفل حياة الأمم واستقلالها وينبغي علينا أن نفهم جيدا أن العمل من أهم الاسس لتحقيق تلك الاهداف، نعم يحث الإسلام على العمل لحياة الدنيا والآخرة، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في احاديثه بالعمل للدنيا وللآخرة، والقول بأن "اعمال الدنيا مخالفة لرضى الله تعالى" قول مردود. كما ان ترك العمل وايقاد البسطن بالرياضات لغرض العبادة وبطالة التفكير مردود شرعا، أما يعرف اصحاب تلك البدع، ان الدنيا ميدان المعركة؟ والمجاهد المهاجم يتغلب دائما على العاقل ويجعل المغلوب أسيرا عنده ويمنعه من جميع حقوقه وفي آخر الأمر تزيل سنة الله الذين يهملون أمور الدنيا وتصبح عباداتهم الموهومة هذه وبالاً، وتضيع جميع آمالهم التي ينتظرون تحقيقها في عزلتهم، فهذا أمر بدهي، كما نشاهد في تاريخ الأمم التي فهمت الدين فهما خاطئا وبالغت في الاستخفاف بمصالح الدنيا وبالغت في ترك الحصول على حاجات الحياة.

وقد اعتبر الإسلام حركات الإنسان عبادة حينما تكون غايتها ربانية وليست شيطانية، وكسب المال في نظر الإسلام من العبادات، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسب المال من الحلال وجعله من افضل الاعمال. وفرض الإسلام العمل على المسلمين ويؤاخذ تاركه بسبب تركه واجبا من الواجبات الدينية وللثروة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي من اكبر اركان حياة الأمة. ومن اقوى اسباب ترقياها، وقد شارك اغنياؤها في الجهاد بشرواتهم. ومع وجود النصوص الكثيرة

في اكتساب المال الحلال ، كيف يدعى البعض ان الاسلام يمنع البحث عن الثروة ؟
لقد انتشر الجهل بالإسلام ولذا ينبغي علينا ترديد أوامر الإسلام في السعى
والعمل وان لم نؤد هذا الواجب فلن نستطيع ازالة الدعايات الكاذبة عن اذهان
الناس ولن نستطيع منع البطالة كذلك ، لأن مايسعون بمرشدى الشعب افسدوا
العقول والناس لا يسمعون تحت اسم الارشاد الدينى إلا كلمات في منعهم عن
العمل والتفكير عنه والحث على الفقر والمسكنة ، اخبرونى لوجه الله هل يمكن
الجمع بين اقوالهم واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العمل ؟
اقسم بالله بغض النظر عما نشره هو "الجهال" لو كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نفر من العمل والثروة وحقر السعى بنسبة واحدة في المائة مما قيل لمسا
وجدنا من بين الصحابة من يملك حبة ولا ثروة ، والأمر عكس ما يزعمونه تماما وقد أمر
الله ورسوله بالعمل ، واكتساب الثروة مرتبط تماما بنية الكاسب ، إن كانت نيته خيرا
يكون مأجورا بها وإن اكتسبه بأساليب غير مشروعة فإنه يأثم بها . وقد قسم الرزق
مضى الأجل ولكن البعض فهم ذلك على غير مفهومه وذهبوا إلى عدم الفائدة من
العمل نحن نؤمن من بتقسيم الرزاق ولكن لانعرف شيئا عما في علم الله تعالى ،
فينبغي علينا أن نتبعد عن الافكار التي تبعدنا عن المنهج السليم وتمنعنا عن
العمل نتيجة عدم صحة فهم اصحابها حقيقة الأمر وليست الحقيقة كما يدعون .
وقد وضع الإسلام قوانين اساسية ، منها : قسمت الرزاق بين العباد متناسبة
مع اعمالهم ، من يعمل كثيرا يكون نصيبه كثيرا ، ومن يعمل قليلا يكون نصيبه قليلا بنسبة
عمله . وهكذا يعمل كل واحد من أجل معاشه في الدنيا وهو مطمئن لأنه يوم من
بأنه يكسب بنسبة ما اصابه من المشقات ، هذا هو دستور الحكمة (١) ، وبين الإسلام
أن العمل والهمة سبب من اسباب النجاح ، والمسكنة وعدم الهمة سبب الفقر
والحرمان ، وللحياة في الإسلام قوانين ثابتة لا تتغير ومن خالفها فهو يخالف أوامر
الله تعالى ومن يتمسك بها فهو يأمل . والرزق والكسب ضمن حكم تلك القوانين
الثابتة وبناء على هذه الأوامر فإن المتمسكين بتلك القوانين يرزقون . والمخالفون
لها يحرمون . ومن أهم تلك القوانين بدء العمل مبكرا وعمل كل انسان على قدر
طاقته ، والهجرة حركة ممدوحة في الإسلام للتخلص من بلاء الفقر ، ولصيانة النفس

(١) كان عاكف يريد بهذا الكلام أن يستحث المسلمين على العمل ويستنهض
هممهم ولكننا نعلم أن الرزق بيد الله يقسمه كما يشاء سبحانه وتعالى . وهو
القائل (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء * ويقدر) سورة الروم : ٣٧ .
ولكن المسلم يتخذ الأسباب عبادة لله ولا يتكل على الاسباب بل يجعل
توكله على الله سبحانه وتعالى .

من أن تكون ثقلا على المسلمين . وأمر الإسلام بالصبر على مشاق الطريق والبحث عن النصيب في أماكن بعيدة ، وقد سلك الصحابة طريق العمل ، ومن يطلع على تاريخ الصحابة والتابعين يراهم نماذج لجميع البشرية ويرى فيهم امثلة تبعث على الفخر والعزم والاقدام . وفي بداية الأمر كانوا فقراء ، ولكن اتخذوا آيات الله واحاديث رسول الله دستور عملهم وحركتهم ، والآيات ترغّب في العمل والاحاديث تؤيّد ها ، وبعد تمسكهم بهما اصبحوا اصحاب سلطة وقوة عظيمة خلال ثمانين سنة، ولم يحقق الرومانيون تلك العظمة خلال ثمانمائة سنة . فتح المسلمون بلادا واسعة ، ولم يكرهوا اهلها في أمور دينهم ، ولم يستعملوا الشدة مثلما عمل الرومانيون . بل اطاعتهم الشعوب طوعا لو اطلعتم على تاريخ الجيل الأول ترون الغرائب من الهم والعزم يعجز الإنسان عن تحقيق امثالها في عصرنا بل لا يمكن المقارنة لأن اعمالهم فوق طاقة الإنسان . لماذا ضاعت تلك الشجاعة الحقيقية من القلوب ، والهم الإسلامية ؟ من أين جاءنا هذا العجز والمسكنة ؟ ابتعدنا عن مكارم الأخلاق وفضائل الهم التي تواترت الروايات في وجودها بين اسلافنا حتى بين نساءهم ، وقد قام بعض الجهال تحت اسم الارشاد فزعموا وجود البطالة في واقع الإسلام وادعوا " انها توافق الإسلام " لأن المسلمين رجال الآخرة وليس لهم علاقة بالدنيا . لا ، وألف مرة لا ، يقول تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولددار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) (١) . (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٢) . (ومن اصدق من الله حديثا) (٣) لقد جنى المسلمون على دينهم . فلينظروا الى الدين بالعقل والروية الصحيحة وليدركوا الحقائق فإن معظمهم يتوهم انه يعمل على مقتضى الإسلام ولكنه يجري خلف هواه وافكاره الباطلة . ظلموا الإسلام عن جهل ومنعوا الحكماء المتحضرين عن البحث في الاحكام الجليلة لهذا الدين فليعلموا جيدا أن الإسلام سيظهر في المستقبل في أوروبا بما يذكرنا بأيام الإسلام الأول في العظمة والرونق . قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٤) الآية (٥) .

هذا بعض مقاله عاكف في ديوانه في بيان مفهوم الدنيا والآخرة :
تحدث عن العمل والحركة في خلق الله ثم قال عن تدبير الله تعالى : " كل يوم

(١) سورة النحل : ٣٠ (٢) سورة البقرة : ٢٠١ .

(٣) سورة النساء : ٨٧ . (٤) سورة فصلت : ٥٣ .

(٥) مقالات محمد عاكف : ٢٠٨-٢١٥ .

هو فى شأن " ويظهر شعونه فى خلقه . أيها الإنسان ترقد فى الوقت الذى ، استيقظ فيه العالم كله هل أنت ميت ؟ لماذا لم تتحرك ، أما تستحى من الله تعالى^(١) و " والإنسان يواجه عديدا من المهالك القاتلة اعتبارا من يوم وجوده فى الدنيا إلى آخر عمره . لا تظن انه يواجه الموت فى يوم مرة واحدة فقط ، بل يواجه عدوه فى اليوم ربما ألف مرة ، وينسى الإنسان الراحة فى الدنيا أمام المصاعب ، ويبدأ حربه مع الدنيا ولا استمرار حياته ومعيشته يعمل فى الصيف تحت الشمس وفى الشتاء تحت الثلوج . " ، ثم يعد عاكف الصعوبات التى يواجهها الإنسان ويقول : وخلق الإنسان مغطورا على حب الحياة ولو كانت جميع لحظات الحياة مليئة بالعذاب ، فإن الإنسان لا يرضى بالموت ، بل يرضى عن الحياة مع وجود كل المشاكل فيها ، يبذل جهوده للبقاء فى الدنيا ويعمل لتحقيق ذلك" وبعد ذلك يذكر عاكف حاجات البشر من المسكن والملبس والأكل والشرب لاستمرار حياته . ثم يقول : هناك غاية مهمة من الحياة ولكن ليس لدى الإنسان فرصة للتفكير فيها لأنه يضع جميع اوقاته فى محاولة تحقيق استمرار حياته . فالإنسان قائم بروحه ، ولكن كثيرا من الناس يجعلون روحهم فى خدمة ابدانهم ، ولو اهتمسوا بأرواحهم وشعروا بضرورة اعلاء الروح لأدركوا الغاية من الحياة " (٢) .

ويتحدث عاكف فى قصيدة له بعنوان " طريق الآخرة " فيصور تجهيز ودفن ميت ويرى ان مكان المصلى على الميت هو مكان تبليغ حقيقة الآخرة فى دار الدنيا ، وهو درس للعبرة أمام من يعتبر ، فإن دار الآخرة جار لدار الدنيا ، وأثقب فى سكون دائم بوصفه كومة من التراب ولكن روح الميت تتحرك دائما بلا انقطاع " . (٣)

(١) ديوان الصفحات : ٢٤ . (٢) المرجع السابق : ٢٨-٣٠ .

(٣) المرجع السابق : ١١٤-١١٥ .

الفصل السادس

آراؤه فى مستقبل الأمة الإسلامية

لقد سمي محمد عاكف " بشير المستقبل " و " شاعر الغد " لأنه بعد أن بعدت الأمة عن حقيقة الإسلام لم يفقد آماله فى المستقبل المشرق ، فحتى بعد أن وصلت الأمور إلى الصورة المذكورة فى الفصول السابقة ظل عاكف يأمل آمالا طيبة فى الصحو الإسلامية فى صفوف الشباب لتخرج هذه الأمة من حالة الضياع إلى الاستقامة على الطريق ، وأن هذه الصحو سوف تنقذ هؤلاء الشباب أولا مما وقعوا فيه من الهوان والذل ، ثم تنقذ البشرية .

ولعاكف آراء فى مستقبل الأمة الإسلامية ، وفى طريق الخلاص ، ومن أهم تلك الآراء . تحذيره من الوقوع فى اليأس ، ومن الوقوع فى الأخطاء السابقة فى التاريخ وتوجيهه إلى العمل بجد . لقد صور عاكف فى آثاره كثيرا من انحرافات هذه الأمة ، ولكن لم يقصد من وراء عرضها بث روح اليأس فى نفوس أفراد الأمة بل انه قصد كشف النقاب عن هذه الانحرافات ليتعرف المسلمون على امراضهم ومشاكلهم وازماتهم ، وحاول البحث عن العلاج المناسب لهذه الامراض . وقد قامت الانقلابات فى الدولة العثمانية وقامت الجمهورية التركية ، ويرى عاكف أن وسيلة العلاج بالانقلابات ليست ناجحة ، وكانت حركات الاصلاح غير ما تمناه عاكف . انه كان يرى ضرورة تكوين الرجال ، ونقد ادارة الاتحاديين بسبب عدم وجود رجال متخصصين فى مجالات مختلفة ، واعتبر أن ثورتهم " صفر اليمين واعتبرها أيام قحط الرجال " (١) ونبه الشباب إلى الاخطار المحيطة بهم ، وحشهم على اخذ الحذر اللازم من اعدائهم . لأن المعركة بعد حرب الاستقلال ما تزال قائمة على أشدها ولا تزال الصليبية والصهيونية فى صراع مع الاسلام والمسلمين كما حشهم على اعداد قوة تجاه حرب الافكار والعقيدة . وحذرهم من الانحرافات التى وقعت فى تصور المسلمين وسلوكهم حين نظر الشباب إلى أوروبا فأروها متقدمة فى عالم المادة فبهرت عقولهم . وحذرهم عاكف من الابتعاد عن الدين وكان يعرف أن المسلمين ليسوا متمسكين بالدين بالمعنى الشامل ، وحين حدث الانبهار بكل ما عند الغرب ، لم يستطع المسلمون أن يميزوا بين الغث والسمين فيما ينقلون من الغرب ، ونقلوا كل ما يتعارض مع دينهم وبعثوا عن حقيقة الإسلام ، وصور الوضع

المؤسف وبين الأخطاء المحدقة بالإسلام والمسلمين . وقال بوجوب العمل على تربية جيل جديد على الإسلام الصحيح . ودعا إلى تصحيح المفاهيم والتصورات عند المسلمين وقال : الإسلام منزل من عند الله وهو نظام الحياة الكامل يحييـط بجميع نواحيها . ويجب العودة إلى صفاء الإسلام بدون تنازل عن مبادئه أبداً ويجب ابعاد الجماعات عن الخرافات تماماً ، هذا هو الطريق " (١) . وقد تخلف الشرع بسبب بعده عن نظام الحياة الإسلامي ، فبينما كان المسلمون السابقون أقوياء بسبب تمسكهم به كجماعة ، ابتعد المسلمون اليوم عن حقيقة الإسلام وانتشرت البطالة والخرافات والفهم الخاطيء للتوكل ، الإسلام يحث على العلم ويأمر بالعمل وبسبب الخرافات والفهم السيء للدين تخلف المسلمون " (٢)

وحيثما يعيش سليمان نظيف من المستقبل وعبر عن يأسره في قصيدة له ، رد عليه عاكف بقصيدة . وبعد شرحه أعمال الصليبيين اظهر آماله في المستقبل المشرق قائلاً : " . . . سوف يهوى إلينا نور لانار . . . ، فما دام وعد الله لنا حقاً فسوف يشرق فجر الشرق الأزلى قريباً . هل يصرع هذا القدر العظيم من الشهداء ، تنهر الدماء كالبحر على صدر الدنيا ولا يصل هذا الطوفان وهماً هذا الدخان إلى العرش الإلهي ، ولا ترق منهما لجة الرحمة الالهية ؟ وإن كان العصيان واقعا من جانبنا ، فاعوذ بالله أن أظن أن رحمته لن تصل إلينا " (٣) ، وقد استغرقت الكوارث فترة طويلة وحيثما شاهدتها عاكف قال : " إن وطن الإسلام الذي تهان كرامته كل يوم لا يزال ينتظر الغد الموعود وقد مضت عليه القرون فلا جاء ذلك الغد . . . " ، ولكنه يعود إلى الأمل فيقول : " للشرق لذلك المجنون البائس المنكر ذاته ، ليلي واحدة في الدنيا كلها : هي مستقبل الإسلام . ولا يعرف سواها وقد تفانى في حبها ، فإنه مستغرق اليوم في ذكرها وقد يغرق غداً في ذكراها . . . فتعالى ياليلي أيتها الحبيبة التي هي إلى النفس أقرب من الروح . . . لا تتعدى ! لا تتجنى على المجنون الذي ضحى لك بحياته غير مرة . تأملى أعظم أبناء الشرق في البطولة في سبيل من ضحوا بأرواحهم وقطعوا تقطيعاً ! ومن الذي أشعل الحرائق في هذه الأوطان المستحيلة رمادا وعلى من تقع تبعة هذه الملايين من اليتامى والأرامل ، ومصراع الجماهير الذين ضحوا بأنفسهم ؟ في سبيل من ياليلي ، تلك المذابح والسجون ؟ ففداء لك تلك الضحايا وتلك الدماء . حسب مجنونك أن تترائى له ولو مرة قبل أن يستولسى

(١) الرجل العائد الى اصله يحيى كمال : ٣٩ .

(٢) المرجع السابق : ٤٧ .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ٣٩٥ .

عليه القنوط من لقاءك . لم يطير جناحك في العلو الساحق ولا يحوم في سماء هذه الخليقة ؟ وإن لم يكن هذا التراب ما يمكن به اعزازك ، فما الشفق إلا بساط طريقك وما الفجر إلا مصباحك ، وما هلالى إلا خيمتك التى سیرت فى قلب السموات وما الأذان إلا نشيدك تنن به الأرجاء رهبة وخشوعا ، وما الأعلام والقبب الاجهاز عرسك الذى نزل من عند الله ، وما الجماعات إلا عبيدك وما الكعبة إلا خدرك ! ، تعالى يا ليلى ، تعالى ايها الحبيبة القريبة إلى النفس اكثر من الروح ، لقد لبثت غائبة إلى الآن ! حسينا هذا الدلال ياليلى ، فأنزلى من سماء الأزل ، حتى ينزل من قبل الرحمن ربيع خالد على هذا الوطن المحترق ! " (١) " ياليلى لم يغمض حبيبك عينيه على حياة الدنيا ، انزلى لخلص الشرق جميعا بمشاهدتك (٢) .

وقد قصد عاكف بليلى " الإسلام " و " تطبيق شريعة الله " ويبدو من هذه القصيدة أن عاكفا اضطر إلى الدفاع عن الإسلام باستعمال الرموز والاشعارات والتشبيه والمجاز والكناية بدون تصريح إلا مرة واحدة بقوله : " للشرق ليلى واحدة وهى مستقبل الإسلام " كتب عاكف هذا الشعر سنة ١٩٢٢ م وطلب تطبيق الإسلام فى واقع المسلمين واعلن حبه لدينه ، والح فى طلبه تطبيق الإسلام ، وحينما يبدأ الإنسان قراءته يظن ان المقصود من ليلى ، ليلى العاشقين مثل ليلى المجنون وامثاله ، وحينما يتدرج فى قراءته يفهم أن المقصود من ليلى فى شعر عاكف مستقبل الإسلام . يقول حسن بصرى : " ليست ليلى فى نظر عاكف مثل الشعراء الآخرين فى قصائد همبل عبر عاكف عن غايته المطلوبة بتضرعاته وصرخاته واتخذ هذا الاسلوب لتحقيق هدفه وكان مخلصا فى نظمها نشاهد فيها غليان روحه " (٣) ، وحاول ايقاظ المسلمين قائلا : إن افراد هذه الأمة فى حاجة إلى الحركة نفخة واحدة اليوم . يا إلهى : لو كانت نفخة واحدة فقط تتحرك هذه الدماء كلها ليظهر روح الربيع فيهم مرة أخرى وإلا فسوف تستيقظ هذه الأمة بصوت اسرافيل وليس قبل ذلك " (٤) . وخلص المسلمين من ازمتهم وشقائهم : هدى الله تعالى ،

فإن من اسباب تخلف مجتمعنا وعوامل المصائب الراهنة فى الأمة عسدم الانتباه والتيقظ . يقول فى ذلك : استمر نومك اعواما وعصورا ، يجب عليك أن تتحرك

(١) ديوان الصفحات : ٣٩٨-٣٩٩ ، ترجمة الظلال : ٥٨-٥٩ .

(٢) ديوان الصفحات : ٤٣٨ .

(٣) عاكف نامه : ٢٠٨-٢٠٩ . (٤) ديوان الصفحات : ٢٣٢ .

بالقوة وتزيل الظلمات من حولك ، انظر لتشاهد تيقظ كل شىء حتى السموات والارض ، فإن النوم اثناء يقظة العالم من اسباب الضياع " وا اسفاه . يامرض الجهل انت السبب فى الذلة الحالية . وقعت الأمة فى الجهل . والجهل جعلها بلادين ولاعفة ، أيها الكابوس الأسود المحيط بقلوب المسلمين . أيها العدو الحقيقى ، لا بد لنا من ازالتك أولاً ، بسببك أنت تغلب علينا اعداؤنا أيتها الأمة الإسلامية استيقظى وإلا فسيضيعك جهلك ويضيع معك إسلامك . استحى من الله تعالى إذا كنت تقصدى هلاك نفسك فلا تأخذى الإسلام معك إلى الضياع ، إن الحياة من الله فى الحقيقة يكون بالعلم ولكنكم ابتعدتم عنه" (١) ، ويقول عاكف فى التعليم : " . . . لا علاج لامراضنا بدون المدرسة . . . وقد ابتعد افراد الأمة عن العلم والمعرفة رغم أن العصر عصر العلوم ، كان علينا صيانة هذا الدين بالعلم وضمان الدين يكون بالعلم وليس بالجهل ، يجب علينا أن نخطو الخطوة الأولى نحو العلم ، وهى مدرسة الحى" (٢) ، وفسر عاكف قول الله تعالى : " فانظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير" (٣) فوصف الطبيعة وجمال الربيع بنضرتة واخضراره وشبه الربيع الذى يلى الشتاء بالأمة الإسلامية التى يمكنها النهوض بعد طول رقاد ، وليس ذلك بعيد ، فعلى الناس أن يتحركوا مسلحين بدينهم وايمان عميق بحق أمتهم فى عيش كريم ويعملوا بجد وتفان ليعيشوا فى ربيع دائم" (٤) ، يقول عاكف : " حلل الربيع فنبتت الاعشاب والخزاسى ، والورود ، ياوردتى أنت وحدك التى لم تنبىتى من هذا التراب ، بينما ابكى كسحاب الربيع على قبرك ، اريد أن اجش بعسبرات غزيرة حتى تبرزى من الأرض" (٥) . ومستقبل الإسلام هو وردة عاكف . " والهيب الشباب باسلوبه القوى ، فأحيا فيهم الأمل بعد اليأس والهزيمة" (٦) .

يرى عاكف أن طريق الخلاص الوحيد من جميع انواع الفساد والتعلق بذيل الغرب الذى ابتليت به تركيا منذ انفصلت عن الإسلام وحكمه . هو العودة إلى الإسلام من جديد . ووجه المسلمين إلى الإسلام وحذرهم من الانحرافات ونشر آثاره لتوعيتهم بأوضاعهم وبيّن أن هناك طريقاً معيناً للشعوب الإسلامية

(١) ديوان الصفحات : ٢١٦ . (٢) المرجع السابق : ٢٢٧ .

(٣) سورة الروم : ٥٠ .

(٤) انظر ديوان الصفحات : ٢٢٧ - ٢٣ ، شاعر الإسلام محمد عاكف ١٠١ - ١٠٢ .

(٥) ديوان الصفحات : ٤٩٥ . (٦) شاعر الإسلام محمد عاكف : ١٤٥ .

كلها يمكن أن يوءدى بها إلى العزة والعدالة والتخلص من الفساد هو طريق الإسلام . ودعا إليه وجهر بأرائه منادياً : سيرفع علم الإسلام من المكان الذى سقط فيه . وان العالم الإسلامى لن ينام بعد صحوته ولن يموت بعد بعثته . ادرك عاكف أن الإيمان والعودة إلى الإسلام هما الطريق الصحيح واهتدى إلى طريق الحق والصواب الذى رآه دواءً للأمراض . وعرض اسباب عدم رضاه عن واقع المسلمين ونجد فى آثاره الصورة العامة لحال البلاد ، أما العباد فحالهم اسوأ . ولم يكتف بتصوير الامراض بل بين طرق الخلاص منها (١) . وركز عاكف على الجانب الناقص فى المجتمع وحاول تصحيح الأخطاء ، وازالة النقص وهو مخلص فى نقده ويريد الوصول إلى نتائج طيبة لذا نصح الشباب بنقل علوم الغرب مع الحفاظ على إيمانهم (٢) .

إن مستقبل الأمة الإسلامية يتوقف على ملء فراغ الوحدة بين افرادها ، فإذا كان هذا العالم الإسلامى قد استطاع أن يبقى اربعة عشر قرناً إلى الآن ، فإنما كان ذلك فى نظر عاكف بفضل وجود الوحدة وقد تعاونت الدول الصليبية فيما بينها على العدوان على اوطان الإسلام والمسلمين . وظاهر أن المستقبل لن يكون للامم الصغيرة والضعيفة وسرقة المسلمين كانت دائماً فى وحدتهم . وسر بقائهم كان فى تضامنهم . وان طريق المسلمين فى رأى عاكف ينبغى ان يكون طريقاً واحداً هو الإسلام وفكرة الجامعة الإسلامية . والإسلام يضمن لهم البقاء والخلاص من اعدائهم وتزيل الأخوة الإسلامية جميع الخلافات وتجعل الأمة أمة واحدة كما تجعل الدولة قوية عزيزة ، فإن وحدة الغاية عند اعدائنا جمعتهم ، وهى العداوة ضد الإسلام والمسلمين بروح صليبية وحقد دفين فى قلوبهم مع الاتفاق بينهم وبين اليهود . وقد جمع الإسلام اقواماً كثيرة خلال عصور فى وطن الإسلام ويعتز المسلم بدينه وليس بقومه (٣) . وينبغى تقوية الروابط بين الشباب وبين الأسرة التى يعيش فيها أو يوءدسها . لأن ضعف الروابط بين افراد الأسرة يوءدى إلى انهيارها وضعف المجتمع الإسلامى (٤) .

والإسلام هو الحل الحقيقى والوحيد لكل مشكلات هذه الأمة خصوصاً ومشكلات البشرية عموماً وكان يرى ضرورة تربية الشباب والعناية بهم والاهتمام

(١) مجلة بحوث فى محمد عاكف : ٣٠

(٢) الرجل العائد إلى أصله يحيى كمال : ٤٩-٥١ بتصرف .

(٣) انظر ديوان الصفحات : ١٧٩ ، ٢٠٥ ، ٢٨١ ، ٢٦١ .

(٤) انظر المرجع السابق : ١١٩-١٢٠ ، ١٣٠ ، ٢٢٥ .

بتعليمهم ، وتوجيههم إلى حقائق الإسلام . وكان يحثهم على المذاكرة ويجلس معهم وينصحهم ويوجههم إلى الاستفادة من الكتب والمكتبات (١) . وكتب عن آماله فى جزء من ديوانه بعنوان " عاصم " (٢) . وهو شعر المستقل المشرق الذى ينتظره هو ، والجيل فى شعره هو جيل المستقبل الذى نشأ فى ظروف الحروب بروح الجهاد ، وهم متفوقون وسوف ينجحون فى المستقبل نتيجة اليقظة الجديدة والبعث الجديد ، وازالة الجهل بحقيقة الإسلام ، ورجوع الأمة الإسلامية إلى إسلامها الصحيح . وتحدث عن جراح الأمة فى جميع انحاء العالم ، ولم يكتف بذلك بل ابان الدواء وطرق الخلاص من والوضع السيئ " والدواء الحقيقى فى نظره هو العودة إلى الكتاب والسنة وفهمهما فهما صحيحا . واحياء مبادئ الإسلام فى روح الشباب بالتربية الإسلامية . والتسلح بأسلحة العصر ومنها العلوم التطبيقية . ويرى وجوب اتخاذ القرآن والسنة مصدرا اصليا للحركة والسلوك ويقول فى هذا الصدد :
لم ينزل هذا القرآن للقراءة على الاموات فى المقابر ، ولا ليكون اداة من ادوات السحر فى أيدي الساحر ، اعلموا هذه الحقيقة جيدا . فإن مهمة المسلمين تجاه القرآن أمر عظيم لأنه يجب أن نستلهم القرآن مباشرة ونظل ندعو حتى يتبين أهل العصر أن الإسلام حق " ويقول : هل نسى المسلمون وعد الله فى أن يورث الله الأرض للمؤمنين ؟ أو هل غفلوا عن أن الإسلام سيحكم شئون العالم ؟ وهل نسوا أن التضحية واجبة فى سبيل اعلاء كلمة الله بالأموال والأنفس ان العقيدة الإسلامية فى الحقيقة موجودة فى الضمائر ، ولكن اكبر مشاكل المسلمين فى تنازع الذين يحاولون الوصول إلى السلطة ، وكان على القادة الاتفاق ضد العدو المشترك ، ولكنهم أضعوا كل شئ فى سبيل الوصول إلى لقب أمير أو زعيم ولو على قرية صغيرة لا يمكن تطبيق الأوامر والنواهي فيها " (٣) ، ويقول فى تفسير قول الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (٤) يزعم البعض أنه " ليس للإسلام مستقبل وأن الإسلام سيزول " فإن كان هو " لا " من السفهاء الراضين بتلك العاقبة المزعومة ، فكلامهم لا يستحق الرد ، أما إن صدر القول المذكور من اخواننا فى الدين فنقول لهم : اقروا الآية السابقة جيدا مرات عديدة . فترون ان الله وعد بحفظ القرآن بكل اساليب التأكيد إلى الابد ولا يخلف الله وعده . فإن حفظ القرآن حفظ للإسلام . وحفظ الإسلام حفظ للمسلمين . إذا تصورنا عدم وجود المسلمين فلا يمكن تصور وجود القرآن على وجه الأرض . إذن لماذا هذا اليأس؟

(١) محمد عاكف لأشرف اديب : ٣٨٦ / ١ - ٣٨٧ .

(٢) محمد عاكف لسليمان نظيف : ٣٠ .

(٣) تفاسير محمد عاكف : ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) سورة حجر : ٩

لقد حرمت الأمة الإسلامية من روح الغيرة والشجاعة والعزم والعمل ، وبسبب يأس قادة المسلمين وقع العالم الإسلامي في هذه الكوارث واليأس ينتج الضعف في الإيمان ثم يقضى عليه في النهاية. فكيف يقع المؤمن القوى في اليأس أمام هذا الوعد الرباني ؟ لو كان اجدادنا يائسين مثلنا لكانت الأمانة الإلهية في أيدي آخرين غيرنا..، بالله عليكم اقتلوا اليأس الموروث من القرون ، ولنرفع الشعارات التالية : المستقبل للإسلام . نحن مع الإسلام إلى الابد " ، ولنعمل ليل نهار بهذا الإيمان والاطمئنان (١) .

ويقول عاكف في تفسير قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) (٢). وقد وعد الله تعالى فسي هذه الآية ان دين الحق سيتغلب - بلا استثناء - على جميع الأديان ، وسيكون حاكما مطلقا على وجه الأرض ولم يكتف بالوعد بل اخبرانه شهيد على ذلك ، هذا وعد عظيم وتأيد كبير ، ذهب بعض المفسرين إلى ان هذا الوعد تحقق بفتح مكة ، ونحن لانؤيد هذا الرأي ، بل نرى أن وعد الله سيتحقق بغلبة دين الحق بصورة قطعية وقاهرة على غيره من الأديان . وواجبنا العمل ونحن موقنون أن ، للإسلام مستقبلا مشرقا (إن الله لا يخلف الميعاد) (٣) (ولن يخلف الله وعده) (٤) (وعد الله لا يخلف الله وعده) (٥) ونحن نردد هذه الآيات بالسنتنا وان من الغريب أننا لانثق في تحقيق وعد الله ، يجب العمل لتحقيق مستقبل نوراني للإسلام كما وعده الله تعالى ، أيها المسلمون أنتم مستمرون في البطالة ولكن الزمان وسفهاءه لا يتوقفون يريدون تمزيق روابطنا ليجعلوها كأوراق كتاب ممزق. وهم يعملون لتحقيق اهدافهم ويهاجمون مشاعر الإسلام واخلاقه.، وكان من واجبكم العمل لتحقيق غايتكم أين ذهب إحساسكم ؟ لقد نشط الزنادقة وأبطأ المسلمون السادقون فلا حول ولا قوة الا بالله" (٦) . ورغم كل شيء " توجد في الأمة آثار الحياة ، وليس لليأس داع ، وإلى الله المصير" (٧). يقول تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) (٨) (والله العزة ورسوله

(١) تفاسير محمد عاكف : ١٦٤ (٢) سورة الفتح : ٢٨ .

(٣) سورة الرعد : ٣١ (٤) سورة الحج : ٤٧ .

(٥) سورة الروم : ٦ (٦) تفاسير محمد عاكف : ١٧٣-١٧٤ .

(٧) المرجع السابق : ١٨١ (٨) سورة الانبياء : ١٠٥ .

وللمؤمنين (١) ، (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (٢) ، (ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) (٣) ، ولا يقبل مضمون هذه الآيات أى تأويل والذين يؤولونها يعرضون عن سبيل الحق ويقعون فى التحريف ، فإن الله وعد هذه الأمة بوعده أن سيكرم المسلمين بالنصر والعزة وعلو المقام والمنزلة والله لا يخلف وعده . ولم يحدد لمجد الأمة وشرفها حداً ولا لعزتها نهاية ولن يغلق طريق هدايتها إلى يوم القيامة " ، هل نشك فى الوعد بالنصر بعد التأكيدات المذكورة ؟ حاشا . ليس الأمر كذلك . فإن واجبنا : أن نحاسب انفسنا ، وقد جعل الله قوانين ثابتة لسير الأمم وأخبرنا أنها لا تتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلاً . .) (٤) وقد حصل سقوط الأمم نتيجة خروجها على هذه القوانين الفطرية ونحن قد جعلنا الأوامر الربانية نسياً منسياً ولم ننصر دين الله لذا عاقبنا الله بسبب سوء أعمالنا " (٥) ، " ليرجع كل واحد منا إلى نفسه لسمع صوت ضميره وليبتعد عن وساوس الشيطان ، فليصلح حاله قبل يوم الندم فليكن من أبرار الأمة كما وصفهم الله تعالى . وليجمع كل واحد مناصفات المسلم وخصائص الإيمان . إن طبقنا ذلك فى انفسنا فسوف يظهر العدل الربانى ونسلك طريق الهدى . سبحان الله الأمة أمة واحدة . والحفاظ على الأمة ضد الأعداء من أهم الفرائض الدينية ورغم ثبوت ذلك بالنص والاجماع نرى غزو اعدائنا بلاد الإسلام . ونحن لانعد اسباب القوة . يا أهل القرآن إن لم تتبعوا أثر السلف الصالح ، وإن لم تنفذوا الأوامر وتجتنبوا النواهي ، وإن لم تقتدوا بهذا القرآن فى كل أموركم . فلن تكون لكم علاقة بالقرآن ، يقول القرآن فى وصف الكفار (فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظراً مغشى عليه من الموت) (٦) فهل ترضون بهذا الوصف ؟ أقول بلا خجل : إذا دخل الإيمان فى قلب أحد فإنه يقدم ماله ونفسه فى سبيل الله فوراً ، لا يقبل منه عذر ولا علة ، لأن التخلف عن نصره دين الله واختلاق المعاذير فى هذا الصدد من علامات النفاق " (٧) .

لاشك ، كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخير لا ينقطع فى هذه الأمة إلى يوم القيامة والحال الحاضر عرض زائل ، فلو قام العلماء الاتقياء

-
- (١) سورة المنافقون : ٨ (٢) سورة الروم : ٤٧ .
(٣) سورة الفتح : ٢٨ (٤) سورة الاحزاب : ٦٢ .
(٥) انظر تفاسير محمد عاكف : ١٨٦-١٨٩ .
(٦) سورة محمد : ٢٠ (٧) انظر تفاسير محمد عاكف : ١٩٥

باداءً واجبههم لله ورسوله وللمؤمنين كما يتوقع منهم ، وعملوا لإحياء روح القرآن وذكروا معانيه الشريفة للمؤمنين ، ووجهوا انظار الأمة إلى وعد الله الذي لا يخلف فسئرى أن الحق سيعلو ، ويقهر الباطل ، ويظهر النور والاعمال الطيبة لأحياء الافكار الطيبة . وتوقف آمالنا في الآونة الأخيرة حركات بعض المسلمين في انحاء العالم ، وتبشرنا بالخير . ونأمل أن تزول اسباب التفرقة وتعود الوحدة السابقة مرة أخرى ، ويجب أن يسارع العلماء إلى هذا الأمر الخير . . ، والفضل لمن يبدأ العمل (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) (١) الآية (٢) ويقول عاكف في تفسير قوله تعالى (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٣) إن اسوأ انواع الموت هي أن يموت الإنسان وقد يئس من المستقبل لانقطاع أمه . . فيه ، والمسلم لا يموت به . يامسلم لماذا تضع طريقك قائلاً : المستقبل مظلم ، ولماذا تترك التمسك بالاسباب وتقع في يأس ، ولك حق الحياة في الدنيا كالأخرين ، ولكن أين ثباتك في عزمك مثلهم ، تضع البلاد إن لم يحافظ عليها اصحابها . أما إن حافظت على بلادك فلن تضع " (٤) ، ومن اساليب عاكف أن يدعو ربه بالدعوات المخلصة ويتمنى مستقبلاً مشرقاً وهدى للمسلمين (٥) .

ينصح عاكف الأمة في إحدى مواعظه قائلاً : مضى ما مضى وينبغي علينا أن نعمل لخلص ما تبقى من حياتنا . وليس من عمل العاقل أن يرضى بالواقع السيء ويقع في يأس . إن لم نستيقظ من غفلتنا ، وإن لم نتمسك بالقرآن تماماً ونترك النفاق والشقاق ، وإن لم نترك السياسة المجنونة التي تفصل بين تركي والبناني وعربي وكردى ، وإن لم ندرك أن البطالة والمسكنة حرام في الإسلام ، وإن لم نوقن ان الاسلام لا ينتصر بالجهل ، وإن لم نعمل بكل قواتنا لنكون اقوى من اعدائنا وإن لم نستورد علوم الغرب وليس فساده هل تعرفون ماذا يحصل ؟ نعوذ بالله سنخجل أمام الأمم ، وسنكون أسوأ منسوبي الإسلام . الحمد لله لم يهلكنا الله القهار المنتقم ، ولكن إن ظللنا في العصيان ضد قوانين الفطرة فسيخذلنا الله ، وهناك اقوام لم يتخلصوا من الخسران الدائم ولن ينجوا منها وهم اليهود " (٦) .

- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------|
| (٢) انظر مواعظ محمد عاكف : ٢٨-٢٩ . | (١) سورة الكهف : ١٧ |
| (٤) ديوان الصفحات : ١٧٥-١٧٦ . | (٣) سورة يوسف : ٨٧ |
| (٦) تفاسير محمد عاكف : ١٠٤-١٠٥ . | (٥) انظر المرجع السابق : ٢٤١ |

ينبغي على الأمة الإسلامية الحفاظ على قوتها وصبرها ضد الاعداء ويجب عليهم الجهاد وهم يرددون قوله تعالى (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (١) إن أردنا الحياة فلنحافظ على هذه الروح الإسلامية ولا نقتلها، ونعوذ بالله من دعوى التفرقة " (٢) .

و هذه خلاصة آراء عاكف في مستقبل هذه الأمة : لقد حذر من اليأس والقنوط ، وبين أن الإسلام دين عزة وقوة وتضامن دائما . نعى على المسلمين غفلتهم ودعاهم إلى تصفية الخلافات بينهم وحذرهم من مغبة النزاع وهو أمر تناوله عاكف في جميع آثاره ومواعظه دعا المسلمين إلى الأخذ بأسباب القوة التي كانت سببا في نهضة اعدائهم. أكد ان الوحدة امر من الله وأنها ضرورية لتحقيق مستقبل مشرق وقد جاء في بعض قصائده ربط بين توحيد الله بالعبادة - خصوصا في ذكره امثلة من الصلاة مع الجماعة - وبين وحدة الأمة . حض المسلمين على التأزر والذود عن الدين و الحفاظ على شرعه ، وحذر من موالاته المستعمرين اعداء الإسلام من الصليبيين واليهود . الخ . صور أطماع الغرب الصليبي في البلاد الإسلامية وانه يريد اعادة مأساة الاندلس، وعرض صورا من المأسى التي حلت بالمسلمين في البلقان وغيرها وقصد ايقاظ المسلمين وتنبههم ، وأخبر أن يوم الخلاص قريب بعد صحوة الأمة وبعثها من نومها .

وقد أشار عاكف في كتاباته إلى المستقبل اشارة موحية للاجيال القادمة وها نحن نرى انتشار الدعوة الاسلامية في الجامعات بين البنين والبنات بعد أن جعلت تركيا قطعة من الغرب ولو كان الأمر كما دعا إليه المنحرفون لانحرف الجميع ، ولكن ارادو شيئا واراد الله شيئا آخر . فقد قاوم الشعب التركي الإلحاد بعاطفة دينية قوية . ونشاهد اليوم في المساجد آلاف المصلين ومن بينهم شباب الجامعات . ويخطب الخطباء ناقدين السياسة العلمانية ومنادين بضلالها وادى الضغط الشعبي الى السماح باصدار مجلات وصحف اسلامية كما ضغط الشعب المؤمن على نوابه إذ انتهز الشعب التركي فرصة الانتخابات عام ١٩٥٠ م - بعد وفاة عاكف بأربعة عشر عاما - فاشترطوا على النواب أن يعملوا على اعزاز شأن الإسلام . وكان ذلك سبب رجحان كفة الحزب الديمقراطي الذي اعلمسن خلال معركة الانتخابات أنه : " سيعيد الدين إلى تركيا " ووفى الحزب بوعدده في بعض جزئيات الدين فأعاد الأذان باللغة العربية في تركيا. وأظهر الشعب

التركي شعوره الديني بأروع المظاهر يوم انطلق صوت المؤذن لأول مرة بعد العهد السابق ينادى الله اكبر . وتلا إعادة الأذان باللغة العربية تدريس القرآن وتخصيص اوقات لإذاعة القرآن من الإذاعة التركية بنصه المنزل وليس بالترجمة التركية كما كان الحال فيما سبق . والقاء احاديث في الوعظ والإرشاد الإسلامي كذلك تأليف لجان متعددة لانشاء مساجد جديدة وجمع التبرعات لها .

وكان عاكف يقول : " ينبغي العمل مع الإيمان " (١) واجبنا العمل المستمر المتواصل بالجد والإخلاص لغاية علوية والتوفيق من الله تعالى (وأن ليسر للانسان الا ماسعى) (٢) -

هانحن أولاء نرى بشائر ما دعا إليه عاكف من صحوة إسلامية مباركة نرجوا من ورائها الخير للإسلام والمسلمين . لقد كان قلب عاكف ينبض بالإيمان وكان كأنه ينظر بنور الله ، فيرى المستقبل المشرق رغم ما كان يحيط به من الظلمات .

(١) شاعر المساجد محمد عاكف : ٥٠ .

(٢) سورة النجم : ٣٩ .

العثمانية

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة :

أولاً : عاش محمد عاكف أيام ضعف الدولة العثمانية وتحالف القوى الصليبية والصهيونية وتحركها ضد الإسلام والمسلمين . وتمزيق الدولة العثمانية وتفسيها وازالتها من الوجود . وازالة الخلافة الإسلامية وضياع فلسطين .

ثانياً : من ابرز الشخصيات الإسلامية التي صورت امراض الأمة وبينت علاجها محمد عاكف في تركيا . وقد كان من أهم مشاكل المسلمين في أيامه " الغزو العسكري للعالم الإسلامي " ، ووقف عاكف ضد هذا الغزو بكل امكانياته المادية والمعنوية أيام حرب البلقان والحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال في تركيا . ودعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية ودافع عنها .

ثالثاً : كان في المجتمع الإسلامي عناصر نصرانية ويهودية ولهم دور في افساد المسلمين والقضاء على دولتهم . كما كان في المجتمع الإسلامي نفسه بعد عن الإسلام يتمثل في انتشار البدع والخرافات والانحرافات وذلك نتيجة عدم التعليم على المستوى المطلوب وعدم معرفة المسلمين حقيقة الإسلام بشكله الصحيح .

رابعاً : انتشرت التيارات المعادية للإسلام ومنها فكرة القومية والوطنية وفكرة الإنسانية والعالمية والإلحاد والتغريب ، ولليهود دور كبير في انتشار هذه الافكار عن طريق حزب الاتحاد والترقي . كما لهم دور في انتشار الفساد الخلقى .

خامساً : كان لعاكف موقف من التيارات الفكرية المعادية للإسلام في عصره ووقف ضد جميع هذه الافكار . ورد على اصحابها وحاول ايقاظ المسلمين إزاءها .

سادساً : يعتبر عاكف مصلحاً إسلامياً ، ارشد المسلمين ووجههم إلى حقيقة الإسلام ودافع عن وحدة المسلمين ووقف ضد الحركات الانفصالية .

سابعاً : كان محمد عاكف داعية إسلامياً له جهود في الدعوة الإسلامية بأساليب وطرق مختلفة منها : مواعظه وارشاداته في المساجد ، ومنها تحريره

مجلة الصراط المستقيم ثم سبيل الرشاد . ونشره المقالات وتأليفه الكتب وترجماته من اللغة العربية والفارسية والفرنسية كما له جهود في الدفاع عن الإسلام بالأعمال مثل تكوين حلقات الدروس خصوصاً بين المثقفين وتربية الناشئين في جميع مراحل التعليم والتربية ودافع عن العقيدة الصحيحة وعارض معارضة شديدة البدع والخرافات والانحرافات وحاول إزالتها . وله جهود عن طريق المؤسسات والمنظمات الإسلامية . كما دافع عن الحضارة الإسلامية المادية والمعنوية وأبرز حقيقة الحضارة الغربية وبين أنها حضارة وحشية وحذر عن الانحرافات في الفكر والسلوك ودعا إلى الإسلام الصحيح ولتحقيق ذلك دعا إلى التمسك بالكتاب والسنة .

ثامناً : له محاولات في تصحيح المفاهيم الإسلامية وعقائد المسلمين مثل مفهوم الإيمان والعبادة والقضاء والقدر والتوكل ومفهوم الدنيا والآخرة ، وله جهود في تصحيحها بربدها إلى صورتها الأولى المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح . وحاول إزالة ما علق بها من انحراف خلال التاريخ .

تاسعاً : له آراء في مستقبل الأمة الإسلامية كما له جهود في إيقاظ المسلمين وإزالة اليأس من نفوسهم ودعا إلى طريق الخلاص بالعودة إلى الإسلام من جديد وإحياء سيرة السلف الصالح بالإخلاص وروح الجهاد ، ورثى محمد عاكف لأئمة . وعمل من أجل خلاصها ودافع عن اتحاد المسلمين . وكان مخلصاً في دعوته وتوجيهاته كما هو ظاهر في إنتاجه يرحمه الله .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : قائمة الكتب والمصادر عن محمد عاكف باللغة التركية :

- (١) آيات من القرآن الكريم، لمحمد عاكف ، جمعه وقدمه عمر رضا دوغان ، دار النقوش ١٩٧٦ استانبول ، ونشره ايضا بتعليقات، سعاد زهدى اوزالب ١٩٧٧ أنقرة .
- (٢) بحوث في محمد عاكف - حياته آثاره افكاره شخصيته عصره ومحيطه - لأرطغرول دوزداغ، الناشر : جامعة مرمره كلية الالهيّات مركز بحوث محمد عاكف ، ط ١ ١٩٨٧ استانبول ، وطبع الجزء الثاني منه فى : ١٩٨٩ استانبول .
- (٣) تحدث المفكرون عن محمد عاكف ، مجموعة مقالات لعديد من الكتاب ، الناشر : جمعية المثقفون ١٩٨٦ استانبول .
- (٤) تدقيقات فى ديوان الصفحات وأفكار محمد عاكف ، لأرطغرول دوزداغ ، ط ١ دار مد ، ١٩٧٩ ، استانبول .
- (٥) خطب محمد عاكف ، لمعروف أفران ، دار الأناضول ١٩٨٢ استانبول .
- (٦) ديوان الصفحات لمحمد عاكف بمقدمة عمر رضا دوغان ، طبعة دار الانقلاب ط ٧ ، استانبول .
- ديوان الصفحات بمقدمة أرطغرول دوزداغ باللغة التركية . وجمال مختار باللغة العربية . الناشر : وقف كلية الالهيّات باستانبول ١٩٨٧
- ديوان الصفحات بمقدمة أرطغرول دوزداغ طبعة وزارة الثقافة والسياحة ط ١ ، ١٩٨٧ ، أنقرة .
- ديوان الصفحات المحقق ، حقه وعلق عليه أرطغرول دوزداغ ، الناشر ، وزارة الثقافة والسياحة ، ١٩٨٧ ، استانبول .
- ديوان الصفحات بمقدمة أرطغرول دوزداغ دار قونجه ١٩٨٧ استانبول .
- ديوان الصفحات بمقدمة الناشر ، دار آقبيمار ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، استانبول .
- ديوان الصفحات لمحمد عاكف - بالحروف العربية - دار الآثار العلمية ، ط ٣ ، ١٣٤٦ ، ١٩٢٨ ، استانبول .
- (٧) رواية شاعر إسلامي محمد عاكف ، لمحمد امين ارشلجيل ، من منشورات البنك العمل التركي ، ١٩٨٦ ، أنقرة .
- (٨) شاعر الإسلام محمد عاكف ، لوهبي وقاص اغلو ، دار آسيا الجديدة ، ط ٢ ، ١٩٧٦ ، استانبول .

- (٩) شاعر المساجد محمد عاكف، لمحمد دوغان، ط.، دار النهر، ١٩٨٩، استانبول
- (١٠) شاعرنا لنشيد الاستقلال، ومواعظه في حرب الاستقلال، لحسن بوشناق أغلو ط٢، ١٩٨١، استانبول.
- (١١) شاعر النشيد الوطني محمد عاكف في ذكرى وفاته السادس، لمدحت جمال كونطاي، دار الكو، ١٩٤٤، انقره.
- (١٢) شخصية محمد عاكف للاستاذ محمد أورخان أوقاي، دار أقجاي، ١٩٨٩، استانبول
- (١٣) عاكف بجبهاته الثلاثة من اقلام الشباب - إيمانه جهاده فنه جانبه الاجتماعي مصطفى وارلى واصحابه، دار الحضارة الإسلامية، ط١، ١٩٦٨، استانبول.
- (١٤) عاكف نامة (محمد عاكف) لحسن بصرى جانطاي، الناشر: مرشد جانطاي، ١٩٦٦، استانبول.
- (١٥) العصرانية أم الاستسلام، جمعه ونشره عن محمد عاكف دار الاحياء، ١٩٨٣، استانبول.
- (١٦) محمد عاكف، لسليمان نظيف دار الحركة الملية، ١٧، ١٩١٩، استانبول.
- (١٧) محمد عاكف لنور الدين طوبجى، دار الحركة، ١٩٧٠، استانبول.
- (١٨) محمد عاكف، لأحمد قبلى، دار طوكر ط١، ١٩٧٠، استانبول.
- (١٩) محمد عاكف لسزائى قراقوج، دار البيعت ط٥، ١٩٨٥، استانبول.
- (٢٠) محمد عاكف لعثمان نوري أكيز، دار طوكر، ١٩٨٥، استانبول.
- (٢١) محمد عاكف أرسوى، لأرطغرول دوزداغ، الناشر: وزارة الثقافة والسياحة ١٩٨٨، استانبول.
- (٢٢) محمد عاكف بعد خمسين عاما من وفاته، لياوزبولند باقيلير، الناشر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٦، انقره
- (٢٣) محمد عاكف بعد خمسين عاما من وفاته، مجموعة مقالات، من منشورات جامعة مرمره، ١٩٨٦، استانبول.
- (٢٤) محمد عاكف حياته وآثاره لغوزية عبدالله طانسئل، دار عرفان ط٢، ١٩٧٣، استانبول.
- (٢٥) محمد عاكف حياته آثاره وتأثيره، لولى أرطان، دار بهار، ١٩٦٩، استانبول.
- (٢٦) محمد عاكف حياته آثاره شخصيته وافكاره، لجميل سنا أولجون، ط١، دار التفييز، ١٩٤٧، استانبول.
- (٢٧) محمد عاكف حياته آثاره وكتابات سبعين محرر فيه، لأشرف اديب، دار الآثار العلمية، ط١، ١٩٣٨، استانبول.

- (٢٨) محمد عاكف حياته سجيته فنه وآثاره ، لمدحت جمال كونطاي ، دارسميح لطفي ، ط ١ ، ١٩٣٩ ، استانبول .
- (٢٩) محمد عاكف حياته فنه وجهاده ، لصالح الدين يشار ، دار آسيا الجديدة ١٩٨٥ ، استانبول .
- (٣٠) محمد عاكف والمؤلفات فيه بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته لمحمد سرحان طاشجي وصاحبه ، دار العثمانية ١٩٨٦ استانبول . ذكر فيه ثمانية وثمانون كتابا في محمد عاكف من بينها بحوث التخرج من جامعات تركيا . في تخصصات متنوعة .
- (٣١) محمد عاكف ومجتمعنا ، للاستاذ فاروق قدير تيمور طاش ، الناشر وزارة الثقافة والسياحة ط ١ ، ١٩٨٧ ، انقره .
- (٣٢) محمد عاكف ونشيد الاستقلال لمحى الدين نلبنت اغلو ، دار ولى ، ١٩٨١ ، استانبول .
- (٣٣) مواعظ حرب الاستقلال ، لمحمد عاكف واسماعيل حقى مناصطرى ، الناشر دار البهار ١٩٨٣ ، استانبول .
- (٣٤) مواعظ محمد عاكف ، جمعه ارطغرول دوزداغ ، دار قونجه ١٩٨٩ ، استانبول .
- (٣٥) نشيدنا الاستقلال وتاريخه ، لمحى الدين نلبنت اغلو ، دار جم ١٩٦٤ ، استانبول .
- (٣٦) نشيدنا الوطنى واسراره ، لعصمت اقبال ، ١٩٨٤ ، استانبول .

ثانيا : مراجع أخرى باللغة التركية :

- (١) أثر السنين ، لماهراز ، دار عرفان ١٩٧٥ ، استانبول .
- (٢) الاجتماع الوزراء الأول للنقل والمواصلات للدول الاعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى - مجموعة البحوث - ١٩٨٧ استانبول .
- (٣) اسرار حادثة ملا من ، لجواد رفعت آتلخان ، دار ايقوت ١٩٦٨ ، استانبول
- (٤) الإسلام والمسئلة القومية فى تركيا ، لارطغرول دوزداغ ، دار تور ط ٣ ، ١٩٨٣ استانبول .
- (٥) الاسس الطورانية لضيا كوك الب ، الناشر : وزارة الثقافة والسياحة ١٩٨٦ ، انقره .

- (٦) الاكاديمية الإسلامية الأخيرة، لصديق البيراق، دار المدرسة ١٩٧٩، استانبول.
- (٧) اليوم العثمانيين، لعبد القادر دادا اغلو، دار العثمانية . استانبول
- (٨) بحوث على المثقفين، لياالجين كوجك، دار تكين ١٩٨٤، استانبول.
- (٩) البدع والخرافات المدسوسة في الإسلام، لمصطفى أويصال، دار اويصال، قونية، تركيا.
- (١٠) بديع الزمان سعيد الندسى - المسلم المثالي في عصرنا - لجمال كوطاي، دار آسيا الجديدة . ١٩٨٠، استانبول.
- (١١) تاريخ الأدب التركي المصور والمنقوش من أيام التنظيمات إلى الجمهورية . لسيد كمال قرا على اغلو، دار انقلاب وعقا ١٩٧٨، استانبول.
- (١٢) التاريخ الإسلامي من البداية إلى عام ١٩١٨ بخطوطه العريضة، لنورى أنسو، الناشر : اوقاف كلية الالهيات، استانبول.
- (١٣) تاريخ اوبرة لجواد ومدوح الطار، الناشر: وزارة الثقافة والسياحة، ١٩٨٢، انقره.
- (١٤) تاريخ تركيا الكبيرة، ليلماز اوز طنا، دار اتوكن ١٩٧٨ . استانبول.
- (١٥) التاريخ خلال صفحات، لاحسان سريا صرمار، دار السلام، قونية تركيا .
- (١٦) التاريخ العثماني، لانور ضيا قرال، الناشر، جمعية التاريخ التركي ١٩٨٤ انقره.
- (١٧) التاريخ العثماني، لاسماعيل حقي ازون جارشلي، الناشر : جمعية التاريخ التركي، ١٩٨٤، استانبول.
- (١٨) تاريخ فكرة حاكمية العالم عند الأتراك، لعثمان طوران، دار اتوكن . استانبول
- (١٩) تاريخ معارف الترك، لعثمان ارجين، مطبعة اثر ١٩٧٧، استانبول
- (٢٠) التشكيلات المخصصة، المخابرات العثمانية بالوثائق - لأرجون هيچ يلماز دار ايصال ١٩٧٩، استانبول.
- (٢١) التعليم العالي الإسلامي في العثمانيين - البرامج والشهادات وحركات الاصلاح د . حسين آطاي، دار دركاه، ط ١، ١٩٨٣، استانبول.
- (٢٢) تفاسير محمد عاكف، جمعه ارطغرول دوزداغ دار قونجه ١٩٨٩، استانبول
- (٢٣) جامعة استانبول في عامها الخمسين بعد اعلان الجمهورية التركية، جماعة من المؤلفين من الجامعة نفسها، مطبعة سرعت ١٩٧٣، استانبول.
- (٢٤) الجاهلية الحالية، لأيسال زينب طوز دومان . دار الانقلاب ط ١، ١٩٨٧، استانبول.
- (٢٥) جسر الثقافة من سليمان جلبى إلى محمد عاكف، لنهاد سامى بنارلى دار قبه التي، ١٩٨٥، استانبول.

- (٢٦) الجنايات السياسية فى التاريخ القريب ، لمصطفى مفتى اغلو، دار المحنة
١٩٧٦ ، استانبول .
- (٢٧) الحركات الشيوعية فى تركيا، لإلحان دار ندلى اغلو، ط ٥ ، دار طوكور،
١٩٧٩ ، استانبول .
- (٢٨) الحركات الملطية فى تركيا ، لإلحان دار ندلى اغلو ، دار طوكور، ط ٣ ، ١٩٧٧
استانبول .
- (٢٩) حياة بديع الزمان سعيد النورسى وترجمته ، الناشر : دار الكلمات، ١٩٧٦
استانبول .
- (٣٠) خيانة التغريب لمحمد دوغان ، دار دركاه ، استانبول .
- (٣١) دائرة المعارف الراءد لجريدة تركيا ، لانور اوزان مطبعة الاخلاص، استانبول .
- (٣٢) دروس الحضور، لأبى العلاء ماردىن ، دار الأثر ١٩٧٧ ، استانبول .
- (٣٣) ذكريات رضا نور، حققه قدير مصر اغلو ، دار قياخان ١٩٧٤ ، استانبول .
- (٣٤) ردود الشيخ محمد عبده على هجمات هانوتو ترجمة محمد عاكف، دار سبيل
الرشاد ١٣٣١ هـ استانبول .
- (٣٥) رواية ثروة الفنون من ناحية التغريب ، لجاهد كارجا ، الناشر: وزارة الثقافة
والسياحة ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، انقره .
- (٣٦) سعيد النورسى ، بديع الزمان مع جبهاته المجهولة ، لنجم الدين شاهين ار
دار آسيا الجديدة ، ط ٦ ، ١٩٧٩ ، استانبول .
- (٣٧) السلطان العظيم عبد الحميد الثانى ، لنجيب فاضل قيصه كورك ، دار الشرق
الكبير، ط ٤ ، ١٩٨١ ، استانبول .
- (٣٨) سلاطين العثمانيين ، لرشاد اكرم قوجى ، دار آنا ، ١٩٨١ ، استانبول
- (٣٩) سنوية الثقافة والفن فى تركيا ، مجموعة من البحوث ١٩٨٧ ، استانبول
- (٤٠) فتاوى شيخ الإسلام ابو السعود وحياة الأتراك فى القرن السادس عشر، جمعه
ارطغرول دوزداغ، دار اندرون ١٩٨٣ ، ط ٢ ، استانبول .
- (٤١) الفكرة الإسلامية فى تركيا. المتون والشخصيات، لاسماعيل قارا ، دار الرسالة
طبع الجزء الأول عام ١٩٨٦ ، والجزء الثانى عام ١٩٨٧ ، استانبول .
- (٤٢) لعبة الصهيونية ، لجمال اناضول ، دار الصحافىن ، ط ٤ ، ١٩٨٧ ، استانبول .
- (٤٣) المؤسسات العلمية فى الدولة العثمانية ، د . اسماعيل حقى ازون جارشلى ، الناشر
جمعية التاريخ التركى ، ١٩٨٤ ، استانبول .
- (٤٤) المؤسسات الادارية فى الدولة العثمانية ، د . اسماعيل حقى ازون جارشلى ،
الناشر: جمعية التاريخ التركى ١٩٨٦ ، انقره .

- (٤٥) مجلة الخزامى ، من منشورات وقف النفط التركي العدد : ٣ نوفمبر ١٩٨٥
- (٤٦) مجلة صوت تركستان الشرقية ، العدد ٣ ، مركز النشر التركستان الشرقية
ذى الحجة ، ١٤٠٤ سبتمبر ١٩٨٤ ، تركيا .
- (٤٧) محنة السائرين على طريق الشريعة ، لصادق البايراق دار المدرسة ١٩٧٩
استانبول .
- (٤٨) مخربون الدين بدعوى الاصلاح الدينى ، لاحمد داود اغلو ، دار صغلام ،
ط٢ ، ١٩٨٠ ، استانبول .
- (٤٩) المرأة المسلمة ، لغريد وجدى ، ترجمة محمد عاكف ، وقدمه محمود جام ديبى
دار سنان ١٩٧٢ ، استانبول .
- (٥٠) مسائل الصوفية الإسلامية ، د . ارول كونكور ، دار اتوكن ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، استانبول
- (٥١) مظالم موسكو ، لقدير مصر اغلو ، دار السبيل ، ١٩٧٥ ، استانبول .
- (٥٢) مظالم اليونان ، لقدير مصر اغلو ، دار السبيل ، ١٩٧٤ ، استانبول .
- (٥٣) من الأمس إلى الغد ، لارطغرول دوزداغ ، دار ماد ، ط١ ، ١٩٧٨ ، استانبول
- (٥٤) منتخبات من كتب ضيا كوك الب ، كزكى ياعمر درلى ، الناشر : وزارة الثقافة
والسياحة ١٩٨٧ ، ط١ ، انقره .
- (٥٥) من الشريعة إلى العلمانية ، الحروب بين الإسلام والتغريب فى تركيا ، لصادق
البا يراق ، دار السبيل ١٩٧٧ ، استانبول .
- (٥٦) منصب البطريرك فى استانبول واطواع تركيا ، لسريا شاهين ، دار اتوكن
١٩٨٠ ، استانبول .
- (٥٧) مقالات محمد عاكف ، جمعه عبد الكريم عبد القادر اغلو ونوران عبد القادر اغلو
الناشر : وزارة الثقافة والسياحة ط١ ، ١٩٨٧ ، انقره .
- (٥٨) مقالات محمد عاكف ، جمعه ارطغرول دوزداغ ، الناشر : مام ، ١٩٨٨ ، استانبول .
- (٥٩) المنظمات العسكرية فى افراد الجدد فى الدولة العثمانية لاسماعيل حقى
ازون جار شلى ، الناشر : جمعية التاريخ التركى ١٩٨٥ ، انقره
- (٦٠) النطق ، لمصطفى كمال اتاترك ، دار رئاسة الوزراء ، ١٩٨٤ ، انقره .
- (٦١) نهاية الخلافة لناشد حقى أولوغ ، الناشر : بنك العمل التركى ، ط١ ، ١٩٧٥
استانبول .
- (٦٢) الوحشة المدنية (الحضارية) لحسنى اقطش ، دار التفكير . ١٩٨٠ ، استانبول .
- (٦٣) يا ابن التركى تعرف على عدوك ، لجواد رفعت آطلخان ، دار ايكورت ، ط٤ ،
١٩٦٦ ، استانبول .

(٦٤) يحيى كمال ، الرجل العائد إلى أصله - جمعه : بشير ايواز اغلو ، دار نشر الوحدة ط ١ ١٩٨٥ ، استانبول .

ثالثا : الدوريات التركية التي فيها بحوث ومقالات عن محمد عاكف :

المجلات :

آسيا الصغرى ، الآمال الجديدة ، ابحاث في محمد عاكف ، الناشر : وقف محمد عاكف الفكرى والفنى بانقرة ، الأدب التركى الاعداد الخاصة لمحمد عاكف ، الأدب الإسلامى ، الاسرة ، اسرتنا ، الإسلام ، اقرأ ، الاقتراح ، الاكاديمية ، البذرة ، التاريخ والحياة ، التاريخ يتحدث ، التعليم الملى لوزارة التعليم الوطنى ، التعليم الملى لاقاف التعليم الوطنى ، ثروة الفنون ، الثقافة الملية الناشر : وزارة الثقافة والسياحة الاعداد الخاصة لعاكف ، الجسر ، الحضارة الإسلامية ، الخزامى ، الدعوة إلى الفكر المطلق ، الدعوة ، رئاسة الشؤون الدينية ، الراية ، سبيل الرشاد ، الصراط المستقيم ، صوت تركستان الشرقية ، العلم والفن ، العلم ، كلية الإلهيات باستانبول ، المجادلة ، المحن ، المدرّس الشاب ، المكتوب - الرسالة - الميزاب ، الهلال ، الوطن التركى .

الصحف :

أضواء الأنباء ، ترجمان ، تركيا ، جريدة طان ، جريدة الملى ، الحاكمة ، الملية ، الزمان ، القول الواضح .

رابعا : الدوريات العربية التي فيها بحوث حول محمد عاكف وعصره :

المجلات :

الأدب ، الأمان ، الحج ، الرسالة ، الشعر ، المجتمع ، المعرفة ، المنار ، اليمامة .

خامسا : قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية :

أ (القرآن الكريم .

ب) كتب الحديث النبوى الشريف :

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم ، دار المعرفة

بيروت .

- (١) الجامع الصحيح ، ابو عيسى الترمذى ، الناشر مصطفى الحلبي ، القاهرة
- (٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين الالبانى ، المكتب الاسلامى دمشق .
- (٤) سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٢ القاهرة
- (٥) سنن ابى داود لابى داود سليمان بن الاشعث ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، دار احياء السنة النبوية ، القاهرة .
- (٦) صحيح البخارى ، لمحمد بن اسماعيل البخارى ، المكتبة الاسلامية ، ١٩٨١ ، استانبول .
- (٧) المعجم الصغير للطبرانى ، طائفة ١٣٨٨ ، السلفيه بالمدينة المنورة
- (ج) مراجع اخرى :
- (أ)
- (٨) انا ترك وخلفاؤه ، لمصطفى الزين ، دار الكلمة للنشر لبنان .
- (٩) الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤ ، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية ، لعلى المحافظة ، دار الاهلية للنشر والتوزيع ط ٣ ، ١٩٨٠ ، بيروت .
- (١٠) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، لعهلى جريشة ، دار الوفاء ط ١ ، ١٤٠٧-١٩٨٦ مصر .
- (١١) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر لمحمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ط ٧ ، ١٤٠٥-١٩٨٤ ، بيروت .
- (١٢) الادب التركى الاسلامى ، لمحمد ميد اللطيف هريدى ، اشرفت على طباعته ونشره ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ط ١ ، ١٤٠٧-١٩٨٧ الرياض .
- (١٣) اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى لعلى محمد جريشة ومحمد شريف الزبيبي ، دار الاعتصام ط ٢ ، ١٣٩٨-١٩٧٨ .
- (١٤) اسرار الانقلاب العثمانى لمصطفى طوران نقله الى العربية : كمال خوجيه دار السلام ط ٢ ، ١٣٩٨-١٩٧٨ ، بيروت .
- (١٥) الاسرار الخفية وراء الغممة الخلافة العثمانية دراسة حول كتاب النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة لشيخ الاسلام مصطفى صبرى ، تقدم بهود ولسة د . مصطفى حلمى ، ط ١ ، دار الدعوة ١٤٠٥-١٩٨٥ ، اسكندرية .

- (١٦) اسرار الماسونية ، تأليف : الجنرال جواد رفعت آتسخان ، ترجمة عن التركيبة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد امين القابلي ، ١٣٧٦ هـ .
- (١٧) الإسلام والثقافة العربية لانور الجندى ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧ ، ط ١
- (١٨) الإسلام والحضارة الغربية ، لمحمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ط ٥ ، ١٤٠٢ .
- ١٩٨٢ ، بيروت .
- (١٩) الإسلام وحركات التحرير العربية لشوقي ابو خليل ، دار الفكر ط ٤ ، ١٤٠٥ -
- ١٩٨٥ ، دمشق .
- (٢٠) الإسلام والمسلمون فى المانيا بين الأمل واليوم للشيخ طه الولى ، دار الفتح للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ ، بيروت .
- (٢١) الإسلام اليوم ، ابو الاعلى المودودى ، دار التراث العربى للطباعة والنشر ١٩٧٦ .
- (٢٢) اضواء على تاريخ توران - تركستان - لسيد عبد الموء من السيد اكرم ، الناشر رابطة العالم الإسلامى ١٣٩٩ مكة المكرمة .
- (٢٣) الاعلام - قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٨٠ ، بيروت .
- (٢٤) اعلام الحرية (٥) دار العلم للملايين ط ٣ ، ١٩٥٦ ، بيروت .
- (٢٥) الافعى اليهودية فى معاقل الإسلام ، لعبد الله التل بالمكتب الإسلامى ، ط ٢
- (٢٦) افغانستان والغزو الشيوعى ، ناصر الدين شاه ، ط ١ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ .
- (٢٧) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطابع المجد التجارية .

(ب)

- (٢٨) البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها ، لعزت على عيد عطية ، دار الكتب الحديثة ١٣٩١ - ١٩٧٢ مصر .
- (٢٩) بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية ، ابو الاعلى المودودى ، دار العربية بيروت .

(ت)

- (٣٠) تاريخ الأدب التركى ، لحسين مجيب المصرى ، مطبعة الفكرية ١٣٧٠ - ١٩٥١ القاهرة .
- (٣١) تاريخ الإسلام - ٨ - العهد العثمانى ، لمحمد شاكر ، المكتبة الإسلامى ، ط ١ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، بيروت .

- (٣٢) التاريخ الإسلامى خلال اربعة عشر قرنا منذ العهد النبى حتى العصر الحاضر ، د . ابراهيم الشريفي ، ط ٢ ، ١٣٩١ - ١٩٧١ .
- (٣٣) تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر ، لعبدالفتاح حسن ابو غلبية واسماعيل ياغى دار المريخ ١٣٩٩ - ١٩٧٩ ، الرياض .
- (٣٤) تاريخ اوروبا فى العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) هربت أ. ل . فشر ، تعريب احمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع ، دار المعارف ١٩٦٤ ، القاهرة .
- (٣٥) تاريخ اوروبا الحديث ، لمحمد كمال الدسوقي ، مطبعة النهضة الجديدة مصر .
- (٣٦) تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية . د . على حسون المكتب الاسلامى ط ٣ ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، بيروت .
- (٣٧) تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامى تحقيق احسان حقى ، دار النفائس ط ٢ ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، بيروت .
- (٣٨) تاريخ سلاطين آل عثمان - ليوسف آصاف ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابى دار البصائر ، ط ٣ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، سوريا .
- (٣٩) تاريخ الشعوب الإسلامية ، لكارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومخير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٦٨ ، بيروت .
- (٤٠) تاريخ العرب المطول لفيليب حيتى ، وادورد جرجى وجبرائيل جيور ، ط ٣ ، ١٩٦١ .
- (٤١) تاريخ العرب الحديث ، د . زاهية مصطفى قدورة ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ بيروت .
- (٤٢) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، د . مصطفى خالدى ، د . عمر فروخ دار المكتبة العصرية ١٩٨٣ بيروت .
- (٤٣) التبشير والاستعمار فى نيجريا ، اعداد : حضر مصطفى النيجيرى ، لنيسل درجة الماجستير جامعة أم القرى ١٣٩٩ - ١٩٧٩ ، مكة المكرمة .
- (٤٤) التصوف فى التهامة ، لمحمد بن احمد ابن عيسى العقيلى ، دار البلاد ط ٢ ، جدة .
- (٤٥) التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى د . توفيق الطويل ، الناشر : مكتبة الآداب بالجماهير - مصر .
- (٤٦) تعريف بأدب الدعوة الإسلامية فى تركيا منذ سقوط الخلافة لمحمد حرب مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ - ١٤٠٥ الرياض

(ج)

- (٤٧) جمال الدين الأفغانى ، لمحمد ابورية ، دار المعارف ط ٢ ، مصر .
 (٤٨) جند الله ثقافة واخلاقا ، سعيد حوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
 (٤٩) جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الأتراك ، لزياد ابو غنيمه دار الفرقان ط ١
 ١٤٠٣-١٩٨٣ عمان .

(ح)

- (٥٠) حاضر العالم الإسلامى ، تأليف : لوتروت ستودارد الأمريكى ، ترجمة أ. عجاج
 نويهض ، تعليقات وهوامش للأمير شكيب ارسلان دار الفكر ط ٤ ، ١٣٩٤-١٩٧٣
 لبنان .
 (٥١) حركة الجامعة الإسلامية ، لأحمد فهد بركات الشوابكة ، مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٤
 ١٩٨٤ .
 (٥٢) حركة اليقظة العربية فى الشرق الاسيوى ، لمحمود صالح منسى ، دار الفكر
 العربى ط ٢ ١٣٩٥-١٩٧٥ .
 (٥٣) حقيقة جمال الدين الأفغانى ، كتبه بالفارسية : ميرزا لطف الله خان الاسد
 آبادى ، ترجمة د . عبد النعيم حسنين ، دار الوفاء ط ١ ، ١٤٠٦ ، المنصورة
 صدر الجزء الثانى منه فى ١٤٠٨-١٩٨٨ . المنصورة .
 (٥٤) حقائق عن تركستان المسلمة ، لمحمد أمين اسلامى التركستانى ، ١٣٨٧ ، المملكة
 العربية السعودية .
 (٥٥) حكومة العالم الخفية ، تأليف شيريب سبيريد وفيتش ، ترجمة مأمون سعيد ،
 دار النفايس ، ط ٦ ، ١٤٠٥-١٤٠٦ ، بيروت .
 (٥٦) خاطرات جمال الدين الأفغانى لمحمد باشا المخزومى ، دار الفكر الحديث
 ط ٢ ، ١٣٨٥-١٩٦٥ ، لبنان .
 (٥٧) الخطر اليهودى بروتوكولات حكماة صهيون لمحمد خليفة التونسى ، دار الكتاب
 العربى ، ط ٤ ، ١٤٠٠-١٩٨٠ ، لبنان .
 (٥٨) خير الدين بربروس والجهاد فى البحر ١٤٧٠-١٥٤٧ م - لبسام العسلى
 دار النفايس ط ٣ ، ١٤٠٦-١٩٨٦ بيروت .
 (٥٩) دراسات اسلامية ، السيد قطب ، دار الشروق ط ٥ ، ١٤٠٢-١٩٨٢ .
 (٦٠) دولة الخلافة وشعر الوطنية من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٣٦ م . عبد الرشيد
 عبدالعزيز سالم ، الناشر : وكالة المطبوعات - الكويت .

(٦١) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، د . عبد العزيز محمد الشناوى
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٨٠ ، القاهرة .

(٦٢) الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، د . محمد كمال الدسوقي دار الثقافة
١٩٧٦ . القاهرة .

(ذ)

(٦٣) الذكرى والتاريخ - ابحاث تاريخية - اشرف : شاكرا مصطفى ، الناشر : جامعة
الكويت ١٩٧٨ .

(ر)

(٦٤) الرجل الصنم - كمال اتاتورك - تأليف ضابط تركى سابق ، ترجمة : عبد الله
عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

(٦٥) رسائل انقرة...، لقدرية حسين ترجمة احمد رفعت ١٩٢٢ انقرة .

(س)

(٦٦) السلطان عبد الحميد الثانى حياته واحداث عصره ، اروخان محمد على ، دار
الوثائق ط ١ ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ ، الكويت .

(٦٧) السلطان عبد الحميد الثانى واثره فى نشر الدعوة الإسلامية ، لمحمد قربان
نياز ملا ، مكتبة المنارة ، ط ١ ، ١٤٠٨ - ١٩٨٩ بيروت .

(٦٨) السلطان عبد الحميد الثانى مذكراتى السياسية ترجمة كمال خوجه ، مؤسسة
الرسالة ، ط ٥ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ .

(٦٩) السلطان عبد الحميد خان الثانى واليهود لنجيب فاضل قيصر كورك ، ترجمة
يوسف محلى ، مؤسسة الرسالة ط ١ ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، بيروت

(ش)

(٧٠) الشركس - اصلهم تاريخهم عاداتهم تقاليدهم هجرتهم إلى الأردن - لمحمد
خير جفندوقه ، مطبعة رفيدى ط ١ ، ١٩٨٢ عمان .

(٧١) شعر الوحدة الإسلامية فى العصر الحديث منذ عهد السلطان عبد الحميد
إلى قيام جامعة الدول العربية ١٢٩٣ - ١٣٦٥ ، ١٨٧٦ - ١٩٤٥ ، أعده :
عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان لنيل درجة الدكتوراة جامعة الامام محمد
ابن سعود الإسلامية ١٤٠١ - ١٩٨١ الرياض .

(٧٢) الشوقيات لاحمد شوقى دار الكتب العلمية ط ١ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ . بيروت .

(٧٣) شهادات ماسونية ، لحسن عمر حمادة ، دار قتيبة ط ١ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .

(ص)

(٧٤) صحوة الرجل المريض او السلطان عبد الحميد الثانى والخلافة الإسلامية لموفق بن المرجه ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ ، الكويت .

(ظ)

(٨٥) الظلال من " صفحات " محمد عاكف ، نقله إلى العربية ابراهيم صبرى ١٣٥٣ ١٩٣٣ مصر .

(ع)

(٨٦) العالم العربى فى العصر الحديث لعزت عبد الكريم ١٩٧٧ ، لبنان

(٨٧) عبد الحميد ظل الله على الأرض ، ترجمة راسم رندى ، ١٩٥٠ ، القاهرة

(٨٨) عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، لسليمان البستانى ، تحقيق خالد زيادة ، دار الطلعة للطباعة والنشر بيروت .

(٨٩) العثمانيون والبلقان لعلى حسون ، المكتب الإسلامى ط ٣ ، ١٤٠٦-١٩٨٦ ، بيروت .

(٩٠) العثمانيون فى التاريخ والحضارة لمحمد حرب ، دار القلم ط ١ ، ١٤٠٩-١٩٨٩ دمشق .

(٩١) العرب والشرق الأوسط برنارد لويس تعريب نبيل الطويل دون الاشارة إلى مكان الطبع وتاريخه .

(٩٢) العروة الوثقى ، لجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، دار الكتب العربى ط ٣ ، ١٤٠٣-١٩٨٣ ، بيروت

(٩٣) العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية فى تركيا لعبد الكريم مشهدانسى مكتبة الدولية الرياض مكتبة الخافقين ط ١ ، ١٤٠٣-١٩٨٣ دمشق .

(٩٤) عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامى ، لشوقى ابو خليل ، دار الفكر ١٣٩٩ ١٩٧٩ دمشق .

(غ)

(٩٥) الغارة على العالم الإسلامى ، أ. ل شاتيلة ، ترجمها محب الدين الخطيب ط ٢ دار العصر الحديث ١٩٨٧ جدة .

(٩٦) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام اشرفت على طباعته ونشره : ادارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤-١٩٨٤ الرياض

(٩٧) غروب الخلافة الإسلامية لعلى حسنى الخربوطلى مؤسسة المطبوعات الحديثة مصر

(ف)

- (٩٨) فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر . محمد عبد اللطيف البحراوى مكتبة دار التراث ط ١٣٩٩-١٩٧٩ القاهرة
- (٩٩) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، المكتبة الدينية . ط ١٠٠٠ ، ١٣٩٩-١٩٧٩ مكة المكرمة .
- (١٠٠) فصل الدين عن الدولة لاسماعيل الكيلانى ، دارالكتاب الإسلامى ط ١ ، ١٤٠٠-١٩٨٠ بيروت .
- (١٠١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د . محمد البهى ، المكتبة الفيصلية ط ٦ ، ١٩٧٣ ، مكة المكرمة .
- (١٠٢) الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ، مكتبة ابن تيمية ط ٢ الكويت .
- (١٠٣) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، د . صالح بن عبدالله العبود ، دار الطيبة ط ١ ، ١٤٠١ ، الرياض .
- (١٠٤) فى التاريخ فكرة ومنهاج ، لسيد قطب ، دار الشروق ط ٢ ، ١٣٩٨-١٩٧٨ .

(ق)

- (١٠٥) القومية فى ميزان الإسلام لعبد الله ناصح علوان دار السلام ط ٢ ، ١٤٠٤-١٩٨٤ .
- (١٠٦) القومية والغزو الفكرى لمحمد جلال كشك دار الإرشاد ط ٢ ، ١٨٧٠ ، بيروت

(ك)

- (١٠٧) كيف نحارب الإلحاد ، لمحمد احمد باشمى ، دار لبنان ١٣٨٧-١٩٦٧ بيروت
- (١٠٨) كيف هدمت الخلافة ، لعبد القدير زلوم ١٣٨٢-١٩٦٢ .

(ل)

- (١٠٩) لمحات فى الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب مؤسسة الرسالة ط ٢ ، ١٤٠٤-١٩٨٤ بيروت .

(م)

- (١١٠) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابوالحسن الندوى ، ط ١ ، ١٣٩٤ - ١٩٧٤ ، دولة قطر .
- (١١١) الماسونية اقدم الجمعيات السرية واخطرها معالجة جريئة لهذا الموضوع الخطير . الناشر : عالم الكتب ، ١٤٠١ .

- (١١٢) الماسونية ذلك العالم المجهول ، دراسة فى الاسرار التنظيمية لليهودية العالمية ، لصابر طعيمة ، دار الجيل بيروت .
- (١١٣) الماسونية فى العراق ، لمحمد على الزعبي ، ط ٣ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .
- (١١٤) المجتمع الإسلامى والغرب هاملتون جب ورفيقه هارول يوون ترجمة عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ١٩٧١ القاهرة .
- (١١٥) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام للشيخ محمد محمود الصواف دار الاعتصام ١٩٧٩ ، القاهرة .
- (١١٦) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب عبد المجيد ، دار الوثائق ط ٢ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ الكويت .
- (١١٧) مذاهب فكرية معاصرة الشيخ محمد قطب ، دار الشروق ط ١ ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- (١١٨) المسلمون فى الاتحاد السفياتى ، محمد صفوت السقا أمين ط ١ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ مكة المكرمة .
- (١١٩) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ، شانتال لمربيه كلكجى والكسندر بينيغسن تعريب احسان حقى ، مؤسسة الرسالة ط ٢ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ بيروت .
- (١٢٠) المعالم الرئيسة الاسس التاريخية والفكرية لحركة حزب السلامة فى تركيا ، لمحمد حرب بحث مقدمة إلى ندوة اتجاهاً الفكر الإسلامى المعاصر ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، الرياض .
- (١٢١) مفاهيم ينبغي أن تصحح للشيخ محمد قطب ، دار الشروق ط ٣ ، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ ، بيروت .
- (١٢٢) منهج التربية الإسلامية ، للشيخ محمد قطب دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ بيروت .
- (١٢٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، احمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ط ٣ ، ١٩٧٧ مصر .
- (١٢٤) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ ، احمد العوايشة ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ مكة المكرمة .
- (١٢٥) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، لمصطفى صبرى ، دار احياء التراث العربى ، ط ٢ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ بيروت .
- (ن)
- (١٢٦) ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر - البحرين ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٧ - ١٩٨٧ الرياض .

(١٢٧) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، للشيخ عبد العزيز بن باز، المكتب الإسلامي ط ٤، ٣٠٤-١٤٠٣-١٩٨٣، بيروت.

(٩)

(١٢٨) واقعنا المعاصر، للشيخ محمد قطب ط ١، مؤسسة المدينة للصحافة ١٤٠٧، جدة، ١٩٨٧.

(١٢٩) الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ليوست محمد صالح الاحمد، رسالة مقدمة لجامعة القرى لنيل درجة الماجستير سنة ١٤٠٧-١٩٨٧ (لم تطبع) مكة المكرمة.

(١٣٠) الوحدة الإسلامية لمحمد ابو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة.

(١٠)

(١٣١) يهود الدونمة، لمحمد عمر، مؤسسة الدراسات التاريخية

(١٣٢) يهود الدونمة، لمصطفى طوران ترجمة كمال خوجه دار السلام ط ١، ١٣٩٧، بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ- ل	المقدمة
م	شكر وتقدير
١	الباب الأول : عصر محمد عاكف
٢	الفصل الأول : الأحوال السياسية
٣	(١) الغزو العسكرى للعالم الإسلامى :
٤	أ (اسباب ضعف الدولة العثمانية
	ب) تحالف القوى الصليبية والصهيونية وتحركها ضد العالم
١٦	الإسلامى
١٩	ج) وقائع من الاستعمار الصليبي والصهيونى
٢١	(٢) الآثار السياسية للغزو العسكرى
٢٢	أ (تمزيق الدولة العثمانية وتقسيمها
٢٧	ب) دور اليهود فى إزالة الدولة العثمانية
٣٣	ج) تحقيق أهداف الغزو العسكرى
٣٦	(٣) فكرة الجامعة الإسلامية
٣٦	تمهيد
٣٧	أ (أول من دعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية
٤٠	ب) أعمال السلطان عبد الحميد فى مجال الجامعة الإسلامية
٤٥	ج) اسباب عدم نجاح فكرة الجامعة الإسلامية
٤٨	الفصل الثانى : الأحوال الاجتماعية
٤٨	(١) المجتمع الإسلامى وتقاليدہ
٤٩	أ (عناصر المجتمع الإسلامى فى الدولة العثمانية
٥٣	ب) موقف غيرا لمسلمين من المسلمين ومن دولتهم
٦٠	(٢) البدع والخرافات والانحرافات
٦١	أ (البدع والخرافات المنتشرة أيام محمد عاكف
٦٩	ب) الانحرافات فى الدولة العثمانية وفى تركيا
٧٩	(٣) التعليم

الصفحة	الموضوع
٨٠	أ (التعليم في الدولة العثمانية إلى نهاية أيام السلطان عبد الحميد الثاني
٨٥	ب (دور المدارس الأجنبية والمربيات الأجنبيات في إفساد التعليم
٨٨	ج (التعليم بعد السلطان عبد الحميد الثاني ومحاولات اصلاح المدارس
٩١	د (نهاية المدارس الإسلامية وإفساد التعليم بعد الدولة العثمانية
٩٥	الفصل الثالث : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام
٩٥	تمهيد
٩٧	فكرة الوطنية والقومية (١
٩٧	أ (نشأة الوطنية والقومية مفهومها ومعناها
٩٨	ب (القومية لتركية - الطورانية - دعائها ودور اليهود في انتشارها
١٠٢	ج (القومية العربية
١٠٥	فكرة الإنسانية والعالمية (٢
١٠٦	أ (الماسونية ومحاولتها تحطيم الأديان غير اليهودية
١٠٨	ب (علاقة حزب الاتحاد والترقي بدعوة الإنسانية والعالمية
١١٢	الإلحاد (٣
١١٢	أ (تاريخ الإلحاد في الدولة العثمانية ودولة تركيا
١١٣	ب (الاحزاب والمنظمات الإلحادية
١١٦	ج (الاساليب الشيوعية في تركيا
١١٧	د (بعض الشيوعيين وأعمالهم في تركيا
١١٩	التغريب وانتشار الفساد الخلقى (٤
١٢٠	أ (تاريخ التغريب ، بدايته في التشريع والمجال العسكري
١٢٢	ب (التغريب في مجال التعليم
١٢٥	ج (التغريب عن طريق وسائل الإعلام
١٢٧	د (الدفاع عن المرأة وحقوقها
١٢٨	هـ (تبديل الزى

١٣١	(و) التغريب فى مجال الأدب والفن والفكر فى الحياة الاجتماعية
١٣١	(ز) التغريب فى مجال السياسة
١٣٤	(ح) وسائل أخرى للتغريب
الباب الثانى : شخصية محمد عاكف وموقفه من التيارات الفكرية فى عصره	
الفصل الأول : حياته الشخصية والعلمية	
١٣٦	(أ) حياته الشخصية
١٣٧	- مولده (مكان وتاريخ ولادته)
١٣٨	- اسمه ، أبوه وجدده
١٤٠	- أمه
١٤١	- نشأته الأولى
١٤٢	- تعليمه الابتدائى
١٤٣	- دراسته فى المتوسطة
١٤٤	- دراسته فى الثانوية
١٤٥	- دراسته الجامعية
١٤٦	- الكوارث التى ألمت به أيام دراسته
١٤٨	- زواجه واولاده
١٤٨	- وظائفه واعماله ونشاطه
١٥٣	- رحلاته
١٥٩	- حياته فى مصر
١٦٦	- مرضه ووفاته
١٧٠	(ب) حياته العلمية
١٧٠	(١) شيوخه وتلاميذه
١٧١	(أ) شيوخه الذين تأثروا بهم
١٨٠	(ب) اصحابه وتلاميذه الذين تأثروا به
	(٢) ثقافته ومؤلفاته
١٩١	(أ) ثقافته

الصفحة	الموضوع	
١٩١	- ثقافته في العلوم الإسلامية	
١٩٢	- ثقافته في علوم اللغة من العربية والفارسية والفرنسية	
١٩٥	- ثقافته الأدبية	
١٩٧	(ب) مؤلفاته :	
١٩٧	- آثاره المنظومة	
٢٠٦	- آثاره المنشورة	
٢٢٤	- خصائص إنتاجه الأدبي	
٢٢٧	مكانته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه	(٣)
٢٣١	شخصيته وأخلاقه	(٤)
٢٣١	- شخصيته	
٢٣٣	- أخلاقه	
٢٣٧	- ماله ومعيشته	
٢٣٩	الفصل الثاني : موقفه من الغزو العسكري	
٢٤٠	(١) أيام حرب البلقان	
٢٤٨	(٢) أيام الحرب العالمية الأولى	
٢٥٨	(٣) أيام حرب الاستقلال	
٢٧١	الفصل الثالث : موقفه من الغزو الفكري	
٢٧٤	(١) موقفه من الفكرة القومية	
٢٩٠	(٢) موقفه من الإلحاد	
٣٠٥	(٣) موقفه من التغريب وانتشار الفساد الخلقى	
٣٠٦	(أ) موقفه من التغريب	
٣١٩	(ب) موقفه من الفساد الخلقى	
٣٢٩	الفصل الرابع : موقفه من حركة الإصلاح في عصره	
٣٣١	(١) موقفه من السلطان عبد الحميد الثاني	
٣٣٨	(٢) موقفه من أعمال حزب الاتحاد والترقي	
٣٥٠	(٣) موقفه من حركة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده	
٣٦٩	الفصل الخامس : موقفه من الحضارة الغربية	

الصفحة	الموضوع
٣٨٦	الفصل السادس : موقفه من الحركات الانفصالية
٣٨٧	أ) نماذج من الحركات الانفصالية
٣٩٣	ب) أعمال محمد عاكف ضد الحركات الانفصالية
الباب الثالث : جهوده فى الدعوة الإسلامية	
٤٠٧	الفصل الأول : مواعظه وإرشاداته
٤٠٧	١- منهجه فى مواعظه وإرشاداته
٤١٢	٢- نماذج مختارة من مواعظه
الفصل الثانى : تحرير مجلة الصراط المستقيم ثم	
٤٢٠	سبيل الرشاد
٤٢٠	١- اسباب واهداف اصدار مجلة الصراط المستقيم
٤٢١	٢- الاثر الذى ترتب على مشاركة عاكف فى تحريرها
٤٢٦	٣- اهم موضوعاتها وكتابها
٤٢٩	٤- مدى انتشارها
٤٣٢	٥- موقف الدولة منها
الفصل الثالث : دفاعه عن الإسلام بأعماله وآثاره	
٤٣٨	١- دفاعه عن العقيدة الصحيحة
٤٣٩	٢- معارضته البدع والخرافات والانحرافات
٤٤١	٣- دفاعه عن فكرة الجامعة الإسلامية
٤٤٧	٤- دفاعه عن الإسلام فى المؤسسات والمنظمات الإسلامية
٤٥٣	٥- تأليفه نشيد الاستقلال واشادته فيه بالإسلام
٤٥٥	٦- اساليبه فى الدعوة إلى الإسلام
٤٥٧	٦- اساليبه فى الدعوة إلى الإسلام
الفصل الرابع : دفاعه عن الحضارة الإسلامية	
٤٥٩	الفصل الخامس : محاولاته فى تصحيح المفاهيم الإسلامية
٤٦٧	١- مفهوم الإيمان والعبادة
٤٦٧	٢- مفهوم القضاء والقدر
٤٦٩	٢- مفهوم القضاء والقدر

الصفحة	الموضوع
٤٧٦	٣- مفهوم الدنيا والآخرة
٤٨٢	الفصل السادس: آراؤه في مستقبل الأمة الإسلامية
٤٩٣	الخاتمة
٤٩٥	قائمة المصادر والمراجع
٥١١	الفهرس